

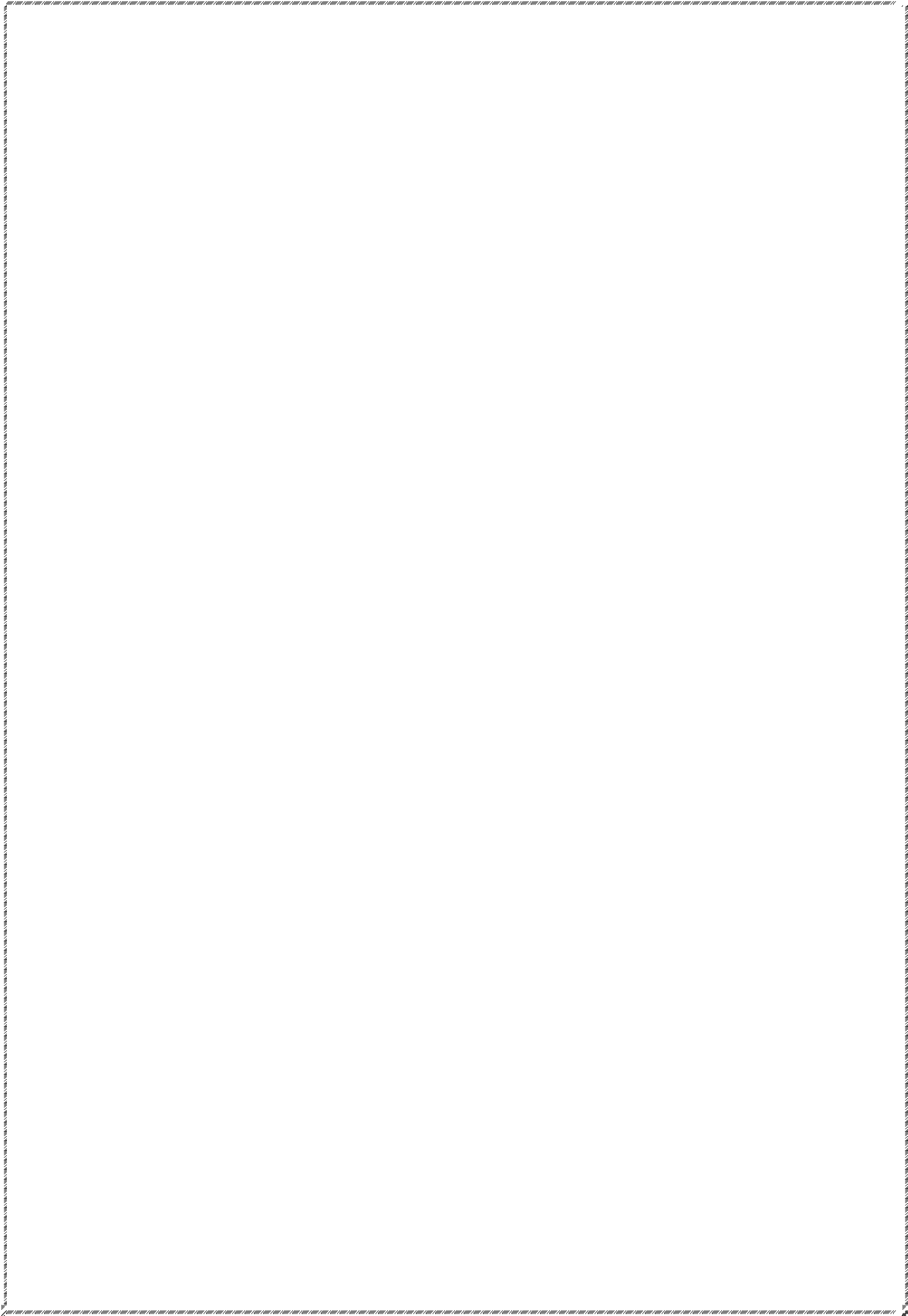
الدين بين العقل والنقل

فقه العلم والمعرفة في الدين والدنيا والآخرة

الجزء الثاني

جميل شرف القدسي





الدين بين العقل والنقل

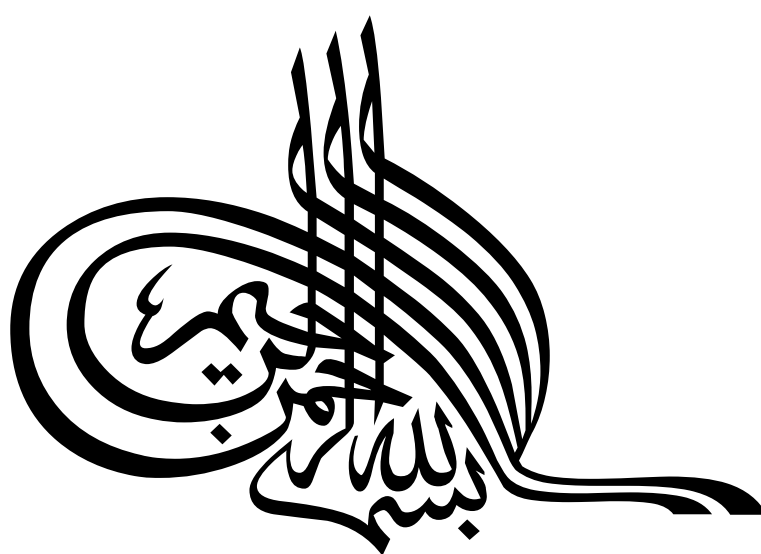
فقه العلم والمعرفة في الدين والدنيا والآخرة

الجزء الثاني: الدين المفقود

جميل شرف القدسي

اسم الكتاب:	الدِّين بين العقل والنقل
اسم المؤلف:	جميل عبده شرف القدسي – المحامي
مواضيع	عضو نقابة المحامين اليمنيين – وعضو اتحاد المحامين العرب قدس.
المؤهل العلمي	ليسانس كلية الشريعة والقانون – جامعة صنعاء عام 1997م
البريد الإلكتروني:	gamd197025@gmail.com
رقم الإيداع لدى الهيئة العامة للكتاب - صنعاء:	145- حقوق الطبع محفوظة للمؤلف.
الناشر:	مكتبة خالد بن الوليد.
الطبعة:	الأولى – سبتمبر 2022م
المراجع اللغوي:	د. عبدالإله القدسي. د. عزيز الدعيس
طباعة وتنسيق وإخراج:	وفيق سلطان الملح

نستقبل آرائكم وملاحظاتكم حول الكتاب على البريد الإلكتروني للمؤلف أعلاه



قائمة المحتويات

18	تصدير (الطبعة الأولى).....
20	الجزء الثاني فقه المعرفة بالدين المفقود.....
22	مدخل الجزء الثاني.....
24	الفصل الأول الكينونة بين الأمر والجدلية (الخالق والمخلوق).....
24	1-1 جدلية المعرفة في (الله) الخالق سبحانه وتعالى:.....
25	2-1 أسس المعرفة بالخالق سبحانه وتعالى:.....
28	3-1 العلم والمعرفة بـ (الله) سبحانه:.....
28	4-1 الجدل في آيات الله سبحانه وتعالى:.....
29	5-1 صيغ الجدل والمجادلة ومواضعه في الحياة:.....
30	6-1 جدلية المعرفة بالشيء وأمر الكينونة (فلسفة المادة):.....
36	7-1 جدلية المعرفة بخلق الروح (فلسفة الروح):.....
38	8-1 مواقف ذكر الروح في القرآن الكريم:.....
40	9-1 جدلية المعرفة بخلق النفس (فلسفة النفس):.....
42	10-1 النفس البشرية آدم الأنتى:.....
43	11-1 مكان النشأة الأولى:.....
44	12-1 صفات النفس: النفس الطيبة المطمئنة:.....
44	13-1 النفس ومحاسبتها عن الأعمال خيراً أو شراً:.....
45	14-1 النفس مواضع وحالات مختلفة:.....
46	15-1 وفاة النفس وأجلها:.....
47	16-1 جدلية المعرفة في خلق البشر (الإنسان):.....
48	1-16-1 جهود الإنسان في معرفة خلقه – نظرية تشارلز داروين والرد عليها:.....
51	2-16-1 حقيقة الخلق في القرآن:.....
54	17-1 مراحل عصر الخلق والكمال البشري:.....
56	1-17-1 خلق الإنسان من الماء في جنة عدن:.....
56	2-17-1 خلق الإنسان من التراب في جنة عدن:.....
57	3-17-1 خلق الإنسان من الطين والطين اللازب في جنة عدن:.....
57	4-17-1 خلق الإنسان من صلصال في جنة عدن:.....
57	5-17-1 نفخ الروح أو إلقاء الروح والنفس في جنة عدن:.....
58	6-17-1 المشهد القرآني من سورة البقرة في خلق آدم وزوجه:.....
59	7-17-1 المشهد القرآني من سورة الأعراف:.....
62	18-1 عصر الهبوط إلى الأرض وبدء الحياة والاستقرار:.....
62	1-18-1 طرد إبليس وهبوطه من كوكب جنة عدن:.....
63	2-18-1 هبوط آدم من كوكب جنة عدن للأرض:.....

- 19-1 إبراهيم والجدل الفلسفي: 65
- 20-1 جدلية المعرفة بالله لدى موسى: 70
- 21-1 جدل اليهود المادي حول الله في تورا العبرانيين: 72
- 1-21-1 يعقوب يصارع الله وجهاً لوجه: 72
- 2-21-1 رؤية الله من نفر من بني إسرائيل: 72
- 22-1 جدلية المسححين المادي في الله في العهد الجديد: 72
- 1-22-1 الأدعاء بأن لله ابناً: 73
- 2-22-1 مبدأ التثليث في الألوهية: 73
- 3-22-1 التقوّل على الله كذباً: 73
- 4-22-1 التقوّل على الله بالولادة (المخاض): 73
- 23-1 سنن الخالق في المخلوقات (فطرة- قانون - الطبيعة): 74
- 24-1 جدلية المعرفة بخلق إبليس: 74
- 1-24-1 التعريف بإبليس وأحواله. 75
- 2-24-1 التعريف: بلفظ (الشيطان): 76
- 3-24-1 من أعمال وصفات إبليس الشيطان الرجيم: 77
- 25-1 التعريف بالجان أو الجن ووظائفهم وأعمالهم: 81
- 1-25-1 طائفة الجن الكافرة: 81
- 2-25-1 طائفة الجن المؤمنة: 81
- 3-25-1 طائفة الجن والشياطين المسخرين لنبي الله سليمان - عليه السّلام: 82

84 الفصل الثاني أركان الدين والحياة

- 1-2 العلم والمعرفة - العقل والقلب: 85
- 2-2 القلب والفؤاد: 88
- 3-2 العلم والمعرفة بالفكر والتفكير: 89
- 4-2 العلم بالقرآن الكريم والفقه بالدين: 90
- 1-4-2 العلم بأحكام الدين (فقه القرآن): 92
- 5-2 العلم بالعرف والأعراف والعلوم الإنسانية: 93
- 1-5-2 العلم والمعرفة بالعلوم: 94
- 2-5-2 العلم بالمال والاقتصاد: 95
- 6-2 العلم والمعرفة بالمخلوقات: 98
- 7-2 العلم بالسّماء والكون والعرش: 99
- 8-2 العلم بالشمس والقمر والليل والنّهار: 109
- 9-2 العلم بالأرض وما فيها: 109
- 10-2 العلم والمعرفة بخوارق العلوم: 111
- 1-10-2 الظواهر الإعجازية العلمية لسيدنا إبراهيم - عليه السّلام: 114
- 2-10-2 الظواهر الإعجازية العلمية لسيدنا موسى- عليه السّلام: 114
- 3-10-2 الظواهر الإعجازية العلمية (الآيات) للعبد الصالح مع موسى: 115

116	4-10-2	الظواهر الإعجازية العلمية لسيدنا داود - عليه السَّلام:
117	5-10-2	الظواهر الإعجازية العلمية لسيدنا سليمان - عليه السَّلام:
117	6-10-2	الظواهر الإعجازية العلمية لنفر من ملأ النبي والملك سليمان عليه السلام:
118	7-10-2	الظواهر الإعجازية العلمية (الآيات) لسيدنا عيسى - عليه السَّلام:
119	11-2	العلم بالماء والبحار والأنهار:
121	12-2	العلم بالحيوان والنبات:
122	1-12-2	العلم بالدواب على العموم:
122	2-12-2	العلم بـ(الأنعام: الحيوان) في البر والبحر:
123	3-12-2	العلم بالحيوانات المدجنة:
123	4-12-2	العلم بالسباع والوحوش:
123	5-12-2	العلم بالطيور:
124	6-12-2	العلم بالحشرات:
124	7-12-2	العلم بالنبات من الشجر والزرع والفواكهة:
125	13-2	العلم والمعرفة الإنسانية فلسفة اليونان وروما:
126	1-13-2	النَّبي يونس عليه السَّلام:
128	2-13-2	النَّبي ذا النون - عليه السَّلام:
128	3-13-2	النَّبي ذا الكفل وذا اليسع:
129	4-13-2	الأنبياء من آل يس:
130	14-2	حكماء وفلاسفة اليونان وروما:
139	15-2	العلم والمعرفة - الفلسفة العربية الإسلامية:
145	16-2	أعلام المعرفة في العصر العربي الإسلامي (الفلسفة):

150..... الفصل الثالث الإيمان والعمل

150	1-3	التعريف بالإسلام ودليل مشروعيته:
150	2-3	التعريف بالإيمان ودليل مشروعيته:
155	3-3	العمل الصالح:

158..... الفصل الرابع فقه الرسالة والرسول والنبي

158	1-4	فقه التعريف بالمرسل:
161	2-4	فقه الرسالة كلام الله سبحانه:
162	1-2-4	فقه كلام الله (الرسالة) في عهد آدم - نوح:
164	2-2-4	فقه كلام الله (الرسالة) في قوم عاد وهود:
165	3-2-4	فقه كلام الله (الرسالة) في قوم ثمود:
165	4-2-4	فقه كلام الله (الرسالة) في عهد إبراهيم:
167	5-2-4	فقه كلام الله (الرسالة) في عهد أولاد إبراهيم (إسماعيل - إسحاق - يعقوب - يوسف):
168	6-2-4	فقه كلام الله (الرسالة) في عهد موسى وهارون (التوراة - الفرقان):
169	7-2-4	فقه كلام الله (الرسالة) في عهد داود وسليمان (الزبور):

169	4-2-8 فقه كلام الله (الرسالة) في عهد زكريا ويحيى ومريم وعيسى (الإنجيل):
170	4-2-9 فقه الشعائر والمناسك منذ عهد سيدنا إبراهيم:
170	4-2-10 فقه الصَّلَاة - القبلة:
171	4-2-11 فقه الزكاة (الضرائب):
171	4-2-12 فقه الحج والعمرة:
171	4-2-13 فقه الصيام وشهر رمضان شعيرة قديمة:
172	4-2-14 فقه أحكام وقواعد تنظيم الأسرة:
172	4-2-15 فقه الارث والمواريث:
172	4-2-16 العمل بالعُرف والأعراف:
172	4-3 فقه كلام الله (الرسالة) القرآن الكريم:
175	4-4 خلاصة: التوراة والفرقان والزبور والإنجيل كلام الله سبحانه في القرآن:
177	4-5 حقيقة تعدد الأديان:
180	4-6 الرُّسول من الإنسان (التعريف الوظيفي):
181	4-6-1 الرُّسول المكلف بالرسالة:
187	4-6-2 المرسلين من البشر:
188	4-6-3 فقه الرُّسل من الملائكة:
188	4-7 النَّبِيُّ - الأنبياء التعريف والمشروعية:
189	4-8 فقه آداب وظيفة النَّبِيِّ:
192	4-9 المُرسل إليهم وهم النَّاس والجن:
193	4-9-1 عيسى نبي الله ورسوله:

198 الفصل الخامس فقه الحلال - تشريع الله وتشريع الإنسان

199	الحلال: التعريف والمشروعية:
202	الخمير ومشروعيته:
202	قواعد من القرآن تفيد حلة شرب الخمر:
206	قواعد من القرآن تفيد تنظيم وتقنين الخمر (الأجتناب):
209	النَّهي عن السُّكْر في الصَّلَاة تأدُّباً:

210 الفصل السادس فقه الحرام - تشريع الله الخالص

210	التعريف والمشروعية:
212	المحرَّم من الاعتقاد (الشرك بالله) وبعض الأعمال:
212	أدلة مشروعية تحريم الشرك بالله والأعمال والأفعال المحرمة
213	المحرَّم من الأموال (الربا) التعريف والمشروعية:
214	أدلة مشروعية تحريم الربا:
217	عدم اكتناز الذهب والفضة:
219	المحرَّم من المأكولات (الطعام):
221	المحرَّم من الزَّواج أو النكاح:

226	المحرّم من الصيد أثناء الإحرام بحج وعمره.....
228	الفصل السابع فقه العُرف والأعراف – وفقه المعاملات - تشريع الإنسان الخالص
228	العُرف - التعريف والمشروعية:.....
229	الركن المادي للعرف:.....
229	الركن المعنوي للعرف:.....
230	خصائص العُرف ومجالاته:.....
230	العُرف أساس رُقي وتقدم الحضارات الإنسانية:.....
235	قواعد من القرآن لتشريع وتقنين الحلال:.....
235	قواعد من القرآن لتشريع الحرام:.....
237	قواعد من القرآن لتشريع وتقنين الجزاء أو العقوبة:.....
237	قواعد من القرآن لتشريع وتقنين قانون الأسرة والآداب الاجتماعية:.....
238	قواعد من القرآن لتشريع وتقنين الحقوق والحريات:.....
238	قواعد من القرآن لتشريع وتقنين العلم والمعرفة والعمل:.....
238	قواعد من القرآن للحث على تأدية الشعائر والمناسك:.....
239	دور العُرف في إثراء القانون وفروعه:.....
239	دور العُرف في منظومة القانون الوطني والدولي العام والخاص:.....
240	دور العُرف في صياغة منظومة القانون الدولي العرفي العام والخاص:.....
240	هيئات تشريع القانون الوطني – والدولي:.....
241	العرف والأعراف ودوره في إثراء ثقافات الشعوب والأمم:.....
242	مكانة أهل العرف والأعراف عند الله سبحانه:.....
243	فقه المعاملات.....
245	الفنوى والفتاوى الدينية:.....
247	الفصل الثامن الصَّلَاة
247	1-8 التعريف والمشروعية:.....
248	2-8 مراحل فرض الصَّلَاة ومشروعيتها عبر العهود المتفرقة:.....
250	3-8 ذكر الصَّلَاة على العموم في القرآن:.....
252	4-8 مواقيت الصَّلَاة التعريف والمشروعية:.....
253	تحديد مواقيت الصَّلَاة:.....
253	مِيقَاتِ الطَّرَفِ الْأَوَّلِ مِنَ النَّهَارِ وَفِيهِ (صَلَاةُ الْفَجْرِ):.....
254	مِيقَاتِ الطَّرَفِ الثَّانِي مِنَ النَّهَارِ وَفِيهِ (صَلَاةُ الْعِشَاءِ):.....
255	مِيقَاتِ صَلَاةِ اللَّيْلِ (الصَّلَاةُ الْوَسْطَى):.....
256	5-8 صلاة الجمعة:.....
256	مقدار صلاة الجمعة وآدابها:.....
258	مِيقَاتِ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ.....
258	خطبة الجمعة:.....

259	6-8 التسبيح قبل وبعد الصلّة:
259	7-8 قصر الصلّة في السفر مع وجود الخوف:
260	8-8 الصلّة في وقت الحروب:
260	9-8 الصلّة وقت الخوف:
260	10-8 شروط القيام للصلّة:
261	11-8 التيمّم:
262	12-8 استقبال القبلة البيت الحرام (المسجد الحرام):
262	المرحلة الأولى: من حيث السبب والمناسبة في استقبال القبلة:
263	المرحلة الثانية: المسجد الحرام بمكة قبل الصلاة في عهد نبي الله موسى وهارون:
264	المرحلة الثالثة: تغيير القبلة عن المسجد الحرام بمكة كان من قبل اليهود:
264	المرحلة الرابعة والأخيرة: تحديد هيئة المصلي باتجاه القبلة:
265	13-8 آداب الصلّة:
266	14-8 عدد الركعات والسجودات لكل صلاة:
267	15-8 كيفية الصلّة بحلول وقتها:
268	كيفية الإقامة والقيام للصلّة:
268	كيفية الركوع أثناء الصلّة:
272	دليل مشروعية السجود:
274	الانتهاء من الصلّة:
275	16-8 المساجد وعمارتها:
275	مساجد ضرر:

278 الفصل التاسع الزكاة (الضرائب) - والصدقات - والأنفال والفيء

278	9-1 التعريف بالزكاة ومشروعيتها:
279	9-2 مشروعية الزكاة:
280	مشروعية الزكاة على الأمم السابقة:
280	9-3 مقدار الزكاة ووقت أدائها ومصارفها:
280	مصارف الزكاة:
281	واقع الزكاة اليوم:
281	الخلط بين مصارف الزكاة ومصارف الصدقات:
282	الضرائب:
282	الزكاة والضرائب:
283	9-4 الصدقات التعريف: والمشروعية:
284	مشروعية الصدقات ومصارفها:
284	مصارف الصدقات:
287	9-5 الأنفال والفيء و(الخمسة):
287	الأنفال التعريف والمشروعية:
287	الفيء: التعريف والمشروعية:

288.....	الخمس التعريف والمشروعية:
292.....	الفصل العاشر الصيام – شهر رمضان – الاعتكاف
292.....	1-10 التعريف والمشروعية:
292.....	2-10 مشروعية الصيام بوجه عام:
292.....	3-10 ميقات الصيام من حدود الله:
293.....	4-10 الاستثناءات من الصيام:
293.....	5-10 آداب وشروط الصيام:
293.....	6-10 شهر رمضان التعريف والمشروعية ومواقبته:
295.....	1-6-10 دليل مشروعية صيام شهر رمضان:
295.....	2-6-10 شهر رمضان بشمال الأرض:
295.....	3-6-10 شهر رمضان بجنوب الأرض:
297.....	7-10 صيام الكفارات:
297.....	1-7-10 صيام شهرين متتابعين كفارة القتل الخطأ:
297.....	2-7-10 صيام شهرين متتابعين كفارة الظهار:
297.....	3-7-10 صيام ثلاثة أيام كفارة حلف اليمين:
298.....	4-7-10 صيام كفارة الحج:
298.....	5-7-10 صيام كفارة قتل الصيد للحاج المحرم:
298.....	8-10 الاعتكاف في رمضان:
299.....	9-10 ليلة القدر ليست في رمضان:
302.....	الفصل الحادي عشر الحج والعمرة
302.....	1-11 الحج والعمرة: التعريف والمشروعية:
303.....	2-11 الناس جميعاً مكلفون ومعنيون بالحج والعمرة:
304.....	3-11 مواقيت الحج والعمرة:
306.....	4-11 الحج الأكبر:
306.....	5-11 آداب الحج والعمرة:
308.....	6-11 مناسك وشعائر الحج والعمرة وعدد الأيام:
310.....	7-11 منافع الحج والعمرة:
310.....	8-11 الاعتكاف في الحج والعمرة:
311.....	9-11 تعظيم الشعائر والمناسك في الحج والعمرة:
312.....	الفصل الثاني عشر فقه المواريث – الوصية والفروض
312.....	1-12 التعريف: بالإرث أو الميراث:
312.....	2-12 الإرث من تركة المتوفي – التعريف والمشروعية:
313.....	3-12 المشروعية من القرآن الكريم:
314.....	4-12 حقوق اليتامى والمساكين والضعفاء في إرث المتوفي:

5-12	عقد الوصية - من حدود الله:	314
6-12	فقه الألفاظ والمصطلحات حول تقسيم الانصبه والفروض:	315
7-12	الأنصبه والفروض المحددة من التركة:	317
8-12	حالة الإرث كلاله، بنص الآية (12) من سورة النساء:	319
9-12	حالة الإرث كلاله بنص الآية (176) من سورة النساء:	320

الفصل الثالث عشر فقه المرأة - الأنثى أصل النفس والتكاثر..... 322

1-13	خلق آدم الأنثى - وزوجه:	322
2-13	الأنثى أصل تكاثر النفس الإنساني:	323
3-13	عناية واهتمام:	328
4-13	إهدار كيان:	329
5-13	المساواة في خطاب التكليف-التعريف والمشروعية:	331
6-13	الأسرة والحقوق الزوجية:	333
7-13	خطبة النساء التعريف والمشروعية:	334
8-13	الزَّواج - التعريف والمشروعية:	334
9-13	المحصنات من النساء - التعريف والمشروعية:	337
10-13	ميثاق الزَّواج التعريف والمشروعية:	339
11-13	النكاح والتعدد: التعريف والمشروعية:	341
12-13	مشروعية النكاح وحالاته:	341
13-13	ثياب المرأة في الإسلام:	348
1-13-13	الجلباب والخمار من ثياب المرأة العام:	348
2-13-13	الخمار التعريف والمشروعية:	349
2-13-13	اللباس ليس من الثياب:	350
14-13	ثياب القواعد من النساء:	351
15-13	الحجاب ليس من ثياب المرأة:	351
16-13	الحضانة والرضاعة والأمومة:	352
17-13	القوامة التعريف والمشروعية:	353
18-13	المحيض أو (الحيض):	354
19-13	الطلاق:	356
1-19-13	أنواع الطلاق:	357
2-19-13	الطلاق الرجعي - إرجاع الزوجة بالصلح - التعريف والمشروعية:	359
3- 9-13	أحكام الطلاق البائن، وهو من حدود الله - التعريف والمشروعية:	359
4-9-13	الاستعمال السيئ للطلاق:	361
5-9-13	العضل بعد الطلاق:	361
6-9-13	الطلاق، للمرأة التي لم تمس:	362
7-9-13	حقوق المطلقة بعد الطلاق التي لم يدخل بها (يمسها):	362
20-13	التعدي على حقوق الزوجة:	363

363.....	21-13 الظهار:
364.....	22-13 اللعان بين الزوجين:
364.....	23-13 الذين يؤلون (يحلفون) على نساءهم التعريف والمشروعية:
366.....	الفصل الرابع عشر فقه حساب الزمن
366.....	1-14 حساب التقاويم أو التقويم:
367.....	2-14 تعريف السنة القمرية: 0
367.....	3-14 تعريف السنة الشمسية: 0
368.....	4-14 حساب السنين – التقاويم:
379.....	5-14 فقه اليوم والليل والنهار:
382.....	6-14 فقه يوم الجمعة:
382.....	7-14 فقه الدورة اليومية وحقيقة السبت:
386.....	8-14 فقه تقويم الشهر والسنة في حياة الناس:
390.....	الفصل الخامس عشر فقه الختان
392.....	الفصل السادس عشر فقه الأعياد والمناسبات:
396.....	الفصل السابع عشر فقه الجهاد (المقاومة - وصد العدوان) في الإسلام:
397.....	1-17 الجهاد (المقاومة) التعريف والمشروعية:
398.....	2-17 أدلة مشروعية الجهاد (المقاومة):
399.....	3-17 الجهاد في الفكر العربي الإسلامي:
404.....	4-17 الجهاد الاستباقي أو الحرب الوقائية:
406.....	5-17 الشهيد والشاهد: التعريف والمشروعية:
410.....	الفصل الثامن عشر فقه الرق والعبيد
410.....	1-18 التعريف والنشأة التاريخية للرق والعبودية:
412.....	2-18 موقف القرآن الكريم من الرق والعبودية:
413.....	3-18 موقف المذاهب الفقهية من الرق والعبودية:
413.....	1-3-18 موقف الفكر الديني اليهودي من الرق والعبودية:
414.....	2-3-18 ما ورد في الفكر الإنساني حول العبيد والرق:
416.....	الفصل التاسع عشر فقه اليتامى (التعريف والمشروعية)
416.....	1-19 اليتيم التعريف والمشروعية:
419.....	2-19 العدل في يتامى النساء:
422.....	الفصل العشرون فقه الأسرة والمجتمع

422	1-20 ذكر الوالدين - الأبوين (الأب - الأم).....:
424	2-20 الأم - آدم الأنثى:.....
425	3-20 الاب - آدم الذكر:.....
426	4-20 ذكر الاولاد والأخوة الأصدقاء وغيرهم:.....
428	5-20 ذكر القربات والارحام وذكر الجار وغيره:.....
430	6-20 فقه التبني: التعريف والمشروعية:.....
433	7-20 ظهور التبني في القانون القديم:.....
433	8-20 ذكر الشعب والشعوب والأمة والأمم:.....

436 الفصل الحادي والعشرون فقه النذر

436	1-21 التعريف والمشروعية:.....
436	2-21 الأدلة على مشروعية النذر:.....

438 الفصل الثاني والعشرون فقه الجريمة والعقاب

438	1-22 إطلالة على بعض الجرائم والعقاب في توراة القرآن الكريم:.....
440	2-22 الجزاء - العقاب في القرآن (الحدود):.....
441	3-22 تعريف الحدود في فكر المذهب:.....
442	4-22 الحد والعقوبة بين الحقيقة والتحريف:.....
444	5-22 الحدود في القرآن الكريم:.....
445	6-22 قواعد العقوبات الجزائية في القرآن الكريم:.....
445	7-22 الردة عن الدين أو عن المعتقد الديني (حد الردة):.....
446	8-22 شرب الخمر في دين الإسلام (حد شرب الخمر):.....
446	9-22 قذف المحصنات من النساء:.....
447	10-22 الزنا سواء كان بفعل امرأة أو رجل:.....
447	11-22 الحرابة:.....
448	12-22 السرقة (حد):.....
451	13-22 القتل العمد:.....
452	14-22 القتل الخطأ:.....
453	15-22 قتل الأولاد (الأصل لفرعه) والعكس:.....
453	16-22 فاحشة النساء (السحاق):.....
453	17-22 المثليين جنسياً:.....
454	18-22 العقوبات بين حكم الله وحكم فقهاء المذاهب الإسلامية وتوراة اليهود:.....

456 الفصل الثالث والعشرون فقه الحياة في السماء

457	1-23 مخاطر العيش في الفضاء على جسم الإنسان:.....
458	2-23 آيات تتحدث عن عظمة خلق السماء وتمدده:.....
459	3-23 تسخير السماء وما فيها لمنفعة الإنسان:.....

460	23-4 آيات تتحدث عن وجود حياة في السماء:
462	23-5 آيات في وصف السماء الدنيا وما هو أبعد من ذلك:
463	23-6 الصلاة في السماء:
463	23-6-1 مواقيت الصلاة:
463	23-6-2 استقبال القبلة من السماء:
463	23-6-3 التيمم للصلاة:
464	23-8 الزكاة (الضرائب - والصدقات):
464	23-9 صيام شهر رمضان:
464	23-10 الحج والعمرة:
466	الفصل الرابع والعشرون دين الله - ودولة الإنسان
466	24-1 الدين ليس دولة ولا حكومة:
471	24-2 القرآن كلام الله وليس دستور:
474	24-3 الدولة الدينية:
480	24-4 دولة سبأ - والشورى:
488	24-5 أثينا وروما - والديمقراطية:
490	24-6 الملك طالوت في بني إسرائيل:
491	24-7 دولة الرسول وخلافته في الدين والدنيا:
498	24-8 دولة الخلافة العربية الإسلامية:
505	الفصل الخامس والعشرون الموت وآخر الزمان وأحوال القيامة
505	25-1 خرافة مخلص آخر الزمان:
505	25-2 خرافة إيليا مخلص لليهود:
506	25-3 خرافة يسوع مخلص المسيحيين والعالم:
506	25-4 خرافة (هيل زيو) مخلص الصابئة المندائية: ⁰
506	25-5 خرافة (مازدايانا) مخلص الزرادشتيين (المجوس): ⁰
507	25-6 خرافة المهدي المنتظر للشيععة والسنة:
507	25-7 حقيقة الموت:
508	25-8 عذاب القبر بين الحقيقة والخرافة:
509	25-9 يوم القيامة - من علاماتها بين الحقيقة والخيال:
510	25-10 مشاهد متفرقة من يوم القيامة:
511	25-11 علامات وأحوال الساعة:
513	25-12 من علامات الساعة ونهاية الكون والإنسان:
514	25-13 النفخ في الصور من أحوال يوم القيامة:
515	25-14 يأجوج ومأجوج من علامات القيامة:
515	25-15 يوم البعث:
516	25-16 يوم الحشر:

517	17-25 يوم الحساب:
519	18-25 يوم الرجوع:
522	الفصل السادس والعشرون حقيقة الجنة والنار:
523	الجنة بين الحلم والحقيقة:
526	مراتب الجنة وأنواعها:
526	الحياة في الجنة وأوصافها:
527	جنات عدن:
528	آدم أول من سكن الجنة بعصر الخلق والكمال:
529	الجنة دار الخلد والاستقرار للمؤمنين:
533	الزواج من حور العين في الجنة:
533	لغة أهل الجنة والنار:
535	النار والجحيم وجهنم السعير - وأوصافها:
537	النار ونار جهنم:
540	الجحيم:
541	الحريق وسقر:
541	مكان النار - جهنم - الجحيم:
542	قائمة بأهم المصادر والمراجع:

تصدير (الطبعة الأولى)

اختص الله جلّ وعلا القرآن الكريم بمجيئة مخاطباً للعقل والفكر بقوله: "أفلا تعقلون" ويخاطب الفكر بقوله: "أفلا تتفكرون" ويدعو للجدل المعرفي عن علم وهدى ويخاطب القلب والفؤاد والسمع والبصر، كل أولئك كان عنه مسؤولاً من أجل إدّكار الحق والصراط المستقيم ومن نافلة القول: إن الله سبحانه وتعالى أكد على فقه كلامه وإدّكاره بالعقل من خلال آيات متكررة للتحفيز جاءت في سورة القمر وسور أخرى، كدليل صريح على أن كلام الله الثابت المُنزل بلغات وأسماء متعددة قد جُمع في القرآن فكان حُجة على اللغة وليس العكس وليؤكد لنا أن اللغة العربية ماهي إلا وعاء حامل لكلام الله بمعانيه ومضامينه، لمخاطبة ماضي وحاضر ومستقبل العقل.

- قَالَ اللَّهُ (سبحانه وتعالى): ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (الآية: 17).
 - قَالَ اللَّهُ (سبحانه وتعالى): ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (الآية: 22).
 - قَالَ اللَّهُ (سبحانه وتعالى): ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (الآية: 32).
 - قَالَ اللَّهُ (سبحانه وتعالى): ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (الآية: 40).
 - قَالَ اللَّهُ (سبحانه وتعالى): ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ مريم (97).
 - قَالَ اللَّهُ (سبحانه وتعالى): ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ الدخان (58).
- وبهذا اجتهدت في قراءة آيات القرآن وفهمه (فقه)؛ فهو (المُبِين - والمُفَصِّل - والمحكم - والمُيسِّر - والكريم - والعظيم - والمجيد - والعربي - غير ذي عوج)، فضلاً عن القراءة المرتلة مع وعي في أن هذا العمل يحتاج لمزيد من الإثراء في الطبقات اللاحقة في المستقبل - إن شاء الله - وبالطريقة نفسها والمنهاج المتبع للوصول لكامل الحقيقة المنشودة واعتذر عن الأخطاء لغوية أو نسيان أو تكرار، فهذا جهدي الشخصي الذي حاولت إخراجه للناس... موزعاً في جزئين تسهيلاً للقارئ.

والذي أطمح إليه في أن يكون هذا العمل نذراً خالصاً لله سبحانه وأرخص بنشره واقتنائه وتداوله إلكترونياً لمن يرغب، باستثناء النسخة الورقية فلا أسمح بنسخها وتداولها إلا بعد أخذ إذن خطي مني حفاظاً على المحتوى واختتم بقول الله على لسان سيدنا شعيب (عليه السلام): "قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ" (هود: 88)

الجزء الثاني

فقه المعرفة بالدين^٤ المفقود

مدخل الجزء الثاني

عزيز القارئ الكريم...

بين يديك الجزء الثاني من كتاب الدِّين بين العَقْلِ والنَّفَل (الدين المفقود).

وهذا الجزء يأتي تنمة ورديفاً للجزء الأول الذي رُكِّز فيه على عرض صور التحريف للدِّين الحقّ عند مختلف الأقوام والشعوب والأمم القديمة (اليهود - والمجوس - والصابئة - والنصارى - والمسيحيين) وغيرهم وكذا عند المذاهب الإسلامية (الشيعة - السنة).

وقد كان الخوض فيها شاقاً ومضنياً وقد حاولنا جاهدين تقديم جزء يسير من شواهد التحريف الواقعة على تلك الأديان والطوائف والمذاهب مدعمين بما تيسر لنا من أدلة من أجل الوصول إلى الحقيقة.

لذا استوجب الأمر مجيء الجزء الثاني على قواعد فقه المعرفة، والتي تجلّى في دعائم منهجية تستطيع أنت محاكمة كلّ ما سيعرض هنا في هذا الجزء؛ لأنّ العمل هنا ليس قولاً نهائياً باتاً، فماذا أنا أعرض قراءة "الدِّين الحق الموجود بكلام الله سبحانه في آيات القرآن - والمفقود في واقعنا" كلام الله الأزلي الثابت بصيغة لمستقبل على اعتبار أنه من الماضي بحسب مشيئته المنفردة ابتداءً وانتهاءً فكان كلامه بصحف إبراهيم وبما كُتِب على الألواح لموسى وهارون (التوراة)، (الفرقان) وكلامه الموحى لداؤود (الزبور) وكلامه الموحى لعيسى (الإنجيل) وكلامه المنفرد الموحى به لبقيّة الأنبياء والرُّسل وكلامه لغير بني الإنسان مما خلق الله في الأرض والسموات والملائكة وكل هذا الكلام وإن كان قد أوجي به بعدد من اللغات، فإن مشيئته اقتضت جمع هذا الكلام في كتاب واحد سمّاه الله القرآن وجعل هذا الكتاب بلسان عربي اللغة ووصفه بالمبين والمفصّل والمُحكّم والعظيم والحكيم والمجيد والكريم وفيه شفاء ورحمة وقرآناً عجباً وعربياً غير ذي عوج والميسّر للذكر والإيثار، وها أنا ذا أقدمه لكم بقراءة سهلة ميسرة مدكرةً بالعقل فيفقه الفكر ويخطه القلم من غير تفسير ولا تأويل ولا ناسخ ولا منسوخ ولا قياس ولا فقه جماعة السنة ولا فقه جماعة الشيعة، أنه القرآن الذي ينطق بالحق - كلام الله سبحانه الذي حوى كل الكتب، فجاء بلسان عربي مُبين.

واليك هذه الدعائم المنهجية:

1. القرآن الكريم بآياته وهو كلام الله عزّ وجل المحفوظ من التحريف والزيادة والنقصان ولا يعلو عليه علوم الإنسان التجويدية والنحوية والبلاغية أو ما يسمى الإعجازية المقارنة له بعلم الإنسان وكلامهم، كما أنه وهو في الأصل خطاب الحق سبحانه وتعالى لكل الناس باختلاف ألسنتهم ولغاتهم، الواضح البين المباشر للتطبيق في شتى مجالات الحياة هداية للتي هي أقوم وبشارة بالسعادة في الدنيا والآخرة. لذا كان الاعتماد الرئيس والأساس في عرض معالم الدِّين الحق على كلام الله القرآن الكريم بآياته الواضحة دون الحاجة إلى البحث عن بيان له من كلام الناس واجتهاداتهم، بل الأصل إخضاع كلّ قول للقرآن الكريم للموافقة عليه أو رده.

2. كلُّ ما ورد في الجزء الأول لا يعني بالضرورة أننا نتهج منهج الرفض لكل الآثار الدينية لليهود والمسيحيين والزرادشت والصابئة وغيرهم وأيضاً فقه المذاهب الإسلامي وكتب السيرة والحديث على إطلاق، بل إنّ ما عرضناه هو معالم التحريف فيها من الإنسان تبعاً لأهوائهم وغاياتهم المنهجية وخاصة من اليهود الذين تغلغلوا في شتى عقائد الشعوب والأمم.

وهكذا نرى أن القراءة المتأنية المتجردة من التعصب هي الصواب وإخضاع كل ما يثار لكلام الله - القرآن الكريم كتاب الله لسائر الناس الأولين والآخرين، وللعقل والقلب السليم بما يفضي لصالح شؤوننا وصيرورية حياتنا لأجل عمارة الأرض بالفضيلة ومحاربة الرذيلة والفساد.

الفصل الأول

الكنونة بين الأمر والجدلية (الخالق والمخلوق)

مدخل:

يحتوي هذا الفصل من الآيات التي تتحدث عن حقيقة الوجود، وحقيقة العدم، وقد حاولت تقديم بعض من الآيات التي حاولت جاهداً استذكارها، فكانت باعتقادي قواعد للتعريف بمجمل تلك العناوين التي جاء بها هذا الفصل على الترتيب دون الخوض في التفاصيل التي تحتاج إلى مجلدات، ابتداءً من التعريف بحقيقة الله سبحانه، وحقيقة خلق الروح، والنفس، وحقيقة خلق المادة، ثم حقيقة خلق الإنسان والناس جميعاً، وحقيقة خلق إبليس، وانعكاس جملة هذه الحقائق على معرفة الإنسان بها والجدل الدائر عليها منذ زمن بعيد، فكان عناوين هذا الفصل مفتاح رئيسي لحالة الإيمان المتصل بمعرفة الخالق معرفة تقوم على محاكاة العقل والقلب والحواس من أجل الوصول للعلم بالله سبحانه، ومعرفة المخلوق والحكمة من الخلق على أرضية من العلم والمعرفة.

1-1 جدلية المعرفة في (الله) الخالق سبحانه وتعالى:

يثير التعريف بذات الله سبحانه وتعالى جدلاً والجدل يثير الحفيظة والاختلاف الكثير بين القائمين على الفكر الديني، وبالأخص فكر المذاهب والطوائف الدينية، إذ يعرف الجدل بالمجادلة بالحجة (الدليل) بين أطراف الحوار أو أطراف القضية؛ بهدف إظهار الحقيقة عن طريق الدليل من العلم، والمعرفة العقلية، أو عن طريق العلم والبحوث العلمية بمختلف طرق ومناهج البحث العلمي، أو نحو ذلك، وبما يتوافق مع كلام الله - القرآن المحكم المبين - والحقيقة فإنه لا يوجد تعارض بين كلام الله سبحانه والعلم وإعمال العقل والتفكير في جدلية المعرفة بالخالق سبحانه وتعالى من وجهة نظري.

وفي معرفة الحكم على الجدل بفكر المذاهب الإسلامي أو موقف فكر المذاهب من الجدل فقد قيل فيه الكثير من حيث الحلال والحرام، كما ساد في أقوال أرباب المذاهب الكثير من اللغط والتحريف في دلالة معنى الجدل، لذا فالجدل بنا تعريف الجدل لإظهار المزيد من الفهم في بيان مشروعيته الواردة في عدد من آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن الجدل والمجادلة في الله سبحانه.

فقد بين الله سبحانه الدعوى للجدل عبر اتباع قواعده، فكانت أهم وأول قاعدة هي قاعدة العلم وهي قاعدة عريضة وواسعة، ثم قاعدة المعرفة (الفلسفة) وتمثل خلاصة الإدراك العقلي بالعلم، ثم قاعدة الكتاب المنير المتصل بهما بما يحوي من البحوث العلمية وبحسب الإدراك العقلي والفكري ومناهج البحث العلمي، بعيداً عن الزيف وحشر الألفاظ والعبارات وتوظيفها خلافاً لمقاصدها وبذلك الأدوات من المعرفة الحقّة بالله - سبحانه وتعالى - تستقيم منهجية الجدل المعرفي "الفلسفي" بذات الله سبحانه - ذلك ما أكدت عليه آيات الذكر الحكيم، وحبّب إليه الله - سبحانه - لمن كان لديه عقل وقلب سليم، فكان - الفقه الأقرب للجدل هو العلم

والمعرفة الخالصة بحقيقة الخالق، وبحسب آية يَدَّكِرُ بما يسر الله - سبحانه - من فهم لكلامه المبين في القرآن المبين والمفصل، وبما يطلقه العقل من حكمة متصلة بالعلم والمعرفة والبحوث العلمية.

ومن التأمل في الحياة الإنسانية فإنَّ المعرفة بالخالق أمرٌ خاض فيه الإنسان كثيراً قديماً وحديثاً.

ومن المسلم به فطرة وعقلاً أن التعريف بالله - سبحانه - بغير ما عرّف به نفسه جدلٌ عقيمٌ لا يوصل الباحث ألا إلى مزيد من الشك والاضطراب النفسي، ويقوده إلى الشتات الفكري والإلحاد، كما يلاحظ أنَّ التعريف بالله - سبحانه - بكلماتٍ ومصطلحاتٍ وأسماءٍ وصفاتٍ لا تليق به، كما ورد في كتب الفكر الفلسفي الإنساني، وكذلك كتب العقائد القديمة اليهودية والصابئة والمسيحية والنصارى وكتب فكر المذاهب السني / الشيعي الإسلامي وغيرها، وخاصة أن تلك التعريفات تحمل مفردات لغوية أقل ما توصف بأنها هابطة وأمرٌ غير لائق للتعريف بالله - سبحانه - خاصةً وقد عرّف الله سبحانه نفسه بنفسه، وهو أحقُّ بهذا الأمر عن غيره من مخلوقاته، فيذكر ويفقه من كلامه الموحى للأنبياء والرُّسل، ابتداءً بآدم وزجه، ثم نوح وإدريس وهود وصالح، وإبراهيم، وعبر الكتب المنزلة، منها التوراة التي أنزلت على موسى، والإنجيل الذي جاء به عيسى، وغيره من الوحي، فجمع هذا الكلام بكتاب واحد هو القرآن الكريم، فذكر اسم الله سبحانه به صراحة لما يقارب من (2555) مرة في مواضع مختلفة من آيات القرآن الكريم، كما جاء ذكره بالصفات والكنيات، والأعمال بصورة صريحة، وأخرى ضمنية، وبشكل مباشر، وغير مباشر، قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، (الأعراف: 180)، ومدلول هذه الآية تتحدث عن الذين يطلقون على الله أسماء لا تتناسب مع عظمتهم وقدرته وإحسانه، كمثّل (ياهو)، أو (السيد)، أو (الصانع)، أو (الشيء)، أو (العقل المطلق)، أو (المادي المطلق)، أو (الحسي المطلق)، أو (إله العالم العلوي) أو غير ذلك، فالله - سبحانه - لا يتمثل بشيء، ولا يُعرّف بغير ما عرّف به نفسه، ليس كمثله شيء، قَالَ سبحانه وتعالى: ﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، (الشورى: 11)، ذلكم الله ربكم، فجاء بقوله جلا وعلا: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾، (الأنعام: 102).

2-1 أسس المعرفة بالخالق سبحانه وتعالى:

ومن هنا فلا يجوز لمخلوق عاقل أن يسمح لنفسه أن يُطلق على الله - سبحانه - أنه شيء، أو يُخضعه لقوانين الفيزياء، من حيث الحركة في المكان والزمان، أو من حيث الإحساس والشعور، فالله - سبحانه وتعالى - فوق كل هذه الأوصاف وغيرها، وليس لنا حقُّ التعريف به بغير ما سمّي به نفسه، أو كما وُصف به نفسه، إما بأسماء أو أوصاف أو بأمثال أو أعمال أو صفاتٍ وردت في كلام الله بالقرآن الكريم، على اعتبار أن المعرفة بالخالق جاءت حسبما عرف به نفسه من كلام الله سبحانه بآية مكتوبة ثابتة منذ الأزل، أضف لكون

المعرفة بذاتِ الله تأتي أيضاً بحسب تجربة إنسانية من الفكر والتفكير وأعمال العقل والتعقل، وهو شعور وانفعال وسؤال وتساؤل، وشك موصل لليقين، غير محدد بالزمان والمكان، هدفه الوصول إلى المعرفة بحقيقة الخالق لكل شيء، وهو قمة الإيمان والتسليم، وهذا ما نوضحه من اختيارنا لبعض الآيات في القرآن.

وبتقديري فإن معرفتنا بمدلول ومعاني هذه الآيات تجعل أرضيتنا الفكرية قابلة للجدل العلمي والمعرفي الفلسفي في معرفة الله - سبحانه وتعالى - بعلم من غير جحود، وفكر من غير سفسطة، وعقل من غير شطط، فتلك طريق المعرفة الحق باله - سبحانه وتعالى، على خطى منهجية جدل المعرفة الفلسفية لسيدنا إبراهيم - عليه السلام - فالمعلوم أننا كمخلوقات بشرية عاقلة عجزنا عن الإحاطة بخلق أنفسنا، كما عجزنا بمعرفة من حولنا من المخلوقات في الأرض والسماء، وما تحوي من كواكب ومجرات ونجوم، وفضاء هائل متناهي في الكبر كما عجزنا في معرفة أسرار النفس الإنسانية، فكيف بنا الإحاطة والمعرفة بخالق كل الخلائق؟

وذلك سؤال سيظل الإنسان يتحفر للجواب عليه طيلة حياته على الأرض، إذ إن المعرفة بالخالق تأتي بتقديري أولاً من خلال العلم والمعرفة بمخلوقات الله، أو من خلال معرفة القوة، والقدرة الخفية والظاهرة في تفسير جميع الخلائق (المادة)، فما بالك بالخالق العظيم الذي أحاطنا بقليل من العلم والمعرفة! فضرب لنا عدداً من الأمثلة للتعريف بذاته سبحانه، حسبما يفقه من كلامه سبحانه إذ يدل على بعض أعماله، وأسمائه وصفاته في بعض هذه الآيات، فالله سبحانه نفس ونفسه مقرونة بالرحمة قال جل في علاه: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ...﴾، (الأنعام: 12). وقال سبحانه وتعالى: ﴿.. كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ...﴾، (الأنعام: 54) وقال الله تعالى في خطابه لموسى عليه السلام: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾، (طه: 41).

ومن المعلوم أننا كبشر - الإنسان جاء خلقنا من نفس بحسب ما ذكر بآيات القرآن ومنذ خلقنا الأول ونحن نسعى للتعريف بأنفسنا فلم نصل للمعرفة بالنفس الإنسانية حتى يومنا هذا برغم البحوث العلمية الهائلة في هذه الجزئية، فما بالك بمعرفة نفس الله سبحانه وتعالى الذي جعل الروح من أمر وظيفته الخاصة للكثير من فضائل رحمته قال سبحانه وتعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾، (الإسراء: 85)، وبذلك استحق الله سبحانه أن يصف نفسه بهذه الصفات الواردة بالآية قال سبحانه وتعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾، (غافر: 15)، وفي آية أخرى عرف الله سبحانه وتعالى أنه نور وضرب مثلاً للتعريف به من خلال هذه الآية في قوله جلّت قدرته: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، (النور: 35).

من مدلول الآيات أعلاه نستلهم ما اكتشفه الإنسان اليوم وما وصل إليه حين قام برصد السماء والكون⁽¹⁾، وما فيه من كواكب وأقمار ونجوم، ومذنبات هائلة، ومجرات ضخمة، فكانت كل تلك الأشياء وغيرها في الكون، تسبح في ظلامٍ دامس، إذ لم يصل إنسان اليوم بقدراته العلمية المتطورة لطرف من حافة الكون المضيء بنور الله سبحانه، الذي ضرب الله سبحانه مثلاً للتعريف بنفسه من كونه نور من غير نار، وهذا يقود عقولنا نحو بحور من الخيال لعظمة السماء كمخلوق إذ إننا عجزنا عن رصده بما امتلكناه من تلسكوبات عملاقة ومحطات رصد ضخمة، وأمام هذا المشهد العظيم الذي يجعل من عقولنا في قمة الدهول لحجم هذا الكون الشاسع المتجدد الواقع في مساحة من الظلام، ومن كون وصف الله بالنور فنور الله الواسع فوق ذلك الظلام الدامس الذي يحيط بالسماء فيتغشاها، كما يقودنا للتخيل أننا نعيش في أشبه بحبة رمل ملونة في جزءٍ مظلمٍ من حافة الكون المتصحرة، ولا يعلم مكانها وزمانها إلا الله سبحانه، ولذلك نقف في دهول أمام عظمة الخالق.

لقد جاء التعريف في كيفية مخاطبة الله سبحانه من خلال عدد من المفردات والألفاظ اللغوية للدلالة على عظمته وقدرته، فكان ذكر اسم (الله)، وتكراره في آيات القرآن الكريم لأكثر من ألفين وخمسمائة مرة لدليل على عظمة هذا الاسم المتصل بذاته سبحانه ولا تلتقي الشفتان بنطقه، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، (النمل: 9)، وَقَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾، (طه: 14)، وَقَالَ سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾، (النمل: 26)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ...﴾، (البقرة: 255)، وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿... سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾، (الزمر: 4)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (الحشر: 22)، وقال في سورة الحشر من الآية (23-24) في صميم التعريف بالله سبحانه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، (الحشر: 23، 24)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، (آل عمران: 2)، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾، (النحل: 51)، وقال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: 1، 2، 3، 4)، وآيات أخرى عن وصف الله سبحانه قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (النمل: 26)، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ طه (5)، وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ المؤمنون (86)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ (البروج: 14، 15). وغيرها الكثير من

(1) الحدث العالمي المعلن من وكالة ناسا الأمريكية بشهر يوليو الماضي النقطة عبر تلسكوب جيمس ويب أول صورة بالألوان بالأشعة تحت الحمراء لعنقود من المجرات والنجوم

الآيات حول التعريف بذات الله سبحانه، والتي نعتبرها مفتاحاً لبوابة كبيرة للمعرفة بحقيقة الإدراك العقلي بالمقدمات والمسلمات وبما يوصل الباحث للمعرفة الحقة بحقيق الخالق.

وقد خاض الإنسان غمار هذه التجربة قديماً وحديثاً، فكلما كان التلقي للمعرفة بالله سبحانه بالعقل والفكر زاد المتلقي رسوخاً وإيماناً لا يتزعزع، وبخلاف ذلك يكون العكس، واليوم يسعى الإنسان لتطوير مناهج البحث نحو المعرفة الجدلية بحقيقة الخالق عبر بحوث لم يسبق لها من قبل، تلك هي أغوار الحقيقة التي تسعى إليها النفس الإنسانية في اكتشاف ذاتها أولاً ثم اكتشاف خالقها في سباق محموم مع الزمن وبمختلف مراكز البحوث العلمية في العالم.

1-3 العلم والمعرفة بـ (الله) سبحانه:

والحقيقة أيضاً أن كلام الله - سبحانه - يدعو العقل نحو المعرفة الجدلية بفكر حر من التفكير والتعقل، وأعمال البصر والبصيرة، وإعمال كل حواس الإنسان على أرضية من منهج الدعوة للعلم بأدواته من التجارب العلمية وما سخر من المخلوقات للوصول إلى الحق، وهو غاية ما يصل إليه الباحث حول البحث العلمي، وهذا هو المنهاج الذي يسير عليه الإنسان في مختلف حقول العلم والمعرفة في حكومات العالم اليوم، والتي انتهجت طرق البحث العلمي بمختلف العلوم (علم الفيزياء والفيزياء الكونية - وعلوم الفضاء - وعلوم الذرة - وعلوم الطيران - وعلوم الكيمياء - والبيولوجيا - وعلوم تقنية الاتصالات) وغيرها، فكانت هذه العلوم هي الطريق الموصلة للمعرفة الجدلية بحقيقة الخالق، ولنا أن نستشهد بما ورد من ذكر مؤيد لهذه العلوم الموصلة لحقيقة التفكير ما أكد عليه مجمل الذكر الحكيم حسبما جاء بكلام الله سبحانه قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾، (لقمان: 20)، وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعْ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾، (الحج: 3)، وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾، (الحج: 8)، وَقَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى: ﴿... وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾، (الرعد: 13)، وبالنظر في هذه الآيات التي تنهى ضمناً عن الجدل في ذات الله بغير علم، والنهي المقصود هنا ليس للتحريم، بل للتنظيم والتأديب في الجدل نحو التعريف بالله سبحانه وتعالى، وهذا الموضوع طويل جداً، فقد أوجب عليّ التطرق إليه من خلال هذه اللمحة التعريفية ليس إلا.

1-4 الجدل في آيات الله سبحانه وتعالى:

لا يقصد بالنهي عن الجدل في آيات الله التحريم أيضاً، بل قُصد منه تنظيم الجدل بإشارة ضمنية لاقتفاء أثر العلم أولاً، وضرورة امتلاك مقومات الجدل بسلطان من الحكمة والمعرفة بالشيء محل الجدل، وكما يشير إليه القرآن الكريم، وهو ما يعرف اليوم بمناهج البحث العلمي وتعدد طرقه ومناهجه، بخلاف الذين يجادلون في آيات الله بغير علم، وهو ما أشارت إليه الآيات، أضف إلى افتقارهم لقواعد تنظيم الجدل للعلم بآيات الله المحكمة في الكون والأرض

وفي جميع المخلوقات، بما فيها الإنسان، ومجمل هذه الآيات المتعلقة بكيفية الخلق والنشأة والفطرة التي صبغت بها كل المخلوقات، فأصبحت بنشأتها وفطرتها آياتٌ مُحْكَمَاتٌ تترجمها بحوث العلماء.

ورغم الوضوح التام لهذه الآيات، إلا أنك تجد من يجادل فيها بغير هدى من العلم ولا سلطان من قواعد البحث، وتجدهم متقلبين في جدالهم، وفي صدورهم كبر وجحود تجاه آيات الله - سبحانه، وهو ما تبيّنه الآيات الآتية: قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كِبَرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُنْكَبِرٍ جَبَّارٍ﴾، (غافر: 35)، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، (غافر: 56)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ﴾، (غافر: 69)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾، (الشورى: 35)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾، (غافر: 4).

ومن هنا فعلينا امتلاك أدوات الجدل المعرفي بالمخلوقات من خلال العلوم الحديثة والتعلم والعمل بحسب منهجية علمية وبحثية متصلة بقوانين المعرفة وغير ذلك ما لم سيصبح الأمر جدلاً عقيماً لا طائل منه.

5-1 صيغ الجدل والمجادلة ومواقفه في الحياة:

تندرج ضمن هذا العنوان آياتٌ كثيرةٌ تتحدث عن الجدل، ولكل آية مدلولها الخاص بها، وبشأن التعريف بالجدل ومن زاوية معينة، فتزيد التعريف بالجدل وضوحاً، أمّا من حيث النهي عن الجدل والمخاصمة، فقد ذُكر أيضاً ببعض الآيات من القرآن، ولنترك القارئ يذكر ذلك من قراءة هذه الآيات التي توضح الصورة بشكل أوسع.

- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾، (الكهف: 54).
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَقَالُوا أَلَّهِتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾، (الزخرف: 58).
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾، (هود: 32).
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾، (غافر: 5).
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَافُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾، (الأنفال: 6).
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾، (النساء: 109).

- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، (الحج: 68).
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿... وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾، (الكهف: 56).
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا أَثِيمًا﴾، (النساء: 107).
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿.... أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾، (الأعراف: 71).
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا...﴾، (النحل: 111).

1-6 جدلية المعرفة بالشيء وأمر الكينونة (فلسفة المادة):

قبل التعريف بأمر الكينونة للشيء، ينبغي معرفة من هو صاحب هذا الأمر؟!

وللإجابة على هذا السؤال: أنه الله سبحانه وتعالى، فإنه ينبغي لنا الإيمان والتسليم المطلق، بأن الله سبحانه هو خالق الشيء، إذن فخالق الشيء هو المتفرد بأمر الكينونة، فكان وما يزال له الإرادة الحرة والمنفردة بذاته سبحانه وهو المتصف بالكمال والبقاء والخلود والمجد والعلو والسمو والرفعة، وقد حدّد فعله بخلق الشيء بأمرٍ صادرٍ عن نفسه ولا نستطيع نحن بني الإنسان معرفة خلق أنفسنا فكيف نستطيع معرفة خالق النفس، لذلك كان لزاماً علينا أن نتوقّف عند حدود العلم والمعرفة بحقيقة انفراد الله سبحانه بخلق الشيء، المنبثق عن فعله هو، فهو محرك المادة وخالق العدم (الموت والحياة)، وعلى الإنسان أن يغوص في أعماق البحث، والمعرفة، والجدل بماهية الشيء المخلوق والمعرفة بالشيء (المادة) وفلسفة المادة.

إذ إن الله سبحانه لم يمنع الإنسان من خوض غمار الجدل المعرفي بمعرفة فعل أمر الكينونة والصورورة الصادر عن ذات الله سبحانه وعلى ضوء قواعد من (العلم) و(الهداية) و(الكتاب المنير)، وهي أدوات المعرفة (الفلسفة الجدلية) التي ذكرها الله سبحانه في بعض آيات القرآن المبين وجعلها أعلى مراتب الإيمان واليقين لإشباع نهم المعرفة بذات الله سبحانه ونفسه، كما أن المعرفة بأمر خلق الشيء كان وما يزال بتقدير محلاً للجدل والبحث المعرفي ليس ذلك فحسب، بل وصولاً للمعرفة الحقة بذات الله سبحانه كما أسلفنا، ولا مانع للإنسان من أن يخوض غمار البحث العلمي لاستكشاف أغوار خلق الشيء، والجدل فيه، بالإضافة للمعرفة الحقة بذات الله سبحانه، فما بالك بآياته ومخلوقاته في الوجود، بفقه الذكر الحكيم، أضف إلى بعض التعريفات الموجزة لبعض المفاهيم، في سرد بعض الآيات التي تتحدث عن الشيء، وجدلية المعرفة بالشيء، حسبما يعرف بفلسفة الشيء أو الجدل (الديالكتيك) المصطلح الفلسفي الحديث الذي يناظر لفظ الجدل والمجادلة في كلام الله في القرآن، ومنها تعالوا لنتعرف عن قرب أكثر، ونذكر بفقه (بفهم) معنى ومدلولات هذه الآيات التي تتحدث عن أمر خلق الشيء، أو أمر كينونة الشيء، وارتباط هذا الأمر بتقديم الإجابات الكثيرة للفلسفة الجدلية الديالكتيك من قبل سيدنا إبراهيم - عليه السلام - المؤسس الأول للفلسفة الجدلية، ثم جاءت فلسفة أثينا وروما لتحكي مناهج المعرفة بالعلوم، فكانت وما زالت إطلالة نور على كمال

المعرفة الإنسانية منذ ذلك التاريخ وحتى عصرنا الحالي سواء اتفقنا معها أو اختلفنا، وبها فتح للإنسان مناهج بحث وطرق علمية بمختلف تخصصات العلوم الحديثة، الموصلة للمعرفة الحقيقية بالشيء كما بيّن الحق سبحانه في كثير من الآيات، التي ذكرت مبدأ أمر كينونة خلق الشيء كأمر مباشر، بحسب آيات من الذكر الحكيم نذكر منها التالي:

- وَقَالَ اللَّهُ - سبحانه: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، (يس: 82).
- وَقَالَ اللَّهُ - سبحانه: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، (النحل: 40).
- وَقَالَ اللَّهُ - سبحانه: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، (البقرة: 117).
- وَقَالَ اللَّهُ - سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾، (الأنعام: 73).
- وَقَالَ اللَّهُ - سبحانه: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، (مريم: 35).
- وَقَالَ اللَّهُ - سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، (غافر: 68).
- وَقَالَ اللَّهُ - سبحانه: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، (آل عمران: 47).
- وَقَالَ اللَّهُ - سبحانه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، (آل عمران: 59).

ذلك هو قول الله سبحانه الفاصل في أمر كينونة الشيء بمعنى خلق الشيء، والمعرفة به، وقد ذكر القرآن عدداً من الأحداث والمناسبات في صدر هذه الآيات التي تتحدث عن ارتباطها بفعل أمر الكينونة للشيء الصادر عن خالق الشيء، فكل شيء مخلوق بأمر وقدر، وليس كمثله شيء سبحانه، قَالَ اللَّهُ سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾، (القمر: 49، 50).

إذن فنحن مدعوون لإعمال العلم والفكر والعقل والمعرفة الجدلية بهذه الآيات بشكلٍ أو بآخر، من أجل الوصول لحقيقة خلق الأشياء من حولنا، ومعرفة ما هيته وأسرارها، ومعرفة موقعنا منها وإدراك حقيقة إيماننا بخالقها، وهو ما بدأ به سيدنا إبراهيم في حياته، وهو ما يزال شاباً يافعاً من أجل الوصول للمعرفة الإيمانية الحقّة وعلى مخاطبته لله سبحانه عن جدلية خلق وأحياء المادة قَالَ اللَّهُ سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ...﴾، (البقرة: 260)، وهو ما سنوضحه لاحقاً، تلك هي مفاتيح المعرفة الفلسفية بالشيء والأشياء من حولنا وفي أنفسنا وفي الكون، الموصل للإيمان بالمعرفة واليقين، وهو ما سار عليه ثلة من

الرسول والأنبياء الأولين منهم على سبيل المثال: إبراهيم وموسى وسليمان وعيسى عليهم السلام وغيرهم، الذين كانوا لهم نصيب من الفكر والتفكير في جدلية خلق الشيء، فجاءت بعض آيات القرآن لتحكي وقائع عرفت بالآيات المادية (المعجزات)، على أيدي وألسن، أولئك الأنبياء والرسول، وهي في الحقيقة، محطات ينبغي الوقوف على حقيقة العلم بها، من زاوية المعرفة الجدلية بماهياتها، ومنها على سبيل المثال، رؤية إبراهيم لملكوت السموات والأرض من شمس وقمر وكواكب وغيرها قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾، (الأنعام: 75)، وطلب موسى رؤية الله سبحانه، قَالَ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ...﴾، (الأعراف: 143)، وآيات العبد الذي أوتي نصيباً من العلم والرحمة بعهد سيدنا موسى عليه السلام، وآية نقل المادة بسرعة الضوء أو أسرع من ذلك في عهد النبي والملك سليمان قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ...﴾، (النمل: 40) وآيات متعددة في خلق الشيء بفعل المشية والسببية، بأذن الله سبحانه لعيسى عليه السلام، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَانْفُخْ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، (آل عمران: 49).

ومن هنا فالتعريف بالشيء يكون لجميع الموجودات والمكونات، ولأي موجود ثابت أو متغير متحقق الوجود سواءً أكان شيئاً مادياً حسيّاً أو معنوياً، له كيان محدد يعرف به بحسب قانون الفيزياء وغيره، وغالباً ما يطلق عليه بالشيء، وفي مسألة معرفة الشيء واللاشيء، والعدم، واستحالة وجود الشيء من اللاشيء وهو أمر خاض فيه الفلاسفة قديماً وحديثاً (اليونانيين، والهنود، والفلسفة العربية الإسلامية، وكذلك فلاسفة عصر النهضة الأوروبية) (1)، وبالتالي فإنَّ مصدر الشيء بتقديره يكون ممن خلق الشيء، وكل الأشياء لها خالق واحد، وهو الله - سبحانه وتعالى - فالله هو خالق الشيء بفعل الكينونة وأمره المطلق، وبفعل المشية والقدرة، وبفعل السببية، تلك هي مبادئ خلق الشيء، سواءً أطلق عليه مادة، أو نفساً، أو روح أو كائناً حياً، أو صورة، أو على شكل هيولى حسب وصفهم، أو حياة، أو موتاً، أو عدماً، أو غيره، بحسب ما يعرفه فكر وعقل الإنسان من مصطلحات، فالخالق هو الله المتصف بالفعل والانفعال والحركة والمنفرد بذاته، وهو بذلك فوق تصور عقولنا وما عقولنا وافكارنا، والنفس والروح والمادة اشياء من خلقه، فطالما أنَّ المادة، وحركة المادة من مخلوقات الله سبحانه، فقضية فناء المادة أو محركها أمر متعلق بحال وأمر الخالق، إذن فالشيء وماهية الشيء، أو ما يطلق عليه بأقوال الفلاسفة والمفكرين بجدلية الشيء، أو الجدل (الديالكتيك) للشيء، وما سبق الخوض فيه من قبل المتأخرين والمعاصرين، وكذلك في المستقبل، فأنا سنصل معهم إلى أنَّ الشيء معلوم بذاته، ومحدود وحادث، وممكن الوجود، وعلى ذلك لا يمكن تطبيق قوانين وقواعد الشيء المادي المخلوق على خالق الشيء، وهو الله - سبحانه وتعالى - بحسب ما جاء

(1) . بالقول: إنَّ الوجود المادي هو بمثابة مادة الهيولى والصورة، وبذلك فإنَّ عملية الهلاك والفناء لا تكون إلا على الصورة فقط، ولا تتناول أصل المادة، فالمادة لا تفتى، فهي أزلية من حيث الوجود، وسرمدية من حيث الاستمرار حسب زعمهم

به كلام الله سبحانه ومن تعقلنا وإدّكارنا للآيات من كلام الله سبحانه على قاعدة التيسير والإدّكار، وما علينا إلا التسليم مع البحث العلمي القائم على قواعد العلم والمعرفة ؛ لفهم مدلول آيات القرآن الكريم التي تعرفنا بالشيء، وتبينه بمفردات لغوية سهلة الفهم والإدّكار وبأن الله سبحانه هو خالق الشيء، وليس كمثل الله تعالى شيء، ولا يجوز مماثلة المخلوق بالخالق.

غير أن حركة الشيء وانفعاله كانا محل جدل فكري في زيادة المعرفة بماهيته الشيء، فقد قدّم العلماء والباحثين الكثير من البحوث والتجارب العلمية وما يزالون يحاولون ويبحثون حول معرفة المادة، وما وراء المادة، ومحرك المادة، فوقفوا بتلك التجارب والبحوث أمام حافة اللامعرفة، وأطلق عليه مصطلح ما بعد الهولوى، وهي نقطة لم يستطع أحد تجاوزها حتى اللحظة ولن يستطيعوا، وما يثير الدهشة أن كلام الله - سبحانه - سبق علمه بحصول هذه التساؤلات، فقدّم إجاباتٍ مبسطةٍ من غير تعقيد أو تكلف، إلا أن الكثير من الناس يمرون على هذه الآيات دون إدّكار لفقه (فهم) مدلولها، فتعالوا معي إلى تلك الآيات لنستلهم مدلول تلك الآيات الواضحة للتعريف بالشيء وخالق الشيء (العدم)، وهو ما يقطع الشك باليقين، أنسخ إليكم بعضاً منها:

- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ...﴾، (الملك: 2).
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾، (القيامة: 40).
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكْ شَيْئًا﴾ (مريم: 67).
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾، (الإنسان: 1).
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، (الروم: 50).
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾، (يس: 12)،
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، (فصلت: 39).
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، (الأحقاف: 33).

وهذه الآيات وغيرها ذات دلالاتٍ على أن الله - سبحانه وتعالى - خالق الشيء ومادة الشيء، وقد سبق التعريف به من قبل، وكثيرا هي آيات القرآن التي تتحدث عن خلق المادة وجدلية خلق المادة، وعن وحدة الكون والتكوين وما في السماء من النجوم والكواكب والمجرات والمذنبات والأقمار والأرض، إذ تدل تلك الآيات على جدلية خلق المادة كوحدة واحدة ابتداء وانتهاء بعناصرها ومكوناتها المتناهية في التكوين بحسب ما جاء ببعض هذه

الآيات ذات الدلالات الواضحة عن خلق المادة من نواح عدة، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا...﴾، (الأنبياء: 30) وآية آخر عن تكوين المادة من دخان كوني عظيم قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾، (فصلت: 11). وهكذا كانت سنة الله سبحانه في تكوين الخلق الأول لمادة السماء والأرض وفقاً للآية قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾، (فصلت: 11)، ثم تكلم عن وحدة إحياء المادة من الماء في الأرض فكان الماء باعث الحياة لجميع الكائنات الحية ابتداءً من الخلية والطحالب والنبات والزواحف والحيوان والحشرات وكذلك الإنسان فجميعهم خلقوا على قاعدة واحدة والآية هذه تتحدث في مدلولها عن جدلية خلقهم قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، (النور: 45)، وآية أخرى تتحدث عن جدلية الخلق للمادة والماء بتناغم بديع قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾، (فاطر: 27).

مع الاعتماد على عدد من آيات الذكر الحكيم التي تتحدث عن مكونات المادة وعناصرها وأصغر جزء فيها وبيان ذلك بعدد من الأوجه، والتي منها الإشارة للذرة وإلى ما دون ذلك من عناصر تشكل المادة، سواء كان أصغر من الذرة أو أكبر منها، بحسب ما اكتشف حديثاً حول تكوين المادة من نواة وعناصر وجزئياتها وذرات المادة وهي (الإلكترونات) و(النيوترونات) و(البروتونات) وغير ذلك، وما سيفاجئنا العلم في المستقبل حسب مدلول هذا الآية الدقيقة في الوصف والمعنى قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿... وَمَا يَعْرُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾، (يونس: 61)، وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يضاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، (النساء: 40)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (7) ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾، (الزلزلة: 8) فإله سبحانه حق خلق المادة والتصرف بها كيف شاء وكيفما شاء قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾، (طه: 6) ومهما كان علمنا بحدود التعريف بالمادة وفقاً للقول السائد بأن المادة لا تفنى من العدم ولا تستحدث، فإن هناك ظواهر كونية تثبت عكس ذلك بقاء المادة زوالها، إذ تؤكد شواهد العلم في الكون أن هناك مجرات أو مذنبات وكواكب ونجوم تبتلع بعضها البعض بأحجام هائلة عبر ما يطلق عليه الثقوب السوداء، وقد اكتشفت عبر المراصد والتلسكوبات العملاقة ومحطات الفضاء الدولي، بحسب ما يعرف بنظرية كنس الكون من المجرات والمذنبات والنجوم، فكانت محل قسما من الذات الإلهي لعظمتها وفنائها في نفس الوقت، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا أُفْسِمُ بِالْخُنُوسِ، الْجَوَارِ الْكُنُوسِ﴾، (التكوير: 15، 16).

ثم ننتقل للأرض ونورد هنا آية عن كيفية خلق المادة وبت الحياة فيها، بحسب منهجية الشك التي أثارها سيدنا إبراهيم حول جدليته في إحياء المادة بملخص آية واحدة فقط قَالَ

سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا وَاعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، (البقرة: 260)، وكذلك بضرب مثلٍ حي لأحد الأنبياء من بني إسرائيل؛ للإجابة عن تساؤله عن كيفية إحياء الموتى (المادة) بمشهد تمثيلي وتصويري واقعي بديع، يفصح عن قدرة وبيان الخالق عن كيفية خلق المادة وإحياءها، وهو ما يعرف بإحياء المادة من العدم، والذي يفقه من مدلول هذه الآية بوضوح تام، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، (البقرة: 259)، ومن نافلة القول أن فلاسفة العرب والمسلمين (الكندي، والفارابي، والغزالي، وابن رشد، وابن سينا)، وغيرهم، ومن الفكر الباطني كالصوفية، وبعض فرق الإسماعلية، قد خاضوا مع الخائضين في التعريف المادي بخالق الشيء بحسب منهج أقل ما يوصف أنه جدلي تأويلي فيه من التسطيح وينافي قواعد الجدل العقلي، مقتبسين من فلاسفة اليونان بعض المصطلحات، وكذلك من أفكار بعض العقائد القديمة مثل توراة العبرانيين وكتب الصابئة التي سفهة مبادئ الخلوقة للشيء، وجعلت منه مادة للنقد والجدل العقيم، ولا يجوز مماثلة ذلك بكلام الله بالقرآن إذ إن خطاب القرآن يرقى بالعقل والفكر والإدراك ثم يأتي بمسلمات من البحث العلمي على قاعدة المعرفة (الفلسفة) وعند البحث والمعرفة والجدل، في ذات الله - سبحانه، أو في آياته، ثم نجد أنهم ذهبوا للتعريف بالله ووصفه بأسماء وصفات بغير ما سمى بها نفسه، مستخدمين عبارات وألفاظ، تزيد من الغموض والتعقيد، حول المعرفة بالله وآيات الله سبحانه، وبالمخلوقات على الأرض وفي الكون، ومن تلك الأسماء والألفاظ التعريف المادي ب الله بحسب الآتي: العلة والمعلول، الصورة، الهيولي، الجسم، العقل الفعال، إله النور، القديم، الأزلي، الجسم السماوي، والجسم الحجري، والجسم المعدني، العالم العلوي، العالم السفلي، الصانع، السرمدي، الياهو، (may-gad)، وغير ذلك من الأسماء والمسميات التي ما أنزل الله بها من سلطان، وهذا بتقديري تقول غير صحيح، ويتعارض مع القرآن، خاصة فيما يتعلق بأسماء الله - سبحانه، فصوروا الله بأسماء وصفات لا تليق به، وهو ما ننتقدم عليه وتحديداً عند التعريف بالله سبحانه كشيء، أو كصورة، أو هيولي (المادة) مع أن كلام الله حاضر بين جنبات حواسهم ومداركهم العقلية، وأن كلام الله في القرآن الكريم جاء في مواضيع المعرفة به، وجاء للتعريف بنفسه محدداً له أسماء وصفات حثَّ النَّاسَ على مخاطبته بها دون غيرها تأدياً، وفيما يتعلق بالتعريف بالروح، والنفس، والعقل والقلب، والفكر، فقد جاء كلام الله سبحانه بمفرداتٍ وجملٍ لغويةٍ سهلةٍ ومفهومةٍ، خالية من التعقيدات، بخلاف ما جاءت به مؤلفات فلاسفة اليونان، والعرب والمسلمين، وغيرهم من مصطلحاتٍ مضخمةٍ وبألفاظٍ مترادفةٍ، ومتضادةٍ، أحياناً يغلب عليها التعقيد في الفهم، وهو أمر مقصودٌ عمد إليه أربابُ الفلسفة من أجل إضفاء جانب من الخصوصية والتعقيد في فهم وفقه المعرفة بالفلسفة، فجعلوها

علماً خاصاً للصفوة من الناس، وهو أمر خاطئ، إذ إن المعرفة بالجدل الفلسفي في معرفة الله وآيات الله كان وما يزال سهل المنال على كل قارئ مجتهد بما يسر الله سبحانه من الفهم (الفقه)، باستخدام الجمل، والتعابير السهلة للفهم والإدكار، وكذا عند التعريف بالمادة وتكويناتها، والتعريف بالشيء وأمر خلق الشيء، والتعريف بالعقل والروح ووظيفته، والنفس وأنواعها وطبيعتها، والقلب والفؤاد، وحواس الإنسان من السمع، والبصر، والشعور، وقد أرشد الله - سبحانه - الإنسان في الأرض بما يملك من هذه الأدوات لكي يسلك بها طريق الفهم لوظائف هذه الأعضاء المخلوقة، حسب منهج رسمه الخالق، في عالم التكوين الأول، وسار عليه آدم وزوجه كنظام محكم، ثم جاء سيدنا إبراهيم ليؤسس وليبين بإرادة الله - سبحانه - الجدل المعرفي (الفلسفي) بالخالق والمخلوق، ومنه وعلى أثره سار الأنبياء والرسل: كموسى وداود وسليمان وعيسى وغيرهم، ثم جاء أرباب العلم والحكمة والمعرفة الجدلية الإنسانية، عبر مختلف الحضارات الذين أثرو الفكر الإنساني في العالم فكان منهم من خلدهم التاريخ كطاليس، وهيرقليس، وهولوقيوس، وسقراط، وأفلاطون، وأرسطو، وابن رشد، وغيرهم من المتأخرين ثم جاء علماء معاصرين: كنيوتن، وأينشتاين، وأديسون، وهوبل، وستيفن هوكينغ، وغيرهم الكثير، وما زالت قافلة المفكرين والفلاسفة والعلماء تسير على ركب المعرفة في آفاق العلوم والبحث العلمي، وإلى ما يشاء الله سبحانه، وتلك هي أسماء مقامات النفس وأرفعها، ولا يسع المقام هنا لاستعراض مجمل التعريفات لموضوع هذا المقال، فقد حاولت مختصراً إعطاء القارئ نبذة يسيرة جداً للتعريف بالفلسفة الجدلية حول حقيقة الوجود وحقيقة العدم، وما زال الطريق طويلاً، والعاثرون عليه كثر، وآيات الله - سبحانه - في الأكوان تتوسّع مع كل هذا الكم الهائل من البحوث العلمية، وعلينا أن نتوقف برهة لإعادة قراءة الآية من أول سورة الملك ونذكر مدلوله، حول حقيقة المعرفة بالخالق من خلال فعله في الخلق (فلسفة الجدل)، بقول الله عز وجل: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ....﴾، (الملك: 2).

وأخيراً: لزم علينا حط رحال عقولنا، أمام مشهد عظيم المشهد والخيال، دقيق الوصف والتصوير، بفعل البقاء السرمدي لله الواحد الماجد المتعالى ذي الجلال والاکرام وفناء كل شيء محسوس وغير محسوس، وأن البقاء السرمدي الخالد هو لله سبحانه وتعالى جل جلاله، الذي ليس كمثل شيء في الوجود والعدم وهو خالق الوجود والعدم: قَالَ تَعَالَى: ﴿... كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، (القصص: 88)، وبهذا يسدل الستار عن جدلية خلق المادة ببقاء خالقها وهو الله سبحانه وتعالى وفناء كل شيء.

1-7 جدلية المعرفة بخلق الروح (فلسفة الروح)

احتل موضوع الروح حيزاً مهماً في كلام الله القرآن الكريم الذي ذكر فيه الروح في مواضع متعددة وبوظائف مختلفة، وغاية ذلك كله هو البيان الواضح للروح ماهيته وفعله، بدءاً من خلق آدم وزوجه، ونفخ الروح فيهما، وكذا البيان عن كيفية خلق عيسى - عليه السلام - وسوف نحاول تعريف ماهية الروح من خلال الاسترشاد بكلام الله - سبحانه - كما جاء من آيات الذكر الحكيم، التي أوضحت أن الروح أمرٌ من أوامر الله سبحانه، تفرد بعلمه الخاص،

بمعنى أنها أمرٌ غير حسي، لا يُدرك ولا يتمثل بالمادة المحسوسة ولا بالنفس، وقد حدّد الله كيفية التصرف بها منفرداً دون تدخل من أحد من المخلوقات، وأوضح لنا أن الروح تحمل كل صفات العلم، والرحمة والخير، وهي لا تموت ولا تزول ولا تتناسخ، والشواهد الآتية من الآيات ذكرت فيها الروح، وقد وردت في أكثر من موضع في القرآن الكريم، بما تحمله من وظيفة متصلة بأمر الله - سبحانه وتعالى:

- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾، (النحل: 2)،
- وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾، (الشعراء: 193)،
- وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾، (غافر: 15)،
- وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، (المعارج: 4)،
- وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ (النبا: 38)،
- وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ (القدر: 4).

وهكذا بيّن - سبحانه وتعالى - ماهية الروح ببيان واضح وسهل وصريح، فبدأ التعريف بالروح بصيغة السؤال الباحث عن حقيقتها، فقالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾، (الإسراء: 85)، إذن فالروح أمرٌ خاص بذات الله سبحانه، ولا يمكن لعلم الإنسان - مهما بلغ - أن يحيط علماً بماهية الروح؛ لأن الله سبحانه اختصّ بعلمها منفرداً وحده لا شريك له، وهناك إجابةً ضمنية عن بلوغ السائل مرحلة من العلم، لسؤال لم يُسأل ابتداءً، وكأثماً شعر الإنسان في محطة من محطات الزمن أنه بعلمه الخارق أصبح على مقدرة وإدراك من العلم بحقيقة الروح، لكنّ الله استدرك بعلمه الأزلي لمستقبل الغيب، فكانت الإجابة صراحةً بأن علم السائل لن يبلغ بعلمه بالروح مهما بلغ من العلم الذي يسعى الإنسان جاهداً للوصول إليه، اليوم أو غداً، عبر مختلف علوم الحياة الإنسانية، - مهما بلغ - فلن يكون إلا نزراً يسيراً مما علمه الله - سبحانه، فجاء قول الله تعالى ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾، (الإسراء: 85). وهنا دعونا نستعرض الآيات التي تتحدث عن الروح في مواقف مختلفة من كلام الله سبحانه في القرآن الكريم، ولنترك القارئ الكريم يذكّر بعقله مزيداً من المعرفة حول الروح، ومن خلالها نوضح أعمال الروح ووظيفتها. لعلنا نقف على حافة التعريف بها من نواحٍ عدة، وبمشاهد قرآنية فريدة، حسبما سيأتي بيانه:

8-1 مواقف ذكر الروح في القرآن الكريم:

- موقف نبي الله يعقوب - عليه الصلوة والسلام - ناصحاً أبناءه بتحسس روح الله بمعنى الروح بما تحمل من معاني الرحمة، قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى - ﴿يَا بَنِي آدَهْبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يِيَّاسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾، (يوسف: 87).
- موقف تأييد الله جلّ وعلا، بإنزال الملائكة مع الروح لتثبيت نفرٍ من النَّاس الذين يسعون إلى طريق الحق من عباد الله - سبحانه، وهو ذلك الإنسان، بمختلف الأماكن والأزمان الباحث عن الحقيقة، وممن اختصوا بإنذار النَّاس بوحداية الله رب النَّاس أجمعين، متَّبِعِينَ صفة التقوى، ذلك أنَّ وظيفة الإنذار من أعمال الرُّسل أولاً، ثمَّ إنَّها وظيفة متصلة لمن يتسلَّم زمام المبادرة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحمل راية الهداية والتغيير في المجتمعات الإنسانية نحو غد أفضل؛ ومن أجل انتشار الإنسان من الانحطاط الفكري والفقر الجوع والمرض، ونشر قيم الفضيلة من الحرية والعدل والمساواة، عبر أدوات التغيير المتصفة بالحكمة، والموعظة الحسنة، وهو ما يُعرف اليوم بالحراك المجتمعي السلمي المدني عبر الهيئات الحزبية، ومنظمات المجتمع المدني المختلفة، وهذه من وظائف حملة الفكر الإنساني المستنير لمن اتصل بصره وبصيرته بقيم الحب، والخير لبني جنسه من البشر، ثم يندبرهم أيضاً من يوم تتلاقى فيه كل الأنفس، وهو يوم التلاق، يوم القيامة، قَالَ تعالى: ﴿يُنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُون﴾، (النحل: 2)، وَقَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾، (النحل: 102)، وَقَالَ اللَّهُ تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾، (الشعراء: 192، 193، 194)، وَقَالَ اللَّهُ جلّ في علاه: ﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾، (غافر: 15).
- موقف للعلم والإيمان، والهداية والجزاء الأوفر، من النعيم المقيم في الجنة، فيكون خالداً فيها لمن يتغلغل الإيمان في قلبه، وهذا الموقف يخاطب به كلَّ رسولٍ مُرسَلٍ ونبي بُعث، سار على نهج الصراط المستقيم فأَنَّ روحاً من الله تسايره؛ ليتدبر ويعلم النَّاس أحكام الكتاب، ويعرفهم بحقيقة الإيمان، وحلاوته بصدق العارف، مبيناً طريق الصراط المستقيم المحفوف في كل أعمال الخير من البر والإحسان، ومنتهاً عما نهى الله من أعمال الشر والفساد، والعدوان والظلم والفجور والعصيان، قَالَ اللَّهُ تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، (الشورى: 52)، وَقَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى - ﴿فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ﴾، الواقعة (89)، وَقَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى ﴿.... أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ

تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، (المجادلة: 22).

- موقف بيان مقدرة الروح بلوغ حجم عظمة السماء ومسافات الشاسعة التي لا يستطيع عقل الإنسان أن يتخيلها أو يدركها بعلمه مهما بلغ من العلم في حساب الزمن والمساحة الشاسعة والضخمة، ومع تلك المساحة تظهر مقدرة الروح والملائكة على الولوج إليها بالمعراج في يوم كان مقداره بحساباتنا في كوكب الأرض بخمسين ألف سنة، ولك أن تتدبر مقدار حجم ضخامة المكان وحساب الزمان، في هذا المشهد العظيم من الآية، قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، (المعارج: 4)، وهذه آية محل تعقل، وفكر وتفكر لقياس المكان والزمان، ومهما تخيلنا لحساب أبعاد هذا الآية ومع ذلك فأننا بحاجة إلى جهد عقلي مضمّن لمجرد البحث، غير أنه بتقدير من الصعوبة بمكان القيام بذلك لعدم مقدرة عقل الإنسان على تخيل ذلك المشهد العظيم.

- موقف قيام الروح والملائكة صفاءً دون غيرهم من الخلائق بحضرة الله - سبحانه وتعالى - تعظيماً وتقديساً لجلاله سبحانه، ممتنعين عن الكلام بحضرته، إلا من قال الصواب الذي لا يشوبه كذب قط، وكيف يكون ذلك في حضرة من يعلم ما تبدون، وما كنتم تكتمون، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ويعلم سرّكم وجهركم؟! حسب خطابه للملائكة، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾، (النبا: 38).

- موقف بيان الله تعالى للوظيفة المحددة للملائكة والروح، بإنزال أوامر الله - جل شأنه - في تصريف الأكوان والخلائق، وهي ما تُعرف بليلة القدر الكونية، وهي من ليالي الله - سبحانه وتعالى - وليست إحدى الليالي من شهر رمضان كما حددتها كتب فكر المذاهب، بل هي كما بيّنها ووضحها ربنا في أول سورة الدخان بقوله تعالى: ﴿حَمِّمُوا الَّتِي هِيَ إِذَا تَنَزَّلَتْ فِي زُلُفٍ مِنْهَا وَالْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا مِنْ مُنْذِرِينَ، فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ، أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾، (الدخان: 1، 2، 3، 4، 5)، وكذلك الآيات من سورة القدر، قال سبحانه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ، لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ، سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾، (القدر: 1، 2، 3، 4، 5).

ومن هنا فهذه هي الروح ووظيفتها وأعمالها التي ذكرها الله من نواحٍ عديدة، كلها تعود مآلها وعلمها وأمرها لله رب العالمين، يصرفها ويلقيها بقدره وأمره على من يشاء من عباده، فهي لا تحتل غير قيم الإيمان والعلم والخير والرحمة، ويجدر بنا التفرقة بين الروح والنفس، فالروح من أمر الله المنفرد، يرسلها الله على من يشاء من عباده كأمر مختص، ومنفرد من الله تعالى، ثم أن الله تعالى اختص بعض عباده بنفخ أو إلقاء الروح فيه، كما في

حالتني خلق آدم وزوجه، وخلق عيسى - عليه السَّلام، فكانت هاتين الحالتين الظاهرة لنا من خلال القرآن كحالة نادرة في الوجود، ثم بيَّن لنا كيف كانت وفاة عيسى في حالتين:

الأولى: أنه متوفيه بالموت كنفسٍ بشرية.

والثاني: عودة الروح لبارئها فكان رفعها إليه بعد وفاة النفس، لكون الروح لا تموت كالنفس، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِي مَتْوَفِيكَ وَرَافِعُكَ إِلَى وَمُطَهِّرِكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَى مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾، (آل عمران: 55)، كما في مدلول هذا الآية، المعاد للتوضيح أكثر بالقول، أني متوفيك كنفس، ورافعك أليَّ كروح، كما أنه لم يذكر وفاة آدم وزوجه وهو ما يفقه لديَّ على الأرجح.

9-1 جدلية المعرفة بخلق النفس (فلسفة النفس)

يعدُّ البحث عن ماهية النَّفس والعلم بخلقها والحوض في ذلك أمراً عظيماً وجليلاً ولا حدود له، أمَّا في القرآن الكريم فقد ذكر الله النفس في محكم التنزيل في الكثير من الآيات، وقد تكرر ذكر الله جلَّ جلاله النفس في مواضع متصلة بذاته، فهو نفسه ووصف الله سبحانه ذاته (بنفس)، كما ارتبطت نفس الله برحمته - سبحانه وتعالى، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ...﴾، (الأنعام: 12)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ...﴾، (الأنعام: 54)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿... وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾، (آل عمران: 28)، وَقَالَ - سبحانه وتعالى: ... وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾، (آل عمران: 30).

وفي بيان الوحي من الله سبحانه يخاطب الله موسى عليه السلام، فيقول سبحانه وتعالى:

﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾، (طه: 41)،

فإن الله سبحانه يبيِّن - أنَّ له نفساً، وله وحده وَصَفُ نفسه بما يشاء، وكيفما يشاء، وهو أهلٌ لذلك الوصف - سبحانه - عما يصفون وعلا علواً كبيراً.

ومن الملاحظ أنَّ الله - عزَّ وجلَّ - لم يبين خصائص نفسه وتفاصيلها، وهو أمر خاص بذاته، منفرد بعلمه، مستوجب علينا الإيمان به طالما سكت عنه، كما أعطى لنا توضيحاً بكلامه عن وصف نفسه بما يشاء، فيما سبق بيانه غير أنه أرشدنا للتعرف على ذات نفسه من خلال أسمائه وصفاته وبعض أعماله.

وعن النفس المخلوقة فقد ورد ذكرها في بعض آيات الذكر الحكيم في المواضع والحالات متعددة منها: النفس المتصلة بخلق الإنسان دون غيره من الكائنات الحية الأخرى المخلوقة بالتزاوج من غير أنفس، ومن كون خلق النفس كان خاص ومتصل بالبشر ومن النفس الواحدة تناسل جميع الناس على قاعدة واحدة من الخلق، وخصص للإنسان عائلة مستقلة مميزة بالنفس عن باقي الخلائق وقد جاء تعريف النفس في آيات القرآن بـ (نفس)، أو (نفسية)،

أو(النفس)، وصيغة الجمع (الأنفس)، و(أنفسكم)، و(أنفسهم)، وقد وردت في القرآن فيما يزيد عن مئتين وخمسين مرة تقريباً في أكثر من موضع متصلة بخلق الإنسان منفرداً، والآن نأتي للتعريف بالنفس من زاوية العلم بخصائصها، وما يتصل بها، فرغم كثرة البحوث والتجارب العلمية وعلم تشريح أعضاء الإنسان، فقد وقف العلم على نهاية حافة العلم بالنفس وعجز عن الإدراك المادي للنفس، أو التعريف بها لكونها أمراً غير محسوس وغير مدرك، فلم يستطع الإنسان معرفة ماهيتها، فقد خاض العلماء في الكثير من الجدل الفلسفي عن النفس قديماً، ليتيح لإسهام الفكر الإنساني دور رئيس كبير في بحث أغوار النفس الإنسانية والتعريف بماهيتها عبر سلسلة من التأملات الفلسفية في مختلف حضارات الإنسان المتعاقبة، ونخص بالذكر الحضارة اليونانية التي أسهمت إسهاماً كبيراً في هذا المجال، فقد قدم عددٌ من فلاسفتها فلسفةً خاصةً حول المعرفة بخلق النفس والمادة، خاضوا جدلاً كبيراً مدعماً بالظواهر الطبيعية والتجارب والتنبؤات في ذلك الوقت وكذلك في مختلف الحضارات القديمة وقد أفردنا بحثاً تعريفياً موجزاً للتعريف بأهم أعلام الفكر اليوناني في هذا المؤلف الذين تحدثوا عن الجدل الفلسفي للتعريف بالنفس والمادة ثم ظهر علم التشريح مؤخراً كعلم تخصصي بالإضافة للبحوث العلمية في مجال علوم النفس المتعدد التخصصات من أجل الوصول لمعرفة النفس، بالإضافة لعلوم النفس التخصصية ومنها علم النفس التحليلي وعلم النفس التطبيقي وعلم النفس الاجتماعي وعلم النفس التربوي، وعلم النفس الحيوي، وعلم النفس الفسيولوجيا الذي يدرس العلاقة بين السلوك والأعضاء من أجل إيجاد تفسير فسيولوجي، أو عضوي لسلوك الإنسان، إذ إنّ هذه العلوم وغيرها تمثل الأساس العلمي لدراسة علم النفس الفسيولوجي والبيولوجي للظواهر المختلفة لهذا الكائن الجسد البشري (الإنسان) الذي يحمل بين جنباته شيئاً غير محسوس وغير مرئي، وهي النفس البشرية، كما يعزو الباحثون إلى أن مجموعة الوظائف العليا للدماغ هي (مستودع النفس)، وما يتفرع عنه من جهاز عصبي، كان محور عمله وقاعدته الأساسية هو القيام بوظيفة التفكير والإحساس والشعور، عبر شبكة عصبية تتصل ببعضها البعض، وبحسب نبضات وإشارات كهربائية وبتأثير مواد كيميائية، وهرمونية وغيرها، تعمل داخل أعضاء جسم الإنسان في قمة التناسق والإبداع والتعقيد وبحسب بناء هندسي محكم وعالي التقنية للصناعة، وبصورة ذاتية وبسرعة فائقة وتناغم بديع، وتمازج معقد بين المادة ومحركها.

كما أنّ علماء النفس والتشريح لجسم الإنسان في العلوم الحديثة قد أسهبوا في البحث العلمي التجريبي للوصول لمعرفة النفس، ومن نخبة هؤلاء العلماء نذكر أشخاصاً أسهموا في إثراء المكتبة الإنسانية في مجال التعريف بالنفس ومعرفة وظائفها وهم كثر، ومنهم: سيغموند فرويد (1856-1939م) اختص بدراسة الطب العصبي ومؤسس علم التحليل النفسي وأشتهر بنظريات العقل واللاوعي، وأفرد أدلر (1870-1937م) مؤسس مدرسة علم النفس الفردي، وغوردن ألبرت (1897-1967م) أول من وضع أساس علم نفس الشخصية وأسهم في تأسيس معايير القيم، وتشارلز سبيرمان (1863-1945م) وتنسب له نظرية سبيرمان في الذكاء، وأنا فرويد (1895-1982م) وتعد من أوائل مؤسسي التحليل النفسي

للطفل، وقد كانت كل تلك الأبحاث والعلوم تسير في ركب العلم بالنفس وفي محاولة التعريف بالنفس عن قرب كما أسلفنا، ومع كل تلك العلوم حول النفس لم يصلوا إلى إجابة شافية حول المعرفة بالنفس، ولذلك كانت النفس خلقاً منفرداً بذاتها من قبل الخالق، وأسرار هذا الخلق (النفس) محفوظة بعلم لدى الخالق، الذي انفرد بسر خلق النفس، ذلك الشيء الغير مادي، والغير مدرك بالحواس، والغير معيّن بمكانٍ ولا حجم، والنفس كالروح من حيث فلسفة المعرفة بها، إلا أنّ هناك فرقاً بينهما من حيث الوظيفة حسبما جاء بالبيان القرآني، فالروح لها وظائف خاصة ترتبط بالعلم والرحمة، ولا تموت، بينما النفس خلقت وجُبلت على التناسل والتعدد الوظيفي للأعمال، الخير أو الشر، والنفس تفتى وتموت، والله - سبحانه - نفسٌ منفردٌ بذاته وليست نفسه كأنفسنا، حسب مبدأ عدم التشابه أو التماثل بالله سبحانه، فليس كمثله شيء.

10-1 النفس البشرية آدم الأُنثى:

لقد بيّن كلام الله في القرآن الكريم كيفية خلق النفس البشرية على قاعدة واحدة، إذ المعلوم أيضاً أنّ خلق آدم وزوجه كان حالةً فريدة، حسبما بينتها آيات من كلام الله في القرآن قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿مَا خَلَقْنَا وَلَا بَعَثْنَا إِلَّا نَفْسًا وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾، (لقمان: 28)، وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾، (الأنعام: 98).

ومن الآيتين أعلاه يصرح القرآن حول حقيقة خلق الأنفس ابتداءً وانتهاءً بخلقها من نفس واحدة وعلى قاعدة واحدة من المساواة الأُنثى والذكر على حدٍ سواء، ثم حددت أنواع النفس بين الخير والشر والموت والحياة وغير ذلك، فكانت الأُنثى أول نفس مخلوقة بفعل السببية من آدم الأُنثى، لميزة الخصوبة والتناسل والأمومة، على اعتبار أنّها من خاصيتها وتحمل صفات الكمال في الخلق الجسدي عن الذكر، وهو ما يفهم من كلام الله في القرآن الكريم الموجه للناس في آياتٍ كثيرة، ولفقه البيان الوارد في الآيات للتعريف بأصل خلق النفس من حيث التفريق بين لفظ التأنيث والمذكر وللتفريق بين الألفاظ الوظيفية لفعل (وخلق) بفعل الكينونة (وخلق منها زوجها)، ولفظ الفعل (وجعل) للتمييز في الخلق بفعل السببية (وجعل منها زوجها)، وكل واحدة منهما عملية مستقلة بذاتها ومتصلة بأصل خلوقية النشأة الأولى - لخلق آدم الأُنثى بفعل الكينونة وخلق آدم الذكر بفعل السببية، ثم تناسلت هذه النفس عبر الاتصال الجنسي أو التلقيح، ثم بَثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً، حسب ما يفهم من هذه الآية في سورة النساء، والتي توضح فقها لفعل الخلق وفق مبدأ الكينونة والسببية الذي أكد على مبدأ التساوي في خلق النفس البشرية الأولى (الذكر والأُنثى) قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً...﴾، (النساء: 1)، فكان هذا الخلق وبَثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً، هو النشأة الأولى في الخلق والتكوين للمجتمع الأسري الأول في المكان والزمان، فكان المكان هو كوكب (جنة عدن) وكان الزمان عصر الخلق والكمال ثم نأتي لمرحلة التمييز في الخلق باستخدام فعل (جعل) في الآية التي يفقه منها تمييز المخلوق من النفس بلفظ وجعل منها زوجها على مبدأ السببية في الخلق فكان ذكر

زوجها وقصد به الذكر للتمييز في الخلق وبين لنا كيفية التناسل بقوله سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَالِحاً لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾، (الأعراف: 189)، وقال الله سُبْحَانَهُ: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا....﴾، (الزمر: 6)، هذا هو كلام الله - سبحانه - عن مبدأ خلق النفس الأولى، إذ بين لنا أن أصل خلق النفس كان خلقاً واحدة بفعل الكينونة للأنثى، وبفعل السببية للذكر، كما بين أن الأنثى هي الأكمل في الخلق الجسدي والوظيفي، حسبما يفهم ذلك صراحةً وضمناً من سياق الآيات السابقة بالقول: خلق منها زوجها ويفقه على أنه الذكر (آدم) كان موضعه في سلم النشأة الأولى ومتصل بالأنثى (آدم)، وللتعريف أكثر به فقد ورد بلفظ زوجها كثيراً بقصد التمييز للمذكر، كما هو واضح في سورة المجادلة، قال سُبْحَانَهُ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾، (المجادلة: 1).

وتأكيداً على ذلك فقد كانت ولادة عيسى (كذكر) من مريم (الأنثى) حسب هذه المنهجية الربانية في خلق النشأة الأولى للبشر، وعلينا الوقوف والتفكير كثيراً حول لفظ التماثل في الخلق بين الحالتين كما وردة بالآية التالية: قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، (آل عمران: 59)، والحديث في هذا قد يطول وسبق الإشارة إليه، إلا أنني فضلت اختصاره إدراكاً مني بأهمية البحوث العلمية التي تجرى حول العالم في علوم الإنسان المختلفة والتي تبشرنا كل يوم بالجديد على نفس منوال قول الله سبحانه بالدعوى لاكتشاف هذا الكائن الجميل قال الله سُبْحَانَهُ: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾، (الذاريات: 21)، فقد بدأ الإنسان اليوم يسير بخطوات متسارعة لكي يكتشف أغوار نفسه البشرية، غير أننا نقف مبهورين أمام مدلول هذه الآية التي تعرفنا بأن هناك نفساً لكل نفس، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوْفَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، (النحل: 111)، في الوقت الذي أنشأ الله سبحانه كل الأنفس من نفس واحدة، ولفض أنشاء تكرر في القرآن أكثر من مرة يفقه منه قيام الشيء على أساس سابق حسب مدلول هذا الآية قال الله تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾، (الأنعام: 98)، وما يفقه من الآيتين أن هناك نفساً من نفس أخرى متصلة بها وهكذا، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾، (الواقعة: 62)،

11-1 مكان النشأة الأولى:

لقد كانت النشأة الأولى في كوكب جنة عدن في مكان ما من السماء وفي عصر الخلق والكمال، ثم اهبطوا جميعاً من كوكب جنة عدن بفعل السببية والمشية كما ذكرت الآية التي تصف هذا الحدث وتصف العدد الذي اهبط بالكثرة من خلال اللفظ (جميعاً)، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَأَنَّا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَأَمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: 38)، والهبوط إلى الأرض للعيش المؤقت في الحياة الدنياء ليكون ذلك

عصراً جديداً من الاستقرار والعيش للمجتمع الأول في حياة البشر، كما في الآية التي توضح لنا أكثر موضوع الإهباط الجماعي للبشر من الجنة إلى الحياة الدنيا في الأرض ويوصف حالهم بالعيش والاستقرار المؤقت قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ الأعراف (24)، وكان العدد الذي اهبط من كوكب جنة عدن عدد كبيراً يشكل مجتمعاً كبيراً من الأسر ذات الأجناس والألوان المتعددة من البشر، ومنها بعد ذلك تكونت القبائل والشعوب ثم الأمم المتعددة، وهذا الفقه يكذب تقولات العهد القديم وفكر مذاهب العننة الإسلامي حول كيفية الخلق في النشأة الأولى، وما بين المعرفة بالنشأة الأولى والنشأة الآخرة بحوث وجدل واسع في العلم والمعرفة الإنسانية يتخللها عصور من أجيال بني الإنسان والله سبحانه وتعالى له العلم المنفرد بالنشأة الآخرة حسب الآية: قَالَ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، (العنكبوت: 20) وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾، (النجم: 47)، وتلك هي الصفحة قبل الأخيرة من الحياة التي جاء ملخصها بقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ..﴾، (لقمان: 34) أَوْ قَالَ تَعَالَى: ﴿... وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ النحل (77).

12-1 صفات النفس: النفس الطيبة المطمئنة:

بيّن الله - سبحانه وتعالى - صفات النفس الطيبة المطمئنة وموقعها ومكانتها، وكما دلت عليه الآيات القرآنية:

- يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾، (البقرة: 207)،
- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، (البقرة: 110)،
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾، (الأعراف: 205)،
- وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي، وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾، (الفجر: 27، 28، 29، 30).

13-1 النفس ومحاسبتها عن الأعمال خيراً أو شراً:

ولأن النفس الإنسانية هي مناط التكليف الإلهي فقد بيّن الله سبحانه وتعالى محاسبة النفس على أعمالها المكتسبة خيراً وشرّاً في الكثير من الآيات التي تتدرج في عرض ذلك الأمر في هذه الآيات التي تفي بحقيقة البيان الواضح عن التعريف بمحاسبة النفس لكل الأعمال التي مرت على حياة كل إنسان عاش على الأرض بحسب ما توضح هذه الآيات:

- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿... وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾، (البقرة: 9).
- وَقَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿... أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ...﴾، (البقرة: 44).
- وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا...﴾، (البقرة: 48).
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ...﴾، (البقرة: 54).
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿... وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، (البقرة: 57).
- وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿... بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكَبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾، (البقرة: 87).
- وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ...﴾، (البقرة: 90).
- وَقَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾، (البقرة: 123).
- وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْذُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ...﴾، (البقرة: 284).
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿... وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، (آل عمران: 117).
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿... ثُمَّ نُوفِي كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، (آل عمران: 161).
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ...﴾، (النساء: 79).

14-1 النفس مواضع وحالات مختلفة:

- دَلَّ كلام الله الواضح للتعريف بالنفس في مواضع مختلفة في القرآن الكريم، نذكر بعضاً منها خوفاً من الإطالة ونترك التمعن في الإدِّكار للقارئ:
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿... وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَسْهَوْنَ﴾، (البقرة: 84).
 - وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿... بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكَبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾، (البقرة: 87).
 - وَقَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَمَنْ يَرْغُبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ...﴾، (البقرة: 130).
 - وَقَالَ تَعَالَى: ﴿... وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ...﴾، (البقرة: 223).

- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿لَا يُكَفِّرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسَعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ...﴾ (البقرة: 286).
- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿...قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، (آل عمران: 165).
- وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿....وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾، (النساء: 29).
- وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ...﴾، (النساء: 49).
- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿... وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾، (النساء: 63).
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ...﴾، (النساء: 64).
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ...﴾، (الأعراف: 205).
- وَقَالَ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾، (القيامة: 2).
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾، (ق: 21).
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا تُوسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ...﴾، (ق: 16).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾، (القيامة: 2).

15-1 وفاة النفس وأجلها:

- يَبَيِّنُ اللهُ - سبحانه وتعالى - كيفية وفاة النفس وموتها، وعودتها لخالقها:
- قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى -: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُوَجَّلًا...﴾، (آل عمران: 145).
 - وَقَالَ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ...﴾، (آل عمران: 185).
 - وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ...﴾، (الأنبياء: 35).
 - وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾، (العنكبوت: 57).

وإذا تساءل أحدنا عن مبدأ تعميم وفاة النفس على الله - سبحانه وتعالى فذلك محالٌ من مفهوم سياق الآيات الواردة أعلاه، فخطاب كلِّ نفسٍ موجةٌ أصلاً لبني آدم، ولم تدخل نفس الله في هذا التعميم، ونحن ببساطة موكلون بالإيمان بما أوحى إلينا من كلام الله في القرآن الكريم، وبما جاء فيه من آيات ظاهرة، مذكراً للفهم ميسراً للقراءة، ولا يعني ذلك النهي أو التحريم عن الجدل والبحث في هذا الموضوع بل أننا مدعوون لإعمال العقل والفكر من العلم والبحث المعرفي لمزيد من الحقيقة، وهو ما نستطيع الخوض فيه، فإنَّ ذلك يزيد عقولنا وقلوبنا عزماً ويقيناً بعظمة معرفة الله - سبحانه وتعالى.

16-1 جدلية المعرفة في خلق البشر (الإنسان):

لقد جاء كلام الله سبحانه واضحاً في جعل البشر خليفةً لخلق آخرين جرت عليهم سنة الموت، فانتتهت حياتهم، وبقيت آثارهم شاهدةً عليهم في الأرض، وليس كما قيل: إِنَّ الْبَشَرَ خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، فلا يتصور عاقل أن يكون المخلوق خليفة للخالق أبداً، وقد بين ذلك كلام الله في القرآن المبين والمفصل والميسر للذكر والإكثار، من خلال وصف الملائكة للخلق السلف، وأنهم كانوا مفسدين ويسفكون الدماء في الأرض، وبهذا الوصف الموجز من الملائكة، فإن الحقيقة تبرز واضحة حول الخلق السلف بآيات القرآن الكريم والذي أكد على حقيقة وجودهم ووجود حياة سابقة قبل خلق البشر وإهباط الإنسان إلى الأرض، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، (البقرة: 30)، وتؤكد مدلول الآية على وجود كائنات حية عاشت قبل إهباط الإنسان إلى الأرض، وهم خلق سلفاً، إذ يبين أوجه تشابههم بالبشر، من حيث احتواء أجسامهم على الدماء، ومن حيث سلوكهم الاجتماعي المتمثل بأفعال الفساد، وسفك الدماء، من خلال وصف الملائكة لهم بالآية (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ) ومن هذه الصفات والأفعال تبرز لنا بعض الحقائق بالآتي:

- إِنَّ الْأَرْضَ بتركيبتها قبل خلق البشر (آدم وزوجه) كانت ثابتةً ومستقرة، وفيها حياة متجددة، وفيها من كل أسباب العيش والحياة.
- إِنَّ طَبِيعَةَ الْخَلْقِ السَّالِفِ فِي الْحَيَاةِ كَانَتْ تَتَمَاثَلُ مَعَ الْإِنْسَانِ فِي الصِّفَاتِ الْجَسَدِيَّةِ وَالسَّلُوكِ الاجتماعي إذ كان الغالب على حياتهم الفساد وسفكهم للدماء، والذي كان سبباً رئيساً بفنائهم من الأرض.
- إِنَّ الْخَلْقَ السَّالِفَ كَانُوا قَرِيبِي الشَّبهِ فِي الْعِيشِ بِالْإِنْسَانِ فِي عَدَدٍ مِنَ الصِّفَاتِ، أَقْوَاهَا وجود الدم في أجسادهم، فهم أشبه بالتكوين المادي للإنسان، أو كائناتٍ (دابة) مقاربة لهم في العيش، والحياة على الأرض.
- مِنَ الْمَلَا حِظِ أَنَّ الْخَلْقَ السَّالِفَ بِأَفْعَالِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ فَسَاداً وَعَدَوَانِيَةً وَسَفْكَاً لِلدِّمَاءِ عَلَى بَعْضِهِمُ الْبَعْضِ فِي الْأَرْضِ وَلَعَلَّ ذَلِكَ يَرْجِعُ لِبَنِيَّتِهِمْ وَسُلُوكِهِمُ الْحَيَوَانِي وَقَانُونَ الْغَابِ، وَلِذَلِكَ جَرَتْ عَلَيْهِمْ سَنَةُ الْمَوْتِ وَالْفَنَاءِ، وَاسْتَبْدَلَهُمْ بِخَلْقٍ آخَرَ هُمُ الْبَشَرُ (الإنسان).
- كَانَ خَلْقُ الْإِنْسَانِ أَمْرًا حَادِثًا وَمَنْفَرِداً بِذَاتِهِ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ حَسَبَ أَمْرِ الْكَيْنُونَةِ وَيُمَثِّلُ وَاقِعاً جَدِيداً يَتَمَاثَلُ أَوْ يَتَشَابَهُ مَعَ الْخَلْقِ السَّالِفِ وَلَا يَتَسَاوَى بِهِ، وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ لَيْسَ امْتِدَاداً لَهُ.
- كَانَ فَنَاءُهُمْ (الخلق السلف) بفعل سقوط نيزك (كويكب) على الأرض أدَّى إِلَى حَدُوثِ ارْتِطَامٍ كَبِيرٍ نَتَجَ عَنْهُ زَلْزَالٌ وَفِيضَانَاتٌ عَظِيمَةٌ، أَعْقَبَهُ انْتِشَارُ غِبَارِ الْارْتِطَامِ فَحُجِبَتْ أَشْعَةُ الشَّمْسِ عَنِ الْأَرْضِ لِسَنَوَاتٍ عَدِيدَةٍ أَدَّى ذَلِكَ لِمَوْتِ مَعْظَمِ الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ عَلَى الْأَرْضِ وَمِنْهُمْ الدِّينِصُورَاتُ وَغَيْرُهَا.

1-16-1 جهود الإنسان في معرفة خلقه – نظرية تشارلز داروين والرد عليها:

خلال القرنين الماضيين قامت نخبة من العلماء بمهمة البحث، والتنقيب للكشف عن حقيقة خلق الإنسان، وقد كان لهم الدور الأبرز في الإجابة على بعض التساؤلات من خلال البحوث العلمية التي أجريت في مجال الأنثروبولوجيا وعلم الوراثة وعلم الآثار والتنقيب وعلم الجيولوجيا، ومن أبرزهم – العالم الإنجليزي (تشارلز داروين) الذي صاغ نظريته المدونة بكتاب أطلق عليه أسم أصل الأنواع⁽¹⁾ والذي نستعرض لكم منها بعض العناوين العلمية لمحتوى الكتاب الذي تحدث فيها عن عناوين ذات أهمية نذكر بعض منها كالتحول بالطبيعة، وقوانين التباين، والانتخاب الطبيعي، والغريزة، والتهجين، والتعاقب الجيولوجي للعضويات، والتوزيع الجغرافي، والخصيات وعلاقات القرابة بين الكائنات من حيث الأجنة ومن حيث الأعضاء الأثرية، وعلى أثر هذه (النظرية) والتي أحدثت هزة عنيفة في المجتمعات الإنسانية إذ كانت هذه النظرية تناقض الفكر الديني السائد لدى المؤمنين بالعهد القديم والجديد - تورا العبرانيين - والإنجيل إذ قامت هذه النظرية بفضح خرافة الخلق في سفر التكوين⁽²⁾، والتي تحدثت عن بدء الخلق على الأرض، وصوّرت بدء الخلق بطريقة مثيرة للسخرية والاستخفاف، نقلاً من التراث البابلي⁽³⁾ وأعتقد أن داروين لو كان اهتدى إلى قراءة آيات من القرآن المبين، والتي تحدثت عن مبدأ الخلق والخلقية للبشر ولكل ما هو حي، لكان توافق مع الحقيقة التي ينطق بها القرآن من أول وهلة، حيث أفصحت آيات الذكر الحكيم عن وجود حياة سابقة لأجسام حية تسري فيها الدماء عاش على الأرض فترات من الزمن قبل خلق البشر، والتأكيد على أن ذلك الخلق السلف والخلق الخلف بما فيه خلق الإنسان وكل الدواب السابقة واللاحقة والموجودة في يومنا هذا، وما سيتخلق من مخلوقات عن طريق التهجين أو التعديل الوراثي للكائنات الحية والدواب وكذلك الإنسان، إذ خلقوا كلهم جميعاً على قاعدة واحدة من الخلقية، وأن الآثار من الكائنات التي عثر على بقاياها داروين، وأجرى دراسته العلمية عليها كانت كائنات حية ترجع لأصل مادي واحد في الخلق مع الإنسان حسبما جاء بكلام الله سبحانه بالآيات التي سوف نستعرضها لاحقاً، وبذلك ستكون مفتاحاً للإجابة على الكثير من تساؤلات داروين حول بحثه العلمي الموسوم بشأن التطور النوعي، ومن خلاله أوضح أن الإنسان لا يتعدى كونه نسلًا معدلاً من أسلاف ثديية، وبمعنى أدق إن الإنسان والقرود عبارة عن نسل معدّل

- (1) أصل الأنواع – تشارلز داروين – 1859م – ترجمة إسماعيل مظهر. دار هنداي 2017
- (2) انظر العهد القديم – التورا – سفر التكوين النصوص التالية حول الخلق وغيرها بالآتي: (1 في البدء خلق الله السماوات والأرض. 2 وكانت الأرض خربة وخالية، وعلى وجه الغمر ظلمة، وروح الله يرف على وجه المياه). النص الثاني: (6 وقال الله: «ليكن جلد في وسط المياه. وليكن فاصلاً بين مياه ومياه». 7 فعمل الله الجلد، وفصل بين المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد. وكان كذلك. 8 ودعا الله الجلد سماء).
- (3) النص الثالث: (21 فأوقع الرب الإله سباتاً على آدم فنام، فأخذ واحدة من أضلاعه وملاً مكانها لحماً. 22 وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم. 23 فقال آدم: «هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي. هذه تدعى امرأة لأنها من امرء أخذت»
- النص الرابع: (20 ودعا آدم اسم امرأته «حواء» لأنها أم كل حي).
- (3) انظر العهد القديم – التوراة – سفر التكوين وفي هذا يذكر أنهار الجنة من حيث المكان من حضارة بابل (أشور) (نهر الفرات). النص التالي: (13 واسم النهر الثاني جيحون، وهو المحيط بجميع أرض كوش. 14 واسم النهر الثالث حدقل، وهو الجاري شرقي أشور. والنهر الرابع الفرات).

من أسلاف من الثدييات الرئيسات، معتمداً على مبدأ الخلوقة الواحدة للمخلوقات ودوام التركيب الطبيعي للأرض، كما تحدّث عن دوام وتتابع الكائنات الحية في الخلق، كما تحدّث عن وجود أعضاء أثرية حسب الاكتشافات والحفريات، وجعل من هذه الأشياء المكتشفة مبادئ أساسية في البحث الذي اعتمده في تبني نظريته عن مبدأ الخلوقة والتطور النوعي في أصل الأنواع، وقد بذل جهداً شاقاً ورائعاً في الحفر والتنقيب، والحقيقة أرى أنّ ما بذله داروين في الكشف عن الحفريات، ووجود أعضاء أثرية ودراستها بيولوجياً على اعتبار أنها خلق سلف لخلق أقدم من خلق البشر، وأنّ هذه المخلوقات وجدت على الأرض على قاعدة واحدة من الخلوقة لكل الكائنات والدواب والإنسان وأنه قد أمضى عدداً من السنين في البحث، والتنقيب والاستكشاف، وجمع العينات، خاض الصعاب وركب البحار والمحيط من أجل البحث العلمي، فهو بجهد هذا قد توصّل إلى جزء من الحقيقة برأيه وليس الحقيقة كلها خاصةً وأنّه اكتشف عن وجود أجسام شبيهة بكائنات حية وكبيرة الحجم (عملاقة)، ومنها ما هو أشبه بالإنسان كانت تعيش قبل الإنسان بملايين السنين على الأرض، فذلك جهد رائع يستحق الثناء لتوافقه كثيراً مع آيات القرآن العظيم الذي أكد على وحدة الخلق المادي لكل الكائنات الحية (الدواب) ومنها (البشر - الإنسان) على الأرض حسب هذه الآية قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ النور (45)، ولا نتوافق معه على أنّ خلق البشر جاء نسل معدّل من أسلاف ثديّة كما سبق بيانه، فذلك قول يجانب الصواب، ويجافي حقيقة خلق البشر الذي أوضحه كلام الله سبحانه في القرآن الكريم عن كيفية خلق البشر والذي بيّن أنه خلق على قاعدة واحدة مع خلق الدواب وبنفس الوقت جعل خلق البشر خلقاً منفرداً بذاته متصلاً بغيره مادياً، فكان خلقه من النفس والروح في طور من أطوار الخلق المادي هي الميزة في التفرد عن بقية الدواب المشتركين معهم بقاعدة واحدة في مبدأ الخلوقة، فكان قول الله سبحانه وتعالى يكذب ما قاله داروين حول خلق الإنسان إذ نبينه تفصيلاً حسب ما سيأتي لاحقاً، ولنا أن نستشهد بعدد من الآيات للدلالة على ديمومة سنة الله في الخلق حول هذا الموضوع.

وهكذا نجد أن كلام الله سبحانه قد وضع قواعد أساسية لحياة كل الدواب من الكائنات الحية على الأرض، وما كشف عنه (تشارلز داروين) بنظريته يمثل جهده رائع يشكر عليه جزاءه الله خيراً لجهوده الكبيرة في البحث العلمي حول أسرار الخلق، ومع ذلك يعدّ ما قام به الشيء القليل في المعرفة عن حياة كل ما يدب من الدواب (المخلوقات) على الأرض، كما أنّ ما تم اكتشافه بعد حياة داروين من العلم بهذه المخلوقات يمثل حدثاً هاماً يفتح آفاقاً كبيرة لدراسة واقع حياة هذه المخلوقات وطبيعة حياتها والوقوف على درجة تشابهها أو تماثلها المادي بالبشر (الإنسان) على الأرض.

وقد استمرت حركة البحث العلمي ولم تتوقف في هذا المجال عند داروين بل كان هناك علماء قبله وبعده ساهمت أبحاثهم في كشف للكثير من الحقائق العلمية، وأهم العلماء الذين كان لهم جهد علمي في هذا المسار، ومنهم جون دو لامارك (1744-1829م) الذي قدم نظرية

حول توارث الخصائص المكتسبة على المدى الطويل بما يؤدي إلى التغيير الجسدي الذي يحدث في الكائنات - كتطور أحد الأعضاء، وقد أنتقد هذا الرأي، كما اعتقد أن الكائنات وحيدة الخلية مع مرور الوقت تتحول إلى كائنات أكثر تعقيداً، وكذلك العالم البيولوجي تشارلز لايل (1797-1875م) ونظريته حول توحيد الأصول والمبادئ التي تقوم على أن معالم الأرض تكونت على مدى فترة زمنية طويلة ولا زالت تغير سطح الكوكب في الوقت الحالي بنفس الطريقة التي غيرته بها على مر الأزمان، وقد استفاد داروين من هذه النظرية لتدعيم نظريته حول كيفية نشوء الأنواع، ثم جاء فرانسيس غالتون (1822-1911م) الذي صاغ مبادئ أساسية في مجال علم الوراثة وتحسين النسل ومفهوم الطبيعة مقابل التنشئة والعنصرية الوراثة التي تضمنتها مؤلفاته، والعالم غريغور مندل (1822-1884م) والذي قدم نظريته حول نبات البازلاء وصاغ قانوناً في علم الوراثة والتججين، وأخيراً إرنست هيغل (1834-1919م)⁽¹⁾ وهو طبيب وعالم تشريح، وقد قام باكتشاف آلاف الأنواع من الكائنات الحية وهو مكتشف علم البيئة، كما قام بتقديم نظريات وفكر تشارلز داروين في ألمانيا وطور النظرية حول أصل الإنسان، ومن المؤسف أن هيغل قام بتزييف رسوم المراحل الجنينية لتدعيم النظرية التي تقارن تطور الجنين عند عدة طوائف من الحيوانات، فلقد أظهرت تلك الرسوم والصور المزيفة لهيغل أن أجنة الأسماك والإنسان متشابهة، وحين ثبت تزيفه تم اتهامه بأن رسومه غير دقيقة وأنها مزيفة، لكنه أنكر تلك الاتهامات وأكد في رده على أن آخرين من دعاة التطور قاموا بمثل هذا التزييف، والتي أعتقد أنه كان يقصد نظرية داروين والضجة المفتعلة عليها بقصد تقوية الجانب العلمي على الجانب الديني اللاهوتي في ذلك الوقت.

كان من لأهمية الإشارة إلى علم الوراثة في هذا العنوان، إذ سمح هذا العلم اليوم باستقصاء آلية عمل الجينات ومعرفة التسلسل الدقيق للأحماض الأمينية المعرف بالدنا والرنا وهما المادة الوراثية ضمن الصبغيات الموجودة في نواة الخلية وتحتوي ضمنها الدنا الحامل الأساسي للمورثات⁽²⁾.

ومن الآثار والبقايا الأحفورية التي اكتشفت في عددٍ من الأماكن على الأرض مثل أثيوبيا وجورجيا وإنسان جاوة وغيرها، فقد توصل العلماء إلى وجود تشابه بين الإنسان وقرود الشمبانزي في الدنا بنسبة مشتركة تقارب (98%)، وعلى أثر ذلك وحسبما سبق الإشارة إليه فإنه يكون من المسلم به أن أصل الإنسان يرجع إلى أسلافه من القرود على ضوء نظرية التطور والارتقاء في أصل الأنواع التي قال بها تشارلز داروين، فكما قلنا أن هذا القول كان خطأ ولا يمكن أن يكون البشر قد تطور جينياً من فصيلة القرود ومر بمراحل من النمو والارتقاء ووصل لحالته التي هو عليها اليوم الإنسان العاقل وفقاً لبقايا من الجماجم والأجسام المكتشفة في أماكن متفرقة من العالم.

(1) انظر لغة الجينات / ستيفن جونز - ترجمة . أحمد رمو . الطبعة الأولى 2000م

(2) انظر الفصل الثاني - لغة الجينات / ستيفن جونز - ترجمة أحمد رمو الطبعة الأولى 2000 م .

16-2- حقيقة الخلق في القرآن:

والحقيقة التي نفقها من كلام الله سبحانه أن كلاً منهم: البشر، الخلق السلف، مع أنهما خلق مستقل عن الآخر خلقوا على قاعدة واحدة من الخلق المادي كما يفهم من هذا الآية الكريمة التي نكرر الاستشهاد بها بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، (التور: 45)، ومدلول الآية يوضح أن كل دابة خلقت على قاعدة واحدة من الماء، ما يؤكد أن كل الدواب التي تدب على الأرض ذات صفات مشتركة قد تصل لدرجة المماثلة ولكن لا تصل لدرجة المساواة وبين اللفظين (التماثل) و(المساواة) بون شاسع، وإذا فرضنا أنها وصلت لمرحلة التساوي مع القردة أو مع حيوان النسناس أو غيره، فقد يكون هذا التساوي من ناحية التكوين الجيني للخلق الجسدي (المادي) فقط، ومستحيل أن يتساوى من الناحية النفسية أو من ناحية العقل والتفكير والفؤاد واستخدام الحواس.

المعلوم أن تفوق الكائن البشري (الإنسان) على غيره من الكائنات، يعود في الأصل لخلقه من النفس كقاعدة عامة لكل الناس والروح كحالة خاصة ببعض البشر، وتلك كانت حالة التفرد في خلق الإنسان من بين كل المخلوقات الحية في الأرض، ذلك ما أكدته القرآن العظيم فجعل نسل الإنسان مميزاً بشجرة جينية منفصلة، ومن الطبيعي أن تكون تلك المخلوقات من الكائنات الحية الأخرى على قاعدة المماثلة المادية (الجسدية) بالإنسان فذلك شيء طبيعي، وهذا التماثل يعد سبباً رئيسياً في تسخير الكائنات لمنفعة الإنسان في طعامه وشرابه، وقد جاء كلام الله سبحانه في القرآن لتأكيد حقيقة الخلق والتسخير، على أن قاعدة خلق كل الكائنات الحية والدواب على الأرض تعود لأصل واحد في الخلق المادي، ثم جاء خلق الإنسان من الماء منفرداً وجعل منه نسباً وصهراً حسبما يعرف بعلم الوراثة والأنساب الذي خاض فيه داروين وغيره من العلماء جدلاً واسعاً وقد بين الله سبحانه هذه الحقيقة بصدق هذه الآية: فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾، (الفرقان: 54)، كما وزاد التأكيد على أن الله سبحانه حر الإرادة بخلق ما يشاء، وأكد في آية آخر على أن الماء أصل لحياة كل شيء حي بقول الله جلّ في علاه: ﴿... وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾، (الأنبياء: 30)، وآية آخر فيه من التصنيف البديع في الخلق فشملت كل المخلوقات المختلفة كالثمار والجبال (المادة) ومن الناس ومن كل أنواع الدواب والأنعام، فهذا تصنيف عائلي دقيق ويمثل قاعدة لمعرفة الخلق حسبما يطلق عليه اليوم بالخريطة الوراثية، أو الخريطة الجينية، كما في قول الله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ، وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْوَانُهُمْ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾، (فاطر: 27، 28).

وللمزيد من التوضيح حول هذه المخلوقات فقد ورد في كلام الله سبحانه آيات تحدثت من خلالها عن العموم في تصنيف المخلوقات وتقسيمها إلى أمم عائلية أمثال الإنسان والحيوان قَالَ

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾، (الأنعام: 38)، ويعلم من مدلول الآية أن هذه الكائنات الحية التي تدب على الأرض بما فيها أنتم تماثلكم في التكوين المادي وبعض السلوكيات الاجتماعية، وبنفس الوقت لا تتساوى بكم لكون الإنسان لهم ميزة خاصة في الخلق (النفس- الروح) عن بقية المخلوقات المخلوقة معه على قاعد واحدة من التكوين المادي، وهو قولٌ صحيح وحاسم في العلم والجدل المعرفي حول حقيقة أصل خلق البشر، والصفات المشتركة والمتمثلة بينه وغيره من المخلوقات الحية معه ومن قبله مع المخلوقات الموجودة حالياً في الأرض وما سيتخلق من مخلوقات في المستقبل كما سبق الإشارة إليه.

ولإيضاح مدلول المماثلة فقد جاء القرآن بعددٍ من الآيات للتعريف بها على نفس السياق في بعض آيات الذكر الحكيم كالمماثلة بين خلق عيسى وآدم كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، (آل عمران: 59)، ومدلول الآية أن خلق عيسى يتماثل مع خلق آدم، ولكنه لا يتساوى معه لأن آدم أكمل في الخلق، وكذلك المماثلة في أنصبة المواريث بين الذكر وأن تعدد مع نصيب الأنثى قال جلَّ في علاه: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ...﴾، (النساء: 11)، ومدلول الآية أن نصيب الذكر وأن تعدد يماثل نصيب الأنثيين ولا يتساوى بهن، وهذا مثل تقريبي لفهم مدلول المماثلة بالآية، وبذلك يظهر مبدأ المماثلة بين الإنسان وبين تلك الأمم من الكائنات الحية الأخرى في قواعد الخلق وبعض السلوكيات والتي لا تتساوى بالإنسان نهائياً وهو ما يفهم من اللفظ، أما خلاف ذلك فلا يمنع من وجود تطور أو ما يطلق عليه التهجين الوراثي بين عوائل الكائنات الحية الأخرى دون الإنسان والناس كما هو معروف اليوم، والقرآن العظيم أشار لذلك أيضاً في بعض الآيات حول أصل الأنعام مثلاً، إذ يوضح أنها من أصول ثمانية ومع تزاوج هذه الأصول تخلقت أنواع جديدة، قال الله جلَّ في علاه: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلَذَكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْإِنثَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلَذَكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْإِنثَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، (الأنعام: 143، 144)، كما جاء عن خلق الأنعام بصورة منفردة قال جلَّ في علاه: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾، (النحل: 5)، وغيرها من الآيات الكثير في نفس السياق ومدلول تلك الآيات يتحدث عن مبدأ تسخير هذه المخلوقات لمصلحة وحياة كائن حي واحد هو الإنسان، فعندما يأكل الإنسان من لحوم هذه الكائنات الحية المخلوقة معه على قاعدة واحدة فإن جسمه يتقبلها وتدخل ضمن تكوينه، وإذا ما افترضنا أن قاعدة خلق الإنسان كانت مستقلة عن قاعدة خلق الكائنات الحية على الأرض، فمعنى ذلك أنه لن يستطيع الاستفادة من هذه الكائنات الحية بحسب مبدأ التسخير، وسيكون هذا الإنسان مخلوقاً غريباً وشاذاً عن بقية المخلوقات بل سيكون خلقاً مستقلاً لا ينتفع من الكائنات الحية التي حوله بشيء، وبذلك تصبح تلك المخلوقات عديمة النفع والفائدة للبشر وتخرج عن دائرة التسخير.

وقد خلق الله سبحانه وتعالى الأرض والسَّماء، وأوجد فيهما مقومات العيش، وسخر كل ما يرتبط بالأرض من الأشياء لاستمرار مقومات حياة الإنسان فيها، مثل: الشمس والنُّجوم والكواكب والأقمار والغلاف الجوي، والهواء ومياه المحيطات والبحار، والأنهار وغيرها، وسير الرياح، وأنزل الماء وأنبَت به الزرع، والفواكه ومن كل الثمرات مختلف ألوانها وأنواعها، وخلق الله من الحيوانات والطيور، ومن كل دابة آيات مسخرات لمنفعة وحياة البشر، فكان خلق الحيوانات مرتبطاً بخلق البشر، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظِلْمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَىٰ تُصْرَفُونَ﴾، (الزمر: 6)، وفي خلق الأنعام تظهر الآية جانب من قواعد أساسية لخلقهن من ثمانية أزواج (عائلات) ثم يتعددن إلى أنواع شتى بحسب الآية السابقة.

وقد ذكر الله سبحانه آيات الخلق في كثير من سور الذكر الحكيم، فكانت الأرض مكاناً مهياً لحياة الإنسان، بقوله جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿قُلْ أَنْتُمْ لَكُمْ تَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَفْوَاطَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِينِ، ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْنِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ، فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾، (فصلت: 9، 10، 11، 12)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، (الأعراف: 54)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾، (إبراهيم: 32)، وَقَالَ سُبحَانَهُ: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً ثَلْبُسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، (النحل: 14)، وَقَالَ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، (الجنات: 13)، وَقَالَ اللَّهُ سُبحَانَهُ: ﴿يُنَبِّئُ لَكُمْ بِه الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، (النحل: 11). هذه بعض من آيات القرآن المبين (كلام الله) عن خلق الأرض والسما، من أجل أن تكون مسخرة لحياة الإنسان على الأرض.

وقد ذكر ذلك التسخير عن عددٍ من الكائنات الحية مثل الحيوانات المدجنة والوحوش والسباع التي ذكرت في صورة مستقلة قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿... وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ....﴾، (المائدة: 3)، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾، (التكوير: 5)، وذكر بعض الحيوانات المدجنة قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، (النحل: 8)، وذكر الطيور قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمَسْكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، (النحل: 79) وآية آخر قَالَ جَلَّ

في غلّاه: ﴿وَلَحْمَ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾، (الواقعة: 21)، ومن الحشرات ذكر النحل والذباب والبعوض قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾، (النحل: 68)، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا...﴾، (الحج: 73)، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غلّاه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا...﴾، (البقرة: 26) وذكر العنكبوت قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ...﴾، (العنكبوت: 41)، وغيرها من الدواب التي كان أساس خلقها من الماء، وهو القاسم المشترك في الخلق مع كل الكائنات الحية بما فيه البشر.

ومن الملاحظ أن آيات القرآن جاءت بقواعد عامة في كثير من الأشياء ومنها قواعد علم الوراثة لكل الكائنات الحية ابتداءً بالخلية الحية وجميع أنواع الحيوانات والنبات والطيور وكل ما يدب في الأرض وحتى تلك المخلوقات التي خلقها الله سبحانه وذكرها صراحةً وضمناً كالفيروسات وما سيكتشفه العلم مستقبلاً خلافاً لقاعدة الخلق الأساسية والتي قد تكون محل جدل علمي وديني في المستقبل، بحسب مبدأ الكينونة في الخلق بقوله: (ويخلق ما لا تعلمون)، أو (ويخلق ما يشاء).

17-1 مراحل عصر الخلق والكمال البشري:

جاء وصف عصر خلق البشر في القرآن الكريم، بعصر الخلق والكمال، وهو أبها عصر وجد فيه على كوكب سمأه الله سبحانه وتعالى، جنة عدن حسبما يفقه ويدكر من مضامين كثيرة من كلام الله سبحانه في آيات القرآن المبين المفصل والميسر للذكر والإيثار، وهذا الكوكب (جنة عدن) ذكره الله سبحانه وتعالى في كثير من آيات القرآن – كلام الله سبحانه وبأوصاف بديعة تفوق الخيال، فكانت جنة عدن حقيقة مادية موجودة في مكان ما من السماء والكون الشاسع الكبير، ومن أوصاف هذا الكوكب أنه عريض كعرض السماء والأرض وهاتين الآيتين من القرآن، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: 133)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (الحديد: 21)، وهذه الجنة لا تصل إليه أشعة الشمس وكذلك مضمون هذا الآية، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غلّاه: ﴿مُتَكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ الإنسان (13)، وهذا الكوكب (جنة عدن) فيه من جميع مقومات الحياة والعيش وبنفس خصائص ومواصفات الأرض بل ويفوقها كثيراً وهذا الوصف البليغ للأشياء في جنة عدن خير دليل على ما جاء به القرآن الكريم في هذه الآية: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ محمد (15)، وآية آخر قَالَ جَلَّ فِي غلّاه: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا

تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ) الرعد (35)، ويؤكد القرآن الكريم على موقع كوكب (جنة عدن)، في مكان معين من السماء، كما أن المائدة المنزلة على عيسى عليه السلام وحواريه كانت من نفس هذا المكان من جنة عدن بفعل السببية والإرادة والمشية، وترجم هذا الفعل في معنى الآية من القرآن الكريم، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ) (المائدة: 14، 15)، وفي جنة عدن بدأ خلق الإنسان عبر أطوار متعددة أو سلسلة من التحضيرات العلمية والعملية حسب أمر الكينونة والمشية خلافاً لتقولات العهد القديم التي جاءت تقولات خاطئة وفيها من الخرافة عن كيفية خلق الإنسان بما يتشابه مع الاساطير في الفكر البابلي فكانت نصوص تورااة العبرانيين متناقضة مع بعضها البعض وتصف خلق الإنسان على الأرض ولم تتطرق لهبوط آدم وذريته من كوكب جنة عدن إلى الأرض ويتضح ذلك للقارئ من خلال القراءة العادية والتي ننسخ بعض منها حسبما جاء مرتباً بالنص من سفر التكوين وقد سبق الإشارة إليه سابقاً.

فكانت تلك النصوص وهي تتحدث عن بداية الخلق من تورااة العبرانيين والتي تدعو للسخرية والخرافة من عدة نواحي، والحقيقة أن تلك النصوص تتصادم مع العقل وتتناقض مع حقائق العلم والبحوث العلمية والفطرة السليمة في الخلق، وتنفي وجود حياة سابقة على حياة البشر، ومن المعلوم أن الحقائق والبحوث العلمية والتنقيب عن الآثار التي اكتشفت خلال القرنين الماضيين، قد نسفت تلك الإدعاءات في تورااة العبرانيين في النصوص سالفة الذكر، والتي كانت محل نقد وجدل وقد أبطلتها وغيرها من التنبؤات والأدعاءات للاديان الأخرى عبر عددٍ من البحوث العلمية والنظريات العلمية أبرزها نظرية تشارلز داروين وغيرها حول وجود بقايا مخلوقات أقدم من الإنسان من خلال البحوث والتنقيب، كما أثبت مؤخراً ومن خلال البحوث الجيولوجيا أن عمر الأرض يفوق عمر الإنسان بملايين السنين، وأخيراً جاءت نظرية ستيفن هوجن حول خلق السماء وسعة حجمها وتمدده العظيم، وكل بحوث هاؤلاء العلماء وغيرهم الذين أبطلوا نصوص تورااة العبرانيين سالفة الذكر وغيره من كتب عقائد الأديان الأخرى (الصابئة – الزرادشت)، وعن إرادة ومشية الله سبحانه في كيفية خلق الإنسان الذي بيّن القرآن الكريم خطوات وطرق وأطوار متعددة في الخلق والتكوين المادي للبشر وصولاً للعيش في كوكب جنة عدن في مكان ما في السماء والكون الواسع العظيم والذي لم يعرف حتى اليوم في احد زاوية يكون في هذه السماء الشاسعة، وهو ما اطلق عليه أنا (بعصر الخلق والكمال البشري) المتوج بما علم الله سبحانه آدم وزوجه من أسماء كليات العلوم، حسبما أشار إليه القرآن العظيم في آيات كثيرة، على اعتبار أن كل آية قاعدة علمية تستحق بحثاً علمياً متكاملًا، غير أنني اكتفي بسرد الآية الدالة على مراحل خلق الإنسان بذلك العصر، تاركاً للقارئ الكريم إستذكارها بعقل وقلب سليم خشية الإطالة من خلال العنوان بالآتي:

1-17-1 خلق الإنسان من الماء في جنة عدن:

لقد جاء القرآن ببيان خلق الإنسان من الماء المتعدد التكوين والخواص، فكان الماء قاعدة لخلق كل الأحياء وقد سبق الاستدلال بذلك غير أننا نعيده للفائدة والتأكيد على بيان أصل قاعدة الخلق لكل الدواب والكائنات الحية التي تدب على الأرض وننسخ الآيات بالآتي:

- قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ النور (45).
- ثم تفرع من هذه القاعدة قاعدة (عائلة خاص ومنفردة بالبشر) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾، (الفرقان: 54).
- ثم وصف هذا الماء بعدد من الأوصاف والخصائص التكوينية فَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ثُمَّ جَعَلْ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾، (السجدة: 8).
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ (المرسلات: 20).
- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾، (الطارق: 6).
- وجعل من الماء قاعدة لحياة كل شيء قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿... وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾، (الأنبياء: 30).

1-17-2 خلق الإنسان من التراب في جنة عدن:

ثم جاء القرآن ببيان خلق الإنسان من التراب حسب هذه الآيات:

- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ....﴾، (الحج: 5).
- وَقَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾، (الرّوم: 20).
- وَقَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ.....﴾ (فاطر: 11).
- وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ....﴾ (غافر: 67).
- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (آل عمران: 59).
- وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾، (طه: 55).

17-1-3 خلق الإنسان من الطين والطين اللزب في جنة عدن:

ثم جاء القرآن ببيان خلق الإنسان من الطين كمرحلة ثانية من طور التكوين المادي حسب الآيات بالآتي:

- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ (المؤمنون: 12).
- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ...﴾ (الأنعام: 2).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾، (السجدة: 7).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾، (الصافات: 11).
- قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾، (ص: 71).

17-1-4 خلق الإنسان من صلصال في جنة عدن:

ثم جاء القرآن ببيان خلق الإنسان من صلصال وهذه مرحلة أخرى من الخلق المادي حسب الآيات:

- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ (الرحمن: 14).
- وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾، (الحجر: 26).
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾، (الحجر: 28).
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾، (الحجر: 33).

17-1-5 نفخ الروح أو إلقاء الروح والنفس في جنة عدن:

بعد أن هيأ الله - سبحانه وتعالى - الشكل والهيئة الخارجية بجميع مراحلها المادية السابقة لهذا المخلوق البشري المتدرج بخلقه من نوع خاص "سلالة" من الماء ثم التراب، ثم من طين وطين لازب ثم من صلصال كالفخار، مسنون الشكل حتى أصبح شيئاً مادياً معيناً ومصوراً بذاته، فأحسن الخالق خلق صنعته لهذا المخلوق، فجاء أحسن الخلق من مادة معروفة ومنصورة ومحسوسة، ثم جاءت المرحلة الأخيرة، وهي نفخ أو إلقاء الروح من قبل الله في الشيء المادي الصلصال المسنون (الجسم) المهيأ ليكون من البشر بفعل كينونة الأمر (كن فيكون) فكان آدم وزوجه - وبفعل الأمر بكينونته فصار هذا الخلق المنفرد بأمر الخالق الصانع المنفرد بأسرار هذه الصنعة من النفس والروح، وبهما صار لهذا المخلوق البشري حق الحركة والانفعال والتعقل والتفكير والنطق والشعور والإحساس، وتفرد الصانع بسر خلق الروح

والنفس بخلق آدم وزوجه، ثم علّمه الله سبحانه من علوم كليات الأسماء بمعنى قواعد علوم المادة وما يتصل بها في حدود معينة حسبما جاء في كلام الله سبحانه، فكان علّمه وخلقه من النفس والروح المحركة الفاعلة المنفعلة العاقل المتفكر هما القيمة الأسمى والميزة الأعلى لهذا المخلوق في أساس خلوقيته عن بقية المخلوقات الأخرى المشترك معها على قاعدة واحدة (الماء) من الخلق الجسدي المادي، ومع ذلك فقد أخضعه الله للاختبار، من أجل أن يكون مستعداً لخوض تجربة الحياة والاستخلاف للخلق السلف على الأرض، ولنترك القرآن الكريم - كلام الله سبحانه يصور لنا هذه المواقف:

• قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾، (الحجر: 29)

• وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِي وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾، (السجدة: 9).

• وبعد أن أكمل الخالق خلق هذا المخلوق البشري (آدم وزوجه)، ظهرت له أول معارضة من مخلوق آخر في جنة عدن، حسبما بيّنته آيات القرآن المبين، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾، (ص: 75).

• فكانت المعارضة، بسبب التعالي والتكبر على المخلوق (آدم وزوجه)، بحسب قول الله - سبحانه وتعالى -: ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لِسَجْدٍ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾، (الحجر: 33).

• وَقَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾، (ص: 76).

ومن أجل إثراء هذا الموضوع سوف أسرد لكم بعضاً من المشاهد التي وردت في آيات القرآن حول أطوار خلق الإنسان بصورة تغني عن كثير من التفاصيل لمن كان مذكر البصيرة بالآتي:

1-17-6 المشهد القرآني من سورة البقرة في خلق آدم وزوجه:

يقول الله جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، (البقرة: 30) فإن قول الملائكة هنا ليس للمعارضة، وإنما هو للإفصاح بعلمهم عن واقع الحال بما عليه حال الحياة الدنيا على كوكب الأرض من فساد وسفك للدماء من أمم أخرى كانت محل نظر الملائكة، وعلمهم بها، ثم جاء الرد سريعاً وبقولٍ فصلٍ من الله - جل جلاله: ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وتمضي إرادة الله في خلق خليفة فكان خلق آدم وزوجه حسبما سبق في تفاصيل خلوقيتهما بجنة عدن، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، (البقرة: 31)، فكان ردُّ

الملائكة بالعجز وعدم العلم، قَالَ تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾، (البقرة: 32). وهنا تأتي حكمة الله تعالى في المخلوق الخلف من البشر، الذي مُيز بالروح والروح وزاده العلم والمعرفة كمقياس لقيمته كمخلوق عن جميع الخلق الآخر، قَالَ الله تعالى: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ، وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾، (البقرة: 33، 34) فالسجود هنا ليس سجود عبادة، وإنما سجود تحية؛ لما يحمل هذا المخلوق من الروح والنفس، والعلم والمعرفة المودعة في عقله وفيه أسرار العلم بالأسماء كلها بعموميتها وتفصيلها، وهو قريب الشبه اليوم بذاكرة الكمبيوترات (السيرفر) الضخمة، وما يخزن فيها من المعلومات لمختلف العلوم، أضف إلى أن الله ميّزه بخاصية العقل والتعلل والفكر والتفكير، وهي خاصية فريدة لم ينلها أحد في الوجود من بين المخلوقات، وبهذه الميزة جعل الله من آدم وزوجه مخلوقين مميزين، فكان لهذا المخلوق حق العقل والتعلل والفكر والتفكير والإدراك وحق الاختيار وحق تقرير مصير حياته، ما جعله منفرداً عن خلق الملائكة، والذين اتسمت طبيعته خلقهم بالطاعة التامة دون اختيار، فكان آدم وزوجه نموذجاً من الخلق البشري كامل التكوين المادي الجسدي والنفسي حسب خصائص منفردة عن غيرهما من المخلوقات.

17-7- المشهد القرآني من سورة الأعراف:

قَالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ، قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ، قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ، قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ، قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ، قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ، ثُمَّ لَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ، قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْهُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ، وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ، فَوسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ، وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ، فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفَفَا بِخِصْفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ، قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ، قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ، قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ، يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ، يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمُ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ، يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمُ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا

لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ، (الأعراف: 11، 12، 13، 14، 15، 16، 17، 18، 19، 20، 21، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 28).

ولننظر بامعانٍ وتدقيقٍ لشخصٍ هذا المشهد التصويري الرائع، والذي لا يحتاج إلى الكثير من الشرح والتوضيح؛ لما فيه من الألفاظ الجميلة سهلة الفهم، والإدكار من الآية (11)، وحتى الآية (27) من سورة الأعراف، ومن أجل تسهيل الفهم للقارئ سوف أخصُ أهم المشاهد والأحداث الواردة بهذه الآيات المباركة وأوجزها مختصرةً في نقاطٍ محددةٍ لتسهيل القراءة والفهم (الفقه) حول حقيقة خلق الإنسان (آدم وزوجه) من زاوية فلسفة آيات الخلق:

- خلق آدم وزوجه كان نموذجاً من الإنسان كامل التكوين في الشكل والمضمون.
- انفراد آدم وزوجه بنفخ الروح وخلقهما من نفس، وزادهم بالعلم والعقل المتحكم المنفعل.
- بيان فعل أساس الخلق والتصوير لآدم وزوجه وهما خلق واحد ثم جاء بفعل التمييز فجعل منهما (ذكرا وانثى).
- أمرُ الله للملائكة بالسجود تحيةً لما يحمل آدم من العلم بأسماء كليات الأشياء.
- تمنع إبليس عن السجود، معلناً تعاليه عن خلق آدم واستصغار لمادة خلق آدم وزوجه.
- عصيان إبليس عن أمر السجود لتكبره بحجة خيرية خلقه من نار وتسفيه خلق آدم من طين.
- طرد إبليس من جنة عدن؛ وإصغاره عقاباً لتكبره على خلق الله تعالى، فكان أول من طرد منفرداً من الجنة ومن حضرة الوجود.
- طلب إبليس من الله أن يكون مُنظراً إلى يوم يبعثون، بمعنى أنه سيحيى حياةً بلا موت، إلى يوم البعث، وليس إلى يوم القيامة، وقد منحه الله سبحانه هذا الطلب لحكمة.
- تأكيد إبليس أن فعل عصيانه لم يكن عن إرادته الحرة، وإنما بفعل المشيئة والسببية من قبل الله سبحانه.
- أقسم إبليس بفعل المشيئة الإلهية التي فرضت عليه وبفعل إغوائه لحكمة اقتضاها الله تعالى، أنه سيقعد لآدم وذريته على الصراط المستقيم.
- والصراط المستقيم هو كل كلام الله الذي يقتضي إنفاذ الأوامر، والنواهي على نحوٍ تؤدي لتوحيد الله سبحانه وعبادته، والتقرب له بالأعمال الصالحة بين الناس، وفعل الفضيلة المتمثل في حرية الفكر والمعتقد وإقامة العدل والمساواة وكل قيم الخير دون تمييز في الدين واللون والجنس، وترك المنكرات والمحرمات، وتأدية الشعائر التعبدية من صلاةٍ وزكاةٍ وصيامٍ وحجٍ وغيرها.
- أوضح إبليس طريقه وأساليبه الخبيثة بتوَعُّده بأن سوف يأتي بفعل المعصية والخطيئة والغواية لبني آدم في تفكيرهم وعقائدهم من بين أيديهم ومن خلفهم وسيقعد لهم على الصراط المستقيم.

- إخراج إبليس مذموماً مدحوراً ملعوناً من قبل الله، ووعد الله له ولمن تبعه من ذرية آدم جهنم خالداً فيها.
- أمر الله سبحانه لآدم وزوجه بالإسكان والأكل من كل شيء رغداً في جنة عدن، فكان هذا الأمر بداية عصر الخلق والكمال البشري في كوكب جنة عدن في مكان ما من السماء خارج الحياة الدنيا على الأرض.
- الوسوسة من إبليس، وهو أول فعل غواية تجاه فكر وتفكير آدم؛ لكي يأكلا من الشجرة المنهي عنها ليبيدي لهما سوءاتهما، والسوء هنا ليس العورة، بل يقصد بها العمل السيئ المخالف والمعاكس لأمر الله سبحانه.
- أقسم إبليس كاذباً بأنه لهما من الناصحين، ووعد لهما بالخلود كالملائكة.
- وقوع آدم وزوجه في معصية المخالفة لتعاليم الله – سبحانه وتعالى - بالأكل من الشجرة المنهي عنها بأمر الله.
- نداء وعتاب الله لآدم وزوجه عن عصيانهما لأمره – سبحانه - وتأكيده لهما بأن الشيطان لهما عدو مبين.
- اعتراف آدم بخطيئة الأكل من الشجرة، ودعاء الله تعالى بأن يغفر لهما ويرحمهما.
- آدم والمعصية والغواية والتي كانت السبب الرئيس في نسيانه للعلم.
- إهباط آدم وزوجه وذريته وهم مجموعة من البشر تناسلوا في كوكب جنة عدن في عصر الخلق والكمال وحياة الرغد في الجنة وكان إهباطهم جميعاً إلى كوكب الأرض.
- وبهذا بدأ عصر جديد من الحياة نطلق عليه بعصر الهبوط والاستقرار على الأرض.
- كوكب الأرض مكان مؤقت للحياة الدنياء لآدم وزوجه وذريته من الإنسان.
- جعلت الحياة الدنياء على الأرض مؤقتة ومتاعاً إلى حين، - لوقتٍ محدّد.
- جعلت دورة الحياة الدنياء على الأرض ففيها يحيون، وفيها يموتون، ومنها يخرجون تارة أخرى.
- ثم يعودون إلى جنة عدن بمراتبها وأنواعها أو إلى النار بمراتبها وأنواعها.
- وصية الله لبني لآدم (ذريته) بأن الشيطان لكم عدو، فقد أخرج أبويكم من الجنة، ونزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما.
- واللباس غير الثياب، فاللباس يقصد به التقوى، كما قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتَكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ﴾، (الأعراف: 26).
- إفصاح الله عن خاصية الشيطان وقبيله من أنهم يرون الإنسان من حيث لا يستطيع الإنسان رؤيتهم.

وأمام هذا كله فإن القول بأن الإنسان خلق بفعل الطبيعة عملاً بنظرية داروين ابتداءً من خلية حية ثم كائن حي من الحيوانات ثم من فصيلة القروود أو من غيره، ثم كائن حي عاقل الإنسان الحالي، وأطلق عليه الحيوان الناطق، أو الحيوان العاقل، حسب نظرية تشارلز

داروين لهو قولٌ يبعث على السخرية والسفسطة الغير منطقية كمثل الخرافات والخزعات والاساطير القديمة حول الخلق في العصر البابلي والعصر اليوناني أو ما جاء في العقيدة العبرية من الخرافات والتناقضات حول خلق آدم وزوجه حسبما سبق بيانه، فذلك القول من الأولين وهذا القول من المتأخرين قد ضلوا وأضلوا على علم واتخذوا من الاجتهادات العلمية مصدراً للغواية والتعالي، فكان منهم من غيبت عنه الحقائق والتنبؤات القرآنية من كلام الله سبحانه حول الخلق، والذي أكد الخالق فيه على قاعدة الخلق الواحدة لكل الكائنات الحية التي تدب على الأرض بحسب تنوع أجناسها في آية بديعة الوصف قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ النور (45) حسبما سبق ذكرها ونعيدها للفائدة والتأكيد، ومنهم من تنطبق عليهم وصف هذه الآية، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، (الجاتية: 23)، فذهب يجادل في قواعد الخلق من دون علم بآيات الخالق بالقرآن كلام الله سبحانه المفصل والمبين لكيفية خلق الإنسان وكل الخلائق في الكون.

18-1 عصر الهبوط إلى الأرض وبدء الحياة والاستقرار:

جاء القرآن الكريم بتفاصيل هذا العصر وفي عدد من الآيات بقصد التعريف بسيرة حياة الإنسان على كوكب الأرض بعد هبوطهم من كوكب آخر (جنة عدن) وهو ما يفهم من الآيات السابقة، وهذه الآية التي تؤكد على أن البشر خلقوا من مادة الأرض، حسب أمر الكينونة، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ طه (55)، أما عن مكان ومراحل خلقهم فكان في كوكب جنة عدن خارج الأرض، وهذا الكوكب من أجرام السماء ومعلوم من القرآن العظيم أن السماء وما تحوي من كواكب ونجوم ذات أصل واحد في التكوين قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ الأنبياء (30)، ولكوكب جنة عدن نفس ميزات وخصائص الحياة على الأرض، بل وتتفوق على الأرض بوصف بديع ذكر في كثير من آيات الذكر الحكيم، تم تدوينها في عنوان مستقل من الجزء الثاني في وصف الجنة ودرجاتها، فلم يكن خلق آدم وزوجه في كوكب الأرض بمراحله الأولى حسب ما يتوقع البعض، وهذه حقيقة نطق بها القرآن صراحةً، كما في آيات القرآن التي تصف مراحل وأطوار خلق آدم وزوجه وعيشه في الجنة كما سبق بيانه، حيث أهبطوا، من كوكب جنة عدن وهم أحياء بفعل المشيئة والسببية إلى كوكب الأرض، قَالَ جَلَّ فِي غَلَاة: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ البقرة (38). وسوف نسرد الآيات الدالة على ذلك والتي تصف هذه المراحل مع بيان الأسباب وشخص الحدث حسب آيات القرآن المبين والمفصلة في الآتي:

1-18-1 طرد إبليس وهبوطه من كوكب جنة عدن:

لقد عرض الله جلّ جلاله هذا الحديث بجلاء يغني عن الشرح في الذكر الحكيم القرآن الكريم في الآية: ﴿قَالَ فَأَهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ الأعراف (13)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْهُورًا لِمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الأعراف (18)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عِلَّاهُ: ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ الحجر (34)، وما بين طرد إبليس من الجنة وبقي آدم وزوجه في كوكب جنة عدن زمن لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى.

1-18-2 هبوط آدم من كوكب جنة عدن للأرض:

أمّا عن هبوط آدم للأرض فقد جاء القرآن بعدد من الآيات التي توضح حالة الهبوط لآدم وزوجه وذريته الغير محددة العدد، فقد يكونوا آلافاً أو أقل أو أكثر وهو ما يفقه من آيات القرآن العظيم بالقول (اهبطوا، جميعاً) حسبما سيأتي ذكره لاحقاً، والهبوط هو عمل يفهم منه النزول من مكان عالٍ إلى مكان منخفض في الأرض نفسها، أو قد يكون من مكان ما في السماء إلى مكان ما في الأرض، أو من مكان لآخر حسب الإرادة والمشئنة والقدرة الإلهية وعامل السببية، أما عن كيفية الهبوط، فذلك أمر خارق من العلم الذي بدأ اليوم يتكشف أسبابه عبر البحوث العلمية، وخوارق العلم في القرآن كثيرة، وهي مدعى للبحث العلمي والتأمل العقلي، خاصة وقد بدأ الإنسان محاكاته اليوم عبر المركبات الفضائية التي تطلق إلى السماء، وعن الهبوط فقد اوضحت آيات القرآن ذكر الهبوط بصورة صريحة في أكثر من آية: قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَإَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ البقرة (36)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ الأعراف (24)، ومن هنا نفقه من الآيتين لفظ (اهبطوا) بمعنى النزول من السماء إلى الأرض، وأخيراً جاءت في عدد من الآيات توضح حالة الهبوط بصيغ الجمع وهو من ألفاظ العموم الوارد في هذه الآية، فقد يكون الهبوط الجماعي لأعداد كبيرة من البشر يصل تعدادهم لمجتمع متكامل من الأسر المتعددة حسب ما بيناه سابقاً: وقد كرر كلمة (حين) مرتين في الآيتين السابقتين، وهذه الكلمة يفهم منها تحديد توقيت زمني محدد، بمعنى أن الأرض مكان للعيش المؤقت، ومن ثمة يلزم العودة للمكان الأساس، وهو كوكب جنة عدن، كما يتأكد ذلك من مضمون هذه الآية الصريح الذي وصف كوكب جنة عدن بدار الآخرة أو دار القرار والاستقرار أو دار الخلد في كثير من آيات الذكر الحكيم منها، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ العنكبوت (64) وآية آخر أكثر دقة ووضوح قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ غافر (39)، وآية أخرى تصف كوكب جنة عدن بدار الخلد والبقاء الأبدى قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ أَدُلُّكُمْ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾ الفرقان (15)، وأخيراً فقد جاءت عدد من الآيات توضح حالة الهبوط بصيغ الجمع لتضعنا أمام احتمالين، إما أن يكون العدد الذي هبط من كوكب جنة عدن ثلاثة وهم آدم وزوجه وإبليس، وهو احتمال ضعيف لسبق طرد إبليس من

الجنة حسب ما جاء في عدد من الآيات السابقة، والاحتمال الأقوى هو هبوط آدم وزوجه وعدد من ذريته وهو المرجح من لفظ العموم الوارد في هذه الآية: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ البقرة (38)، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ طه (123)، وعقب الهبوط بدأ البشر بالحياة على الأرض آدم وزوجه وذريته التي أهبطت معه، متحلين بالعلم بكليات علوم الأسماء من بعد العصيان الذي ولّد النسيان والغواية ومع ذلك بقي الإنسان على العلم والمعرفة المتصلة بعلم الأشياء الموجودة على الأرض، ذلك أن الأشياء الموجودة في الأرض تتماثل ولا تتساوى مع الأشياء الموجودة في كوكب جنة عدن، غير أن الأشياء في كوكب جنة عدن مثالية بل وتتفوق على كل الأشياء والموجودات على الأرض حسب ما سبق بيانه ونعيده مرة أخرى للفائدة، وسوف آتي بمثل من القرآن العظيم – كلام الله الذي يزيد الأمر وضوحاً قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ محمد (15)، ولا محل للمقابلة بين الأشياء على الأرض وتلك في جنة عدن، من كون مياه الأنهار تحتاج لتنقية، واللبن في الأرض يتغير طعمه خلال ساعات، وخمر الدنيا يشرب بطعم لاذع بسبب تركيز الكحول فيه، وعسل النحل يحتاج لتصفيته بفصل العسل عن الشمع، ومثل آخر بآية أخرى قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ الرعد (35)، ومن عصور الخلق والكمال وعصر الهبوط والاستقرار على الأرض، وتوسع الإنسان في مجتمعات بشرية / أسرة / قبيلة / شعب / وظهور الملكية، ظهر التنافس والنزاع وظهرت معه الجريمة ثم الحرب والحروب، وبسبب الحروب انحسر العلم وانحسر معه تفكير الإنسان فظهر الجهل والفقر، وتششت المجتمعات الإنسانية إلى كتونات صغيرة مختلفة متنازعة ومهجورة ومنفصلة عن بعضها البعض، وما زال بعضها أو ما شابهها قائم على هذا الحال حتى أيامنا هذه، كتلك المجتمعات الأسرية القبلية الصغيرة في أدغال الأمازون، وأدغال أفريقيا، وبعض جزر اندونيسيا، ما نتج عن تلك الأسباب تراجع البشر من عصور الخلق والكمال إلى عصور الانحطاط، فظهر العصر الحجري والعصر البرونزي وعصر الانتقاط وعصر الرعي والزراعة، وها هو اليوم يقترب من عصر الكمال بالتطور والبحوث العلمية الهائلة بمختلف مجالات الحياة، ومعلوم أن أطوار حياة الإنسان بين مد وجزر ألا أن النزاعات والحروب كانت هي العامل المثبط للوصول لمشارف عصر الكمال العلمي المنشود، أما عن بقية أوصاف ومكونات كوكب جنة عدن فأنتني أحيل القارئ إلى الفصل الخاص في الجزء الثاني من هذا المؤلف لمزيد من الأيضاح.

19-1 إبراهيم والجدل الفلسفي:

لقد كان سيدنا إبراهيم أول من تساءل وجادل من الناس في العلم والمعرفة بذات الله سبحانه وتعالى، فقد خاض مرحلة من التأمل العقلي والجدل المعرفي، عن الإله الخالق المتحكم في هذا الكون، عبر التفكير في السماء، وما فيها من كواكب وشمس وقمر، ثم استمر في الجدل والتأمل عن كيفية خلق المخلوقات (فلسفة المادة)، ثم انتقل لمرحلة الشك من أجل تأكيد الحقيقة، وواجه مصاعب جمة بلغت حد إلقاءه في النار بتهمة التجديف بآلهة قومه، ثم جاء من بعده أقوام آخرون وفي عصور متعاقبة ساروا على منهج التفكير والجدل وأطلق عليه بعلم الفلسفة، هذا العلم الذي يبحث في حقيقة ماهية الأشياء والموجودات الحسية في الوجود، وصولاً إلى المعرفة المطلقة بالمحسوس وغير المحسوس من الأشياء من حولنا، حيث بدأ إبراهيم وهو فتى يافعاً بالبحث والتفكير عن حقيقة الخالق، بدءاً من التساؤل في آلهة أبيه وقومه، الذين كانوا يعبدونها من دون الله سبحانه، وهي عبارة عن تماثيل تصنع من الحجارة والأخشاب وغيرها من الصورة المادية، فتكونت لديه حالة من عدم الرضا، وعدم الإيمان بهذه الآلهة (الأصنام)، التي ينحتونها بأيديهم، ثم ينصبونها للعبادة، ذلك لم يتوافق مع عقل وفكر ذلك الفتى، الذي رفض التسليم والإيمان بهذه الآلهة المادية، إذ إنَّها بنظره لا تملك القدرة على الإحساس والشعور ولا تضر ولا تنفع، ومن هذه النقطة بدأ يحاور أباه وقومه حول الآلهة التي يعكفون على عبادتها، ولندع القرآن الكريم يصف هذا المشهد بعد أن يجلبه لنا من أعماق التاريخ الإنساني، إذ يصف هذا الفعل بالضلال الواضح والمبين.

وهو ما يتعارض مع الفطرة السليمة لمن كان له عقل وقلب يفقه به ويدكر الحق.

وأثناء هذا البحث والتساؤلات الفكرية من سيدنا إبراهيم عليه السلام، أراه الله - سبحانه وتعالى - من ملكوت السماوات والأرض؛ ليزداد يقيناً وتأكيداً على صحة استنتاجاته العقلية بحقيقة البحث عن الإله، والرؤية المقصودة هنا، وهي تلك الرؤية المجردة بالعين للشيء مباشرة، دون استخدام وسائط، أو أدوات أو أجهزة فيزيائية، فإريه كوكباً محلقاً في الفضاء، خارج الغلاف الجوي من المكان المقيم فيه (الأرض)، في وقت الظلام الدامس بعد أن جنَّ عليه الليل، بمعنى خيمَ وأدْلَجَ الليل على المكان، ثم رؤية أخرى، وفي حادثٍ منفصلٍ يريه القمر بازغاً واضحاً في كبد السماء، ثم في حادثٍ آخر منفصلٍ يريه الشمس بازغة، وهكذا كان التدرُّج المعرفي لسيدنا إبراهيم، الذي بدأ بالتفكير والسؤال، ثم بالتأمل والبحث في المخلوقات وصولاً لمعرفة الخالق، فلم يزداد إلا يقيناً بأنَّ هذه المخلوقات الضخمة في ملكوت السماوات والأرض ما هي إلا علاماتٌ شاهدةٌ على أنَّ هناك قوةً وقدرةً تتحكَّمان بها وتسيطران عليها، وأن خالق القوة والقدرة هو الله - سبحانه وتعالى -، وهو الخالق القدير، لذلك أعلن براءته من فعل أبيه وقومه في عبادة الأصنام المنحوتة، وأعلن توجُّهه نحو الله الذي فطر السماوات والأرض، ونحو مزيدٍ من البحث عن هذا الإله العظيم وهو (الله) الذي لا يتمثل بالمادة، ولا يحاط به علم، ولندع كلام الله في سورة الأنعام يصف لنا هذا المشهد، قال سبحانه وتعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ، وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ، فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ

كَوَكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ، فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ، فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ، إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ، وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ، (الأنعام: 74، 75، 76، 77، 78، 79، 80، 81، 82).

ثم نأتي لمشهد آخر أكثر جاذبية؛ بما فيه من المحاكاة الدرامية القوية، والمؤثرة بين طرفين، الأول قوم إبراهيم وأبيه ويمثلون المادية الحسية، وإبراهيم بما تيقن له من عقيدة إيمانية راسخة بوجود إله له من الصفات المطلقة والمثالية وغير مادي وغير محسوس، وهو ما صرح به في التعريف بالإله الذي فطر السماوات والأرض، وزاد تأكيده على ذلك أنه شاهد جزءاً من هذه المخلوقات ضمن سنة التكوين المادي المرئي بعين إبراهيم ومشاهدته المباشرة، فتكونت فجوة كبيرة بين إيمان ويقين إبراهيم وبين قناعات أبيه وقومه المشدودين فكرياً للإيمان بالمادة المحسوسة ودين التراث التقليدي المجرد، وهنا برز الصراع العقلي جلياً بين فكرين، أو إن شئت قلت: بين الحقيقة، التي يمثلها إبراهيم الذي أدرك أن هناك ارتباطاً بين المادة وحركتها، وعلم بحقيقة طغيان المادة على العقل، والفكر وهو ما كان سائداً لدى أبيه وقومه، ومن أجل كشف الحقيقة، وإعادة تموضع المادة لمكانها الحقيقي، ووضع العقل والفكر في مكانه الحقيقي من حيث المكانة والسمو، فكان فعل سيدنا إبراهيم المادي لقيامه بتدمير الأصنام، ليس للانتقام منها، وإنما كان هدفه بدرجة رئيسية هو كشف عور الاعتقاد المادي بالمحسوس كآلة، وإخراج العقل من بين ركام المادة التي ليس لها القدرة على الانفعال والإحساس، فكانت النتيجة أن جعلهم جُذاذاً، وهو وصفٌ بليغٌ للحالة التي آلت إليه حقيقة المادة (الأصنام) بفعله المدمر لها، واستثنى كبيرهم؛ لإكمال مشهد المحاكاة التراجيدي لأبيه وقومه، في ثنائية حوارية رائعة بينه وبين أنصار المادة آلهة أبيه وقومه وما حلَّ بها من دمار، بعد أن أتوا به على جمعٍ غفيرٍ من الناس، وفي محض الإجابة على سؤالهم – من فعل هذا؟ إذ عمد بحيلة ذكية بأحال الإجابة على المادة ذاتها (كبير الأصنام) فأزيح ستار الزيف والخداع، وظهرت الحقيقة في مشهد تصويري درامي بديع، وفيه من التشويق أكثر، ليشد الانتباه لتقبل الحقيقة الصادمة، ولعل سيدنا إبراهيم أراد بتقديري مواجهة هذا الموقف عن طريق العلاج بالصدمة حسب ما يصنف بعلم النفس، بعد أن حاور أبيه وقومه بالحكمة والموعظة الحسنة، حسب منهج الدعوة الذي رسمه الله - سبحانه وتعالى، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾، (النحل: 125). وإزاء هذا الردِّ المفحم من الفتى إبراهيم أدرك أبوه وقومه أنهم وقعوا في أزمة تقودهم إلى الوعي بحقيقة المشهد، ومحاكاة أنفسهم حول عدمية انفعال المادة (الأصنام) المتخذة من قبلهم آلهة تعبد، فكشف إبراهيم عن عقولهم ستار الجهل

بالحقيقة الماثلة، فأدركوا أن هذه الإلهة عجزت عن الدفاع عن نفسها، بل أظهرت أنها لا تملك قدرة النطق عن بيان السببية عما حل بها من الدمار والتحطيم، فنكسوا رؤوسهم علامة على خيبة رجائهم، بمزعم ذلك الإله (المادة) الذي لا قدرة له على النطق، فما بالك بردة فعله ضد من جعلهم جذاداً، ولندع القرآن الكريم يصف لنا هذا المشهد من كلام الله في سورة الأنبياء، يقول الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ، إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ، قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ، قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ، قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ، قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ، وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ، فَجَعَلَهُمْ جُذَاداً إِلَّا كَبِيراً لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ، قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ، قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ، قَالُوا فَاتُّوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ، قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ، قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ، فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ، ثُمَّ نَكَسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ، قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ، أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ، قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ، قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾، (الأنبياء: 51، 52، 53، 54، 55، 56، 57، 58، 59، 60، 61، 62، 63، 64، 65، 66، 67، 68، 69، 70)، وهو ما أطلق عليه مؤخراً لدى فلاسفة الرومان واليونان بالجدل (الديالكتيك) للمادة.

وفي موضوع السؤال عن منهج إبراهيم الفكري في إيصال الحقيقة لغيره، يحدثنا القرآن الكريم عن اعتماده أسلوب الحوار الهادئ، مستخدماً الألفاظ البسيطة القريبة للفهم والإدراك، محذراً من مغبة اتباع طريق غواية الشيطان، يظهر ذلك من حوار إقناع أبيه بفكرته العقلية حول حقيقة الإيمان بالخالق، عن طريق ما جاء من حجج العلم والمعرفة والجدل، ومع ذلك انتهى به الحوار برفض حججه العقلية، من قبل أبيه وقومه، معلنين تمسكهم المفرط بالمادة، وعدم قبول الحقيقة، فأنهى إبراهيم حوارَه بالاستغفار، والدعاء لأبيه، وهذا دليل على آداب الحوار والاختلاف، ونبذ التطرف والإرهاب الفكري على الرغم من كفر أبيه ورفضه لفكرة الإيمان، ولبيان هذه المشهد الرائع، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي سُورَةِ مَرْيَمَ: ﴿وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا، إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً، يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيًّا، يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا، يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا، قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا، قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا، وَأَعْتَزَلْتُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾، (مريم: 41، 42، 43، 44، 45، 46، 47، 48)، ذلك هو منهج سيدنا إبراهيم عليه السلام في الدعوى، وكذلك هو منهج الأنبياء والرسل، وهو ما استوثق وأكد عليه كلام الله الثابت والأزلي المجيد والمبين وهو أساس منهجية دين الإسلام الذي نحن اليوم عليه ويجب العمل به في دلالة الحرية الدينية بين الناس، كما جاء تأسيس

الدعوى إلى الله سبحانه وتعالى على قواعد وأسس من البيان الواضح حسب هذه الآية بقوله سُبْحَانَهُ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾، (النحل: 125).

وننتقل إلى مشهد آخر من مسيرة إبراهيم الفكرية للوصول إلى الحق المطلق، حول التعريف بملة إبراهيم الحنفية فذكر الله - سبحانه وتعالى - الملة بمعنى العقيدة، أو الطريقة الإيمانية الجامعة حول معرفة حقيقة الإيمان، وأول ذكر لهذه الصفة أو اللفظ كان من سيدنا إبراهيم - عليه السلام - الذي جمع كل خصائص الإيمان بالله - سبحانه، حسب منهجه التأملي في الله سبحانه، وآياته في السماء، وجدله المعرفي والفلسفي حول إحياء الموتى (المادة)، وهو ما عرف لاحقاً بمنهج الشك، إذ اختبر إبراهيم ربه بكلماتٍ فأنتمهن عليه، قَالَ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ...﴾، (البقرة: 124)، وقيامه بالشك للوصول إلى اليقين هو عين الأطمئنان للوصول للحقيقة المطلقة، قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى -: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، (البقرة: 260)، وإبراهيم - عليه السلام - وهو بذلك أول من وضع اللبنة الأساسية للعلم والمعرفة (الفلسفة) الإنسانية بالله سبحانه وبخلق المادة، وأسس مبدأ الشك الموصل لليقين وقد سبق بيان ذلك، وجعل منهما البوابة الأساسية للحنفية، فكانت بحق ملة إبراهيم حنيفاً مسلماً لله رب العالمين، والحنفية من حيث المعنى عكس الشرك تماماً، إذ إنها النتيجة النهائية لمراحل من التحري واليقين نحو الاستقامة على الطريق الراسخ، والتأكيد المتجذر في النفس والعقل والقلب حول العلم والمعرفة بوحدانية الخالق، فلا يشوبها شكٌ أو ذرةٌ شرك أو شك، وجاء الفيلسوف اليوناني (فيرون) بقرونٍ متعدّدة لإحياء مبدأ الشك في مناهج الجدل الفلسفي في الحضارة اليونانية.

ومن استعراض الآيات التالية سنجد أن هناك ارتباطاً وثيقاً ومتكرراً بين اللفظين المتضادين، الحنفية والشرك، إذ إن الحنفية ليست ديناً وإنما هي النتيجة النهائية المتصلة بمنهج الجدل المعرفي للإنسان بفطرته نحو معرفة الخالق والمخلوق معاً، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتِ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، (الروم: 30)، إذ إن الحنفية هي المنهج المعرفي والفلسفي الخاص بسيدنا إبراهيم ومن سار على طريقه كباحثٍ عن الحق من أجل الوصول إلى المعرفة المطلقة بالحقيقة.

وقد اتصلت هذه المعرفة بالتسليم المطلق بالدين، فكان إبراهيم أول من أطلق لفظ الإسلام كدين لله - سبحانه - على الأرض بمعنى التسليم لله سبحانه، ووصف أتباعه بالمسلمين، وهو ما نذكره ونفقه، من استعراضنا لكلام الله سبحانه المبين في القرآن الكريم بحسب الآتي:

• قَالَ - سبحانه وتعالى -: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾، (البقرة: 130).

• وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾، (يوسف: 38).

• وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ...﴾، (الحج: 78)،

• وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، (البقرة: 135)،

• وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، (آل عمران: 67)،

• وَقَالَ - سبحانه وتعالى -: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، (آل عمران: 95)،

• وَقَالَ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾، (النساء: 125)،

• وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، (الأنعام: 79)،

• وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، (الأنعام: 161)،

• وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، (يونس: 105)،

• وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، (النحل: 120)،

• وَقَالَ سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، (النحل: 123)،

ومن مسيرة سيدنا إبراهيم الحافلة بالتأمل والبحث في السماء؛ بُغية الوصول إلى الحقيقة المطلقة، وحقيقة وجود الخالق، فقد سخر إبراهيم نفسه للتأمل في ماهية الأشياء، سواء تلك الأشياء المحسوسة، أو تلك الأشياء غير المحسوسة كالنفس والروح، وهو ما يُطلق عليه اليوم بعلم الفلسفة، وهو علم رفيع يرفع درجات الإيمان بالخالق العظيم الذي له القدرة على خلق المادة والنفس والروح، والمتحكم بهما، وبكل الأشياء، وهو العلي القدير الذي ليس كمثله شيء، ولا يُدرك، وهو غير محسوس، ذلك ما وصل إليه نفس وعقل وفكر سيدنا إبراهيم، الذي كان إيمانه كاملاً غير منقوص، وقد وضع اللبنة الأولى لهذا العلم والجدل العقلي والفكري مستخدماً كل حواسه من البصر والسمع والفؤاد، فاكتمسب بحق عدداً من الألقاب والصفات من

قبل الله - سبحانه وتعالى، فكان المسلم، والحنيف، والحليم عن قناعة إيمانية مترسخة في الوجدان، قَالَ سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾، (هود: 75)، زد على ذلك قوله - سبحانه وتعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾، (النجم: 37)، أكمل العلم بالمعرفة الحقّة والإدراك بحقيقة وجوده حسب ما يعرف (بفلسفة الوجود)، وحقيقة اتصال نفسه وعقله وفكره بالخالق، لذلك استحقَّ بجدارة أن يكون خليلاً لله تعالى؛ مكافأةً على إعماله وتهذيب نفسه، وإدراك عقله وفكره بمعرفة الموجودات حسب سلامة منهجه الحنفي التأملي الجدلي، وهي منزلة لم يبلغها أحدٌ من البشر، من قبل ولا من بعد، قَالَ سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾، (النساء: 125)، وبهذا كان منهج وطريق سيدنا إبراهيم في الإيمان هو الإيمان الأكمل والأوفى والمثالي في حياة الناس جميعاً، ذلك هو الفتى اليافع الذي بدأ مسيرة حياته بالعقل، والتعقل والفكر والتفكير والتأمل والبحث وإعمال حواسه أبتداً من البصر والسمع والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً، فتهذبه نفسه، وآتاه الله - سبحانه - الرُّشد من أجل الوصول إلى الحقيقة المطلقة، ملقياً خلف ظهره كل ما كان يعكف عليه أبوه وقومه، فأصبح أمةً قانتاً لله سبحانه، وأباً، وحنيفاً مسلماً، وخليلاً لله رب العالمين، نعم.. إنّه سيدنا إبراهيم الخليل..... وطوبى لمن سلك طريقه... قَالَ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، (آل عمران: 67).

وهكذا استحق إبراهيم أن يكون أمة فوّصف بوصفٍ إيمانيّ، يتجسّد فيه إيمان إبراهيم كأمة كاملة، من ضخامة إيمانه المترسخ عن قناعة عقلية، واعتقادية فكرية بحقيقة وجود الله - سبحانه - حسبما أطلقتته هذه الآية عليه من صفات الإيمان الجزيل، والانضباط في العبادة، بالقنوت لله سبحانه، وهذه الصفة الإيمانية التي ميّزته بمسمّى جديد، وهو حنفيه التوحيد الخالص لله - سبحانه وتعالى، الخالي من الشرك، قَالَ اللَّهُ تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، (النحل: 120)، فكان وما يزال أمة من الإيمان.

20-1 جدلية المعرفة بالله لدى موسى:

يذكر القرآن الكريم حوادث وقصصاً وتسؤلاتٍ جدلية كثيرةً لسيدنا موسى - عليه الصلّاة والسّلام - من أجل الوصول إلى الحقيقة المطلقة بالخالق، وعلى نمطٍ محدّدٍ من المفاهيم الحسيّة، حاول موسى الوصول بها إلى المعرفة الجدلية، على الرغم من أنّ موسى نشأ في واقعٍ يسوده الصراع الاجتماعي والديني بين قومه وقوم فرعون، إذ كان ذلك الواقع الذي فُرض عليه، له الأثر في نزوحه عن بلده المولود فيه، فهرب مطارداً بفعل ذلك الواقع الاجتماعي المفروض عليه، من بطش فرعون، فأحاط الله تعالى موسى بالحكم والعلم، قَالَ تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نُجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾، (القصص: 14)، وبعيداً عن الآيات المادية المكلّلة برسالة موسى (العصا والحية - المادة والحركة) (المرض والصحة - أذخال يدك في جيبك تخرج من غير سوء) وغيرها، ومع ذلك وقف موسى - عليه السّلام - في عددٍ من المحطات، نذكر منها في الآتي: موقف التعريف المباشر، والمختصر بالله - سبحانه وتعالى، قَالَ اللَّهُ تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ النَّوَادِ الْأَيْمَنِ

فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، (القصص: 30)، وموقف آخر أكثر تفصيلاً، وأكثر تعريفاً لموسى بالله، حسبما بيّنته آيات الذكر الحكيم من سورة النمل، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ النمل (9)، ثم نرى موقفاً آخر أكثر جرأة لموسى، وهو طلبه النظر إلى الله مباشرة، فكان جواب الله تعالى له أكثر توضيحاً في معرفة الحقيقة في ماهية الخالق، والتي كان موسى يريد الوصول إليها مباشرة بالنظر، ومحاكاة الخالق كشيء محسوس يرى بالعين المجردة، وهو أقوى طلب تقدّم به نفر من الناس، فنسي خلقه من كونه لم يكن يملك القدرة حسبما يطلق عليه (الشفرة أو النظام) القادر على الرؤية أو النظر لله تعالى، وهو بهيئته الجسمانية الإنسانية المصنوع من جسم أو جسد (مادة) من الماء والتراب والطين والصلصال، بمعنى أدق، أنّه غير مهياً للنظر لذات الله - جل جلاله، ومع ذلك فقد استجاب الله - سبحانه - لطلب مشروط على موسى، على الرغم من علم الله سبحانه - بعدم مقدرت موسى عليه السلام من النظر لذات الله - سبحانه، فكان تجربة تدمير الجبل أكبر دليل مادي يقدم من الله سبحانه - لموسى بحسب هذا الآية، قال تعالى: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾، ولكن أراد الله تعالى أن يبيّن لموسى تبعية محاولة النظر لله تعالى، عبر قيامه بتجربة عملية على المادة المجردة المخلوق منها سيدنا موسى، وهي متمثلة في أحد الجبال التي أمامه لتمثيل مادة خلق موسى بمادة تكوين الجبل، فتكتمل التجربة بالتجلي على الجبل من قبل الله سبحانه لكي ينظر موسى أثر تلك التجربة بعملية التجلي، فلما تجلّى ربّه للجبل (المادة) جعله دكاً، ومن هول وضخامة المشهد خرّ موسى صعباً، فلما أفاق نطق موسى بتسبيح الله، لعظمة المشهد، وهلاك المادة المجردة بفعل القوة التدميرية للجبل، بل وجعله دكاً، أرضاً مستوية لمجرّد فعل الله بالتجلي عليه، ذلك أنّ معنى التجلي في تقديره هو وصف الإرادة لفعل الخالق لما كان يريد القيام به، وعجزت أنا عن وصفه أو حتى تخيله فأمنت به كحدث مجرد خاصّ لمشهد جعل الجبل دكاً، وهنا أتوقف عن مزيد من إطلاق العقل للخيال الجم الذي أرضي عقلي به أيضاً فأكون من الموقنين به إعجازاً فوق مقدرت العقل، والإيمان بحقيقة الخالق القدير سبحانه، وبذلك فقد أعلن موسى التوبة عن طلبه، فكأنما كان ذنباً اقترفه وتاب منه ليس ذلك، بل اعتبر نفسه أول المؤمنين على الرغم من أن هناك كثيراً من الأنبياء والرسل والمؤمنين سبقوه، وهذا كناية عن عظمة المشهد بدك الجبل، وتسويته بالأرض، ولك أن تتخيّل هذا المشهد في كل تجلياته، وقوته وعظمته ولنترك آية واحدة من آيات الذكر الحكيم تصف لنا هذا الموقف العظيم، الذي لا يحتاج كثيراً من الشرح، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، (الأعراف: 143). وتستمر المحاكاة من قبل الإنسان في معرفة الله في كثير من الأمثلة، وهي السمة الطبيعية لكل إنسان سعى من أجل التأمل والبحث والمعرفة، قصداً منه أن يصل بإيمانه إلى مرحلة الصفاء، واليقين، وهذا لعمرى حالة خاصة سهلة المنال، في أعمال العقل والفكر، وتهذيب النفس في آية الخطاب

المتلقي من الله - سبحانه وتعالى - ذلك أن القرآن والعقل لا يتعارضان مطلقاً ولا يتصادمان،
لمن كان له عقل وقلب سليم.

21-1 جدل اليهود المادي حول الله في تورا العبرانيين:

ورد في توراة العبرانيين وصف الله - سبحانه وتعالى - كشيء مادي محسوس، وله من خصائص المخلوقات، وهو تصوّر مادي محض، ساوى فيه مؤلف توراة العبرانيين بين المادي وغير المادي، بل جاء خطاب توراة العبرانيين بنصوص أكثر انحطاطاً وتقوُّلاً على ذات الله سبحانه، ننسخ لكم بعضاً من تلك النصوص الجدلية الآتي:

1-21-1 يعقوب يصارع الله وجهاً لوجه:

(فبقي يعقوب وحده، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر. 25، ولما رأى أنه لا يقدر عليه، ضرب حق فخذ، فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعة معه. 26 وقال: «أطلقني، لأنه قد طلع الفجر». فقال: «لا أطلقك إن لم تباركني». 27 فقال له: «ما اسمك؟» فقال: «يعقوب». 28 فقال: «لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب، بل إسرائيل، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت». 29 وسأل يعقوب وقال: «أخبرني باسمك». فقال: «لماذا تسأل عن اسمي؟» وباركه هناك. 30 فدعا يعقوب اسم المكان «فنيئيل» قائلاً: «لأنني نظرت الله وجهاً لوجه، ونجيت نفسي» (1).

2-21-1 رؤية الله من نفر من بني إسرائيل:

1-9)، ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل، 10 ورأوا إله إسرائيل، وتحت رجله شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف، وكذات السماء في النقاوة. 11 ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بني إسرائيل. فرأوا الله وأكلوا وشربوا (2).

2- (1) كان في سنة الثلاثين، في الشهر الرابع، وفي الخامس من الشهر، وأنا بين المسيبين عند نهر خابور، أن السماوات انفتحت، فرأيت رؤى الله (3).

3- (19) وقال: «فاسمع إذن كلام الرب: قد رأيت الرب جالساً على كرسيه، وكل جند السماء وقوف لديه عن يمينه وعن يساره (4).

22-1 جدلية المسيحيين المادي في الله في العهد الجديد:

أَمَّا فِي الْأَنْجِيلِ، فَقَدْ وَصَفُوا عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ أَنَّهُ ابْنُ اللَّهِ، وَاتَّخَذُوهُ آلِهَةً، ثُمَّ زَادُوا بَأْنَ قَالُوا بِالْوَهِيَةِ التَّثْلِيثِ، أَنَّ اللَّهَ تَجَسَّدَ بِثَلَاثَةٍ وَالثَّلَاثَةِ فِي وَاحِدٍ، وَهَم: الْأَبُ، وَالابْنُ، وَالرُّوحُ الْقُدُّسُ، وَهُوَ قَوْلٌ مُنَاقِضٌ لِحَقِيقَةِ ذَاتِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، إِذْ لَا يُمْكِنُ لِلَّهِ أَنْ يَتَّصِفَ

(1) انظر العهد القديم . توراة العبرانيين / سفر التكوين

[illegible]

(3) انظر نفس المصدر، ،،،،،،،،،، من سفر حزقيال

[illegible]

بصفات مادة المخلوق، وقيامه بنفس أفعال المخلوقات، مثل: الزواج، وما ينتج عنه من مخاضٍ وولادةٍ وتبَنٍّ وهيئةٍ جسمانية، وغيرها، ومن أمثلة نصوص الأناجيل حول هذا الموضوع الكثير وقد تقولوا بألفاظ صريحة وأخرى مجازية ضمنية آخذين بمبدأ التأويل وغيره، أنسخ القليل منها، والتي تصوّر الله - سبحانه - بأنّ له ولداً، وأنّه يولد، وأنّه اتخذ ولداً، وغيرها من الخرافات - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، ومن تلك المشاهد الآتي:

1-22-1 الأدعاء بأنّ لله ابناً:

1- (16) لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكيلا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية. 17 لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلص به العالم. 18 الذي يؤمن به، لا يدان والذي لا يؤمن قد دين، لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد⁽¹⁾.

1-22-2 مبدأ التثليث في الألوهية:

2- (19) فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس⁽²⁾.

1-22-3 التّقوّل على الله كذباً:

3- (35) فأجاب الملاك وقال لها: «الروح القدس يحل عليك، وقوة العلي تظلللك، فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله⁽³⁾.
4- (22) ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية، مثل حمامة. وكان صوت من السماء قائلاً: «أنت ابني الحبيب، بك سررت»⁽⁴⁾.

1-22-4 التّقوّل على الله بالولادة (المخاض):

5- (33) إن الله قد أكمل هذا لنا نحن أولادهم، إذ أقام يسوع، كما هو مكتوب أيضاً في المزمور الثاني: أنت ابني، أنا اليوم ولدتك⁽⁵⁾.

والحقيقة، فإنّ تورااة العبرانيين والأناجيل المتعددة والأسفار الملحقة جانببت الصواب كثيراً، فخلطوا بين خصائص الإله المطلق خالق المادة والروح والنفس، بل وزادوا على ذلك أن وصفوا الله بصفات التجسيم والتشبيه بأعمال المخلوقات، وليس ذلك فحسب، بل نجد كثيراً من لغة الانزلاق والهبوط وأستخدام التأويل، ومواطن التصغير والتحقيم مع ذات الله - سبحانه وتعالى، فكان هذا وغيره خروجاً عن المنهج السليم الذي أسّسه سيدنا إبراهيم - عليه

(1) انظر العهد الجديد . إنجيل يوحنا .

(2) انظر العهد الجديد . إنجيل متى .

(3) انظر إنجيل لوقا من العهد الجديد .

(4) انظر نفس المصدر السابق إنجيل لوقا .

(5) انظر العهد الجديد - اعمال الرسل .

السَّلام، الأمر ما ترتَّب عليه قيام كثيرٍ من دعاة الفكر الإنساني إلى النهج المادي بسبب هذه التناقضات، والتوظيف السيئ للنصِّ الديني الذي خلق جانباً من الفراغ والفجوة حول عقيدة وإيمان الإنسان، وأحدث الشكَّ المعرفي، والتشويش في حقيقة الخالق، فتطوّرت هذه التناقضات إلى مناهج في الكفر والإلحاد.

23-1 سنن الخالق في المخلوقات (فطرة- قانون - الطبيعة):

جاء البيان عن سنن الخالق في المخلوقات، وهو ما يعرف بقانون الطبيعة، من خلال موقف للنبي والرسول موسى - عليه السَّلام - أمام فرعون، والذي أظهر موسى براعة ذلك النبي الرسول العارف بعلم الله سبحانه في محض الإجابة على سؤال وُجِّه إليه من فرعون، فكانت إجابته دقيقةً بليغةً جامعةً شاملة، لا تتسع لها الكتب ولا الكلمات ولا الأقلام لحصرها، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (49) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾، (طه: 50)، وبهذه الإجابة التي اعتبرها بتقديري أوجز إجابةً وافيةً وكافيةً، ومختصرةً للكثير من التساؤلات والبحوث العلمية حول المخلوقات من حولنا (الإنسان، والحيوان، والنبات، والجماد، المادة، وغيرها)، والتي يصعب حصرها، والإجابة عليها، فقد اختصرها سيدنا موسى عليه السلام بهذه الآية الميسر، حسبما يطلق عليه اليوم بقانون الطبيعة، ذلك القانون النافذ الذي يسير بانضباط وإطرادٍ دقيقٍ في المخلوقات كل المخلوقات، ابتداءً بالإنسان وفطرته في التكوين والخلق، والحيوان، وفطرته الغرائزية في العيش، والحياة، والنبات ككائنٍ حيٍّ له خصائصه في النمو والتكاثر، وانتهاءً بالمادة وماهيتها، وما يحوي هذا الكون المتحرّك من المجرات والكواكب والنجوم والأرض وما تحويها من خلائق شتى، خلقت بميزانٍ محكمٍ منضبطٍ ودقيقٍ فيصدق قول ربنا: الذي خلق كل شيء، ثم هدى.

24-1 جدلية المعرفة بخلق إبليس:

لم يُعرف إبليس في كثيرٍ من المعتقدات والعقائد، والفكر الإنساني بصورةٍ مباشرة، ففي توراة العبرانيين والسامريين وغيرها من كتب اليهود، لم يأتِ على ذكر إبليس (الشيطان) وكأنما عقد معهم تحالفاً، وهي حقيقة يؤكدها ذكرهم لإبليس من زاوية التعظيم والتبجيل، يظهر ذلك ممّا ورد في توراة العبرانيين⁽¹⁾ - حول مراسيم يوم الكفّارة، تحت عنوان ذبيحة الخطيئة عن الكاهن والشعب، وما ورد من عنوانٍ خاصٍ عن تيس عزازيل، ويقصد به (إبليس)، فساوى اليهود بين إبليس وبين الله - سبحانه وتعالى، من حيث الفداء والمكانة، وهم بذلك بلغوا أقصى مراحل الانحطاط العقلي والفكري في التحريف الواضح والشرك بالله - جل جلاله، ومن ذلك دسوا هذا التحريف إلى كتب العقائد الأخرى، كالصابئة مثلاً، الذين يطلقون على الشيطان كآلهة العالم السفلي، أو إله الظلام، وكذلك في عقيدة الزرادشت المجوس، واليزيديين، الذين يتبرّكون بطاووس ملك (عزازيل)، كرمزٍ مقدّسٍ لإبليس، فهو لديهم محل تعظيم وقداسة،

(1) انظر العهد القديم . توراة العبرانيين . سفر اللاويين النص: (8) ويلقي هارون على التيسين قرعتين: قرعة للرب وقرعة لعزازيل .

بخلاف الدين المسيحي والنصارى، فقد ذكروا الشيطان ذكراً مباشراً بعمله الشرير تجاه الإنسان.

أما القرآن الكريم فقد أكد على حقيقة وجود إبليس، بل وبيّن كيفية خلقه وسبب عداوته، وبيّن حقيقة التعريف به من أنّه الشيطان الرجيم، وأنّ وجوده سابق لوجود البشر، وهو ليس من الملائكة، وإنّما هو مخلوق من نار السموم، ومن مارج من نار، وقد جاءت آيات القرآن الكريم تبين ذكره، وتذكر أسمائه المختلفة، فهو إبليس، وهو الشيطان، وهو أيضاً من الجن، وصفاته وأوصافه وأعماله نوضحها من كونه مخلوق صاغراً بخلق الإنسان (آدم وزوجه)، فكانت غوايته من قبل الله - سبحانه - وأمهل ليوم البعث، فكان العدو الأول لآدم وزوجه، وذريته من بعده من الناس جميعاً، وليس كما يقول بعض المتكلمين من أن إبليس كفر في ذات الله - سبحانه، فذلك محال على مخلوق صاغراً أن يكفر في ذات الله - سبحانه، والحقيقة التي بينها كلام الله في القرآن أن إبليس كفر بخلق آدم وزوجه؛ حسداً لتكريمهم في الخلق من قبل الله - سبحانه ونفخ فيه من روح الله سبحانه، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَنُؤْخِرَنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَخْتِكَ إِلَّا لِقِيلٍ﴾، (الإسراء: 62). وكان ذلك بمشيئة الله - سبحانه - حسبما جاء في كلام الله، قَالَ - سبحانه وتعالى -: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، (الحجر: 39). فهو يعترف بالله، ويقرُّ له بالألوهية، لكنه عدوٌّ للإنسان لحكمة اقتضاها الله - سبحانه، ومن أوصافه وأعماله فهو الشر المطلق، وعمله يختصر من هذا الآية، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَمَثَلَ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾، (الحشر: 16). ومن الآيات تبين تفاصيل عمل إبليس.

1-24-1 التعريف بإبليس وأحواله.

ورد اسم إبليس بلفظ صريح في القرآن الكريم في أحد عشر موضعاً، كمخلوق من النار، بل من مارج من نار، وهو موصوف بالشر المطلق، وبكلِّ عملٍ سيِّءٍ، ومن تلك الأعمال على سبيل الذكر التَّكْبَرُ، والفسوق، والعصيان، والتعالي والعدوان على بني آدم، وللأسف الشديد نجد كثيراً من الناس من يتصف بصفات إبليس في التعالي والخيرية في الخلق عن بقية الناس وفق نصوص دينية دسوها كما في توراة العبرانيين، حيث نسب اليهود لأنفسهم انهم شعب الله المختار والشعب المقدس، وقالوا أيضاً أنهم أبناء الله وغير ذلك من التقولات الكاذبة، ومثل هذا قال أتباع الهندوسية فقسموا الناس لطبقات دينية أبناء الآله، وكذلك في المسيحية بقولهم عن رسولنا الكريم عيسى أنه ابن الله وأنه الله، وأخيراً جاؤوا لفقه مذاهب السنة والشيعة الإسلامية، فقالوا بأحقية علي ابن أبي طالب بالأمامة في الدين والدنيا، ولأولاده من بعده من نسل زوجته فاطمة بنت النبي محمد عليه السلام وأطلق عليهم لقب الأئمة والأولياء والأوصياء والنجباء الأطهار ولهم حقوق في أموال الناس وفق نصوص من أحاديث العنينة والقلقلة، وكل هذه الادعاءات كاذبة، وسأورد لكم بعض أعمال إبليس، وصفاته، وأحواله، وطرقه في معصية

الله - سبحانه وتعالى - وعدوانه وتعالیه على بني آدم، وكما جاء به كلام الله في القرآن الكريم:

- قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى - : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾، (البقرة: 34).
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾، (الأعراف: 11).
- وَقَالَ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾، (الحجر: 31).
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾، (الحجر: 32).
- وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتُ طِينًا﴾، (الإسراء: 61).
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾، (الكهف: 50).
- وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾، (طه: 116).
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾، (الشعراء: 95).
- وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ سبأ (20).
- وَقَالَ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾، (ص: 74)،
- وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾، (ص: 75).

1-24-2 التعريف: بلفظ (الشيطان):

ورد لفظ الشيطان كثيراً في القرآن الكريم، مقروناً بالأعمال الخبيثة السيئة والفواحش والمنكرات والظلم والبغي والفساد في الأرض، وقد ورد مفرداً وورد بلفظ الجمع (الشياطين)، وسوف أذكر بعض الآيات القرآنية التي تدل على هذا المخلوق الصاغر، العدو المُبِين لذرية آدم، وظهر مقدار العداوة والخداع، والكذب والوسوسة التي يمارسها على ذرية آدم كي يضلهم، ويقودهم إلى الهلاك، وكذلك الآيات التي تبين بعض الأعمال التي يمارسها ضدهم فتأتي آيات القرآن بسرد عدد من أعمال إبليس بالآتي:

- قَالَ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾، (البقرة: 168)،

- وَقَالَ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾، (البقرة: 208)،
- وَقَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾، (المائدة: 91)،
- وَقَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشَاءُ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾، (الأنعام: 142)،
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَدَلَاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾، (الأعراف: 22)،
- وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾، (يوسف: 5)،
- وَقَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿... فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾، (القصص: 15)،
- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾، (فاطر: 6)،
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾، (يس: 60)،
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾، (الزخرف: 62).

3-24-1 من أعمال وصفات إبليس الشيطان الرجيم:

سوف أكتفي بسرد كلام الله - سبحانه وتعالى - الذي يبيّن ويصف أعمال الشيطان بأوصاف مختلفة، وأعتقد أن الآيات القرآنية تفي بوصف حال وعمل الشيطان، في مواضع وأحوال كثيرة، نورد منها الآتي:

1. يأمر بالفقر والفحشاء وعمل المنكرات:
- قَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: 268)،
 - وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ..﴾ (التور: 21).
2. يصنع الخوف والنسيان لمن اتَّبعه:

- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ذُلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، (آل عمران: 175)،
- وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿... وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، (الأنعام: 68)،
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿.. فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾، (يوسف: 42)،
- وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿...وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَن أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾، (الكهف: 63)،
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾، (المجادلة: 19).

3. القرين السوء:

- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿...مَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾، (النساء: 38).

4. الضَّالُّ الْمُضِلُّ:

- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿... وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾، (النساء: 60)،
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿...وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾، (النساء: 119)،
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾، (الفرقان: 29).

5. ضعيف الكيد:

- قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿... فَقَاتِلُوا أَوْلِيَآءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾، (النساء: 76).

6. الوسواس للأعمال السيئة:

- قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى -: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ...﴾، (الأعراف: 20)،
- وَقَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾، (طه: 120).

7. أعمال الفتنة والغواية والنزع:

- قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ...﴾، (الأعراف: 27)،

- وَقَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَإِنَّمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، (الأعراف: 175)،
 - وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِنَّمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، (الأعراف: 200)،
 - وَقَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿... مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾، (يوسف: 100)،
 - وَقَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾، (الإسراء: 53)،
 - وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿... أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، (الحج: 52)،
 - وَقَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، (فصلت: 36)،
 - وَقَالَ اللَّهُ سُبحَانَهُ: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ..﴾، (المجادلة: 10).
8. ومن أعماله المسُّ والرَّجْزُ الخبيث:
- قَالَ اللَّهُ سُبحَانَهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾، (الأعراف: 201)،
 - وَقَالَ اللَّهُ سُبحَانَهُ: ﴿... وَيُذْهِبْ عَنْكُمْ رَجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾، (الأنفال: 11)،
 - وَقَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾، (ص: 41).
9. تزيين العمل السيئ:
- قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى - ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ...﴾، (الأنفال: 48)،
 - وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ..﴾، (النحل: 63)،
 - وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ..﴾، (النمل: 24)،
 - وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿.. زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾، (العنكبوت: 38).
10. صاحب الوعد الكاذب والغرور:

- قَالَ جَلَّ فِي غَلَاةٍ: ﴿يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾، (النساء: 120)،
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾، (محمد: 25)،
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، (إبراهيم: 22)،
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاةٍ: ﴿وَاسْتَغْفِرْ مَنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾، (الإسراء: 64)،
- وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿.. أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾، (لقمان: 21)،
- وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَمَثَلَ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾، (الحشر: 16).

11. الكفر والفسوق والعصيان:

- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾، (الإسراء: 27)،
- وَقَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى - ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾، (مريم: 44)،
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾، (الأنعام: 121).

12. تعليم النَّاسِ السِّحْرَ:

- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاةٍ: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ...﴾، (البقرة: 102).

13. أوصاف وأعمال أخرى للشياطين:

- قَالَ جَلَّ فِي غَلَاةٍ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَزُّهُمْ أَزًّا﴾، (مريم: 83)،
- وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾، (المؤمنون: 97)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾، (الشعراء: 210).

- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (221) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾، (الشعراء: 222).

25-1 التعريف بالجان أو الجن ووظائفهم وأعمالهم:

تبيّن الآيات القرآنية صنفين من الجن، صنفٌ كافر، وهم أتباع إبليس الشيطان الرجيم، وصنفٌ آخر، وهم المؤمنون بالله رب العالمين، وسنعرض الآيات الصريحة التي توضح هذين الصنفين من الجن حسب آيات القرآن الكريم في الآتي:

1-25-1 طائفة الجن الكافرة:

- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا...﴾، (الأنعام: 112)،
- وَقَالَ - سبحانه وتعالى -: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ...﴾، (الأنعام: 128)،
- وَقَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ...﴾، (الأنعام: 130)،
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ...﴾، (الأعراف: 38)،
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ...﴾، (الأعراف: 179)،
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا اللَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَفْدَانِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾، (فصلت: 29)،
- وَقَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾، (الحجر: 27).
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَوَخَّلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾، (الرحمن: 15).

2-25-1 طائفة الجن المؤمنة:

- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: 56)،
- وَقَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ، قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ، يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ، وَمَنْ لَا يُجِبِ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، (الأحقاف: 29، 30، 31، 32).

وهناك سورة كاملة باسم الجن في القرآن الكريم، نورد منها هذه المشاهد، والحالة الإيمانية لنفر من الجن آمنوا بربهم، فزادهم ربهم هدىً بسماعهم نزول كلام الله على الرسول محمد - صلي الله عليه وسلم - بعد أن كانوا يتخذون مقاعد للسمع في السماوات، ومن بعد نزول القرآن وجدوا أن السماء أحييت بالحراسة المشددة، ولنترك سورة الجن نتحدث عن هذه المشاهد بما فيها من بلاغة تصويرية، يعجز الإنسان من أن يأتوا بمثل هذه الألفاظ الجزيلة في دقة الوصف والتصوير والبلاغة بالآتي:

• يقول المولى - سبحانه: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا، وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا، وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا، وَأَنَا ظَنَّنا أَن لَّنْ نقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا، وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا، وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا، وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجدْنَاها مُلِئتَ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا، وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا، وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا، وَأَنَا مِنْ الصَّالِحِينَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا، وَأَنَا ظَنَّنا أَن لَّنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا، وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا، وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا،.... (الجن: 1، 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9، 10، 11، 12، 13، 14،...).

وهذه السورة من القرآن الكريم أعلاه تبين بوضوح حال جانب آخر من الجن المؤمنين بربهم، وكيف أنهم يتبعون منهج الهداية على مر الزمان، بما أنزل الله على النبيين والرسل من قبل موسى وعيسى، ومحمد، ديناً واحداً ورسالة واحدة ومنهاجاً واحداً، ووحدانية الإله الواحد.

1-25-3 طائفة الجن والشياطين المسخرين لنبي الله سليمان - عليه السلام:

أعطى الله جلّ وعلا سليمان النبوة والملك، مؤيداً ببعض الخوارق، فعلمه منطلق الطير، وتسخير الرياح، وتسخير الجن والشياطين، وغير ذلك، ولذا فقد طلب نبي الله سليمان من (الملا - قوم) زعماء القوم حوله بأن يأتوا بعرش الحكم لحاكمة دولة سبأ قبل أن تأتي إليه، فكان هذا المشهد القرآني الذي يصف هذا الموقف، قال - سبحانه وتعالى - : ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ، قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ، قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾، (النمل: 38، 39، 40). وهنا يبين الله - سبحانه وتعالى - مدى تسخير الجن لنبي الله سليمان، وتظهر قوة ومقدرة الجن في تنفيذ الأمر بنقل عرشها بهيئته المادية في وقت قصير، وهو وقت قيامه من مجلسه أو أقل من ذلك ثم تأكيدهم على حفظه.

الفصل الثاني

أركان الدين والحياة

مدخل:

لقد جاء التعريف بالإسلام في فكر مذاهب الفقه والحديث محدداً مقصوراً في الأركان الخمسة (الشهادة، والصلاة، والصيام، والزكاة، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً)، فذكر عددً من الألفاظ التي لا ترقى إلى التعريف بمجمل الإسلام كدين، ومن ثمَّ فقد حصروا الإسلام بهذه الشعائر التي تقام من قبل المسلم لقيام سببها، كالاستطاعة للحج، ووجود المال لدفع الزكاة (الضرائب)، وهكذا... وإذا انتفى السبب انعدم المسبب له، وأعفى المسلم من القيام بهذه الشعيرة أو تلك التي عُدت أركاناً، والمعروف أن الركن هو من أساسيات البناء للشيء، ومن هنا يبرز السؤال الوجيه: هل يسقط إسلام المسلم الذي لم يقم بالحج والعمرة طيلة حياته لعدم الإستطاعة أو المسلم الفقير الذي لم يبلغ النصاب لدفع الزكاة طيلة حياته أيضاً لعدم قيامه على أحد هذه الأركان؟! وهل هذه أركان أم شعائر أم مناسك؟

والإجابة بتقديري على هذا السؤال هو القول: إنَّ هذه ليست أركاناً لدين الإسلام، فالأركان هي ذلك الشيء الثابت والأساس المتين الذي لا يستقيم البناء إلا به، ولولا تلك الأركان لانهدم البناء، إذن فمن المسلّم به أن هناك خللٌ في التعريف بالإسلام كدين، وهذا الخلل باعتقادي أحدثته جماعة التحريف التي استنسخت هذه الأركان من عقيدة دين الصابئة المندائية وهي تحمل نفس الفكرة، وبنفس الترتيب مع اختلاف بسيط، وأركان دين الصابئة هو - الشهادة والتوحيد، والصلاة، والصيام، والزكاة (الصدقة)، والصباغة، وقد دُسَّت هذه الأركان، في فكر المذاهب الإسلامي ؛ من أجل حصر دين الإسلام بزواية ضيقة وبشعائر ومناسك محددة، غير أن الإسلام يُعرف بقواعد العلم والمعرفة - وقواعد الإيمان - وقواعد العمل الصالح بالفضائل والشعائر والمناسك من صلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ وحجٍ وعمرة، وقواعد معرفة الحلال والحرام مفصلاً والالتزام به، وقواعد اجتناب النواهي، وإطاعة الأوامر والوصايا وكل الأعمال الصالحة والأخلاقيات والقيم الإنسانية النبيلة، وقواعد التشريع، والعمل بالعرف ببصيرةٍ وتعقلٍ، فهذا وغيره دين الإسلام القائم على منظومة متكاملة، وهو ما نريد التعريف به وتبسيط الضوء على بعض منه في هذه العناوين والتي هي بعض من قواعد الدين والحياة دون الخوض في تفاصيلها التي تحتاج لمجلدات، وبتقديري سوف أحاول توضيح أهم أركان دين الإسلام بالآتي:

- العلم والمعرفة بالشيء وخالق الشيء ومحله العقل والفكر.
- الإيمان والعمل الصالح الموصول بالعلم، وهو ما نحاول الأجابة عليه ونوضحها بالآتي:

1-2 العلم والمعرفة - العقل والقلب:

التعريف بالعقل:

أطلق على العقل تسمية الدماغ الذي يقع داخل جمجمة محصنة، ورغم ذلك تمكّن الإنسان من تحقيق طفراتٍ كبيرةٍ في فهم الدماغ البشري، الذي يصل وزنه لنحو (1,5) كجم من الحجم المادي، ومن الواضح أنّ الحجم ليس المقياس الأكثر أهمية في التعريف بالعقل أو الدماغ، بل بعدد الخلايا العصبية والتي تقدر بعشرات المليارات، وهو ما يفوق أضعافاً كثيرة عدد الخلايا العصبية لدى أدمغة الثدييات الأخرى، ومن بين هذه الخلايا ينبثق عمل العقل المتمثل في التعقّل، ثم الفكر والتفكير الذي تندرج تحته العديد من العمليات المعرفية والحسابية المعقدة والمختلفة، فبعض الأفكار تأخذ شكلاً معيناً، وتترجم إلى فعل مادي أو صورة أو غير ذلك، وبعضها الآخر يأخذ شكلاً غير ماديٍّ والمتمثل في الشعور والإحساس ومن التقدير لديّ أن الدراسات الأخيرة حول هذا العضو بينت أنّ الإنسان لم يصل إلى استغلال ما يقارب (20%) من عقله، رغم ما أنجزه من تقدّم بلغ مرحلة من التعقيد، خاصة مع تلك الإنجازات المتعلقة بالحواسيب الذكية وثورة الاتصالات والبرمجيات والإنترنت وعلوم الفضاء ومختلف العلوم الأخرى، وأنّه كلما فك شفرة من شفرات عمل هذا العضو ظهرت مزيد من الأسرار والغموض البالغة التعقيد.

ومن مميزات الدماغ أنّه محاطٌ بعددٍ هائلٍ من الخلايا العصبية فائقة الدقة والانضباط، والمرتبطة بالشجيرات العصبية، والمحاور التي تسمح بإجراء هذا الكم الهائل من التعقّل المعرفي والتفكير، أضف إلى القيام بضبط الحركة الميكانيكية والفيزيائية والكيميائية لأعضاء الجسم، كالحركة والإحساس والشعور والتذوق والعمل والأكل والشرب والتنفس، وكذلك كل الأفعال غير المادية، مثل النوم والشغف والتفكير، وجميع الحواس، ومراقبة جميع الوظائف، والتحكم الإرادي وغير الإرادي بالجسم وأعضاء الجسم المادي للإنسان.

كما أنّ من أعمال العقل: العلم واكتشاف واستنباط واستقراء الأشياء وتعريفها، ومعرفة ماهيتها وإعمال الفكر فيها للوصول إلى القوانين التي تحكمها، ومن وظائف العقل الابتكارات والاختراعات وكل ما من شأنه التفاعل، والعمل المتولد عنه، والعمل الحسي والمعنوي في كل أبعاده.

ومما يُذكر أنّه ورد لفظ أو مصطلح التعقّل على شيئين منفصلين هما: العقل بمعنى (الدماغ)، والتعقّل للقلب والفؤاد، وقد جعلهما الله - سبحانه وتعالى - مقياساً للتمييز بين الحق والباطل، ومن سنة الله أن جعل الحق مقروناً بالعقل، وكما أشار إلى هذا، بقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾، (الأنبياء: 18)، كما أن التعقّل الصادر عن الدماغ أعمُّ وأشمل من تعقّل القلب والفؤاد، والذي اعتقد أن عمله في مضمار التعقّل جزئي، ولذلك نجد ذكر العقل في القرآن الكريم جاء بأكثر من (45) مرة، بينما ارتبط التعقّل بالقلب والفؤاد ببعض يسير من آيات القرآن الحكيم، وهناك قدراتٌ عقليةٌ

خارقة لنفـرٍ من النَّاسِ على مَرِّ التاريخ الإنساني، وقد صُنِّف هؤلاء النفـر بذوي العقول الخارقة في العلم والمعرفة ومن أمثالهم كما وصفهم القرآن المبين الآتي:

1- قومٌ ثمود: الذين أبدعوا في الهندسة، فاتخذوا من السهول قصوراً، واتخذوا من الجبال بيوتاً فارهين (فخمة)، فكان هذا الفعل يعود لبراعتهم في إعمال العقل أقل ما توصف بالضخامة في مجال البناء قَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾، (الأعراف: 74)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِينَ﴾، (الشعراء: 149).

2- قومٌ فرعون: الذين شَبَّهوا مبانٍ تشبه الجبال (الأوتاد)؛ لبراعتهم في توظيف عقولهم في هندسة المباني، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾، (ص: 12)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَفِرْعَوْنُ ذِي الْأَوْتَادِ﴾، (الفجر: 10).

3- العبد الصالح في قصة موسى: قَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾، (الكهف: 65)، إلى آخر القصة التي تدعو للعلم التحليلي والاستنباطي في علم النفس السيكولوجي فسخر عقله مما علمه في هذا المجال إذ ما يزال مثار جدل حتى يومنا هذا.

4- قصة الرجل من ملأ نبي الله سليمان الذي وظَّف عقله في علم نقل المادة بسرعة تفوق سرعة الضوء وهو علم محل بحث في أيامنا هذه: قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾، (النمل: 40).

ومع أولئك الأقوام المميزين يضاف إليهم عباقرة العلوم في الاختراعات والابتكارات العقلية والفكر المتعددة في عصر النهضة الإنسانية الحديثة والمعاصرة في عددٍ من الاختراعات العقلية والفكرية وفي عددٍ من المجالات منها اختراع قوانين الجاذبية، والحركة، واختراع الكهرباء، واختراع الطاقة الذرية والنووية، واختراع تكنولوجيا الاتصالات عبر وسائط الكترونية حول الأرض والكواكب الأخرى، واختراعات الطيران في كل صورته، ووسائل النقل البري والبحري عالية التقنية، واختراعات الحواسيب، والروبوتات الذكية، واختراعات المركبات والسفن الفضائية والمسبارات المعقدة لرحلات ما بين الكواكب، وكذا اختراع وإنشاء (التلسكوبات) العملاقة لمشاهدة المجرات وما تحوي، واختراع الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) حول العالم، واختراع علم الاستنساخ، والتعديل الوراثي للكائنات الحية، واختراع أنظمة الإدارة التقنية المعقدة لمختلف جوانب الحياة، وغيرها كثير وكثير، وما زالت قافلة العقلاء مستمرة وكبيرة جداً وبهم ترتقي الحياة في جوانب كبيرة وكثيرة، ويقابل كل ذلك الفعل المثير للإنسانية جانب آخر يكون الفعل فيه مظلماً وهو أن يسخر العقل للتدمير والفساد في الأرض فذلك محل رفض.

وفي تقديرِي فإنَّ قدرة العقل على العلم وإنتاج الأفكار، والاختراعات قدرةً رهيبة، وعظيمةً حسب الأرضية المعرفية في المكان والزمان، وإذا ما أطلق العنان في الاختراعات العلمية، وتوليد الأفكار فإنَّ العقل قادر على إحداث طفراتٍ وتغييراتٍ مذهلةٍ في تطوير الحياة، بما في ذلك أيضاً تغيير فطرة الحياة، حسبما أشار إليه هذه الآية، قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى - ﴿وَلَا ضَلَّتْهُمْ وَلَا مَنَّتْهُمْ وَلَا مَرَّتْهُمْ فَلْيَبْتَكَنْ آدَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرَّتْهُمْ فَلْيَعْرِزْنَ خَلَقَ اللَّهُ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾، (النساء: 119). وبالمناسبة، فقد بدأت منذ سنواتٍ قليلةٍ عمليات الاستنساخ والتعديل الوراثي والهجين للكائنات الحية عموماً، والإنسان خصوصاً.

وخلاصة الموضوع نفقه أنَّ هناك علاقة منضبطة ومتوازنة بين العقل وكلام الله في القرآن العظيم، فكلاهما لا يتقاطعان، ولا يتناقضان، ولا يختلفان، ولذلك نجد آيات القرآن المفصل تضبط إيقاع العقل وتهذيبه، وتقنن الأفكار الصادرة عنه، على ثوابت من قوانين الحياة، وتلك هي سنة الله في الخلق، وهو ما يمكن استخلاصه من مدلول الآيات التالية من كلام الله في القرآن المبين نوضح بعضها بالآتي:

ذكر بعض آيات العقل والتعقل:

• قَالَ - سبحانه وتعالى - ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾، (الحج: 46).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾، (الفرقان: 44).

• قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، (الأنبياء: 67).

• قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، (البقرة: 44).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، (البقرة: 242).

• قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى - ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، (آل عمران: 65).

• قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾، (المائدة: 58).

• قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، (الأنعام: 32).

• قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، (يوسف: 2).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، (النحل: 67).

• قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، (الأنبياء: 10).

- قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى - ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾، (العنكبوت: 43).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، (الصافات: 138).

2-2 القلب والفؤاد:

يعرفان وظيفياً بالتعقل، والقلب معروف كونه عضواً من أعضاء جسم الإنسان المادي، إذ هو عبارة عن مضخة تغذي الجسم بالدم، وهذا التعريف المادي معروف لدى الناس، وهو ليس المطلوب في موضوعنا هذا، إنَّما المطلوب هو التعريف الوظيفي، غير المرئي للقلب، بمعنى آخر وظيفة التعقل، وارتباط هذه الوظيفة مباشرةً بالدماغ، إذ تُعد هذه الوظيفة من بعض خصائص ووظائف القلب المرتبطة والمتصلة بالدماغ، وهناك علاقة اتصال وتواصل بين القلب والدماغ، من نواحٍ عديدة، وهو ما يعرف بالذبذبات الكهرومغناطيسية، وأنَّ هناك تشابهاً كبيراً بين وظائف الخلايا العصبية بين كليهما، من حيث الإحساس، والتحكم والسيطرة والتأثير المتبادل، ومن الملفت للانتباه أن نتوقف أمام التقدم العلمي في تركيب القلوب الاصطناعية وقلوب بعض الحيوانات (الخنزير) في أجسام بعض الناس والتي تمت في الآونة الأخيرة، وهذا أمر جلل، يتطلب مزيداً من البحث في هذا الجانب حول العضو الصناعي (القلب الصناعي) أو القلب المنقول من حيوان، وتفاعلاته مع العقل (الدماغ) لمعرفة مدى التأثير والتأثر بينهما، وبقي أن نشير للفؤاد الذي قرن بالقلب، فإنَّه وبتقديري حالة خاصة، والشاهد من قصد التعريف به عن قرب مما تُرجم عن موقف أم موسى وخوفها على رضيعها من الغرق، وهو ما يدلُّ على أنَّ الفؤاد جزءٌ أساسي من القلب، ومرتبطة به، ويتحكم بتحديد انفعالات محددة، مثل: الحب، والكره، والخوف، والفرح، حسبما يُفهم (يُفقه) من مدلول هذه الآية، قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى - ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، (القصص: 10).

ذكر بعض آيات القلب والفؤاد:

أعتقد أنَّ قصة أم موسى - عليها السَّلام - مثَّلت ترجمةً حقيقيةً للتعريف بالقلب والفؤاد، استناداً إلى وحي الله - سبحانه - لها بإلقاء رضيعها موسى في اليم (الماء)؛ خوفاً عليه من القتل المُحقَّق من آل فرعون، وهذه الحادثة تجعلنا أمام مشهدٍ دراميٍّ قوي ومؤثر، وهو حالة خاصة تحكَّم العقل بإخراج مشاهدتها المادية، وتكفَّل القلب والفؤاد بالشعور به، حسبما تُرجم في سورة القصص التي ربطت فعل الإحساس بالفراغ للفؤاد، ولولا تدخل العناية الإلهية بربط جأش قلب الأم لكانت أبدت بإحساسها بالبكاء والصراخ على وليدها، قَالَ جَلَّ فِي غُلَاه: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، (القصص: 10)، ثم ورد ذكر القلب والفؤاد مجتمعين ومنفردين، بأكثر من آية من كلام الله سبحانه، نذكر بعضاً منها:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾، (الشعراء: 89)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾، (الصافات: 84)،
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾، (الإسراء: 36)،
- وَقَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى: ﴿... وَلَا تَطْعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾، (الكهف: 28)،
- وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿...كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾، (غافر: 35).

3-2 العلم والمعرفة بالفكر والتفكير:

التعريف بالفكر والتفكير: يُعرّف الفكر والتفكير بأنه حالة ذهنية نتاج تفاعلات العقل المختلفة والقلب والفؤاد وبتأثير الحواس من السمع والبصر والإحساس وتأثير المادة، أو هو ما ينتج عن كليهما من التفاعلات، فيتولد عنه الفكر والتفكير والمعرفة والاعتقاد والانفعال باعتبار ذلك حالة ذهنية غير محسوسة، ويترجم هذا الفكر والتفكير، والاعتقاد والانفعال، إلى عمل مادي محسوس للشيء محل التفكير، وهذا التعريف هو الأقرب باعتقادي للفكر والتفكير بشكل عام، ولكل فكر أو فكرة خصائصها عن غيرها، من حيث ارتباط الفكرة بالشيء محل الفكر، وكون الفكر لازمة إنسانية بطول حياة الإنسان على الأرض، فقد تعددت مصادر الفكر المادي والفكر غير المادي، والفكر الذي يجمع بين المادة وغير المادة، ومن هذا التفكير أنتج الإنسان - في مسيرة حياته - إراثاً ضخماً من الأفكار أصبحت تمثل أنواع من المذاهب، والمدارس الفكرية المختلفة، بالإضافة إلى الأفكار المكتسبة من الظواهر الطبيعية، والدور المميز لإلهام فكر الإنسان في التأمل المعرفي الذي أنتج عنه مزيداً من الفكر والتفكير، ومع هذا الإراث الإنساني الضخم استطاع الإنسان صياغة مناهج علمية، تحكم وتتحكم بالإنتاج الفكري، على العموم كما أوجد قوانين تحكم وتتحكم في مساحة التفكير، كما أن للفكر الديني دوراً في التأثير بمساحة الفكر والتفكير.

ولعل أول من بدأ بإعمال الفكر والتفكير على أساس المعرفة بماهية الأشياء والبحث عن الحقيقة المطلقة في الحياة هو سيدنا إبراهيم - عليه السلام والذي أسس منهجاً خاصاً بالتفكير، وكذلك الأنبياء والرسل، ثم كان لرجال الفكر والحضارة اليونانية وروما النصيب الأوفر في تبني عددٍ من المذاهب والمناهج الفكرية بالفكر الفلسفي، استخدموا في ذلك عدداً من المصطلحات والعبارات التي زادت الفكر المعرفي الإنساني توسعاً وأثراً وتعقيداً في نفس الوقت، فجعلت منه إراثاً مثقلاً بالمفاهيم والمصطلحات، والفرضيات والمناهج، وقد صاغوا عدداً من المذاهب الفكرية، فكان لهم الفضل في الإسهام الحضاري الإنساني الرائع والمتخصص حول الفكر والتفكير، المتمثل في المناهج والمذاهب الفلسفية، وجعلوا من الفكر فن له قواعده وقوانينه وقوالب خاصة ومحددة، مع الإشارة إلى أن كلام الله - سبحانه - حول الفكر كان أكثر يسراً وسهولة في التعريف بقواعد الفكر والتفكير، ولا يتعارض كثيراً مع

قواعد ومصطلحات الفكر اليونان وفكر روما، إذ جعل الإسلام من الفكر حالة ذهنية عامة لكل الناس كلا بقدر جهده واستطاعته، فجعل مساحة التفكير شاملة واسعة تقتضي محاكاة الخالق والمخلوق وكل الموجودات المحسوسة والغير محسوسة، يتبين ذلك مما ورد في كلام الله - سبحانه - حول الفكر والتفكير في أكثر من موضع (آية) في القرآن الكريم والتي أعتبرها في تقديرى أمثلة أو قواعد مدعوون للتفكير فيها، ابتداءً بالتفكير السماوات والأرض وما فيهما، وصولاً إلى أمورٍ محددة بذاتها، والنفس والروح حسبما ذكر في كثير من الآيات على سبيل المثال:

- قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿.. وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾، (آل عمران: 191).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿... هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾، (الأنعام: 50).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾، (آل عمران: 191).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿.. كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، (يونس: 24).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، (الرعد: 3).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يُنَبِّئُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، (النحل: 11).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾، (الروم: 8).
- قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، (الحاثية: 13).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾، (المدثر: 18).

4-2 العلم بالقرآن الكريم والفقه بالدين:

العلم بالقرآن الكريم:

ورد ذكر القرآن الكريم سبعين مرة تقريباً، وخصَّ العلم به حسبما جاء في أول سورة الرحمن، بقوله تعالى: (عَلَّمَ الْقُرْآنَ) فماذا يُقصد ب (عَلَّمَ الْقُرْآنَ)؟

هذا ما سنحاول الإجابة عليه من القرآن الكريم نفسه فهو كتاب حجة على اللغة بل ويفوقها، وخلافاً لفكر المذاهب الذي جعل من القرآن الكريم كتاباً يخضع لقواعد اللغة وفسروا القرآن بالتعاون والتمايم، والرقى والشعوذات، حسبما استعرضناه بالردِّ على كتابي الكافي

والبخاري ببحثٍ مستقلٍ في الجزء الأول من هذا المؤلف، غير أننا معنيين بإيضاح مقصد العلم بالقرآن الكريم من نواحٍ عدّة، وهي إيكاره، وفهم مدلول آياته، بالعقل والقلب والفؤاد، وقراءتها بألفاظه العربية المبيّنة الواضحة المُحكّمة المفصّلة الميسرة والسهلة والتي لا تحتاج لتفسير أو تأويل أو غير ذلك، بالإضافة إلى القراءة الحقيقية لغير العربي، حسبما يترجم حرفياً أو بالمعنى.

والعلم بالقرآن ككتابٍ جامعٍ لكل الكتب، والرسالات السماوية السابقة، فلم يكن القرآن كتاباً مناقضاً أو ملغٍ للكتب السابقة أو يحل محلها، بل جاء القرآن ككتاب جامع حسبما سبق الإشارة إليه، وأنه كتابٌ للناس أجمعين، وإنه كتابٌ علمٍ وإيمانٍ، وشعائر وأحكام، ووصايا وأمثال، وفيه من قواعد العلم والمعرفة وفيه من قواعد العرف والقانون وفيه من القصص الدرامية وغيرها الكثير، وفيه من العبر، وفيه من الصّور الحسيّة والخيالية، والتصوير الفني، وفيه من المعاني البليغة، وضخامة الإحياءات والشعور والاحساس والتذوق الجمالي للمفردات والألفاظ الحسية والمعنوية، والجرس الصوتي الحسن، وكل المفردات الحسنة في علم البيان واللغة، ودقّة الوصف البديع للأشياء، والكون، وغيرها من بدائع ومحاسن الألفاظ والتعابير، يقول ربُّ العزّة: ﴿الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾، (الرحمن: 1، 2، 3، 4)، وهكذا فقد بدأت سورة الرحمن بذكر اسمٍ من أسماء الله، وهو الرحمن، ومن رحمة الله أنه علّم القرآن، وارتبط تعلّم القرآن بخلق الإنسان، ثم علّمه البيان، ثم قرّن القرآن بلسانٍ عربي غير ذي عوج، ثم جعله ميسراً للذكر والفهم بالإيكار، وكرّر هذه الآية أربع مرات في سورة القمر، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾، (القمر: 17)، ثم وصف القرآن بعددٍ من الصفات: منها القرآن الحكيم والمحكم، المبين، المفصل، المجيد، والعظيم، والكريم، وغيرها من الأوصاف والصفات الحسنة ولأجل فهم (فقه) القرآن ارشد إليه الله بإيكاره بالعقل والفكر والتفكير والتعقل ولا غير ذلك، وإن اختلفت ألسن الناس، فيبقى فقهه وإيكاره هي الغاية الاسمي من نزوله إلينا كيف لا وهو كلام الله سبحانه وتعالى، فقد اخبرنا الحق سبحانه أنه ارسل كل رسول بلسان قومه قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ إبراهيم (4)، وشاء الحق سبحانه أن يجمع كلامه المتعدد الألسن على الأنبياء والرسل من نوح وحتى محمد عليهم السلام على لغة واحدة فكانت بلسان عربي فكان كلام الله القرآن عربي غير ذي عوج قال الله سبحانه: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الزمر (28) وعلينا الوقوف ملياً حول هذه الآية والتي يفهم منها أن الله سبحانه وبحسب إرادته ومشيته جعل من كلامه الموحى للأنبياء والرسل المتعدد الألسن بلسان عربي وقصد منه توحيد الخطاب بلسان واحد بعد أن كان متعدداً وهو ما يفهم من سياق اللفظ بالقول (جعل) قال جلّ في علاه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الزخرف (3) بمعنى أن كلام الله سبحانه الكائن الحاصل في حياة الناس الموحى به للأنبياء والرسل متعدد الألسن قد جعل بلغة جامعة فكانت بإرادته ومشيته قرآنًا عربياً مبيناً غير ذي عوج قال الله سبحانه: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ الشعراء (195) وقال الله سبحانه: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ الدخان (58) وقال جلّ في علاه: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ

بِلِسَانِكَ لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُنَذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴿مريم (97) وَقَالَ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿وَأَنْ أُنَلُّو
الْقُرْآنَ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ التَّمَل (92).
وهكذا سيكون حال مآله الآخرة التي تحدث عنها القرآن في حياة الناس الأبدية في الآخرة في
الجنة أو في النار فقرر الله سبحانه لغة الخطاب فيما بينهم بلغة القرآن.

2-4-1 العلم بأحكام الدين (فقه القرآن):

لقد عرّف الفقه في القرآن الكريم - بأنه من فقهه، (فهم) (يفهم) وفقه البيان، وفهم ما جاء به
الكلام، والفقه هو فهم الشيء ومعرفته المعرفة الواضحة والصحيحة بإدكار العقل والفكر، وقد
وضع فقهاء المذاهب تعريفات لغوية وأخرى اصطلاحية وأصولية محدّدة للفقه، عملوا من
خلال تلك التعريفات على تعطيل العلم بالفقه، وأوجدوا له أصولاً وقواعد، زادوا في تعقيد
الفهم به، وفي هذه الآية جاء كلام الله سبحانه ليعرّفنا بالفقه ببسر وسهولة، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قَالُوا
يَا سَعْيِبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا
بِعَزِيزٍ﴾ (هود: 91)، وكذلك قَالَ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا
قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾، (الكهف: 93)، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾، (طه: 28) وَقَالَ
تَعَالَى: ﴿وَإِخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ
يُكَذِّبُونِ﴾، (القصص: 34). ثم بيّن كيفية تعلّم الفقه، بتخصيص جماعة من المؤمنين ليتفقّوها
في الدين إذا رجع إليهم النّاس ببعض الأشياء، على اعتبار أن الفقه بالدين من البديهيات، وهذا
دليل على يسر وسهولة فهم وفقه القرآن الكريم، وما به من شعائر ومناسك، وحلال وحرام،
وقواعد الأحكام، وأوامر، ووصايا وغير ذلك، قَالَ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ
لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا
إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾، (التوبة: 122)، غير أنّ فقهاء المذاهب كما سبق القول، أوغلوا في
تعقيد المعرفة بفقه الدين والقرآن الكريم، فأحدثوا تعريفات لغوية، وتعريفات اصطلاحية،
جعلوها مدخلاً أساساً لفقه الدين والقرآن الكريم، وأصلّوا قواعد لغوية جعلوها من أحكام العلم
بالدين، ولا يستقيم العلم إلا من خلالها، فأطلق عليها أصول الفقه، وقواعد للتفسير والحديث
ورجاله ومن المتون والطبقات وأنواع شتى من الأحاديث منها الحديث القدسي والحديث
المتواتر والحسن والصحيح لذاته ولغيره والحديث المشكل والضعيف.... الخ، بما يخالف كلام
الله سبحانه في القرآن الكريم الحكيم المفصل المبين عربياً غير ذي عوج، وهي مخالف على
الجملة لكلام الله وما أنزل الله به من سلطان، فاستطاعوا من خلالها تحريف كلام الله عن
مواضعه، ونسوا حظاً مما ذكّروا به، ومن أمثلة ذلك ما قام به الإمام الشافعي من التحريف
والتعقيد في كتابة المسمى (الرسالة)، وهو موضع بحث، وقد خصّصت له عنواناً له في الجزء
الأول من هذا المؤلف.

لقد كان القرآن العظيم وما يزال رافعة مهمة وكتاب حضاري ملهم للعقل الإنساني
والعقل العربي المسلم الذي استطاع به فتح آفاق الحضارة العلمية خلال فترة من الزمن، فنبأ
العالم العربي والعالم الإسلامي من الهند إلى الأندلس (أسبانيا) أرفع مكانة علمية وأدبية،

أزدهرت في تلك الحقبة من التاريخ في مختلف فنون العلوم من الفلسفة والطب والفلك والفيزياء والكيمياء والرياضيات وغيرها فأصبح عصر الدولة العربية الإسلامية خلال قرنين من الزمن يحاكي عصر الأنبياء الحضاري الإنساني لحضارة أثينا وروما قبل وبعد بعثة السيد المسيح رسول الله عليه السلام، ومن المؤسف أن يستبدل القرآن العظيم بكتب الموروث الفكري لمذاهب القلقلة والعنينة عقب انهيار الخلافة العباسية وكان من عوامل وأسباب ذلك الانهيار تسلل الفكر المذهبي المدسوس والمقصود في ذلك الزمن، فعجل في ذلك الانهيار المريع لحضارة علمية كان قاعدتها الأساسية هذا الكتاب (القرآن) الذي يخاطب العقل والفكر والقلب، ويخاطب المادة معاً، وحل بدلاً عنه كتب الموروث الفكري المذهبي للمذهبيين السنة والشيعية ككتاب ابن هشام المحرف للتاريخ والسيرة النبوية والهادم للشخصية العربية، وكتاب الموطأ لمالك وكتاب صحيح البخاري ومسلم، وكتاب الكافي والترمذي وابن ماجه وابن داود والرسالة للشافعي ومسند كلا من أحمد وابن حنبل والمذهب الحنبلي ومسند مذهب الشافعي ومسند المذهب الأسماعيلي ومسند المذهب الزيدي وغيرها من كتب المذاهب خاصة المذهب الأثنى عشري غزير العناوين والتأليف ومن كتب الفرق والجماعات الدينية المختلفة، وكل هذا الموروث البغيض أحدث هدماً مريعاً لقيم العلم والإيمان في تلك الحقبة من التاريخ أمتد أثره إلى واقعنا المعاصر في الكثير من التشريعات في حياتنا العملية، وكذا فقه الشعائر والمناسك والعبادات فعمل على تحريفها، وكذا هدم قواعد العلم والمعرفة بأحكام الحلال والحرام وهذه التركة للأسف ما زالت جاثمة على صدورنا حتى يومنا هذا.

2-5 العلم بالعرف والأعراف والعلوم الإنسانية:

سوف نحاول إثراء هذا العنوان بأكثر من موضوع في العناوين القادمة لأهميته، والفائدة المرجوة منه، فإن القانون مازال وليد أعراف الناس في كل زمان ومكان، وحاجتنا للأعراف والقانون كحاجتنا للحياة ذاتها، وعندما يُعطَل القانون تختل الحياة ويفقد الإنسان الأمن والعيش الكريم، ومجالات العرف والأعراف كثيرة في الحياة، وكل التشريعات القانونية المنظمة لحياة الإنسان جاءت وليدة العرف والخبرة التراكمية التي يكتسبها الإنسان في حياته، فهي تلك العادات والأعراف الإنسانية التي تحمل كل قيم الخير والفضيلة على تلك الثوابت المستقرة لدى الشعوب والأمم والتي تنشد لإقامة النظام والالتزام به على نحو يتعارف عليه الناس، وسرعان ما يطرد الأفراد لاحترامه والتقيده به وإطاعة مضمونه، فيصبح نصاً منظماً للحياة، والحقوق والحريات المدنية المتساوية، من غير تمييز في المعتقد، أو الجنس، أو اللون، أو العرق، ولذلك عالج القرآن هذا الجانب في حق الناس على العمل بالأعراف، على ضوء العادات المستقرة لدى الناس، فتحوّلت هذه العادة إلى تشريع مكتوب، أطلق عليه عدد من المسميات (قانون)، أو (تشريع)، أو (مرسوم)، أو (قرار)، أو (لائحة)، أو غير ذلك، حسبما جاء به في آيات مختصرة نُوردها هنا، قَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾، (الأعراف: 199)، وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَبَيْنَهُمَا جَبَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ

يَظْمَعُونَ»، (الأعراف: 46)، وَقَالَ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رَجُلًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾، (الأعراف: 48) وعلى ذلك فإن كل التشريعات الدستورية، والقانونية، واللوائح، والقرارات، والمراسيم، والمواثيق، والمعاهدات الإقليمية والدولية، والاتفاقيات، والبرتوكولات، وكل المبادئ والقواعد والنظم القانونية، هي من أساس العرف والأعراف التي أمر بها الله - سبحانه وتعالى - بصورة إجمالاً، وترك للإنسان حرية التشريع، حسب متغيرات حياته زماناً ومكاناً، وفي جميع مجالات حياة الإنسان، وبما يتوافق مع القرآن الذي يتصف بقواعد ثابتة ولا يتعارض معه، وجعل من التجارب العملية بداية نحو معرفة العرف وسرعان ما تحول لقانون يضبط أحكام وقوانين العلوم المختلفة، ومن تلكم الطرق والمباحث نخلص لقيمة القانون كأعلى قيمة فكرية ومعرفية صاغها الإنسان في تنظيم حياته، فارتقى بحق لمستوى رفيع في الحياة، ذلك مبلغ وغاية الله سبحانه الذي ارتضاه لعباده، كيف لا وقد كانت وما زالت سنن الله - جل جلاله، ماضية في تسيير مجمل عناصر الحياة، حسب قوانين مُحَكَّمة للكون والإنسان وبدقة بالغة وإحكام تام، ولله المثل الأعلى في كل شيء، فكان العمل بالعرف وصياغة القانون من أبداع ما خطه عقل الإنسان في الحياة، فأستحق تصنيفه من أهل الأعراف، وهم ثلة من الأولين والآخرين الذين جوز لهم دخول الجنة لفعلهم هذا.

2-5-1 العلم والمعرفة بالعلوم:

تكمن أهمية هذه العلوم للتعريف بأحوال عيش وحياة الإنسان، ودراسة أنماط حياته المختلفة، وتأثير المكان، والمناخ، والظروف المحيطة به، والتنشئة الاجتماعية، وهناك عددٌ من فروع العلوم المختلفة، مثل علم الفيزياء، وعلم الكيمياء، وعلم الرياضيات، وعلم الفضاء، وعلم الهندسة والبرمجيات والاتصالات وغيرها، بالإضافة للعلوم الإنسانية مثل علم التاريخ، وعلم الآثار، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، وعلم الإدارة، وكثيراً من فروع العلوم الإنسانية، والأهم منها بنظري العلوم الإدارية، خاصة منها علم النظم السياسية لارتباطها بالحاكمة السياسية للإنسان، فقد أنتج هذا الفرع فكراً إنسانياً غزيراً بمختلف النظريات العلمية، في السياسة والاقتصادية والإدارة، ومن أهم تلك النظريات تلك التي ارتبطت بالحكم وهما النظرية الشمولية في الحكم السياسية وربط معها منهجها الاقتصاد التشاركي الخاص بها في رأس المال وصفه بالنظرية الاشتراكية أو حسبما يطلق عليه بالمنهج الاشتراكي، يقابله على الشق الآخر النظام السياسي الحر حسب النظرية الليبرالية الرשמالية في السياسة والاقتصاد، ونظام آخر ليبرالي جمع بين النظامين والنظريتين وهو أقرب للنظام السياسي والاقتصاد الرشمالي وأصبح هو المهيمن على معظم دول العالم، مع وجود بعض أنظمة الحكم السياسي الأخرى هنا وهناك واختلافهما في بعض المفاهيم من حيث التشدد والانفتاح، حسب البرامج السياسية لكل دولة وشعب، مع الاختلاف أيضاً في المصطلحات، والتسميات، والمفاهيم السياسية، من دولة إلى أخرى، وكليهما من إبداع وفكر الإنسان العلمي في الإدارة والنظام السياسي والاقتصادي لدولة ما من دول العالم كما هو الحال في أيامنا هذه.

ومع هذا الإبداع الرائع في الإدارة، والاقتصاد، والأنظمة السياسية العالمية، خاصة وأن هذه الأنظمة أصبحت تتخطى حدود الدولة الوطنية، فإن أرقى أنظمة الحكم تلك التي جمعت بين مختلف الأنظمة الحديثة في الإدارة والاقتصاد والسياسة مجسدين مفهوماً لعدالة الاجتماعية والفكر الحر المتوازن للاقتصاد، ولعل أنظمة الحكم في الدول الاسكندنافية تمثل أرقى أنظمة الحكم السياسي الأمثل في واقعنا المعاش اليوم، لما يمثل الإنسان فيه من قيمة عالية في سلم الأولويات لتلك المجتمعات، مستلهمين فكرة نشأة الدولة من فعل الإنسان المحض الذي بينه كلام الله في القرآن من خلال ذكر قيام دولة سبأ على مفهوم الشورى فكان محور كلام الله سبحانه في قيام النظام السياسي للدولة على منهج الشورى في إدارة النظام السياسي هو محور الارتكاز في بناء الدولة بمكوناتها الأساسية، وعلى إرث الإنسان في أنظمة الحكم السياسي السابق تطور نظام الشورى في بناء النظام السياسي للحكم في العصور المتعاقبة فظهر بعد ذلك النظام الديمقراطي في عصر ما قبل الميلاد في مدينتي أثينا وروما بصورة واضحة المعالم وبمناهج ومصطلحات فلسفية متعددة، ومضمون هذا النظام يقوم على حفظ الحقوق، وإقامة العدل وتقديم المنفعة للإنسان وخدمته أولاً وبه يتحقق الرخاء والأمن، والإيمان، والامتثال، لأمر أفعّل ولا تفعل وهكذا كان هذا النظام أول لبنة تم إرساؤها في أنظمة الحكم السياسي، وهي ما تزال تمثل أرضية الفكر السياسي القائم حتى يومنا هذا، وعلى أرضيته استقرت العلوم وترسخت المفاهيم وبه كانت الأرضية والمفاتيح التي أفلحت بها الشعوب والأمم نحو مزيد من العلوم والمعرفة.

2-5-2 العلم بالمال والاقتصاد:

ذكر المال في آيات كثيرة وبوظائف متعددة وحث على الانفاق حسب الآيات نذكر بعض منها بالتالي:

- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾ الكهف (46).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ مريم (77).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ﴾ المؤمنون (55).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ الشعراء (88).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ القلم (14).
- قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي﴾ الحاقة (28).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا﴾ المدثر (12).
- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ الفجر (20).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا﴾ البلد (6).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ الليل (11).
- قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَرَكَّى﴾ الليل (18).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ الهمزة (2).

- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ الهمزة (3).
 - قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ المسد (2).
 - قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿...﴾ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ التوبة (34).
 - قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ البقرة (274).
 - قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ البقرة (279).
 - قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ الأنفال (28).
 - قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ الذاريات (19).
 - قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾ المعارج (24).
 - قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ نوح (12).
- آية في ادارة المال وتعتبر هذه الآية دستور متين في تأسيس الشركات التجارية القائمة اليوم والمتنوعة وهو ما يسترعي علينا التوقف عندها كثيرا :
- قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجْتِكَ إِلَىٰ نِعَاجَةٍ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ ص (24).
- آيات تتحدث عن سند الدين بصورة عامة والتجارة بصورة خاصة نذكر منها:
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ البقرة (282).
 - قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ النساء (29).

- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ التوبة (24).
 - قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ النور (37).
 - قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ﴾ فاطر (29).
 - قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ الصف (10).
 - قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ الجمعة (11).
- آيات تتحدث عن أنواع العملات النقدية:
- قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ...﴾ آل عمران (14).
 - قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُودِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُودِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا...﴾ آل عمران (75).
 - قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ يوسف (20).
 - قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿.... فَاذْعَبُوا أَحَدَكُمْ بَوْرَقَكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ الكهف (19).
- العلم بالحكم والعدل على العموم نذكر بعض من الآيات:
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿... وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ النساء (58).
 - قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ النساء (105).
 - قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ النساء (65).
 - قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ المائدة (47).
 - قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ النور (48).

• قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ المائدة (8).

• قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ النحل (90).

2-6 العلم والمعرفة بالمخلوقات:

يتعرّف العلم بأنه الإدراك العقلي والحسي لحقيقة الأشياء وماهيتها ومعرفة قوانينها التي تتحكم فيها، والعلم غير الفقه، إذ إنّ الفقه يُقصد به (الفهم)، وهو أهون وأبسط من العلم، غير أنّ العلم أعلى وأعمّ قيمةً عقليةً يسعى إليها الإنسان في الحياة، ولذلك أوضح الحقّ - سبحانه وتعالى - مكانة العلم والمتعلمين، قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى - ﴿... قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، (الزمر: 9)، وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿... يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، (المجادلة: 11)، وقوله - سبحانه وتعالى - ﴿... إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾، (فاطر: 28). كما بيّن الحقّ - سبحانه وتعالى - في القرآن الكريم أنّ العلم هو القاعدة الأساسية التي تركز عليها بقية القواعد الأخرى في الدين والحياة، ومن المسلمّ به أنّ مَنْ تعلّم فقد فقه (أي: وعى وعلم)، ومن وعى وعلم فقد آمن ومن آمن فقد نجى بنفسه، وهكذا كانت وما زالت سنة الله تعالى في الخلق، فقد كان أول خطاب للإنسان هو خطاب العلم المرتبط بفعل كينونة خلق المخلوق، أمّا متلقّي العلم فهو الإنسان (آدم وزوجه)، فكان تعليم آدم وزوجه أول فعل الخالق؛ لما له من دلالة مشهودة أمام الملائكة، وما لهذا الحدث من أهمية في أساس تكوين قاعد العلم والمعرفة لهذا المخلوق الجديد، بديع الصنعة، متلقّي العلم (آدم - وزوجه) حسب المشهد الذي يصوّره لنا كلام الله سبحانه، بقوله (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) ... قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿.... وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ، قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾، (البقرة: 31، 32، 33).

والتأمل في دلالة الآيات المباشرة يؤكد إبداع الخالق جلّ وعلا لنظام تسمية الأشياء أو الأسماء لكل مخلوقاته في عقل الإنسان الأول (آدم وزوجه)، ويؤشر ذلك إلى أنّ كل المعلومات مخزنة في عقل هذا المخلوق المميز بذلك، والنظر السابق المرتبط بالحدث اللاحق اختراع الإنسان للآثار المعلومات الأضخم وما يسمى بـ(السيرفر) الذي هو في الأصل شبيه بعقل الإنسان مع الفارق، الذي يتجلّى في تغيير قدرات عقل الإنسان على التسمية بفعل تغيير كتالوجه الذي أصيب بالاضطراب بسبب فعل المعصية واختراق فيروس "إبليس" له. قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ نُجِدْ لَهُ عَزْمًا، وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى، فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ

الْجَنَّةِ فَتَشْقَى، إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى، وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى، فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى، فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى، (طه: 115، 116، 117، 118، 119، 120، 121)، ومن رحمة الله سبحانه وتعالى بالإنسان أن صنع له نظام حماية من هذا الفيروس (إبليس) تمثلت بهدى وكلام الله سبحانه عبر الأنبياء والرسل والرسالات والذي جمع في القرآن ككتاب مبين وواضح وخالد فمن تبعه فلا يضل ولا يشقى، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾، (طه: 123).

ثم علم الإنسان تفاصيل العلوم بالأشياء بعددٍ من النواحي بفعل السببية، قَالَ جَلَّ فِي غَلَاهِ فِي سُورَةِ الْعَلَقِ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ.....الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ..... عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، (العلق: 1، 4، 5)، ومن هذه الآيات المرتبطة بذكر القراءة كبوابة رئيسية لتلقي العلم بالعقل والتعلُّق، ثمر ذكر بوابة آخر كمصدر للتعليم وهو القلم كأداة وتصنيف حصري للعلوم، ثم ذكر العلم المتجسد في كلام الله سبحانه الموحى به لآدم وزوجه، ثم للأنبياء والرسل على مراحل الحياة الإنسانية، ووفقاً لتجارب وخبرة الإنسان في الحياة وما تكون لديه من العلم بالغرف والأعراف والخبرة اليومية المكتسبة من الحياة، وقد أشار إلى ذلك القرآن في آياتٍ صريحة مباشرة، وأخرى ضمنية يفهم من مضمون آياتها ما سبق ذكر بعضها، فقد أشار إليها كلام الله - سبحانه - كثيرة ومتعددة، منها ما جاء إجمالاً، ومنها ما جاء مفصلاً، ومن هذه الآية ندرك أننا لا نستطيع أن نحصي كلمات الله المعنوية بعلم التصنيف والفهرس بالقلم، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، (لقمان: 27)، ثم إِنَّ مُجْمَلِ عِلْمِنَا وَتَعْلُمِنَا، وما سوف نتحصّل عليه من العلوم مستقبلاً لا يساوي إلا القليل، حسب كلام الله، قَالَ جَلَّ فِي غَلَاهِ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾، (الإسراء: 85). ونذكر هنا نزراً يسيراً من تلك الآيات التي تشير إلى مجمل العلوم بالعناوين المختلفة.

2-7 العلم بالسَّماء والكون والعرش:

لقد كان سيدنا إبراهيم عليه السلام أول وجهه وجهه للسماء من الناس، وذلك في محض بحثه وجدله عن العلم والمعرفة بالخالق، متأملاً عظمة خلق السماء فكان تعريق السماء حسب الآيات من القرآن وبصورة مختصرة: (هو كل فضاء يحيط بالمادة أو تسبح فيه)، ففي السماء كل أشكال الملكوت (الكواكب - النجوم) وعليها التوقف على آيات القرآن وهي تبهرنا بالتعاريف المفصلة للسماء وما فيها، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾، (الأنعام: 75)، وجاء تعريف الملكوت بآيات أخرى من القرآن قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، (يس: 83) وآية أخرى قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، (المؤمنون: 88) وأخيراً جاء التعريف بالملكوت من أجل حث الإنسان

للتعريف به من كل الناس وهو ما توصل إليه علماء اليوم والغد قَالَ جَلَّ فِي غَلَاه: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾، (الأعراف: 185)، وحول تفاصيل رؤية سيدنا إبراهيم لملكوت السماء بالآيات من سورة، (الأنعام: 76، 77، 78) التي تتحدث عن عظمة ما شاهد من ملكوت السماء وما فيها من كواكب ونجوم وأقمار، فعندما جن عليه الليل رأى كوكباً، ثم رأى القمر، ثم رأى الشمس بازغة وهكذا، ومن كون فعل الرؤية كانت معجزة بحد ذاتها في الزمان والمكان، ومن ثم كان أول إنسان أسس لعلم السماء والكون أو علم الفلك حسب تنبأه الديني فكان هذا في العصر البابلي القديم، وجاء هذا الكلام في وصف حدث وحالة الفتى (إبراهيم) الذي وظف عقله وحواسه باحثاً عن الخالق من خلال المخلوقات التي ظنَّ لضخامتها أنها ذات الخالق عيناً ووصفاً، وهكذا أخذ هذا العلم يشق طريقه من قبل الإنسان فجاء ضمن علوم الحضارات الإنسانية في حضارة بابل ومصر واليونان والفرس والهند وغيرها، والذي دس فيه من الأساطير والخرافات وصبغت هذه الأساطير والخرافات بالصبغة الدينية، ثم دلج الفلاسفة للخوض فيه معبرين عن جوانب نفسية تجاه الظواهر الكونية، وهو في الحقيقة علم منهجي حقيقي يقوم على دراسة السماء بما فيها من نجوم وكواكب ومجرات وغبار كوني ويحدد أساس مادتها وتكوينها وخواصها عبر عددٍ من العلوم المكتشفة حديثاً والتي تدرس السماء والكون بعدد من العلوم المعروفة حالياً، منها علوم الفيزياء الكونية، وعلوم الكواكب، وعلم النجوم، وعلم المجرات وغيرها من علوم المستقبل والتي أتوقع أن يكون لها قوانين خاصة بها، فقد كان لجهود العلماء في القرن الماضي والحالي (ستيفن هوكينغ) الدور الكبير في البدء في إعداد مناهج البحث العلمي في هذا العلم الكبير بكبر السماء والكون، فكان هو وغيره من العلماء الأجلاء في مختلف دول العالم المتحضر من يضع اللبنات الأولية والأساسية لهذا العلم وغيره من علوم فيزياء السماء والمجرات والكون العظيم.

ومن نافلة القول النظر للحقائق العلمية التي ذكرها القرآن فلم يكن ذكرها حدثاً عابراً من الأساطير الدينية التي صنفها بعض المفكرين متأثرين بالفكر الديني القديم لبعض العقائد البابلية القديمة كالصابئة المندائية حول مبدأ الخليفة وأله النور وأله الظلام، وأله الخير وأله الشر، والعالم السفلي والعالم العلوي، وكذلك كتب العهد القديم لتوراة العبرانيين الوارد بسفر التكوين وغيرها وما دست جماعة التحريف لجزء كبير من ذلك الفكر الديني القديم بفكر المذاهب الإسلامية، والتي صورت خلق السماء وما فيها أشبه بالحكايات الذي يسرد الأساطير الخرافية أمام مشهد من السامعين، على إثره عمم خرافة النص الديني على عموم الإسلام والقرآن مستشهداً بفكر المذاهب المندس كحجة على الدين والقرآن فكان ذلك التقول هو عين السفطة والسقوط الفكري، حسب ما جاء بسفر التكوين (1).

(1) انظر العهد القديم . توراة العبرانيين / سفر التكوين . النصوص التالية: النص الأول (في البدء خلق الله السماوات والأرض. 2 وكانت الأرض خربة وخالية، وعلى وجه الغمر ظلمة، وروح الله يرف على وجه المياه) النص الثاني: (قال الله: «ليكن جلد في وسط المياه. وليكن فاصلاً بين مياه ومياه». 7 فعمل الله الجلد، وفصل بين المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد. وكان كذلك. 8 ودعا الله الجلد سماء) النص الثالث: (وقال الله: «لتنبت الأرض عشباً وبقلاً يبرز بزرأ، وشجراً ذا ثمر يعمل ثمرأ كجنسه، بزره فيه على الأرض». وكان كذلك) والنص الرابع: (فعمل الله النورين

لقد كانت نصوص توراة العبرانيين المنسوخة من الأساطير البابلية القديمة⁽¹⁾ عن الخلق عموماً وعن خلق السماء خصوصاً وغيرها من القصص والخرافات والأساطير، وقد دست جماعة التحريف مضمون هذه الخرافات والأساطير في الكثير من الأفكار الدينية الأخرى ومنها فكر المذاهب الإسلامي فكانت بحق محل للتندر والنقد من خلال القراءة العابرة ليس إلا، ويعزى نقد الفكر الديني ووصمه بالخرافة والأساطير من كون النهضة العلمية كان منطلقها قارة أوروبا وهي موطن تراث وفكر العهد الجديد المتصل بالكنيسة المسيحية فكانت الحقائق والنظريات العلمية التي يكتشفها الإنسان تصطدم مع تلك النصوص الدينية المحرفة، بخلاف دين الإسلام والقرآن الذي يؤيد العقل والعلم والحقائق العلمية حول اكتشاف السماء والكون وما فيه، بل إن القرآن جاء بنصوص أشبه بالنظريات العلمية المكتشفة بل ويفوقها حول خلق السماء وما فيه من النجوم والكواكب وآيات أخرى من كلام الله سبحانه اعتبرت أشبه بحقائق علمية ثابتة وراسخة في وصف السماء والكون، كما أعتبر خلق السماء أعظم وأكبر خلق الله سبحانه وتعالى في الوجود حسب ما سيأتي من توضيح من آيات القرآن، فكان ذلك الكلام خالداً أزلياً راسخاً في عقل المخلوق الأول من البشر، فقد جاء ذكر السماء منفرداً، كما جاء ذكر السماء والعرش، والسماء والأرض، والسموات، وذكر ملكوت السموات والأرض في القرآن الكريم كثيراً، فذكر بصفات وأشكال وأوضاع متعددة منها أن أصل مادة التكوين الأول لهما واحدة، وقال جل في علاه: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا^ط وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾، (الأنبياء: 30)، كما ذكر أن أصل هذه المادة مرتبطة بالدخان، وهو ما يُعرف اليوم بالغبار الكوني العظيم، ثم يأتي بأية أشبه بنظرية تتحدث عن أساس خلق الكون من الدخان الكوني العظيم، وكذلك تعدد طبقات السموات فذكر تكوين السماء بسبع سماوات وزين السماء الدنيا بزينة المصابيح من النجوم وغيرها وزادها بالحفظ، قال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ، فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾، (فصلت: 11، 12)، وعن مناسبة ذكر الدخان في بداية خلق السماء كما في الآية السابقة، سوف يكون الدخان أيضاً في نهاية الخلق حسب الإرادة والمشية وبفعل السببية فيأتي الدخان من السماء ليغشى به الناس أثناء حياتهم، كعلامة لنهاية العالم وقيام الساعة حسب هاتين الآيتين من سورة الدخان، وقال الله سبحانه: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ، يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، (الدخان: 10، 11)، كما ذكر أن السماء بنيت بأيدٍ، وأنها قابلة للتوسع، وهو ما تعرف بنظرية تمدد الكون، ووصف وضع السماء بأنها رُفعت بغير عمدٍ ترى، كما ذكر وضع السماء والكون قائم على ميزان مُحكم في الحركة والانضباط، كما وصف السماء بذات الحُبك المتشابك، كما وُصفت سماء الأرض بذات الرّجع للذبذبات وارتجاع الموجات الكهرمغناطيسية المختلفة، وبالسقف المحفوظ من أشعة الشمس فوق البنفسجية، والإشعاعات الكونية الأخرى، ثم جاء وصف حال السماء

العظيمين: النور الأكبر لحكم النهار، والنور الأصغر لحكم الليل، والنجوم. 17 وجعلها الله في جلد السماء لتنير على الأرض).

(1) انظر أنبياء سومريون - د. خزعل الماجدي الطبعة الأولى 2018م

بعددٍ من الأوصاف الكثيرة، ولمزيد من التعريف بخلق السماء فقد جاء القرآن الكريم ليحدثنا في سورتين عن النُّجوم، سمَّى الأولى بسورة النجم، والأخرى بسورة الطارق، كما جاء ذكر الكواكب، والكون، وملكوت السماوات والأرض في عددٍ من الآيات في سورٍ مختلفةٍ من القرآن، وما يحوى الكون من الكواكب والنُّجوم والأكوان والمجرّات، خاصة وأنَّ القرآن الكريم ذكرها على سبيل المثال، وأقسم ببعضها على سبيل عظمة هذه المخلوقات، ومنها النجوم الطارقة في الكون العظيم، والتي تم اكتشافها مؤخراً بسماع طرقات أشبه بأصوات المطارق الحديدية، فجاء قوله - عزَّ وجلَّ - في بداية سورة الطارق: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ، النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾، (الطارق: 1، 2، 3)، والنجم الثاقب وصف دقيق لبعض النجوم ذات الثقوب السوداء.

أمَّا وعن حجم المسافة الكونية التي يقدرها العلماء اليوم بالسنة الضوئية التي قد تصل لمليارات السنين الضوئية بين مكان وآخر من المجرات والكواكب والنجوم فقد جاء كلام الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم ليتحدث عن هذا العنوان الكبير بقوله الله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ، وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾، (الواقعة: 75، 76)، وجاء القرآن بذكر الله تعالى يصف حال النجم الذي يهوي في الكون مقسماً بعظمة فعله إذا هوى، فقال الله جلَّ وعَلا: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾، (النجم: 1)، وآيات وهناك أخرى تتحدث عن مخلوقات جبارة في السماء تقوم بوظيفة أشبه بتنظيف الكون، وقد اكتشفها العلماء على أنها تقوم بكس الكواكب والنجوم والمجرات الميتة أو غيرها فجاء وصفها بصورة مذهلة تفوق الخيال والعقل، وقد أطلق عليها اليوم كانسات الكون العظيم أو الثقوب السوداء إذ تقوم بالتهام أحجام تفوقها بصورة مذهلة معلنة فناء المادة في ذاتها، قال الله جلَّ وعَلا: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ، الْجَوَارِ الْكُنُوسِ﴾، (التكوير: 15، 16).

وقد أورد الحق جلَّ وعلا آيات كثيرة حول السماء والكون تقودنا لتأسيس عدد من النظريات العلمية عن السماء والكون وتحتاج لبحوث علمية مكثفة فمثلاً هذه الآية التالية التي تتحدث عن كبر وعظمة خلق السماوات والأرض وأنها أكبر من خلق الناس جميعاً من أولهم وحتى آخرهم، قال سبحانه: ﴿الْخَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، (غافر: 57)، ثم نجد آية أخرى تتحدث عن حدث أو قل نظرية إعادة خلق الكون بنفس طريقة بداية خلقه الأول، ثم يبين الله سبحانه كيفية خلق السماء والكون بضرب مثل قريب الشبه في التعامل مع سجل الكتب في طيها، لسهولة التعرف على بداية الخلق وإعادة الخلق من جديد كما بدأه أول مرة، ليس ذلك بل زاد الأمر بالتأكيد على حقيقة الفعل بقوله وعداً علينا إنا كنا فاعلين حسب هذا الآية، بقول الله جلَّ وعَلا: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾، (الأنبياء: 104)، ويتحدث عن خلق سماء الأرض كسقف محفوظ من الأشعة البنفسجية وغيرها، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفَافًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾، (الأنبياء: 32)، تحدث عن جعل السماء بروج بمنازل محددة وجعل فيها الشمس سراجاً ملتهباً بالنار والقمر مشعاً بالنور من غير نار، قال الله - سبحانه وتعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾،

(الفرقان: 61)، وآية أخرى تتحدث عن مسافات الكون الشاسعة بين السماء والأرض وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾، (السجدة: 5)، وفي نفس السياق يتحدث عن مقدار الزمن الكوني الكبير قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، (المعارج: 4)، وآية آخر قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿... وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾، (الحج: 47)، وآية تتحدث عن نظرية تمدد الكون - السماء وهو في توسع مستمر، وزاد الإيضاح عن بناء السماء بأيدي وزينها وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾، (الذاريات: 47)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾، (ق: 6)، كما تتحدث عن وضع ميزان للكون يعمل على ضبط إيقاع الكون بشكل بديع جدا وهو ما ينفي عامل الصدفة والقول بأن الطبيعة هي من تسير نفسها حسب قول بعض المفكرين، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾، (الرحمن: 7)، وآية تتحدث عن حدث عظيم من انشقاق السماء فكانت وردة كالدهان وهو تشبيه بديع في الوصف من أجل تقريب الفهم قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾، (الرحمن: 37)، ثم زاد أمر الانشقاق وضوحاً بهذه الآية قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾، (الحاقة: 16)، ثم يأتي كلام الله سبحانه بمزيد من التعريف بالسماء وصفاً ووظيفة في القرآن، فكانت هذه الآيات وغيرها حقائق علمية، أو قل عنها أنها تؤسس لنظريات علمية عن علم السماء والكون وعلم الفلك وعلوم المجرات وعلوم الفضاء الذي لم يكتشف بعد وبدأ الإنسان يخط أحرفه الأولى في نهاية القرن الماضي وأخرى بدأ الإنسان في اكتشافه أو بعضاً منها، وما زال منها طي الاكتشاف، نسرد من تلك الآيات من كلام الله سبحانه في القرآن الكريم تاركاً للأيام القادمة والعلماء وضعها في منهجية علمية غزيرة البحث والتقصي:

- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾، (المزمل: 18).
- وَقَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾، (المرسلات: 9).
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾، (النبا: 19).
- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾، (النازعات: 27، 28، 29).
- وَقَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾، (البروج: 1).
- وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾، (الطارق: 11).
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾، (الغاشية: 18).
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا﴾، (الشمس: 5).
- قَوْلَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا...﴾، (الملك: 3).
- وَقَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ...﴾، (الملك: 5).
- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾، (يونس: 101).

- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿وَكَايَيْنَ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾، (يوسف: 105).
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً﴾، (الجن: 8).
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ...﴾، (الزمر: 5).
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا...﴾، (لقمان: 10).
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَنِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ...﴾ (العنكبوت: 61).
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبَّحَهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾، (الطور: 49).
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾، (المرسلات: 8).
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾، (التكوير: 2).
- وَقَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ...﴾، (الأعراف: 54).
- وَقَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا...﴾، (هود: 7).
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾، (الحجر: 16).
- وَقَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾، (الصافات: 6).

فهذه الآيات وغيرها تتحدث عن مجمل خلق الكون - السماء وما تحوي من الشمس والكواكب والأقمار والنجوم والمجرات بأبعاده المتناهية في الكبر والعظمة، فكل آية بمثابة حقيقة علمية وكونية مستقلة عن الأخرى، أو قل نظرية كونية متكاملة تحتاج لمزيد من البحوث والتجارب العلمية، من أجل اكتشاف قوانينها التي بدأ الإنسان يخطها في مطلع هذه الألفية.

وعن دور العلم الحديث حول العلم بالسماء والكون فقد تم مؤخراً اكتشاف مجرات تم رصدها خلال القرن الماضي وبداية القرن الحالي وتحديدًا في هذه الأيام القليلة الماضية فقد أعلن عن اكتشاف خارطة السماء بفضل وكالة ناسا الأمريكية لأبحاث الفضاء بواسطة تلسكوب (جيمس ويب)، وحددت المجرات بأعداد كبيرة لا تحصى، فكانت عظيمة في الخلق والكبر يعجز عن قياس حجمها من حيث الطول والعرض، وكل مجرة تحتوي على ملايين الكواكب ومئات الألاف من الشمس والنجوم يتخللها غبار كوني رهيب، ومن بين هذه المجرات نجد مجرتنا المسمى "بدرج التبانة" بين هذا الكم الكبير من المجرات، مما يدل على عظمة هذه المخلوقات الجبارة، إذ إن العلم بها يخجل نفوسنا عن مغبة التنافس والتشاحن والحروب التي تجري داخل حبة رمل زرقاء تسمى الكوكب الأزرق مرمية بصحراء الكون المقفرة في كون هائل من المجرات تسبح في ظلام دامس لا يعرف له طرف، فيقف العقل على حافة هذا السماء الهائلة عاجزاً عن تخيل بداية ونهاية هذا الكون البديع، وأمام هذا المشهد

العظيم من الخيال الوصفي من آيات الذكر الحكيم نتوقف عند النافذة الأولى التي أطل منها سيدنا إبراهيم متوجها بوجهه نحو السماء باحثاً عن حقيقة الوجود من خلال تأمله بدلائل خلق السماء، مستخدماً أدوات البحث المستودع في ذات خلقه من عقل وفكر وحواس فأدرك حقيقة الخالق من خلال مخلوقاته فأستحق كل الأوصاف من الله سبحانه ابتداء بالحفي الخالي من الشرك، إلى كونه قانتاً أواباً مسلماً، فكان إيمانه يساوي إيمان أمة كاملة، ثم رقى إلى خليل الله سبحانه فاستحق كل تلك الصفات، ولنا أن نتذكر دائماً هذه الآية التي تدعو للتفكير حول خلق السماء مقرونة بدعاء الخالق قَالَ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ، الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾، (آل عمران: 190، 191).

ومن بين هذا الظلام الدامس الذي يلف ويغطي السماء والكون العظيم فتسبح فيه المادة المجردة من المجرات والنجوم والشموس والكواكب والغبار الكوني يبرز السؤال الكبير بحجم وكبر هذا الكون الرهيب للتعريف بذات الله الخالق القدير، إذ يعرف نفسه بنفسه، وبأنه نور السماوات والأرض، ثم يأتي ليضرب مثلاً لفقه نوره، فيتبدد لجج السؤال من عدم قدرة السائل عن إدراك حقيقة مخلوقات السماء لعظمتها، فكيف يكون الخالق !!! كما يعجز المصنوع عن إدراك الصانع ومعه تتلاشى الإجابة والسؤال معنا نحو اللاشيء فلا يبقى إلا الله ونوره سبحانه وتعالى فَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِثْلَاكِ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، (النور: 35).

ويجب علينا أن نتوقف أمام هذه الآية كثيراً، ومن خلالها نطلق العنان نحو السماء بعقولنا وحواسنا، ثم نعمن التفكير ونسبح بخيال الذاكرة البشرية واقتفاء أثر من سبقنا من أئمة الإنسانية للبحث في أغوار السماء والكون والمجرات عن سر هذا الملكوت الذي تفرد بخلقه الله سبحانه ودعا الإنسان للتفكير والعلم به، إذ لم يكن ذلك صدفة وبفعل الطبيعة لذاتها كما يحلو القول به لدى البعض، وها هو الإنسان اليوم قد بدأ ينفذ من نقطة ماء من السماء وها هو قد بدأ اليوم بوضع حجر الأساس لاستعمار الكواكب والنجوم والمجرات، وخلال الخمس القرون القادمة سوف تشهد الإنسانية مرحلة من التطور النوعي في معرفة الفضاء على نحو يبعث لخلق نظريات علمية جديدة وقواعد من العلوم لها قوانينها الخاصة، أنني لا أتنبأ بذلك بل على يقين أن الإنسان يسعى بجهود مضاعفة نحو المعرفة بالنشأة الأولى والمعرفة العلمية بخلق ذاته، واكتشاف أسرار الحياة في السماء على أثر خطى أبويه آدم والأنثى وادم الذكر اللذين عاشا فترة من حياتهما بالجنة متحليين بالعلم الذي علم به من الخالق قبل أن يهبطا من كوكب جنة عدن في جزء من السماء فيها سبل العيش المتماثل مع الأرض، ومن السماء أيضاً ورد وصفها بديمومية الرزق حسب الآية من كلام الله سبحانه قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾، (الذاريات: 22)، لذا وجب علينا أن نقف ملياً أمام هذه الآية ومدلولها البعيد،

كيف لا خاصة وأن الإنسان وصل مؤخراً لفك الشفرة الجينية للخارطة الوراثية للإنسان فتلك كانت حالة من الطفرة العلمية، وهو اليوم يلحقها بطفرة العودة لمعرفة النشأة الأولى في خلقه ابتداءً، ثم بالصعود من الأرض والعودة نحو السماء، وهو ما قد بدأه الإنسان اليوم على نحو متسارع لاقتفاء مكان خلقه الأول، وهو بفعله هذا يتشابه بدورة حياة سمك السلمون النهري الذي يرجع من أعالي البحار لمكان مولده في أعالي الأنهار.

وأمام هذه الحقائق العلمية وجهود العلماء الذين شرعوا في تأسيس لبنة علوم الفضاء وما تبذله الوكالات الوطنية والدولية في دراسة السماء وما يحيط بها من الكون والمجرات والنجوم والكواكب، فقد كان من الأهمية الإشارة إلى أولئك نفر من الناس الذين كانت لهم جهود في النظر إلى السماء، من المدرسة اليونانية والرومانية والمدرسة الشرقية العربية وغيرهم فقدموا تنبأاتهم وأفكارهم حول اكتشاف السماء في القرن الأولى قبل الميلاد تقريباً، فكانوا بصدق عقولاً تعبر عن الفطرة السليمة وتتطابق أفكارهم مع مدرسة سيدنا إبراهيم عليه السلام ومنهم الآتي:

- طاليس: الذي تنبأ بكسوف الشمس
- الفيثاغوريين: الذين قالوا إن الكون يتكون من عشر أضداد.
- أكزينوفان: الذي قال إن لكل يوم لها شمسها تشرق فيها
- بطليموس: ونظريته حول النظام الشمسي، والتي تقول: "إنَّ الأرض هي المركز لسلسلة من المجالات متحدة المركز التي تدور فيها الكواكب والنجوم المعروفة حينها".

وهناك نفر من الفلكيين المصريين والبابليين والسبئيين والهنود والصين والساسانيين كانت لهم اسهامات كثيرة في الفلك مع الخلط في هذا العلم بين العلم والخرافة والأساطير فحلت الخرافة والاساطير محل الفرضيات والتنبؤات الدينية فاختلط على الكثيرين من الناس، إذ كانت التنبؤات الدينية مصدرها الوحي من كلام الله سبحانه الملهم لقواعد العمل بالعلم نحو المعرفة بالسماء حسبما جاء على عهد سيدنا إبراهيم عليه السلام وسرده القرآن بالآيات السابقة فكان ذلك الوحي اللبنة الأولى في التأسيس لعلم السماء، ومن ثمة بدأت قواعد العلم بالسماء تتكشف بعصر النهضة الأوروبية فوقف ضدها الفكر النقلي الديني المسيحي وتراث العهد القديم لتوراة العبرانيين بأسفارها المتعددة، إذ ثبت أن قواعد علوم عصر النهضة فضحت جماعة التحريف الديني بل وعرفته تماماً فتعرض علماء ذلك العصر للاضطهاد والقتل حرق، وضل الصراع محموم بين رجال الفكر الديني النقلي وعلماء البحوث العلمية، إلى أن قامت عدداً من الثورات أطاحت بالفكر الديني النقلي المتخلف في فكر العهدين القديم والجديد وأهم نماذج علماء عصر النهضة خاصة في مجال علم الفضاء إذ برز عددا من العلماء منهم⁽¹⁾:

- روجر بيكون (1214- 1292)م. فيلسوف إنجليزي عمل على ترجمة بعض كتب الحضارة العربية آنذاك، اجراء عدد من التجارب الفيزيائية والكيميائية والميكانيكية عن الضوء، حاول الاشتغال بتصميم الآلات الصناعية وغيرها.

(1) انظر د. أيوب أبو دية / علماء النهضة الأوروبية الطبعة الأولى 2011م

- **جوردانو - برونو:** الذي قتل بأحد العقوبات المنصوصة بتوراة العبرانيين بتهمة التجديف وهي الحرق حي كان كغيرة العشرات ممن أحرقوا عام (1548-1600م)، بعد أن مكث في السجن سبع سنوات لعدد من الأسباب منها - قال بأن الدين مشروع أخلاق ونادى بالفصل بين العلم والدين - أعلن أن مركزية الشمس مع وجود عوالم عديدة - توصل إلى فكرة جديدة مفادها أن النجوم شمس جديدة في أكوان أكبر أخرى - ونفى بوجود مركز ثابت للكون.
- **نيكولاس ميكيافلي (1469-1527م)** الغاية تبرر الوسيلة: صاغ مشروعه لبناء الدولة الحديثة في إيطاليا ولخص مشروعه بمؤلفه الأمير في الوصول للنجاح في الحكم مهما كانت الأساليب، نادى بالملكية المطلقة وغيرها
- **إسحاق نيوتن: (1642-1727م)** صاغ نيوتن عدداً من النظريات والقوانين، منها قانون الجاذبية، وقانون الحركة واسهم اسهاماً كبيراً في تأسيس علم الفلك والرياضيات، فأثبت أن حركة الأجسام على الأرض والأجسام السماوية يمكن وصفها بنفس مبادئ الحركة والجاذبية، وعن طريق اشتقاق قوانين كبلر من وصفه الرياضي للجاذبية، كما أزال نيوتن آخر الشكوك حول صلاحية نظرية مركزية الشمس للكون.
- واستمرت قافلة العلماء الأوروبية حتى في الأوقات العصيبة من الحربين العالميتين الأولى والثانية وبرز منهم الكثير كان منهم:
- **الكسندر فريدمان:** عام 1922م توصل إلى حل الكون المتمدد لمعادلات النسبية العامة لأينشتاين، كما نشر بحوث حول احتمالية عالم بانحناء فضائي سلبي متواصل فكان القاعدة الأساسية لنظرية الانفجار الكوني العظيم.
- **جورج لومتري:** عام 1927م قدم عدداً من الأبحاث حول تفسير للكون المتجانس ذو الكتلة الثابتة ويتسع مسبباً دوران السدم خارج المجرة.
- **إدوين هابل:** عام 1929م كشف عن وجود مجرات كثيرة خارج مجرتنا وأنها تضم ملايين النجوم، وأثبت أن المجرات ليست ثابتة في الكون بل كلها تتحرك وأثبت أنها تتحرك حسب مسافات وموازين محكمة بين المجرات وسميت هذه العلاقة بقانون هابل.
- **ويرنر إزرنيل:** عام 1967م كشف عن الأجزاء الداخلية للثقوب السوداء والكوازارات وأعلن أنها نجوم نيوترونية.
- **ألبرت أينشتاين:** ونظريته النسبية العامة والخاصة مطلع القرن الماضي، واكتشف مقاييس العالم المجري والكون عن طريق سرعة الضوء وحدد كمية الطاقة المتحولة من كتلة المادة فساعد على ظهور التكنولوجيا العلمية وظهور التلسكوبات العملاقة التي غيرت نظرتنا للكون، وفي عام 1905م نشر أينشتاين نظريته النسبية الخاصة التي تشير إلى الارتباط بين المكان والزمان وأنها متحدان، وفي عام 1915م نشر نظريته النسبية العامة حول كثافة وقياس الطاقة.

• ستيفن هوكينغ: عام 1970م ونظرياته في العلاقة بين الثقوب السوداء والديناميكا الحرارية، أثبت أن الثقوب السوداء تصدر اشعاع، طور مع معاونه جيم هارتل - نظرية اللاحدود للكون، نشر كتاب موجز للزم.

ثم كشف النقاب في عام 1980م عن عنقايد المجرات الجبارة والتي تزيد عن خمسين عنقود وفي كل عنقود ما لا يقل عن آلاف المجرات، وتظهر مجرتنا كنقطة في طرف أحد العناقيد التي يصعب التعرف عليها بسهولة، فما بالك بكوكب الأرض داخل تلك المجرة التي يصعب التعرف عليها، إلى أن جاء الكشف عن الجدار العظيم في عام 1989م وهو ما يعرف بالفتيلات المجرية التي تصل المجرات ببعضها، وفي عام 1995م كشف النقاب عن نظرية الأوتار، ثم في عام 2003م أكتشف جدار سلوان العظيم، وفي عام 2010م نشر ستيفن هوكينغ كتابه التصميم الكبير بالتعاون مع ليوناردو، ومعه ظهر التخصص في علوم مختلفة في الكون.

واليوم يصعب حصر العلماء المتخصصين في علم الفضاء الذي يتوسع يوميا ويشهد تنافساً محموماً وهو علم يستحق التنافس عليه وسوف يكون هو الحدث الأبرز في التخطيط الاستراتيجي للمستقبل القادم، وسيعمل على تغيير موازين القوى بالنسبة للكثير من دول العالم، كما سيعمل على تغيير كثير من الأحداث والتغيرات الهامة في الحياة، ومن جهود أولئك العلماء تتكشف لنا حقائق جديدة وعلوم جديد ونظريات جديدة حسب عددا من المدارس.

وقد تصدر العلم بالسماء مدرسة الولايات المتحدة الأمريكية عبر وكالة ناسا والوكالات والشركات المتعددة ومراكز البحوث والمرصد الكونية العملاقة المتخصصة في هذا المجال، والتي تنفق حكومة الولايات المتحدة الأمريكية على هذا العلم نفقات كبيرة وهو فعلا يستحق ذلك من كونه الآية الكبرى والعظيمة في سلم المخلوقات عند الله سبحانه، تليها المدرسة الأوروبية والمدرسة الروسية وأخيراً دخل الصينيون وبقوة وبفترة وجيزة وكذلك الهند وغيرها مع العلم أن هذا العلم يعتمد بدرجة رئيسية على الإمكانات المادية والعقل البشري، ومن المؤسف جدا أن العرب لا حظ لهم بين هذه المدارس في الوقت الذي أصبحوا متخمين بتكدس أموال النفط في بنوك غيرهم سخروها لقتال بعضهم فشردوا علمائهم في شوارع العالم بحثاً عن اللجوء، في الوقت الذي بين أياديهم آيات من كلام الله سبحانه هي بمثابة قواعد علمية جاهزة أو قل أشبه بنظريات علمية حول العلم والمعرفة بالسماء والكون والملكوت، ويبقى الآمال معقود على القيادات الشابة في العالم العربي للخروج من هذا السبات العميق نحو العلم بالسماء ولن يتحقق ألا بالتكامل بين الإمكانات المادية والعقل المفكر وهو ما نرجوه عاجلاً، وأن من لا مكان له بين النجوم فلن يكون له وطن آمن، ومعلوم أن القرآن كلام الله سبحانه لا حدود من الجغرافيا للعمل به، ذلك أنه كلام يخص كل الناس، الأمريكي، والأوروبي، والروسي، والصيني والعربي وكل أبناء الإنسان.

2-8 العلم بالشمس والقمر والليل والنهار:

ذكر القرآن الكريم الشمس والقمر والنجوم في أكثر من ثلاثين آية بوظائفها المتعددة في الكون، وفي تلك إشارات واضحة إلى أهمية العلم بها، ولذا خصَّ الإنسان هذه المخلوقات بالعلم والاهتمام عبر مراحل حياته على الأرض، فشرع بعبادتها كإله، ثم شرع بدراستها كـ "ظاهرة"، ثم انتهى بتسخيرها لمنفعته، وكشاهد على واقع ذلك الحال من القرآن الكريم، نذكر بعضاً من الآيات التي تبين تلك المراحل، ونترك التأمل فيها للقارئ.

- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾، (فصلت: 37).
- قَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾، (الأنبياء: 33).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾، (يس: 38).
- قَالَ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾، (يس: 40).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾، (يونس: 5).

2-9 العلم بالأرض وما فيها:

ذكر الله عزَّ وجل الأرض في القرآن الكريم (444) مرة تقريباً وهو عدد مميز له دلالة الخاصة على مكانة الأرض في منظومة الخلق الإلهي، فهي أساس المادة التي صنع منها الإنسان والحيوان والنبات، والأرض يقصد منها السطح المادي لكل جسم يسبح في السماء، ومن ضمنها أرض كوكبنا الأزرق "الأرض" أو أرض الحياة الدنيا، وفي الأرض جرت كل أحداث تاريخ الحياة لكل الكائنات الحية، وطبقات الأرض وتكوينها ومنها يأتي البناء الحضاري بعلاقاتها المتعددة مع كل موجودات الكون الأخرى، ومنها استخراج كل المعادن والعناصر وما أنزل عليها من السماء، ثم ذكر ما تحتوي الأرض من طبقات، وذكر الجبال وعلاقتها بالأرض، والأنهار، والبحار، والمحيطات، والرياح، والسحاب، وكل اسم من هذه المخلوقات على الأرض أصبح اليوم علماً مستقلاً بذاته، تفرَّع عنه عدد من العلوم التجريبية والتطبيقية، ولدراسة أسرارها التي أودعها الله فيها أنشأت لها مراكز أبحاث وطنية وإقليمية ودولية، في محاولة للوصول إلى أسرار صنع الله الذي أتقن كل شيء في الأرض، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾، (النمل: 88)، ومن بين هذا الكم الكبير من آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن العلم بالأرض نقتبس منها القليل للتأمل العميق، وأن العلم بالأرض يتطلب مكتبات ضخمة جداً، لذا نورد الآتي من كلام الله سبحانه:

- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾، (الشعراء: 7).
- قَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾، (الذاريات: 20).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالْأَرْضُ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾، (الذاريات: 48).
- قَالَ جَلَّ فِي غَلَاه: ﴿وَالْأَرْضُ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾، (الرحمن: 10).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾، (نوح: 19).
- قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾، (المرسلات: 25).
- قَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾، (النبأ: 6).
- قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى: ﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾، (النازعات: 30).
- قَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾، (الإنشقاق: 3).
- قَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ شَفَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾، (عبس: 26).
- قَالَ جَلَّ فِي غَلَاه: ﴿وَالْأَرْضُ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾، (الطارق: 12).
- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾، (الغاشية: 20).
- قَالَ جَلَّ فِي غَلَاه: ﴿وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاها﴾، (الشمس: 6).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَها﴾، (الزلزلة: 2).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّها مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾، (يس: 36).
- قَالَ اللَّهُ سبحانه: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ...﴾، (العنكبوت: 20).
- قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا...﴾، (البقرة: 22).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ...﴾، (الرعد: 4).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أَطْرَافِها...﴾، (الرعد: 41).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالْأَرْضُ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيها رَوَاسِيَ...﴾، (ق: 7).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ...﴾، (إبراهيم: 48).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَالْأَرْضُ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيها رَوَاسِيَ...﴾، (الحجر: 19).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ...﴾، (النحل: 15).
- قَالَ جَلَّ فِي غَلَاه: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ...﴾، (الأنبياء: 31).
- قَالَ جَلَّ فِي غَلَاه: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾، (المؤمنون: 18).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاه: ﴿أَمْنَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾، (النمل: 60).
- قَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْها حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾، (يس: 33).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقْنا لَكُمْ فِيها دِفْءً وَمَنَافِعَ وَمِنْها تَأْكُلُونَ﴾، (النحل: 5).

- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾، (يس: 71).
- قَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿أَمَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا...﴾، (النمل: 61).
- قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾، (الرعد: 12).
- قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾، (الروم: 48).

10-2 العلم والمعرفة بخوارق العلوم:

في معرفة خوارق العلوم ذكر الله جلَّ وعلا الكثير منها في القرآن الكريم في آيات صريحة تحمل إشارات لبني الإنسان تحثهم لبذل المزيد من الجهد في البحوث العلمية لدراسة هذه الظواهر العلمية الإعجازية في الحياة، ومن خلال عنوان هذا الموضوع ومحتواه في الآيات، التي تتحدث عن أحداث وخوارق تفوق قدرة إدراك العقل لها في الزمان القديم، فكما قلنا أن القرآن كلام الله سبحانه الأزلي الثابت حوى كل الكتب المتأخرة عليه حسب ما أكدَّ على ذلك آيات القرآن التي تحدثت عن مسألة الخلق والتكوين وحقيقة الخالق والمخلوق، ومع تعاقب الخلائق والأمم وصعود حضارات وهبوط أخرى برز ضمن تلك الحضارات جوانب من الثقافات الإنسانية تمثلت بالقصص والآداب والفنون والقصة والملاحم البطولية في الحرب والسلم والصراع بين آلهة الخير والشر منذ الخليقة الأولى، فكان للنص القديم المحاكي لخلق الإنسان حضور قوي في ثقافات الشعوب، ومن بين الأسماء المتداولة في تلك الأزمنة (آدم - حواء - إبليس - الشيطان - الثعبان أو الحية - شجرة الحياة - جنة عدن - الآلة إنكي - شيث - عزازيل - اخنوخ - ميتوشالغ - لامك) وغيرها، ثم آلهة النور وآلهة الظلام وأسماء كثيرة لعددٍ من الآلهة والرموز الدينية والوثنية التي جرى حولها الحكايات والملاحم وسطرتها ملحمة جلجامش فدمج معها الخرافة والتضخيم ونسج حولها الأساطير وقد ظهر ذلك جلياً في الكثير من النقوش والآثار البابلية القديمة التي سردت معظم الأنبياء والرسل وارتباطها بتوراة العبرانيين وغيره من كتب العهد القديم فحصل مزج بين النصين، بسبب السبي البابلي المتكرر لليهود بتلك الحقبة من التاريخ، فكان لهذه الحوادث أهمية كبيرة في التأثر والتأثير بها، كما أن الدور المعهود لليهود في عصبتهم الدينية والقومية وقدرتهم على التحريف والتلاعب بمعتقداتهم وكذلك معتقدات وثقافات الشعوب الأخرى على مر الزمان، ولذلك نجد اليوم من يقف على ضفاف الآثار والنقوش ليصنع منها حقائق علمية، تويد تلك الخرافات والأساطير، والمعلوم أن الآثار والنقوش جزء من التاريخ، والمعلوم أيضاً أن التاريخ دائماً ما يكتبه المنتصرون، والتاريخ يأتي بالحقيقة وعكسها، ونحن مدعوون لجعل التاريخ علماً قائم بذاته وهو ما نادى به نخبة من المفكرين، بحيث نجعل من التاريخ بمكوناته من الآثار والنقوش مادة قابلة للنقاش وليس من قبيل المسلمات وهو ما أراده الكثير من المفكرين الحديثين أمثال

الدكتور المفكر خزعل الماجدي في عدا من مؤلفاته (1)، الذي حاول باعقادي إقناع قاريه بصدق حقائق التاريخ من النقوش والأثار كمسلمات إيمانية حول آلهة من الخرافة والاساطير السومرية، أضف لدمجه آلهة النور وآلهة الظلام وبعض الرموز الوثنية متأثراً بفكر وفلسفة دين الصابئية واليزيديين بعد مزجها بفكر دين العبرانيين من أجل أن يصنع لنا آلهة من اللاشيء، وفي خضم حديثه يحاول جاهداً الاستشهاد بتوراة العبرانيين ثم يعرج عن استحياء لفقه المذاهب الإسلامية من أجل لي عنق الحقيقة، تلك الحقيقة التي كانت أول كلمات الله سبحانه لآدم الأنثى وأدم الذكر حسب قول الله جلّ في علاه: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا...﴾، (البقرة: 31)، فكانت هذه الآية وغيرها من حقائق العلم القابل للتفكر العقلي والمرتبطة بتاريخ الخلق والوجود البشري الأول، ولم يقتصر الأمر على هذه الآية بل كل آيات القرآن خاضعة للجدل العلمي والعقلي وأعمال الفكر فيها على قاعدة التخيير بين الإيمان بها أو الكفر، لذلك جاءت بعض آيات القرآن لتتحدث عن خوارق من العلوم حصلت في زمن من تاريخ تلك الحضارات الإنسانية، ولضخامة هذه الحوادث الخارقة فقد بقي الحديث عنها يتداول لقرون بين الناس وأصبحت جزءاً من ثقافتهم كلّ يرويها بطريقته الخاصة تزيد وتنقص هنا وهناك، كمعجزة صنع سفينة نوح عليه السلام وحدث الطوفان، فقد ذكر حدث الطوفان لدى أغلب الحضارات (البابليين بكتاب الصابئة المندائية الكنزربا، واليهود، والهندوس، والاعريق) وكلا أدعى وصله بقصة نوح، فجاء القرآن الكريم ليحسم هذا النزاع فذكر قصة نوح والطوفان بمعزل عن كل تلك الادعاءات والسفططة التي حاول الماجدي اجترائها وتحويلها لخرافة من تراث الشعوب المختلفة، ليس ذلك بل دأب وسعى الدكتور خزعل الماجدي لتنسيب كل الرموز الدينية من الأنبياء والرسل الذين ذكروا بنصوص توراة العبرانيين ويتوافق ذكرهم مع القرآن ك (آدم – ونوح – وإدريس) للحضارة السومرية، وبما يخالف آيات القرآن التي ذكرت معظم هؤلاء الأنبياء والرسل مع الحوادث من الأعجاز وربطته بالعلم، وفي نفس الوقت كانت بمثابة دعاء للإنسان لفقها والتعقل والتفكر فيها ولم يجعلها الله سبحانه من ضمن المسلمات الحتمية كما ذهب الماجدي في كثير من مواضيعه حول تاريخ خلق الكون (2)، والذي صب اهتمامه في جعل الطبيعة سبباً حتمياً في نشأة وخلق الكون العظيم والسماء والأرض والحقيقة أن القرآن كلام الله سبحانه أكد على وجود قانون الطبيعة المضطرد كسنة ثابتة ومترسخة متصلة بذاته سبحانه في كل ما خلق من مخلوقات عظيمة وجبارة في السماء، تتحرك حسب قانون ثابت مترسخ منذ القدم، كما خلق الله سبحانه كل ما يدب على الأرض، من خلال كثير من آيات الذكر الحكيم التي تم التطرق إليها في هذا المؤلف، كما سار الماجدي على خطى أسلافه في محاولة يائسة لإثبات أصل الإنسان من نسل معين من القروء حسب نظرية تشارلز داروين وقد تم الرد على هذه النظرية ضمن هذا المؤلف.

ومن الأهمية بمكان ونحن نتكلم عن خوارق العلم والعلوم إزاحة الكثير من الخرافات والأساطير وملاحم الصراع الإلهي بين مجموعة من آلهة المادة والمدون في كتب فكر الأديان

(1) انظر أنبياء سومريون – خزعل الماجدي . الطبعة الأولى 2018 م .

(2) انظر تاريخ الخليفة / خزعل الماجدي . الطبعة الثانية

القديمة، لننطلق نحو الحقيقة من العلم المتصلة بالعقل والفكر والإيمان، إذ إن الإنسان هاهنا حسب منهجية القرآن – كلام الله سبحانه مخير بين الإيمان والكفر على قاعدة من قول الحق والحقيقة، بمعنى أكثر وضوحاً من أن دين الإسلام كله موضع اختيار من الناس بعد قول الحق، فمن شاء فليمن ومن شاء فليكفر، ومن الظواهر العلمية الإعجازية المدعوة للتأمل والتفكير والتفكر والدراسة لبعض الآيات التي سيتم نسخ بعضها والتي نتحدث عن ذلك وعلى ترتيب نزول الرسل من دون شرح مسهب لذلك بالآتي:

الظاهرة الإعجازية العلمية لصنع الفلك.

كانت صناعة الفلك أو السفينة آية من الخيال العلمي في ذلك الزمان، فصنع هذا الجسم الضخم بوحى من علم الله سبحانه الذي علم سيدنا نوح عليه السلام تلك الصناعة إذ كانت محل سخرية وتندر من قوم نوح، وهي بالأصل حقيقة علمية ثابتة ومترسخة ضمن أعمال الإنسان وما زالت قائمة حتى يومنا هذا، وسوف أنسخ لكم الآيات التي حاكت تلك المشاهد من أنباء غيب التاريخ القديم أوحى بها في القرآن بالآيات التالية:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِفُونَ، وَيَصْنَعِ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأْ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾، (هود: 37، 38).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِفُونَ﴾، (المؤمنون: 27).

الظواهر الإعجازية العلمية لقوم عاد وثمود وقوم صالح وقوم فرعون

كان وصف القرآن الكريم واضحاً في عظمة خلق قوم عاد وثمود من البنية الجسدية والقوة البدنية ولذلك وصفوا بعددٍ من الصفات منها القوة الجسمانية والتشبيه الواضح لضخامة اجسامهم ببقايا النخل المسنة قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿.... فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرَعى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾، (الحاقة: 7)، ومن أعمالهم تسخير الطبيعة لمصلحة حياتهم فاتخاذهم من السهول قصوراً في العمارة والبناء ومن الجبال بيوتاً كما اتخذوا لهم مصانع، وإذا بطشوا كانوا جبارين فكانت بعض آثارهم تدل عليهم بأرض الجزيرة العربية، كما اعتقد أن حضارة هذه الأقوام لم تتوقف في مكان واحد بل امتدت لأماكن أخرى من الأرض أو كانت على اتصال بحضارات أخرى كالمصريين الذين وصفوا بأصحاب الأوتاد وهذه الآثار الحاضرة اليوم من التاريخ شاهده على صحة هذه التنبؤات من علم الغيب بكلام الله سبحانه في القرآن، والفاحص المدقق بشواهد هذه الآثار يقف شاهداً على عظم ودقة الصنعة لأقوام من الإنسان في التاريخ القديم، بالإضافة لذكر معجزة الناقة المبصرة، وكل ذلك ورد بعددٍ من الآيات التالي:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾، (الأعراف: 74).

- قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾، (الإسراء: 59).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ، وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ، وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾، (الشعراء: 128، 129، 130).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَتَمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾، (الفجر: 9، 10).

2-10-1 الظواهر الإعجازية العلمية لسيدنا إبراهيم - عليه السلام:

من الظواهر الإعجازية العلمية لسيدنا إبراهيم - عليه السلام، ما ذكر في الآيات التالية:

- رؤية ملكوت السماوات والأرض، والقمر، والكواكب، والشمس في تلك الحقبة من تاريخ الإنسان من دون أجهزة أو تلسكوبات، والتي تمثل معجزة فريدة، خاصة فيما يتعلق باتصال الإنسان بالفضاء قبل بضع قرون ق. م تقريباً، وعلى الرغم من كون هذه الظاهرة تمثل معجزة خارقة للعقل في ذلك التاريخ، إلا أنها اليوم أصبحت ظاهرة متداولة لنفر من الناس وبإمكانيات وأجهزة فنية دقيقة بالغة التكلفة وعمما قريب ستصبح في متناول العامة، قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى - ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ، فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ، فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْسَ إِلَهُي بِالْقَمَرِ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَكُونُ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ، فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾، (الأنعام: 75، 76، 77، 78).
- إحياء المادة (الموتى)، طلب إبراهيم - عليه السلام - من الله سبحانه وتعالى، العلم والمعرفة بكيفية خلق المادة (الموتى)، فكان الجواب، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تَأْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، (البقرة: 260)، كما أن الآية تتحدث عن منهجية الشك العلمي في التنبؤات الدينية الموصلة لليقين والحقيقة.
- معجزة ألقاه في النار وخروجه منها سالماً قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ الأنبياء (69).

2-10-2 الظواهر الإعجازية العلمية لسيدنا موسى - عليه السلام:

الظواهر العلمية الإعجازية لسيدنا موسى - عليه السلام - كثيرة بسبب الجدل المادي لليهود، نذكر منها تلك الظواهر الإعجازية المرتبطة بفعله المادي، خلافاً للظواهر الإعجازية الأخرى المتعلقة بتأييد الله تعالى المباشر، كالتظليل بالغمام، وإنزال المن والسلوى وحمل جبل الطور، والتسع آيات من الضفادع، والدَّم، وغيرها، ومن هذه الظواهر العلمية المرتبطة بفعل موسى - عليه السلام - الآتي:

● ظاهرة إعجازية علمية تتعلق بتغيير لون بشرة اليد من غير سوء، أو مرض، أو سحر أو غيره، وهي - بتقديري - آية علمية إعجازية تتعلق بالطب، والعلوم الطبية، وهذه الآية تدعونا إلى التعقل وإعمال الفكر في هذه الظاهرة العلمية الإعجازية، وخاصة بعد أن ذكرت من عدة طرق ومواقع متعددة، حسب كلام الله في هذه الآيات التالية:

● قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾، (النمل: 12).

● قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى - ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾، (القصص: 32).

● وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى﴾، (طه: 22).

● وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾، (الأعراف: 108).

● وَقَالَ - سبحانه وتعالى - ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾، (الشعراء: 33).

وهناك ظاهرة إعجازية علمية حول عصا موسى، وهي برأبي ظاهرة إعجازية فوق مقدرة العلم والعقل وتتمثل بأحياء المادة، حسب ما وصفتها هذه الآيات بالتالي:

● قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى، قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى، قَالَ أَلْقَاهَا يَا مُوسَى، فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى، قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾، (طه: 17، 18، 19، 20، 21).

● حادثة مناظرة السحرة لموسى بحضرة فرعون، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾، (الأعراف: 117).

● وَقَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾، (طه: 69).

● ظاهر علمية خارقة بحادثة انفلاق البحر، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾، (الشعراء: 63).

● حادثة انبجاس الحجر بالعصا وخروج الماء، قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿وَقَطَعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، (الأعراف: 160).

3-10-2 الظواهر الإعجازية العلمية (الآيات) للعبد الصالح مع موسى:

ظهر العبد الصالح في قصة سيدنا موسى - عليه السلام - وقد منحه الله سبحانه صفتي (الرحمة) و(العلم)، فاستحق بذلك أن يعمل تلك الأعمال بأمر وقدّر الله - سبحانه، إذ إنّ هاتين

الصفيتين (الرحمة والعلم) لم تعطيا لأحد من العالمين أو الأنبياء والرسل، فكان عمله خارقاً للعادة والعقل، ومحل جدل علمي حول هذه القدرة الإعجازية والعلمية حول الإنباء بعلم المستقبل، وكذلك العلم ببيولوجية النفس، ومعرفة ما ستؤول إليه في المستقبل، وهو من العلوم المعقدة، ويظهر هذا الحدث في فعل قتل الغلام، وفي آيات القرآن في سورة الكهف أدعو القارئ لقراءة المشهد كاملاً من دون تأويل أو تفسير مغلوطة، كما أنه يجب علينا الوقوف على لفظ وصف الإنسان بالغلام وفي فئة عمرية من الحياة والذي أقدره ما بين سن (11-15) تقريباً من بعد مرحلة الطفولة، غير أنني سأورد تلك الآيات التي تتحدث عن الحادث الجلل في عمل العبد الصالح بمباشرة قتل النفس من خلال الحوارات التي جرت بين موسى والعبد الصالح، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾، (الكهف: 65)، فمن تلك الظواهر الإعجازية العلمية ذكر ثلاث أفعال ومن الملفت أنه مع كل فعل ذكر فعل السببية فيها لمزيد من التوضيح والتسهيل للبحوث العلمية في ذلك وهي:

- **حادثة خرق السفينة:** قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا^ط قَالَ أَخَرَقْتُهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾، (الكهف: 71)، وذكر فعل السببية لهذا الحدث، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾، (الكهف: 79).
- **حادثة قتل الغلام:** قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾، (الكهف: 74)، وذكر فعل السببية لهذا الحدث، قَالَ - سبحانه وتعالى - ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾، (الكهف: 80).
- **حادثة بناء الجدر:** قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتُ لَاتَّخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾، (الكهف: 77)، وذكر فعل السببية لهذا الحدث، قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾، (الكهف: 82).

2-10-4 الظواهر الإعجازية العلمية لسيدنا داود - عليه السلام:

- **الظواهر الإعجازية العلمية في تسخير الجبال للتسييح، وهو ما يُعرف بقدرة محاكاة الإنسان للمادة، بالإضافة للطيور، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجَبَالَ يُسَبِّحُونَ وَالطَّيْرُ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾، (الأنبياء: 79).**
- **الظواهر الإعجازية في استخدام وتشكيل الحديد، وهي اليوم صناعة متقدمة جداً، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَالنَّارُ لَهُ الْحَدِيدُ﴾، (سبأ: 10)،**

- وَقَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِنُخْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾، (الأنبياء: 80).

2-10-5 الظواهر الإعجازية العلمية لسيدنا سليمان - عليه السلام:

ومنها الظواهر الإعجازية العلمية لنبي الله سليمان، وما سخر الله له من الآيات التي تدعونا للتفكير، والبحث العلمي حولها، نورد منها الآتي:

- ظاهرة تسخير الريح والمناخ، ويقال أن هناك دراسات حول استخدام المناخ في كثير من أعمال الحياة وبنفس الوقت يمكن استخدامه كسلاح موجه ومدمر قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾، (الأنبياء: 81).
- ظاهرة علم منطق الطيور، وهناك اليوم معاهد متخصصة في هذا المجال، قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مِنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنْ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾، (النمل: 16).
- ظاهرة تسخير الجن والشياطين، وهذه ظاهرة معروفة، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾، (النمل: 17).

2-10-6 الظواهر الإعجازية العلمية لنفر من ملأ النبي والملك سليمان عليه السلام:

تمثل الظاهرة الإعجازية العلمية لنفر من ملأ سليمان حالة فريدة وخارقة للعادة والعقل البشري في ذلك الوقت، وهي اليوم محل بحثٍ علميٍّ مكثفٍ أمام مراكز الدراسات والبحوث العلمية على مستوى العالم، وهذه الظاهرة تتمثل في نقل المادة من مكان لآخر من الأرض بلمح البصر، وهي سرعة تتجاوز سرعة الضوء، وهذه الآية تعتبر مقدمة لغزو الفضاء والتنقل بين الكواكب والنجوم وقد تصل للتنقل بين المجرات والأكوان في السماء، حسب امتلاك قدراتٍ عاليةٍ من القوة والقدرة لأعمال النقل الجوي، وغير ذلك، قَالَ تعالى: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ قَالَ عِفْرِيَّتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٍّ أَمِينٌ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾، (النمل: 38، 39، 40).

الظواهر الإعجازية العلمية لنفر من بني إسرائيل:

الظاهرة الإعجازية العلمية في علوم الحياة والطب والتشريح، وغيره، حسبما جاء في آيات القرآن المبين عن نفر من بني إسرائيل، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ

يَتَسَنَّهُ ۖ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۖ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌۖ، (البقرة: 259).

2-10-7 الظواهر الإعجازية العلمية (الآيات) لسيدنا عيسى - عليه السلام:

يعتبر الرسول عيسى - عليه السلام - معجزةً بحدِّ ذاته، من حيث خلقه ونشأته، وتتعدد الظواهر العلمية الإعجازية فيه، حسبما جاء بكلام الله في القرآن الكريم، وأول هذه الظواهر:

• الظاهرة الإعجازية العلمية في خلق عيسى، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌۖ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، (آل عمران: 47).

• الظاهرة الإعجازية العلمية في نطق عيسى، وهو رضيع في المهد، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ۚ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾، (مريم: 29، 30، 31).

• الظواهر الإعجازية العلمية المتعددة، منها في الخلق، والطب، والتنبؤ بفعل السببية من عيسى - عليه السلام، وبتأييد الله تعالى له، فقد أجرى على يديه عدد من المعجزات العلمية، الخارقة المدعى معها عقولنا للدراسة والتأمل بالبحث العلمي، حسبما ذكرته هذه الآية، قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، (آل عمران: 49).

• الظاهرة الإعجازية العلمية في وفاته كنفس، ورفع له للسماء، وهذه الظاهرة من الإعجاز ما تفوق خلق عيسى ذاته والجدل الذي دار حول خلقه وتبين أنه أمر هين مع التقدم العلمي، وعلينا أن نتساءل وفكر ونبحث عن كيفية رفع عيسى إلى الله سبحانه كما في الآية التالية قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىٰ وَمَطْهَرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾، (آل عمران: 55)، إذ إن لفظ (ورافعك إلى) فالرفع عكس الهبوط والرفع يكون من المكان المنخفض (الأرض) للمكان العالي (السماء) وذكر هذا اللفظ من رب العزة قصد منه شد الانتباه لمسائل علمية كثيرة وفيه وجب علينا التفكير وأعمال العقل لعظمة هذا الحدث الإعجازي العلمي والمدعى للبحث العلمي حول ذلك.

• الظاهرة الإعجازية العلمية في إنزال مائدة من السماء في عهد عيسى عليه السلام، تحدث عنها القرآن الكريم كحقيقة مادية تم أنزالها من كل صنوف الطعام من اللحوم والفواكه والخضروات، وتلك الحقيقة تقودنا لعدد من الحقائق العلمية حول هذا الحدث العظيم، من الإنباء عن وجود كوكب مماثل للأرض في مكان ماء في السماء فيه نفس خصائص حياة الأرض بل وربما يكون الأفضل ومنه أنزلت تلك المائدة على عيسى وحواريه وهذه

الحقائق بدأ الإنسان اليوم في البحث عنها عبر الولوج نحو السماء والقرون القادمة أصبحت حبلً في ولادة جملة من الحقائق عن السماء والكون، حسبما جاء بنص هذه الآية: **قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾، (المائدة: 115)** وقد ورد شرح تفاصيل أكثر لهذا الحدث الإعجاز بفصل فقه السماء من هذا المؤلف.

11-2 العلم بالماء والبحار والأنهار:

الماء وهو ذلك الشيء السائل الشفاف ويمثل سر الخلق والصنعة الأولى للمخلوقات، فمنه خلق الدواب والإنسان، ومنه جعل من كل شيء حي، ومنه اشتق أسم السماء، والماء سر الحياة بمعنى أدق كان الماء احد أسباب حياة المادة، وهو أمر هام جداً، وللماء أصل واحد وبنفس الوقت متعدد التكوين والاستخدام ويشمل حيزاً كبيراً من مكون الأرض، إذ يقدر بثلاثي مساحة الأرض من البحار والمحيطات والأنهار والبحيرات والثلوج التي تحوي الدائرة القطبية الشمالية والجنوبية، والثالث الآخر يابسة، ووصف عرش الله سبحانه وتعالى بأنه على الماء، ومن القرآن نستخلص المعرفة بالماء الذي ورد في أكثر من آية من كلام الله سبحانه، وكل آية بمثابة قاعدة مرشدة لعلم خاص بالماء، ومن تلك القواعد العلمية بالماء، قاعدة ارتباط الماء بطعام الإنسان والحيوان والنبات، وبالخلق الأول والجزء والثواب وغيرها الكثير من قواعد العيش والحياة على كوكب الأرض، وهو سر الصنعة والتكوين، ومن خلال مدلول القرآن الكريم حسب ما تيسر لنا جمعه بصورة متفرقة في هذه الآيات تتضح حقيقة الماء بالتالي:

• **قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾، (الأنعام: 99).**

• **قَالَ اللَّهُ سُبحَانَهُ: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، (الأعراف: 50).**

• **قَالَ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ﴾، (الأعراف: 57).**

• **قَالَ سُبحَانَهُ: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ...﴾، (الأنفال: 11).**

• **قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿... وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ...﴾، (هود: 7).**

• **قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ سَأُوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ...﴾، (هود: 43).**

• **قَالَ اللَّهُ سُبحَانَهُ: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءَ﴾، (هود: 44).**

• **قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غُلَاه: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا...﴾، (الرعد: 17).**

• **قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾، (إبراهيم: 16).**

- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾، (الحجر: 22).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾، (النحل: 10).
- قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾، (النحل: 65).
- قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾، (طه: 53).
- قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿... وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾، (الأنبياء: 30).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾، (الحج: 63).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾، (المؤمنون: 18).
- قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ...﴾، (النور: 45).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿... وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾، (الفرقان: 48).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا...﴾، (الفرقان: 54).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً...﴾، (النمل: 60).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾، (السجدة: 8).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ...﴾، (السجدة: 27).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً...﴾، (فاطر: 27).
- قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ...﴾، (الزمر: 21).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، (فصلت: 39).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾، (الزخرف: 11).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا...﴾، (ق: 9).
- قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾، (القمر: 11-12).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَنَبِّئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ﴾، (القمر: 28).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ﴾، (الواقعة: 31).

- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾، (الواقعة: 68).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾، (الملك: 30).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾، (الحاقة: 11).
- قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾، (الجن: 16).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾، (المرسلات: 20).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿... وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾، (المرسلات: 27).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾، (الطور: 6).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾، (الرحمن: 19).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾، (النبأ: 14).
- قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾، (النازعات: 31).
- قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿إِنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾، (عبس: 25).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾، (الطارق: 6).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ...﴾ الشورى (28).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنْزِلُ الْغَيْثَ...﴾ لقمان (34).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ...﴾ النحل (14).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَمَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ بِاللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ النمل (61).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ لقمان (31).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمَنْ كُلَّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاحِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ فاطر (12).
- قَالَ تَعَالَى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ (الرحمن: 19، 20).

12-2 العلم بالحيوان والنبات:

يشكل عالم الحيوان والنبات عالماً واسعاً من التنوع والكثرة، وهذا العالم الكبير وجد خلق من أجل مخلوق واحد يتربع على هذا العالم وهو الإنسان في دورة تكاملية من التسخير لبقاء النوع البشري على اعتبار أن الكائن أو الدابة الذي يمشي على رجلين من البشر هو أعلى تصنيفاً في الأهمية على سلم الحياة على الأرض في الحياة الدنيا، ومن الأهمية الإشارة للآيات التي تتحدث عن قواعد وأصول خلق الحيوان والنبات وأنواعها المتعدد في هذا العالم والتي يصعب حصرها مثل الطحالب والبكتيريا، والحشرات، والزواحف، والطيور،

والحيوانات البرية، والحيوانات البحرية، والشجر والزرع والفواكه والحبوب، ويخلق ما لا تعلمون من الكائنات (الفيروسات) وما لا نعلمها حتى الآن، وكل هذه العناوين تتفرع إلى عائلات وتصنيفات وتفرعات وغيرها، وسوف أحاول الاختصار بقدر الإمكان مع التأكيد على أن الماء كان وما يزال أساس قاعدة حياة وخلق هذا العالم الواسع من تلك الكائنات الحية التي تدب في الأرض، سواء تلك المرئية بالعين المجردة، أو التي ترى عبر المجهر، ومع هذا العالم الواسع من المخلوقات فإن البشر يشتركون في قاعدة واحدة من الخلق المادي الجسدي لهذا العالم الواسع من الكائنات الحية ويتربعون على سلمه بخلقهم المنفرد من النفس، ومن الأهمية التركيز على أن النفس لم تكن ضمن محور الخلق لهذه الكائنات على الإطلاق، فقد تفرد الإنسان - الإنسان بالخلق من النفس دون غيره من المخلوقات، لذا يطلق على الإنسان بأنه كائن حي عاقل وليس حيوان عاقل، وإلى ذكر آيات القرآن التي تتحدث بصورة مجملة عن عالم الحيوان والنبات نذكر بعض منها بالآتي:

2-12-1 العلم بالدواب على العموم:

- قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، (التور: 45).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿... وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾، (لقمان: 10).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾، (الجاثية: 4).

2-12-2 العلم بـ(الأنعام: الحيوان) في البر والبحر:

- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾، (النحل: 5).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾، (النحل: 66).
- قَالَ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾، (المؤمنون: 21).
- قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾، (غافر: 79).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَاطَرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، (الشورى: 11).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ...﴾، (هود: 64).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبَّؤُنِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (ومن الإبل اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ

- شَهِدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ، (الأنعام: 143-144).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾، (هود: 64).
 - قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، (النحل: 14).
 - قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿.. إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ..﴾، (الأعراف: 163).
 - قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾، (الصافات: 142).

3-12-2 العلم بالحيوانات المدجنة:

- قَالَ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، (النحل: 8).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿.. فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾، (البقرة: 65).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿... وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾، (المائدة: 60).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿... فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ..﴾، (الأعراف: 176).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿.. وَلَحْمَ الْخَنَازِيرِ...﴾، (البقرة: 173).

4-12-2 العلم بالسباع والوحوش:

- قَالَ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿... الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾، (يوسف: 13).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿... وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ...﴾، (المائدة: 3).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾، (التكوير: 5).

5-12-2 العلم بالطيور:

- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، (النحل: 79).
- قَالَ تَعَالَى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ...﴾، (المائدة: 31).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَتَقَفَّذَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ..﴾، (النمل: 20).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَحْمَ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾، (الواقعة: 21).

2-12-6 العلم بالحشرات:

- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ..﴾، (النحل: 68).
- قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ..﴾، (النمل: 18).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿...وَإِنْ يَسْأَلُهُمُ الدُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفْهِدُوهُ مِنْهُ..﴾، (الحج: 73).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَغُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا...﴾، (البقرة: 26).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿... دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ...﴾، (سبا: 14).

2-12-7 العلم بالنبات من الشجر والزرع والفواكهة:

ذكر النبات والزرع والشجر في القرآن فكان هذا مملكة متكاملة من الأصناف التي تحتوي من التفرعات والأنواع في البر والبحر، ومن الآيات التي تتحدث عن ذلك نسرد القليل منها بالآتي:

- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾، (الأنعام: 141).
- قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يُنَبِّئُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، (النحل: 11).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾، (الكهف: 32).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾، (السجدة: 27).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، (الأنعام: 99).
- قَالَ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾، (طه: 53).
- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾، (ق: 9).
- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾، (الرحمن: 12).
- قَالَ تَعَالَى: ﴿النُّخْرَجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾، (النبأ: 15).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا، وَعِنَبًا وَقَضْبًا، وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا، وَحَدَائِقَ غُلْبًا، وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾، (عبس: 27، 28، 29، 30، 31).

- قَالَ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾، (التين: 1).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿... وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾، (النحل: 10).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبْغٍ لِلْكَالِينَ﴾، (المؤمنون: 20).
- قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾، (الصفافات: 146).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾، (الرحمن: 22).

13-2 العلم والمعرفة الإنسانية فلسفة اليونان وروما:

خَلَّدَ الله - سبحانه وتعالى - ذكر روما، فذكرها في أول سورة الروم كناية عن عظمة حضارة الرومان، والتي تضمُّ شعوباً متعدّدة الأعراق والأعراف، وهم (الدولة، المملكة، الجمهورية) وتضمُّ كلاً من الإغريق، واليونان، ومقدونيا، وروما واسبرطه والقسطنطينية، وغيرها من الحواضر المختلفة، وأهمُّ وأقدم مدنها أثينا، وروما، فكانت هذه الحضارة الإنسانية موضع اهتمام من قبل القرآن الكريم، بالآيات الأولى من سورة الروم، يقول المولى سبحانه: ﴿الَّذِينَ غَلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، (الروم: 1، 2، 3، 4، 5، 6).

ذلك إنَّ وصف المؤمنين الوارد في هذه السورة التي تتحدث عن شعوب الإمبراطورية اليونانية، وروما، في فترة من الزمن، لم يكن وليد فترة زمنية مرتبطة بالأحداث العسكرية التي انهزمت فيها روما في مرحلة معينة من التاريخ، وهذه الهزيمة العسكرية تحتاج منا إلى بحثٍ عن زمن ومكان هذه المعارك التي ذكرت بأدنى الأرض، والتي وصفت بهزيمة الروم، وهل كانت الهزيمة من الفرس أم من القائد القرطاجي حنبعل؟ ومن الملاحظ أنَّ زمن انتصار الروم على عدوهم في بضع سنواتٍ قليلة، حسب مدلول الآية القرآنية، والأهم في هذا الموضوع بتقديري هو تعمُّد نفي صفة الإيمان بالله - سبحانه وتعالى - عن حضارة اليونان، من قبل ما يسمَّى بالمفسرين، ومدرسة أحاديث العننة والقلقلة من فكر المذاهب الإسلامي الذين فسروا وقوع هذا الحدث بعهد بعثة النبي محمد عليه السلام، ما يُفقه (يفهم) من كلام الله - سبحانه - بآيات الذكر الحكيم غير ذلك تماماً، إذ يتحدث عن ذكر الروم خلال فترة زمنية قديمة وما حصل فيها من معارك، فقد تكون هذه الفترة قبل بعثة الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - ببضع قرون، وهو ما يفهم من فقه الآية التالي: ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾، ثم وصف فرح المؤمنين في بضع سنين، وهو قولٌ ملازمٌ لحال شعب روما، ولا يمت باتصال هذه الأحداث بعهد وبعثة الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - أو أثناء حياته نهائياً، ووصف حال روما بالمؤمنين إذ كان هذا الوصف حالاً ملازماً لأهل روما لعدد من القرون من بعد ميلاد السيد المسيح عليه السلام والشاهد في ذلك ما دوّن في ديباجة مدونة الملك العظيم

(جوستينا) (1) الذي افتتح مدوّنته في القانون، مستعيناً بالله، موقناً أنّه يسير بتوفيق الله - سبحانه، وهو ما يؤكد على ملازمة حالة الإيمان بالله في ظل عهد ذلك الملك المؤمن العظيم، بعد ميلاد السيد المسيح عيسى - عليه السّلام - حسب ما تؤكد شواهد التدوين فيما يسمى بعصور الفلسفة اليونانية، وظهور المسيحية في روما وأثينا، وهو ما يدعو للتأكيد من أنّ هذه الأحداث والحروب التي تحدثت عنها سورة الروم كانت قديمةً عن فترة بعثة الرّسول محمد - صلى الله عليه وسلم، وأنّ وصف حال المؤمنين كان لشعب الروم بمدنها، وحواضرها، خاصة وأنّ هناك أنبياءً ورسلاً تم إرسالهم إلى هذه المدن، فجاء القرآن الكريم بذكرهم، وهو ما حاولت جماعة التحريف نفي ذلك عنهم، ووصفهم بدار حرب، أو دار كفر، صانعين حاجزاً منيعاً وسداً فاصلاً بين حواضر الإنسان، وهو قول يناقض مبادئ الإيمان والتسامح لهذا الدين (الإسلام) الذي جاء به عدد من الأنبياء والرّسل على مختلف الحضارات، والشعوب والأمم: فكان خليل الله إبراهيم في حضارة بابل - وكان نبي الله يوسف وموسى وهارون عليهم السلام في حضارة مصر - وكان نبي الله سليمان في حضارة سبأ ومن قبلهم هود وصالح وذو القرنين بحضارة عاد والأحقاف، ومن ضمن هذه الحضارات (حضارة أثينا - والروم) فأرسل الله - سبحانه وتعالى - عدداً من الأنبياء والرّسل كانوا امتداداً لمنهج سيدنا إبراهيم - عليه السّلام - في الهداية، والمعرفة بالخالق والمخلوق، ونذكر هنا بعضاً من الأنبياء الذين جاء ذكرهم في القرآن الكريم، وهم الآتي:

2-13-1 النبي يونس عليه السّلام:

وقد ارتبطت قصته بالحوت، وقد نسب ذكره إلى العهد القديم المزعوم (بكتاب يونان - من تورااة العبرانيين) (2) بالآتي: حيث زعموا أنّ الله - سبحانه وتعالى - أرسل النّبي يونان لمدينة نينوى عاصمة مملكة آشور، وهي المملكة التي دمّرت مملكة إسرائيل في سنة (722) ق. م، حسبما ذكر في مقدمة كتاب يونان، وأنّه تم كتابة هذا السّفر نحو القرن الثامن ق.م، قبل تدمير مملكة إسرائيل بسنوات، وأنّ يونان من مواليد إسرائيل وأنّ الرّب أمره بإبلاغ أهل نينوى، المدينة العظيمة بالرسالة، ونينوى مدينة تقع باتجاه الشرق قرب مدينة (الموصل) في العراق، فأبّت روحه الوطنية أن يبشّر بالخلاص أمةً وثنية، وامتنع عن تنفيذ أمر الله سبحانه حسب زعمهم الكاذب، وهرب إلى ترشيش (مدينة أسبانية) فعبّر بحر المتوسط غرباً، فحدثت عاصفة في البحر، على إثرها قُذف بيونان إلى البحر فابتلعه الحوت، وقذفه الحوت للشاطئ، ثم توجّه بعد ذلك إلى مدينة نينوى، واستغرق السير من شاطئ البحر إلى نينوى ثلاثة أيام، حتى وصل واجتاز مدينة نينوى سيراً على الأقدام بيوم واحد، وتلقى أهل نينوى رسالته بالقبول، ثم آمن ملك آشور برسالة يونان حسب نص سفر يونان من تورااة العبرانيين، ومعنى ذلك أنّ مملكة آشور وسكان عاصمتها دخلوا في دين بني إسرائيل، وأصبحوا أمةً ذات روابط دينٍ واحدٍ مع

(1) انظر مقدمة مدونة الملك / جوستينيان في القانون الروماني - عبد العزيز فهمي 1946 م .

(2) انظر سفر يونان من العهد القديم - التورااة .

مملكة إسرائيل وفق نصوص من سفر يونان المزعوم، وهذا الكلام يتصادم مع بعضه بعضاً، ومع العقل والواقع، بالآتي:

• لم يحصل أن عصى نبي أو رسول أمر الله - سبحانه - بسبب عصبيته الوطنية، حسبما تقول به كذباً سفر يونان عن النبي يونس - عليه السلام - في العهد القديم من تورا العبرانيين.

• هناك مبالغة في فترة السير ما بين نزول يونان لشاطئ بحر المتوسط، والسير إلى نينوى قرب الموصل في العراق التي حددت بثلاثة أيام، إذ تبلغ المسافة أكثر من ألف خمسمئة كيلو تقريباً، وعلى افتراض أنه سار إليها راكباً، فإنه سيقطع في اليوم مسافة (مائة كيلو) أو أقل، فيحتاج إلى أكثر من عشرة أيام متواصلة، من دون توقف، وإذا قطعها سيراً على الأقدام فيحتاج إلى قرابة شهر أو يزيد، وهو ما يتناقض مع نصوص سفر يونان المروي في كتاب تورا العبرانيين (العهد القديم).

• كيف يستقر الحال في قيام مملكة آشور وعاصمتها نينوى من أرض العراق القديم، حسبما جاء في كتاب يونان من أن مملكة آشور دمّرت مملكة إسرائيل بعد سنوات، في سنة (722) ق. م، من رسالة يونان، ألم يشفع لهم إيمانهم؟ أم أن الروح الوطنية لدى الآشوريين كانت أقوى من الروابط الدينية مع بني إسرائيل؟! أم أن هذا الكلام يمثل ضرباً من التناقض الذي لا نجد له مبرراً غير التحريف.

• أضف إلى أنهم عرفوا يونس باسم يونان، وهناك لقب آخر أطلقوه عليه، وهو (ذا النون)، وهذا تحريف واضح ظهر لدى تورا العبرانيين، كما ظهر أيضاً بنفس الصبغة لدى فكر المذاهب الإسلامي، ولكن بلغة أخرى في مدرسة التفسير والحديث.

والحقيقة هي غير ذلك تماماً، وهي أن (يونان) اسم محرّف لاسم (يونس) الذي جاء في القرآن الكريم، ثم إن (ذا النون) ليس لقباً (ليونس)، بل كلٌّ منهما نبي مستقل عن الآخر، وأن يونس لم يكن من بني إسرائيل، بل نسب إلى قومية أخرى ارتبط بها وهي (قوم يونس)، وفقاً لكلام الله سبحانه الواضح والصريح في القرآن الكريم، ولو كان من بني إسرائيل لذكره الله - سبحانه - كغيره من أنبياء بني إسرائيل الذين ذكرهم صراحةً في أكثر من آية، فجاء ذكر يونس في هذه الآيات بصورة واضحة منسوبة لقومه، قال سبحانه وتعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾، (يونس: 98)، كما جاء ذكره في سورة القلم، قال سبحانه وتعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْخُوْتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ، لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ، فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، (القلم: 48، 49، 50)، ونجد آية أخرى تذكر تفاصيل قصة يونس، قال سبحانه: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ، إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ، فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ، فَالْتَقَمَهُ الْخُوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ، فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ، لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمٍ يُبْعَثُونَ، ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ، وَأُنْبِئْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ، وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾، (الصافات: 139، 140، 141، 142، 143، 144، 145، 146، 147).

ومن هذه الآيات نأتي إلى التفاصيل؛ لنستخلص أهم الأحداث من قصة نبي الله يونس، وهو ما يدحض رواية توراة العبرانيين، وفقه المذاهب الإسلامي، فالآيات توضّح، ويُفقه منها أنّ يونس أبق إلى الفلك المشحون، المملوء بالبضائع والركاب، فساهم من كونه حمولة زائدة عن حمولة السفينة (الفلك)، فكان من المدحضين، غير مقبول صعوده للفلك (السفينة)، فما كان منهم إلا أن ألقوا به في البحر؛ خوفاً وخشية من غرق السفينة بما فيها، ولم يذكر الله - سبحانه وتعالى - شيئاً عن الريح، وهيجان البحر، ثم ذكرت بقية التفاصيل، ومن أهمّها أنّه أرسل إلى مائة ألف أو يزيدون، وهذا العدد لا يكون إلا من سكان المدن، وقريباً من البحر، وهذا الوصف والحدث من التاريخ، في الزمان والمكان، إذ لم تكن هناك مدينة مأهولة بهذا العدد من السكان وبقرب من البحر غير مدينة من مدن أثينا أو من مدن الروم، وهو ما أرجّحه، ثم ذكر الله - سبحانه - يونس في آياتٍ أخر بشأن الوحي إليه، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾، (النساء: 163). وفي آية أخرى من القرآن ذكر يونس، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾، (الأنعام: 86). إذن فيونس ذكره الله - سبحانه وتعالى - أنّه من قرية، وأنّ له قوميةً مستقلةً عن قومية بني إسرائيل، وهو ما يدحض تحريف توراة العبرانيين وكذلك فقهاء الفكر الإسلامي في هذا الموضوع.

2-13-2 النبي ذا النون - عليه السّلام:

هو نبي ذكر بكلام الله - سبحانه وتعالى - جاءت قصته من خلال هذه الآية، قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾، (الأنبياء: 87، 88)، ولم يذكر تفاصيل أخرى عن (ذا النون) غير الذي ذكر من خلال هاتين الآيتين، إذ إنّ ذا النون ليس يونس، ومن الخطأ قول ذلك؛ لعدم الإشارة إلى وجود صلة بينهما، والآية الكريمة تصف الحالة التي كان عليها ذا النون كونه ذهب وهو في حالة من الغضب، فوقع في الظلمات، وحدّد نوع الظلمات التي وقع فيها ذا النون، ألا وهي ظلمة النفس المشحونة بالهم والغم، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾، (الأحزاب: 43)، ومن هذه الظلمات نجا الله سبحانه (ذا النون)، فقال: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾، وبذلك تتضح حقيقة مدلول الآيات الواضح بوصف حال سيدنا ذا النون - عليه السّلام، ومن المرجّح في تقديري أنّه نبيّ، أو حكيمٌ أرسل إلى حواضر أثينا، أو روما من حضارة اليونان والرومان، إلا أنّ هذا الترجيح يحتاج إلى مزيدٍ من البحث التاريخي؛ زيادةً في التمهيص.

2-13-3 النبي ذا الكفل وذا اليسع:

وقد ذكرهما الله - سبحانه - في القرآن الكريم دون إشارة لوصف حالهما، وأحوال أقوامهما، غير أننا نرجح أنهما حكيمان، أو من أنبياء حضارة الروم واليونان، التي كوّنت إرثاً حضارياً إنسانياً رفيعاً، بفعل تراكم حكمة الأنبياء والرُّسل فيها، قَالَ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾، (الأنبياء: 85)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَادْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾، (ص: 48)، وأيضاً يحتاج هذا الموضوع إلى بحثٍ تاريخيٍّ مستقلٍّ عن تاريخ هذه الشخصيات رضي الله عنهم أجمعين، مع المزيد من التمهيد والتأكيد، مع ملاحظة أنَّ لفظ (ذا - وذي) كنية عن لغة أهل اليمن، و(ذا) ومن المرجَّح أيضاً أن يكون لفظاً يستخدم في حواضر أثينا أو روما.

2-13-4 الأنبياء من آل يس:

جاء في سورة يس ذكر أصحاب القرية الذين كذبوا الرُّسل، ثم جاء ذكر المدينة، وهو ذكر متصل بالحوادث والأماكن التي أُرِّجِح أيضاً أن تكون مُدناً من حواضر حضارة اليونان أو الرومان، أو غيرهما، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ، إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ، قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ، قَالُوا رَبَّنَا عَلِّمْنَا لَكُمْ لِمُرْسَلُونَ، وَمَا عَلَّمْنَا إِلَّا الْبَلَاغَ الْمُبِينُ، قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ، قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ، وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾، (يس: 13، 14، 15، 16، 17، 18، 19، 20)، ومن هذا الإرث الإيماني لهؤلاء الأنبياء والرُّسل والحكماء السائرين على نهج الله - سبحانه، ومنهجية المعرفة الجدلية لسيدنا إبراهيم - عليه السَّلام، جاءت حضارة اليونان، والإغريق، والرومان، ثم تبع هذا الإرث المعرفي إرث فلاسفة أثينا وروما وحواضرها المكتنزة بالفلسفة، الذين أثروا المعرفة والفلسفة الإنسانية في معرفة المخلوق والخالق بكمٍّ غزيرٍ من العلوم، فصاغوا عدداً من المناهج العلمية والأنظمة والقوانين التي ما زالت حيَّةً بيننا حتى عصرنا الحالي، وستستمر إلى ما شاء الله - سبحانه وتعالى، ولقد عاش الإنسان على مراحل التاريخ الإنساني باحثاً متسائلاً عن الآلهة، وعن خالق الكون، لأنَّ غريزة الاعتقاد والتدبُّن من السمات الفطرية الأساسية في التكوين العقلي والمعرفي للإنسان، لذلك خطَّ الإنسان عناوين بارزةً وأساسيةً في مختلف الحضارات الإنسانية، منها حضارة مصر، وحضارة بابل، وحضارة الهند، وحضارة الساسانيين، وأخيراً حضارة اليونان التي مثلت في تقديري أغنى حضارة خُلِّدت فيها المعرفة والفلسفة ومختلف العلوم، كما تعدُّ حضارة أثينا وروما القديمة، أهمَّ نتاج الحضارة الإنسانية التي أسهمت في إثراء الفكر الإنساني في مجالات متعدّدة في جوانب الحياة، وسواءً توافقت معها أم اختلفنا، فما زال فكر اليونان والرومان يمثل أساساً متيناً لكثير من العلوم الإنسانية في (فلسفة الوجود)، وعلم الكون، والكواكب والنُّجوم، وعلم النفس، وعلم المادة وانقسامها (فلسفة المادة)، وعلم الاجتماع والمنطق، وعلم الرياضيات، وعلم الفيزياء، وعلم الطبيعة وعلم الحيوان والنبات، وعلم القانون والعلوم السياسية، وغيرها من العلوم

والمعارف، والمناهج العلمية بمختلف فروع الحياة، ومن روما، وأثينا، وأيونيا، وبلدة إيليا، والقسطنطينية، وصقلية، وقبرص، ثم الإسكندرية، برز عددٌ من رواد الفكر الإنساني الذين أسسوا المدارس، والمناهج والمذاهب الفلسفية على قدرٍ كبيرٍ من الحقيقة، تلك الحقيقة التي لا تتقدم ولا تتخلف، ثم إنَّ أي حقيقة فلسفية لا تتأسس على دراسةٍ شاملةٍ بمذاهب الماضي، وتحظى برؤية للمستقبل ستكون حقيقةً ناقصة، وبلا قيمة، وبذلك عرّفوا الفلسفة بأنها المعرفة بالمطلق، وليس كل شيء مطلقاً، ثم المعرفة بالكون، ولا يوجد كون واحد، بل توجد أكوان متعدّدة، والحقيقة الفلسفية هي أيضاً إعمال الفكر والعقل في ماهية الموجودات والأشياء، فهي إذن تتناول الكون ككل، ولا تأخذ شيئاً كقضية مسلّم بها، فالفلسفة هي محاولة الارتفاع بما هو حسي إلى اللامحسوس، ومثلما كان للمكان رمزية في نشأة الفلسفة اليونانية، فقد كان للإنسان والزمان موقعٌ مهمٌ في إبراز إرث فلسفة مدينة أثينا، وروما والقسطنطينية، والإسكندرية وغيرها، فأخرجت لنا هذه الحواضر قناديل من أنوار الفكر والمعرفة، خطّوا أسطراً في ذاكرة الزمن، وحملوا مشاعل الفكر الإنساني من غياهب الظلام إلى وهج النور، ومن ذلك المكان والزمان والإنسان أستمح القارئ بالاقتراب من عدد من المراجع منها (تاريخ الفلسفة اليونانية - ولتر ستيس - ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد - 1984م) (1) و(أفلاطون - غاستون مير - ترجمة بشارة صارجي - الطبعة الأولى 1980م) (2) - (وسقراط - فاروق عبد المعطي - 1993م) (3)، (جمهورية أفلاطون - فؤاد زكريا) (4)، من أجل السرد النماذج من نتاج المعرفة الإنسانية ورموزها، وبصورةٍ مقتضبة؛ ومن أجل الوقوف بنا على مشارف تلك الحضارة، وما حقته من إنجازاتٍ كان لها الأثر الكبير في تقدّم مختلف العلوم الإنسانية والتطبيقية في عصرنا الحاضر، أضف إلى استخلاص النتائج والعبر بما خطته حضارة اليونان والرومان، وعرض لبعض مختصرات مناهجهم في المعرفة الفلسفية، وتخليداً لفكر المعرفة الجدلية (فلسفة) لسيدنا إبراهيم عليه السلام، مع حجج كبير من الأنبياء والرسل والحكماء والمفكرين ومنهم نذكر مختصرين بالآتي:

2-14 حكماء وفلاسفة اليونان وروما:

- طاليس (624-550) ق.م: مؤسس المدرسة الأيونية، وهي أقدم مدرسة في التاريخ، أدخل علم الرياضيات، والفلك، وتنبأ بكسوف الشمس، واستنتج أن الماء أصلٌ للأشياء جميعاً.

- فيثاغورس ولد ما بين (580-570) ق.م:

أسس الجمعية الفيثاغورية.

من أهم مبادئه، الإيمان بتناسخ الأرواح بين الناس والحيوانات.

(1) انظر تاريخ الفلسفة اليونانية / ولتر ستيس . ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد 1984م

(2) انظر أفلاطون / غاستون مير - ترجمة بشارة صارجي 1980م

(3) انظر سقراط / فاروق عبد المعطي 1993م

(4) انظر أفلاطون / فؤاد زكريا .

خصّ نفسه وجماعته بمنهج التصوّف والتّكشف والزهد، فقليل إنّه أول من أسّس هذا النهج.

جعلوا لهم شيئاً من المعجزات، وخوارق العادات، وفرضوا على جماعتهم مبدأ السرية والتكتم الشديد (الباطنية).

حدّد الفيثاغوريون قائمة الأضداد العشرة التي يتألف منها الكون، منها (المحدود وغير المحدود، النور والظلام، الخير والشر، الواحد والكثير، الفردي والزوجي، الذكر والأنثى.. إلخ.

• وبارمنيدس (514) ق.م

من أبرز ما قيل عنه: إنّه أبو المثالية والمادية معاً.
فكرته تقوم على أنّ الوجود لا يمكن أن يظهر من غير وجود.
كان فكره في المثالية أول البذور التي التقطها أفلاطون وطورها.

• هيرقليطس (535-475) ق.م – ومن أبرز أقواله:

قانون الصيرورة.

الصيرورة وحدها موجودة، والوجود والثبات والذاتية ليست إلا أوهاماً.
مبدأ الثبات يظل نسبياً.

الأشياء تتغير من لحظة لأخرى.

النزاع هو أب جميع الأشياء.

كل الأشياء تتركّب من النار.

السفسطائيون: ومنهم بروتاجوراس ولد (480) ق.م:

يعتبر بروتاجوراس أقدم سفسطائي اتهم بالتحلل والإلحاد، مات أثناء هربه غرقاً (410) ق.م.

من مقولاته: الإنسان هو معيار كل الأشياء.

لا شيء موجود، وإذا وجد فلا يمكن معرفته، وإذا أمكن معرفته فلا يمكن نقل معرفته للآخرين.

قيل عن السفسطائيين ليس لهم منهج فلسفي واحد، أو مذهب فلسفي محدد.

كانت أعمالهم تتركز على الخطابة، والبلاغة، واللجاج، والتلاعب بالألفاظ والتراكيب النحوية الشاذة.

وقيل عن تعاليمهم إنّها اتجه مدمرٌ ومعادٍ للجميع، كما أنّ فكرهم مدمرٌ للدين، والأخلاقيات، وأسس الدولة.

سقراط - 470 ق.م:

يعد من أعظم فلاسفة اليونان بتقديري، من حيث المعرفة الجدلية المجردة في إثبات حقيقة الخالق، إذ كان ينصح الناس بفضيلة الاتزان والاعتدال، وعدم التطرف في العاطفة،

وكان يتحدث عمّا يجري تحت الثرى، وفوق السّماء، ويبحث عن الحق المطلق وهو (الله سبحانه)، ومن ضمن دفاعه عن نفسه، حسبما رواه أفلاطون عنه الآتي: (المصلح دائماً فرد واحد، أما المفسد والمضر فهم الكثرة)، وقال أيضاً: (إنّ من يؤمن بآثار الآله فهو مؤمن به)، وعلى إثر ذلك، وُجّه له اتهامٌ دينيٌّ بأنّه لا يقدر الآلهة الخاصة بالمدينة، ويقول بالآلهة أخرى، وبها أفسد الشباب، ومن منهجيته في تكوين المفاهيم الفلسفية، إذ يقوم على الاستقراء، بعد أن نجح في توجيه الفلسفة من البحث في الطبيعة إلى البحث في النفس الإنسانية، والتصورات الأخلاقية، فلجأ لاستعمال المناهج العقلية، والتأملات الفكرية المناسبة، كما ينسب لسقراط التعريف الكلي للفكر، ومنهجه في توليد الأفكار، والذي يتشابه مع وظيفة أمّه في توليد النساء، وهي ما تُعرف بوظيفة القابلات، إذ يُعرف هذا المنهج بالفن في الحوار باسم "الديالكتيك"، أو الجدل الذي يقودنا إلى اكتشاف التناقضات في الفكر، إذ إنّّه يعد من جوهر المنهج الجدلي، فيعتمد على حرية الحديث والنقاش، ويتدخل بطرح أسئلة لتحويل النقاش نحو أشياء مثمرة، وهكذا وغيره سعيّاً وراء توليد الفكر على نحو ما تقوم به القابلة من توليد النساء.

- قيل عنه إنّّه أنزل الفلسفة من السّماء للأرض وجعلها في متناول أفكار الناس.
- وقيل عنه إنّّه استعاد النظام من وسط الفوضى التي تسبب بها السفسطائيون.
- وقال عن النفس والفضيلة والرذيلة: فقال إنّ الفضيلة علم، والعكس بالمقابل، فإنّ الرذيلة جهل، والمعرفة بالنفس هي السبيل الوحيد إلى تحقيق الفضيلة، وقال أيضاً: إنّ الفضيلة مفطورة في النفس، وإنّها واحدة مع تعدد أسمائها وصورها.
- وقال: اعرف نفسك بنفسك من خلال الحكمة التي كتبت على معبد (دلف).
- وقال عن العقل بأنه ظلّ الله - سبحانه - في الأرض.
- وقال أعرف الفضيلة بالتسامح، والحصافة، والبصيرة، والأريحية، والشفقة.

وكان لسقراط موقف من القانون: تقوم فكرة القانون عنده، حسبما يكتّنه للقانون من احترام، ومهابةٍ وتقديس، فهو يرى أنّ القوانين سواءً أكانت قوانين مكتوبة وضعها الإنسان لتحقيق السّلام والرفاهية والسعادة، أو كانت قوانين غير مكتوبة مستمدة من الإرادة الإلهية، فهي حقائق ثابتة ينبغي المحافظة عليها، فالقانون رمزٌ للعقل، وينبغي أن يسود ويمنع الفوضى، وطاعة القانون واجبة، فدفع سقراط حياته في سبيل تطبيق القانون، فتجرّع السم مفضلاً الموت جوراً على الهرب المتاح له من السجن عقب الحكم عليه بالإعدام، بسبب عدم اعترافه بالآلهة أثينا الوثنية، وتمسكه بحقيقة الإله المطلق وهو الله سبحانه وتعالى.

عبرية سقراط:

فقد كان سقراط عظيماً بفكره السديد وتكمن عظمة الرجل من كونه فتح للناس في عصره نافذة للتفكير العقلي والخلقي والديني، وكأنّه - بتقدير - استعاد جزءاً من إرث سيدنا إبراهيم - عليه السّلام - في التفكير والجدل العقلي، بعد أن طغت أفكار من سبقوه حول التفسير المادي للطبيعة فخلقوا الإلحاد وجعلوا من المادة (الاصنام) آلهة تعبد، إذ كان لجدل السفسطائيين، وتماهي الفيثاغوريين أثر كبير في الفوضى والهدم الفكري الذي أحدثوه في مجتمع أثينا، فجاء

سقراط كحاجة مُلحّة للخروج من هذه الوضع المأزوم للفكر، إذ كان أشبه بالنبي المنقذ، حسبما كان يحس به ويشعر في داخله، فعمل على تصحيح منهج الفلسفة، وأعادها إلى نصابها في التعقل والتفكير، والمعرفة، والدفاع عن الحقيقة التي دفع حياته ثمناً للإيمان بها، فقد جرت محاكمته من جماعة الفكر الديني السياسي، لتجديفه بحق الآلهة الوثنية، وإفساد الشباب، وحكم عليه بتجرع السم حتى الموت، ففضل الموت دفاعاً عن الحق والحقيقة، ولكن فكره العلمي والفلسفي بقي حياً لم يمت، ومن منهج وفلسفة سقراط جاءت فلسفة أفلاطون ثم أرسطو، وما زال قطار البحث والمعرفة والتفكير أخذ في الازدياد حتى يومنا هذا، مع انفتاح الإنسان نحو نفسه، ونحو الفضاء، والكون والأكوان المكتشفة التي تفتح للعقل شهية التأمل والتفكير، والمعرفة غير المحدودة، ومع كل ذلك فكأنما كان سقراط يحاكي فطرته السليمة في التفكير، حسب منهج الله - سبحانه - فقد دفع الرجل حياته من أجل التمسك بهذا الإيمان القوي بالله تعالى.

أفلاطون (427) ق.م

قيل إنه أول شخص في التاريخ يضع مذهباً شاملاً وعظيماً في الفلسفة، فلقد جمع الخصال الكلية للفلسفة اليونانية، فجمع في مذهبه خير ما عند الفيثاغوريين، والإيليين، وهيرقليطس، وسقراط، إضافة إلى ذلك أنه كان مفكراً أصيلاً بارعاً، كان أستاذه قراطيلوس قد ارتبط بسقراط خلال ثماني سنوات، واتصل بالمدرسة الميجارية، وفكر الإيليين، وتأثر بعدد كبير من الفلاسفة أمثال: افليدس، بارمنيدس، الفيثاغوريين، ونهج نهجاً مختلفاً عن سقراط، وتمثل منهجه في الآتي:

- إنشاء مدرسة أكاديمية، جمع حوله أشخاصاً من المريدين المخلصين، بخلاف أستاذه سقراط الذي عاش حياة التسكع والخشونة في أسواق أثينا.
- أسس فلسفته السياسية بجديّة تامة ومنهجية متكاملة.
- أكد على إصلاح الدولة بضرورة أن يكون الحاكم فيلسوفاً.
- كان فناناً، وأديباً، وشاعراً، ومتصوفاً.
- حاور طيماوس، وقدم سلسلة من الأساطير الخيالية عن أصل العالم.

نظرية المعرفة (جدل المعرفة) وتمثل عنده في الآتي:

- إذا كان الإدراك الحسي هو الحقيقة، فإنّ الإنسان يكون معيار جميع الأشياء باعتباره كائناً مدركاً.
- قال بالتعريف بالأشياء، أو بماهية الأشياء جميعاً.
- عرّف الإنسان بأنّه حيوان عاقل، ودون ذلك تظل حقائق عرضية.
- الصيرورة فكرة من هيرقليطس أخذها أفلاطون.
- أخذ من الإيليين فكرة وجود المطلق.
- أخذ من سقراط مذهب المفاهيم، وبها جسّد نظرية المثل.

- الفيزياء أو نظرية الوجود.
 - الجدل هو نظرية الحقيقة والفيزياء، وهو الذي يقوم وراء الأشياء كأساس لها.
 - الفيزياء تتمثل في مظهرين: مظهر الجسمانية الحسية، ومذهب النفس غير الجسمانية.
- مذهب العالم ودعائمه:**

- قال إنَّ العالم ينقسم إلى عالم المثل، وعالم الماديات.
 - اعتبر أفلاطون أنَّ الأرض مركز العالم.
 - يؤمن بالنفس العالمية، وهي تتوسط بين عالم المثل، وعالم الحس.
 - قال إنَّه لا بد من وجود نفس في العالم تدير السلوك العقلاني للأشياء، وتفسر الحركة والعقل الذي يحكم العالم ويدبره، وهو مستقر في النفس العالمية، والنفس العالمية هي علة الحركة في الكون الخارجي، كما أنَّ النفس الإنسانية هي علة حركات الجسم البشرية.
 - مذهب النفس الإنسانية: النفس الإنسانية تتماثل مع النفس العالمية، وتنقسم إلى قسمين: القسم الأعلى يرتبط بالعقل، والقسم الآخر من النفس نصف نبيل، ونصف خسيس، يربط أفلاطون مذهب خلود النفس العقلانية بنظرية المثل.
- فلسفة الأخلاق:**

- تبدأ نظرية الأخلاق عند أفلاطون بالجانب السلبي، والمقصود به أن يُفند النظريات الزائفة عن ماهية الفضيلة.
- ميّز بين الفضيلة الفلسفية، والفضيلة المعتادة.
- جعل الفرق بين الرجل والمرأة يقوم على الدرجة، لا في النوع، وكذلك في الاختلاف الفيزيائي.
- لا يندد بالعبودية لوضعه الارستقراطي، بل يطالب معاملة العبيد معاملةً إنسانيةً مع الإبقاء على العبودية.
- مقابلة الشر بالخير مبدأ أفلاطوني.

فلسفة الدولة:

- يجب أن تتأسس الدولة على العقل، ولذا يجب أن تكون قوانينها عقلية، وهذه من خاصية الفلاسفة.
- مبدأ قيام الدولة على الارستقراطية العقلية.
- حظر على الحكام الفلاسفة والمحاربين الاشتغال بالتجارة والزراعة.
- الدولة هي من تحدّد وظيفة الفرد، حسب قدراته.
- الدولة تعمل على تحديد النسل، وتعمل على القضاء على أطفال الآباء السيئين.
- ليس مسموحاً للأطفال الضعفاء والمرضى أن يعيشوا.
- الأطفال منذ ولادتهم لا ينتمون إلى آبائهم، بل للدولة حسب مبدأ شيوعية التبني.

- لا يسمح بالشعر عدا الشعر الغنائي.
- ليس للفرد أن تكون له مصلحة بمعزل عن الجماعة.
- الفرد لا يستطيع أن تكون له ملكية سوى الأشياء المادية.
- قال بشيوعية السلع، وشيوعية الزوجات.
- قال بملكية الدولة للأطفال.

أسس قيام الدولة على ثلاث طوائف:

- 1- العقل يقابله النفس العقلانية، والحكمة، وتتجسّد في الحكام الفلاسفة.
- 2- القوة يقابلها النصف الأنبل من النفس الفانية، وتتجسّد في فضيلة الشجاعة لدى المحاربين.
- 3- العمل يقابله النفس الشهوانية، وتتجسّد في الجماهير وفضيلة الجماهير الاعتدال.
- 4- أسس قيام المدنية الفاضلة على مجموعة من القيم
- 5- فشل مرتين في تطبيقها على أرض الواقع.

أرسطو(384) ق.م:

ولد أرسطو في ستاجيرا، وهي مستعمرة يونانية على ساحل تراقيا، كان أبوه طبيب الملك المقدوني، ومن هنا جاء ارتباط أرسطو ببلاط مقدونيا، الذي كان له الأثر الكبير في حياته ومصيره، درس أرسطو الفلسفة في أثينا، ثم غادرها إلى بلاط (هرمياس) ملك أنارنيوس، ثم رحلة أخرى لمقدونيا بهدف تعليم الاسكندر الصغير بدعوة من الملك فيليب ملك مقدونيا، ثم عودته مرة أخرى إلى أثينا، بعد سنوات شرع أرسطو في إنشاء مدرسته الخاصة إلى جانب أكاديمية أفلاطون أستاذه، لم يسلم من نقده، استمر قرابة (13) سنة حتى عام (323) ق.م في رئاسة مدرسته وترتيبها، وفي تلك الفترة أنجز أرسطو أعظم إرث من كتب الفلسفة، بلغت (400) كتاب بتصنيف هذه الأيام (400) فصل عقب موت الإسكندر ببابل، إذ كان الإسكندر يلقي على المدن اليونانية بظلال الهيمنة والسطوة والسيطرة، وعقب موته انتفضت أثينا وحواضرها ضد المقدونيين، ومن تحالف معهم بما فيهم أرسطو الذي خاف أن يتكرّر معه نفس مصير سقراط، فهرب إلى خالكيس في أيوبياي، فانتابه مرضٌ ومات على إثره، وعمره (63) سنة في عام 322 ق. م، ومذهب أرسطو في الفلسفة ينقسم إلى خمسة أقسام، ومن أهم ما ورد في تلك الأقسام الآتي:

• المنطق الارسطي:

- عُرف بالمنطق الاستقرائي والمنطق الاستنباطي في الفكر والتفكير، يرتبط اسم أرسطو بالمنطق الاستنباطي الذي يرجع له الفضل بتأسيسه، وأكمّله من الناحية العلمية، وهو موجود حتى يومنا هذا، وما زال يدرّس حول العالم.

الميتافيزيقا (الفلسفة الأولى):

- وهي التي تُعنى بمعرفة المبادئ الأولى للكون.

- حدّد أربعة أنواع من العِلل وهي: العِلل المادية، والفاعلة، والصورية، والغائية، وقد اعترف بها الفلاسفة وبهذا يدعم مذهبه.
- الخطوة التالية في ميتافيزيقا أرسطو هي رد هذه المبادئ الأربعة إلى مبدئين سماهما: الهيولى، والصورة.

تعريف أرسطو لله:

عرف الله سبحانه على أنّه (فكر الفكر)، وبتعبير آخر عن الفكرة نفسها يلجأ أرسطو إلى اللغة التشبيهية، فيقول: (إن الله يعيش في نعمة أبدية، ونعمته قائمة في تأمل دائم لكماله)، وقال عن الله هو المطلق، وهو الكلي... الخ.

الفيزياء أو فلسفة الطبيعة:

- إنّ الكون الموجود هو سلّم إلى الوجود العام، ويقع بين طرفين من الهيولى الهلامية، والصورة الهلامية.
- الإنسان أعلى درجة في سلّم الموجودات، وأنّ المخلوقات من شمس، وقمر، وأرض، وغيرها وجدت لمنفعة الإنسان.
- نظر أرسطو في الأفكار الرئيسة الخاصة بالحركة من حيث المكان والزمان.
- الحركة هي انتقال الهيولى إلى الصورة، وهي أربعة أنواع، تتلخص في الآتي:
 - أ. الحركة التي تؤثر في جوهر الشيء بتكوينه وفنائه.
 - ب. تغير الكيف.
 - ج. تغير الكم بالزيادة أو النقصان.
 - د. النقلة، أو التغير في المكان.
- يرفض أرسطو تعريف المكان بأنه الخلاء، كما يرفض اعتبار المكان شيئاً فيزيائياً.
- حدّد سلّم الموجودات ابتداءً من النبات إلى الحيوان، وصولاً إلى الإنسان، وإثارة الخصائص المشتركة بينهما.
- ربط في فلسفته بوجود علاقة بين الإنسان والكون من كواكب ونجوم.
- قال عن (الكائنات الأعلى)، تلك الكائنات الخالدة التي لا تفنى.
- وقال ولا يحدث الفساد والموت إلا على هذه الأرض.

فلسفة الأخلاق:

- الفرد بين الخير والشر، وربط الفضائل العقلية بالفضائل الأخلاقية، والفضيلة تقوم في سيطرة العقل على الشهوات.

فلسفة الدولة:

- السياسة هي فلسفة أخلاق الدولة.
- ويتفق مع أفلاطون في أنّ موضوع الدولة هو الفضيلة، والسعادة الخاصة بالمواطنين.

- الأصل التاريخي للدولة يجده أرسطو في الأسرة.
- نظرته للعبيد تتوافق مع أفلاطون، من حيث الإبقاء عليهم مع حسن التعامل معهم.
- حدّد ستة أشكال من أنماط الحكومات، وهي كالتالي:

1. الملكية.
2. الأرستقراطية.
3. حكم الفرد، وتنشأ عنه الاستبداد والطغيان.
4. الأوليجارشية، حكم الأقلية الغنية القوية.
5. الجمهورية الدستورية، وتنشأ حيث تكون قدرات المواطنين متساوية.
6. النظام الديمقراطي، وهو حكم الأغلبية ويتميز بأنه حكم الفقراء.

جماعة المدرسة الرواقية:

أول مَنْ أسّس المدرسة الرواقية هو زينون من قبرص، وهو من أصل فينيقي، ولد (432) ق. م، إلى جانب " كلينتيّس وكريسيبوس"، وينقسم المذهب الرواقي إلى ثلاثة أقسام، وتتمثل في الآتي:

المنطق الرواقي:

- تدخّل المعرفة من الحواس.
- أنكر الرواقيون الحقيقة الميتافيزيقية للمفاهيم التي هي مجرد أفكار في العقل، متجردة عن الجزئيات، وليس لها حقيقة خارج الوعي.
- لا يوجد معيار أساسي وكلي للحقيقة، وهي لا تقوم على العقل، بل على الشعور، وكل شيء يتوقف على القناعات الذاتية لدى الفرد.

الفيزياء:

- يؤمنون بالمادية البحتة في كل الأشياء.
- القضية الأساسية في الفيزياء الرواقية هي أنّه ما من شيءٍ غير ماديٍّ ألا وله وجود.
- وتتمشى هذه المادية مع النزعة الحسيّة لمذهبهم في المعرفة، التي وضعها الرواقيون في الإحساس الفيزيائي.
- يقولون: إنّ كل الأشياء لها نفس.
- وحتى الله له نفس مادة، ولا شيء أكثر.
- اعتقدوا أنّ العالم واحد.
- لا تأثير مضاد بين الجسماني وغير الجسماني.
- قالوا: إنّ العقل شيءٌ جسماني، وإنّ الله هو العقل المطلق، وإنّ العالم محكوم بالعقل، ومنه يأتي النظام، والتناغم، والجمال، والتصميم بالمقابل.
- إنّ الكون خاضع لسيطرة القانون، وهو محكوم بالضرورة الصارمة للعلل والمعلول.
- أخذوا بمنهج هيرقليطس بأنّ كل الأشياء مؤلفة من النار.

• آمنوا بأن النار هي الإله، وأن النفس تأتي من النار.

فلسفة الأخلاق:

- قالوا: إن الكون محكوم بقانون مطلق.
- قالوا إن الطبيعة الجوهرية للإنسان هي العقل.
- قالوا بأن الفضيلة هي الحياة بمقتضى العقل والأخلاقيات، وهي ببساطة الفعل العقلاني.
- قالوا إن الفكرة التي زعموا أنها من اختراعهم هي فكرة المواطنة العالمية، وقد استمدوها من أن الكون واحد، وبنسقي واحد.
- وقالوا مهما يختلف الناس في الأمور غير الجوهرية، فإنهم يشتركون في طبيعتهم الجوهرية، وفي عقلهم، ويجب أن يكونوا دولة واحدة.
- ويتلخص الشعر الرواقي الشهير (عش، وفق الطبيعة) بما فيها من قوانين متناغمة.

جماعة الأبيقوريين:

ولد أبيقور في ساموس عام (342) ق. م، ولقد أسس مدرسته قبل عام، أو عامين من تأسيس " زينون " للمدرسة الرواقية، واستمر أبيقور على النزعة الذرية عند " ديمقريطس "، أهمل المنطق، وعلم القوانين، وانتقل دفعةً واحدةً إلى الفيزياء.

بعض مما قيل عن الفيزياء عند الأبيقوريين:

- اعتبر الأبيقوريين الفيزياء ذات أهمية من نقطة واحدة، وهي طرد الخوف والخرافة التي تسببها الأديان الشعبية لدى الناس.
- اعتبروا العالم جزءاً من الإله، محكوم بالعلل.
- الإنسان يملك الإرادة الحرة.
- آمن أبيقور بالنزعة الذاتية عند "ديمقراطيس".
- الأشياء مكونة من الذرات والخلاء.
- يؤمن بتعدد الإله على هيئة إنسان؛ لشكله الأجمل من بين الخلائق.

فلسفة الأخلاق:

- أسس الأبيقوريين الأخلاقيات على اللذة، وجعلوا منها أكثر نقاءً ونبالة، وهي الغاية في ذاتها، بل الخير الوحيد.
- قالوا عن الألم هو الشر الوحيد.
- قالوا عن اللذات الروحية والعقلية أكثر أهمية من لذة الجسم؛ لأن لذة الجسم فزائية سريعة الزوال، ولذة الروح دائمة.

فيرون (360) ق. م:

ولد فيرون عام (360- ق. م وهو أول من أخذ بالشك بذلك العهد، فكان رساماً، ومفكراً ومن أبرز منهجه ما جاء بالآتي:

- يَعْرِفُ الشَّكَّ بِأَنَّهُ إنْكَارٌ للمعرفة.
- وقد وصلت مرحلة الشك لديه إلى آتفه أشكال اليقين.
- قدّم فيرون ثلاثة أسئلة حول منهج الشك، وهي الآتي:
- 1- ما هي الأشياء؟ وكيف تكون؟
- 2- كيف نرتبط بهذه الأشياء؟
- 3- ما يجب أن يكون عليه موقفنا إزاءها؟

ويستخدم جماعة فيرون للشكّ ألفاظاً محددة في حياتهم اليومية فتكون بعيدة عن التوكيد، مثل: إنهم لا يقولون: "إن هذا الشيء هو"، بل يقولون: "إنه يبدو"، أو "إنه يبدو لي"، وكل ملاحظة يجب أن يسبقها تعبير: "ربما"، أو: "قد" أو أعتقد، وهكذا.

15-2 العلم والمعرفة - الفلسفة العربية الإسلامية:

خاض أرباب المذاهب والفرق والطوائف الإسلامية السنة، والشيعية، وبالذات مدارس الحديث، والتفسير، والفقه، وعلم الكلام، جدلاً واسعاً في عناوين كتبهم حول الخالق والمخلوق، حسب منهجية فكر المذاهب الدينية، فجاء ذلك الجدل بنفس منهجية عقائد الأديان القديمة، ولم يتخذوا لهم مناهج أو مدارس محدّدة في الجدل والفكر، والمعرفة والفلسفة، على الرغم من أن القرآن الكريم قد وضع اللبنة الأساسية لهذه المناهج منذ عهد سيدنا إبراهيم - عليه السلام، وفي كثير من الآيات التي أشارت صراحة وضمناً إليه، وحسبما بيناه سابقاً في مدلول كلام الله - سبحانه - في الآيات القرآنية، فحرّفوا المعنى الحقيقي للفلسفة أيّما تحريف، مستخدمين نفس اللغة، والألفاظ الهابطة للتعريف بالخالق والمخلوق، مستخفين بعقول القراء، في دسّ تلك الأحاديث التي حطّت من قيمة العلم بالخالق والمخلوق، بل وحطّت من مكانة العلم والمعرفة، فظهر فكر فقهاء المذاهب الإسلامية في هذا الجانب غثّاً كعثاء السيل، بل كان أشدّ انحطاطاً؛ لما فيه من التقوّل على ذات الله - سبحانه وتعالى، يظهر ذلك من الأحاديث، والعناوين التي خُصّصت لهذا الموضوع، تحت مسميات متعدّدة منها: التوحيد، والإيمان، والأسماء، والصفات، والتجسيم، والذات، والصمد، والروح، والعقل والجهل، والعلم، والمشينة والإرادة، والخير والشر، ومستدّلين على حجّية أقوالهم بأحاديث العنينة والقليلة، وغيرها من النقولات، وفي إطار هذا المشهد كان هناك دوماً اتجاه قوي يرفض الخوض في مسائل البحث في الإلهيات، وطبيعة الخالق والمخلوق، ويفضل الاكتفاء بما هو وارد في الكتاب والسنة، دون بحثٍ واستفسار، وهذا التيار الذي يعرف بـ "أهل السنة والحديث"، والذي يُنسب إليه معظم الفقه الإسلامي، فكانوا دوماً يشكّكون في جدوى أساليب الحجاج العقلي والمنطق، والجدل الفلسفي في العلم والمعرفة، ومازالت هذه التيارات الفكرية قائمة حتى اليوم لا يؤمنون بوجود "فلسفة في الإسلام"، ويقولون بعدم جوازية إطلاق هذه العبارة، (الفلسفة) على منهج بحثي في الجانب الإسلامي، بحجة أن للإسلام علماءه الذين يتبعون الكتاب والسنة، أمّا من اشتغل بالفلسفة فهو من "المبتدعة الضالّين"، ويؤمنون بمقولة: (من لا شيخ له فشيخه الشيطان)، مجسّدين قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا

أَوَّلُو كَانِ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ)، (لقمان: 21) فاتخذوا من الوهم طريقاً للعلم، وجعلوا من هذا الوهم طريقاً للضلال، ويصدق قول الله فيهم: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، (الجاثية: 23). ومن حصيلته فقه المذاهب في مدرسة الحديث السني الشيعي ظهرت جماعات، أو قل أفكاراً بمسميات مختلفة، هي بتقديري خلقت من رحم العقائد القديمة، هدفها بثُّ الفرقة والتشكيك في كلام الله - سبحانه - في القرآن الكريم فصنعت نصاً مقابل آيات القرآن، وأوجدت نظائر لها في الفكر الإسلامي، وما زال إرث هذه الجماعات عالقاً بثقافتنا حتى يومنا هذا، ومن هذه الجماعات الجبرية، والقدرية، والمرجئة، والمعتزلة، والأشاعرة، والماتريدية، والسلفيين، والصوفيين، وغيرهم من التفريعات القديمة، والحديثة، والمعاصرة الخاصة بالفرق والجماعات، ومن هذه العناوين نسلط الضوء على بعض منها باختصار شديد، في الآتي:

جماعة الجبرية: (1)

التعريف: قيل إنَّ أول من انتحل هذه النحلة هو الجعد بن درهم، وقد تلقاها عن يهودي بالشام، ونشره بين النَّاس بالبصرة، ثم تلقاها عنه الجهم بن صفوان، كما قيل إنَّ هذين الشخصين هما في الأصل يهوديان، دخلا الإسلام وانتميا إليهما، وقد اتخذوا مكاناً لدعوتهم بخراسان وما حولها، ثم اتخذوا مدينة "نهاوند" مقاماً آخر، واستمرت الجماعة بدعوتها بعد موت مؤسسها إلى أن تغلب عليه رأي أبي منصور الماتريدي، وقيل عن آراء هذه الجماعة: إنها دخيلة على المسلمين، ومن أبرز آراء الجبرية الآتي: قالوا بنفي الفعل عن عقل الإنسان (العبد) حقيقة وإضافته إلى الرَّبِّ تعالى، إذ العبد لا يوصف بالاستطاعة، وإنما هو مجبور في أفعاله، لا قدرة ولا إرادة ولا اختيار له، وإنما يخلق الله الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات، وتُنسب إليه الأفعال مجازاً، كما تُنسب إلى الجمادات، وأنَّ الثواب والعقاب يكون جبراً، فالتكليف أيضاً كان جبراً، وهذه التقولات - بتقديري - أقرب ما تكون من السفسة والخرافة، وسبق القول بها من إحدى طوائف اليهود، ويظهر فيها براعة التلاعب بالألفاظ، وليس لها قيمة فكرية أمام آيات القرآن الكريم في هذا الشأن، ثم أضافوا أقوالاً نُسبت لبعض الجهمية، وهي الآتي:

- قالوا: إنَّ الجنة والنار تفنيان.
- قالوا: إنَّ كلام الله حادث وليس بقديم، مما يعرِّز قولهم بخلق القرآن الكريم، وقد وُظفت هذه المقولة في مذهب أحمد بن حنبل.
- قالوا بنفي رؤية الله تعالى يوم القيامة، كما امتنعوا عن وصف الله.

جماعة القدرية: (2)

(1) انظر تاريخ المذاهب الإسلامية / محمد ابو زهرة .
(2) انظر تاريخ المذاهب الإسلامية / محمد ابو زهرة .

التعريف: قيل إنّ أول من تكلم في القدر رجلٌ من أهل العراق كان نصرانياً فأسلم، ثم تنصّر، وأخذ عنه معبد الجهني، وغيلان الدمشقي، ومن هذا نرى أن الفكرة دخيلةً على المسلمين، ومن العراق توسّع هذا الفكر نحو الشام، وخاصةً في مدينة دمشق، ثم انتشرت نحو فارس وخراسان، ومن أبرز مقولاتهم: إنّ كل فعلٍ للإنسان هو بفعل إرادته المستقلة عن إرادة الله تعالى، وهذا قول يتشارك به مع بعض المعتزلة.

جماعة المرجئة: (1)

التعريف: هذه الفرقة من فرق المتكلمين، خلقوا قضية عن مصير مرتكب الكبيرة، أهو مؤمنٌ أم غير مؤمن؟ ثم دار تساؤلٌ حول الإيمان والكفر، فمنهم من قال: هو مؤمن، ومنهم من قال: ليس بمؤمن، ومنهم من قال: هو منافق، ودار جدالٌ عقيمٌ حول قضية لا قيمة لها أمام بلاغة القرآن في التعريف بهذا العنوان، وقالوا أيضاً: إنّ مرتكب الكبيرة من المسلمين هو مؤمنٌ عاصٍ أمره بيد الله تعالى، إن شاء عدّبه بقدر ذنبه، وإن شاء عفا عنه، وقالوا: إنّ لا يضرُّ مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وقالوا: إنّ مرتكب الكبيرة يرجأ أمره إلى الله يوم القيامة.

فقهاء المذهب الشيعي والعلم بالخالق (كتاب الكافي أنموذجاً): (2)

خصّص كتاب الكافي في الجزء الأول عدداً من الأبواب والعناوين في هذا السياق، لخصّ التعبير عنها بالأحاديث، ومن تلك العناوين التي وردت عند دراسة كتاب الكافي في هذا المؤلف الجزء الأول، ثم أفرد لكل بابٍ عدداً من الأحاديث من دون تعريفٍ، أو بيانٍ، أو شرح، وهو بهذه العناوين وما حواها من كلام يصمُّ العقل الإسلامي بالضحالة، والغثيان، ويزيد من الجهل، خلافاً لمنهج الله - سبحانه وتعالى - في إطلاق أعمال العقل والفكر بمنهجية التفكير بالخالق والمخلوق على نحو من العلم، والمعرفة والجدل، وسوف نحاول تلخيص أهم ما جاء حول هذا العنوان بالآتي:

● حديث للتعريف بالعقل: أخبرنا أبو جعفر محمد بن يعقوب قال: حدثني جمع من أصحابنا منهم: محمد بن يحيى العطار، عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن محبوب، عن العلاء بن رزين، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما خلق الله العقل استنطقه، ثم قال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحب إليّ منك ولا أكملتك إلا فيمن أحب، أما إني إياك أمر، وإياك أنهى، وإياك أعاقب، وإياك أثيب.

الشاهد من الحديث: وفيه من التسفيه والاحتقار للعقل، وللقارئ ويتطابق مع رواية سفر التكوين عن الخلق.

(1) انظر تاريخ المذاهب الإسلامية / محمد ابو زهرة.

(2) انظر كتاب الكافي الجزء الأول- كتاب العقل والجهل / أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني الطبعة الثالثة 1338هـ.

● حديث للتعريف بالعلم: مستخدماً ألفاظاً بذيئة (بغاة): قال أبو عبد الله عليه السلام: قال رسول الله - صلى الله عليه وآله: طلب العلم فريضة على كل مسلم، ألا وإن الله يحب بغاة العلم.

الشاهد من الحديث: التلاعب بالألفاظ من خلال استخدام لفظ (بغاة - أو بغاء) أكثر من مرة في باب العلم، والبغاء لفظ خاص لفعل التكسب من فروج النساء، وقد ورد مرة واحدة في القرآن الكريم، قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿... وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبَتَّغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْنَهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، (النور: 33)، وهو لفظ شائع ومشهور بين الناس لفعل الفجور والفاحشة.

● حديث للتعريف بكيونة الخالق: وفيه من التسفيه والسب الفاضح: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أتى حبر من الأحرار أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين: متى كان ربك؟ قال: ويلك، إنما يقال: متى كان لما لم يكن، فأما ما كان فلا يقال: متى كان، كان قبل القبل بلا قبل، وبعد البعد بلا بعد، ولا منتهى غاية لتنتهي غايته، فقال له: أنبي أنت؟ فقال: لأملك الهبل، إنما أنا عبد من عبيد رسول الله - صلى الله عليه وآله.

الشاهد من الحديث: إنهاء الحديث بالشتم (لأملك الهبل) والاعتراف بأنه عبد للرسول، وهذه فريضة كبيرة، وحديث آخر في نفس الموضوع، وفيه من الاستخفاف بنطق الجماد وتركيب ولفظ مفردات مزعوم الحديث:

● قال علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس بن عبد الرحمن، عن أبان عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: شاء وأراد وقدر وقضى؟ قال: نعم، قلت: وأحب؟ قال: لا، قلت: وكيف شاء وأراد وقدر وقضى ولم يحب؟ قال: هكذا خرج إلينا.

الشاهد من الحديث: التعريف بالإرادة والمشئنة وفيه من الاستخفاف: بالقاري المتلقي.

● قال علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن بكار بن كردم، عن مفضل بن عمر، وعبد المؤمن الأنصاري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال الله عز وجل: أنا الله لا إله إلا أنا، خالق الخير والشر، فطوبى لمن أجريت على يديه الخير، وويل لمن أجريت على يديه الشر، وويل لمن يقول: كيف ذا وكيف هذا، قال يونس: يعني من ينكر هذا الأمر بتفقه فيه.

الشاهد من الحديث: التعريف بالخير والشر والتقول الفج عن الله - سبحانه:

العلم بالخالق لدى فقهاء السنة والجماعة (كتاب صحيح البخاري أنموذجاً)

ورد في صحيح البخاري عددٌ من الكتب التي تتحدث عن هذه المواضيع، وكل كتاب يحوي عدداً من عناوين الأبواب، وكل باب يتضمن عدداً من أحاديث العنونة والفلقة، ومن خلال الاطلاع عليها يتضح أنها لا تمت إلى العنوان الرئيس بأية صلة، ويظهر كتاب صحيح البخاري مقدرة على التلاعب بالعناوين، بقصد تتويه القارئ، وتشثيت ذهنه عند الخوض في

قراءة هذه العناوين المخالفة لكلام الله سبحانه في القرآن، فأظهرها بهذا المظهر الركيك، المتناقض، وهو ما سنوضح بعض منه في الآتي:

- كتاب: بدء الخلق: ورد تحت هذا العنوان كتاب مستقل وفيه (17) باباً، وعدد من أحاديث العنينة والقلقلة التي استدلت بها البخاري للتعريف ببدء الخلق، والمخلوقات، وقد دسّ ما يقرب من (129) حديثاً مكرراً في هذا العنوان كأدلة على بدء الخلق، وفيه من الاستهتار والاحتقار للعقل، والفكر، وللقارئ خاصة، قاصداً صرف الناس والمؤمنين عن المعنى الحقيقي لهذا العنوان الكبير الذي أوضحه القرآن الكريم أيما إيضاح، ومن غثاء البخاري اخترت لكم بعضاً من أحاديثه حول بدء الخلق الذي لوى به عنق الحقيقة، بالإضافة إلى أن مضمون هذه الأحاديث لا تمت للعنوان الرئيسي بصلة، وخارجة عن سياق الأدب، بالآتي:
- روى عيسى عن رقية عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال سمعت عمر - رضي الله تعالى عنه - يقول: قام فينا النبي - صلى الله عليه وسلم - مقاماً فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم، وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه، ونسيه من نسيه.
- الشاهد من الحديث:** ما فيه من الاستخفاف بعقل القاري المتلقي ومخالف للقرآن حول العلم بالغيب.
- حدثنا خالد بن مخلد حدثنا سليمان بن بلال قال: حدثني عتبة بن مسلم قال: أخبرني عبيد بن حنين قال: سمعت أبا هريرة - رضي الله تعالى عنه - يقول: قال النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه، ثم لينزعه، فإن في إحدى جناحيه داء والأخرى شفاء.
- الشاهد من الحديث:** عن الذباب وفيه من القذارة والاستخفاف في وضع الحديث في عنوان الباب المتعلق ببدء الخلق.
- حدثنا محمد بن يوسف حدثنا الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم: إذا نودي بالصلاة أدبر الشيطان وله ضراط، فإذا قضي أقبل، فإذا تَوَبَّ بها أدبر، فإذا قضي أقبل، حتى يخطر بين الإنسان وقلبه فيقول: أذكر كذا وكذا حتى لا يدري، أثلاثاً صلى أم أربعاً، فإذا لم يدرك ثلاثاً صلى أو أربعاً سجد سجدتي السهو.
- **الشاهد من الحديث:** عن ضراط الشيطان في كتاب بدء الخلق وفيه من البذاءة والتحقير لعنوان الموضوع والاستخفاف بالقاري المتلقي.
- ورد هذا العنوان في كتاب مستقل ضمن صحيح البخاري، احتوى على قرابة (42) باباً، دسّ البخاري قرابة (50) حديثاً من أحاديث العنينة والقلقلة المتكررة للتعريف بالإيمان، وللتدليل على مصداقية هذه الأبواب التي لا صلة لها بالمعنى الحقيقي للإيمان، الذي ورد ذكره بكلام الله سبحانه في القرآن الكريم، نذكر بعضاً منها بالآتي:
- حدثنا عبيد الله بن موسى قال: أخبرنا حنظلة بن أبي سفيان عن عكرمة بن خالد عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: بني

الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان.

الشاهد من الحديث: التعريف بالإيمان بالمخالفة للقرآن واقتصار الإيمان على الشعائر والمناسك.

- حدثنا عبد الله بن محمد المسندي قال: حدثنا أبو روح الحرمي بن عمارة قال: حدثنا شعبة عن واقد بن محمد قال: سمعت أبي يحدث عن بن عمر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله.
- الشاهد من الحديث:** آخر عن أحد أبواب الإيمان، وفيه الحث على قتال الناس من الإيمان تحريف وتشويه واضح لقيم الإيمان بين الناس.

من كتاب العلم:

ورد عن العلم لدى صحيح البخاري كتابٌ مستقلٌّ، يحوي (53) باباً، ومن عناوين هذه الأبواب وردت أحاديث استدلت بها البخاري على ما تقول به فقد أضاع المعنى الحقيقي للعلم، وحصر العلم بالفتاوى والحزايي، والتخاريف وغيرها، ومن أحاديث البخاري وتقولُه على الله، وعلى الرُّسل، والرَّسول محمد - صلى الله عليه وسلم - أنسخ لكم بعضاً بعض منها بالآتي:

- حدثنا إسماعيل قال: حدثني أخي عن بن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: حفظت من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعاءين، فأما أحدهما فبثنته، وأما الآخر فلو بثنته قطع هذا البلعوم.

الشاهد من الحديث: لأبي هريرة ويظهر التشكيك والسخرية في وقت واحد.

- حدثنا سعيد بن عفير قال حدثني الليث، قال حدثني عقيل عن بن شهاب عن حمزة بن عبد الله بن عمر أن ابن عمر قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: بينا أنا نائم أتيت بقدح لبن فشربت حتى إني لأرى الري يخرج في أظفاري، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب، قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: العلم.

الشاهد من الحديث: عن شرب العلم: وفيه من السخرية بالقاري والعلم معاً.

من كتاب: القدر:

أورد البخاري كتاباً مستقلاً عن القدر، أفرد له قرابة (16) باباً، يحمل عدداً من العناوين، دسَّ فيها قرابة (25) حديث من أحاديث العنونة والقلقلة، وبهذه الأبواب والأحاديث التي استدلت بها البخاري عن القدر، فقد شوهه المعنى الحقيقي للقدر، كمصطلح يفقه منه فعل الخالق وأفعال العباد، بمعنى آخر فعل الإرادة، والفعل غير الإرادي، نسرد بعض منها بالآتي:

- حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد عن عبيد الله بن أبي بكر بن أنس عن أنس بن مالك - رضي الله تعالى عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: وكَلَّ الله بالرحم ملكاً فيقول: أي رب نطفة، أي رب علقة، أي رب مضغة، فإذا أراد الله أن يقضي خلقها قال: أي رب ذكر أم أنثى، أشقي أم سعيد، فما الرزق، فما الأجل، فيكتب كذلك في بطن أمه.

الشاهد من الحديث: وفيه من الكلام البذي والمنحط على الرسول بكتاب القدر.

من كتاب: التوحيد:

أفرد البخاري كتاباً مستقلاً عن التوحيد، حوى قرابة (58) باباً، دسَّ فيه قرابة (187) حديثاً من أحاديث العنينة والقلقلة، ومن عناوين هذه الأبواب والأحاديث التي استدلت بها، وعمد البخاري إلى ضياع المعنى الحقيقي للتوحيد، نسرد بعض منها بالاتي:

- حدثنا ابن أبي الأسود حدثنا حرمي حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: لا يزال يلقي في النار، وقال لي خليفة: حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس وعن معتمر سمعت أبي عن قتادة عن أنس عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: لا يزال يلقي فيها {وتقول هل من مزيد}، حتى يضع فيها ربُّ العالمين قدمه فينزوي بعضها إلى بعض، ثم تقول: قد بعزتك وكرمك، لا تزال الجنة تفضل حتى ينشئ الله لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة.

الشاهد من الحديث: الكذب على الرُّسول بعلم الغيب في صف جهنم وعلى الله بصفة التجسيم وفي رواية أخرى لحديث (يضع قدمه وهي تقول قط قط).

- حدثنا خالد بن يحيى حدثنا عيسى بن طهمان قال: سمعت أنس بن مالك - رضي الله تعالى عنه - يقول: نزلت آية الحجاب في زينب بنت جحش، وأطعم عليها يومئذٍ خبزاً ولحماً، وكانت تفخر على نساء النبي - صلى الله عليه وسلم - وكانت تقول: إنَّ الله أنكحني في السماء.

الشاهد من الحديث: وفيه من التطاول والبذاءة على ذات الله - سبحانه

2-16 أعلام المعرفة في العصر العربي الإسلامي (الفلسفة):

وقد قابل فكر المذاهب الإسلامية (مدرسة الحديث، والسيرة والفقه)، الفلسفة والمعرفة بالبحر والنكران، وتحدث عنها، كما سبق بالاستهزاء، والاستخفاف، بل فقد وصل بهم حدُّ النهي والمنع، غير أن هناك أعلاماً في الفكر العربي الإسلامي لم يستسلموا لهذا التيار النقلي المقلد للعقائد القديمة، بل انتفضوا من بين أمواجه المتلاطمة؛ ليعثوا لنا إرثاً فكرياً وليد العقل والفكر والمعرفة، وهي ما تعرف بالفلسفة العربية الإسلامية التي برز فيها عددٌ من أعلام الفكر منهم: الكندي، وابن مسكويه، وابن سينا، وابن الهيثم، والغزالي، وابن باجه، وابن الطفيل، وابن رشد، وابن خلدون، وإخوان الصفاء، وغيرهم كثير، فخلّفوا لنا فكراً فلسفياً بديعاً في المعرفة بالعقل، والنفس، والمادة، وسواءً اتفقنا مع هذا الفكر أم اختلفنا، إلا أنَّه يمثل جانباً

مشرقاً من الإبداع المعرفي الإنساني، وإسهاماً مميزاً في إثراء الحضارة الإنسانية بمختلف الصعد، حتى وإن غلب عليهم التقليد لفلسفة اليونان، إلا أنه يمثل - بتقديري - امتداداً للفكر الإنساني، الذي لا يرتبط بالجغرافية والتاريخ، ومن كون العلوم والمعارف فكراً إنسانياً محضاً يخص الناس جميعاً.

ولجهد هؤلاء الفلاسفة في المعرفة العربية والإسلامية فائدة كبيرة في تحسين جوهر المعرفة في الحضارة العربية الإسلامية، بعد أن قامت مدرسة الحديث والفقه والتفسير، وعلم الكلام بؤاد المعرفة (الفلسفة)، بل ومنعها وتحريمها، فأصابت الفكر والحضارة العربية في مقتل، ولا زلنا على ذلك الحال من يوم أن تسللت لنا جماعة التحريف فأحدثته هدماً فكرياً وحضارياً للإنسان العربي فأصبح اليوم خارج معادلة العلوم والمعرفة بالتقنيات العالمية في كافة المجالات، على الرغم من أن الله - سبحانه - جعل العلم والمعرفة (الفلسفة) أول باب للمعرفة الحقة به - سبحانه، فكانت بتقديري أول طريق الإسلام أو إن شئت قلت الركن الأول من أركان الإيمان والإسلام مع قناعتني بأن الإسلام ليس له أركان بل دين ذو منظومة متكاملة من القيم، وكان إمام المعرفة بالفلسفة الأول هو: سيدنا إبراهيم - عليه السلام، فكانت بحق بوابة للإيمان الصادق بالله تعالى، بل وكانت من صفوة علم الأنبياء والرسل لمعرفة الخالق والمخلوق، فهي كمال العقل والنفس، وعصارة الفكر والتفكير وزينة النفس المطمئنة، فكان لهؤلاء نفر جهد ملموس في إثراء هذا العلم الرباني (المعرفة - الفلسفة)، فالفلسفة - في تقديري - علم بلا هوية ولا وطن، ولا جغرافياً، ولا تاريخ ومن بين أعلام الفكر الفلسفي العربي الإسلامي اخترت لكم بعضاً منهم، من تاريخ الفلسفة الإسلامية وسوف نحاول إعطاء نبذة مختصرة عن أعلام الفكر العربي الإسلامي بالآتي: (1)

- أبو يوسف الكندي: هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي (185هـ/805 م - 256هـ/873 م) برع في الفلك والفلسفة والكيمياء والفيزياء والطب والرياضيات والموسيقى وعلم النفس والمنطق والذي كان يعرف بعلم الكلام، ويعُد الكندي أول الفلاسفة المتجولين المسلمين، كما اشتهر بجهوده في تعريف العرب والمسلمين بالفلسفة اليونانية القديمة،

- أبو نصر الفارابي: هو أبو نصر محمد بن محمد الفارابي، وُلد بقرية "وسيج" في فأراب من أرض تركستان (كازاخستان حالياً) عام (260هـ - 874 م)، وتُوفي عام (339هـ - 950م)، لُقّب باسم الفارابي نسبةً للمدينة التي وُلد فيها وهي فأراب، يُعتبر الفارابي فيلسوفاً، ومن أهم الشخصيات الإسلامية التي أتقنت العلوم بصورة كبيرة، كالطب، والفيزياء، والفلسفة، والموسيقى، وقيل عنه إنه المؤسس للفلسفة العربية الإسلامية، يظهر ذلك من كتابه المسمى "مبادئ الموجودات"، كما أن الفارابي أتقن عدداً كبيراً من اللغات، غادر مسقط رأسه قاصداً بغداد لإكمال ما بدأ بدراسته في مسقط رأسه، إضافةً إلى علوم أخرى، فدرس في (حرّان) الفلسفة، والمنطق، والطب على يد الطبيب يوحنا بن حيلان،

(1) انظر: ت. ج. دي. بور بجامعة أمستردام ترجمة / محمد عبد الهادي أبو زيد - جامعة الملك فؤاد مصر - 1948م

بعدها ذهب إلى بغداد ودرس فيها الفلسفة، والمنطق على يد أبي بشر متى بن يونس، الذي كان من أشهر المترجمين عن اللغة اليونانية، إضافةً إلى تعلمه على يد ابن السراج اللسانية العربية، والفلسفة عند الفارابي هي العلم بالموجودات، وقال: إِنَّ العقل يميّز بين الفعل، خيراً أو شراً،

- **أبن رشد: التعريف:** هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد، من مواليد قرطبة (1126م)، وتوفي (1198م) بمراكش، وهو فيلسوف، وطبيب، وفتية، وقاضٍ، وفلكي، وفيزيائي، يعدُّ ابن رشد من أهم فلاسفة الإسلام. دافع عن الفلسفة، وصحَّح لعلماء وفلاسفة سابقين له، كابن سينا، والفارابي، قدّمه ابن طفيل لأبي يعقوب خليفة الموحّدين، فعينه طبيباً له، ثم قاضياً في قرطبة، وتولّى ابن رشد منصب القضاء في أشبيلية وقد حاول التقريب بين فلسفة أرسطو والعقيدة الإسلامية، حيث كان ابن رشد مقتنعاً أنّه لا يوجد تناقض على الإطلاق بين الدين والفلسفة، شرح مذهب أرسطو على نمط لم يسبق إليه أحد، وقام بالردّ على كتاب "تهافت الفلاسفة" للغزالي في كتابه المشهور "تهافت التهافت"، وأصرّ على عكس الغزالي على قدرة الفلسفة بإيصال الإنسان إلى اليقين الذي لا يقبل الجدل حول ماهية الله وتمييز ابن رشد بنقده القاسي لأسلافه من الفلاسفة، كما فعل أرسطو في نقده لأفلاطون، كما يعتبر ابن رشد من المتعصّبين لمنطق أرسطو، ويرى أنّ الحق قد تضمّنهُ مذهب أرسطو، ولذلك ينظر إلى علم الكلام نظرة تصغير، وقدّم ابن رشد للعالم اكتشافات وملاحظات فلكية جديدة، واكتشف نجماً لم يكتشفه الفلكيون الأوائل، وكان ابن رشد يتمتع بملكة عقلية باهرة، فكان يناقش نظريات بطليموس، بل إنّه نبذها من أصلها وأبدلها بنماذج جديدة تعطي تفسيرات أفضل لحقيقة الكون، وقدّم للعالم تفسيراً جديداً لنظرية رشدية جديدة، سُميت (اتحاد الكون النموذجي).

- **جماعة إخوان الصفاء:** قيل عن إخوان الصفاء وخلان الوفاء أنّهم جماعة من المسلمين عاشوا في أواخر القرن الثالث، وبداية القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي، ظهرُوا في البصرة، اتحدوا على أن يوفّقوا بين المذاهب، والفرق والطوائف الإسلامية، والعقائد الأخرى، مع الحقائق الفلسفية المعروفة في ذلك العهد، فكتبوا في ذلك ما بين (50- 51) مقالة، سمّوها (تحف إخوان الصفاء)، إذ قيل أنّهم تأثروا بالمذهب الإسماعيلي في البصرة، وفكر الطائفة الغنوصية اليهودية، فكانت اهتمامات هذه الجماعة متنوعة، وتمتدّ من العلم والرياضيات، إلى الفلك والسياسة، واعتمد إخوان الصفاء التقية في تنظيمهم، وهو المبدأ الذي يعتمده الشيعة في بعض حالات الخطر على النفس، وإظهار المرء غير ما يضمّر في نفسه، وساعدت التقية على رواج رسائلهم واستمرار فكرهم لقرون عديدة، وقيل عنهم إنّ أغلب فكر (إخوان الصفاء) مستمدّ من فكر الدين الصابئي؛ لأنّ الفكر الصابئي كان متداولاً في العهد العباسي والأموي ومن بين جهابذة العلم والأدب الصابئة، من أمثال ثابت ابن قرة، وأبو إسحاق الصابئي، وغيرهم، جاء في كتب الأفاذ من علماء الصابئة الحرائيين، عن ثابت ابن قرة الصابئي الحرائي المعروف بعلمه الوفير، والذي تميّز بعقليته الموسوعية

في الفلسفة والرياضيات، وقيل عن ثابت أنه برز من بين أقرانه، وأصبح من إخوان العهد والثبات (ابني قايم)، وصار له الحق في كشف الأسرار، وقد دعي (صديقاً)، وهي تعني الحكماء الإلهيين، أو مَنْ كان حكيماً كاملاً في أجزاء علوم الحكمة، أو من كلمة (ناصرائي زديقي) المندائية، والتي تعني المتبحر في العلم، إذ كان لهذا الرجل تعاون وثيق مع جماعة من اليهود والنصارى في خلق الكثير من المذاهب والفرق في الفكر العربي الإسلامي ومنها هذه الجماعة كما سبق الإشارة إليها.

كما قيل عن تأثر إخوان الصفاء بالفلسفة اليونانية، والفارسية، والهندية، والعقائد الأخرى، وكانوا يأخذون من كل مذهبٍ بطرف، وورد التعريف بنظامهم الداخلي السري، فكان الانتماء إليهم يتم عبر أربع مراتب، فهم يتشابهون مع الإسماعيليين وطائفة الموحدين – الدروز، وغيرهم من الجماعات العقائدية الباطنية الأخرى، ولهم مراتب ثلاثة في تلقي العلم، وتنقسم الرسائل إلى أربع مجموعات المجموعة الأولى: وهي ما يعرف بالرسائل الرياضية التعليمية، وعددها (14) رسالة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، رسالة في العدد، وماهيته، المجموعة الثانية: وهي ما يعرف بالطبيعيات، وعددها (17) رسالة، نذكر منها: رسالة في الهيولى والصورة، وعن الزمان، والمكان، والحركة، والمجموعة الثالثة: ما يُعرف بالمجموعة النفسانية العقلية، وعددها (10) رسائل نذكرها منها: رسالة في العقل والمعقول، في المبادئ العقلية، أما المجموعة الرابعة والأخيرة: وهي المعروفة بالناموسية الإلهية والشرعية الدينية، وعددها (11) رسالة، نذكر منها: رسالة في ماهية الطريق إلى الله عز وجل وكيفية الوصول إليه، ولديهم شفرات سرية من خلال الرسائل التي أشاروا فيها إلى شفرتهم السرية الخاصة، ففي إحدى رسائلهم المُسمَّاة بالرسالة الجامعة – فيما يشبه البيان التأسيسي.

• عبد الرحمن ابن خلدون: هو عبد الرحمن بن محمد بن خلدون أبو زيد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (1332 - 1406م)، ولد في تونس، وهو ما عرف بـ(مقدمة ابن خلدون) المشهورة، وقد وافته المنية في القاهرة التي دُفن فيها، ويعتبر ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع، أو علم العمران الإنساني، وقد ذكر ابن خلدون في كتابه مقدمة ابن خلدون: وهو علمٌ مستقلٌ بنفسه، موضوعه العمران الإنساني والاجتماع، ويهدف إلى بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال لذاته، واحدة بعد أخرى، ويرى ابن خلدون أن الفلسفة من العلوم التي استحدثت مع انتشار العمران، وأنها كثيرة في المدن، واعتبر ابن خلدون أن التاريخ علمٌ مستقلٌ، يبحث خلافاً لما يقوله الفلاسفة.

يعتبر ابن خلدون من المفكرين المتقدمين ومن الأهمية الإشارة إلى ما جاء بمقدمته المشهور من تحريف واضح لبعض الحقائق التي لا تخفى على المتلقي العادي فما بالك بأبن خلدون في مقدمته المشهورة ونفند ذلك بنقاط بالآتي: (1)

(1) انظر مقدمة ابن خلدون. دار الشعب. باب 1. 2. وفصل 26. 27. وفصول من علوم القرآن – علم التصوف

- إطلاق الأحكام وتعميمها على الناس بعلاقتها وعللها مثلاً: على العرب والعجم والسودان والحبشة.
 - عدم التفريق والتمييز بين العرب والأعراب في الصفات والأعمال والانتساب.
 - تسفيهه للعرب ووصفه لهم بأنهم مقرونين بخراب الأوطان والعمران، والأشادة باليهود من كونهم أهل كتاب.
 - ذهب للإشادة بعلماء تفسير القرآن كالطبري والواقدي والقرطبي، ومعلوم دور هاؤلاي النفر وغيرهم في ما أحدثوا من تحريف فاضح للقرآن، مع العلم أن القرآن لا يفسر لدى القاري العادي فما بالك بأبن خلدون.
 - ذهب للإشادة بفقهها الحديث مثل البخاري، ومسلم، والترمذي، والنووي، وأنكر على الشيعة عقائدهم.
 - ذهب للإشادة بفقهها المذاهب، أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأبن حنبل وغيرهم.
 - ذهب للإشادة بأصول قواعد فقه الشافعي من الناسخ والمنسوخ.
 - ذهب ليتحدث عن فرائض المواريث مستحسن الناسخ والمنسوخ، والرد والحب.
 - ذهب ليتحدث عن الصوفية بوصفه علم قائم ومشيداً بهذا العلم من نواحي عدة.
- هذا بعض ما جاء بمقدمة ابن خلدون المشهورة، وهو بذلك يحاول تجميل التحريف وتقديمه للأجيال القادمة من كونه حقائق مسلمة خاصة وقد خطها أبن خلدون بمقدمته المشهورى، ذلك القول يجعلنا نقف لنتسأل، ألم يأن لنا الوقوف على مجمل هذا الفكر العقلي والفكر المذهبي وقرأته وتمحيصة بصورة محايدة ؟

الفصل الثالث

الإيمان والعمل

مدخل:

دأبت كتب المذاهب الإسلامية على افتتاح كتبها بالحديث عن الإيمان والتوحيد، وخصّصت له مباحث مستقلة في كتب فقه الحديث وغيره، لتورد أحاديث وأحكام في مختلف كتب الفكر الإسلامي بشقيه السني والشيعي، تتحدث عن الإسلام والإيمان وتقسيماتهما، حتى إنّ بعض المذاهب والفرق الإسلامية جعلت الإيمان بالله لا يتم إلا عبر أشخاص بعينهم، كما درجوا إلى تقسيم الإسلام والإيمان إلى أركان وأقسام، ليشتملوا أذهان الناس عن قيم ومعاني الإيمان بالإسلام، فانحرفوا به عن مساره الحقيقي، قاصدين أحداث التناقض والتيه تمهيداً لانحراف الإيمان، وما يهمننا هنا هو إيجاد تعريف محدّد للإيمان والإسلام، وذلك من استعراضنا لكلام الله سبحانه، في آيات الذكر الحكيم من القرآن الكريم، والتي جاءت لترشدنا إلى الإيمان، وتعزّز الوثوق به.

3-1 التعريف بالإسلام ودليل مشروعيته:

إن الإسلام هو (اسم الدين الذي ارتضاه الله - سبحانه - للناس أجمعين على الأرض، وهو مجموعة من الوصايا، وقواعد الأحكام حول الحلال المباح والطيب والحرام المفصّل، والشعائر المفصلة، والمناسك المفصلة، والقصص، والأمثال، وقواعد أحكام العقوبات)، وغيرها كما جاء في القرآن الكريم، وقد أطلق هذه التسمية سيدنا إبراهيم - عليه السلام، قالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ...﴾، (آل عمران: 19)، وقوله سبحانه: ﴿...مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ...﴾، (الحج: 78). وأكّد على أن الدين الإسلامي هو الدّين المقبول عند الله - سبحانه، دون غيره، قالَ - سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، (آل عمران: 85).

3-2 التعريف بالإيمان ودليل مشروعيته:

نجدُ الإيمان حالة من الشعور الخاص النابع من النفس والعقل والفؤاد، للاعتراف بحقيقة الخالق وهو الله سبحانه وتعالى، على جانب كبير من العقيدة الراسخة وصدّقت بها الحواس، ونطق بها اللسان، إذ إنّه شعورٌ داخليٌّ حقيقيٌّ يكتمل بالتصديق والتسليم، لله سبحانه خالق، للمادة، والنفس، والروح، والعلم بماهية الأشياء والموجودات من حولنا، وبالعمل الصالح كطريقٍ مستقيم يسلكه الإنسان لبلوغ مراتب الإيمان، بالرّسالة والرّسل الذين أرسلوا مبشرين ومنذرين، وأنّ الله هو خالق هذه السماء وما فيها من كون والأكوان، والملكوت، وهو المتحكّم بهما، وبما فيها من مخلوقات، وله سنةٌ متعاقبةٌ في الخلق، وأنّه خالق الموت والحياة، حسبما

جاء به الذكر الحكيم الذي جعل الإيمان حالة خاصة ترتبط بحرية واختيار الإنسان من عدمه، حسب جملة من الآيات.

كما أن للإيمان صيغاً متعدّدة، وفقاً لكلام الله - سبحانه - في آيات الذكر الحكيم، حيث جاء ذكر الإيمان ك (آمن)، و (تؤمن)، و (يؤمن) للمفرد والجمع، وغيره، بالآتي:

أولاً: بصيغة (آمن - آمنوا)، فقد قرّنت كثيراً بالعمل الصالح، وذكرت في أكثر من (350) موضعاً في آيات القرآن الحكيم نذكر بعض منها:

● قَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، (البقرة: 62).

● قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنْتُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾، (البقرة: 13).

● قَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرْقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾، (البقرة: 285).

● قَالَ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أُنْزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾، (آل عمران: 53).

● قَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾، (النساء: 136).

● قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾، (الأنعام: 82).

● قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، (آل عمران: 200).

● قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾، (الكهف: 107).

● قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾، (العنكبوت: 2).

● قَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾، (محمد: 2).

● قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾، (الحديد: 16).

- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، (الحديد: 28).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، (التغابن: 8).

ثانياً: بصيغة (تؤمن- تؤمنون) نذكر بعضاً من آيات الذكر الحكيم:

- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، (آل عمران: 110).
- قَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، (آل عمران: 179).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾، (النساء: 59).
- قَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾، (يونس: 100).
- قَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾، (الإسراء: 107).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، (الحجرات: 14).
- قَالَ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِنُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، (الحديد: 8).

ثالثاً: بصيغة (يؤمن- يؤمنوا)، نذكر منها الآتي:

- قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ، وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾، (البقرة: 3، 4).
- قَالَ سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾، (البقرة: 186).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾، (النساء: 159).

• قَالَ تَعَالَى: ﴿لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُوْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، (النساء: 162).

• قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، (الأنعام: 54).

• قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾، (الأنعام: 111).

• قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾، (الأعراف: 146).

• قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾، (الأعراف: 158).

• قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾، (الأعراف: 185).

• قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَا سْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، (الأعراف: 188).

• قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، (الأنفال: 55).

• قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ﴾، (هود: 121).

• قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾، (يوسف: 106).

• قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، (النحل: 104).

• قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾، (الأنبياء: 30).

• قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾، (السجدة: 15).

• قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى: ﴿وَقِيلَ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، (الزخرف: 88).

• قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾، (الفتح: 13).

• قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا..﴾، (غافر: 7).

- قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، (غافر: 59).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾، (الحاقة: 33).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، (الانشقاق: 20).

هذا هو حال ووصف الإسلام والإيمان في القرآن المجيد فكل تلك الآيات تعزز التعريف بالإسلام والإيمان وتجعلهما يصبان في هدف واحد وهو الاعتقاد الراسخة بالله سبحانه وتعالى، وبالمقابل هذه الآيات التالية تعزز القول بحرية الاعتقاد، وتجعل مسألة الانتساب للدين، أو الخروج من الدين على جانب كبير من الحرية الشخصية دون إكراه أو إجبار، ننسخ بعض منها بالآتي:

- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ...﴾، (الكهف: 29)،
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، (البقرة: 256).
- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِظٍ﴾، (الأنعام: 104)،
- وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾، (يونس: 108)،
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (الإسراء: 15)
- وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾، (النمل: 92)،
- وَقَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾، (الزمر: 41).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةً لَئِيمًا ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾، (المائدة: 54).

وهذه الآية الأخيرة أعلاه - باعتقادي - كافية للردِّ على فقه المذاهب الإسلامي الذين عرفوا الإيمان تعريف سطحي لا قيمة فيه، وقد أوجبوا القتل حداً لمن يرتد عن دينه، وجعلوا من حد الردة عقوبة مخالفة لصريح كلام الله سبحانه، إذ إنَّ هذه الآية التالية أيضاً جسدت حرية الانتساب للدين والإيمان به بصورة واضحة للعيان، قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى - ﴿لَا

إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ، (البقرة: 256)، وآية أخرى تعمق الحرية الدينية، قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى - ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾، (الكافرون: 6)، وبذلك فلا غرابة أن تجد أناساً يؤمنون بالجبوت والطاغوت وبالأوثان، والأصنام، ويسجدون للشمس، والقمر، والكائنات، بل وللشيطان، وغيرها، وقد أشار لهم الله - سبحانه - في القرآن الكريم في كثير من الآيات تحت مبرر الحرية الاعتقادية في الإيمان، وكوصف لحال النَّاسِ ابتداءً ببدء الخليقة الأولى، وانتهاءً بنهاية الإنسان على الأرض، قَالَ تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾، (الحج: 17)،

3-3 العمل الصالح:

عُرف العمل بشقيه العمل الصالح، والعمل غير الصالح، وكلُّ له جزاؤه، وقد بيّن الله سبحانه في القرآن الكريم أنواع العمل، ومقدار حجم العمل الصالح بما هو أقلُّ من القليل، فذكر مقدار العمل بما يساوي حجم الذرة، وقد عُرِفَت الذرة لدى قدماء الرومان والعلم الحديث أنها أصغر حجم من العنصر وأنَّ الذرة تُعد المكون الأساسي للمادة، والتي تحتوي على النواة، والنيوترونات، والإلكترونات، وتختلف من عنصرٍ لآخر، وهكذا، كما أنه ذكر العمل بحجم أكبر من الذرة بما يساوي الفتيل، وهو الشيء الذي يلتصق بنواة التمر، ثم ذكر العمل بحجم حبة الخردل، ثم ذكر العمل بحجم النقيير، وهكذا، وهو ما يدلُّ على العدل في إحصاء أعمال النَّاسِ، وعلى الرحمة في مضاعفة أجر العمل الصالح، حسب الذكر الحكيم، نذكر بعض يسير منها بالآتي:

- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾، (الزلزلة: 7، 8)،.
- وآية أخرى، قَالَ - سبحانه وتعالى - ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، (النساء: 40).
- وآية أخرى، قَالَ تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾، (يونس: 61).

ثم يذكر حجم العمل بما هو أكبر من الذرة، وهو الفتيل قَالَ تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بِاللَّهِ يَزْكِي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يَظْلُمُونَ فَتِيلًا﴾، (النساء: 49)، وآية أخرى ذكر فيه الفتيل، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿... وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾، (النساء: 77)، وآية أخرى تكرر ذكر الفتيل، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿... وَلَا يَظْلُمُونَ فَتِيلًا﴾، (الإسراء: 71)، وآية أخرى ذكر فيه حجم العمل بالنقيير، قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾، (النساء: 124). ومع ذلك يضاعفه الله

تعالى الأعمال الصالحة بزيادة الحسنات أضعافاً مضاعفة؛ تحفيزاً لمن يعمل من الصالحات من الناس، ومن رحمة الله تعالى لم يشأ مضاعفة العمل السيئ، بل جعل جزاء السيئة سيئة مثلها فقط، عكس العمل الصالح، وكذلك ذكر العمل مقروناً بالإيمان، كما ذكر العمل مقروناً بالعلم في كثير من آيات الذكر الحكيم، وهو ما نحاول تسليط الضوء عليه؛ ومن أجل تعريف العمل الصالح، وتعريفه حسب ما سبق: وهو ذلك الجهد المادي، أو الجهد الذهني الذي يبذله الإنسان في عمل يعود بالنفع للإنسان، والحيوان، والنبات، والبيئة، وكل من حوله من الظواهر المتصلة بالطبيعية، في الأرض وما تحوي، من طبقات الجو من المناخ، والبحار، والجبال، والفضاء، وما يحوي من كواكب، وأقمار، ونجوم، سواء كان هذا الجهد مادياً عضلياً، أو معنوياً فكرياً، أو بحثاً علمياً، أو ما شابه ذلك، وفي مختلف جوانب الحياة، إذ لا يشترط في قبول العمل إلا شرط واحد، وهو الصلاح، والنفع، والفائدة لكل الناس دون تمييز في الجنس، أو اللون، أو المعتقد الديني، كما أن العمل أساس الكسب المادي، والرزق، والعمل يتنوع بتنوع مجالاته المختلفة، وكل الحياة مجالاً للعمل، والعمل غير الصالح أو العمل السيئ عكس ذلك تماماً، وهو ما يفهم من مدلول آيات الذكر الحكيم حول العمل نفد بعض منها بالآتي:

أولاً: ذكر العمل الصالح في أكثر من (300) موضع في القرآن الكريم، من هذه المواضع:

- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ﴾، (الملك: 2).
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ..﴾، (البقرة: 25).
- وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، (البقرة: 82).
- وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ..﴾ (البقرة: 277).
- وَقَالَ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ..﴾، (آل عمران: 30).
- وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى..﴾، (آل عمران: 195).
- وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَخْرُوجُوا اعْتَرِفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا..﴾، (التوبة: 102).
- وَقَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ..﴾، (التوبة: 105).
- وَقَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ..﴾، (يونس: 41).
- وَقَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿مَنْ عَمَلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى..﴾، (النحل: 97).
- قَالَ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ..﴾، (الكهف: 79).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلُمًا وَلَا هَضْمًا﴾، (طه: 112).

- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾، (الصفات: 61).
 - قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿... اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، (فصلت: 40).
 - قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوقِيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، (الأحقاف: 19).
 - قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا...﴾، (المجادلة: 6).
 - قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾، (البروج: 11).
- ثانياً: العمل غير الصالح (العمل السيئ)، وقد جاء ذكره محدوداً في القرآن الكريم:
- قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ...﴾، (هود: 46).
 - وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهُ يَجِدِ اللَّهُ غَفوراً رَحِيماً﴾، (النساء: 110).
 - وَقَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿... مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً﴾، (النساء: 123).
 - وَقَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا...﴾، (غافر: 40).
 - قَوْلَ تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾، (فصلت: 46).
 - وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا...﴾، (النجم: 31).
 - وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً...﴾، (فاطر: 8).

لفصل الرابع

فقه الرسالة والرسول والنبي

مدخل:

يبحث هذا الفصل التعريف بالرسالة من كونها كلام الله سبحانه، جاء بوحى من الله سبحانه على لسان الأنبياء والرسل، في فترات من الزمن فجمع هذا الوحي في كتاب واحد سمي بالقرآن الكريم والمجيد والعظيم، ثم التعريف بالنبي والرسول مع بيان حقيقة وظيفة النبي والرسول الإنسان، الذي لا يختلف عن أخيه الإنسان الآخر، ومن كون الرسول والنبي وظيفة عملية لها شروطها وآدابها، أورد القرآن جملة من التعليمات حولها، ومنها أن الرسول أو النبي لا يختار لنسب محدّد، أو من قوم معينين، وإنما يختار حسب المشيئة والإرادة المطلقة من قبل الله - سبحانه، والرسول المكلف بالرسالة يكون من أولى اهتماماته الالتزام باتباع الرسالة المكلف بها، من كونه قدوة في الاتّباع والانصياع التام، ثم عليه مهمة إيصال الرسالة كما هي إلى قوم من الأقوام، أو أمة من الأمم، أو للناس أجمعين، دون زيادة أو نقصان فهو لا ينطق في الرسالة على هواه مطلقاً بل مقيد حرفياً بآياتها، وأي زيادة أو نقص عن مضمون الرسالة المكلف بها يُعد خروجاً ومعصية للمرسل، وهو الله - سبحانه، فلا يحقّ للنبي أو الرسول تشريع نصّ ديني عن الله سبحانه خارج عن آيات الرسالة المكلف بها نهائياً، سواء أكان في الحلال أو في الحرام، أمّا فيما يجتهد به خارج الآيات فيعتبر اجتهاداً بشرياً ضمن سقف العرف والأعراف، إذ إن عمله بالرسالة يقتصر على البلاغ والتبشير والإنذار حسب ما جاء به في الرسالة المكلف بها، والثبوت تقتصر وظيفتها على الدعوة إلى الفضيلة، ولا ضير في تعدّد الأنبياء والرسل طالما والرسالة واحدة، مع البحث في مشروعية الفتوى والإفتاء، والتأكيد على أن تعدد أنماط حياة الناس كان وما يزال فطرة إنسانية قائمة من العهود الأولى، وهو ما سنوضحه بصورة مختصرة في الآتي:

4-1 فقه التعريف بالمرسل:

سبق التعريف بالله - سبحانه وتعالى - في موضوع آخر من هذا المؤلف، ونكرّره هنا لارتباط العنوان بالموضوع ومن حيث أنّ الله تعالى مصدر التكليف بالرسالة (كلام الله)، والتعريف بالمرسل، وهو الله الإله الرحمن، الرحيم، الخالق، البارئ، المصور، العزيز، الحكيم، الملك، القدوس، السلام، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، العظيم، القدير، ذو الجلال والإكرام، وغيرها من الأسماء الحسنى حسبما جاء في القرآن المبين - كلام الله سبحانه وتعالى والذي جمع كل الكتب المرسلّة، من صحف إبراهيم وموسى، والتوراة، والفرقان، والزبور، والإنجيل، والتي تضمنها إجمالاً وتفصيلاً القرآن الكريم، وللتعريف بالمرسل، وهو الله العزيز الحكيم فإنني كمخلوق أعجز عن التعريف بالخالق الله العزيز الحكيم الذي أحسن

كل شيء خلقه وبدا خلق الإنسان من طين، مثلما يعجز الشيء المصنوع عن التعريف بصانعه، فما بالك بالمخلوق والمعرفة بخالقه وخالق هذا الكون، بل الأكوان والمجرات والأفلاك، والسموات وما فيها من المخلوقات الضخمة، فنحن منذ النشأة الأولى في حياتنا الدنيا لم نستطع الإحاطة بعلم كوكبنا الأرض، بل عجزنا عن معرفة أنفسنا، وكذا عجزنا عن الإحاطة بهذه الأكوان، والعوالم من حولنا، فما بالك بالتعريف بالخالق، وهو الله العزيز الحكيم الرحمن الرحيم العزيز القدير، إِذَنْ فَإِنَّ التعريف بالمرسل، وهو الله العزيز الحكيم أمرٌ فوق مقدرتنا البشرية، مهما بلغنا من العلم، وفي التعريف بالله خاض الفلاسفة كثيراً من الجدل قديماً وحديثاً، وأسهبوا، بل وأطلقوا مناهج فلسفية، وبحوثاً غزيرة أصبحت جزء من التراث الفكري الإنساني تكتظ بها رفوف مكتبات الشعوب والأمم، بما فيها فكر المذاهب الإسلامي، وما زالت هذه البحوث مستمرة، ومجمل هذه البحوث الفلسفية تدور حول حقيقة الإله والتعريف به، وعلى الرغم من وجود إجابات واضحة وصريحة من العلوم المعاصرة والحديثة، وما أحدثته هذه العلوم مؤخراً من نهضة علمية، وتطور تكنولوجي، وثورة علمية في مختلف التقنيات والبرمجيات وفي مجال الاتصالات، وعلوم الفضاء، وفي محاكاة الآلة (المادة) بالإضافة لمختلف الأبحاث في شتى صنوف المعرفة، وما أبدع إنسان اليوم من علوم مختلفة، فقد أدى هذا إلى جعل التساؤلات الفلسفية الدينية القديمة عن بعض المعتقدات للتعريف بحقيقة الآلهة مثارة سخرية أمام حجم هذا التطور العلمي الهائل والمتسارع يومياً في عالم اليوم والمستقبل، ثم إنَّ هذا التطور الذي يقربنا زلفى إلى التعريف بالله - سبحانه، مثال على ذلك المعرفة الإنسانية بعلم الفضاء والكون والأكوان، والانتقال بينها بسرعة الصوت، ويجري حالياً البحوث للانتقال إلى سرعة الضوء، وهو ما يجعل حضارة المستقبل على المحك بفتح عالم جديد من المعرفة بالله سبحانه، وفوق هذا الجهد الكبير والكم الغزير من البحوث والمؤلفات للإحاطة بمعرفة الآله، إلا أنَّ القرآن الكريم قدّم لنا الكثير من الإجابات للتعريف بالله سبحانه الذي أحاط في كل شيء علماً، فالله وحده الذي يعرف نفسه بنفسه، وذاته، وأسمائه، وصفاته، وقد ذكر اسم الله في القرآن الكريم في أكثر من الفين وخمسمئة مرة في القرآن الكريم، بصورة واضحة سهلة، وميسرة، بعيدة عن الجدل الذي خاضه المتكلمون الأوائل من اليهود، والمسيحيين، وكذلك فقهاء مذاهب الفكر الإسلامي فقد خاضوا بجدلهم في الذات الإلهية، والأسماء، والصفات، والكيفية، والكرسي، والعرش والاستواء، وجعلوا منه جدلاً عقيماً لا طائل منه، بل جعلوا منه مطية لتشكيك الناس بعقائدهم الإيمانية بالله كخالق لكل شيء، وسوف أسرد بعض الآيات التي توضح ذلك، وأترك للقارئ المزيد من التدبر في الأسماء والصفات، والألفاظ الصريحة والضمنية عن لله - سبحانه وتعالى -، وبما أحب الله - سبحانه وتعالى - أن يذكر فيه اسمه، ووصف به نفسه، ونحن له مسلمون، وعلى ما أورده الله في القرآن الكريم مؤمنين، ونحن على ذلك من الشاهدين والحمد لله رب العالمين، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ

﴿عَلِيمٌ﴾، (التور: 35) وَقَالَ جَلَّ فِي غَلَاة: ﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، (النمل: 9) وَقَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾، (طه: 14)، كما نستذكر أَنَّ الله يَعْرِفُ نفسه من أَنَّهُ هو الله العزيز الرحيم، وكثيراً ما ورد هذا الاسم والصفة في القرآن الكريم، وكذا وصفه بالعزيز الحكيم والعزيز الحميد، والعزيز الغفور، وغيرها.

وعليه يجب أن يتوقف علمنا إدراكنا على ما أطلق الله سبحانه على نفسه من الأسماء والصفات، دون زيادةٍ أو نقصان، إذ إن ردنا ينبغي أن يكون بالعلم، والإيمان والتسليم بما سَمَّى الله به نفسه، وبما انفرد للتعريف بذاته وصفاته، حسبما قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاة: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، (الأعراف: 180)، كما أَنَّ هناك الكثير من الآيات والألفاظ في القرآن الكريم، والتي تعرّفنا بذات الله - سبحانه وتعالى - والتي منها:

- قال الله سبحانه: ﴿وَالِهَيْكُم إِلَهَ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، (البقرة: 163)،
- وَقَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾، (البقرة: 255)،
- وَقَالَ جَلَّ فِي غَلَاة: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، (آل عمران: 2)،
- وَقَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، (آل عمران: 18).
- وَقَالَ تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾، (طه: 8)،
- وَقَالَ اللَّهُ سبحانه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾، (النمل: 26)،
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاة: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾، (الدخان: 8)،
- وَقَالَ الله سبحانه وتعالى - ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، (الحشر: 22).
- قَالَ اللَّهُ سبحانه وتعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى...﴾، (الإسراء: 110)،
- وَقَالَ اللَّهُ تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾، (طه: 8)،
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاة: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ

الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ، هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، (الحشر: 22، 23، 24)،

• وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾، (الأنعام: 3)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، (القصص: 70).

• وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: 1).

وغيرها من الأسماء الحسنى لذات الله سبحانه والتي ذكرت في القرآن الكريم، وتفرّد بذكرها الله سبحانه وتعالى، وينبغي التسليم بما خصّ الله سبحانه وتعالى نفسه من الأسماء، والصفات، دون الاسترسال بالزيادة بذكر أسماء وصفات لم ينزل بها دليل من القرآن الكريم، أمّا عن الذين يلحدون في أسماء الله، وهم الذين يطلقون أسماء أو مسمّيات أخرى بديلة، بالإضافة لأولئك النفر من النَّاس الذين أحدثوا جدلاً كبيراً في التعريف بالأسماء، والصفات، وشبّهوه بالأجسام والمحسوسات، فهم الذين يلحدون في أسماء الله سبحانه، كما سيأتي بيانه من الآيتين التاليتين، قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى - ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾، (النحل: 103) ومدلول الآية أنّ الله عرّف نفسه بلفظٍ عربيٍّ مبين، وهو ما يتضح حقيقةً وحكماً، ورداً على من يطلق على الله - سبحانه وتعالى أسماء لا تليق بوصفه، كما في اللغة العبرية كلفظ ياهو، أو الوهيم، أو آيل، أو عليون، وغيرها، وكذلك وصفهم لله بالسيد، فهؤلاء هم الذين يلحدون في أسماء الله سبحانه.

2-4 فقه الرسالة كلام الله سبحانه:

الرسالة هي كلام الله الموحى به للإنسان منذ الخليقة الأولى، فكان كلامه الموحى بعلمه لما علم آدم الأسماء كلها، ثم تتابعت مشيئته في الهدى، فجاء بالوحي بكلام الله - سبحانه وتعالى - عبر الرُّسل من الملائكة، والرُّسل والأنبياء من البشر متعدد اللغات، ثم أنزلت الكتب بكلام الله سبحانه، فكان أولها صحف إبراهيم - عليه السَّلام، ثم التَّوراة والفرقان لموسى وهارون، ثم الزَّبُور لسيدنا داود، ثم الإنجيل لسيدنا عيسى، وجمع كل تلك الكتب والرسالات بلغات متعددة من كلام الله سبحانه في كتاب واحد هو القرآن الكريم - بين دفتي المصحف المعروف اليوم، فلم يكن القرآن مبدلاً لكلمات الله سبحانه، بل كان القرآن كتاباً جامعاً وشاملاً لكل كلام الله الموحى على استقلال لنبي أو رسول أو جاء بكتاب، فهو إذاً كلام الله المحكم والمفصل، والمجيد، والكريم، والمبين، وقد جاء عربياً، فكان قراءته ميسراً للذكر وسهلاً للإيثار بالعقل والقلب، وقد جاء بدين واحد على مسيرة حياة الإنسان، وهو ما نحاول تسليط الضوء على التعريف بالرسالة الجامعة وهي القرآن الكريم، وقبل البدء في ذلك هناك اسئلة تتكرر من الكثيرين من الأهمية أثارها وهي بالتالي:

• كيف جمع القرآن، ومن الذي رتب به هذا الترتيب ابتداء من الآيات ثم السور؟

- كيف نستطيع معرفة أن القرآن كلام الله وغير محرف، وكيف نحكم على غيره بالتحريف؟
- هل القرآن ألغى، أو أبطل الكتب السابقة من الصحف، والتوراة، والفرقان، والزبور، والانجيل؟
- وهل القرآن حمال أوجه، وله قراءات متعددة في كل زمان ومكان؟
- وهل هناك قرآن مكي وقرآن مدني؟
- وهل القرآن نزل على حوادث معينة وأشخاص محددين؟

وللإجابة على هذه الأسئلة وغيرها نحتاج لبحوث مستقلة، ألا أنني اختصر الإجابة عليهم جميعاً بالتالي: أعتقد أن التعامل مع الآيات والسور الموجوده بين دفتي المصحف بالترتيب الحالي هو الطريق الأسلم، خاصة وان تلك الآيات تضع تحدي بديع على قارئه في تقبله كآيات موجوده تخاطب العقل والفكر والقلب وكل أدوات الاحساس فكان ميسراً للذكر بأي لغة يفهم حسب مفهوم العقل والفكر، أما ترتيبه فيكون حسب لغته التي أنزل بها (بلسان عربي) وهكذا، وبهذا علينا أن نضع جميع الآيات موضع قراءة العقل والفكر والحواس بالإضافة لمناهج البحث العلمي، وحتما ستتكشف لك الحقيقة من أول قراءة مقابلة أو مقارنة مع النصوص الأخرى، كما ستتكشف لك حقيقة أن القرآن حوى كل الكتب السابقة ففي القرآن صحف إبراهيم وفي القرآن التوراة وفي القرآن الفرقان، وفي القرآن الزبور، وفي القرآن الانجيل، ولم يلغ أو أياً من هذه الكتب، كما أن القرآن ليس حمال أوجه فهذا منكر من القول وزورا، ولا يصح القول بأن القرآن أنزل منه مكي ومدني وأنه أنزل لمناسبة محددة أو على مكان محدد أو على زمان محدد أو على شخص معين من الناس، ألا ما جاء تحديدا بكلام واضح، فهو كتاب فيه من قواعد الأحكام، وعموميات الوصايا، والإرشاد، والقصص، والحلال، وتفصيل المحرمات وتفصيل الشعائر والمناسك وقواعد العقوبات الجنائية المفصلة، وفيه خطاب عام وخطاب خاص وخطاب مفصل، ويخاطب النفس، والروح، والقلب والفؤاد، والحواس من السمع والبصر، ويخاطب المادة، ويخاطب الكون والأكوان، ويخاطب الأرض، وقد ضرب فيه من كل مثل ومن كلام الله سبحانه الذي خاطب به الإنسان في القرآن نستعرض منه التالي:

4-2-1 فقه كلام الله (الرسالة) في عهد آدم - نوح:

جاء كلام الله سبحانه مبين في القرآن الكريم منذ بدء حياة الإنسان في المراحل الأولى في الحياة، ابتداءً من عهد آدم وزوجه، وقد أشار القرآن إلى إبليس بأنه عدو لآدم وزوجه، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾، (طه: 117)، وكذلك في الأرض على مر التاريخ، قَالَ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾، (البقرة: 36) وقد سبق الحديث عنهما، وبذلك استمرت الحياة وتتابع الخلق، وذكر الوحي من كلام الله سبحانه عن حياة ابني آدم، حسبما جاء في هذه الآية، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِثْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ

لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (المائدة: 27)، ثم جاء كلام الله - سبحانه - ليبين عدداً من الوصايا والتحذير لابني آدم من الشيطان وأعماله، في مسيرة حياتهم على الأرض، وقال الله - سبحانه وتعالى - ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، (الأعراف: 27)، وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾، (يس: 60)، تلك بعض الآيات التي تتحدث عن الوصايا والأخبار عن حياة الإنسان ابتداءً وانتهاءً، والمفهوم من دلالة تلك الآيات والوصايا والإرشاد غير المقيد بزمان ومكان محدد، كما يبين الحق سبحانه من أن الإسلام دين ارتضاه الله للناس كافة، حسب بيان واضح في كتابه العزيز، إذ تشير الآيتان (71-72) من سورة يونس إلى اصطفاة نبي الله نوح - عليه السلام - إلى المسلمين، فجاء ذكر المسلمين كجماعة مؤمنة بالله سبحانه، خلافاً لمعتقد قوم نوح، إذ استمر يدعوهم للإيمان ألف سنة إلا خمسين عاماً، قال سبحانه: ﴿وَآتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾، (يونس: 71، 72)، ومن مدلول هذه الآية أن الله سبحانه قد شرع لنا هذا الدين، الإسلام منذ أن جاء في عهد نوح، بمعنى أن الدين واحد لم يتغير منه شيء، والمتغير هم أشخاص الأنبياء والرسل، الذين يرسلون تبعاً للتطور المعرفي للناس في المكان والزمان، ولا يعنى بذلك القول أن هذه الآية تتغير حسب الأرضية المعرفية المتغيرة للناس في الزمان والمكان، فالآية ثابتة وأزلية ولا تتغير كونها جاءت بقواعد الفضيلة من الخير والعدل والمساواة وقواعد العقوبات وتفاصيل الشعائر والمناسك وبيان قواعد الحلال وجاء بقواعد الحرام مفصلاً وغيرها، وعكسها من أعمال الشر والكفر والفجور والعصيان، إذ قال أعز من قائل: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾، (الشورى: 13)، وقال الله جلَّ في علاه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، (الأعراف: 59). فجاء القرآن الكريم ليصف لنا الكثير من مشاهد الحياة في عهد نبي الله نوح، ومن تلك المشاهد الواضحة واقع حال الناس في ذلك الزمان، والتي يتبين فيها أن أرضيتهم المعرفية للفهم (الفقه) كانت محدودة ومفتقرة للغاية، فتراهم أشبه بالأطفال في عنادهم عند سماع كلام الله سبحانه الموحى به، بل هم أشد عناد من ذلك في تقبل الدعوى بتوحيد الله سبحانه كإله يعبد نظراً لتغلب الجهل عليهم وفقدانهم للعلم، وهو ما كان يقوم به سيدنا نوح عليه السلام ويحاول جاهداً طيلة ألف سنة إلا خمسين عاماً وهي فترة كبيرة جداً، من أجل بيان العلم بالحق للناس بهدف الوصول للإيمان بالله تعالى، وبالمقابل كانت ردود أفعالهم المتمثلة في حركة أصابعهم وأيديهم، والتغطية بثيابهم، ثم الجري فراراً، ثم الرجم بالحجارة، وهذه المشاهد وغيرها توضح تدني العلم والمعرفة وسيطرة الجهل المطبق على الواقع

الاجتماعي، والمعرفي للناس في تلك الحقبة من التاريخ، ولمزيد من الإيضاح دعونا نفهم هذا الجانب من القرآن المبين مباشرة، قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا، فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا، وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا، ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا، ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا، فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾، (نوح: 5، 6، 7، 8، 9، 10)، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾، (الشعراء: 116)، وعلى الرغم من محاولات نوح عليه السَّلام المتكررة في دعواهم إلى دين الله تعالى، إلا أنهم أجابوه بهذه الإجابة، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾، (هود: 32)، فكان جهل وعناد قومه مانعاً وحاجزاً عن تقبل دعوى نوح لهداية قومه فتلبس عليهم إبليس ظنه فصددهم عن طريق الإيمان والتسليم بدين الإسلام، فوصل معهم لطريق مسدود، فحق عليهم القول فدعا نوحُ ربه، فاستجاب الله له، وأرسل عليهم الطوفان، حسبما جاء في هذه الآية، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾، (العنكبوت: 14)، وآية أخرى يصف المشهد، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تَخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾، (المؤمنون: 27).

4-2-2 فقه كلام الله (الرسالة) في قوم عاد وهود:

لم تتوقف مسيرة الهداية الربانية من الله سبحانه عند نوح وقومه بتلك المشاهد المستعرضة بالآيات السابقة، بل تكرر في مكانٍ وزمانٍ آخر، وأقوام آخرين وهم قوم عاد، وثمود، وهود وصالح - عليهما السَّلام، وآخرون من بعدهم لا يعلمهم إلا الله، قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودُ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾، (إبراهيم: 9) وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾، (الفرقان: 38) فكانوا على نفس الأرضية من الجهل والعناد من الدعوة لوحداية الله سبحانه.

ومن قراءة واستعراض كلام الله سبحانه في آياتٍ من القرآن الكريم فإن دعوة نوح، وهود، وصالح، للناس في ذلك الزمان كانت تهتمُّ بدرجةٍ أساسيةٍ بحقيقة الإيمان والاعتقاد بوحدانية الله - سبحانه - كإلهٍ واحدٍ يستحقُّ الاعتراف به وترك الأصنام، والأوثان، التي كان الناس يتخذونها آلهة من دون الله، إذ إنَّ كلامه - سبحانه - انصبَّ جُلُّه في الاهتمام بمفهوم الإيمان والتوحيد، ولم يطلب منهم إقامة الشعائر، والمناسك، وهذا يُعزى - برأيي - إلى تدني الفهم والجهل والانحطاط الفكري لدى الناس في ذلك الوقت، وإحجامهم عن أعمال العقل والفكر والعلم في ذلك الزمان من التاريخ، ما يجعلهم من الصعوبة بمكان تقبل الدعوى وتلك الشعائر، والمناسك المفصلة وغيرها.

- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذْ كُنَّا آخَا عَادٍ إِذْ أُنْذِرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، (الأحقاف: 21)،
- وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، (الأعراف: 65)،
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِن أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾، (هود: 50)،
- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ كُنَّا آخَا عَادٍ إِذْ أُنْذِرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (الأحقاف: 21)،
- وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (الشعراء: 124).

3-2-4 فقه كلام الله (الرسالة) في قوم ثمود:

- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾، (الأعراف: 73).
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ (61) قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَأُنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ﴾. (هود: 61، 62).
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾، (الشعراء: 142).
- وَقَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ (النمل: 45).

4-2-4 فقه كلام الله (الرسالة) في عهد إبراهيم:

مما لا شك فيه أنَّ سيدنا إبراهيم - عليه السَّلام - كان أول من آمن بالله - سبحانه، حسب منهج التأمل العقلي (الفلسفة)، أو حسب مبدأ الجدل المعرفي بالأشياء من حوله للوصول للإيمان المطلق بالله، خالق كل شيء وليس كمثله الله سبحانه شيء، فاستحقَّ من الله عدداً من الأوصاف والصفات، ومن تلك الصفات أنه كان (أمة- أوَّاه منيب- حليم - خليل الله) وحول إيمان سيدنا إبراهيم - عليه السَّلام، فقد أفردنا عنواناً مستقلاً من هذا المؤلف - الجزء الثاني، ولذا أعتبر دين وملة سيدنا إبراهيم (الإسلام)، هذا الدين الحنيف الذي ذكره الله - سبحانه - في مواضع كثيرة متصلة بسيرة سيدنا إبراهيم باعتبار الإسلام الدين الذي سُمى أتباعه من بعده المسلمين وكذلك هو الدين الذي حدده الله سبحانه للناس جميعاً.

جاء كلام الله سبحانه وتعالى واضحاً في التعريف بسيدنا إبراهيم، ومن الملاحظ أن منهجية التفكير العقلي لسيدنا إبراهيم عليه السلام كانت نموذجاً رفيعاً من الفكر الإنساني من خلال تأملاته وحواراته مع قومه وجدله الفكري حول المعرفة بالإله وفلسفته المعرفية حول المادة وحركة المادة، ومبدأ الشك الموصل لليقين حسب كلام الله سبحانه، فكان كلامه واضح ومفصلاً للتعريف بواقع الحياة، وطرق التفكير، والأرضية المعرفية، واتصال هذا الكلام من الوحي بسيرة من بعده من الأنبياء والرسل.

ولتأكيد حقيقة الإيمان لدى سيدنا إبراهيم يجب علينا الوقوف أمام هذا المشهد الاختباري بقيامه بالتسليم والاتصال المطلق بالله سبحانه من خلال إلقاءه في النار قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْفُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ الصافات (97). وقيامه بالشروع بذبح ابنه تصديقاً وتحقيقاً لرؤيته في المنام قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ الصافات (102)، ولم يتوقف القرآن عن الحديث عن خليل الله إبراهيم بل ذهب القرآن لوصفه بعدد من الصفات والمميزات تسردها لنا هذه الآيات:

- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾، (البقرة: 130).
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، (آل عمران: 95).
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾، (النساء: 125).
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام: 161).
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾، (يوسف: 38).
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، (النحل: 123).
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿... مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ..﴾، (الحج: 78).
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، (البقرة: 135).

• وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، (البقرة: 140).

• وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾، (آل عمران: 68)

• وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، (آل عمران: 95)

• وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، (النحل: 123)،

• وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، (البقرة: 135).

وفي آية أخرى عن سيدنا إبراهيم - عليه السلام كان هو أول من سَمِيَ أتباع دين الإسلام بالمسلمين، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ.....﴾، (الحج: 78).

4-2-5 فقه كلام الله (الرسالة) في عهد أولاد إبراهيم (إسماعيل - إسحاق - يعقوب - يوسف):

وهكذا سار أولاده إسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وكلهم كانوا على رسالة الإسلام ديناً قيماً، لا خلاف فيه ولا اختلاف، وما يؤكد على هذه الحقيقة كلام الله - عزَّ وجلَّ - في الكثير من آيات القرآن الكريم، نذكر بعض منها بالآتي:

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ مريم (54).

• قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الصافات (112).

• قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، (البقرة: 132)،

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ البقرة (133).

• وأولاده معروفون، ومنهم النبي يوسف - عليه السلام، وبنيامين، ويهوذا، وشمعون، ونفتالي، وجاد، وغيرهم، كل هؤلاء كانوا على دين واحد هو دين الإسلام، وكلام الله تعالى في تأكيد هويّة الأنبياء والرُّسل من الجانب العقائدي بدين واحد هو دين الإسلام

ورسالة واحدة هي رسالة الإسلام، وهو ما يدعوا لتأكيد الهوية العقائدية بتحديد الرسالة والدين وهو الإسلام كدين لهم ولمن بعدهم من الناس أجمعين، وهناك آيات من كتاب الله صريحة، وأخرى ضمنية، رأيت من الواجب سردها؛ لما فيها من الفائدة، وما فيها من قوة الإلزام والتأكيد على حقيقة الرسالة الواحدة لوحداية المعتقد الديني للإنسان على مر الأزمان في الأرض، وهو ما عبّر عنه كل الأنبياء والرسل لهداية الإنس والجن،

- أما عن نبي الله يوسف عليه السلام فقد جاءت سورة كاملة أطلق عليها أسم سورة يوسف، وفيها (111) آية كانت من أحسن القصص جاء بها الوحي من الله سبحانه: قَالَ جَلَّ فِي عَلَاهُ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ﴾ يوسف (3).

4-2-6 فقه كلام الله (الرسالة) في عهد موسى وهارون (التوراة – الفرقان):

جاء كلام في عهد موسى وأخيه هارون بآيات من التوراة في رسالة واضحة لبني إسرائيل خاصة وللناس عامة، فذكر موسى في آيات التوراة المتلاء في القرآن لما يزيد عن مئة وثلاثين مرة في مختلف المواضع، كما جاءت تورااة القرآن الكريم في الكثير من قواعد الأحكام والعقوبات والمحاذير من الكفر والفسوق، ويكاد يكون ربع القرآن آيات عن رسالة التوراة والكتب المنزلة من بعدها، ولكي نستشهد ببعض الآيات دون الخوض في آيات القرآن وهي نتحدث عن التوراة بقصص موسى وفرعون وموسى مع بني إسرائيل وغيرها كثير، سوف نختصر بنسخ ثلاث من آيات القرآن نتحدث عن رسالة موسى المسمى بالتوراة مباشرة ونترك الباقي للقاري لتصفحها من القرآن مباشرة خوفاً من الإطالة وبالاتي:

- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْا اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ المائدة (44).

- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ آل عمران (3).

- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ المائدة (46).

ثم جاء الحديث عن الفرقان في القرآن ما يؤكد على وحدة الرسالة الجمعية للكتب المنزلة في القرآن الكريم.

- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ الفرقان (1).

• قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ الأنبياء (48).

4-2-7 فقه كلام الله (الرسالة) في عهد داوود وسليمان (الزبور):

سوف نذهب لنسخ آيتين نتحدث عن كلام الله سبحانه في الزبور والمتلى في القرآن الكريم بالآتي:

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ الأنبياء (105).

قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مِنْ مَنَظِقِ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِن هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ النمل (16).

4-2-8 فقه كلام الله (الرسالة) في عهد زكريا ويحيى ومريم وعيسى (الإنجيل):

جاء القرآن الكريم في هذا العنوان بما يقارب ربع آيات القرآن في أكثر من سورة، نتحدث عن أحداث وقصص في عهد نبي الله زكريا وكذا الحديث عن امرأة عمران التي نذرت ما في بطنها لله سبحانه فكان المولود مريم ابنة عمران عليها السلام، ثم تحدثت عن نبي الله يحيى ابن زكريا، ثم جاء الحديث عن آيات الإنجيل في القرآن حول خلق عيسى وولادته ورسالته ومعجزاته في سور متعددة منها سورة آل عمران وهي سورة كاملة وفيها (200) آية وسورة مريم وفيها (98) آية، وكثيرا من الآيات المتفرقة هنا وهناك بمختلف سور القرآن الكريم ننسخ بعض منها بالآتي:

• قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ الأنبياء (89).

• قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ مريم (7).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ آل عمران (35).

• قَالَ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُنْتِ مِنَ الْقَائِنِينَ﴾ التحريم (12).

• قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ آل عمران (45).

• قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ الصف (6).

• قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ النساء (171).

4-2-9 فقه الشعائر والمناسك منذ عهد سيدنا إبراهيم:

ذهب سيدنا إبراهيم، لتلقي كلام الله تعالى عبر الوحي فَشَرَعَ بالعلم والمعرفة مفهوم الإيمان والتسليم لله رب العالمين، وبالعامل بالشعائر، والمناسك، وقواعد الحلال، والحرام المفصل، والأوامر، والوصايا، والإرشادات، وصاغ دين الإسلام على تلك القواعد بوحى من الله سبحانه و غيرها، ومن قراءتنا للقرآن الكريم الذي يصف واقع الناس في ذلك الزمن من حياة سيدنا إبراهيم - عليه الصلاة والسلام، فقد بيّن القرآن أنّ هناك نقلة نوعية في حياة المجتمع، مقارنةً بالمجتمعات السابقة من قوم نوح، وعادٍ، وهود وصالح وغيرهم، من حيث المعرفة بالعقل، والفكر، والجدال، والحوار، حول مسائل الإيمان، وكذلك حول واقع الحياة الاجتماعية المعاشة، ومعرفة الحلال والحرام، وغيره من أحوال الناس، حسبما استعرض القرآن الكريم لعددٍ من القضايا في عهد سيدنا إبراهيم - عليه السلام، ومن جاء بعده متصلاً به من الأنبياء والرسل (لوط - إسحاق، ويعقوب، ويوسف، وموسى، وداود، وعيسى، ومحمد - عليهم السلام) وغيرهم، ومن تلك الشعائر، والمناسك، والأحكام التي تلقاها سيدنا إبراهيم - عليه السلام نسرد بعض منها بحسب وصف الآيات لها مختصرين بالآتي:

4-2-10 فقه الصلاة - القبلة:

• قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى - ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾، (إبراهيم: 37).

• وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِي﴾، (إبراهيم: 40).

• وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاه: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾، (البقرة: 125).

ثم خوطب بالتوجه نحو القبلة عند قيامه للصلاة، وهذا الخطاب معني به سيدنا إبراهيم والناس جميعاً من بعده، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾، (البقرة: 144)،

وهنا آية أخرى لتأكيد ارتباط الصلاة كشعيرة متصلة بأقوام آخرين من بعد سيدنا إبراهيم وصلة الاتصال بشعائر الناس نحو اتجاه واحد من القبلة نحو المسجد الحرام بكة (مكة) وهو ما يعنى ضمنا تأكيد الآية السابق، إذ يأمر الله فيه موسى عليه السلام وقومه بأرض مصر بجعل بيوت بني إسرائيل قبلّة باتجاه المسجد الحرام في مكة لإقامة الصلّاة، قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى - ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، (يونس: 87)، في الوقت الذي لم يؤمروا بدخول الأرض المقدسة من أرض فلسطين، ثم أن جماعة من سفهاء اليهود هم من غيروا اتجاه القبلة من مكة إلى بيت المقدس في وقت متأخر من بعد موسى وما زالوا على هذا الحال حتى يومنا هذا، ولذلك فضحهم الله سبحانه في هذا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، (البقرة: 142).

11-2-4 فقه الزكاة (الضرائب):

- قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾، (النمل: 3)، وقد كرر ذكر الزكاة مقرونة بالصلاة لأكثر من ثلاثين مرة.

12-2-4 فقه الحج والعمرة:

- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾، (الحج: 26).
- وَقَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾، (آل عمران: 97).
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ وَعِزِّدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهَّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾، (البقرة: 125).

13-2-4 فقه الصيام وشهر رمضان شعيرة قديمة:

الصيام وصيام شهر رمضان عبادة قديمة، كما أوضح الحق - سبحانه - من أنه كُتِبَ كما كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، وهو بهذا البيان يؤكد على أن شعيرة الصيام من الشعائر التي فُرِضَتْ قديمًا، وهذا ما يُفقه من كلام الله تعالى بهذه الآيات قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ

هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، (البقرة: 183، 184، 185).

4-2-14 فقه أحكام وقواعد تنظيم الأسرة:

جاء كلام الله سبحانه لتنظيم شئون الأسرة، وذوي القربات، وبيان حقوق المرأة والأحكام المنظمة للزواج والنكاح المتعدد والطلاق، وثياب المرأة، والقوامة، وكل الوصايا الإرشادية التي لا ترتبط بالمكان والزمان والأشخاص، إذ إنها من قبيل تعميم شمولية تطبيق كلام الله من العهود القديمة مروراً بعهد سيدنا إبراهيم إلى بعثة الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - على اعتبار أن القرآن العظيم كتاب خالدٌ أبديٌّ لا يتغير، في كل المجتمعات الإنسانية وحتى قيام الساعة.

4-2-15 فقه الارث والمواريث:

جاء كلام الله سبحانه بآيات تنظيم الوصية، وتبيين الفروض والأنصبة في تركة المتوفي وحقوق القربات من المساكين واليتامى، وجاء به القرآن بصورة صحيحة وقد ورد تنظيمه في الكثير من التشريعات الإنسانية القديمة وبصورة محرفة كما في شريعة حمورابي، وشريعة العبرانيين، والقانون الروماني، كما حُرف بمذاهب الشيعة والسنة، وقد فصلناه في فصل خاص في هذا الجزء بما يتوافق مع القرآن.

4-2-16 العمل بالعُرف والأعراف:

قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى -: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾، (الأعراف: 199) وكل الرسائل السماوية، وأبرزها صحف إبراهيم وموسى، وتوراة موسى، والزبور، والإنجيل، ثم جاء القرآن الكريم ككتاب جامع لكل على نسقٍ واحد، حيث جاء القرآن بتفاصيل الشعائر والمناسك المتعلقة ببعض التكاليف كالصلاة والصيام والحج والعمرة، ثم جاء بقواعد مفصلة للحرام وحقوق الأسرة والمرأة والمواريث وغيرها من المعاملات بين الناس، وما دون ذلك من الحلال الطيب وغيره فقد تركه لأعراف الناس في الزمان والمكان، وقد فرزنا لهذا العنوان فصل خاص بهذا الجزء.

4-3 فقه كلام الله (الرسالة) القرآن الكريم:

بيّن الله سبحانه وتعالى الإجابة على هذا التساؤل بتعريف القرآن، من أنه كلامه الموحى به للرسول محمد - عليه الصلاة والسلام - بما يحوي بين دفتيه كل الكلام الموحى به من الله عبر تسلسل الأنبياء، والرُّسل، وحسب حقائق ذكرها في القرآن الكريم، وأنه الكلام الحاكم المرشد المُلهم للنفس، والعقل والفكر، وأنه حوى كل الكتب المتأخرة عليه، كما سبق ذكره، احتوى على كل تشريعات الله تعالى، من عهد آدم، ونوح، وهود، وصالح، وفصل في عهد

إبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد - عليهم السَّلام، بمعنى آخر أكثر توضيحاً فكان القرآن الكريم كتاباً جامعاً لكلام الله الموحى به لكل الأنبياء والرُّسل، وليس كتاباً جديداً أنزل على محمد - عليه الصَّلاة والسَّلام، كما يصفه بعض السُّدَّج، ولو كان كذلك لكان هذا الكتاب يتحدث عن محمد رسول الله وقومه خاصة، ولكنه - كما سبق القول - كتاب جامع لكل الكتب المتأخرة عليه، وهو كلام الله الأزلي الثابت المستمر والذي يتحد عن الماضي بصيغة الحاضر والمستقبل، وهنا تبرز أهميته كمعجز، وهو الكلام السامي على ما دونه من كلام البشر، وسيبقى كذلك إلى أن يشاء الله، ومن رسالة القرآن نأتي إلى التعريف بالقرآن نفسه كما سبق الإشارة إليه، ومنه نقتبس بعض الآيات التي تحدثنا أولاً عن القرآن الكريم، والتي وردت بما يقارب من (سبعين) آية نختصر بعض منها بالآتي:

- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿قَدْ وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدِ﴾ (ق: 1).
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ (الإنسان: 23)
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾، (محمد: 24)،
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾، (القمر: 17)،
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾، (الرحمن: 1، 2).
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَمِنْ أَيْنَ أَهْتَدِي فَأَيُّهَا لِنَفْسِي وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾، (النمل: 92)،
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾، (النمل: 6)،
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾، (النمل: 76)،
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾، (الإسراء: 89)،
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾، (الكهف: 54)،
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾، (الفرقان: 30)،
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَنْ جِنَّتْهُمْ بَايَةٌ لِيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ (الروم: 58)،
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾، (الزمر: 27)،
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ فَرَأْنَا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾، (فصلت: 3)،

- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿الَّذِينَ تَلَكَ آيَاتِ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾، (الحجر: 1)،
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾، (الإسراء: 9)،
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ لَنِي اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾، (الإسراء: 88)،
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾، (الإسراء: 41)،
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾، (فصلت: 26)،
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾، (الأحقاف: 29)،
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾، (الجن: 1)،
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾، (القيامة: 17)،
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾، (الواقعة: 77)،
- وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، (الحشر: 21)،
- وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾، (الإنشقاق: 21).

ومن قراءة الآيات المعرّفة بالقرآن الكريم أعلاه، أعتقد أنني أعجز عن إضافة شيء جديد؛ لما فيه من بيان واضح وهو ما يؤكد على أن كلام الله (الرسالة) الموحى به للإنسان منذ آدم وزوجه، وصولاً إلى محمد - عليه الصلاة والسلام - تخاطب الإنسان حتى يرث الله الأرض ومن عليها، فقد جاء هذا القرآن الكريم ككتاب جامع شامل مهيم، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾، (المائدة: 48).

هذا هو القرآن الكريم، الكتاب الذي جُمع فيه كلام الله بمفهوم الرسالة الواحدة، مع تعدد الأشخاص المكلفين تبعاً لتاريخ حياة الإنسان على الأرض، وهذه الرسالة قد احتوت على كل قواعد الحلال والحرام حصراً وقصراً، وجمعت أوامر الاجتناب، وأوامر النهي، منها مثلاً: حرم، حرمت، لا تقرب، لا تشرك، وغيرها، وكذلك الكثير من الأوامر في الحث على قواعد

العلم، والإيمان والعمل، وافعل ولا تفعل، والوصايا، والإرشادات، وبديع القصص والأمثال، وذكر الأقوام والأمم، وسيرة الأنبياء والمرسلين، وخلق السماء، والكواكب، والأرض والإنسان، وكل هذا جاء بوحى من التنزيل، والإنزال للكتب، والسان عربي مبين، الذي حواه القرآن الكريم، ثم يأتي دور إبليس الذي يرمز للوجه الآخر من الحياة، وما يحمل من الشر المطلق، والذي أقسم أنه سوف يربط لإغواء بني آدم على الصراط المستقيم، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ، ثُمَّ لَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾، (الأعراف: 16، 17)، وقد اختار هذا الطريق عمداً مع سبق الإصرار والترصد، وليس بطريق آخر، بمعنى أكثر توضيحاً أنه سيقعد لهم في صلب الحق المبين الواضح؛ ليحاول تحريف الحق بالباطل، وسوف يأتيهم عن إيمانهم، وعن شمائلهم، ومن أمامهم ومن خلفهم، مما يدل على إصراره، وتحديده، وعناده لفعل الغواية، من أجل أن يشوّش عليهم دينهم، ويلبس عليهم مسائل الانحراف في الإيمان، وهو ما يُعرف بقيامه مع بعض الناس، حسبما يوحي بعضهم لبعض زخرف القول غروراً، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾، (الأنعام: 112)، فخلّقوا عقائد دينية مشوهة من الأديان المختلفة، ثم فرخوا من هذه الأديان المصطنعة طوائف ومذاهب وفرق وجماعات، وإن شئت قلت: ديناً ضد الدين المنزل من عند الله - سبحانه وتعالى، وقد حاولوا عبر شياطينهم من الجن والإنس ممن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً، فاستطاعوا تحريف العقيدة الإيمانية لكثير من الناس، وأظهروهم متلبسين بالدين المضاد للدين الحقيقي، ونتج عنه مجموعة من الديانات، والمِلَل، والنحل، والمذاهب، والفرق التي ما أنزل الله بها من سلطان، حسبما هو حاصل اليوم، فكل منهم يدعى أنه على حق وغيره على الباطل.

4-4 خلاصة: التوراة والفرقان والزبور والإنجيل كلام الله سبحانه في القرآن:

عندما نتحدث عن التوراة والفرقان والزبور والإنجيل، فإننا نتحدث عن توراة القرآن وفرقان القرآن وزبور القرآن وإنجيل القرآن، وليس توراة العبرانيين، أو توراة السامريين، أو انجيل لوقا أو انجيل متى أو انجيل يوحنا وغيرها، لذلك فقد ذكر القرآن الكريم تلك الكتب بصورة مرتبطة ببعضهما، في آيات من القرآن الكريم، لما يقارب من (ثلاثين) آية تتحدث عن التوراة من كونها هدى ونوراً، وانفردت التوراة بوصف تفصيلي من حيث تدوينها في الألواح بأمر من الله تعالى لسيدنا موسى - عليه السلام، على شواهد من القرآن تصف هذا الحدث بأكثر من آية، كما أن رسول الله موسى - عليه السلام - ذكر في القرآن بشخصه في أكثر من (مائة وثلاثين) آية، وهو أكثر رسول حظي بهذا الذكر في القرآن الكريم، وكذلك هارون وداود وكذلك رسول الله عيسى - عليه السلام، الذي تفرّد بذكر اسمه في (خمس وعشرين) آية من القرآن الكريم، وهذه من الأدلة التي تترجم فقهاً أن القرآن جمّع كل الرسالات السماوية، فكان القرآن كما وصفه الله سبحانه كتاب جامع لتلك الرسالات في إطار

دين واحد وليس أدياناً سماوية متعددة، وبمعنى احتوى القرآن الكتب المتأخرة عنه ولم يلغها، كما دسّته جماعة التحريف، ومن نافلة القول فإن سيدنا إبراهيم - عليه السلام - قد ورد ذكره ما يقارب السبعين مرة، في آيات الذكر الحكيم، وقد أفردنا بعض المواضع للحديث عن خليل الله إبراهيم عليه السلام، الذي ذكر أنه أنزلت عليه الصحف الأولى من كلام الله سبحانه، وارتبط ذكرها بصحف إبراهيم وموسى، قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى: ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾، (الأعلى: 19) والصحف هي المخطوط (المكتوب) على شيء ماديٍّ قرطاس، أو ورق، أو جلد، أو حجر، وفيها من التعليمات، والإرشادات والوصايا، والأحكام، وقد ذكرت في أكثر من موضع في القرآن الكريم، قَالَ تعالى: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾، (البينة: 2) وفي آية أخرى قَالَ اللَّهُ سبحانه وتعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً﴾، (المدثر: 52)، وآخر، قَالَ فيه جَلَّ فِي غَلَاه: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾، (طه: 133) وغيرها، ثم تعالوا بنا إلى القرآن نستذكر من القرآن أول مشهدٍ لكتابة التوراة، بوصفٍ بديعٍ ورائعٍ من سورة الأعراف، قَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَا حِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾، (الأعراف: 145). وفي هذه الألواح ذكر الله سبحانه بعض المفردات التي تنظم جوانب الحياة من قواعد العمل بالعقوبات بين الناس، وبني إسرائيل خاصة، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾، (المائدة: 32)، وكذلك قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، (المائدة: 45). ولطبيعة هؤلاء النفر من بني إسرائيل وعنادهم وكفرهم كانت هذه الآية أقوى تعبيراً لجحودهم مع الله - سبحانه، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، (الأعراف: 171)، وكذلك هذه الآية، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، (البقرة: 63)، وكل هذه الآيات وإن كانت قد جاءت خاصة، لكنها ليست بمعزل عنا فنحن معنيون بها وتحاكي المجتمعات الإنسانية في الزمان والمكان وذكرها في القرآن ليس من باب التسلية وإنما من باب فقها وإدكارها كقواعد في تنظيم حياة الناس كل الناس، ولنعد إلى ذكر الآيات التي تتحدث عن كلام الله سبحانه من واقع التوراة والإنجيل المدونة في القرآن الكريم، والتي تؤكد على أن التوراة الحقيقية هي كلام الله سبحانه والمدونة في القرآن العظيم، وليست تلك التي تُعرف بتوراة العبرانيين، أو السامريين، والأناجيل المختلفة أو غيرها، وسوف نستعرض بعض الآيات التي تتحدث بلفظ التوراة لتحاكي بعضاً من مشاهد بني إسرائيل في عهد موسى، وهارون، وداوود، وسليمان، وأيوب، وعيسى، وغيرهم الكثير، وقد أوضحنا ذلك عند التعريف بالتوراة في القرآن بعنوان آخر في الجزء الأول من المؤلف.

ونرى القرآن كلام الله سبحانه وتعالى يتحدث عن كل الأنبياء بصورة عامة وبصورة تفصيلية كما في ذكر لوط واسحاق ويعقوب ويوسف وهارون وداود وسليمان وزكريا ويحيى وذا النون وذي الكفل وذي القرنين ويونس ورسلاً لم يقصصهم علينا، فكان ذكرهم ليس خاطرة عابرة بل كان ذكرهم فيما اشتمل فيها من مجمل قواعد الحياة في الأرض، ومن كوننا أمة واحدة تسير على خطى واحد ودين واحد وكلام واحد وأن تغير الأشخاص فالرسالة واحدة قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾، (الأنبياء: 92) وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾، (آل عمران: 103).

5-4 حقيقة تعدد الأديان:

وعن حقيقة وجود الأديان الأخرى من اليهودية والهندوسية والبوذية والمسيحية والصابئة واليزيديين والزرادشتية، وغيرها؟! ثم الفرق والطوائف والجماعات المنضوية بتلك المسميات، فإن حقيقة وجود هذا كله وصحتها من عدمها، تتضح لك من خلال القراءة العقلية والفكرية لنصوص تلك الكتب التي يدعون أنها مقدسة، ومقابلة تلك النصوص بالقرآن في كل القضايا التي تهم الإنسان، وعندئذ سيكون عليك الحكم الصحيح وستتكشف لك الحقيقة أقوى من ضوء الشمس وذلك هو عين ما حاولت تلخيصه في هذا المؤلف بجزئيه – أما عن حقيقة الخلاف العقائدي والهوية الدينية للناس فقد أكد الحق – سبحانه وتعالى على أن حرية تعدد الأديان بين الناس كان بفعل اختيار الناس وخروجهم عن الدين الذي حدده الله سبحانه وتعالى، وهم مسؤولون عن اختيارهم وخياراتهم بعد أن بين لهم الدين الحق وأنه تعالى ومع بيان الدين الحق فإن الله سبحانه وتعالى ضَمَّنَ حرية المعتقد وحرية الإيمان وحرية الكفر وحرية الإلحاد، بعد أن أوضح الدين الواضح الخالص وهو دين الإسلام وترك للإنسان حرية الاختيار – وأنه – الله سبحانه وتعالى سيحكم بين المختلفين في تلك الخيارات المتعددة للعقيدة والدين يوم القيامة، وترك للناس حرية الاختيار، وهكذا فظهور الإسلام كدين واحد كان بظهور الإنسان على الحياة كخليفة لخلق سلف على الأرض، ولم يكن ظهور الإسلام كدين جديد أو حدثاً عارضاً ببعثة الرسول محمد - عليه الصلاة والسلام، فأطلقوا عليه دين محمد وإسلام محمد أو دين أمة محمد والقرآن خاصٌ بالمسلمين، فهذا الكلام تقوَّلتَه جماعة التحريف، ومن بعدهم جماعة من المفكرين المتأخرين، وكذلك بعض المستشرقين: فمنهم من قالها بقصد الحصر والقصر والتحجيم للإسلام ومن أجل تعميق الانتماء العقائدي لدين الإسلام في جماعة من الناس دون غيرهم، وأطلقوا عليه دين أمة محمد الإسلامية، أو دين محمد، وهو قولٌ غير صحيح، ومنهم من قالها بغير قصد، مستنداً على الموروث الفكري من فكر المذاهب والفرق والجماعات الدينية المذهبية، وكلاهما قدَّم صورةً خاطئةً للتعريف بالإسلام ليصنعوا منه ديناً خاصاً ومحصوراً زماناً ومكاناً ومشخصناً، ذلك ما يخالف كلام الله تعالى الذي أكد على عالمية

الإسلام كدين للأنس والجن جميعاً كما سبق بيانه من آيات القرآن فذكر ذلك في عددٍ من الآيات نلخصها بالآتي:

• فَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾، (الزمر: 3)،

• وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾، (البقرة: 113)،

• وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾، (الحج: 17).

• وفي آية أخرى جعل الإيمان والعمل الصالح ميزةً ترجحيةً إلى رضا الله - سبحانه، مع المحافظة على الهوية العقائدية، وقصرها على الذين آمنوا، والذين هادوا، والصابئة والنصارى من غير المجوس والذين أشركوا، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، (المائدة: 69).

• ويفهم من هذه الآية إباحة التعدد في المعتقد القائم على خيارات الإنسان كما اسلفنا، فكانت رحمة الله سبحانه أوسع من تفكيرنا، فجاءت الآية تستغرق هذه الفئات من أديان الناس رحمةً منه بهم، وهو أهل لذلك، كيف لا وهو القائل: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، (الأنعام: 12)،

• وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، (الأنعام: 54)

• قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ...﴾، (الكهف: 29)، وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾، (الأنعام: 104).

• وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾، (الزمر: 41)، وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينٍ﴾، (الكافرون: 6)،

• وبالمقابل، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، (آل عمران: 85)

ومن بين تلك الآراء تعالوا الآن نعرض لكم نموذجاً من المفكرين وهو الكاتب جمال البنا(1) - رحمة الله عليه - الذي قدّم رأياً في هذا الموضوع قال: إنّ تعدّد الأديان هو الخيار الأفضل من وجود دينٍ واحدٍ لا يتجاوب مع الطبيعة البشرية، ويحرم من مزايا المنافسة ووشائج القربى؛ مبرراً ذلك القول إنّ الأديان جاءت على قاعدةٍ واحدةٍ من عمود النسب والاتصال بسيدنا إبراهيم، فكل فرع من أولاد إبراهيم ذهب في ناحية من الأرض، استتبّع معه إنزال دينٍ خاصٍ بذلك، فظهر الدين اليهودي، والدين المسيحي، والدين الإسلامي، مستشهداً من القرآن الكريم "لكم دينكم ولي دين".

ولا شكّ أنّ قول الكاتب فيه من الخطأ الجسيم والقصور بفقه القرآن الذي اجتزأه منه البنا على غير هدى من الحق والحقيقة، فالبنا يجيز ويشعر عن تعدد الأديان حسب مفهومه الخاطئ عن دين الإسلام، فالمعلوم بأنّه كان وما يزال الإسلام دين الله سبحانه الأوحد للناس أجمعين، وهذه حقيقة أكّدها كلام الله تعالى في القرآن الكريم، قد سبق الإشارة إليها، وأنّ التقرير بوجود العقائد الأخرى من أديان اليهود والمسيحيين والمجوس والصابئة، والذين أشركوا، ليس على سبيل من كونها ديانات سماوية مقرة من قبل الله سبحانه وإنما هي من أفكار واختيارات الناس الخارجة عن دين الله الإسلام، كما أن هذه الأديان جاءت متصلة بأسماء وشخصياتٍ محددة، فمثلاً اليهودية نسبة ليهودا، واليهود السامريين نسبة للسامري، ولفظ آخر يطلق عليهم اليهود العبرانيين، والمسيحية نسبة للمسيح، والهندوس نسبة للأرض الهندية والإنسان المستوطن، والبوذية نسبة لمؤسسها بوذا، وكذلك النصارى وهم جماعة من اليهود أطلقوا على أنفسهم هذا الاسم، وغيرهم من الأديان الأخرى كالصابئة، والمجوس، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، (البقرة: 135) أما قول: البناء حول وجود دين واحد فإنّ ذلك يحرم من مزايا المنافسة، ونرد على هذا الرأي الذي يشوبه القصور والركاكة بفقه الدين من نواحي عديدة فالدين والعقيدة الإيمانية للناس ليست برامج احزاب سياسية أو مباراة رياضية بين فريقين أو أكثر من المتنافسين، حتى نقف موقف المتفرج لمن ستكون الغلبة والفوز في النزال، إن الدين والمعتقد يعبر عن العلم والمعرفة بحقيقة الله سبحانه وحقيقة الوجود المادي وحقيقة الحياة وحقيقة المعرفة بالروح والنفس، وحقيقة الاتصال بالحق، عن علم وعقل وفكر وهما خلاصة العقيدة والعبادة، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، (الذاريات: 56).

والخلاصة: فإنّ هذه الأديان والطوائف والمذاهب والفرق والجماعات المصطنعة من قبل الناس في مختلف مراحل الزمن، يمكن التعرف عليها من خلال القراءة المتأنية والفاحصة لكتبهم وهي الطريق الأسهل للمعرفة وبيان حقيقة تلك الكتب التي يدعون أنها مقدسة، وهو ما أنصح به كل ذي بصر وبصيرة يريد الوصول للمعرفة والحقيقة، وهذه الكتب أصبحت اليوم

(1) انظر كتاب التعددية في مجتمع إسلامي / جمال البنا.

متوافرة أغلبها على الشبكة الالكترونية (النت)، وبإمكان الناس الاطلاع على هذه الكتب وهي موجودة بضغط زر على الشبكة العنكبوتية، وما لم يظهر اليوم سوف يظهر غداً، فالأيام القليلة القادمة كفيلة بأن تظهر كل الكتب الباطنية المخفية والسرية، لأن الأجيال الرقمية القادمة لن تقبل العيش بكنف التخفي والسرية، وبذلك ستتضح لهم الحقيقة حول مصدر وصحة النص المدون فيه وهل هو صادراً عن الله حسب زعمهم؟! أم غير ذلك.

وأعتقد أنني وضعت القارئ على بداية الطريق للسير نحو الطريق الصحيح من خلال هذا الفصل، ولمزيد من الفائدة يمكن للقارئ الرجوع لقراءة، فاحصة لكل من توراة العبرانيين والتلمود والمدارش، والأنجيل وافستاء، والكنزراباء، والبخاري ومسلم والكافي وغيرها من الكتب التي تنسب ما فيها من كلام إلى كلام الله ورسوله، ومقارنة تلك الكتب بالقرآن الكريم، ومن هنا ستكتشف الحقيقة، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾، (البقرة: 113) وَقَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾، (البقرة: 79) وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾، (الطور: 11).

4-6 الرسول من الإنسان (التعريف الوظيفي):

الرسول هو شخص من الناس كُفِّ بحمل الرسالة من الله عبر تلقّي الوحي عن الله لإيصاله إلى الناس، من عهد آدم وزوجه، وحتى عهد سيدنا محمد رسول الله.

وقد أمر الله - سبحانه وتعالى - الناس بإطاعة الرسول بما أرسل به من كلام الله، ويُقصد به رسالة الله، وأن طاعة الرسول بما أرسل به واجبة، أن الطاعة هنا لوظيفة الرسول، لا لشخصه البشري، إذ يعدُّ الرسول شخصاً عادياً من الناس اختير من قبل الله - سبحانه، وكُفِّ بعمل، وهو حمل الرسالة حرفياً، فالطاعة هنا مناطة بالرسالة وليست بشخص المكلف، الذي هو بشر مثلاً، إذ يعدُّ هذا الرسول مبلغاً عن الله سبحانه، ولا ينطق عن هواه، بل حسبما يوحي إليه من الله في أعمال الرسالة، وهو أول من يتبع مضمون الرسالة التي كُفِّ بها، وإن طاعة الرسول بما يحمل من الرسالة واجبة، وأن الرسول يحلّ ما أحلَّ الله، ويحرّم ما حرّم الله، وفقاً لكلام الله تعالى، كما أن الرسول مكلف في حدود ما كُفِّ به، دون زيادة أو نقصان، وأي مخالفة في ذلك يعدُّ خروجاً على الرسالة المكلف بها، وبذلك وصف الرسول أو المرسلين بالمنذرين أو المبشرين، أو المبلغين عن الله - سبحانه وتعالى، وقد ورد لفظ رسول أو الرسول أو الرُّسل أو المرسلين في القرآن الكريم مبيناً وظيفتهم الأساسية، وهي نقل كلام الله وإبلاغه للناس، فهم - الرُّسل المبشرين والمنذرين والمرشدين للصراط المستقيم وهم الواعظين والمذكرين والهادين بما كلفوا به من رب العالمين، وبما يحملونه من كلام الله وتعاليمه وهديه، والإيمان بالله وإقامة الشعائر، والمناسك التعبدية من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمره، وبيان الحلال، وتفصيل ما حرّم الله سبحانه، والقيام بالأعمال الصالحة، وإقامة العدل والحرية ومنها

حرية العقيدة وإشاعة الأمن والسلام، وحفظ وصون حقوق وكرامة الإنسان، ونشر الفضيلة، قَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿فُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، (البقرة: 38)، والرُّسل والأنبياء كثر، منهم من ذكر الله قصصهم علينا، ومنهم من لم يذكرهم، كما قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾، (النساء: 164).

ومن هنا فالرَّسول أو الرُّسل، وكذا الأنبياء ليسوا مشرِّعين للشعائر والعبادات والأحكام والحلال والحرام، بل هم مبليِّغين، ولا يحق للرَّسول أو النَّبي أن يقول كلاماً من عنده بشأن حكم أو عمل أو شعيرة أو مناسك أو حلال أو حرام، ثم يقول هذا من عند الله، فذلك تحريف وخروج عما كُلِّفَ به، ومعاذ الله أن يوجد رسول عصى الله سبحانه، ولم يبلغ ما أُرسل به، فجميع الرُّسل امتثلوا لأمر الله، ولم يخالفوه، وإليك الترتيب اللفظي والوظيفي لكل من الرُّسول، والرُّسل، والمرسلين بآيات القرآن الحكيم مبتدئاً ب (رسول)، والتي وردت أكثر من (مائتي) مرة، نذكر منها على سبيل المثال الآتي:

4-6-1 الرسول المكلف بالرسالة:

عندما نتحدث عن الرَّسول المختار والمكلف من قبل الله فإننا نجد الرَّسولَ واحدٌ من النَّاس، تم اختياره وتكليفه بمهمة محددة، وفقاً لمواصفات وشروط المرسل في الاختيار أسندت إليه مهمة عظيمة ومحددة، بأنه كُلِّفَ بها من قبل المرسل وهو الله جَلَّ في علاه لحمل رسالة الهداية لقوم معينين، أو شعب، أو أمة، أو فئة محددة في حقبة من الزمن، أو للناس جميعاً على مر الزمان، وقد كان هذا الإنساني الرسول قوة في حمل الرسالة (كلام الله) ومثال حسن في الاتباع والإنقياد والإنصياع لما يحمل من كلام الله سبحانه بضمون الرسالة التي بعث بها، وعلى الناس مثل ذلك من طاعة الرسول، وقد أورد القرآن الكريم عدداً من الآيات توضِّح بجلاء وظيفة الرَّسول الذي يجب اتباعه، وعدم معصيته فيما جاء به من عند الله، فالله أمر بطاعة الرَّسول، لوظيفته المكلف بها، وليس لشخصه، أو نسبه، أو عائلته، والله قد عصمه من النَّاس لوظيفته التي كُلِّفَ بها، لذلك فالرَّسول أول من يؤمن بما أنزل إليه من ربه، وهو المبلِّغ برسالة الله، وهو النذير البشير، وهو الداعي إلى الحق المبين، وهو الذي يأتي بالنور والهدى من رب العالمين، وهو الذي لا ينطق عن هواه بل يلزم عليه النطق بما قال الله سبحانه، ومعصية الرَّسول ومخالفة تعاليمه، بما يحمل من محتوى الرِّسالة تعدُّ أثم وذنب مُبيِّن حسب ما سبق بيانه وقد يؤدي إلى الكفر، والخسران المبين، ومن هنا فكلّمة "رسول" هي الصفة الوظيفية التي يتصف بها أحد المكلفين من ربِّ العزة لشخص من النَّاس اختاره الله - سبحانه وتعالى - لحمل الرِّسالة، كوظيفة كُلِّفَ بحملها، وهي رسالة معينة من المرسل، وهو (الله) سبحانه إلى المرسل إليهم سواءً أكانوا قوماً، أو أقواماً من النَّاس، أو جميع النَّاس حسب إرادة ومشئنة المرسل، وبما يحمل من إنذارٍ وبلاغٍ، وهدى وفق ما سبق.

ومن هنا فإنَّ لفظ الرسول في عموم القرآن الكريم لا يخص الرَّسول بشخص محدّد من الرُّسل في المكان والزمان، ولأن الرسول المخاطب قد يكون: نوحاً، أو إدريس، أو إبراهيم،

أو موسى، أو عيسى، أو محمداً، بل إنَّ شخص الرسول المخاطب بسياق عموم الآيات قصد به جميع الرُّسل بصفاتهم الاعتبارية الوظيفية حصراً وقصراً، في الوقت نفسه هناك آيات حددت ارتباط مضمون هذه الآيات صراحةً وضمناً برسول محدد حسب سياق الجملة والحدث، زد على ذلك أن الله سبحانه جعل من أعمال الرُّسل القول بما لا ينطق عن هواه في مضمون الرسالة، بل أوجب عليه السير حسب الوحي المنزل عليه، كما جاء في سورة النجم مثلاً، فقال تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ، وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ، عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ، ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ، وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ، ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ، فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾، (النجم: 1، 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9، 10).

وفي الاستشهاد بالآيات من قبل كثير من المؤمنين فتراهم يستشهدون بالآية: (وما ينطق عن الهوى) بصورة مجتزأة عن باقي الآيات من سورة النجم، فهل هذه الآيات تتحدث عن رسول محدّد بشخصه، الجواب (لا).

قد يقول قائل: إنَّ كلمة صاحبكم لا تشير إلى رسولٍ أو شخص محدّد، كما أن المخاطب هناء لا يرتبط بالمكان والزمان (الجغرافيا - التاريخ) وهذا القول صحيح، فلا يجوز اجتزاء الآيات القرآنية بحيث تخرجه عن معناها الميسر للفهم والإدراك، فكلام الله لا لبس فيه ولا غموض، ولا تعقيد في الفهم والمعنى، فيجب قراءة سورة النجم كاملةً حتى الآية رقم (10) لتتضح الصورة كاملةً بشخصها، وواقع حالها، وهو واقع آخر خارج إطارنا المعرفي لواقع الأرض، غير أنني أجد الآية تتحدث عن شخص وواقع آخر في ملكوت الله الواسع، فنرى الآيات تتحدث عن النجم إذا هوى، وعن الصاحب وما غوى، وأنه لا ينطق عن هواه، والتأكيد على أن ما ينطق به بين الناس هو من قبيل الوحي، الذي علّمه شديد القوى، والقول هنا علّمه، غير القول أرسل، فالوحي بالعلم قد يُقصد به من علم النبوة، أو من علم الأنبياء، أو من العلوم الأخرى الأقل مرتبة من الوحي بالرسالة، وبما أن القرآن الكريم يفسّر بعضه بعضاً فإنني أدعو القارئ الكريم ليعرّج معي بتوضيح هذا المعنى البديع لكلمة علّمه بالوحي، حسبما جاء في الآية التالية من سورة البقرة، قَالَ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، (البقرة: 129)، وهناك كثير من الآيات التي توضح معنى ما سلف ذكره، وبيانه ونزيد ذكر بعض منها لمزيد من الفائدة، كما سيأتي في وصف رسول الله تعالى عيسى - عليه السلام - الذي يعلمه الكتاب والحكمة، ثم يبين أنه رسول، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ، وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، (آل عمران: 48، 49)، وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، (آل عمران: 164)، وَقَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى - ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾، (الرحمن: 4)، وَقَالَ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ

فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ، (الجمعة: 2).

وهكذا فالرسالة لها مفهوم خاصٌ ومحدد، وعندما يتحدث الرسول عن صفته الوظيفية في القرآن فإن قوله قولٌ فصل، وما هو بالهزل، ولا ينبغي بعد قوله قول، كما في هذه الآيات التي تحدثنا عن اقتصار عمل الرسول على البلاغ والإنذار والاتباع لما يوحى إليه، وغيرها من التكليف، ونفي الكثير من الأعمال المنكرة التي حاولت جماعة التحريف لصقها بالرسول، أو الرسل وننسخ بعض الآيات التي توضح أعمال ووظائف الرسل بالآتي:

• قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ المائدة (67).

• قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ الأحزاب (39).

• قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ البقرة (119).

• قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ الأعراف (188).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ الحجر (89).

• قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ الإسراء (105).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ الحج (49).

• قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ الأحزاب (45).

• قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ سبأ (28).

• قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَىٰ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾، (الأحقاف: 9)

• وفي آية أخرى ينفي عن الرسول العلم بالرزق والغيب، قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾، (الأنعام: 50)،

• وفي نفس السياق، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهَدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، (الأعراف: 203)،

• وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا تَنَلَّيْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، (يونس: 15)،

• وَقَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿... إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾، (هود: 12)،

• وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾، (الكهف: 110).

• وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾، (ص: 70)،

• وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾، (فصلت: 6).

ومن هنا فبعد هذا القول الفصل من الله سبحانه على لسان الرسول في القرآن الكريم الذي يوضح أنَّ الرسول بشر مثلنا مأمورٌ باتباع ما يوحى إليه من الله تعالى، وأنه لا يعلم الغيب، وأنه نذير وبشيرٌ ومبلغٌ عن الله، حسبما جاء في الآيات المفصلة أعلاه، وأنه يحل ما أحلَّ الله، ويحرِّم ما حرَّم الله، وإذا أراد القيام بمعجزة فبإذن الله سبحانه.

ومن قراءة هذه الآيات الواضحة من التنزيل الحكيم، وبهذا البيان الواضح فلا أعتقد أنَّه بقي من النَّاس من يصرِّح بالقول إنَّ الرسول مشرِّع للحرام وللأحكام والفرائض والمناسك والشعائر من صلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ، وحجٍّ وغيرها، أو موضحٌ أو مُبَيِّنٌ أو مفصلٌ أو مقيدٌ أو مُطْلِقٌ أو مفسرٌ أو ناسخ للقرآن الذي جاء بتلك الأحكام والشعائر والمناسك وغيرها، وعلينا إعادة النظر بالتركة الثقيلة المرهقة على النَّاس، مما خلف من فكر المذاهب الديني، وخاصة فكر المذاهب الإسلامية الذي خطته أيدي أناس ليقولوا أنَّ ما كتبوه بأيديهم ونسبوه إلى الله تعالى زوراً على لسان الرسول، واعتبروه وحياً أو جزءاً من الوحي، مدَّعين أنَّه من عند الله، وما هو كذلك، إن هو إلا كما قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾، (البقرة: 79)، أو كما وصفه الله، إذ يقول: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، (آل عمران: 78) ونختتم هذا الموضوع بما ألزم الله تعالى الرسول من وجوب الاتباع لما يوحى إليه من الله - جل جلاله - وفقاً لما سيأتي ذكره في الآيات الآتية: قَالَ تَعَالَى: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾، (الأنعام: 106)، وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ

وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾، (يونس: 109)، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾، (الأحزاب: 2)، وَقَالَ - سبحانه وتعالى - ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، (الجاثية: 18).

وهناك الكثير من آيات القرآن الكريم تتحدث عن طاعة الرّسول واقتفاء أثره، لأنه يمثّل القدوة الحسنة في الأقوال، والأفعال، والسيرة الحسنة في الحياة الدنيا، وأتته منذرٌ ومبلغٌ، وكما جاء في آيات الذكر الحكيم، ونذكر منها الآتي:

- قَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ...﴾، (الأحزاب: 21)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ...﴾، (التغابن: 12)،
- وَقَالَ سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾، (النحل: 113)،
- وَقَالَ سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾، (الإسراء: 94)،
- وَقَالَ سُبحَانَهُ: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾، (البينة: 2)،
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾، (الشعراء: 143)،
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ...﴾، (النور: 54)،
- وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَعْصِي الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾، (الفرقان: 27)،
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ...﴾، (الأحزاب: 29)،
- وَقَالَ جَلَّ فِي غَلَاه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ...﴾، (المائدة: 55)،
- وَقَالَ سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾، (الأحزاب: 57)،
- وَقَالَ سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ...﴾، (النساء: 170)،
- وَقَالَ جَلَّ فِي غَلَاه: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾، (البقرة: 285)،
- وَقَالَ سبحانه وتعالى: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾، (الأنفال: 46)،
- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوْا الرَّسُولَ...﴾، (النساء: 42)،
- وَقَالَ جَلَّ فِي غَلَاه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ...﴾، (النساء: 136)،

- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ...﴾، (النساء: 80)، وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ...﴾، (آل عمران: 32)،
- وَقَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾، (النساء: 14)،
- وَقَالَ سبحانه وتعالى: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾، (آل عمران: 53)،
- وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا...﴾، (آل عمران: 164)،
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاه: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمَ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، (آل عمران: 101)،
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، (آل عمران: 86)،
- وَقَالَ تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾، (الفتح: 13)،
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾، (المجادلة: 20)،
- وَقَالَ اللَّهُ سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾، (محمد: 33)،
- وَقَالَ اللَّهُ سبحانه وتعالى: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، (يس: 30)

وأغلب هذه الآيات تتحدث عن الرسول كوظيفة، وليس كشخص، وهذا أصل الموضوع، وهو ما نريد تسليط الضوء عليه، فكل رسل الله سبحانه معنيون بهذه الآيات، والله تعالى يخلق ما يشاء ويختار، وهو يعلم حيث يجعل رسالته، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، (القصص: 68)، وَقَالَ اللَّهُ سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمَ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾، (الأنعام: 124).

كما أن هناك آيات قصد في مضمونها رسول معين بصورة ضمنية، فلا مانع من الاستشهاد بها في محلها المقصود منه، ألا أن أغلب الآيات تتحدث عن أعمال الرسول الوظيفية لا شخص الرسول البشري، غير أن جماعة التحريف بدلوا وحرفوا ووظفوا القرآن فأسقطوا الآيات المعني بها الرسول على وجه العموم على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وعلى الزمان والمكان من الأشخاص والأحداث والأحكام والقصص بمعنى آخر شخصية القرآن، ومعلوم أن هناك النزر اليسير من الآيات التي ذكرت الرسول محمد عليه السلام بالاسم أو بالصفة، أو بالحدث زماناً ومكاناً، أو بالمناسبة، حيث ووردت عددٌ من الأوامر والنواهي، والوعظ والإرشاد، والآداب وغيرها عبر لفظٍ خاصٍ أريد به العام، كلفظ (الرسول).

4-2-6 المرسلين من البشر:

المرسلون هم عددٌ من الأشخاص، ثلاثة، أو أكثر، كُلُّوا بصورةٍ جماعيةٍ لهداية قومٍ من الناس، سواءً أكانوا قومهم، أو من غير قومهم، وسنجد أن أقواماً ذكرت مع المرسلين، مثل أصحاب الحجر، وقوم عاد، وقوم ثمود، وقوم لوط، وأصحاب الأيكة، حسب ما سيأتي ترتيبه وبيانه في الآيات القرآنية التالية، قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾، (البقرة: 252)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، (الأنعام: 48)، وَقَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ الْمُرْسَلِينَ﴾، (الحجر: 80)، وَقَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيَجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا﴾، (الكهف: 56)، وَقَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ...﴾، (الفرقان: 20)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾، (الشعراء: 105)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾، (الشعراء: 123)، وَقَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾، (الشعراء: 141)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾، (الشعراء: 176)، وَقَالَ اللَّهُ تعالى: ﴿يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾، (القصص: 65)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاة: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾، (يس: 14)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاة: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَفْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾، (يس: 20).

والرُّسل من النَّاس، تم اختيارهم من الله على فتراتٍ من الزمن، للقيام بوظيفةٍ معينة، وقد ورد ذكرهم كثيراً بالاسم، أو بالصفة، مبيناً أعمالهم من التبليغ، والتبشير بالبينات، ومنذرين من عذاب الله لمن يخالف تعاليم الله تعالى، كما بيّن درجاتهم بالقرب من الله - سبحانه وتعالى - فمنهم من كلمه الله تعالى، ومنهم من رفعه الله سبحانه درجات، كما في آيات الذكر الحكيم، قَالَ اللَّهُ تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾، (البقرة: 87)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ...﴾، (البقرة: 253)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاة: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾، (النساء: 165)، وَقَالَ - سبحانه وتعالى - ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، (المائدة: 19)، وَقَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ...﴾، (المائدة: 75)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾، (المائدة: 109)، وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا

نُثِبَتْ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، (هود: 120)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَحْبِ دَعْوَتِكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسْلَ أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾، (إبراهيم: 44)، وَقَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿...فَهَلْ عَلَى الرَّسْلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾، (النحل: 35)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَقَوْمُ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرَّسْلَ...﴾، (الفرقان: 37)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرَّسْلَ فَحَقَّ عِقَابُ﴾، (ص: 14)، وَقَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ جَاءَتْهُمْ الرَّسْلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَأِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾، (فصلت: 14)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلُّ كَذَبَ الرَّسْلَ فَحَقَّ وَعِيدُ﴾، (ق: 14)، وَقَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا الرَّسْلُ أَقْتَتَ﴾، (المرسلات: 11).

4-6-3 فقه الرسل من الملائكة:

الرسل مفردة رسول، وقد ذكر الله - سبحانه - تكليف عددٍ من الملائكة في إيصال كلام الله تعالى للنبي، أو للأنبياء، أو للرسل، أو للرسل، أو لمجموعة من الناس، وغير ذلك من المهام والتكاليف والوظائف، حسب بيان الله تعالى في بعض هذه الآيات، التي تتحدث عن مجمل مهام رسل السماء من الملائكة، وتحدد مهامهم في المكان والزمان والحدث المعين بذاته قَالَ تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾، (الحج: 75)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعٍ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، (فاطر: 1)، وَقَالَ - سبحانه وتعالى ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾، (آل عمران: 42)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾، (آل عمران: 45)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَإِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا...﴾، (الأنفال: 12)، وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾، (النحل: 2)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا...﴾، (البقرة: 97)، وَقَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (الشعراء: 192-193)﴾.

4-7 النبي - الأنبياء التعريف والمشروعية:

أولاً: تعريف النبي: هو الشخص الذي يتنبأ بالحكمة، ويتكلم بالموعظة الحسنة، ويجادل الناس بالحسنى، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وينكر الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ويتبع الصراط المستقيم، كما يُوحى إليه من ربِّ العالمين، كما أنَّ مهمة الأنبياء والرسل واحدة، من أجل هداية الناس جميعاً، واتباع أوامر الله ونواهيه، ووصاياه وإرشاداته، إذن فجميع الأنبياء يتفقون من حيث المنهج والهدف والغاية، فكلُّ رسولٍ نبي، وليس كلُّ نبيٍّ رسول، كما أنَّه لا عصمة للنبي، فقد يخطئ النبي، وبنفس الوقت لا يمكن أن يخطئ الرسول

بما يحمل من رسالة، وذكر النبي في القرآن الكريم جاء على سبيل المفرد والجمع والعموم فقصده به كل الأنبياء، كما هو في الخطاب الموجه إلى الرسول، وهكذا، إلا ما كان محدداً بالاسم، أو بصفة محددة، أو حسب حدث معين، وهو ما سنحاول التطرق إليه لاحقاً.

ثانياً: المشروعية: ذكر القرآن الكريم النبي والأنبياء بصفاتهم الوظيفية، وكذلك حسب المهمة الموكلة إليهم، كما ذكرهم بأسمائهم، وصفاتهم، وقد اخترت لكم بعضاً من الآيات كدليل على مشروعية وظيفة النبي، منها ما ورد في سورة الأحزاب وغيرها، من مواعظ، وإرشادات، وشروط، لوظيفة النبي، ومن ضمن تلك الآيات التالي ذكرها: قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾، (الأحزاب: 45)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾، (الزخرف: 6)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ...﴾، (البقرة: 213)، وَقَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَإِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً﴾، (النساء: 163)، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا اعْتَرَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾، (مريم: 49)، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا﴾، (مريم: 51)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾، (مريم: 53)، وَقَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾، (الأحزاب: 40).

فهذه الآيات دلالة على مشروعية عمل ومهمة النبي أو الأنبياء عبر مسيرة التاريخ الإنساني، أضف إلى ذلك أنَّ الأنبياء كانوا شهوداً ومبشرين بالخير والفضيلة، ومنذرين أقوامهم من مخاطر اقتراف الرذائل والآثام.

4-8 فقه آداب وظيفة النبي:

جاء في القرآن الكريم في سورة الأحزاب وغيرها، مجموعة من الآداب، والأوامر، والإرشادات والأحكام الصادرة عن الله - سبحانه وتعالى - إلى النبي أو للأنبياء كوظيفة من دون شخصنة، وهو نفراً من الناس، تم اختياره من الله تعالى لمهمة محددة، وقصد توجيه الخطاب له لتحليله بقيم الإيمان والفضيلة، فكان مثلاً للناس والمؤمنين في السلوك والآداب، على اعتبار أن النبي قدوة حسنة في طاعة الله سبحانه، ويحتذى بهم في السلوك والأخلاق، ومن كون النبي أولى الناس باتِّباع كلام الله تعالى، فجاء القرآن الكريم ليوضح لنا تلك الصورة، ويشرحه في أكثر من زاوية، فالنبي هو المتنبى عن الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، وأرضيته المعرفية غزيرة العلم بالله - سبحانه وتعالى، وقد يكون النبي مرسلًا برسالة من الله سبحانه، فيطلق عليه اسمُ نبي ورسول لمهنتين متداخلتين، مهمة الرسالة ومهمة النبوة، حسبما بيّن الله - سبحانه وتعالى - في القرآن الكريم في أكثر من سبعين آية، والتي جاءت للتعريف بوظيفة وآداب الأنبياء، وأغلب كلام الله سبحانه - كان موجهاً للنبي بوظيفته،

وبصورة عامة قصد منها كل نبي اختاره الله من الناس لهذه المهمة، غير أن جماعة التحريف بدلوا وحرفوا ووظفوا القرآن فأسقطوا الآيات المعني بها النبي على وجه العموم على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وعلى الزمان والمكان من الأشخاص والأحداث والأحكام والقصص بمعنى آخر شخصنة الآية، ومعلوم أن هناك النزر اليسير من الآيات التي ذكرت النبي محمد عليه السلام بالاسم أو بالصفة، أو بالحدث زماناً ومكاناً، أو بالمناسبة، ووردت منها عددٌ من الأوامر والنواهي، والوعظ والإرشاد، والآداب وغيرها عبر لفظٍ خاصٍ أريد به العام، كلفظ (النبي)، والذي قصد به وعظ عامة الأنبياء، وكذلك موعظة للناس جميعاً بأن يتحلوا بقيم وآداب النبوة، ونذكر بعضاً منها مختصرين بالآتي:

1- بيان مهمة النبي، كلُّ نبي، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾، (الأحزاب: 45).

2- بيان حصر الأعداد من الأنبياء، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾، (الزخرف: 6).

3- تعليمات بخصوص أسرى الحروب في كلِّ زمان ومكان، دون تحديد نبي معين بذاته، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، (الأنفال: 67)، وَقَالَ جَلَّ فِي غَلَاه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، (الأنفال: 70).

4- من أخلاقيات الأنبياء في التصديق على موثيق الله تعالى فيما أرسل الله من الكتاب والحكمة، قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ...﴾، (آل عمران: 81).

5- وعظ النبي أو الأنبياء بعدم الغل (الحقد) على معارضيتهم، وغيرهم من المخالفين، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...﴾ (آل عمران: 161).

6- في وصف مَنْ يؤذون النبي، كل نبيٍّ دون تحديد، قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ...﴾، (التوبة: 61).

7- الآية المعني بها الخطاب بشأن الاستغفار الموجه لكل نبيٍّ كقاعدة عامة دون تحديد نبيٍّ معين، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ...﴾، (التوبة: 113).

8- خطاب وعظ وإرشادٍ عام لكل نبيٍّ دون تحديد، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ...﴾، (الأحزاب: 1).

9- وعظ وإرشادٍ قصد به كل نبيٍّ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ...﴾، (الأحزاب: 6).

10- خطاب وعظ وإرشاد لأهل بيت الأنبياء، وقصد به كلُّ نبيٍّ دون تحديدٍ، بشأن آداب أزواج الأنبياء، قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ...﴾، (الأحزاب: 28).

11- وعظٌ وتحذيرٌ خاصٌّ بنساء الأنبياء دون تحديد نبيٍّ معين، قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ...﴾، (الأحزاب: 30).

12- وعظٌ وإرشادٌ خاصٌّ لنساء النبي، كلُّ نبيٍّ دون تحديد، ولا يعمم على الغير من النساء بالآية الحصرية بقوله: (لستن كأحد)، قَالَ سبحانه وتعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنَّ اتَّقِيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا، وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، (الأحزاب: 32، 33).

13- أوامر ونواهٍ بشأن وجوب دفع المهر، وورود لفظ (أزواجك) قصد به عموم الأنبياء وليس نبي مفرد، قَالَ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ...﴾، (الأحزاب: 50).

14- وعظٌ وإرشادٌ وأحكامٌ بشأن آداب الدخول لبُيُوت النبي، وكل الأنبياء، قَالَ اللَّهُ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ...﴾، (الأحزاب: 53).

15- وعظٌ وإرشادٌ بشأن ثياب نساء النبي، كلُّ نبيٍّ وبناته ونساء المؤمنين على العموم، قَالَ سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ...﴾، (الأحزاب: 59).

16- أوامر وتعليمات للأنبياء وللمؤمنين، قَالَ اللَّهُ سبحانه وتعالى - ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعُكَ...﴾، الممتحنة (12).

17- أوامر وأحكام للنبي والأنبياء دون تحديد، وللناس جميعاً، قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ...﴾، (الطلاق: 1).

18- وعظٌ وإرشادٌ لكل الأنبياء دون تحديد نبيٍّ معين، وكقاعدةٍ عامةٍ لكل الناس، قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ...﴾، (التحريم: 1).

19- دعاء وثناء لله سبحانه والملائكة لكل نبيٍّ، دون تحديد نبيٍّ بعينه، قَالَ تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، (الأحزاب: 56).

20- وعظٌ وإرشادٌ بشأن آداب التخاطب مع النبي وكل الأنبياء، قَالَ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ...﴾، (الحجرات: 2).

21- من آداب بيت النبي قصد به كل الأنبياء حفظ الأسرار فيها قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا...﴾، (التحريم: 3).

22- دعوى لكل نبي بمقاومة ظلم الكفار والمنافقين المعتدين: قَالَ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾، (التحريم: 9).

والشاهد، كما بيّناه سابقاً من سرد هذه الآيات ذكر الصفة الوظيفية للنبي، فكل آية من القرآن الكريم تتكلم عن (نبي)، أو (النبي)، أو (الأنبياء) إنما هو ذكر لفظ وظيفي لشخص المكلف، وهو ما يفهم من مدلول الآيات سالفة الذكر، وغيرها، أما عدا عن ذكر صفته وشخصه فقصده به دون غيره من الأنبياء فلا نقاش في ذلك، حسبما جاء ببعض الآيات، ومن تلك الحالات، نذكر بعضها في الآتي:

- إيضاح وتوضيح بنفي صفة التبني في حياته عن النبي / الرسول محمد - عليه الصلاة والسلام، قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿وَمَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾، (الأحزاب: 40)،
- وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا﴾، (مريم: 41)،
- وَقَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾، (مريم: 51).
- وَقَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾، (مريم: 53).
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا﴾، (مريم: 56)،
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾، (مريم: 30).

4-9 المرسل إليهم وهم الناس والجن:

أما المرسل إليهم فهم جميع الناس من البشر، ويقصد بالناس اللفظ العام الشامل لكل المجتمعات الإنسانية، والقبائل، والأقوام، والشعوب، والأمم من الإنسان الذين عاشوا في الأرض، أو أولئك الذين سوف يستعمروا الكواكب الأخرى خارج الأرض أو عاشوا فيها، ولعلّ أبلغ وصف وصف الله - سبحانه وتعالى - المرسل إليهم، ما جاء في أول سورة النساء، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾، (النساء: 1)، وآية أخرى، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾، (الحجرات: 13). وكثير من الآيات التي ذكرت صيغة الخطاب لكل الناس على سبيل العموم، وهناك الكثير من صيغ القرآن المبينة للتعريف بالمرسل إليهم من بني آدم من الناس، ومن الذين أسلموا لرب العالمين، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ الأعراف (172). ومن الذين آمنوا بالله فزادهم الله هدى ورحمة، ويظهر أنّ هناك صنفاً آخر من غير الإنسان كانوا يتلقون الهداية والإيمان، وهم طائفة من الجن، لم يرسل الله لهم رسولاً خاصاً مكلفاً بهم، بل كانت هدايتهم مرتبطة بما أوحى الله - سبحانه وتعالى للناس عبر الرسل من الملائكة والبشر، فسمع بعضهم ما أنزل الله من الهدى، واتبعوه مؤمنين، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، (الذاريات: 56)، وقد صرف الله - سبحانه وتعالى - نفراً من الجن يستمعون القرآن، كما بيّن ذلك بهذه الآية - وسبق شرحه

بفصل آخر- عن حقيقة إيمان الجن، قَالَ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ، قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ، يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ، وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، (الأحقاف: 29، 30، 31، 32). وهناك الكثير من الآيات في القرآن الكريم تبين من هم المرسل إليهم، بلفظ الخطاب الموجه للناس أجمعين في كل مكان وزمان.

4-9-1 عيسى نبي الله ورسوله:

لقد دار جدلٌ كبيرٌ بين المؤرخين والمفكرين وغيرهم حول خلق عيسى، ووفاته، ورفعته من الأرض إلى السماء، فمنهم من قال إنه مولود لله، وأنه ابن الله، ومن كونه ابن الله فهو إله، فقالوا بمبدأ التثليث للإله، الأب، والابن، والروح القدس، وهذا الكلام يخالف القرآن، والعقل، والفطرة، من نواحٍ عديدة، كما أنه يخالف كلام الخالق الذي جاء بقولٍ فصلٍ في هذا الأمر، كما أن الله تعالى ماثل خلق عيسى بخلق آدم، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، (آل عمران: 59).

ومن الاستدلال الدقيق في مفهوم المماثلة والمقارنة بين خلق عيسى وخلق آدم بحسب ما جاء في القرآن الكريم، فإن آدم أحق بالالوهية إن صحة التعبير بتلك المقولة حول إلهية عيسى لخاصية ومعجزة خلقه من أم من غير أب، ذلك إن آدم خلق من غير أم ومن غير أب، ومن بديع أفاظ القرآن الكريم، أنه ذكر لفظ (كمثل) للمقارنة وتذكر بالاتي: (بأن خلق عيسى عند الله كمثل خلق آدم أو يتمثل به ولا يتساوى به) وختم مشهد المماثلة بين خلق عيسى وخلق آدم بإيضاح بديع وموجز عن أساس خلقهم فكان كليهما خلقا من التراب، وربط نشأة خلقهم بأمر الكينونة وهو أمرٌ منفرد بذاته سبحانه.

وبعد ذلك بين الله - سبحانه وتعالى - مراحل خلق عيسى، ووفاته، ورفعته بعد وفاته إلى الله - سبحانه وتعالى، وهو ما يهمننا في هذا المبحث كون خلقه كان كخلق آدم في الإعجاز، وسوف استعرض لكم كلام الله في الآيات القرآنية المؤيِّنة لحقيقة خلق عيسى - عليه السلام - لما فيها من البيان الدقيق الواضح من سورة مريم:

• قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ مَرِيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا، فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا، قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا، قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا، قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا، قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا. ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا، فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا، فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا، وَهَزَيَ إِلَيْكِ جِذْعَ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا، فَكُلِي وَاشْرَبِي

وَقَرِّي عَيْنًا فَمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ
 إِنْسِيًّا، فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا، يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ
 أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا، فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ
 صَبِيًّا، قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا، وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ
 وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا، وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا، وَالسَّلَامُ
 عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا، ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ
 يَمْتَرُونَ، مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ
 (مريم: 17، 18، 19، 20، 21، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 33، 34، 35).

ومن هذه الآيات نستخلص أهم الأحداث، في الآتي:

الحدث الأول: أرسل الله إلى مريم روحاً منه، تمثل لها بشراً سوياً، يتشابه تماماً من حيث خلقه بالبشر ليهب لها غلاماً متصفاً بالتزكية الخالي من الشر.

الحدث الثاني: تعجب وتسأول مريم عن كيفية خلق ذلك الغلام من دون اتصالٍ جنسيٍّ ككل النساء.

الحدث الثالث: تأكيد الملك - الروح المرسل بأن الأمر على الله هيّن، وجعله معجزةً للناس، ورحمة، وكان أمراً محسوماً بأمر الكينونة للشيء كن فيكون، بأمر من الخالق.

الحدث الرابع: فنفع الملك المرسل من روح الله فيها، كما ذكر في سورة الأنبياء، قَالَ
 اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾،
 (الأنبياء: 91)، والنفخ غير القذف، فالأول حالة خاصة من خواص أمر الخالق في الخلق،
 وتتشابه هذه العملية - بتقديري - مع خلق آدم، بقوله جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ
 مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾، (الحجر: 29) وتكرّر اللفظ في قول المولى جَلَّ جلاله: ﴿فَإِذَا
 سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾، (ص: 72) والنفخ يتقارب مع التلقيح
 الاصطناعي في إخصاب البويضة في رحم المرأة لكنه لا يتساوى به، أمّا القذف فهو فعلٌ
 طبيعي ومباشر وغالباً ما يكون من قبل الإنسان نتيجة الممارسة الجنسية، هذه الحالة هنا لا
 محل لها، بخلق عيسى - عليه السلام، ولزيادة في توضيح هذا الأمر، تعالوا نذكر ما هو
 حاصل اليوم بفضل ما توصل إليه العلم الحديث من إمكانية حمل المرأة، وذلك عن طريق
 إدخال الحيوان المنوي في البويضة في رحم المرأة من غير اتصالٍ جنسيٍّ أو من غير معاشرة
 جنسية عن طريق (التلقيح الاصطناعي)، فيعمل على إخصاب بويضة المرأة، ويصير الحمل،
 أو الإخصاب الاصطناعي وهي عملية أصبحت اليوم من السهولة بمكان، وهو ما يتقارب مع
 حالة النفخ في خلق آدم وعيسى ولا يتساوى معه، إذاً فالأخصاب عن طريق النفخ بأمر الله
 سبحانه، معجزٌ خارقٌ للعادة، والعقل في الزمان، والمكان، والثاني هيّن، ويقارب فعل الحدث
 الأول ولا يتساوى به، ما يجعله هيّناً ويطلق العنان أمامنا نحو التفكير في خلق أنفسنا، وخلق
 عيسى - عليه السلام، أضف إلى أن العلم في تقدّم مستمر في هذا المجال، وبالذات ما توصل

إليه العلماء من إمكانية تخصيب البويضة خارج الرحم، عن طريقة الحمل بواسطة الأنبيب، وهو ما يُعرف بأطفال الأنبيب، كما أن التقدم التقني في مجال الطب قد قطع شوطاً كبيراً في المجال الطبي، ومنها علوم التشريح، وعلم الوراثة، وعلم الاستنساخ، وهي من العلوم المعقدة نوعاً ما، كما أنهم قد وصلوا إلى أبعد من ذلك لما يعرف بالتعديل الوراثي في المخلوقات، في الحيوان، والنبات، ويقال: إن هناك أبحاثاً تجري أيضاً على الإنسان، وهي أبحاث غير أخلاقية - بتقديري - تعمل على التغيير في المخلوقات، ولها من تأثيرات خطيرة على النوع، وعلى الحياة، فإن كلام الله سبحانه ليس ببعيد عن وصف هذا الواقع، حسب هذه الآية، قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا ضَلَّتْهُمْ وَلَا مَنِيَّتْهُمْ وَلَا مَرَّتْهُمْ فَلْيُبَيِّنَنَّ أَذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرَّتْهُمْ فَلْيُغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾، (النساء: 119)، لذلك تبقى مسألة خلق عيسى - عليه السلام - أمراً هيناً، وهو ما يتوافق مع العقل، وينفي صفة الألوهية التي نسبت إلى عيسى كذباً وبهتاناً وزوراً، إذ إنه مخلوق بفعل أمر الكينونة الإلهية الصادر عن الله سبحانه، قَالَ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، (آل عمران: 47)، وَقَالَ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكْ شَيْئًا﴾، (مريم: 9)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾، (مريم: 21).

الحدث الخامس: فحملته في أحشائها بصورة طبيعية، واتخذت من أقصى المكان مخدعاً لها، بعيداً عن أعين المتطفلين فجاءها المخاض إلى جذع النخلة، مصاحباً بالأم الولادة الطبيعية المعهودة، مستغيثة بالله سبحانه الذي جعل تحتها سرياً، وسخر لها من ثمر النخيل من الرطب المستوي، وهنا يجب أن نستوقف لحظة لنستذكر مكان ويوم ميلاد سيدنا المسيح عيسى - عليه السلام، فالمكان هو مدينة (الجليل) من أرض فلسطين بحوض البحر الأبيض المتوسط، ومعروف أن نضج ثمار النخيل في هذا المكان تكون بفصل الصيف، وتحديداً أواخر شهر (آب) وبداية شهر (أيلول) من كل عام، حسب الدورة المناخية الثابتة في الجزء الشمالي من الأرض، ومعلوم أن الدورة المناخية ثابتة، ومستقرة ضمن حقيقة كونية ثابتة منذ الأزل، وحتى يومنا هذا، حسب التقويم الشمسي، ونستنتج من ذلك أن ميلاد سيدنا المسيح كان خلال هذه الفترة، وهي فترة استواء الرطب (ثمرة النخيل) وتحديداً أواخر فصل الصيف وتحديداً في بداية شهر أيلول (سبتمبر) في منطقة حوض البحر المتوسط، وليس كما حدّته جماعة التحريف من أن ميلاد سيدنا عيسى - عليه السلام - كان في أواخر شهر كانون الأول المتجمد بفصل الشتاء، ذلك أن هذا التوقيت لا يستقيم مع نضوج ثمار أشجار النخيل، لشدة البرودة بهذا التوقيت، ولأن أشجار النخيل تحتاج إلى الحرارة المرتفعة في إنضاج واستواء ثمارها، والقرآن الكريم يبيّن حالة مريم أثناء ولادتها لوليدها، بقوله: "فهزي" إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً "فكلي" من تلك الثمرة مستوية كاملة النضج، صالحة، ولا تكون كذلك إلا في أواخر فصل الصيف، من كل عام، كما هو معلوم، وأن ميلاده كان بمدينة الجليل من أرض فلسطين، وهي أرض متاخمة لحوض البحر الأبيض المتوسط.

• قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾، (البقرة: 116).

• قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾، (النساء: 171)

• قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، (الأنعام: 101)

• قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، (يونس: 68)

• قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾، (الكهف: 4) وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبِّرَهُ تَكْبِيرًا﴾، (الإسراء: 111)

• قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، (مريم: 35).

• ثم ناتي لآيات من سورة مريم تفند هذا الافتراء والكذب بصورة مفصلة من الآية (88) وحتى الآية (95) بالتالي: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا، لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا، تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا، أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا، وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا، إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا، لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا، وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾، (مريم: 88، 89، 90، 91، 92، 93، 94، 95).

• وَقَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾، (الفرقان: 2)،

• وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾، (الزمر: 4).

إلا أنَّ طائفة من اليهود وطائفة منهم النصارى والمسيحيين بدّلوا، وحرّفوا، وتقولوا على الله، وعلى عيسى تلك الأقوال، ونسبوا لله سبحانه حالة الولادة، وغيرها من الأفعال التي أقل ما توصف أنها كذبٌ وافتراءٌ محض، ومخالفتٌ لكلام الله - سبحانه وتعالى.

الفصل الخامس

فقه الحلال - تشريع الله وتشريع الإنسان

مدخل:

لقد بيّن الله - سبحانه وتعالى - لآدم وزوجه أمر الإباحة المطلقة في الأكل من الجنة، مع الاستثناء الحصري بالألا يقربا شجرة واحدة، "لا تقربا"، قَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، (البقرة: 35) وهذا الأمر من الأوامر الإرشادية لآدم وزوجه في الجنة، وعلى الرغم من دخول هذا الأمر دائرة النهي عن فعل الاقتراب من الشجرة، فإن ذلك النهي لا يصل لدرجة التحريم، ذلك أن التحريم أمر نهى أعلى يرتب عليه ذنب تتبعه عقوبة في الدنيا أو في الآخرة، وفي آية أخرى قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاه: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصَفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾، (طه: 121). أضف لوصف عملهما بالمعصية فإن تلك المعصية - بتقديري - أقل ما تصنف بمخالفة تستوجب التنبيه محذرا من مغبة تكرارها في المستقبل، فكانت تلك المعصية (المخالفة) سبباً في إظهارهما بالعمل السيئ المخالف للأمر الصادر لهما فبانَت سَوَاتُهُمَا، إذ لا يقصد بالسَّوَاة هنا كشف العورة فكيف تنكشف عورتهم وفي الجنة من كل اصناف الثياب حسبما جاء بالقرآن ومنها قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَخُلُوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ الإنسان (21)، وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مُتَكِنِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ الرحمن (54) وغيرها، وإنما قصد بالسَّوَاة هو فعلهما المخالف للأمر "لا تقربا"، بمعنى أوضح خروجهما عن قواعد التعليمات، والإرشادات المبينة في أساس قاعدة خلقهما، وهو ما يُعرف بقواعد التربية، والأخلاق، أو بحسب ما يطلق عليه اليوم (الكتالوج الإرشادي) قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاه: ﴿فَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾، (البقرة: 37)، ثم توالَت أوامر "افعل" لا تفعل"، ثم أمر "اجتنب"، وقصد به التوجيه، والإرشاد وصولاً لأمر "حرّم"، أو "حرّمت" فكانت هذه الأخيرة محصورةً ومحددةً عن الأفعال والأقوال والاعتقاد، الصادرة عن إنسان وهو ما نبينه في الآتي:

- 1- الحلال على قاعدة الإباحة المطلقة لكل ما هو طيب، مما خلق الله - سبحانه وتعالى - في الأرض والسّماء من الأكل والشراب والأعمال، وغير ذلك.
- 2- "لا" النافية للفعل والمنع، سواءً أكان هذا الفعل قولاً، أو عملاً، أو اعتقاداً، وقد يكون أمراً إرشادياً تأديبياً لبعض أعمال الناس في الحياة، حسب خطاب الله - سبحانه وتعالى - المحدد والمحصور، في القرآن الكريم، مثل (لا تفعل) (لا تشرك) (لا تقتل) (لا تقرب)، وقد وردت مراراً وتكراراً في القرآن الكريم، وهذه الأوامر تصلح - باعتقادي - قواعد وأصول تشريعية لسن القوانين عبر الهيئات التشريعية المختصة من أجل تنظيم حياة الناس في الزمان والمكان بحسب مقتضيات العرف.

- 3- "الاجتناب" وهو أمرٌ حصريٌّ محدّدٌ ورد في القرآن لكريم قصد منه النهي في اتیان الفعل المنهي عنه لعلّة الضرر وليس لعلّة التحريم، وهو أمرٌ إرشادي من قواعد التشريع في سن قوانين لتنظيم حياة المجتمع في الزمان والمكان بحسب مقتضيات العرف.
- 4- التحريم أو الحرام، وهو أمرٌ منع على سبيل الحزم، والإلزام، ويكون على سبيل الحصر والقصر والتحديد، في القرآن الكريم وبلفظ محدد (حرم- حرمت - حرام) وهو أمرٌ على الوجوب في جعل أوامر التجريم قواعد عامة يُسن منها قوانين لتنظيم حياة المجتمع في الزمان والمكان حسب مقتضيات العرف على أن لا تخالف أوامر التحريم .

الحلال: التعريف والمشروعية:

أولاً: التعريف:

الحلال: هو ما أحلّ الله - سبحانه وتعالى - للناس جميعاً من طيبات الرزق، مما خلق في الأرض والسّماء، بل والكون المحيط بنا، فالأصل في التحليل أنّه قائم على الإباحة المطلقة، لكل ما هو طيبٌ من الرزق في الأرض والسّماء على وجه العموم، إنّ فالحلال هو كل رزقٍ طيبٍ من مأكول الطعام، والشراب، أو غيره من النعم على وجه العموم المقرون بصفة الطيب كميزة هامة، لجعله حلالاً مباحاً، وبما يعود بالنفع على الناس، وصفة الطيبات جعلت منه خياراً في أصله، وصفته النفعية التي تعود بفائدتها على الإنسان من نواحٍ عدة، ويرجع أساس الحِلّة فيه لطيبته، وهو ما بيّنه كلام الله سبحانه، وهذا التعريف هو الأقرب لفقه القرآن الكريم حول التعريف بالحلال، وبعيداً عن التعريفات اللغوية والاصطلاحية في فقه المذاهب الإسلامية، حيث عرّفوا الحلال لغةً، واصطلاحاً، وشرعاً، فزادوا الأمر تعقيداً وغموضاً وتوسعوا في التحريم بل ذهب بعضهم في العصر الحالي لتأليف مصنفات من الكتب خاصة بالحلال والحرام (1).

ثانياً: أدلة مشروعية الحلال:

بيّن الله - سبحانه وتعالى - المعنى الواسع والشامل للطيبات من الرزق، ووسّع دائرته المعرفية بأكثر من لفظٍ وصورة مفهومة البيان والمعنى، ومعنيّ بهذا الخطاب الإلهي الحكيم

(1) انظر الحلال والحرام في الإسلام / د. يوسف القرضاوي . الطبعة الأولى 2012م تضمن هذا المؤلف أربعة ابواب وعشرات العناوين جاء في قرابة (560) صفحة حول مضمون هذا العنوان ، وقد ذهب القرضاوي ليعرف الحلال والحرام - والمكروه والمباح ، ثم ليشرعن الحلال والحرام بنصوص من أحاديث العنينة المخالفة للقرآن الكريم ملغيا العرف مقلدا التلمود في توسيع دائرة الحرام بالمخالفة لآيات القرآن ومن بين تلك العناوين الذي حشرها القرضاوي في مؤلفه المزعم نذكر ما تيسر كمثال فقط . التحريم الواسع في المأكولات والمشروبات وأدخال المخدرات والخمر في دائرة التحريم ، توسع في تحريم الثياب والملبوسات فحرم الذهب والحريز على الذكور ، وحرم على المرأة بعض من زينتها كصنّغ الشعر وغيرها ، ثم ذهب للتقولا بالحلال والحرام حول إعفاء اللّجى وتكلم عن البيوت وأقتناء الكلاب والتماثيل والصور والمجسمات وحرّمها ، ثم توسع بتعميم الحرام على الأعمال والكسب مصنفا بعض الأعمال بين الحلة والحرام ووسّع دائر الحرام فيها ما يسمى بفقه المعاملات ، وتكلم عن تحريم بعض الفنون كالرقص ، ووسّع الحرام بحقوق المرأة ، ثم ذهب لتحريم بعض الأعتقادات في الفكر والتفكير ، ثم تحدث عن الحرام في اللهو والالعب وذكر بعض الألعاب الرياضية ، ثم أدخل الحلال والحرام في علاقات الأفراد ، وأخيرا وهو الخطير حشر الحرام في علاقة المسلمين بغيرهم صانعا نفس ما صنّعت جماعة التحريف بحصر الإسلام وشخصنته ثم ذكر أهل الذمة وهو مصطلح مذاهب العنينة ويتعارض مع التساوى في الخلق لكل الناس .

كل إنسان على الأرض، ومن ثم فالخطاب القرآني موجّه لكل النَّاس بفطرتهم السليمة من خلال آيات القرآن ننسخ بعض منها بالآتي:

- وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾، (البقرة: 168).
- وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾، (المائدة: 88).
- وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَدْنَى لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾، (يونس: 59).
- وَقَالَ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾، (النحل: 114).
- وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾، (النحل: 116).
- وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾، (طه: 81).
- وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾، (المؤمنون: 51).
- وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾، (المائدة: 4).
- وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، (المائدة: 5).
- وَقَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾، (الأعراف: 32).
- وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿... وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ﴾، (الأعراف: 157).
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾، (يونس: 93).
- وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾، (النحل: 72).

• وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾، (الإسراء: 70).

• وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿... وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُم فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، (غافر: 64).

• وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾، (الجاثية: 16).

ومن الملاحظ أنَّ لفظ الرزق الطيب، أو الطيبات من الرزق عامل مشترك في أغلب الآيات، بل يعدُّ شرطاً لحِلَّةِ الرزق، ولفظ الطيب الحلال عكسه الحرام أو الخبيث، أو القذر، أو الشيء القبيح وقد كان الخطاب القرآني كان واضحاً مرشداً جميع النَّاس إلى الرزق الطيب الحلال، الذي يجلب المنفعة للإنسان، والابتعاد عن الأشياء الخبيثة القبيحة، التي تتأفَّف النفس وتنفر منه الطبيعة البشرية.

ولما كان الحلال عام وواسع الاستخدام في حياة النَّاس على مرِّ الأزمان والعصور، كان من الواجب على النَّاس في كلِّ زمان ومكان تقنين هذا الحلال، وتنظيمه وفقاً لفعل الديمومة في التطور المعرفي لحياة الإنسان، ووفقاً للقواعد الأخلاقية السائدة، والمتوارثة عبر الأجيال قديماً وحديثاً، ومن قواعد الأخلاق المتعارف عليها بين الشعوب والأمم في الأرض هي جميع فضائل الإحسان، والمعروفة في كلِّ الأعمال التي تتوافق مع قيم الخير، والمتعارف عليها بين النَّاس بفطرتهم السليمة، التي جُبلوا عليها منذ الخليقة الأولى، بتعليم آدم لأسماء المعرفة بالعلم، وهو ما نستخلصه من الآية الكريمة، قَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، (البقرة: 35). وكلمة (رغد) تضيف على حِلَّةِ الشيء الطيب فتزيده اكتمالاً ونضوجاً، والآية الأخرى تزيد الأمر وضوحاً، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾، (النحل: 112)، ولذلك كان الأمر الصادر من الله - سبحانه وتعالى - لآدم بالإقبال على الرزق الطيب الرغد، والنَّهي عن الأكل من الشجرة، وذلك من قبيل الأمر الإرشادي، وليس من قبيل التحريم، وبينهما فرق كبير، بالإضافة إلى أنَّ الحرام أو التحريم يعدُّ أمراً جازماً وحاسماً ومحدد حصراً، لا تخيير فيه؛ لحكمة اقتضاها الله تعالى ولعلة في الشيء المحرم، فلا يقبل معها النقاش أو التخيير، إذ يعتبر الحرام مقيداً للحلال والإباحة، أضف إلى أنَّ المعرفة الإنسانية التي علَّمها الله - سبحانه وتعالى - لآدم كانت بمثابة قاعدة البيانات، الأساسية للكثير من الأفعال، والأقوال، والمعرفة، حسبما يُسمَّى بالعُرف والأعراف، وما اعتاد النَّاس على فعله في تنظيم شؤون حياتهم اليومية والتصرفات والخبرات التراكمية، فأصبح العُرف عنصراً هاماً في تقنين المباح من الحلال، في كلِّ زمان ومكان، فتارةً يأتي العُرف بتقييد الحلال، بل ويمنعه، فلا يصل المنع هنا للتحريم.

والعُرف هو مجموعة القواعد التي اعتاد الناس على ممارستها، وفطر عليها الإنسان منذ الخليقة الأولى، على الأرض، وقد عبّر القرآن الكريم عن ذلك بالقول الواضح في سورة الأعراف قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾، (الأعراف: 199)، بل سُمّيت هذه السورة بهذا الاسم لأهمية العُرف، ومكانته في حياة المجتمعات والشعوب، الذين أجمعوا على أنَّ الأعراف المجتمعية هي أساس القوانين التي تُنظّم حياة الأفراد على مستوى القبيلة والعشيرة، بل والدولة، وكذلك على مستوى العلاقات الدولية بين الشعوب والأمم، ومن نافلة القول أنَّ القواعد العرفية ارتبطت ببعضها، وتطورت كما أسلفنا حتى وصلت إلى نُظُم قانونية مكتوبة، وظيفتها الأساسية هي تقنين استخدام المباح، فكان من اللازم على كلِّ مجتمعٍ تنظيم شؤون حياته، عبر سنِّ تشريعات، وقوانين وقرارات عبر سلطاتهم المخوّلة، لوضع ضوابط وقواعد أمرّة، تنظّم كيفية استخدام واستغلال الحلال المباح من الرزق بصورة حسنة وطيبة، ولا يفهم من التقنين والتنظيم تحليل الشيء أو تحريمه، بل هو وضع ضوابط أمرّة مُلزِمة للفرد والجماعات بكيفية استخدام الحلال من الرزق الطيب، واستغلاله على الوجه الأكمل، بما يؤدي للمنفعة دون ضرر، مع التأكيد أنَّ التحريم أمرٌ خاصٌّ ومنفرد بالله - سبحانه وتعالى، مع الإشارة بالقول إنَّ الإنسان أنتج العُرف بأمر الله سبحانه، ومنه اقتبست النُظُم القانونية التي تمثّل أعلى قيمة فكرية متغيرة لكل زمان ومكان، وقد وُظِّفت في تنظيم الحياة على الأرض، وعلى الكون بل والأكوان المحيطة بنا، كما تجدر الإشارة إلى أنَّ سياق التحليل في خطاب الله - سبحانه وتعالى - انصبَّ على كل ما هو من طيبات الطعام والرزق، بما فيها جميع المشروبات، على اعتبار أنَّها مباحة على الجملة، غير أنَّ الله تعالى نظّم بعض المشروب، وقنن عملية تعاطيه، كما في الخمر، وهو المشروب الوحيد الذي حظي من كلام الله - في القرآن بتنظيم تعاطيه، حسب ما سيأتي تفصيله:

الخمر ومشروعيتها:

التعريف والمشروعية: بعيداً عن تعريفات فكر المذاهب الإسلامية، فالخمر من المشروبات المُسكرّة التي اصطنعها الإنسان منذ القدم، والخمر نعمةٌ حسنةٌ منحها الله - سبحانه وتعالى - لعبادة واصفاً إياها بالأنهار في كوكب جنة عدن، وعن الخمر في الأرض فقد وضع حزمة من التشريعات في آيات القرآن الكريم وهي عبارة قواعد للتشريع حول الخمر وترتيب تلك القواعد من القرآن نوضحها في الآتي:

- قواعد من القرآن تفيد حلة شرب الخمر
- قواعد من القرآن تفيد تنظيم وتقنين الخمر (الأجتناب)

قواعد من القرآن تفيد حلة شرب الخمر:

جاء كلام الله سبحانه في القرآن الكريم فذكر الخمر بآية صريحة، قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾،

(النحل: 67)، ومدلول الآية وضع الخمر على قاعدة الإباحة للناس في الحياة الدنيا من خلال فقه الآية أعلاه بوضوح ميسر .

وَأَمَّا حِلَّةُ مشروعاته في الآخرة حسب هذا الآية، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾، (محمد: 15).

أولاً: بيّن الله - سبحانه وتعالى - في القرآن الكريم أنّ الخمر حلال، وأنه مباح للناس، حسبما جاء صراحةً في سورة النحل الآية (67) أعلاه، والتي تبين اتّخاذ السكر من ثمرات النخيل، والأعقاب، ثم أشار صراحةً بما ضرب الله من مثل الجنة التي وعد الله عباده المتقين بإعطائهم أنهاراً من خمر، موصوف بلذته للشاربين في الآية (15) من سورة محمد أعلاه، فكان الخمر شراباً شائعاً منذ العصور القديمة (العهد البابلي) (1)، و(العهد المصري) (2)، وغيره من الأزمنة، وعصور الأنبياء والرُّسل، وقد أوضح الحق - سبحانه - حِلَّةَ تعاطي الخمر في الدنيا والآخرة (الجنة)، غير أنّ جماعة التحريف نسبوا كثيراً من الأحاديث لمحمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قضت بحرمة الخمر، بل زادوا القول إنّ الاجتناب أشدّ حرمةً من التحريم ذاته، ووضعوا الخمر في دائرة التحريم المطلق، وصنّفوه بأئمّ الكبائر، وجعلوا الخمر من حدود الله، وقرّروا عقوبة الجلد (أربعين) جلدةً والضرب بالأحذية والدهس بالأرجل حتى الموت، لمن يتعاطاه ويكرر تعاطيه، وكان هذا التحريم بحُججٍ مختلفة، بأحاديث العنينة والقلقلة، منها التدرُّج في التحريم، وأحكام النَّاسخ والمنسوخ، وغيرها، فجعلوا المسلمين ممّن يتعاطى هذا الشراب يشعرون بالذنب أو يشربه جلسة، خوفاً من العقوبة الحديّة التي فرضوها، بالإضافة إلى ازدياد المجتمع له والشعور بالذنب كونه لا يرضي الله - سبحانه وتعالى، وكثيرٌ من النَّاس تعرّضوا للأذى بسبب ذلك، على أنّ الله تعالى قد أورد جملةً من الإرشادات حول كيفية تعاطيه، ومن بديع الترتيب والتنظيم والتوضيح في آيات القرآن الكريم، والتي توضّح بعضه بعضاً بأن جعل لفظ إباحة الخمر واضحاً لا لبس فيه، بآيات من كتاب الله سبحانه سبق ذكره، ووفقاً لما بيّن الله تعالى في سورة محمد أعلاه تعالوا معي إلى سورة النحل من الآية (65) إلى (69). التي تفصّل الآيات السابقة، وتوضّح الأشربة وتقسّمها إلى أربعة أصناف، هي نفس الأصناف السابق ذكرها في سورة محمد، وكأنّ الله - سبحانه وتعالى - يريد القول لنا: إنّ النعم التي أنعمتها عليكم في الدنيا سيكون لكم في الآخرة مثلها، بل وأفضلها من حيث جاهزيتها للشرب، من دون تدخلٍ منكم من حيث الإعداد والتجهيز، يظهر ذلك من وصف الله تعالى، وقوله (غير آسن) للماء، (ولم يتغير طعمه) للبن، (ولذة للشاربين) للخمر، ووصف (مصقّى) للعسل.

(1) انظر سريعة حمورابي / ترجمة محمود الأمين - الطبعة الأولى 2007م - القسم السادس المواد من (108 - 111) تنظم ساقية الخمر

(2) انظر القرآن الكريم سورة يوسف - النص التالي على لسان نبي الله يوسف: (قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَمَا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ فَضَيَّ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ يوسف (41).

ثانياً: ولمزيد من التفصيل والتوضيح، حسب الترتيب الوارد في الآية التالي من سورة النحل، قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ، وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ، وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ، وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ، ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، (النحل: 65، 66، 67، 68، 69). ذلك أن مجمل آيات القرآن السابقة تتحدث عن أنواع الشراب مبتدئاً بالماء، ثم اللبن، ثم الخمر، وانتهاء بالعسل، وهو ما نشرحه بمزيد من التفصيل في الآتي:

الماء: بين الله أهمية الماء المنزل من السماء، من كونه عنصراً مهماً وأساسياً لإحياء الأرض بعد موتها بين دورة حياتها المناخية، شتاءً وصيفاً، بل وجعل الماء سبباً لكل شيء حي في الحياة.

اللبن: بين الله تعالى كيفية تكوينه، واستخراج اللبن من بين فرثٍ، ودم، وهو وصفٌ دقيقٌ لتكوين اللبن من بين الدم، وفضلات الحيوان ابتداءً، وانتهاءً بتعاطيه شراباً سائِغاً للشاربين.

الخمر: بين الله كيفية اتخاذه سَكْر من ثمرات النخيل، والأعْنَاب شراباً مُسْكِراً، والقول في الآية "تتخذون" اختصاراً لطريقة إعداده وصناعته، ابتداءً وانتهاءً بشربه مُسْكِراً، ثم اختتمت الآية بربط تلك الأعمال بالتعقل فيه، من دون مبالغة في ذهاب العقل، بقَوْلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿...إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، (النحل: 67)، بمعنى آخر: يُفهم منه أن تعاطي الشراب المُسْكِر يجب ألا يتجاوز حدود إخراج العقل عن وظيفته في الإدراك، والشعور، والأمر هنا للوجوب بقصد التنظيم وليس للتحريم، ومن عجائب قدرة الله سبحانه ابتداءه بذكر النخيل، وهو ما يتوافق مع الواقع من وجود شجرةٍ من أصناف النخيل، تسمى (شجرة الطاري) يستخرج منها شرابٌ سائلٌ شفاف اللون يُسْكِر من يشربه، بمجرد استخراجه من تلك الشجرة، وهذه الشجرة لا زالت موجودة حتى يومنا.

العسل: بين الله تعالى كيفية تكوين واستخراج العسل من بطون النحل، إذ يبدأ بقول الله سبحانه بإلهام النحل عن طريق الوحي، ومن نافلة القول: إِنَّ الوحي من الله تعالى لا يكون إلا للرسول والأنبياء والملائكة، ولشيءٍ مهمٍّ وعظيمٍ ومع ذلك أوحى الله - جل جلاله - للنحل، مبيناً كيف تبني حياتها، وطعامها المتنوع، حتى يصير شراباً مختلف الألوان، يخرج من بطونها شراب للناس؛ لما فيه من الشفاء، وعلينا أن نقف على لفظ التأدّب في القرآن الكريم، وحكمة الله - سبحانه وتعالى - بقوله يخرج من بطونها، إذ المعلوم أن الإخراج من البطن يكون غالباً من الأشياء المستقدرة، تتأفف منه النفس، لكونه من الفضلات، باستثناء ما تخرجه النحل من بطونها، فيكون شراباً طيباً مختلفاً ألوانه، تتهافت الأنفس عليه لطيب طعمه، ولما فيه من الشفاء للناس، فسبحان الله الذي أعطى كل شيء خلقه، ثم هدى.

والخلاصة لما سبق استعراضه في هذا السياق: فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَيَّنَّ أَنَّ هَذِهِ الْمَشْرُوبَاتِ ذات نفعٍ عامٍ للناس على الجملة، ولم نجد ما يشير فيها للتحريم مطلقاً.

ثالثاً: أورد القرآن الكريم قصةً دراميةً جميلةً لسيدنا يوسف - عليه الصَّلَاة والسَّلَام - الموصوف بتفسير الأحلام، وهو بمصر، حيث كان نزيل السجن لبضع سنين، فجاءه صاحب السجن يريد تفسير حلم رآه في المنام، ففسَّر له سيدنا يوسف - عليه السَّلَام - الرؤيا بما يفهم من سياق القرآن الكريم، قَالَ جَلَّ فِي غَلَاةٍ: ﴿يَا صَاحِبِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ، وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾، (يوسف: 41، 42)، ومن سياق الآية السابقة نفهم منه الآتي: (... أنك ستخرج من السجن، وبعد خروجك ستعمل ساقى ربك خمرًا (الملك)، وطلب منه أن يذكره عند ربه، لما حلَّ به من ظلم، بمعنى يتشفع له في رفع الظلم عنه بسبب إدخاله السجن ظملاً دون ذنب، في دولة ملك مصر الذي يتعاطى الخمر) والمعلوم أنَّ سيدنا يوسف من أنبياء الله المخلصين، ولو كان الخمر حراماً لما طلب من رفيقه في السجن أن يذكره عند ملك مصر الذي يتوجب زجره لفعله المنكر ونهيه عن شربه للخمر، ولأستكره أن يكون مستشاراً خاصاً للملك الذي يشرب الخمر، بل على العكس من ذلك كان رجاء يوسف التودد للملك كما جاء في الآية ويفهم ضمناً أن شرب الخمر أمر شائع وغير محرم، فقد طلب من الملك بعد خروجه من السجن العمل معه وهو يعلم أنه يشرب الخمر، وأن يكون على خزائن الأرض من أجل انقاذ الناس من المجاعة المحققة قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾، (يوسف: 55)، ومكَّن الله ليوسف في دولة ملك مصر مما يشاء، وهو يعلم مسبقاً أنَّ شرب الخمر أمر شائع في مملكة الملك، ولم يذكر حرمة الخمر من أي باب من أبواب التحريم، ذلك أنَّ عِلَّةَ تحريم الخمر لا محل لها في عموم وخصوص القرآن من كلام الله الثابت الأزلي في الحياة، قَالَ جَلَّ فِي غَلَاةٍ: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾، (يوسف: 56).

رابعاً: الخمر ومنافعه للناس، ذكر الخمر في محض الإجابة على سؤال ورد بكلام الله في القرآن الكريم بقوله اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾، (البقرة: 219)، والسؤال والجواب عليه في القرآن كان وما يزال من أجل الأثر لقضية مهمة في المجتمعات الإنسانية قديماً وحديثاً حول إثم ومنافع الخمر، فكان الردُّ واضحاً يحمل إجاباتٍ محددة عن الخمر والميسر، وأود التنويه إلى أنَّ هذا الآية تؤخذ دائماً مجتزئاً كدليل على وضع الخمر في دائرة التحريم من جماعة التحريف، رغم وضوحها باقترانها بالميسر، وهو المقامرة بالمال، ذلك أنَّ محور السؤال يدور حول ارتباط الخمر بالميسر، ولما لهذا الارتباط من علاقة سببية في مضاعفة الإثم على المنفعة التي يجنيها الإنسان منهما فكانت مضنة الاثم أكبر حسب الإجابات التالية:

الإجابة الأولى: لا تجتمع المنفعة مع التحريم مطلقاً، بعموم وخصوص القرآن الكريم، وهذا ردُّ كافٍ على مَنْ يتقول بحرمة الخمر أو الميسر أو كليهما معا.

الإجابة الثانية: الخمر والميسر فيهما إثمٌ ومنفعة، والإثم ورد تعريفه في القرآن الكريم بصيغٍ متعدّدة منه الظاهر، والباطن، والإثم الكبير، والإثم الصغير، كالقول إنّ بعض الظن إثم، حسبما ورد في الآية (12) بسورة البقرة قَالَ جَلَّ فِي عَلَاهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ...﴾ الحجرات (12)، من القرآن المفصّل المبين، والذي يبيّن اقتصار الإثم على فاعله، وقد يمتد لآخرين بفعل السبب، ومعلوم أن كثير من الناس يقعون بدائرة الظن بصورة متكررة.

الإجابة الثالثة: إثمهما أكبر من نفعهما، وبقياس حجم الإثم إلى حجم المنفعة في هذه الآية، سنجد أنّ الإثم يطغى على المنفعة التي تجنى بتعاطي الخمر، ولعب الميسر (القمار)، لذلك كانت مظنة الاجتناب أقوى من المنفعة، أمّا عن إثمهما، وما ينتج أثناء تعاطي الخمر ولعب الميسر (المقامرة بالمال)، وما قد تفعل نشوة الخمر في إهدار المال في غير منفعة، وما ينتج عنه من ضغينة، وإفساد في توظيف وكسب الأموال التي يخسرها أو يكسبها المقامر المخمور، لذلك كان إثمهما على المقامر المتعاطي للخمرة أكبر، وأفدح بدائرة الفعل المحددة، لذا فالأمر بالانتهاء أنفع وأجدى من السير في هذا الطريق المحفوف بالمخاطر، ولم تكن علة الإثم تستند إلى علة التحريم مطلقاً، والمسألة إذن نسبية، ومع ذلك فالأمر متروك للناس لتنظيم هذا الأمر حسب دراسة اجتماعية علمية للواقع الاقتصادي المعاش، لكل مكان وزمان، ومن مجتمع لآخر، للخروج بنتائج مرضية للفرد، والمجتمع، ومن أجل وضع تشريع أو قانون يصدر عن سلطة مختصة ينظم ذلك، والسؤال الذي يفرض نفسه هنا: هل يكون الإثم أكبر إذا تعاطى الإنسان الخمر دون الميسر؟ والإجابة "لا" باعتقادي: ذلك أنّ ذكر الخمر منفرداً، جاء على سبيل الحجة والإباحة، وليس فيه من الإثم أو الحرمة وهو القول الراجح لدي.

قواعد من القرآن تفيد تنظيم وتقنين الخمر (الاجتناب).

جاء القرآن الحكيم بآيات من قواعد تنظيم تعاطي الخمر في الدنيا، عبر سلسلة من الإرشادات والتوجيهات، غير أنّه ثار جدلٌ واسعٌ في هذه الآيات ما بين التدرج في التحريم والناسخ والمنسوخ حول الخمر لدى فقهاء مذاهب العننة، ولن نجاريهم في هذا الجدل، بل سنذهب بكم إلى الآيات من كلام الله الميسر من القرآن الكريم لفقه مشروعية الخمر من عدمه، فالقرآن بيّن بياناً واضحاً وآخر ضمناً عن مشروعية حلة شرب الخمر بصورة منفردة كما أوضحنا سابقاً، وأمر آخر بالاجتناب من شرب الخمر مقروناً بأفعال أخرى، قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، (المائدة: 90)، وأمر الاجتناب هنا في هذه الآية لا يفيد التحريم وإنما هي آية تفيد المنع بغرض التنظيم والإرشاد والتوجيه المفضي للاجتناب، وليس للتحريم، وهذا الأمر يعد قاعدة تنظيمية قصد منها إلهام المشرع بوضع تقنين من القانون أو التشريع يضع

الخمير والميسر والأنصاب والأزلام مجتمعين في خاتمة التقنين بالمنع للضرر المعول عليه لفاعله وعلى الغير، فأمر الاجتناب لا يخصّ الخمير منفرداً، بل يجمع معه أو يقرنه بغيره من الأعمال، مثل الميسر، والأنصاب والأزلام، مجتمعين، فذلك يعدّ رجساً من عمل الشيطان، على الإنسان اجتنابها؛ لما لهذه الأعمال من أضرار على المستوى الشّخصي بدرجة رئيسة، أو على مستوى العامة، ولذلك كان أمر الاجتناب واضح بقوله تعالى: "فاجتنبوه" والاجتناب كما قلنا أمر نهى إرشادي، لا يصل أبداً إلى مستوى أمر التحريم، ولا يترتب عليه عقوبة مكتوبة في القرآن، ذلك أنّ الحرام جاء بصيغة ولفظٍ محدّد بقوله تعالى: "حرّم عليكم"، أو "حرّمت عليكم" وأصل الحرام في الشيء لذاته ولغيره، وكل المحرّمات حُدّت حصراً وقصراً على بعض الأطعمة المأكولة دون المشروب، والحرام أشدّ أنواع المنع في سلّم الأوامر الصادرة عن الله تعالى، الذي بيّن أنّ الحرام أمر قطعي بحسب ما جاء من القرآن يقتصر على ما حرّم الله من المأكولات وغيرها حصراً وقصراً ولا يقاس عليها، ولم يرد لفظ تحريم واحدٍ على أيّ من المشروبات نهائياً، كما أسلفنا وحسب ما سيأتي توضيحه.

إذن فالاجتناب أمر نهى إرشاديّ توجيهي يفيد التنظيم والتقنين ليس إلا، ولمزيد من توضيح لفظ الاجتناب في بعض آيات القرآن الكريم، فقد بيّنه الله تعالى في آياتٍ محدّدة من القرآن الكريم ننسخ منها بالآتي:

- قَوْلَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾، (النحل: 36).
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿... فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾، (الحج: 30).
- وَقَوْلَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾، (الزمر: 17).
- وَقَوْلَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾، (الحجرات: 12).

وقد ورد أمر الاجتناب في مواضع متعدّدة من القرآن الكريم بما سلف بيانه، ولم يكن أمر الاجتناب لعلّة التحريم، لوقوع النَّاس فيه بحياتهم اليومية، كقول الزور، وسوء الظن، والتبرك بالقبور، الذي يعادل الواحدة منها الأربعة الأشياء المأمور اجتنابهن من الخمير والميسر، والأنصاب، والأزلام، ومع ذلك فلا يصل هذا الأمر بالاجتناب إلى مستوى التحريم أبداً.

ولمزيد من التوضيح فإن الله سبحانه أمر المؤمنين أن يجتنبوا أفعالاً محدّدة ومرتبطة بعضها ببعض في وقتٍ واحد، يدخل الخمير في أحدها، بل أولها، قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، (المائدة: 90). وإذا ما رتبناها حسب ترتيب الآية:

1- **الخمير:** ويقصد به شراب يتخذ بالعصر والتصنيع، ويكون من ثمرات النخيل، والأعقاب وغيرها، ويخزن لأيام أو لسنوات حتى يصبح خمراً مُسكرًا، وهو ما يُطلق عليه الشراب المعتق؛ لتركيز الكحول فيه بنسبة عالية.

2- **الميسر:** ويقصد به المقامرة بالمال في نوادي القمار.

3- **الأنصاب:** ومفردها (نصب) ويُقصد بها ما ينصب أو ينحت من الحجارة أو غيره، فينصب على أشكال محددة، كأصنام اعتقاداً بأنها إله يُعبد، ويُذبح عليها من الحيوانات، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ... وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾، (المائدة: 3).

4- **الأزلام:** ويقصد به حساب اعتقادي بالأفلاك والنجوم، بقصد التنبؤ بعلم الغيب، وهو فسق، وقد بيّنته الآية (3) في سورة المائدة، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ... وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَ فِسْقٌ...﴾، (المائدة: 3).

ويبين الله - سبحانه وتعالى - حالة ارتباط الخمير بالميسر، وأنهما مجتمعان يشكلان ضرراً فيمن يتخذه طريقاً لامتهان الرزق واللهم بهما، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾، (المائدة: 91)، فكان ضررهما مرتبط كما هو واضح بانتشار العداوة، والبغضاء، والتلهي عن ذكر الله، وعن الصلاة لانشغال المؤمن بتعاطي الخمير، ولعب الميسر، وما قد يتسبب في ضياع الوقت، وهدر المال، والصحة وهي أسمى ما يمكن المحافظة عليهما في الحياة، بل وأكثر من ذلك، أنهما يشكلان خطراً على الفرد والمجتمع معاً، بكثرة انتشار دور القمار ما يؤدي للفساد المالي المحقق، أضف إلى انخراط الناس في هذه النوادي، الأمر الذي يتسبب في ضياع الحرف والمهن، والأعمال التي تعين على الكسب والتكسب، والعلة بالاجتناب تعود للضرر الحاصل، وليس لعلّة التحريم وهو ما نكرره للتمييز والتأكيد.

ولنا في بيان الآيات من سورة المائدة، عبرة أخرى فمن خلال قراءتنا للآية من رقم (90) إلى الآية (93) حول الخمير، والميسر، والأنصاب والأزلام، والاستثناء الوارد فيه، بالآية بقوله - سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ، وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ، لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، (المائدة: 90، 91، 92، 93).

إذ إن الاستثناء الوارد في الآية (92) بكلمة (ليس) على الذين آمنوا جناح فيما طعموا - تذوقوا بغية الشراب، ومحل الاستشهاد في الآية عن تذوق الخمير؛ كونه الشيء الوحيد المشروب من بين الأشياء المذكورة في الآيات السابقة من سورة المائدة، بينما الميسر والأنصاب والأزلام من قبيل الأعمال، وليس فيهما شيء يشرب حتى يُطعم، وربط تعاطيه بالتذوق كدليل آخر واضح وصريح على حلة تعاطيه أولاً ثم قنن بعدم الإكثار من شربه، بمعنى أن حدّ الشرب فيه يكون بقدر الطعم أو دونه قليلاً، ثم أورد جملة من التحذيرات، أو إن

شئت قلت جملةً من الآداب بحسب الآية إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات، ثم اتقوا وآمنوا، ثم اتقوا وأحسنوا، والله يحب المحسنين، وهذا من باب الحرص الشديد في تنظيم تعاطي الخمر؛ ومن أجل إرشاد الناس لتقنين تعاطيه، بوضع حُرمةٍ من الضوابط القانونية الملزمة لمن يرغب بتعاطيه حتى لا يصل إلى درجة إذهاب العقل، والخروج عن المألوف، ومنع الإدمان، ولكي لا يشكل ضرراً على المتعاطي وعلى الآخرين، خلافاً للقاعدة التي ذكرناها سابقاً، وبينها الله - سبحانه وتعالى.

النهي عن السُّكْرِ في الصَّلَاة تأديباً:

جاء كلام الله - سبحانه وتعالى - بلغةٍ سهلةٍ ميسرة الفهم، وبما يشير إلى قِمة التأديب، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ...﴾، (النساء: 43). والآية تخاطب المؤمنين من الرجال والنساء بلفظ (لا تقربوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى) من خمرٍ، أو سكارى من همٍّ وغمٍّ، أو سكارى من شيءٍ مُسكِّرٍ غير الخمر، ليس لكونه حراماً، بل لكي تعلموا ما تقولون أثناء قيامكم للصَّلَاة والنهي بـ "لا" لا يفيد التحريم، بل يفيد التنظيم والتأديب في الصلاة.

الفصل السادس

فقه الحرام - تشريع الله الخالص

التعريف والمشروعية:

بعيداً عن التعريف اللغوي والاصطلاحي والشرعي، لفقهاء مذاهب العننة حول الحرام، الذين أوردوا عدداً من التعريفات للحرام، وتوسعوا في التحريم، خلافاً لما جاء في القرآن الكريم، وجعلوا مشروعية ذلك التحريم بما دسوا من نصوص أحاديث العننة والقلقلة وغيرها، فزادوا الأمر تعقيداً وغموضاً، مما التبس على الكثير من الناس معرفة الحرام ومعرفة نص التحريم وقواعد التحريم، مع أن الله سبحانه قد بيّن الحرام بياناً مفصلاً ومحدداً، فقد ورد تعريف الحرام ونص التحريم حصراً ووصفاً في كلام الله - سبحانه وتعالى - بلفظ صريح وواضح، ولذا يعرف الحرام بأنه أمرٌ صدرَ عن الله - جل جلاله - وورد في القرآن الكريم، بلفظ: "حَرَّمَ" أو "حُرِّمَتْ"، ويكون على سبيل المنع والحصر والقصر، والتحديد للشيء المراد تحريمه لذاته دون غيره ولا يقاس عليه، سواءً أكان هذا الشيء المحرّم قولاً، أو فعلاً، أو حكماً أو اعتقاداً، إذ إنّ التحريم أو الحرام هو الاستثناء من قاعدة الحلال والإباحة، وقد ورد التحريم بصورة مفصلةٍ ومحددةٍ لذاته، ولا يمتدُّ لغيره، ولا يُقاس عليه مطلقاً، أو يتعدّى عليه بالزيادة أو النقصان لذلك، فإله - سبحانه وتعالى - قد فصل ما حرّم تفصيلاً دقيقاً بقواعد محددة منعاً للالتباس أو الاجتهاد أو القياس أو ما شابه ذلك، وقد بَلَّغَ الله سبحانه هذه المحرّمات لعباده عبر الرُّسل والأنبياء، ابتداءً من آدم وزوجه، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى وحتى خاتم النبيين، محمد عليه الصّلاة والسّلام، فالحرام ما حرّم الله تعالى ابتداءً وانتهاءً، والله - سبحانه وتعالى - هو المشرّع الوحيد للحرام، بأدلة من الآيات المحكمات من كلام الله، الذي احتوى على الرّسالة السماوية الواحدة وجاء لفظ التحريم منذ عهود الأنبياء والرسل من (صحف إبراهيم وموسى، والتوراة، والفرقان، وزبور داوود، وإنجيل عيسى - والقرآن)، وهو ما يُعرف بمشروعية التحريم أو مشروعية الحرام (قواعد التحريم).

وقد بيّن الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم الأشياء والأفعال والأقوال المحرمة حصراً ووصفاً، وأمر الأنبياء والرسل جميعاً، فكانوا أول من التزم من النّاس بما حرّم الله - سبحانه وتعالى، وبذلك لا يصح القول إنّ الرّسول بشخصه هو المشرّع للحرام، فذلك خطأ كبيرٌ في معرفة حقيقة وظيفة الرّسول المحددة بكلام الله بما سلف بيانها، إذ إنّ مهمة الرّسول إبلاغ النّاس هذه المحرّمات الصادرة عن الله المشرّع، لذلك يجب على الناس إعمال المعرفة والعلم بلفظ ونص التحريم وجعله ضمن قواعد التشريع القانون، بمعنى فلسفة نص التحريم وفهمه لما يحقق الغرض منه لوضع نصوص من القانوني من أجل تنظيم حياة النّاس في كل زمان ومكان وبما لا يتعارض مع نص التحريم.

وإذا ما عُذنا إلى قراءة كتب الفكر الديني والقانوني القديم، سنجد أنّ شريعة اليهود، وشريعة حمورابي وسّعوا دائرة التحريم بصورة كبيرة جداً خلافاً لما أراد الله سبحانه، خاصة فيما ورد من نصوص في توراة العبرانيين- وبما ورد في التلمود (المشناً- الجمارا) بما اشتملت عليه تلك المصنفات من العناوين وغيرها، ولم يكن المسلمين بعد بعثة النبي محمد عليه السلام بعيدين عن تأثير هذا الفكر وكتبهم، فقد دسّت جماعة التحريف جملةً من تشريعاتهم بفقه المذاهب الإسلامية، المليء بأحكام الحرام والتحريم في مختلف المذاهب، والفرق، والطوائف الإسلامية، فجاءت كتب مذاهب الفكر الإسلامي على نفس شاكلة التلمود، وزادوا على ذلك بتكفير وتفسيق وتبديع من يعارضهم، فخلقوا لنا فكراً مضاداً ومتصادماً مع بعضه بعضاً، ومع القرآن الكريم الذي فصل قواعد ما حرم الله سبحانه - في الوقت الذي استخدم لفظ الحرام على فكر المعارضين السياسيين فأنتج حالةً من الانقسام الحاد في المجتمعات المسلمة متعدد المذاهب، بل وفي المجتمع الواحد ذي المذهب الواحد، مما أدّى إلى تكفير وتبديع فكر الآخرين وتفسيقهم، واستباحة الدماء، والممتلكات بين مختلف المذاهب والفرق والجماعات، لمجرد الخلاف في الرأي الذي يواجهه بالتحريم، وما زال هذا الحال جاثماً ومخيماً على المنطقة العربية والإسلامية، بل والعالم حتى يومنا هذا، فخلق حالة من الحقد والعداء والكراهية والاقتتال والعقم الفكري والجهل المتولد عنه مذاهب شتى من الإلحاد والكفر في كل ما هو من الدين، وتلك هي الكارثة الحقيقية التي سيواجهها الشباب في العالم جراء هذا التناقض في نصوص التحريم أو إطلاق لفظ الحرام على عواهنه بفتوى شيخ أو خطبة رجل يدعى أنه من الدين ما لم نفيق من هذه الدوامة.

والحقيقة الصادمة أن فكر المذاهب الإسلامية بما يحمل من التحريم والتكفير قد عُمم على الإسلام خاصة وصبغه بها، وقد آن الأوان لبيان نص التحريم حسبما جاء في القرآن وفصح التحريف حول تعميم التحريم، رحمة بالأجيال القادمة من الناس وحتى لا نقع في نفس المأزق الفكري الضيق الذي وصل إليه المجتمع الأوربي، وتسبب بالكفر بدين الكنيسة نتج عنه موجة عنيفة من الإلحاد مازالت منتشرة حتى يومنا هذا، وهو ما تسعى إليه جماعة التحريف على الدوام، ومن أجل معرفة قواعد التحريم، حسب ما جاء به القرآن الكريم، سوف نبين ذلك في التقسيم التالي:

- 1- المحرّم من الاعتقاد (الشرك بالله).
- 2- المحرّم من الأموال.
- 3- المحرّم من المأكولات (الطعام).
- 4- المحرّم من الزواج أو النكاح.
- 5- المحرّم من الصيد أثناء الإحرام بحج أو عمرة.
- 6- ما حرّم على اليهود دون غيرهم من النَّاس.
- 7- الأوامر الإرشادية بالاجتناب دون التحريم.
- 8- "لا" النافية للفعل، التعريف، من قواعد التشريع والأخلاق.

المحرّم من الاعتقاد (الشرك بالله) وبعض الأعمال:

التعريف بالشرك: هو الاعتقاد أنّ مع الله آلهة أخرى تُعبد، سواءً أكان من الأصنام والأوثان، أو من المخلوقات، من الإنسان أو من الملائكة، أو الشياطين أو الجن، أو الحيوانات، أو الكائنات المادية من الكواكب، والنجوم وغيرها، ويمارس لها من الشعائر، وأداء المناسك، على أنّها إله تُعبد من دون الله سبحانه، ويُقصد بذلك كل الأعمال والأفعال المحرّمة لذتها وصفاً وقيداً، بأية مُحكمة من كتاب الله تعالى.

أدلة مشروعية تحريم الشرك بالله والأعمال والأفعال المحرمة

من أدلة مشروعية قواعد تحريم الشرك بالله - سبحانه وتعالى كثيرة ننسخ ما نستذكر بعض منها بالآتي:

- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا...﴾، (الأنعام: 151).
- وَقَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا...﴾، (الأعراف: 33).
- ومن الوصايا الكثيرة عن الله - سبحانه وتعالى - بعدم الشرك به ما نورد بعضاً منها قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا...﴾، (النساء: 36).
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿... أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا وَطَهَّر...﴾، (الحج: 26).
- وَقَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، (العنكبوت: 8).
- وَقَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، (لقمان: 13).
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾، (النساء: 116).
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾، (المائدة: 72).

وبذلك يتضح أمر تحريم الشرك بالله تعالى حصراً ووصفاً بالآيات السابقة، كما ذكر أيضاً وصايا النهي عن الشرك بالله تعالى، بما يُعرف بالتأدب مع الله - سبحانه وتعالى - في كثير من آيات القرآن الكريم، أو بما تُعرف بمحاذير الشرك في العبادات، والأعمال، والأقوال

والاعتقاد، ومن تلك الآيات المتعلقة، بتحريم الشرك بالله تعالى تظهر بعض المحرمات من الأعمال، والأقوال وهي عبارة عن قواعد وهو ما نبين بعضه للتوضيح أكثر بالآتي:

- 1- حرّم الله الشرك بالله، وهو عبادة الأصنام وغيرها، من دون الله، بما سبق بيانه.
- 2- حرّم الله عقوق الوالدين الأب وإن علا، والأم وإن علت.
- 3- حرّم الله قتل الأولاد ذكوراً أو إناثاً.
- 4- حرّم الله البغي، وهو التكبُّب المالي من أعمال البغي بالنساء والرجال.
- 5- حرّم الله قتل النفس بغير حق.
- 6- حرّم الله الزنا، وما يماثل الزنا من الفواحش (الواط، السحاق).

المحرّم من الأموال (الربا) التعريف والمشروعية:

مقدمة عن الربا: ظهر الربا في الحضارات والمجتمعات والعصور الإنسانية القديمة، كحالة مزرية بمجتمع اليهود بحسب ما جاء بكلام الله في القرآن بالإضافة لظهوره في العصر البابلي (1)، والعصر الروماني (2)، وغيره من العصور والمجتمعات القديمة، حيث كان الناس يتعاملون بالربا في تلك العصور بصورة شائعة، إذ كان المدين الذي لا يستطيع الوفاء بذينه مع الزيادة الربوية المضاعفة، وتُطبّق ضده عقوبات منها: مصادرة ممتلكاته الشخصية، وأدوات حرفته، وأرضه، ومسكنه، بل ومصادرة حريته وكرامته، فيتحوّل إلى عبد يؤخذ بدينه لدى الدائن المرابي، أو يُباع في السوق كعبد، أو قد تصل العقوبة للمساس بشخصه كقتله في بعض الأحيان، ونتيجة لهذا برز شبح الظلم المفزع في كل معانيه داخل المجتمعات الإنسانية القديمة، ومعه ظهر جيش المدينين المعسرّين من الفقراء والمساكين المعوزين المطحونين، ومن هذا الواقع المرير تجلّت إرادة الحق بتحريم الربا على المدين المعسرّ تحريماً مطلقاً؛ لما يسببه من كوراث بحق الإنسانية، وبحق الشعوب والمجتمعات، ومن هذا المقدمة يبرز تعريف الربا كفعلٍ محرّم، ومجرّم لذاته ولسببه، وسوف نعرف الربا انطلاقاً من تلك المعطيات، ومما تضمّنه الوصف القرآني لمشروعية تحريمه، بعيداً عن التعريفات الاصطلاحية والشرعية لجماعة التحريف من فكر المذاهب الذين أسهبوا وسّعوا دائرة التحريم للربا ولغيره من الأعمال.

التعريف بالربا: عرّف الربا بأنّه اقتراض المدين المعسرّ من الدائن المؤسّر بعض المال المتقوم بالنقد سواء كان من معدن الفضة أو الذهب أو من الورق النقدي المعترف بها، أو أي شيء عيني يعينه على الحياة، سواءً أكان طعاماً أو دواءً، أو ثياباً، أو مأوى يسكنه فيه ولأجل مسمّى مع الزيادة المضاعفة، ويكون القرض من أجل الحفاظ على سلامة نفسه، وصوناً لأدميته، وحقه في العيش والبقاء على قيد الحياة، مع قيام الدائن بزيادة ومضاعفة الفائدة على

(1) انظر شريعة حمورابي – ترجمة محمود الأمين الطبعة الأولى 2007 م .
(2) انظر مدونة الملك جوستنيان في القانون الروماني القديم – ترجمة عبد العزيز فهمي 1946 م .

المَدِينِ المعسر بما سبق، فإنَّ المرابين هم دائماً الدائنون المؤسرون، أصحاب الأموال، والمدِينون هم دائماً المعسرون أصحاب الحاجة إلى المال، أو الطعام، وغيره.

ومن أجل سهولة الفهم دعونا نأخذ الموضوع بشيءٍ من التفصيل، ولكي يسهل فهم تعريف الربا وتمييزه عن غيره من عقود البيع، وعروض التجارة، نفصِّله في الآتي:

- الأول دائن/ دائنين مُوسر - يملك مالاً نقدياً، أو عينيّاً، أو طعاماً، أو غيره.
- والثاني مَدِين مُعسر/ بحاجة إلى المال، أو الطعام بغرض البقاء على قيد الحياة، ولا يملك شيئاً غير حِرْفته أو عمله البسيط، ويكون مُعسِراً.

فيُعطي الأول الدائن مبلغاً من المال، أو كمية محددة من الطعام، أو شيئاً معيناً للمدين يعينه على البقاء على قيد الحياة، ولأجلٍ محدّدٍ مع زيادة محدّدة، وإذا لم يفِ المَدِين يقوم الدائن بمضاعفة الزيادة، مع عجز المَدِين عن السداد، فيتم مصادرة أدوات حِرْفته، ومنزله، وأرضه، حتى تصل مطالبة الدائن المرابي إلى تطبيق عقوبات تمسُّ شخص المدين ذاته، بحبسه، أو مصادرة حِرْيته، كبيعته بدينه المدين به، أو قتله، حسب التشريعات القديمة حسبما سبق بيانه، فهذا هو الربا المعني بالحرمة لذاته، وليسبه ولا يمتد لغيره ولا يقاس عليه، وهو أخطر آفة على المجتمعات الإنسانية قديماً وحديثاً؛ لما تمثّل الزيادة المضاعفة على أصل الدَّين على المَدِين المُعسر (الفقير) من ضررٍ بالغ، وجُرْمٍ شنيع، فذلك هو الربا، وهو حرام بما جاء من كلام الله - سبحانه وتعالى - الموجه إلى النَّاس أجمعين منذ القَدَم، وبما جاء في آيات القرآن الكريم.

أدلة مشروعية تحريم الربا

وردت أدلة التَّهْي عن الرِّبَا في القرآن الكريم مخاطباً بها كل المؤمنين، يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَافَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، (آل عمران: 130)، كما ذكر فعل الرِّبَا صراحة من جماعة اليهود كفعلٍ خاصٍ أريد توجيهه لعامة النَّاس، وبسببه حرَّم الله عليهم طيبات أُحِلَّت لهم لأخذهم الرِّبَا بتلك الطريقة، وقد نهوا عنه، وأكلهم أموال النَّاس بالباطل، قَالَ تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّت لَّهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً وَأَخَذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾، (النساء: 160-161).

كما جاء في سورة البقرة ببياناً مفصلاً لتحريم الربا، وارتباط تحريمه على طائفة الفقراء خاصة دون أن يمتد للتعاملات التجارية، مع وصف حالهم وصفاً دقيقاً وواضحاً، مع بيان جزاء المرابين المستغلين بالعذاب من الله - سبحانه وتعالى - في محكم التنزيل وبقراءة مفصلة للآيات المترابطة حول عنوان موضوع الربا من الآية (272) وحتى الآية (280) بالآتي:

- قَالَ اللَّهُ تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءً وَجْهَ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا

تُظْلَمُونَ، لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ، الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ، يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ، إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلَمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ، وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، (البقرة: 272، 273، 274، 275، 276، 277، 278، 279، 280).

هذه الآيات تتحدث عن مواضيع رئيسة مرتبطة بعضها ببعض، وأهمها موضوع الفقراء، وموضوع الربا، حسبما ورد بصيغة التعريف في الآية (274) بقوله: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ) والآية التالية (275) بقوله: (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا) مع بقية الآيات، ولا يمكن أن تقرأ هذه الآيات بصورة مجتزأة كما فعلت جماعة المذاهب، فخلطوا بين موضوع الربا وأعمال البيع والتجارة، وتوسَّعوا في دائرة تحريم الربا ووسعوه على أعمال البيع والتجارة، ومن هذا الدليل وغيره كان لزاماً علينا أن نوضح للناس أن أساس تحريم الربا يقوم على مضاعفة الربا على المدين المُعسر من الفقراء الذين أحصروا في سبيل الله، ومنعوا من التكسب ولا يستطيعون ضرباً في الأرض، لا يقدرّون على العمل، أو لأن عرض العمل في السوق نادر بسبب البطالة، وهم متعففين ولا يسألون الناس إلحافاً، أولئك نفر من الناس الذين يفترشون الأرض ويلتحفون السماء، ويحثُّ التنزيل الحكيم على الإنفاق عليهم سرّاً وعلانية؛ للتخفيف عليهم من آلام الفقر، ثم بيّن تحريم المراباة عليهم، بسبب ما يعانون من الفقر، وحثُّ المؤسرين بالإنفاق عليهم بغرض الحد من الإفقار لهم، وحرّم الربا أضعافاً مضاعفةً مما يزيدهم فقراً وبؤساً فيخلق التقسيم الطبقي في المجتمع، أو تزداد الهوة بين الفقراء والأغنياء، فجاء التحريم بحسب ما ورد في الذكر الحكيم، مبيناً وصف حال الدائن المرابي بالذي يتخبطه الشيطان من المسّ، ثم بيّن مقامه في الآخرة بأنه من أصحاب النار، وكان يكفي هذا للاستدلال على حكم التحريم غير أن الله - سبحانه وتعالى - زاد الأمر تفصيلاً؛ منعاً للبسّ والتفرقة بين الربا، وغيره من الأعمال التجارية المباحة القائمة على عقود تجارية، كعقود الودائع المالية في البنوك، والتبادل التجاري، والصفقات المصرفية بين الدائنين والمدينين التجاريين، وهناك فرق كبير بين المصطلحين، الدائن التجاري المؤسر والمدين التجاري المُعسر، وهو ما سوف نوضحه، وفقاً للقاعدة الربانية بتيسير الذكر لفهم ومعرفة الربا وكيفية حصره والتغلب عليه، وعواقب التعامل به من نواحٍ عدّة، منها:

طرق معالجة المحتاجين بالحث على الإنفاق:

- 1- أكد القرآن على حصر الفقراء الذين أحصروا، ولا يقدرّون على العمل، والمتعفيين عن سؤال الناس.
- 2- الأمر بكثرة الإنفاق من الصدقات وغيرها عليهم؛ للحد من الفقر.
- 3- استخدام أكثر من طريقة للإنفاق سراً وعلانية للحد من الفقر.
- 4- المحافظة على رأس المال.

عواقب التعامل بالربا

- 1- يحقّ الله سبحانه الربا.
- 2- يحثّ الله تعالى المؤمنين على ترك العمل بالربا.
- 3- يبيّن الله سبحانه أنّ الربا المنهي عنه هو أضعاف مضاعفة على الفقير المدين المعسر.
- 4- يبيّن الله سبحانه أنّ هذه المضاعفة في أخذ أموال المدين الفقير (المعسر).
- 5- يترتب على عدم ترك الربا الحرب من الله ورسوله.

وأحلّ الله البيع وحرّم الربا

بيّن الله - سبحانه وتعالى - حلة البيع بمجمل الأعمال التجارية، التي تقوم على أساس التراضي بين البائع والمشتري في عروض التجارة المتنوعة، وهي كثيرة جداً، وكان لازماً علينا بحث هذا الموضوع لترابطه مع موضوع الربا.

ولا شكّ أن مهنة التجارة تطوّرت وتداخلت بصورة معقّدة لدى الأفراد والشركات والمصارف والبنوك، والجماعات التجارية، وأصبحت التجارة الالكترونية تحتلّ مرتبة متقدمة على مستوى الدولة، أو على مستوى العالم، وأدّى ذلك التطور إلى إصدار قوانين خاصة بتنظيم الأعمال التجارية بتفرعاتها المتشعبة والمعقدة، حسبما وصل إليه العلم من تطور تقني في إدارة العقود والعمليات التجارية على نطاق واسع، وهو ما يُعرف اليوم بالتسوّق الالكتروني المحلي والعالمي، بين الأفراد والشركات، عابرات الحدود الوطنية، ووفقاً لذلك فإنّه يتم عقد الصفقات التجارية على أوسع نطاق؛ نتيجة لهذا التطور السريع والمتلاحق، وإبرام عقود واتفاقيات تجارية على مختلف القطاعات الزراعية والصناعية والإنتاج الفكري، وغيرها في وقتٍ وجيز، وأخيراً دخلت العملة الرقمية الالكترونية كقيمة مالية مباشرة في التبادلات التجارية في السوق العالمي الضخم، لمواكبة التطور، وكقيمة لعملية جديدة لتبادل السلع، والمنافع، والخدمات، والمنتجات المحلية والعالمية في السوق المحلي والعالمي الواسع.

من أجل كل ذلك جاء القرآن الكريم في سورة النساء بقاعدة ملهمة للتشريع ومخاطباً للناس، لمواكبة هذه التعاملات التي تتطور يومياً بشكل مطّرد على جميع الصعد، وهذا العمل القائم يستند على قاعدة عدم أكل أموال الناس بينهم بالباطل إلا أن تكون تجارةً عن تراضٍ منهم، إذنّ فكل الأعمال التجارية وما ينتج عنها من اتفاقاتٍ وعقودٍ تكون صحيحةً بشرط

التراضي الذي هو أساس التعاملات التعاقدية التجارية، بل هو الركن الأساسي فيها، قَالَ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾، (النساء: 29)، وهذا الشرط المعروف بـ (التراضي) يتشابه مع شرط (الطيب) في الحلال، كما حثَّ الله على كتابة وتدوين الدَّين التجاري، والإشهاد عليه عند البيع؛ لتأكيد إتمام قيام عقود البيع بالوفاء، من كون البيع أحد أعمدة التجارة، ولذلك فقد وردت أطول آية في القرآن الكريم تتحدَّث عن الدَّين بصفة عامة، والدَّين التجاري بصفة خاصة، وسردت تفاصيل إنشاء سند الدَّين وكيفيته من حيث الشكل، والموضوع، والاستثناء الوارد في تنظيم سند الدين التجاري والأعمال التجارية، وهو تشريع دقيق وواضح حسب هذه الآية، قَالَ اللَّهُ سُبحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، (البقرة: 282).

عدم اكتناز الذهب والفضة:

ومما لا شك فيه أنَّ الذهب والفضة كانا وما زالا معدنين نفيسين، يقومان بالنقد، أو يحلان محل النقد في التعاملات التجارية في كثير من الدول، كما أنَّ الذهب يعتد به كضمان للعملة الورقية واستقرار سوق الأوراق النقدية، كما أصبح الذهب بالذات غطاءً أساسياً للنقد الورقي، ويعبر عن القيمة السوقية لقوة الاقتصاد في الدول التي تمتلك احتياطياً كبيراً من الذهب في الوقت الحالي، وهو أمرٌ درجت عليه غالبية الدول، ولذلك فإنَّ اكتناز هذين المعدنين النفيسين وغيرهما من الأموال وتكدُّسها في البيوت على المستوى الشخصي، يترتب عليه عدد من الحالات، نوضحها في الآتي:

الحالة الأولى: إذا كان هناك شخصٌ لديه أموال مكدَّسة، وليس لديه قدرةٌ على إدارة أمواله، فإنَّ القرآن ينهى عن الاكتناز، وبسببه يجازيه بعذاب أليم، كما جاء في آخر الآية رقم (34)، بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، (التوبة: 34).

الحالة الثانية: إذا أُودِعت هذه الأموال وغيرها من الأوراق النقدية كودائع استثمارية، وفق عقود رضائية بين المودع والوديع، أو بين الدائنين التجاري، والمدين التجاري، سواءً أكان

الداين التجاري مصرفاً، أو بنكاً، أو مؤسسة نقدية، وبفائدة محدّدة كنسبة مئوية تزيد أو تنقص مثلاً عن (12%)، فإنّ هذا العمل يُعد عملاً تجارياً مشروعاً، كما أن كل التعاملات المصرفية وأعمال البنوك من بيع الأسهم أو رفع سعر الفائدة أو خفض سعر الفائدة على الودائع، أو سوق التداول في البورصات وتداول الأسهم، وغيرها تعتبر من الأعمال التجارية المشروعة القائمة على التراضي، وليس فيها أدنى شبهة رّبا لعدّ من الأسباب، وفقاً للآلية السابقة ومن أهم تلك الأسباب الآتي:

- 1- المدينين التجاريين هنا ليسوا من المعسرّين.
 - 2- وجود مبدأ الرضا التعاقدي على فعل الاقتراض والإقراض.
 - 3- الفائدة ليست أضعافاً مضاعفة بل نسبة وتناسب.
- وسواءً أكانت تلك الأسباب تنطبق على أشخاص طبيعيين، أو أشخاص معنويين، فإنّ الدائن والمدين هنا هم أشخاص لا ينتمون للفئة المبيّنة في آيات تحريم الرّبا، وهم طائفة الفقراء الذين أُحصروا كما بينت آيات الذكر الحكيم، ووفقاً لما عرفناه سابقاً، لذلك نرى فتاوى وأحاديث وتأويلات فكر المذاهب الإسلامية حكمت على كل تعاملات المصارف والبنوك على أنها ربا محرّم، وأصبح الأمر فوضى في الفتوى والإفتاء، فكل مذهب ذهب لإصدار فتوى مخالفة للمذهب الآخر، بل وكل فقيه يصدر فتوى بالتحليل أو التحريم وفقاً لهواه، حسبما هو حاصل اليوم، وبسبب ذلك هُجر المال العربي والإسلامي لبلدان الشرق والغرب، عبر ما يسمى صناديق الأجيال وصناديق الاستثمار والمضحك أن اصحاب هذه الأموال لا يملكون غير الأرقام، كما يتم التحايل في المصارف والبنوك المُسمّى إسلامية عن طريق مزعوم المربحة الشرعية، وهي طريقةٌ ملتويةٌ ساذجةٌ لا مبرر لها، أمام قوة كلام الله سبحانه الذي جاء ليعالج قضيةً موهلةً في التاريخ الإنساني.

ووفقاً لما أسلفنا نكرر القول بأنّ عقود الودائع وحسابات الإيداع وبورصات تداول الأسهم، وتداول النقود المختلفة بما فيها النقد الإلكتروني، والنقد الورقي، والشيكات السياحية، وشيكات الضمان، وشيكات النقدية، وبطاقات التداول النقدي، والمضاربة البنكية، وقروض التمويل التجاري، بأنواعها كافة، والمختلفة، ذات الفائدة المحددة التي تمنحها المؤسسات المالية، سواءً أكانت مصارفاً، أو بنوكاً، أو شركات، أو مؤسسات، ماليةً تعدّ من الأعمال التجارية المشروعة القائمة على التراضي بين النّاس، كمتعاقدين دائن تجاري/ ومدين تجاري لأعمال تجارية صرفة، ليس فيها أدنى شبهة الرّبا.

ويعدّ الفارق كبيراً بين الفائدة الربوية المأخوذة أضعافاً مضاعفة من قروض الفقراء المدينين المحصورين عن الكسب والمعسرّين، الذين يأخذون القروض بغرض إعانتهم على البقاء على قيد الحياة، أو من أجل حصوله على الطعام، أو مسكنٍ متواضع، أو حصوله على أدوات حرفته، أو عملٍ، أو تعليم، فيكون القرض في هذه الحالة قرض شخصي يتعلّق بشخص المقرض على اعتبار أنه معسر، وأي فائدة من وراء هذا القرض تعد محرّمة بحسب القرآن الكريم، والثاني عقد تجاري قائم على الرضا، وتبادل المنافع بين الدائن المقرض مالك المال،

والمدين التجاري المقترض، مالك فكرة مشروع العمل الزراعي/ الصناعي/ الخدمي / التجاري، وغيرها من المشاريع التي بهما تتحقق الفائدة المرجوة، وتكتمل حلقة التكامل الاقتصادي، حسب خطط ومشاريع استثمارية، تقوم على تنبؤات بالمخاطر، واحتسابها حسب دراسة جدوى علمية، وهو ما يُعرف بالمشاريع التي تقوم في مجالات عدة منها في مجال الاستثمار الزراعي / الصناعي / التجاري وغيره، وتأسيس الشراكات التجارية، وإنشاء المصانع، والمشروعات الاقتصادية والصناعية، والأسواق، والمناطق الحرة بمختلف دول العالم، وبهذه المشاريع والأعمال يتحقق الرخاء والرفاهية للإنسان، والعيش الكريم، وتخلق فرص العمل، والكسب المشروع بمختلف مجالات الحياة، كما هو حاصل اليوم في الدول الصناعية الكبرى، وغيرها من دول العالم.

الخلاصة:

ومن هنا فالربا معلومٌ بذاته من حيث مضاعفة القرض أضعافاً مضاعفة، وهو مقرونٌ بأشخاصٍ محدّدين، وهم المدينون المعسرون من فقراء النَّاس، وليس كما جاء بفكر المذاهب الإسلامية، والذين عمموا الربا على كل أعمال البنوك وأسواق النقد والبورصات والتأمين التجاري والتأمين على الحياة وغيرها من الأعمال التجارية.

ويرجع فهمنا وتعريفنا للربا على قاعدة أساسية وواضحة محورها عدم استغلال الدائنين، (المرابين) للفقراء المدينين (المعسرین)، ومن المعلوم أنَّ كثيراً من الدول المهتمة بحقوق مواطنيها، من الفقراء، وذوي الدخل المحدود، إذ يقومون بإنشاء بنوك ومصارف أو صناديق ضمان اجتماعي خاصة لمحاربة الفقر، تمنح مواطنيها - المدينين المعسرین - قرضاً بدون فوائد من أجل مستلزمات حياتهم الأساسية حسبما يعرف باستراتيجية محاربة الفقر، وبطائق دعم حاجياتهم من مأكلي، ومشرب، ومأوى، وكذلك تمويل المهن وأي حرفة، أو عمل، أو تعليم، وهذه المصارف والبنوك والصناديق وجهات الدعم متوافرة في الكثير من الدول، والتي تضمن لمواطنيها العيش الكريم فهي تمنحهم قروض لأجلٍ بدون فائدة، لضمان العيش الكريم، وأنَّ إضافة أية فوائد على هذه القرض يعد ربا حرّمه الله - سبحانه وتعالى - بمجمل القرآن، وهناك حالات من القروض تمنح لبعض هذه الفئات في بعض المجتمعات الإنتاجية وهي قروض بفوائد ميسرة؛ لإنشاء مشاريع تنمية للفقراء، حسبما يُطلق عليه بقروض الفقراء، أو القروض المدنية، والتي تعطى للفقراء من بنوك خصّصت لهذا الغرض، حسب ما سبق الإشارة إليه.

المحرّم من المأكولات (الطعام)

فَصَّلَ الحق - سبحانه وتعالى - المحرّمات من الطعام المأكول بلفظٍ صريح، وواضح دون التباس، ولنا في آيات القرآن الحكيم الذي يشتمل على الألفاظ، والجمل الواضحة، سهولة المعنى، دقّة البيان، إذ يعدُّ هذا التحريم قائماً على آية من القرآن الكريم، الذي يتوافق مع الفطرة الإنسانية في الحياة على الجملة، وليس تشريعاً خاصاً بفئة معينة من الإنسان دون

الآخرين، وهو ما يفهم بقول الله - سبحانه وتعالى: "حَرَّمَ عَلَيْكُمْ"، أو "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ"، ومع دلالة هذا اللفظ وقوة المعنى في حكم التحريم.

أدلة مشروعية التحريم

ومن حكمة الله - سبحانه وتعالى - فقد ذكر ما حَرَّمَ على سبيل الحصر والقصر، وسوف أسرد لكم بعضاً من آيات القرآن الكريم حول ما حَرَّمَ من المأكولات سوف ننسخ لكم الآيات المحددة في هذا الموضوع بالآتي:

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، (البقرة: 173).

• وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبَحَ عَلَى النُّصَبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فَسُقُ الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، (المائدة: 3).

• وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، (الأنعام: 145).

• وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، (النحل: 115).

ومن الآيات السابقة من سورة البقرة، والمائدة، والأنعام، والنحل، بيّن الله - سبحانه وتعالى - أنواع المحرّمات من المأكولات على سبيل الحصر والقصر، وقد كرّر الله ذكر تلك الأنواع من المحرّمات بأكثر من آيةٍ للتوضيح، والتأكيد، ولتسهيل فهمه بلغةٍ سهلة، وواضحة، وهكذا فإن هذا التحريم جاء على سبيل الحصر والقصر والتحديد، وما غيره من طيبات الطعام والرزق يكون حلالاً ومباحاً أكله، ثم تعال إلى سرد ما حَرَّمَ فقهاء المذاهب، والفرق في هذا الموضوع، مستنديين إلى أحاديث ينسبونها إلى النبي، فوسّعوا دائرة التحريم بحُجّة التفصيل، والتوضيح، مع أنّ الرُّسل والأنبياء هم أول من يتبع أوامر الله - سبحانه وتعالى بما فرض من الحلال، وما حرم من الحرام، بصفتهم الاعتبارية لوظيفة الرِّسالة المكلفين بها، فهم يُحِلُّون ما أحلَّ الله، ويحرّمون ما حرّم الله سبحانه، دون زيادة أو نقص أو تجاوز، ولا يخرجون عن نطاق هذه الرِّسالة، غير أنّ جماعة التحريف، فسّرت الآية على أنّ الرُّسول يحرم ويحلّ وفقاً لشخصه واجتهاده البشري، فذلك تقوُّلٌ مغلوّط، وفهمٌ قاصر لحقيقة مقتضى التكليف لوظيفة الرُّسول المكلف، إذ إنّهم - الرسل أولى بالاتباع لتعاليم الله سبحانه، ويبلّغون ما كلفوا به إلى النّاس، فالرُّسل يحلّون ما أحلَّ الله، ويحرّمون ما حرّم الله، وتلك كانت وظيفتهم المتصلة

بمناط التكليف الصادر لهم عن الله - سبحانه وتعالى، من غير زيادةٍ أو نقصان، وباختصار فهم يعملون حسب ما يملئ عليهم من الله دون تجاوز، وإذا ما استعرضنا مسيرة حياة الرُّسل في القرآن الكريم لن تجدَ رسولاً، أو نبياً، أحلَّ أو حرَّم شيئاً من ذاته وشخصه دون أمر الله تعالى، ولا يحقُّ للنبي أو الرسول أن يقول بالحِلَّة أو الحُرمة لشيءٍ ويضفي على قوله بكلام متصل بالله سبحانه، فذلك تعدٍّ على وظيفته، أمّا ما يكون منه اجتهاد بشري في ما أحلَّ الله سبحانه أو في أمر من أمور الدنيا، فإنَّ ذلك يندرج من أعمال التقنين، في العُرف والأعراف، مثله مثل أي إنسان، ولذلك فإنَّ حصر المحرمات في هذا الموضوع وسبق التحدث عنها، ونبيّتها في الآتي:

- 1- حرَّم الله أكل الميت، وهي الجيفة من الدَّواب، والطيور، في البر والبحر والجو.
- 2- حرَّم الله أكل الدَّم، والدَّم المسفوح.
- 3- حرَّم الله أكل لحم الخنزير على وجه التحديد، دون تحريم بقية أعضاء الجسم.
- 4- حرَّم الله الأكل مما ذُبِح من الحيوانات قرباناً لصنم؛ اعتقاداً أنَّه إله يعبد من دون الله، وهو ما أهَّل به لغير الله.
- 5- حرَّم الله الأكل من الحيوانات المنخقة، وهي الميتة خنقاً.
- 6- حرَّم الله الأكل من الحيوانات الموقوذة، وهي التي ماتت من الضرب، بالعصا، أو بحجرٍ، أو على نحو من ذلك.
- 7- حرَّم الله الأكل من الحيوانات المتردِّية، وهي التي سقطت من علٍّ شاهقٍ وماتت.
- 8- حرَّم الله الأكل من الحيوانات النطيحة، وهي التي ماتت من نطح حيوان آخر.
- 9- حرَّم الله الأكل من لحوم الحيوانات التي أكل منها السَّبُع والوحوش الضواري.
- 10- حرَّم الله الأكل من الحيوانات المذبوحة على النَّصَب، مع الاستقسام بالأزلام، ويُقصد به الضرب بالقِدَاح لمعرفة علم المستقبل، أو علم الغيب، أو معرفة الحظ الحسن من السيئ، فذلك فسق.

الاستثناءات من المحرمات محددة في هذه الآيات نفسها وهي ما تعارف عليها الناس في الزمان والمكان، إلا أنَّه يتضمن استثناء من أصل قاعدة التحريم، وفقاً للآية، بقوله تعالى: (فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ)، أو (إِلَّا مَا ذُكِّتُمْ) وقد تكرر ذكرها نهاية كل آية حسب ما سبق بيانها.

المحرَّم من الزَّواج أو النكاح:

التعريف بالمحرَّم من زواجٍ، أو نكاحٍ للرجال أو النساء، وهم اللذين يكون سبب تحريمهم وصفاً غير قابل للزوال، ممن ترتبط بهم علاقة قرابة، من عمود النسب، أو بسبب المصاهرة أو بسبب الرضاعة، وقد بيَّن الحق - سبحانه وتعالى - المحرَّم من الزَّواج، أو المحرم من النكاح، وهو ما يُعرف بتحريم زواج أو نكاح المحارم، على سبيل الحصر والتحديد، ونورد آيات من القرآن الكريم كدليلٍ على عدم مشروعية هذا الزَّواج، أو النِّكاح، بالآتي:

الزَّوْجُ أَوْ النِّكَاحُ الْمَحْرَّمُ بِسَبَبِ النَّسَبِ (المحارم)

وهو ما يُعرف بزواج أو نكاح الأقارب أو المحارم من درجاتٍ محدَّدة، بحسب ما بيَّن القرآن الذي ذكرها حصراً ووصفاً، دون زيادةٍ أو نقصانٍ ومن دون استثناء.

أدلة مشروعية تحريم الزَّوْجِ أَوْ نِكَاحِ المحارم

بيَّن الله سبحانه أدلة تحريم الزَّوْجِ، أَوْ النِّكَاحِ من القرابة على عمود النَّسَبِ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُ الْمَلَائِكَةِ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّائِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّائِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾، (النساء: 23)، كما بيَّن الله - سبحانه وتعالى - في هذه الآية الكريمة من سورة النساء ما حرَّم الله من زواج أو نكاح المحارم بلفظٍ واضحٍ وصريحٍ، ومفهومٍ، ومفصَّلٍ، على سبيل الحصر بالآتي:

- 1- **الأمهات:** وَهُنَّ الأم وأمهاتها من جهة الأب، ومن جهة الأم وإن علون وهُنَّ الجدات لأم، والجدات لأب، حسبما ورد بلفظ الجمع لقوله تعالى: (أمهاتكم) بحسب الآية.
- 2- **البنات:** وبناتهن، حسبما ورد بلفظ الجمع لقوله تعالى: (وبناتكم) بحسب الآية.
- 3- **الأخوات:** وَهُنَّ الأخوات الشقيقات، والأخوات لأم، والأخوات لأب حسبما ورد بلفظ الجمع لقوله تعالى: (وأخواتكم) بحسب الآية.
- 4- **العمات:** وَهُنَّ أخوات الأب، وأخوات الجد لأم، وأخوات الجد لأب حسبما ورد بلفظ الجمع لقوله تعالى: (وعماتكم).
- 5- **الخالات:** وَهُنَّ الأخوات الشقيقات، أو الأخوات لأم أو الأخوات لأب حسبما ورد بلفظ الجمع لقوله تعالى: (وخالاتكم).
- 6- **بنات الأخ الشقيق، أو بنات الأخ لأب، أو بنات الأخ لأم وإن علين من بناتهن،** حسبما ورد بلفظ الجمع (وبنات الأخ) بحسب الآية.
- 7- **بنات الأخت الشقيقة، أو بنات الأخت لأب، أو بنات الأخت لأم وإن علين،** حسبما ورد بلفظ الجمع (وبنات الأخت).
- 8- **الأمهات من الرضاعة:** وهي المرأة التي أرضعت الرضيع حولين كاملين، لمن أراد أن يتم الرضاعة.
- 9- **أخواتكم من الرضاعة:** ومدة الرضاعة حولين كاملين حسبما ورد بالآية.

المحرَّم من الزَّوْجِ أَوْ النِّكَاحِ بسبب المصاهرة.

النِّكَاحُ أَوْ الزَّوْجُ الْمَحْرَّمُ لسبب المصاهرة ويُقصد به ما يحرم على الرجل، أو المرأة، الزَّوْجُ أَوْ النِّكَاحُ بين الزوج / الزوجة على عمود المصاهرة، حسب الحالات المحددة في الآتي:

1- أمهات نسائكم، أم الزوجة وإن علون حسبما ورد بلفظ الجمع لقوله تعالى (وأمهات نسائكم).

2- وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن، وهن بنات زوجاتكم، من أزواج آخرين، فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم بحسب الآية.

3- حلائل أبنائكم من أصلابكم، وهن زوجات الأبناء بحسب الآية.

4- الجمع بين الأختين، ويُقصد بها الزوجة وأختها بحسب الآية.

دليل مشروعية التحريم للزواج أو النكاح من عمود النسب - المصاهرة:

قَالَ اللَّهُ سُبحَانَهُ: ﴿... وَأُمّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾، (النساء: 23).

النكاح أو الزواج المحرّم بسبب الرضاعة

والنكاح والزواج المحرم بسبب الرضاعة حُدِّدَ لَعَلَّةَ الإرضاع لمدة حولين، - عامين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة، بمعنى آخر أنَّ عِلَّةَ التحريم تستند إلى فترة الإرضاع حسب مدلول آية التحريم، وليس كما قيل في فقه المذاهب بالمصَّة أو المصَّتَيْن، وفترة الرضاعة حُدِّدَت بحولين، لمن أراد إتمام الرضاعة، وليس بعدد الرضعات، والأمر متروك - بتقديري - لتقدير خبيرٍ طبيٍّ متخصص بتحديد مدة الرضاعة، كسبب لعدة التحريم، وحالات التحريم من الرضاعة جاء بحالتين في الآتي:

1- الأمهات التي أرضعنكم، وإن علون من أمهاتها حسب ما سبق من الآية (23) من سورة النساء.

2- الأخوات من الرضاعة حصراً حسب ما سبق من الآية (23) من سورة النساء.

المحرّم من النكاح لذاته وأنواعه:

ومن أنواع النكاح المحرّم لذاته الآتي:

1- حرّم الله النكاح من الزّنا، ذكراً كان أو أنثى.

2- حرّم الله النكاح من المشترك ذكراً كان أو أنثى، والمشرّكين - هم عبّاد الأصنام.

3- حرّم الله نكاح الذكر للذكر.

4- حرّم الله سحاق المرأة للمرأة.

النكاح المحرم من الزنا ذكراً أو أنثى وغيره:

التعريف والمشروعية: وهو نكاح محرم بصريح الآية إذ يعد من الأعمال الفاحشة المنافية للأخلاق، والفطرة السليمة في حياة الإنسان، ولفظ التحريم هنا ورد على سبيل الحصر لسبب قيام الفعل المحرم على سبيل الدوام، وقصد منه مخاطبة عموم الناس منذ القدم وحتى نهاية الحياة، وقد بيّن الله عقوبةً محدّدةً لمن ثبت عليه هذا الفعل المحرم وعقوبته (مائة) جلدة،

وليشهد تطبيق هذه العقوبة جماعة من الناس المؤمنين، حسب الآية كدليل على مشروعية العقوبة، وعلى الناس وضع هذه العقوبة موضع قاعدة من التشريع من أجل سن القوانين التي تبين كيفية تطبيق هذه العقوبة على واقعة فعل الزنا كفعل محرم ومجرم على قاعدة من المعرفة بملابسة الفعل والفاعل وتشخيص ظروف وملابسة وقوع الجريمة في المجتمع من كونها فعل يتخذ من البعض كوظيفة لنشر الفاحشة في المجتمع، أو للتكسب المادي منها، وللتعريف الزناة فهم أولئك نفر من الناس الذين يمارسون المعاشرة الجنسية بغرض الكسب المادي، أو بقصد الانحراف في السلوك الاجتماعي، أي أنهم احترفوا الزنا كمهنة تكسب مادي، أو غير مادي، وعمل كهذا قد تقوم به المرأة، أو يقوم به الرجل على السواء، والتكاح بهم محرّم، وأفعالهم تلك يعاقب عليها القرآن بعقوبة محدّدة، سواء أكان متزوجاً، أو غير متزوج وبهذا التعريف تتضح معالم هذه الجريمة.

أدلة مشروعية التحريم:

لقيت هذه الجريمة تعريفاً وتنظيماً خاصاً ومفصلاً من قبل الله - سبحانه وتعالى، قال جلّ في علاه: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾، (النور: 2، 3)، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾، (الإسراء: 32).

تحريم نكاح المشرك أو المشركة:

التعريف والمشروعية: وهم جماعة من الناس من يعبدون الأصنام على وجه التحديد وفقاً لصريح القرآن قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾، (البقرة: 221).

تحريم نكاح الذكران ومشروعية تحريمه:

وهو نكاح رجلٍ لرجلٍ آخر من دُبُرهِ لشهوة، وعُرف من قبل الله - سبحانه وتعالى - بفاحشة، ولم يبيّن عقوبة محدّدة حسب الآيات بالآتي:

• قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ، إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾، (الأعراف: 80، 81).

• كما بين الله - سبحانه وتعالى - بالآية من سورة النمل أن هذا الفعل منكر، ويعدُّ فاحشة، قَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ طَآ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾، (النمل: 54).

• وزيادة في التوضيح بأن هذه الفاحشة لم يسبق أن فعلها أحدٌ من العالمين، كما في الآية التالية من سورة العنكبوت، قَالَ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿وَلَوْ طَآ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنْكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾، (العنكبوت: 28).

ومن الملاحظ أن الله - جل جلاله - لم يذكر هذه الفاحشة لذاتها مثل قوله تعالى: (الزانية والزاني)، بل حددها بأفعال أقوام، كما في قوم نبي الله لوط - عليه السلام لكونها من الأعمال الشاذة الخارجة عن الفطرة والمألوف، وقد تكلم القرآن عن هذه الفاحشة من زاوية بعيدة قصد منها التربية حسبما ورد بهذه الآية، قَالَ سُبحَانَهُ: ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾، (النساء: 16).

وبذلك لم يحدد عقوبة محددة لهذه الفاحشة، بل ترك تحديدها لتقنين تشريعي يتفق عليه الناس في كل زمان، ومكان، بما من شأنه معالجة هذه الفاحشة بوسائل تربوية، للقضاء عليها من داخل المجتمعات بصورة نهائية؛ كون هذا الفعل يعد من الأفعال الشاذة وخارج عن الفطرة السليمة، ولعل نشأة هذه الحالات الشاذة جاء بسبب خلل هرموني في التركيب الجسماني للفرد، وهو ما يطلق عليهم اليوم ب(المثليين جنسياً)، لذلك فكأنما أراد الحق - سبحانه - من الناس السعي لمعالجة هذه الفاحشة بالطرق التربوية والطبية المناسبة، إذ إنَّ المعالجة أنجع وأجدي من السعي لتطبيق العقوبة من أجل الحد من هذه الظاهرة.

تحريم نكاح زوجة الأب: التعريف ومشروعية التحريم

نكاح زوجة الأب وهي المرأة التي دخل عليها الأب بنكاح فهي محرَّم، سواء مات الأب أو كانت مطلقة من الأب، فإنها محرمة النكاح بها من الأبن لدليل تحريمها الواضح والصريح، في القرآن الكريم، وأنَّ هذا الفعل يعدُّ فاحشة، وكل الفواحش محرمة، وهي فعلٌ ممقوتٌ، وطريقٌ سيءٌ، قَالَ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾، (النساء: 22).

تحريم سحاق النساء: التعريف ومشروعية التحريم

وهو نكاح امرأة لامرأة أخرى من جنسها بغرض الشهوة، قَالَ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فاسْتَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾، (النساء: 15)، والإمساك في البيوت هنا لغرض التربية، لمن استعصى تقويم حالتها عن ارتكاب هذه الفاحشة في المجتمع، كما أن الإمساك في البيت قُصد به التقويم، والمحافظة على سمعتها، من الخدش، وعدم جرحها، والإساءة إليها، وتعدُّ فاحشة كفاحشة نكاح الذكران، في الفعل والسبب والنتيجة، غير أن الله

بيّن كيفية معالجة هذه الفعل بالإمساك في البيوت كعقوبة وسكت عن الباقي، ولم يكن السكوت عبثاً، بل تركه للناس لما يصلح شأنهم في كل زمان ومكان، وبما يؤدي إلى المعالجة الاجتماعية، والنفسية، والصحية، لظهور هذه الفواحش، والحدّ من انتشارها في المجتمع بمعالجتها من جذورها، ودراستها من الناحية السيكلوجية، إذ إنّه قد لا يكون للإنسان دخل فيها، وأقصد هنا تلك الحالات التي تنشأ عن تغيير هرموني خلقي ويعالج طبياً، أمّا عن الحالات الشاذة فهي محلّ تطبيق الآية عليها من أجل تقويم السلوك، وأيضاً لكي يمارس الإنسان الوظيفة الموكلة إليه، على اعتبار أنّ الإنسان مخلوق عاقل، أريد من هذه المحاذير إبعاده عن الغرائز الحيوانية، وباعتباره محور مثالي في السلوك لجميع الخلائق على الأرض.

المحرّم من الصيد أثناء الإحرام بحج وعمره.

التعريف والمشروعية: بيّن الحق - سبحانه وتعالى - المحرّم من الصيد أثناء أداء فريضة الحج، أو العمرة، ويقصد بحرمة الصيد كل أنواع الحيوانات البرية، والطائفة، التي تعيش بمحيط البيت الحرام أثناء تأدية المناسك شعائر الحج، والعمرة، لدليل من القرآن الكريم، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْياً بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَاماً لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِ اللَّهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾، (المائدة: 95)، فكان هذا التحريم محصوراً على المكان والزمان وعلّة التحريم بسبب تزواج المملكة الحيوانية في هذا الميقات الزمني من كل عام، والزمان المحدد هو الأشهر الحرم والذي يبدأ فيها موسم التزواج مع موسم الحج والعمرة وتتحدد من أواخر كانون وحتى بداية الربيع في كل سنة شمسية ومن الآية نوضح الآتي:

1- المماثل بما قتله من النعم، وهو بحالة إحرام أثناء أداء مناسك الحج والعمرة، ومثال على ذلك بالآتي: إذا كان غزلاً فمثله من الماعز، وإن كان طيراً فمثله من الطيور المستأنسة، وهكذا.

2- أو كفارة إطعام عددٍ من المساكين فوق الاثنين، حسب لفظ الجمع (مساكين).

3- أو صيام يومٍ، أو يومين على الأقل.

كما أن هناك آية تتحدث عن حلة صيد البحر وطعامه متاعاً لكم ولكل الناس وللسيارة منهم وحرّم صيد البر ما دتم حراماً وهذه الآية تتحدث حول حكم التحريم لصيد البر وارتباط هذا التحريم بحال الإنسان وهو محرم أثناء الحج والعمرة قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَكُمْ وَلِلْآيَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾، (المائدة: 96).

المحرّم على اليهود دون غيرهم:

التعريف والمشروعية: اليهود جماعة من النّاس أتخذوا لهم قومية، تنتمي إلى نسب عسبوي ديني محدّد دون غيرهم من الناس، فهم جماعة عرقية ودينية مغلقة وبسبب ذلك

وغيره، فقد بين الله - سبحانه وتعالى - ما حرم عليهم من الطعام عقاباً لهم لبغيهم، وكفرهم، وعنادهم، مع الله سبحانه وحقدهم على غيرهم من الناس، يظهر ذلك من نصوص كتبهم في توراة العبرانيين والتلمود وغيرها، فقد حرم الله عليهم من كل ذي ظفر من الحيوان والطيور، ومن شحوم البقر والغنم والحوايا، وما اختلط بعظم، كما في الآية الآتية، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾، (الأنعام: 146).

الأوامر الإرشادية بالاجتناب

التعريف والمشروعية: الاجتناب أمرٌ نهى إرشاديٌّ وتحذيريٌّ وهذه الأوامر كثيرة، فكان أول أمر صدر بهذا الخصوص من الله سبحانه وتعالى إلى آدم الأنثى وادم الذكر بكوكب جنة عدن، فكان هذا الأمر بأن لا يقرب الشجرة ولا يأكل منها حسب الآية قَالَ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ البقرة (35)، فهذا أمر نهى تحذيري لا يصل ولا يتساوى بأمر التحريم الذي يفيد التحريم على التأييد المطلق وهذه الأوامر محصورة جداً، وما قد يترتب عليه من عقوبة محددة، حسبما جاء بكتاب التكليف من قبل الله - سبحانه وتعالى - وهناك أمر الاجتناب الذي ذكر حصراً وهو بنفس الوقت أمر إرشاد وتحذير على وقائع محددة، وبصيغ مختلفة، نبيئها في الآتي:

1- أمر الاجتناب بعدم الجمع بين كلٍّ من الخمر والميسر والأنصاب والأزلام، كعملٍ، أو مهنة، في وقتٍ واحد، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، (المائدة: 90).

2- أمر الاجتناب عن اجتناب الطاغوت، من قولٍ أو فعلٍ أو اعتقاد، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ...﴾، (النحل: 36)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ...﴾، (الزمر: 17).

3- أمر الاجتناب عن اجتناب الرجس من الأوثان، وقول الزور، والظن الكثير ولا تجسسوا، وكذلك الاجتناب عن الغيبة، فكل هذه التحذيرات والإرشادات فُصِدَ منها خلق مجتمع لديه من القيم الإيمانية ما تحصّنه، مع أنّه لا يوجد مجتمع خالٍ من هذه الصفات، قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى: ﴿.. فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾، (الحج: 30)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ...﴾، (الحجرات: 12).

4- الاجتناب بصيغة المضارع، عن فعل كبائر الإثم والفواحش، وعدم الاستمرار فيها، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾، (الشورى: 37)، وَقَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّغَمَ...﴾، (النجم: 32).

5- الاجتناب بصيغة الشرط، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: (إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا)، (النساء: 31).

الفصل السابع

فقه العرف والأعراف – وفقه المعاملات - تشريع الإنسان الخالص

العرف - التعريف والمشروعية:

بعيداً عن تعريفات فقهاء المذاهب الذين عرّفوا العرف بتعريفات عدة، منها أنه ما تعارف عليه أهل العقول السليمة، وليس في الشرع ما يخالفه، واعتبروه مصدراً ثانوياً في التشريع من بين المصادر التي اعتمدها، مثل: الإجماع والقياس والناسخ والمنسوخ... الخ، وهم بهذا التعريف أخرجوا العرف من دائرة المعرفة به بالمعنى الواسع، فخالفوا أمر الله - سبحانه وتعالى - الذي أكّد على العرف والعمل به كمصدرٍ أساسيٍّ للتشريع مستمد مشروعيته من القرآن بقوله (خذ)، وأمر بالعمل به على سبيل التأكيد والإلزام بصيغة الأمر بالعرف؛ لما له من أهمية بالغة في حياة الشعوب والأمم قديماً وحديثاً وفي المستقبل، وهو ما بيّنه الله تعالى في اللفظ الدال على مشروعية العرف المرتبط بالعفو بقوله تعالى: (اخْذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)، (الأعراف: 199). وهذه الآية من سورة الأعراف تؤكد على الأخذ المباشر بالعفو كقاعدة أساسية يستند عليها الأمر بالعرف من قبل الإنسان بصورة واضحة لا لبس فيها، وتبيّنه إجمالاً، كما أنّ تسمية السورة بسورة الأعراف يدلّ على أهمية ومكانة العرف في حياة الشعوب والأمم والحضارات الإنسانية.

ومن هنا فالأعراف مفردتها (عُرف) وهو خطاب الله - سبحانه وتعالى - المحض المباشر بتكليف الناس باختلاف تكويناتهم الأسرية والقبلية، أو التجمعات الإنسانية في إطار الدولة، أو الدول في كلّ زمان ومكان بالأخذ بالعفو والأمر بالعرف، وهو بذلك يثبت العرف على قاعدة واسعة من العفو وبما لا يتعارض مع مقتضى العدل، والرحمة بالناس، ليس ذلك فحسب، بل أكد على مساحة واسعة، من حرية التفكير والاختيار في صياغة نظم من التشريع بما يوائم حياة الإنسان على الأرض وفي الكون، وبما لا يتعدّى أو يتعارض مع كلام الله في القرآن المفصّل والحكيم والميسر لآيات الذكر المبين التحريم أو المحرمات وبيان الحلال وقواعد الأحكام الجزائية (العقوبات) وغيرها.

ومعلوم أن العرف بدأ في التشكل منذ الحياة الأولى للتجمعات الإنسانية القديمة، فظهر العرف كحاجة ملحة بحسب الحاجات المرتبطة بالعيش المشترك بين الناس، فعمل على تنظيم حياتهم في كلّ الأعمال في الحياة الأولى، في مختلف العصور منها عصر هبوط الإنسان من

كوكب جنة عدن، ثم عصر الصيد، والرعي، والزراعة، واستغلال الأرض، إذ بدأ الناس بفعل متكرر، ثم شكّل حالة من الاستمرار لعمل معين اعتاد الناس عليه فترة من الزمن، ثم أصبح هذا العمل متأصلاً قائماً في وسطهم الاجتماعي، ثم يصبح واجباً غير متنازع فيه دون سلطة أو إدارة تفرضه، ثم يصبح عرفاً تعارفوا عليه، فهو ينشأ من بين أوساط المجتمعات الإنسانية على مرّ الأزمنة والعصور، وتتسم قواعده بالثبات، فيحظى بالقبول والاحترام في تطبيقه، ما يكسبه صفة الإلزام والالتزام به، كما أنّ العُرف أسس على قواعد أصبحت معلومة للجميع، وتمثّل التعبير الكامل عن إرادة الجماعة ورضائها الضمني في الالتزام بتلك القواعد، ثم يصبح نصوصاً من القانون مكتوباً، يهدف إلى تحقيق المساواة في الحقوق والواجبات، فالعُرف يقوم بالأساس على الفطرة السليمة، في تنظيم شؤون الحياة، وسيظلّ العُرف فينا قائماً يتوسّع بتوسّع معرفتنا بعلم الأشياء، وبالمعرفة بذاتنا وبمعتقداتنا، وبمن حولنا في الأرض وفي السماء، والكواكب والنجوم، والمجرات والأفلاك، وإلى آخر الزمان، مستمدّين منه القوانين المختلفة في تنظيم حياتنا، والعُرف لا يتعارض مع خطاب الله - سبحانه وتعالى، بل العكس من ذلك تماماً، فالعُرف من أمر الله تعالى الذي أمر به وأكد على الأخذ والعمل به، خلافاً لما جاء في أقوال فقهاء المذاهب الذين جعلوا من العُرف أمراً ثانوياً هامشياً، والأعراف تتنوع بتنوع أنماط الحياة، فهناك أعراف طيبة، وأعراف سيئة تخالف الفطرة السليمة لحياة الإنسان، وهي ما تُعرف بالأعراف السيئة، والتي يُنظر إليها على أنّها مخالفة لقواعد الأخلاق والفضيلة، ولذلك فقد استقرّ فقهاء القانون في واقعنا المعاصر على التوسّع في تعريف العُرف وبيان خصائصه، وتقسيمه إلى ركنين، هما: الركن المادي والركن المعنوي.

الركن المادي للعُرف:

وهو الاعتياد في ممارسة فعل معتاد ومتكرر ومُعين، لفترة طويلة من الزمن، بمعنى أنّ هذا الاعتياد لا يتحقق إلا بإطراد العمل به، وتواتره بمعزل عن تدخل من أحد، ويتّصف بالعمومية والتجريد في قواعده، ويكون على نطاق واسع في الوسط الاجتماعي للمجتمعات والشعوب والأمم، على أن يكون قد تواترت على استعماله فترة من الزمن، وترسّخ في نفوس المجتمع بصورة منتظمة ومستقرة.

الركن المعنوي للعُرف:

أمّا الركن المعنوي للعُرف فهو الشعور بالإلزام والالتزام بما اعتاد واستقر عليه الناس من دون إدارة تفرضه، من سلطة أو جهة، والعُرف لا يقتصر على نوع معين من الأعمال، بل يشمل جميع الأعمال الإنسانية، حسب متطلبات الحياة وتطورها، فالعُرف يتطور بتطور المجتمعات، فيدخل العُرف في تنظيم العقوبات، والمخالفات، وفي تنظيم العلاقات بين الفرد وجماعته، وبين الجماعات القبلية وغيرها، وفي إطار الشعب الواحد، أو الشعوب المتعدّدة، فيعمل على تنظيم شؤونها، وكذلك بمختلف الأعمال، مثل أعمال الصيد، والرعي، وحدود الانتفاع بالأرض، وحق المرور، وحق السلم، وحق الشفعة، وحق الإجارة، وحق الحوالات،

وحق الكفالة وأعمال الوكالة، وأعمال المزارعة، وحق المساقاة والاستقراض، وحقوق الشركة، والهبة، والأطعمة، والعقيقة، والأشربة، والذبائح، والأضاحي، والأعياد والمناسبات، وكيفية العلاج، والمرضى، والطب، والجناز، وأعمال التجارة والصناعات، والعلاقات المحلية والدولية، وغيرها كثير.

خصائص العُرف ومجالاته:

خصائص العُرف:

من خصائص العُرف - كما سبق - بيانه أنَّه يمتاز بالهدوء والاستقرار والمداومة، والاعتقاد على فعله، كما يكسب الاحترام والرضا، وصفة الالتزام به، من دون جهة تعمل على الإلزام به، وقد يكون من بعض النَّاس دون غيرهم، فيصبح مُلزماً للجماعة بفعل بعضهم، وقبول الكل بالالتزام به، ومن أهم خصائص العُرف الذي أمر به الله - سبحانه وتعالى، بهذا المبحث أنَّه لا يتعارض مع خطاب التكليف لأمر التحريم، وأنَّ خطاب الله - سبحانه وتعالى - في التحريم جاء على سبيل قواعد من الحصر والتحديد، وهو ما سبق بيانه في هذا الكتاب في مبحثٍ مستقل، وقد كان تنصيب الحرام محدد غير قابل للزيادة والنقصان ولا يخرج عن قواعد الحرام في القرآن، وما غير ذلك فمتروك لأعراف النَّاس، وفقاً للأوامر والوصايا الإرشادية لقيم الفضيلة في كلام الله سبحانه وما درج عليه النَّاس في الزمان والمكان، فقد يسأل سائل إنَّ ما تراه فضيلة في مجتمعٍ ما قد يكون معاكساً له في مجتمعٍ آخر، والجواب إنَّ الفضيلة ذات قيمٍ واحدةٍ بين النَّاس بمختلف أجناسهم، وطبقاتهم، ومعتقداتهم، وهي مجمل الأخلاق من العدل، والحق، والحرية، والسَّلام، وحق الحياة، وحرية الدين والاعتقاد، ومقتضيات الخير، والحب، والرحمة، والصدق، وقواعد الفضيلة، هي كل أوامر وقواعد التحريم والتحليل، والأجتناب، وأوامر أفعَل ولا تفعل، وغيرها بحسب كلام الله، وأعمال الناس المتوافق مع القرآن، وهذه - بتقديري - ليست محل خلاف بين الشعوب والأمم، فكلُّ عُرْفٍ يناقض هذه القيم، أو يتصادم مع واحدةٍ منها، يصبح عُرْفاً سيئاً، وكثيرة هي الأعراف السليمة الحاضرة بين الشعوب والأمم، بالمقابل قليلة هي تلك الأعراف السيئة الحاضرة في ذاكرة الشعوب والأمم.

العُرف أساس رُقي وتقدم الحضارات الإنسانية:

مما لا شك فيه أن صياغة القانون تمثل أعلى قيمة معرفية وصل إليها الإنسان في مجتمعه، وتجدر الإشارة إلى أنَّ الإنسان بدأ تنظيم حياته وفقاً لما تعارف عليه بقواعد العُرف، هبوطاً وصعوداً بمجمل المتغيرات الاجتماعية في الحياة، عبر مسيرته، فكلما تطور الإنسان تطوّر معه العُرف، وازدادت الحاجة إليه في إصدار القوانين لتنظيم شؤون الحياة وفي الأعمال والمهن، ولا تقتصر مصادر العُرف على كل ما يفعله الإنسان، إنَّما - بتقديري - هناك بعض مصادر للعرف تأتي بوحى من الله - سبحانه وتعالى، حسبما جاء بالقرآن الكريم من قواعد إرشادية في (افعل) و(لا تفعل)، كما في عهد نبي الله نوح - عليه السَّلام - الذي علَّم كيفية

صناعة الفلك (السفينة)، فأصبحت هذه المهنة ضمن أعراف الناس في صناعة السفن، وأصبحت هذه الصناعة اليوم لها قوانين خاصة في تنظيمها، وهي ما تُعرف بالقانون البحري، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَوْحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ، وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيُنَا وَلَا تَخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ﴾، (هود: 36، 37)، ومن بعده قوم عاد، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿كَذَبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ﴾، (الشعراء: 123) فخطبهم أخوهم هود بما تعلّموه من قواعد العلم بأعراف البناء، والصناعة في حضارة الإنسان القديم بشبه الجزيرة العربية، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاه: ﴿أَتَبْتُونُ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ، وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾، (الشعراء: 128، 129)، ثم جاء من بعدهم قوم ثمود في نفس المكان مع تغيير الزمان، الذين خاطبهم أخوهم صالح باتخاذهم من الجبال بيوتاً وُصِفَتْ بالفارهة، في قَمَّةِ الإبداع الهندسي والفخامة، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَتَتَّخِثُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِينَ﴾، (الشعراء: 149)، وهي ما تُعرف اليوم بمدائن صالح، ثم جاء من بعدهم المصريون، في حضارة وادي النيل فبرعوا في أعراف وقوانين البناء والهندسة المعمارية، فأنشأوا مباني الأهرامات التي شبهها الله تعالى بأوتاد الأرض (الجبال)، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾، (الفجر: 10). فأصبحت اليوم من قوانين العمارة، بالإضافة لأهم وأقدم الأعمال التي امتتها الإنسان.

ومن نافلة القول: إِنَّ اللَّهَ - سبحانه وتعالى - قد بيّن لنا الطريق في إقامة الحق والعدل لقيم الفضيلة، فكتب في الألواح أحكام قانون عقابي عبر رسول الله موسى - عليه السلام - فكان ذلك تدخلاً إلهياً بأهمية كلام الله سبحانه في تنظيم حياة الإنسان، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَخَشَوُا اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ، وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، (المائدة: 44، 45)، فكان هذا وما يزال تشريع الله المكتوب، إلى بني إسرائيل خاصة، وإلى الناس عامة، قائماً على العدل، مقروناً بالتصدق، ومكلاً بالعفو، والرحمة، حسب المفهوم من مدلول الآية، فذلك ما يعتدُّ به كقاعدة أساسية للتشريع على مرّ الزمان والمكان، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ولا تعارض بين عُرف الإنسان وتشريع الله - سبحانه وتعالى - القائم على نفس القاعدة من العدل والرحمة والعفو والخير للناس، وفي نفس الوقت لا يعدُّ كلا التشريعين سواء، فتشريع الله - سبحانه وتعالى - هو الأعلى والأكمل وهو ينظر إليه بوصفه قاعدة ثابتة، وتشريع الإنسان هو الأدنى والمتغيّر بتغيّر عادات المجتمعات الإنسانية، وتطورها وفقاً للزمان والمكان، فكانت حضارة الإنسان البابلي النموذج الأول في التدوين، وبلغت أوج المعرفة، والعلم بتنظيم الحياة، فصاغوا أول نصّ لقانون مكتوب، كمثّل لأعلى قيمة معرفية بالنص، فشكّل نقلة نوعية من قاعدة الأعراف، إلى النص المكتوب، ابتداءً بتشريع (اورنمو)، وقانون (بلالاما)، وقانون (لبت عشتار)، ثم اكتمل هذا الإرث الإنساني بما صاغه الملك البابلي العظيم

(حمورابي) في مسلته القانونية المعروفة (مسلة حمورابي، أو شريعة حمورابي)، فكانت جوهر الإبداع لفكر الإنسان البابلي (العراق القديم) تلك المسلة المستمدة من قواعد العُرف في تنظيم حياة الإنسان من نواحٍ عديدة، وسواءً أكانت مواد هذا القانون تتوافق مع الفطرة والفضيلة، أو لا تتوافق معها، فإنَّ العُرف كان هو القاعدة التنظيمية الأساسية للقانون المكتوب في ذلك الزمان، فكأنَّما (حمورابي) كان يحاكي ما كُتب على ألواح موسى من قبل الله سبحانه، وتلك هي فطرة الله سبحانه التي فطر النَّاس عليها.

ولذلك اعتُبرت آيات الأحكام في الحلال والحرام وجميع الأوامر (افعل) و(لا تفعل) و(اجتنب) وجميع الوصايا والإرشاد والقصص والأمثال في كلام الله - القرآن المحكم المبين قواعد أساسية ومباشرة يستلهم الناس منها التقنين والتشريع من أجل تنظيم الحياة وإخراج نصوص من القانون هدفها الأسمى إقامة العدل على أساس من المساواة وتطبيق العقوبات، وترسيخ قيم الفضيلة والعفو والرحمة في حياة الإنسان على الأرض بصفة خاصة، وكذلك العمل حسب سنة الله وفطرته في الخلق (قوانين الطبيعة) والمعتبرة في المخلوقات، ولتسهيل المعرفة بتلك القواعد والتي كانت أساساً للمعرفة في تشريع وتقنين القوانين بمختلف مناحي الحياة، بحيث تكون جنباً إلى جنب مع قواعد عَرَف الإنسان من أجل التيسير والتسهيل لعيش الناس، نأتي لذكر بعض آيات القرآن الكريم وتمثل هذه الآيات الأرضية التشريعية لقواعد العمل بالعرف النافع للناس في الزمان والمكان بالآتي:

"لا" النافية للفعل التعريف ودليل مشروعيتها:

التعريف والمشروعية: أورد الحق - سبحانه وتعالى - جملة من الأوامر وهي بمثابة قواعد موجبة للقيام بالفعل قولاً وعملاً واعتقاداً، وأوامر أخرى موجبة بعدم القيام بالفعل قولاً وعملاً واعتقاداً، ومنها ما كان أمراً للقيام بالفعل للمنفعة المحضة، ومنها ما كان حكماً قطعياً بالتحريم (الترك، أو المنع) يقوم على سبب وعلة التحريم فيه، فكانت منها - الأوامر - الإرشادية والتحذيرية لضمان سلوك المجتمعات، والشعوب والأمم بهذه الآيات كدليل إرشادي للناس، بجعلها قواعد لصياغة القوانين المنظمة، على مبادئ القيم والمثل الرفيعة في خلق المجتمعات الفاضلة، ومن ذلك الكم الكبير من أوامر الله - سبحانه - في هذا الموضوع كثير من الآيات التي تشير إلى عناوين قصد من ذكرها من قبل الخالق للناس لوضعها موضع قواعد من التشريع القانوني من أجل صياغة قوانين ولوائح وقرارات تعمل على تنظيم حياة الناس في الزمان والمكان على الأرض، ولا تحتاج لتطبيق قواعد العرف فيما جاء بمضمون تلك الآيات بحجة الوضوح في مقصدها في حياة الناس، مما يستلزم صياغة القانون مباشرة على قواعد هذه الآيات التي نذكر النزر اليسير منها، إذ إن كل آية جاءت وكأنها قاعدة من التشريع تحمل عنواناً عريضاً من أجل إلهام الناس نحو تنظيم مصالحهم وحياة الشعوب والأمم في الزمان والمكان ومنها في الآتي:

1- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ البقرة (11).

- 2- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف: 56).
- 3- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، (البقرة: 42).
- 4- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾، (النساء: 2).
- 5- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ...﴾، (الأنعام: 108).
- 6- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾، (الأنعام: 121).
- 7- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، (الأنعام: 152).
- 8- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا...﴾، (الأعراف: 86).
- 9- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾، (الأنفال: 21).
- 10- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، (الأنفال: 27).
- 11- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِن الظَّالِمِينَ﴾، (يونس: 106).
- 12- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ...﴾، (هود: 113).
- 13- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿... وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، (الإسراء: 15).
- 14- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾، (الإسراء: 22).
- 15- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا لَقِيتُمْ نَحْنُ نَرِزْقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾، (الإسراء: 31).
- 16- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾، (الإسراء: 32).
- 17- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾، (الإسراء: 33).
- 18- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْنُورًا﴾، (الإسراء: 34).
- 19- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْنُورًا﴾، (الإسراء: 36).
- 20- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾، (الإسراء: 37).

- 21- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ...﴾، (النور: 21).
- 22- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، (النور: 27).
- 23- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾، (الشعراء: 183).
- 24- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، (القصص: 88).
- 25- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، (لقمان: 13).
- 26- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ، وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾، (لقمان: 18، 19).
- 27- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾، (الأحزاب: 69).
- 28- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾، (الحجرات: 11، 12).
- 29- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَذْهَبُوا بِبَعْضٍ مَّا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾، (النساء: 19).
- 30- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يضاعفها وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، (النساء: 40).
- 31- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾، (النساء: 48).
- 32- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، (المائدة: 89).
- 33- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، (يونس: 44).

34- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، (فصلت: 40).

ذلك هو النزر اليسير من الأوامر والقواعد الإرشادية من كلام الله تعالى بالقرآن الكريم، وغيرها الكثير من الصيغ المتعددة جاءت مجملها ب (افعل ولا تفعل)، كآية ثابت يتضمن قواعد أساسية للفضيلة، فُصد منها إلهام النَّاس وهدايتهم لجعل هذه الآيات وغيرها من قواعد التشريع، من أجل صياغة قوانين تنظّم حياة الإنسان في المجتمعات الإنسانية، وتنظّم علاقتهم بمن حولهم من بني جنسهم أولاً، ثم بالكائنات من حوله، والكون المحيط بهم والسماء وغيرها من المخلوقات، بآيات من التشريعات المتغيرة بتغيير الظروف حسب الزمان والمكان ولا يتعارض مع القرآن الثابت والخالد، وحسب المعرفة بدلالة الآيات وترجمتها على نحو يخدم الإنسان وكل من حوله، وتلك هي سنة الله سبحانه في الخلق والناس أجمعين، فذلك هو هدى الله سبحانه، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى، وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى، قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا، قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾، (طه: 123، 124، 125، 126).

أما عن قواعد العرف التي يمكن تلخيصها بحسب ما سيتم حصر بعض منها، مع العلم أن العرف يتطور بتطور المجتمع ومعه تتجدد قواعد وتتنوع بل وتتشكل من طور لآخر تبعاً لتطور المجتمعات هنا وهناك، نذكر بعضاً منها على سبيل المثال في الآتي:

قواعد من القرآن لتشريع وتقنين الحلال:

ورد من كلام الله في القرآن المبين حول ما في الأرض من حلال طيب وما في السماء، وتعريف الحلال جاء إجمالاً ومطلقاً وموسعاً بخلاف ما حرم الله في القرآن، وعلى الإنسان صياغة وتقنين القوانين من أجل تنظيم استخدام هذا الحلال على نحو يجلب المنفعة ويمنع الضرر.

قواعد من القرآن لتشريع الحرام:

ورد كلام الله في القرآن المبين والمفصل، بآيات تتحدث عن الحرام بصورة مفصلة على اعتبار أنها قواعد لا ينبغي تجاوزها أو تعديلها أو تفسيرها أو تأويلها أو القياس عليها خلافاً لمقصدها المحدد بالآيات، ولا يمنع من معرفة الآية والعلم بها (فلسفة النص)، مثال لذلك، آية تحريم نكاح الأمهات فينبغي العلم بالأمهات على أنها الأم والجدة وإن علون، وكذلك نص تحريم الجمع بين الأختان وهما الأختين الشقيقتان والأخت لأم والأخت لأب، وكذلك آية تحريم أكل لحم الخنزير دون غيره من بقية الأعضاء كالاستفادة من جلد وشحم الخنزير والأوعية الدموية وغيرها، ولذلك كان لازماً على المشرعين وضع آيات التحريم حسبما وردت وعلى نحو يجعل من توظيفها لخدمة الناس تسير على نحو ميسر للفهم والمعرفة لعل التحريم دون

يمتد لغيره أو يقاس عليه، من كون المشرّع هو كلام الله في القرآن الكريم، وما يتفرع عنها من قوانين لا تتصادم معه بأي حال.

قواعد من القرآن لتشريع وتقنين الجزاء أو العقوبة:

ففي عقوبة القتل مثلاً: وردت آيات متعددة حول هذه العقوبة منها النفس بالنفس والحر بالحر والعبد بالعبد والقتل المتعمد والقتل الخطأ ومعرفة الولاية في الدماء، وهي ما تعرف بالولاية الخاصة وحدودها، والولاية العامة وحدودها، والجروح قصاص، وغيرها من الآيات حول مفهوم الجزاء والعقوبة والمعرفة به من نواحٍ عدة، وعند توظيف الآية المعبرة عن تلك الأحكام ينبغي علينا أولاً الإيثار بفقهاء الآية وفهمها وهو ما يعرف بفلسفة الآية بمدلولها من أجل سهولة تحديد مقصدها وتحديد العقوبة على نحو من التشديد أو التخفيف في تطبيق العقاب.

وفي عقوبة قطع يد السارق: وردت آية واضحة وصريحة حول قطع يد السارق، وآية أخرى تشرح جريمة السرقة بصورة مفصلة من حيث التعريف بالجريمة بركبتها المادي والمعنوي والقصد الجنائي ودليل الإدانة وأداة الجريمة، والماضي الإجرامي للمتهم (سجل المتهم) وحق الدفاع وصولاً للعقوبة المحددة وغيرها، حسبما ورد بقصة أخوة النبي يوسف عليه السلام، ومن تلك القصة أيضاً، فإنه يتوجب علينا العلم والمعرفة بمدلول الآية، على نحو يجعل من توظيف الآية بمدلولها لخدمة الناس، بصورة مفصلة وهو غاية ومقصد الدين، وقد لخص الحكم بتلك السردية بقطع يد السارق إذ قصد بالقطع الحبس وليس البتر.

في العقوبات الاجتماعية – قانون الأسرة: وردت عدد من العقوبات ومنها جلد الزانية والزاني – وجلد من يرمي المحصنات – وحكم اللعان عند الشك في العلاقة الزوجية – وعقوبة الإمساك في البيوت بفعل السحاق – وعقوبة الأذية لفاحشة إتيان الذكران، فكل هذه العقوبات فرضت كقواعد أساسية لا ينبغي تجاوزها، بالإضافة يجب فقهاها بما يؤدي لصياغة نص من القانون يخدم الناس للحد من الجريمة الاجتماعية ويحفظ للمرأة مكانتها وعدم التعدي عليها، ويصون الأسرة من التفسخ والانحلال، ويعمل تطبيق النظريات العلمية للجريمة في المجتمع بهدف التربية وليس بهدف العقاب لمجرد العقاب، مع العلم أن كل هذه العقوبات قابلة للعفو والإصلاح، وهو ما يهدف إليه القرآن.

قواعد من القرآن لتشريع وتقنين قانون الأسرة والآداب الاجتماعية:

وذلك في الخطبة والزواج والنكاح والعشرة وحقوق الزوجية والقوامة والطلاق والنفقة والصداق (المهر) والمحيض فكل هذه العناوين وغيرها ورد في تنظيمها آيات من كلام الله في القرآن المفصل المبين، وينبغي علينا جعلها قواعد لصياغة وتقنين قوانين تترجم مضمون تلك الآيات ولا تتعارض معها وتؤدي الغرض من تلك الآيات بمدلولها في خدمة الإنسان وهو المقصد الحكيم.

في ثياب المرأة: وردت آيات بوصايا وإرشادات تتحدث عن الخمار والجلباب وعن زينة المرأة وعن غض البصر وغيرها من الوصايا والإرشاد التي قصد توجيهها للنساء عامة

ونساء النبي كل الأنبياء لكونهم القدوة في الإلتباع لكلام الله سبحانه، ومن خلال هذه الآيات، فإن على المشرعين سن تقنين من القانون، يعمل على تنظيم هذه الجوانب، ويخدم الناس ولا يتعارض مع القرآن.

قواعد من القرآن لتشريع وتقنين الحقوق والحريات:

وردت آيات مجملة وأخرى مفصلة من كلام الله سبحانه حول قواعد لتشريع وتقنين الحقوق والحريات، والتي تتعلق على سبيل المثال: حق الإنسان في الحياة والعيش الكريم، وحقه في المساواة في الخلق دون تمييز في اللون والجنس والدين، وحقه في الفكر والتفكير دون قيود ودون حدود، وحقه في حرية اختيار الدين، واختيار نمط عيشه، وغيرها من الحقوق المنضوية في تلك القواعد في هذا الجانب، ومن تلكم الآيات ينبغي على الناس صياغة وتقنين القوانين التي تخدم الإنسان حسب تلك القواعد على نحو لا يسمح بالتعدي والاعتداء على حقوق الآخرين، ويجب العمل بالآيات التي تدعو للحرية وحقوق الإنسان في العالم من كل الأمم والشعوب.

قواعد من القرآن لتشريع وتقنين العلم والمعرفة والعمل:

وردت آيات كثيرة جداً تتحدث عن الجدل في الخالق والمخلوق والعلم والمعرفة بالروح والنفس والعلم بالكون والأكوان والكواكب والنجوم والسماء والسموات، وسماء الأرض وما تحوي من طبقات، والعلم بالأرض وقوانين الطبيعة المطردة حسب فطرة الله وسنته في الخلق، كما وردت آيات كثيرة تتكلم عن العلم بالماء وإنزاله من السماء بمختلف تكويناته ابتداء بالقطرة، والماء، والغيث، والأمطار، والعيون، والأنهار، والبحار، ثم ذكر العلم بالرياح والريح، والسحاب، والبرق والرعد، والعلم بالجبال، والتراب والحجر، والشجر والنبات، والزرع، كما تكلم عن العلم بالأنعام، والدواب، والطير، والعلم في كل ما في باطن الأرض وظاهرها من موارد، وذكر العلم والمعرفة بالعمل في كل جوانبه السيئة والصالحة، فكانت تلك الآيات، قواعد إرشادية ملهمة للإنسان، من أجل تقنين قوانين تنظم التعامل معها، والاستفادة منها في الوقت نفسه، على نحو يخدم الناس، بجلب المنفعة ودرء الضرر، ولا يؤدي إلى هدرها والعبث بها ودمار البيئة والمناخ.

قواعد من القرآن للحث على تأدية الشعائر والمناسك:

لا يقصد من هذه القواعد، وضع تقنين أو تشريع لأداء الشعائر، والمناسك، من صلاة وزكاة وصيام والحج والعمرة، فتلك من الحالات المرتبطة بالعقيدة والحرية الشخصية خاصة الصلاة والصيام والحج، إذ لا يمكن تقنين قانون يلزم الناس على أدائها فذلك إكراه في الدين، غير أن هناك شعيرة الزكاة (الضرائب) جاءت بألفاظ مجملة، لحكمة اقتضاها الله سبحانه، فجعل للناس حق التشريع والتقنين لقانون يحدد المعرفة والعلم بالزكاة (الضرائب) من حيث

النشاط، والمدة، والنصاب، وغيرها من الأمور المتطلبة في التشريع، والمعلوم إن التشريعات الضريبية واسعة المجال ومتعددة بتعدد نشاطات الحياة، وكذلك الحج والعمرة.

دور العُرف في إثراء القانون وفروعه:

تتفاوت أدوار العُرف والأعراف في صياغة التشريعات القانونية بمجمل مراحل حياة الإنسان، على اعتبار أنَّ العُرف من أهم مصادر القوانين المكتوبة المتعددة، ولا تتعارض مع خطاب التكليف الحصري المحدد بآيات التحريم الصادر عن الله - سبحانه وتعالى، ومن العرف والأعراف استطاع الإنسان في العصور المختلفة وحتى يومنا هذا أن يقنن عدداً من التشريعات القانونية في خدمة الإنسان، فكانت تلك النصوص من القانون وما زالت ماثرة جدل؛ بسبب الحكم والحاكمية الإلهية في الفكر الديني السياسي، الذي أعاق الكثير من التشريعات الإنسانية، وأوجد أحكاماً مخالفة لما أمر الله، وحرّم الكثير من الحلال، وقبّد الفكر الإنساني في مرحلة من الزمن، فتجاوزوها بفعل قيام عددٍ من الثورات في مختلف دول العالم، أوروبا ودول آسيا الصين وروسيا وبعض دول أمريكا اللاتينية، وما زال هذا الفكر السياسي الديني يعيق الفكر العربي والإسلامي عن ركب سباق الشعوب والأمم، من التطلّع إلى حياة أفضل، بل ومنعه من الولوج إلى عصر النهضة العربية المنشودة، متسلحين بالعلوم، والمعرفة الإنسانية، وعلى الرغم من كلّ هذه الهجمة الشرسة بإلغاء التشريعات القانونية بحجة أنها قوانين وضعية ويجب العودة (للتشريعة) دون أن يعوا معنى لفظ الشريعة، ومصدرها، إلا أنَّ المسيرة انطلقت إلى الأمام، ومن هذه المسيرة التشريعية نكشف عن دور العُرف الذي كان له الفضل في صياغة الكثير من نصوص القانون المكتوب، ومنه نستعرض هذه المنظومة القانونية بالآتي:

دور العُرف في صياغة منظومة القانون الوطني العام والخاص، نذكر منها الآتي:

- 1- الدستور (قانون الدولة العام).
- 2- قوانين السلطة التشريعية.
- 3- قوانين السلطة القضائية.
- 4- قوانين السلطة التنفيذية.
- 5- قوانين السلطة المحلية الفدرالية والكونفدرالية.
- 6- القوانين المدنية.
- 7- القوانين العسكرية.
- 8- القوانين الجزائية.
- 9- القوانين الإجرائية.
- 10- القوانين الخاصة.

دور العُرف في منظومة القانون الوطني والدولي العام والخاص:

- 1- منظومة القانون العام، المتمثّل في الدساتير المختلفة.
- 2- منظومة القوانين الخاصة.

- 3- منظومة القوانين الدولية العامة.
- 4- منظومة القوانين الدولية الخاصة.
- 5- منظومة الاتفاقيات والمعاهدات الوطنية والإقليمية والدولية.
- 6- منظومة الاتفاقيات والمعاهدات الدولية العامة والخاصة.

وغيرها من القوانين، واللوائح، والقرارات، والمراسيم الخاصة بتنظيم حياة الأفراد، في التجمعات الإنسانية في إطار الدولة البسيطة، أو الدولة المركبة - الدولة الفدرالية - أو الدول الكونفدرالية، على مستوى عددٍ من الدول، أو غيرها من الأنظمة الحديثة.

دور العُرف في صياغة منظومة القانون الدولي العرفي العام والخاص:

تتكون مصادر القانون الدولي من الأعراف والمعاهدات والاتفاقيات بين الدول، سواءً أكانت ثنائية أو إقليمية، أو دولية، في ما يتعلق بتنظيم العلاقات بمختلف المجالات في وقت السلم والحرب، ومن هذه المعاهدات والاتفاقيات نشأ القانون الدولي العام والخاص، ومعه نشأت المنظمات الدولية بين أشخاص القانون الدولي، في مختلف المجالات المتصلة بحفظ الأمن والسلم العالمي، ومعه نشأت الاتفاقيات الدولية الخاصة، وأصبحت كتنظيم قانوني عابر للحدود الوطنية بمجرد التصديق عليه من هيئات الحكم الوطني، حسبما تعارف عليه أعضاء الأسرة الدولية، ومع اتفاقنا أو اختلافنا حول المسؤولية الأخلاقية من تطبيق نص القانون الدولي، بفضل هيمنة وتحكم الأطراف القوية في عصابة الأمم على مجمل قرارات المنظمات الدولية، (منظمة الأمم المتحدة)، و(مجلس الأمن الدولي)، و(محكمة العدل الدولية)، و(مجلس حقوق الإنسان)، وغيرها من المنظمات، والمجالس الدولية النوعية التي تتعلق بحقوق الإنسان، والمنظمات الدولية الأخرى كمنظمة الطاقة الذرية، ومنظمة الصحة العالمية، وغيرها، فإن كل هذا الكم من القانون والمنظمات الدولية، كانت وليدة ذلك القانون الدولي، وتمثل نقلة نوعية رفيعة في حياة الشعوب والأمم، على المدى القريب والبعيد، بما فيها من مزايا وعيوب، إذ كان أساسها العُرف، كما أنَّ العرف أسهم بدورٍ فعَّالٍ في إخراج الكثير من المواثيق والمعاهدات الدولية، منها ميثاق الأمم المتحدة، وميثاق عصابة الأمم، وميثاق حقوق الإنسان، واتفاقيات أسرى الحرب، وقوانين تنظيم الملاحة، في البحار والأنهار، واتفاقية العلاقات الدبلوماسية بين الدول، واتفاقيات التجارة، والحقوق الفكرية، واتفاقيات تنظيم انتشار الأسلحة البيولوجية، والكيميائية، والنووية، واتفاقية المناخ، وغيرها الكثير.

هيئات تشريع القانون الوطني - والدولي:

تعرف هيئات التشريع، أو السلطة التشريعية، بأنها جهاز إداري يتكون من عددٍ من الأفراد، تسند إليهم مهام محددة، ومن أهمها تشريع العرف في صيغة مواد قانونية على شكل مسودة قانون أو مشروع قانون يعالج ظاهرة معينة في حياة الناس، وأصبح من الأهمية تنظيم هذه الظاهرة والتحكم فيها على نحو معين، ولما فيها خدمة الإنسان، والحيوان، والبيئة من حولنا، سواء كانت هذه الظاهرة في البر، أو البحر، أو الجوي، أو في السماء، خارج كوكب

الأرض، ويتم اقتراح مسودة مشروع القانون من جماعة من الناس أو من جهة مخولة بذلك، ولن نستترسل كثيراً في هذا الموضوع كونه أصبح من العلوم التخصصية المعروفة بفقهاء القانون الدستوري.

ولعل أول نص من قانون الإنسان أكتشف في هذا الشأن كان في الحضارة البابلية حضارة بلاد الرافدين، وحضارة وادي النيل، ثم حضارة أثينا وروما وحواضرهما، أما عن هيئات التشريع فقد كان السبق لحضارة أثينا وروما أيضاً في ظهور هيئات التشريع للقانون والحكم، كما لا ننسى الإشارة الضمنية من القرآن الكريم في عهد النبي سلمان عليه السلام وهو يتحدث عن الشورى في دولة سبأ - اليمن - والأحباش القديمة، إذ كان للمجلس شورى الأقبال دور كبير تنظيم سلطات الدولة وسن بعض القوانين التي ظهرت على بعض النقوش والآثار، وإليك نورد بعض من هيئات التشريع القانوني التي أنشأها الإنسان من أجل توظيف العرف في توليد القانون، على مراحل من التطور المعرفي للإنسان في التاريخ، ونذكر بعض من الأسماء المعروفة والمتداولة حسب التسلسل التاريخي والتي منها بالآتي:

- مجلس الشورى لأقبال دولة سبأ.
- مجلس الشيوخ أثينا - وروما
- مجلس البرلمان أثينا - وروما
- مجلس الشعب
- الجمعية الوطنية
- وعددا من المسميات (مجلس اللوردات - مجلس الشيوخ - مجلس الكونجرس - مجلس الأمة) وغيرها من المسميات

أما بالنسبة لتشريع القانون الدولي فإن مصدره الاتفاقيات والمعاهدات والأعراف القائمة بين الدول، ومؤخراً ظهرت هيئات دولية ممثلة من الدول المنشأ لها، ومن مهام ووظائف هذه الهيئات صياغة القانون الدولي، نذكر منها على سبيل المثال في الآتي:

- الجمعية العامة للأمم المتحدة.
- مجلس الأمن الدولي.
- مجلس البرلمان الأوروبي.
- مجلس حقوق الإنسان.
- الاتحاد الأوروبي.

العرف والأعراف ودوره في إثراء ثقافات الشعوب والأمم:

كما أن العادات والتقاليد التي يعتاد الناس عليها في الزمان والمكان تعتد من العرف والأعراف التي تسهم بصورة فاعلة في خلق الثقافات المتعددة للشعوب والأمم، ممثلة بالفنون الإبداعية، والفلكلور، والطرب والغناء، والشعر، والقصة، والرقص، والسينما، والمسرح،

والمهرجانات المحلية والدولية، وغيرها من الثقافات والأعراف المختلفة، وخلق المناسبات والأعياد كالأعياد العالمية والأعياد الوطنية، والمناسبات الخاصة، وتعدّد أنماط العيش والحياة، في المأكل والمشرب واللبس والسكن، وغيرها بحسب الأعراف المتداولة بين الناس، ما يجعل الحياة أكثر متعة وجمال، حسب قول الحقّ سبحانه: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾، (القصص: 77)، من دون نشر الفحشاء والخلاعة، مع التوسط والاعتدال في كل شيء، وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا...﴾، (البقرة: 143).

مكانة أهل العرف والأعراف عند الله سبحانه:

جاء القرآن الكريم بذكر رائع وبديع عن أهل الأعراف، وبيّن ثوابهم جزاء بما قدّموا من خدمة للإنسان، من تشريعات ونظم القانون، عملت على تنظيم حياة الناس، ونشر السلام بين الشعوب والأمم، فقد جاء هذا الذكر في محاكاة بديعة، وأوصاف بليغة فيها من القول الفصل، حسبما تضمنته هذه الآيات، وبتقديري فإنّها تغنيانا عن شرح ما سيؤول إليه أهل الأعراف في الآخرة، وأترك القارئ لإيّاها بعقله وقلبه، قَالَ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذِنَ مُوْذِنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ، الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ، وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ، وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ، وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تُسْتَكْبِرُونَ، أَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾، (الأعراف: 44، 45، 46، 47، 48، 49).

هذه هي إذن منزلة أهل الأعراف عند الله - سبحانه وتعالى - فهم أولئك النفر من الناس الذين حدّدهم الله بأعمالهم لا بمعتقداتهم، فصاغوا الأعراف والقوانين التي لا تتعارض مع خطاب الله - سبحانه وتعالى، وتتوافق مع الفضيلة في تنظيم شؤون حياة الشعوب والأمم من أجل حفظ وصون الإنسان من الصراعات، ومن أجل نبذ الحروب، والمحافظة على القيم الإنسانية ومناصرة العدل والحرية، وحرية العقيدة، من غير التدخل والهيمنة على مقدرات الشعوب والأمم، ومن أجل صنع المحبة والسلام، والأمن الوطني والأمن الإقليمي والدولي، وتعزيز فرض السلام العالمي، ومن أجل تقنين وتنظيم استخدام الحلال الطيب المطلق والمتعدد، والعمل على تطبيق ما فصل الله سبحانه في قواعد الحرام والتحريم، ومن أجل تقنين وتنظيم الحياة بمجمل قوانينها المرتبطة بالإنسان والحيوان والنبات والبيئة المحيطة بنا، والمرتبطة أيضاً بعيشنا المشترك في الأرض والمتعلق على سبيل المثال: بالماء والنار والكأ والمناخ والأنهار والبحار والمحيطات والسماء وما فيها، واستدراكاً لآيات أخر ومشهداً آخر، ونداءً بين أهل النار، وأهل الجنة من نفس السورة، قَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ

النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ، الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ وَلَقَدْ جَنَّاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ، (الأعراف: 50، 51، 52).

فقه المعاملات

التعريف والمشروعية:

من قراءةٍ فاحصةٍ ومقارنة لفقه المذاهب الإسلامية في هذا العنوان، مع التلمود المشنأ، وشرعية حمورابي، والشرائع البابلية القديمة، وفقه القانون الروماني، تتضح حقيقة الاقتباس من بعضها بعضاً، فالتلمود تأثر بالنقل من شرعية حمورابي؛ كون شرعية حمورابي الأقدم، ومذاهب الفقه الإسلامي اقتبسوا من التلمود، ومن فقه القانون الروماني (مدونة جوستينا) كونهما الأقدم، وأصلوا كل أعمال الناس من المعاملات تحت مسمى فقه المعاملات، ودسُّوا أحاديث القفلة والعننة؛ لمشروعية تلك الأعمال والافعال وغيرها، وقد تم الردُّ على كل ما أثير في المذهبين السني والشيعة، حسبما جاء في صحيح البخاري، وكتاب الرسالة للشافعي وكتاب الكافي، وموطأ مالك، والمذهب الإسماعيلي، والمذهب الزيدي، وطائفة الدروز، مع لمحة سريعة للتعريف بأئمة المذاهب كنماذج مختارة في هذه الكتاب - الجزء الأول، وقد تم الردُّ والتعليق على بعض العناوين بصورةٍ مستقلة، كما تم استعراض أقسام التلمود، المشنأ الستة، والشرائع الإنسانية القديمة البابلية، والرومانية، وكذلك أجزاء الكافي الثمانية، وكتاب صحيح البخاري، ومن هذه التشريعات، صاغوا فقهاً أطلقوا عليه فقه المعاملات، أصلوه بنصوصٍ من تلك التشريعات الدينية وغيرها، فنسبوا القول بتلك النصوص على لسان الأنبياء والرُّسل، على اعتبار أنَّها وحي من الله، وهي في الحقيقة وليدة العُرف والأعراف ومدونة في القوانين الإنسانية القديمة، على مختلف الشعوب والأمم، والحضارات، بمختلف الأزمنة والأمكنة، على مر التاريخ، وترجمة لأعمال الناس اليومية، وقد أفردوا لها كتباً وعناوين خاصة، أدرجوها ضمن تصنيف الفقه الديني، فكانت بمقدار ثلث التشريع الفقهي أو أكثر، ومنها أوردت بعض العناوين الرئيسية حسب الجدول التالي:

كتاب البيوع	كتاب السلم	كتاب الشفعة	كتاب الإجارة	كتاب الحوالات	كتاب الكفالة	كتاب الوكالة
كتاب: المزارعة	كتاب: المساقاة	كتاب: الاستقراض	كتاب: الشركة	كتاب: الرهن	كتاب: العتق	كتاب: المكاتب
كتاب: الهبة	كتاب: فضل المدينة	كتاب: أحاديث الأنبياء	كتاب: المناقب	كتاب: فضائل الصحابة	كتاب: مناقب الأنصار	كتاب: الأئمة
كتاب: العقيقة	كتاب: الأشربة	كتاب: الذبائح	كتاب: الأضاحي	كتاب: العيدين	كتاب: المرضي	كتاب: الطب
كتاب: الآداب	كتاب: اللباس	كتاب: الرقاق وأهوال الموت	كتاب: الجنائز	كتاب: الإكراه	كتاب: الحيل	كتاب: التعبير والرؤيا وكتاب: الفتن وكتاب: التمني

وقد جاء ذكر مضمون هذه العناوين، وغيرها، على قاعدة الحلال والحرام والمباحة، والأمر والنهي، وهي في الحقيقة من أعراف الناس التي أسست قاعدتها على العُرف والأعراف، وفقاً للمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لحياة الشعوب والأمم، مع اختلاف الزمان والمكان، وخصوصية كلِّ شعبٍ عن آخر، وليس حسب منهجية دينية، وعقائدية ثابتة، وقد أقتبسه فقهاء الطوائف والمذاهب والفرق والجماعات الدينية من الفكر الإنساني للحضارات القديمة، ودسَّوه في التلمود المشنأ، وأصلَّوا شرعية فعلتهم بفرية أنَّ هذا التشريع أنزل من الله تعالى إلى موسى، ومن موسى إلى الحاخامات، والكهنة، ومن الكهنة للعامَّة، فقسَّموا الأمة الواحدة إلى طوائف، وفِرَقٍ، وجماعات، ثم قاموا بدسِّ هذا الموروث أو جزء منه في فكر المذاهب والفرق الإسلامي بفرية ما آتاكم الرُّسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا، أو وما ينطق عن الهواء، ومن لم يحكم بما أنزل الله وغيَّبوا عمدا الوظيفة العملية للنبي والرُّسول على مسيرة الهداية الربانية، فدسَّوا فكر المذاهب السني / الشيعي أحاديث القفلة والعنعة، وفي مذاهب آل البيت (أهل البيت)، كما جاؤوا بكما كبير من الفكر الديني من تفسير وتأويل وحديث فحرفوا من خلاله الدين خلافاً لما أنزل الله سبحانه، فصنعوا هذا الكم من المذاهب والفرق، والجماعات وجاءوا بهذا الكم الثقيل من العناوين، وما بينها من عناوين وتفُرُّعات، فوسَّعوا دائرة التحريم، وأصلَّوا جُلَّها وحرامها، بمشروعية من تلك الأقوال من الأحاديث والتفسيرات والتأويلات الخاطئة، وأقوال زعمائهم، وآرائهم، وفتاواهم، التي اعتبروها جزءاً من أصول العقيدة الإيمانية، فصنعوا أديناً ضد الدين الحقيقي لدين الله - الذي جاء في كلام الله بصحف إبراهيم وتورا موسى وفرقان هارون، وزبور داوود، وإنجيل عيسى، وخواها القرآن الكريم جميعاً.

ومن أمثلة الحجج التي يتقول بها بعض نفرًا من الناس حول الحكم والحاكمية بما أنزل الله سبحانه ويفسر هذه النصوص على هواه وحسب ما دس عليه من تفسير وتأويل خاطئ والتي منها قَالَ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، (النساء: 65) وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾، (النساء: 105)، وَقَالَ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾، (المائدة: 43)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَكُنْتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، (المائدة: 45)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ...﴾، (المائدة: 49)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾، (المائدة: 50)، وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حُكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا...﴾، (الأنعام: 114)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنَّ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾، (الرعد: 37)، وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ

﴿مُغْرَضُونَ﴾، (التور: 48)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، (التور: 51)، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَٰلِكُمْ﴾، (الشورى: 10).

فكل هذه الآيات من الذكر الحكيم تتحدث عن الحكم والحاكمية بمفهوم واسع للحكم بالعدل بين الناس والمؤمنين، كما أن هناك آيات أخرى من القرآن عبارة عن قواعد عامة وأخرى فيها جانب من التفاصيل حول بعض القضايا التي تهم الناس في الحياة تتحدث عن الحكم المقرون بالعدل والحرية وعلى قاعدة المساواة بين الناس من دون تمييز بسبب الدين والجنس واللون، وحكم الله سبحانه المراد بالآيات هو كل الأوامر والنواهي والحلال والحرام التي أوضحها بصورة مجملة أو فصل بعضها فكانت قواعد تحت الناس على تنظيم الاستفادة من الحلال الطيب والالتزام بما حرم تفصيلاً، وأفعل ولا تفعل، فكل فعل يأتي به الإنسان على سبيل التجربة ويتولد معه العرف ومن العرف يتولد القانون، ومن البديهي توجيه سؤال لأولئك المتشدين بلفظ الحكم والحاكمية وهو: أين نجد من مجمل آيات القرآن نصوص مفصلة لنحكم في قضايا الحقوق الفكرية والحقوق المدنية والانتخابات وقانون تنظيم التعليم والصحة والادارة والمحاسبة والطيران وقضايا الإدمان على المخدرات وقضايا المرور، وقضايا الفساد، وقضايا الملاحة النهرية والبحرية، وقضايا الجرائم الالكترونية وغيرها الكثير والكثير..... إلخ.

الفتوى والفتاوى الدينية:

التعريف والمشروعية: جاء لفظ الفتوى، والإفتاء، والاستفتاء، في القرآن الكريم بمعنى فقه الشيء أو فهمه على نحو يعلم بماهيته زيادة في التوضيح لأمر ما، أو لمسألة معينة يتطلب التعريف والإحاطة بها علماً بصورة مفصلة، ومن أمثلتها التعريف بأمر يتامى النساء، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوُلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾، (النساء: 127).

وفتوى أخرى عن الاستفتاء في الكلالة، وتوضيحها في المواريث، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنَّ امْرُؤًا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، (النساء: 176).

وفتوى أخرى من أجل تفسير الرؤيا في المنام، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾، (يوسف: 43).

وفتوى أخرى بمعنى المشورة في أمر من أمور الدولة (الحكم السياسي) كما في خطاب حاكم دولة سبأ الشورية (الديمقراطية) للملأ من قومها، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاه: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾، (النمل: 32).

وقد ورد لفظ الاستفتاء، أو الفتوى حصراً بحسب موقع اللفظ في الجملة؛ من أجل توضيح المواضيع المثارة في الآيات المحددة أعلاه، بحيث يكون القارئ ملماً بها حصراً، ولا يقاس عليها في قضايا تتعلق بالشعائر والمناسك والأحكام والأوامر والنواهي والحلال والحرام الواردة في القرآن الكريم، كون هذه العناوين قد جاء القرآن عليها بمحكم البيان، ومفصل الذكر، ودقيقة الوصف، غير أن أصحاب الفكر الديني اليهودي عملوا بالفتوى، وتوسّعوا فيها في كثير من أمور الدين والدنيا، فكانوا يصدرن أكثر من فتوى في قضية واحدة وفي وقت واحد، ومن أمثلة طوائف اليهود الذين عملوا بالفتوى الفريسيين، والكتبة الربانيين، وغيرهم، حيث كانوا يفتنون في أمور الشريعة، ويفسرونها بما يوائم المصلحة والفائدة، سواءً أكانت تلك الفتوى مكتوبةً أو شفوية، وبالفتوى حرموا الحلال، وتوسّعوا فيه، كما حلّوا الحرام، وتوسّعوا فيه، ليس ذلك فحسب، بل غيروا وعدّلوا كثيراً من الأحكام، والشعائر، ومناسك العبادات، فكانت كل طائفة تصدر فتواها الخاصة في الشيء الواحد في نفس الوقت، واستخدموا الفتوى الدينية كسلاح ضد الخصوم والمعارضين، وللأغراض السياسية، وفي خدمة الحكام والكهنة، وإعلان الحروب والتكفير وإباحة الدماء واستحلال أموال الناس بالباطل، وغيرها، وفي غفلة من الزمن دسّوا الفتوى بعّلها وعلاّتها إلى فقه المذاهب الإسلامية بشقيه السنيّ والشيوعي، وأحدثوا نفس الخلل في الفكر الإسلامي، وبذلك لعبت الفتوى والإفتاء دوراً سيئاً في تحريف الأحكام والشعائر والعبادات في الفقه الإسلامي على مرّ القرون الماضية، ولم يتوقف الأمر عند ذلك بل فقد توسّعوا أيضاً في الفتوى حسب مشروعية من أحاديث القفلة والعننة، وبتأويل خاطئ للقرآن الكريم فحرموا ما أحلّ الله تعالى، وحلّوا ما حرم الله - سبحانه - كما استخدموا الفتوى في أنظمة الحكم السياسي، وفي تكفير المعارضين وعلى نطاق واسع، ومن الآيات التي أولوها على سبيل المثال، هذه الآية، قَالَ جَلَّ فِي غَلَاه: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، (النساء: 83). والآية واضحة وترتبط بسرد وشرح حالة من الواقع الاجتماعي تتعلق بالأمن والخوف كقضية عامة، ولا يتعلّق بتشريع، أو شيء يحتاج لفتوى، ولا دخل له في أصول العقيدة، وما زالت الفتوى محل جدلٍ حتى يومنا.

هذا ما جاء حول الفتوى في القرآن الكريم والتي حصّرها بحسب الحالات حسب الآية أعلاه، ولا يجوز القياس عليها، أو تمتد لغيرها، كالفتوى أو الإفتاء في الأحكام والشعائر والمناسك والحلال والحرام أو توظيفها في الأمور السياسية وغيرها مما سبق بيانه، في الوقت نفسه لا يمنع من استخدام الفتوى والإفتاء والاستفتاء في توضيح النصّ من الأعراف والتشريعات القانونية والاتفاقيات والمعاهدات المحلية والدولية واللوائح والعقود والقرارات الإدارية بمختلف مناحي الحياة، حسبما يعمل به اليوم، وهناك مؤسسات رسمية، وأخرى خاصة بمختلف دول العالم تصدر الفتاوى حول تفسير نص من القانون أو اللائحة أو الاتفاقيات، أو المعاهدات حسب ضوابط معروفة ومحددة وحسب القانون ولا غير.

الفصل الثامن

الصَّلاة

1-8 التعريف والمشروعية:

تعَرَّف الصَّلَاة أنها قيام المؤمنين ذكوراً وإناثاً، فرادى أو جماعات، وفي أوقاتٍ محدَّدةٍ بأداء شعيرة الصَّلَاة على نحو مخصوص، من قيامٍ وركوعٍ وسجود، حسبما جاء بكلام الله سبحانه في القرآن الكريم، وفيها من الذكر، والدعاء، والاستغفار، والتسبيح، وقراءة ما تيسَّر من القرآن الكريم، ومما يحفظه المصلِّي ويتعلَّمه من محاسن ألفاظ الخطاب، ومن الأدعية والتسبيح والاستغفار، من دون تحديد سورةٍ أو آية، أو تحديد دعاءٍ، أو استغفارٍ معين.

وتعدُّ الصَّلَاة - أهم وأقدم شعيرةٍ تؤدي لله - سبحانه وتعالى - من جميع الخلائق، ومنهم الملائكة، ومن النَّاس المؤمنين، وما خلق الله تعالى في السماوات والأرض، ومن الشمس والقمر، والنُّجوم، والجبال، والشجر، والدَّواب، وكثيرٍ من النَّاس، قَالَ تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾، (الحج: 18)، وَقَالَ سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾، (النحل: 49)، وقد أوضح الله - سبحانه وتعالى - أنَّ السجود والتسبيح عمود الصَّلَاة، كما بيَّنتها آيات الذكر الحكيم، فَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾، (الأعراف: 206)، وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وظِلَّاهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾، (الرعد: 15).

كما أنَّ الله تعالى فرضها على عباده المؤمنين منذ فجر التاريخ الإنساني، عبر الوحي إلى الرُّسل والأنبياء، وبيَّن الله - سبحانه وتعالى - أنَّ أداء الصَّلَاة من المؤمن اعتراف منه بتوحيده، وعبادته، وحده لا شريك ولا ندَّ له، وأدَّاها الأنبياء والرُّسل ومن تبعهم من المؤمنين بنفس ما أمر به الله - سبحانه وتعالى، وقد بيَّنها الله - سبحانه وتعالى - بياناً دقيقاً ومفصلاً في القرآن الكريم، وقد يقول قائل: إنَّ الصَّلَاة جاءت على العموم في القرآن الكريم، ولم تفصّل! غير أنَّ هذا القول يجانب الصواب تماماً، فإذا كان الله - سبحانه وتعالى - قد فصّل وبيَّن للمؤمنين شروط وآداب القيام للصَّلَاة من غسلٍ، وتيمم وغيره، فكيف بالصَّلَاة نفسها؟ كما أنَّ الله - سبحانه وتعالى - جاء ببيانٍ مفصّلٍ للصَّلَاة، وبلغه بـبساطةٍ وسهولةٍ - وهو ما سنوضحه لاحقاً - وأكد أنَّ الصَّلَاة التي حثَّ الله - سبحانه وتعالى - على أدائها، وفرضها على الأنبياء والرُّسل من آدم ونوح وإدريس، وهود وصالح وإبراهيم وموسى وعيسى، والأمم السابقة، هي نفس الصَّلَاة التي صلاها محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصحابته من بعده، فقد

أقاموا الصَّلَاة في حياتهم، فكانت هي الصَّلَاة التي بَيَّنَّها ربُّنا - جل جلاله - في محكم التنزيل، وهي نفسها التي ذكرت في القرآن الكريم، والتي سنستعرضها في الآتي:

8-2 مراحل فرض الصَّلَاة ومشروعيتها عبر العهود المتفرقة:

أمر الله تعالى عباده المؤمنين والمؤمنات بإقامة الصَّلَاة، وحثهم عليها، سواءً أكانوا رجالاً أو نساءً، عبر مراحل من الأجيال والحياة الإنسانية، حيث أمر بإقامتها دون تمييز بين الذكر والأنثى، فلا تغيير فيها منذ العهود والأجيال والقرون الأولى، وهي ما بَيَّنَّها ربُّنا - جل جلاله - في كتابه الكريم على اعتبار وحدانية الرِّسالة السماوية للناس جميعاً، مع تعدد الأنبياء والرُّسل، من ذرية آدم وصولاً إلى النبي والرَّسول الخاتم محمد - صلى الله عليه وسلم، وقد فرض الله - سبحانه وتعالى - عليهم إقامة الصَّلَاة وعلى أمم وأجيالٍ وقرونٍ كثيرة، وقد بيَّن القرآن الكريم ذلك بياناً واضحاً مفصلاً، نذكر هنا بعض الآيات القرآنية المبيِّنة لمشروعية فرض الصَّلَاة عبر المراحل، والعهود المتفرقة من التاريخ، وهو ما يُعرف بالتسلسل التاريخي لمشروعية فرض الصَّلَاة.

العهود الأولى لذرية آدم، ومن بعدهم من الأنبياء:

إذا أردنا معرفة هذه الفترة من القرون، والأجيال والأمم التي حث الله سبحانه على إقامة الصَّلَاة صراحةً وضمناً، سنجد القرآن الكريم يحدِّثنا عن تلك الأجيال الإنسانية، من ذرية آدم إلى رسول الله ونبيه نوح - عليه السَّلام، ثم عرَّجت الآية لذرية سيدنا إبراهيم وإسرائيل، وممن هداهم الله تعالى من النَّبيين، حسب آية الذكر الحكيم بالآتي:

• قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا، ﴿٥٨﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾...، (مريم: 58، 59).

• ثم جاء كلام الله في القرآن فتحدَّث عن تلك الأجيال، والأمم، والقرون، وذكر بعضاً منها، وآخرين من قرونٍ كثيرة، لا يعلمهم إلاَّ الله، فَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾، (إبراهيم: 9).

• وأقوام آخرين ذُكروا بهذه الآية، قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرِّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾، (الفرقان: 38) كل هذه الأقوام من بني آدم كانوا مأمورين عبر رسلهم بعبادة الله - سبحانه وتعالى، وأول هذه العبادات أداء شعيرة الصَّلَاة، بالكيفية التي حددها الله - سبحانه وتعالى - عبر الرُّسل لتلك الأقوام والشعوب، في العهود الغابرة من التاريخ الإنساني، وحتى عصرنا الراهن، وإلى أن يرث الله

الأرض ومن عليها، وقد بين القرآن الكريم الكيفية التي كان الأنبياء والرسل، ومن تبعهم من المؤمنين يؤدون الصلّاة.

عهد خليل الله إبراهيم عليه السّلام

بين الله - سبحانه وتعالى - أن الصلّاة كانت مفروضة من قبل عهد سيدنا إبراهيم - عليه السّلام، كما سبق ذكره، ويفهم ذلك من سياق الآيات القرآنية التي تحدّثنا على فعل الاستمرار لإقامة الصلّاة من قبل سيدنا إبراهيم، ومن ذريته من بعده، بدعائه لله - سبحانه وتعالى - فجاء في الذكر الحكيم:

• قوله سبحانه: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾، (إبراهيم: 37).

• وقال سبحانه: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِي﴾، (إبراهيم: 40).

• وقال الله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾، (الحج: 78).

عهد نبي الله ورسوله إسماعيل:

قال الله سبحانه: ﴿وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا، وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾، (مريم: 44، 55).

عهد نبي الله ورسوله موسى وأخيه هارون:

في عهد سيدنا موسى وأخيه هارون - عليهما السّلام - صدر أمر بتكليفهم بإقامة الصلّاة لذكر الله منفرداً خالصاً دون أحد غيره، يفقه من القول: (وأقم الصلّاة لذكره)، وهو أمرٌ صريحٌ وواضح، بلفظ: (أقم)، و(أقيموا) الصلّاة، كما سيأتي ذكره:

• قال - سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى، إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى، وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى، إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾، (طه: 11، 12، 13، 14).

• وقال جلّ في علاه: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، (يونس: 87).

عهد نبي الله زكريا:

خاطب الله تعالى سيدنا زكريا - عليه السلام - وهو قائم يصلي في المحراب (المسجد)، فَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، (آل عمران: 39).

عهد نبي الله ورسوله عيسى:

كانت أول وصية يوصي بها الله - سبحانه وتعالى - سيدنا عيسى - عليه السلام - هي الصَّلَاة لأهميتها، كما بيَّنته الآية الكريمة من القرآن الكريم، فَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاهُ على لسانه: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا، وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا، وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا، وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا، ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾، (مريم: 30، 31، 32، 33، 34).

عهد لقمان النبي الحكيم:

قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ على لسان لقمان النبي الحكيم: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾، (لقمان: 17).

عهد بني إسرائيل:

ذكرت الصَّلَاة في عهد بني إسرائيل مقرونة بالزكاة، وكذلك بصيغة الخطاب المباشر، المعزَّز بالميثاق والعهود لتأكيد إقامتها بحسب الآيات منها:

- قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ...﴾، (المائدة: 12).
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مخاطبا بني إسرائيل من الآية (40-43) من سورة البقرة بقوله تعالى: (... وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ)، (البقرة: 43)،
- وَقَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى مخاطبا بني إسرائيل: (... وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ)، (البقرة: 83).

3-8 ذكر الصَّلَاة على العموم في القرآن:

ذكرت الصَّلَاة في القرآن الكريم (سبعين) مرة بصيغٍ متعدّدة؛ لتأكيد أهميتها في حياة الناس كأفرادٍ وجماعات، ومن بين هذه الصيغ ما كان على سبيل الأمر، ومنها ما كان للترغيب، والحث على إقامتها والمحافظة عليها، وأخرى بصيغة الخطاب الموجه للفرد والجماعة، وكثيراً ما قرنت الصَّلَاة بالزكاة، بآيات القرآن نذكر بعض منها بالآتي:

- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿... وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾، (البقرة: 3)،
- وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاٰكِعِينَ﴾، (البقرة: 43)،
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ...﴾، (البقرة: 110).
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾، (البقرة: 238).
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾، (الأنعام: 72).
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾، (الأنفال: 3)،
- وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿... وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾، (التوبة: 18)،
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾، (طه: 132)،
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ...﴾، (الحج: 41)،
- وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، (النور: 56)،
- وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾، (النمل: 3)،
- وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ نُلِّمَ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾، (العنكبوت: 45).

تلك هي المراحل التاريخية في مشروعية فرض الصَّلَاة في القرآن عبر عهود ومراحل من الحياة الإنسانية والأمم السابقة، عبر الأنبياء والرُّسل، وبمراحل نزول الرِّسالة السماوية الواحدة، على اعتبار أنَّ القرآن الكريم كتاباً جامعاً لكل الكتب المنزلة على المرسلين من قبل الله سبحانه.

والخلاصة: إن الصَّلَاة شعيرة تعبدية واحدة، أقامها الأنبياء والرُّسل، وحدد كيفيتها سيدنا إبراهيم - عليه السَّلام - بوحى من الله سبحانه، وتشتمل على القيام والركوع والسجود، وهي ما سوف نذكرها مفصلاً بحسب القرآن، وليس كما قيل عن الصَّلَاة من فقهاء المذاهب الإسلامية من أنَّ الصَّلَاة فُرِضت ببعثة النَّبي محمد - عليه الصلاة والسلام، بأحاديث العنونة

والقلقلة بواسطة المعراج وغيره، فذلك دسٌ قُصد منه تحريف الصَّلَاة، وشعائر الإسلام بالجملة، حسب ما وضعناه عن المعراج الزرادشتي في الجزء الأول من هذا المؤلف.

8-4 مواقف الصَّلَاة التعريف والمشروعية:

بَيَّنَّ الله - سبحانه وتعالى - مواقف محددة للصَّلَاة، قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾، (النساء: 103). وكتاباً موقتاً، أي وقتٌ محددٌ لا تغيير فيه، ولا تبديل، وقد بيَّن القرآن هذه المواقيت، حسب ضوابط كونية محكمة التوقيت، وتتمثل في دوران الأرض حول نفسها، وما ينتج عن ذلك من تعاقب الليل والنَّهار، فكان هذا التعاقب بين الليل والنَّهار أداةً دقيقة، وساعةً منضبطةً بمواعيد لا تتغير، ولا تتبدل، على مدار اليوم واللييلة، وطوال السنة والسنوات، ولم يقتصر تحديد المواقيت على دوران الأرض فقط، بل كانت الشمس سبباً آخر في الاستدلال على الكثير من الشعائر ومنها الصَّلَاة الصَّوْم والتسبيح، كما أنَّها دليلٌ آخر لمعرفة عدد السنين والحساب، وغيرها، وبما أنَّ الصَّلَاة أهم شعيرة أمر بها الله - سبحانه وتعالى - في القرآن الكريم، فقد أكَّد على القيام بها من المؤمنين مهما كانت الظروف والأحوال، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾، (الإسراء: 78). فمدلول الآية يحدِّد فرض قيام الصَّلَاة بسبب توقيت دقيق من الوقت، وهو وقت دُلُوكِ الشمس نحو المغرب، ولفظ الدُلُوك مفهومٌ وواضح كالقول، يدلك الجسم بالطيب، فيلامسه ويحتك به، وهو ما يُفقه (يفهم) من دخول قرص الشمس في المغرب.

ثم نأتي لآية أخرى مختصرة لمزيد من التوضيح والتحديد والتأكيد على تعيين ثلاث مواقف للصلاة في اليوم والليل: قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِيْ عُلَاه: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّاكِرِينَ﴾، (هود: 114). هذه الآية جاءت أكثر توضيحاً في تعيين وتحديد مواقف الصَّلَاة بصورة أدق من الآية السابقة، ومطابقةً للآية السابقة لمعني الدُلُوك، كما أسلفنا، ولتحديد مواقف الصَّلَاة في ثلاثة مواقف محددة من اليوم واللييلة كما أسلفنا، ولك أن تصلي ما تشاء من حيث العدد بمقيات الصلاة المحدد أقامتها في كل ميقات على حده.

معلوم أنَّ الشمس كانت وما زالت سبباً آخر لميقات التسبيح، والذكر في الأوقات المختلفة صباحاً ومساءً، وعند الأصيل قبل ميقات الصَّلَاة، ومتداخل مع مواقف الصَّلَاة بحسب ما بينته الآيات من القرآن الكريم:

- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾، (طه: 130)،
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾، (ق: 39).

إِنَّ فَالشَّمْسِ وَدوران الأرض حول نفسها، وتعاقب الليل والنَّهار، هما أدوات (ساعة) لمواقيت منضبطة للصَّلَاة، والتسبيح وهو ما نفضله بالآتي:

تحديد مواقيت الصَّلَاة:

- 1- ميقات الطرف الأول من النَّهار، وفيه صلاة الفجر.
- 2- ميقات الطرف الثاني من النَّهار، وفيه صلاة العشاء.
- 3- ميقات الطرف الثالث من الليل، وفيه صلاة الليل (الصَّلَاة الوسطي).
- 4- ميقات الصَّلَاة من يوم الجمعة، وفيه صلاة الجمعة، في أي ساعة من يوم الجمعة.

أضف إلى أَنَّهُ حَدَّدَ مَسَمَى تلك الصلوات صراحةً، وذكرها بالاسم في آيات أخرى من القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ النور (58). ومن الآية ذكر القرآن أَسْمَ لصلاتين بوقتتين مختلفين.

وآية أخرى ذكرت صلاة الليل صراحةً: قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿... وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ المزمل (20).

وسورة كاملة بأسم الجمعة حددت الصلاة فيها من بعض اليوم الآية: قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الجمعة (9).

1- صلاة الفجر.

2- وصلاة العشاء.

3- وصلاة الليل.

4- وميقات واحد لصلاة نهارية واحدة من كل أسبوع من يوم الجمعة.

ولك أن تصلي ما تشاء من حيث العدد، عند دخول ميقات كلِّ صلاةٍ على حدة كما قلنا سابقاً.

تلك هي المواقيت المحددة للصَّلَاة من اليوم واللييلة، ومسمياتها، حسب ما جاء به القرآن الكريم، وبحسب ما سيأتي بيانه تفصيلاً في الآتي:

ميقات الطرف الأول من النَّهار وفيه (صلاة الفجر):

يبدأ ميقات صلاة الطرف الأول من النهار ببزوغ الفجر من الليل المنصرم، والفجر من ميقات طرف النهار الأول من اليوم المولود من الليل، وهو معلوم بصفته وحاله بين الناس في كل مكان وزمان على سطح الأرض، وهو ما يُعرف بالمشاهدة العادية في كل يوم، إذ يتولد عبر ظاهرة تعاقب الليل والنهار، وفيه تبدأ ملامح الضوء بالظهور فتعم المكان المحيط بك، والأفق الذي تعيش فيه، بحيث تستطيع الرؤية والسير، وتحديد الأشياء بوضوح، ففي هذه الحالة يبدأ ميقات صلاة الفجر، ويمتد أو يتداخل مع الصباح، فيتحقق ميقات إقامة صلاة الفجر، إذن فالفجر والصبح وقتان متصلان ومتداخلان ببعضهما بعضاً، وقد أطلق الله تعالى عليهما (طرف) وفقاً لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ﴾، (هود: 114). وأفضل ما في هذا الطرف أوله وهو الفجر، وقد ذكر القرآن الكريم صلاة الفجر مفردة؛ زيادة للتأكيد والتوضيح، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ﴾، (النور: 58) وفقاً لما ذكرناه سابقاً، وفيه أمر الله - سبحانه وتعالى - الناس بإقامة الصلوة، فإذا أشرقت الشمس فلا صلاة بعد ذلك، بل ذكر وتسبيح، ثم يوم عملٍ وسعيٍ وانتشارٍ في الأرض للكسب، والرزق.

ميقات الطرف الثاني من النهار وفيه (صلاة العشاء):

يُعرف الطرف الثاني من النهار، إذ يبدأ من وقت دلوك الشمس - غروب الشمس ويمتد إلى غسق الليل، بداية دخول ظلمة الليل، بحيث تنعدم رؤية الأشياء من حولك، وقد بيّن الله ذلك بقوله جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ...﴾، (الإسراء: 78)، كما أن الحق - سبحانه وتعالى - زاد الأمر توضيحاً، ومنعاً للبس، فذكر هذا التوقيت، حسبما سبق بيانه في سورة هود الآية (114) بقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ﴾، وذكر الله صلاة العشاء مفردة، فَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ...﴾، (النور: 58).

إذن فنحن هنا أمام ثلاثة تعريفات لميقات واحدٍ بقصد التأكيد والتوضيح، إذ يبدأ من بداية دلوك الشمس نحو المغيب ويمتد (إلى) غسق الليل وهو العشاء، ثم ربط الله - سبحانه وتعالى - هذا التعريف بكلمة (إلى) لاستغراق الوقت الواقع بين بداية دلوك الشمس بوقت الغروب، إلى غسق الليل - تخيير الليل على الأرجاء حسب التوقيت الزمني لكل مكان على الأرض، وهو - بتقديري - توقيت منضبط ودقيق جداً للطرف الثاني من ميقات الصلاة، ويعتبر وقتاً واحداً ممتد، وفيه أمر الله - سبحانه وتعالى - بإقامة الصلوة، والقول إن الدلوك يُقصد به ميلان الشمس من كبد السماء نحو المغيب، فذلك قول يجانب الصواب، ومدسوس من جماعة التحريف في بعض معاجم اللغة بغرض التشويش، فليس من المعقول أن يكلفنا الله - سبحانه وتعالى - بإقامة الصلوة لوقتٍ يمتد ويستغرق من منتصف النهار إلى غسق الليل؛ لما فيه من المشقة وتعطيل مصالح الحياة، ومن بديهية القول إن طرفي النهار الأول والثاني يتوافقان من حيث كونهما يأتیان بوقتٍ ذي ظلال لا شمس فيهما، فيبدأ ميقات الطرف الأول بخروج الليل

وبزوغ الفجر، وينتهي بشروق شمس لنفس اليوم، كما يبدأ ميقات الطرف الثاني بدلوك الشمس بوقت غروبها، إلى غسق الليل، وينتهي بدخول الليل وتخيمه على المكان، وتكاد تكون المدة الزمنية لكليهما متقاربة، وهما ميقاتان اثنان في اليوم الواحد، حسب التوقيت الزماني والمكاني على أي مكان في الأرض، ولك أن تصلي في هذا الميقات ما تشاء، من حيث العدد.

ميقات صلاة الليل (الصلاة الوسطى):

بيّن القرآن الكريم ميقات صلاة الليل، وجعلها الصلاة الوسطى، وذلك من الفهم الصريح للقراءة الميسرة لمدلول فقه (فهم) هذه الآية، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ...﴾، (هود: 114). فمدلول الآية تتحدث عن إقامة الصلاة لطرفين من النهار، وهما ميقاتين مختلفين من نهار اليوم من حيث التوقيت، وقد سبق تعريفهما، على أنهما ميقات صلوات الفجر، وميقات صلوات العشاء، وذكر لفظ (وَزُلْفَا) معطوف على الميقاتين الأولين (طرفي)، وهو ما يدل صراحةً وضماً ويُفهم أن لفظ (زلفاً من الليل) ميقات صلاة الليل وهو ميقات يتوسط الميقاتين الآخرين، وذكر من الليل فتجوز الصلاة في أي جزءٍ منه، كما يُفهم من سياق الآية، ويبدأ تحديد ميقات صلاة الليل إذا جنَّ عليك الليل، وهو الوقت الذي يخيم الليل فيه على المكان، فتتقدم معه الرؤية لظلمته، بحيث لا يستطيع الإنسان العادي رؤية الأشياء من حوله، وقد وصف الليل في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾، (الشمس: 4)، ثم قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾، (الليل: 1)، وآية أخرى للتعريف الواضح بالليل، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ.....﴾، (الأنعام: 76)، ثم آيات أخرى تبين الشعائر التعبديّة بميقاتٍ ممتدٍ من الليل، ومنها التسبيح والسجود، وهما عمود الصلاة - كما ذكرت سابقاً - فَقَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةً رَبِّهِ...﴾، (الزمر: 9)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ الْبُحُورِ﴾، (ق: 40)، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾، (الذاريات: 17)، وَقَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾، (الطور: 49)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾، (الإنسان: 26)، وغيرها من آيات القرآن الكريم.

ويمتدُّ هذا الميقات من بعد غسق الليل إلى ما قبل بزوغ فجر اليوم التالي، وهو ميقاتٌ طويلٌ نوعاً ما حسب التوقيت الزمني والمكان، وقد بيّن القرآن الكريم وقت قيام صلاة الليل فيه بزلفى منه، بأي جزءٍ منه من وقته الطويل الممتد من أول الليل وإلى ما قبل بزوغ الفجر من نفس الليل، وفي آية أخرى بيّن الله تعالى القيام لصلاة الليل بوضوح تام، محددًا الأوقات المفضلة فيه وهي: أدنى من ثلث الليل أو نصفه أو ثلثه، فطالما وميقات الصلاة محدّد وموضّح، وجعله الله - سبحانه وتعالى - للتخيير والتسهيل للناس، وقد حددها الله تعالى بزلفى من الليل بأي جزءٍ منه، حسبما سبق بيانه، إذ لم تكن تلك مواقيت مختلفة كما قد يظن بعض الناس، بل أوقات للتخيير والتسهيل والرخصة، وفقاً لمفهوم الآية وما صرح به بقوله جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ

سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَقْرَعُوا مَا تَيْسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ، (المزمل: 20) وهكذا فإنَّ فصلاة الليل هي الصَّلَاة الوسطى قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾، (البقرة: 238).

أما عن ذكر صيغة الجمع بعموم لفظ الصلوات، فذلك يُقصد فيه الصلوات المتعددة في الميقات الواحد، وليس جميع المواقيت، وللتأكيد على أنَّ صلاة الليل صلاة واحدة، وليست صلوات كما قد يفهم خطأ من سياق الآية، وذكرت كصلاة مفردة تتوسط ميقاتين للصَّلَاة بحسب الآية السابقة وصلاة الليل جاءت مفردة، وأمر عند القيام بها بقراءة ما تيسر من القرآن الكريم للتيسير والتخفيف لعلم الله - سبحانه وتعالى - أنَّ فيكم مرضى، وآخرين متعبين من الأعمال، وآخرين مرابطين للخدمة، وآخرين يغلبهم النوم، وغير ذلك مما ذكر في الآية السابقة ومن غير تكلف، حسب مفهوم القرآن.

والخلاصة: ندرك بوضوح تحديد ميقات الصَّلَاة الوسطى التي ذكرها الله في الآية السابقة لتوسطها بين ميقاتين مختلفين في اليوم واللييلة، وذكرها بكلمة (وَرُفَاً من الليل) وحددها بثلاث الليل ونصفه وثلاثة بالآية، وهي تتشابه بصلاة الجمعة من حيث تحديد الميقات بحرف التبويض (من).

5-8 صلاة الجمعة:

حدَّد الله - سبحانه وتعالى - صلاة الجمعة كصَّلَاة نهارية وحيدة من دورة الأيام الأخرى، واشترط النداء لها، ويكتفى بنداء واحد على الأقل في أول اليوم، ويُقصد بالنداء دعوة المؤمنين للصَّلَاة فلم يحدد صيغة النداء، فيكون بأي صيغة يتفق عليها أهل البلاد، حسب الخطاب الواضح من الآية رقم (10) من سورة الجمعة، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ للصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (9) ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، (الجمعة: 10) وعقب النداء لها يسعى المؤمنون رجالاً ونساءً لذكر الله على هيئة جماعة أو فرادى إلى المسجد لأداء الصَّلَاة.

مقدار صلاة الجمعة وآدابها:

أقل ما يصلي المصلي في يوم الجمعة ركعتين، وله أن يزيد ما يشاء من عدد الصلوات، فرادي أو في جماعة ومن آداب صلاة الجمعة التي تُفهم من القرآن الكريم أنَّ الله تعالى نهى عن البيع، وأعمال التجارة من النداء لوقت الصَّلَاة وحتى الانتهاء من الصَّلَاة، والتي لا تزيد مدتها على الأرجح عن عشرين دقيقة، ولا مانع للمؤمن من الزيادة ساعة أو ساعات حسب

ظروف كل إنسان، وعقب إتمام صلاة الجمعة أمر الله سبحانه بالانتشار في الأرض طلباً
للرزق، والسعي والعمل من نفس يوم الجمعة.

مِيقَاتُ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ

جعل الله سبحانه وتعالى وقت صلاة الجمعة يمتدُّ من بعد شروق الشمس، إلى قبل غروب الشمس من نفس يوم الجمعة، قبل دلوک الشمس في المغيب، حسب التوقيت الزمني والمكاني في الأرض، إذنُ مِيقَاتُ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ يبدأ من بعد طلوع الشمس بوقت قصير إلى ما قبل دلوک الشمس نحو المغيب، ففي هذا التوقيت وفي أي جزء منه تقام الصَّلَاة.

وبما أن صلاة الجمعة يعقبها انتشار في الأرض بقصد التحفيز نحو العمل والسعي لطلب الرزق وعدم الجلوس في المساجد بعد أداء الصلاة وهو معنى ضمني آخر، وهذا التوقيت لا يكون إلا في الساعات الأولى من صباح يوم الجمعة، ما بين الساعة السابعة إلى الساعة التاسعة أو العاشرة صباحاً عادة، إذ إنه الوقت المفضل لأداء صلاة الجمعة من جملة الوقت الممتد حتى نهاية اليوم، ومع ذلك فتجوز الصَّلَاة بأي جزء منه، بما سلف بيانه.

خطبة الجمعة:

إذا كان الأصل في الصلاة هو عدم رفع الصوت أثناء إقامة الصلاة على العموم فما بالك بالخطابة أو الخطبة التي يتم إلقائها عبر مكبرات الصوت داخل وخارج فناء المسجد وقد شرعنت بأحاديث العنونة، ولا يوجد أصل لها في كتاب الله سبحانه، وفي صلاة الجمعة شرع النداء لإقامة الصلاة من يوم الجمعة ويكتفى بنداء واحد بصيغة يتفق عليها، وصلاة الجمعة شرع فيها الذكر بما ورد بالآية السالفة ومن آداب الصلاة عموماً أن لا يرفع فيه الصوت امتثالاً لأمر الله سبحانه وتعالى قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾، (الإسراء: 110)، أما فيما يتعلق بالذكر فقد ورد تنظيم الذكر بآية أخرى من القرآن الكريم قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾، (الأعراف: 205)، فكانت الكيفية التي تودى فيها الصلاة والذكر من يوم الجمعة حسب الآيات السابقة تتسم بالهدوء التام ومعه يكتسب المؤمن السكينة والوقار، إلا أن جماعة التحريف أبت إلا أن تحول مناسبة صلاة الجمعة إلى صخب وضجيج وازدحام وتندافع في أبواب المساجد أضف لتشريع أحاديث منعوا النساء من الذهاب لصلاة الجمعة في المساجد.

والخلاصة: فإن الوقت الأفضل لإقامة صلاة الجمعة هو في الساعات الأولى من الصباح الذي يعقبه انتشار حسبما سبق بيانه، فوقت الظهيرة ليس وقت للصلاة، بل وقت للراحة ووضع الثياب، امتثالاً لقول الحق - سبحانه وتعالى - (وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ) (النور: 58)، بالآية التي تتحدث عن آداب دخول الأبناء على آبائهم في البيوت، ومع وجود آية خاصة نظم مِيقَاتُ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ الذي يمتد مِيقَاتُهَا طيلة اليوم، وغير محدد بساعة معينة، فلا حرج من جعل الظهيرة وقتاً لأداء صلاة الجمعة لاستغراق هذا الوقت ضمن ساعات الأمر بالصَّلَاة من يوم الجمعة، في أي جزء منه من دون خطبة لعدم مشروعيتهما ومن دون خطبة ومن دون رفع الصوت، وصلاة الجمعة تؤدي فراد أو جماعة وتكون بركعتين أو أكثر، ولا

يفضل إقامتها بوقت واحد لما يتسبب غالباً في زحام لا مبرر له، طالما وهي بوقت موسع، وبنفس الوقت ينفي ضمناً وجود صلاة نهائية بنفس اليوم أو ببقية الأيام الأخرى كصلاة الظهر، والعصر.

6-8 التسبيح قبل وبعد الصلّاة:

بيّن كلام الله في القرآن الكريم أوقات التسبيح قبل مواقيت الصلوات وبعدها، بكرة وأصيلاً، ومن الليل، وأطراف النهار، ووقت العشيّة، وكلمة (عشيّاً) تصغير لكلمة العشاء، بمعنى جزء من العشاء، وبما أنّ وقت الأصيل يتداخل مع دلوّك الشمس وفيه شرع الله - سبحانه وتعالى - الذكر، والتسبيح مع إقامة الصلوات حسبما جاء في بعض آيات القرآن الكريم، قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾، (طه: 130)،

وقد ذكر التسبيح وقت البكور من الصباح وعشيّاً: قَالَ تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾، (مريم: 11) وآية أخرى قَالَ سُبحَانَهُ: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾، (الأحزاب: 42)، وآية أخرى بنفس السياق قَالَ اللَّهُ سُبحَانَهُ: ﴿وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾، (الإنسان: 25)، وَقَالَ تعالى: ﴿تَتَوَكَّلُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾، (الفتح: 9).

وذكر التسبيح في وقت المساء والصباح وكذلك وقت الظهيرة: قَالَ سُبحَانَهُ: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ، وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾، (الرّوم: 17، 18)، وذكر التسبيح أدبار السجود: وَقَالَ تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾، (ق: 40)، وآية أخرى قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾، (الطور: 49).

7-8 قصر الصلّاة في السفر مع وجود الخوف:

بيّن كلام الله في القرآن الكريم القصر في الصلّاة في حالة السفر مع وجود الفتن والخوف من الذين كفروا، أمّا في حال السفر العادي فلا قصر في الصلّاة، كما سيأتي ذكره وبيانه الواضح من سورة النساء بقول (إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا)، فالمسألة إذن نسبية بتقدير الخوف، ويعود تقديرها للشخص المرید القيام للصلّاة، والقصر نصف الصلّاة العادية، بحيث تكون قياماً وركوعاً وسجوداً واحداً فقط، قَالَ اللَّهُ تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾، (النساء: 101).

8-8 الصَّلَاةُ فِي وَقْتِ الْحُرُوبِ:

بَيَّنَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ كَيْفِيَّةَ الصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَةِ أَثْنَاءَ انْدِلَاعِ الْحُرُوبِ بَيْنَ الْمُتَحَارِبِينَ وَقَتِ الْمَعَارِكِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ فِتْرَةَ الْقِتَالِ قَدْ تَسْتَمِرُّ لِأَشْهُرٍ وَأَكْثَرِ، إِذْ حُدِّدَتْ كَيْفِيَّةُ الصَّلَاةِ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ بِقِيَامٍ وَاحِدٍ وَسُجُودٍ وَاحِدٍ، دُونَ رُكُوعٍ بِمَعْنَى أَنْ يَصْلِيَ الشَّخْصُ أَوْ الْجُنْدِيُّ الْمُحَارِبُ، أَوْ الْجَمَاعَةُ الْمُحَارِبَةُ ابْتِدَاءً بِالْقِيَامِ وَمَا يَتَطَلَّبُ الْقِيَامَ لِلصَّلَاةِ مِنَ الذِّكْرِ أَوْ الدُّعَاءِ أَوْ قِرَاءَةِ مَا تَبَيَّنَ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، ثُمَّ يَسْجُدُ مِنْ غَيْرِ رُكُوعٍ، وَهُوَ مَا يَعْنِي أَنْ يَسْجُدَ الْمُصَلِّي وَهُوَ قَائِمٌ، وَتَكُونُ الصَّلَاةُ بِقِيَامٍ وَاحِدٍ وَسُجُودٍ وَاحِدٍ، فَقَطْ دُونَ أَنْ يَرْكَعَ، أَوْ يَقْعُدَ وَيَجْثُو بِرُكْبَتَيْهِ عَلَى الْأَرْضِ، حَسْبَمَا جَاءَ بِسُورَةِ النَّسَاءِ بِقَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِزْبَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَدَى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (النساء: 102).

وهكذا فالصَّلَاةُ وَقْتُ الْحُرُوبِ تَكُونُ بِقِيَامٍ وَاحِدٍ وَسُجُودٍ وَاحِدٍ فَقَطْ، وَهُوَ مَا يُؤَكِّدُ عَلَى أَمْهِمَّةِ قِيَامِ الصَّلَاةِ حَتَّى فِي الْأَوْقَاتِ الْعَصِيبَةِ، وَمَا يَلَاظُ أَنَّهُ لَا رَخْصَةَ فِيهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ مَهْمَا كَانَتْ الْأَسْبَابُ، كَمَا يُفْهَمُ ضَمْنًا، وَيُؤَكِّدُ أَيْضًا عَلَى أَنَّ هَيْئَةَ السُّجُودِ فِي الصَّلَاةِ وَقْتُ الْحَرْبِ هُوَ نَفْسُ السُّجُودِ الْمَقْصُودِ بِهِ فِي الصَّلَوَاتِ الْعَادِيَةِ الْآخَرَى وَهُوَ خَفْضُ رَأْسِ الْمُصَلِّي نَحْوَ الذَّقَنِ بِحَسَبِ الْآيَةِ: قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿... يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾، (الإسراء: 107)، بَلْ وَيَزِيدُهَا وَضُوحًا وَتَأْكِيدًا عَلَى هَيْئَتِهَا الْمَطْلُوبَةِ، حَسَبَ مَدْلُولِ نَصِّ الْقُرْآنِ فِي بَيَانِ كَيْفِيَّةِ السُّجُودِ، خِلَافًا لِلْسُّجُودِ الْمَعْهُودِ الْآنَ بِقِيَامِ الْمُصَلِّي بِلِصْقِ جَبْهَتِهِ عَلَى الْأَرْضِ؛ ظَنًّا مِنْ أَنَّهُ سُجُودٌ، وَهُوَ خَطَأٌ دَسَ مِنْ عَقَائِدِ قَدِيمَةٍ بِقَصْدِ تَشْوِيهِ الصَّلَاةِ.

8-9 الصَّلَاةُ وَقْتُ الْخَوْفِ:

بَيَّنَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - كَيْفِيَّةَ الصَّلَاةِ فِي حَالَةِ الْخَوْفِ بِأَنْ يَصْلِيَ الْمُصَلِّي فِي الْوَقْتِ الْمَحْدَدِ لِلصَّلَاةِ، وَهُوَ يَسِيرُ عَلَى رِجْلَيْهِ، أَوْ رَاكِبًا؛ حَتَّى يَأْمَنَ عَلَى نَفْسِهِ تَسْهِيلًا لِلْعِبَادَةِ، وَمَنْعًا لِلْحَرْجِ خَشْيَةً إِضَاعَةِ الصَّلَاةِ، قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾، (البقرة: 238، 239).

8-10 شروط القيام للصَّلَاةِ:

الْغَسْلُ أَوْ الْإِغْتِسَالُ: بَيَّنَّ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - شَرْطَ الْغَسْلِ بِالْمَاءِ لِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَحَدَّدَ الْكَيْفِيَّةَ الْمُرَادَ الْقِيَامَ بِهَا مِنْ غَسْلِ وَغَيْرِهِ، كَمَا هُوَ مُبَيَّنٌّ فِي الْآيَةِ التَّالِيَةِ مِنْ سُورَةِ الْمَائِدَةِ الَّتِي تَبَيَّنَ أَنَّ الْغَسْلَ الْمُرَادَ لَيْسَ لِلتَّطَهْرِ، بَلْ لِلتَّهْيِئَةِ لِأَدَاءِ الصَّلَاةِ عَنْ كُلِّ مِيقَاتٍ عَلَى اعْتِبَارِ أَنَّ

الإنسان طاهر بذاته على الدوام، كما أنَّ الغسل للتطهر من الجنابة، ويُقصد به التطهر من خروج المني، سواءً من ممارسة جنسية، أو من غيره، ولا يُقصد بذلك أن يكون الإنسان نجس للجنابة، كما صورته فقهاء المذاهب وهو خطأ دس من عقائد قديمة، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، (المائدة: 6).

وقد ذكر الغسل بالماء كشرطٍ أساسيٍّ، والشرط الثاني هو التيمم في حالة عدم وجود الماء، من أجل تهيئة المصلي للقيام بالصلاة عند دخول ميقاتها، والشرط الأول، عند وجود الماء على المؤمن إن أراد القيام للصلاة في أي ميقات عمل الآتي:

- 1- غسل الوجه بالماء مرةً واحدةً أو أكثر.
- 2- غسل الأيدي بالماء للمرافق مرةً واحدةً أو أكثر.
- 3- مسح بعض من الرأس مرةً واحدةً.
- 4- مسح الرجلين إلى الكعبين من الأعلى إلى الأسفل من دون القدم مرةً واحدةً أو أكثر.
- 5- غسل الجسم كاملاً في حالة الجنابة من جماع، أو احتلام، أو غيره.

8-11 التيمُّم:

لعدم وجود الماء وحرصاً من الله على إقامة الصلوة، وللتعريف بكيفية التيمُّم والتعريف بالصعيد الطيب، بحسب الآية قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرًّاءً﴾، (الكهف: 8)، والآية الثانية، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَيُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾، (الكهف: 40).

وما يُفقه من الآيتين فإنَّ الصعيد هو الجسم الصلب ووصف بالطيب (النظيف) أو من الأجسام الصلبة الساقطة من السماء (شهب) أن وجدت، أو من الحجارة الصماء الصلبة، وهو التعريف الأقرب والأرجح وليس التراب، حسبما دس في أحاديث العنينة، بقصد التمرغ بالتراب لتشويه الصلاة، إذن فالتيمُّم يكون على النحو الآتي:

- 1- تمرير اليد على الصعيد الطيب ومسحها على الوجه مرةً واحدةً أو أكثر.
- 2- تمرير اليد على الصعيد الطيب ومسحها على اليدين مرةً واحدةً أو أكثر.

ويكون التيمُّم أيضاً للحالات التالية من الناس، وهم:

- 1- المريض الذي لا يجد الماء.
- 2- المسافر الذي لا يجد الماء.
- 3- خروج الغائط (التبرُّز) ولا يجد الماء.
- 4- ملامسة النساء لشهوة ولا يجد الماء.

8-12 استقبال القبلة البيت الحرام (المسجد الحرام)

على الشخص المؤمن استقبال القبلة بوجهه كشرطٍ لصحة الصلّاة، في كل مراحلها من قيامٍ وركوعٍ وسجودٍ فلا تصرف وجهك عن القبلة (المسجد الحرام أو شطر منه) وفقاً للقرآن الكريم، وهو ما سنبينه بشيء من التفصيل بالآتي:

أ. استقبل القبلة بوجهك وأنت قائم للصلّاة باتجاه شطر المسجد الحرام من أي مكانٍ على الأرض.

ب. استقبل القبلة بوجهك وأنت راکع في الصلّاة باتجاه شطر المسجد الحرام من أي مكانٍ على الأرض.

ج. استقبل القبلة بوجهك وأنت ساجد في الصلّاة باتجاه شطر المسجد الحرام من، أي مكانٍ على الأرض.

ودليل مشروعية استقبال القبلة يرجع لتاريخ فرضها كاتجاه واضح، وفقاً للقرآن الذي فرض العمل به منذ عهد خليل الله إبراهيم عليه السلام، وليس بعهد الرسول محمد عليه السلام، وقد ذكر القرآن الكريم تفاصيل تلك العهود والأزمنة منذ عهد سيدنا إبراهيم، مروراً بعهد سيدنا موسى - عليه السلام، ونوضحها في الآتي:

المرحلة الأولى: من حيث السبب والمناسبة في استقبال القبلة.

من الآيات الآتية والتي تبين لنا سبب ومناسبة استقبال الناس القبلة في الصلّاة، يرجع إلى سيدنا إبراهيم - عليه السلام - فهو أول من رتب الصلّاة بهيئتها المعهودة اليوم من قيامٍ وركوعٍ وسجود، وهو أول من استقبل القبلة للصلّاة باتجاه المسجد الحرام، حسب خطاب التكليف من الله - سبحانه وتعالى - ونوضح ذلك في الآتي:

أ. أولاً: المناسبة: بمناسبة بناء البيت الحرام من سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل، ويقصد بالبيت المكان المخصص للصلّاة حسبما ورد في القرآن، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، (البقرة: 127).

ب. ثانياً: السبب بجعل البيت (الكعبة) المسجد الحرام بمكة مثابة (مقصد) للناس للصلّاة، والطواف وللعاكفين والركع السجود، بحسب ما جاء بلسان سيدنا إبراهيم - عليه السلام - ووصيته لبنيه من بعده، بالامتثال والاتباع لأمر الله تعالى، حسبما جاء في قوله - سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾، (البقرة: 125).

ج. فور إكمال البناء للبيت وجعله جاهزاً لأداء المناسك للطائفين والعاكفين والركع السجود، قام سيدنا إبراهيم - عليه السلام - وبحكم فطرته السليمة في البحث عن اتجاه

يتوجه به لأداء الصَّلَاة، إذ كان النَّاسُ - باعتقادي - يتوجهون بصلاتهم لأي اتجاه قبل بناء البيت (الكعبة)، وقد صَوَّر القرآن الكريم تلك الحالة قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾، (البقرة: 144)، إذن فقد كان الخطاب في هذه الآية موجه لسيدنا إبراهيم عقب إكماله بناء البيت الحرام (المسجد الحرام) كمكان وقبلة للتوجه للصَّلَاة إليه، ولمزيد من المعرفة والفائدة، أدعو القارئ الكريم للتأمل حول هذا الحدث الذي وصفه القرآن الكريم في سورة البقرة، ابتداءً من الآية رقم (125)، وحتى الآية (150). فكل تلك الآيات - بتقديري - تتحدث عن أحداث دارت حصرًا في زمن سيدنا إبراهيم، وهو المخاطب فيها من حيث بناء البيت الحرام بمكة، وجعله مقصدًا للنَّاس للحج والعمرة والصَّلَاة، واتِّخاذ من مقام إبراهيم مُصَلًّى، ووصَّى بها الأنبياء والرُّسل من بعده، إسحاق، ويعقوب، وإسماعيل ومن بعدهم سلك الأنبياء والرُّسل نفس المسلك، وهم يوسف، وموسى، وهارون، وعيسى، ومحمد - عليهم الصَّلَاة السَّلَام - والأمم والأقوام والشعوب الأخرى، فقد جعلوا البيت (المسجد الحرام) قبلةً لصلاتهم، ولم يكن تحديد القبلة ابتداءً في عهد النَّبي محمد - عليه الصلاة والسلام - حسب ما جاء في أحاديث العنينة والقلقلة.

المرحلة الثانية: المسجد الحرام بمكة قبلة الصلاة في عهد نبي الله موسى وهارون:

قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، (يونس: 87). هذه الآية تؤكد الحقيقة السابقة من أنَّ القبلة كانت للبيت الذي بناه سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل - عليهما الصَّلَاة والسلام، فالله - سبحانه وتعالى - طلب من موسى وهارون، ومن قومهما من بني إسرائيل، وهم في أرض مصر أن تكون بيوتهم قبلةً من أجل التوجه بالصَّلَاة إلى البيت الذي بناه سيدنا إبراهيم (المسجد الحرام) وهو أمرٌ واضحٌ لا لبس فيه، وقد يقول قائل: إنَّ قبلة موسى كانت لبيت المقدس، فذلك زعم كاذب، إذ المعلوم أنَّ بيت المقدس لم يدخلها موسى وقومه في ذلك الوقت ولا يوجد ما يشير في القرآن الكريم لقبلة آخر على الأرض غير البيت الحرام (الكعبة، البيت العتيق، البيت المعمور، المسجد الحرام) في ذلك الوقت، وحتى يومنا هذا، وهو ما يؤكد عليه كلام الله.

والقرآن يتحدث في آيات أخرى عن مطالبة الله - سبحانه وتعالى - لموسى وقومه أن يدخلوا الأرض المقدسة بعد خروجهم من أرض مصر، ومع ذلك رفض بنو إسرائيل دخول الأرض المقدسة لوجود قوم آخرين ما زالوا يسكنوها (قَوْمًا جَبَّارِينَ) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ، قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنْدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾، (المائدة: 21، 22)، ومدلول الآيات واضحة من أن بني إسرائيل رفضوا الدخول

إلى الأرض المقدسة فكيف تكون قبله لهم وهم لم يدخلوها ؟ بل وامتنعوا عن دخولها في عهد موسى وأخيه هارون - عليهما السلام.

المرحلة الثالثة: تغيير القبلة عن المسجد الحرام بمكة كان من قبل اليهود:

إِنَّ مَنْ الذي غَيَّرَ قبلة سيدنا إبراهيم عن المسجد الحرام؟ للإجابة على هذا السؤال، تعالوا نستطلع مدلول هذه الآيات من سورة البقرة التي تتحدث عن نفس الحدث من عمارة البيت - المسجد الحرام - ووظائفه التي جعلها الله تعالى "قبلة"، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، (البقرة: 142). ومن القراءة المتأنية، فقد ذكرت أنهم تولوا عن قبلتهم التي كانوا عليها من عهد إبراهيم، وهو ما يعني صراحةً وضمناً وجود القبلة من قبل، لكنهم تولوا - انصرفوا عن قبلتهم التي كانوا عليها، أضف إلى وصفهم بالسفهاء من الناس، وبالبحث عن لفظ السفهاء في القرآن الكريم سنجد أن هذه الصفة تتبع الموصوف، وهم جماعة من اليهود من بني إسرائيل، فهم أول من ذكروا بهذه الصفة صراحةً، وضمناً في كلام الله من القرآن المبين على لسان موسى عليه السلام، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا أَلِيمَاتٍ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيِّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾، (الأعراف: 155)، وفي آية أخرى من سورة البقرة ردّ ضمنى عن اليهود ووصفهم بالسفهاء، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنْتُمْ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، (البقرة: 13).

المرحلة الرابعة والأخيرة: تحديد هيئة المصلي باتجاه القبلة:

جعل الله سبحانه التوجه نحو القبلة كشرطٍ لصحة الصلاة، إِذ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾، (البقرة: 144). يبيّن الشرط الأول من الآية الكريمة، بقوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾. وهذه الآية تتحدث عن اتجاه القبلة، للمصلي بصورة واضحة من أي مكانٍ في الأرض، بجعل شطر المسجد الحرام الموجود بمكة (بكة) هو الاتجاه الأساسي الذي يجب أن تستقبله عند كل صلاة، والخطاب موجّه هنا للشخص الأول الذي بنى أول مسجد أو بيت للعبادة، وهو سيدنا إبراهيم - عليه الصلاة والسلام، ومن بعده الناس جميعاً، كما بيّناه سابقاً، وفي الشرط الثاني من نفس الآية أعلاه، قوله تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾، (البقرة: 144). فالآية واضحة وصريحة فهو يحدد وضعيتك بأن تستمر بالحفاظ على استقبال القبلة بوجهك أثناء أدائك

للصَّلَاة، المراد القيام لها، فلا تصرف وجهك عنها مطلقاً وبكل مراحلها من قيامٍ وركوع وسجود، حسب ما بيّنه الشطر الثاني من الآية، بقوله تعالى: (وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوُتُوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ) وقوله: (حيث ما كنتم) من الآية، ويُقصد ويُفهم منها هيئة المصلي في كل مراحل الصلاة من قيام وركوع وسجود بينما قوله: (فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) من شطر الآية الأولي يُفهم منه تحديد الاتجاه الذي يجب استقباله عند البدء بالصلاة، وهناك اختلاف في اللفظ بين تحديد الاتجاه، وهيئة المصلي أثناء الصلاة، وبينهما فرق كبيرٌ وواضح، ولا يصح القول بأنهما واحد.

كما بيّن القرآن الكريم عدداً من الشروط الأخرى لأداء الصلاة في مواقيتها المحددة، والتي لا تصح الصلاة إلا بها في الآتي:

1- لا يجوز للمؤمن الصلاة وهو في حالة سكرٍ، من خمرٍ أو من هم وغيره؛ خشية عدم تمييزه القول السيئ من القول الحسن.

2- لا يجوز للمؤمن الصلاة وهو في حالة جنب، ويُقصد بالجنب هو ممارسة الجنس، إلا أن يكون عابر سبيل، وعابر السبيل هو من كان على سفرٍ طويل، فهذا يجوز له الصلاة بدون غسل حتى يجد الماء، قَالَ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾، (النساء: 43).

وأخيراً: فأن استقبال المسجد الحرام أو شطر منه كانت وما زالت وجهة يحبب التوجه إليه أثناء خروجك من بيتك؛ لحكمة اقتضاها الله - سبحانه وتعالى - بحسب القرآن الكريم في هاتين الآيتين، فلا يقصد منها التوجه للصلاة، بل تيمناً بالمسجد الحرام لمجرد خروجك من أي مسكن، في أي مكانٍ على الأرض، سواءً أكان بيتك أو مكان إقامتك، فالآيتين التالية تحددان الاتجاه، ويحددان المكان، ولا شأن لهما بالقبلة، أو الصلاة، والأمر ليس للوجوب، وإنما للتخيير ولمن أراد، قَالَ جَلَّ في علاه: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ، وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوُتُوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَئِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾، (البقرة: 149، 150).

13-8 آداب الصلاة:

بيّن الذكر الحكيم عدداً من الآداب التي يتوجب على المؤمنين أن يأخذوا بها أثناء القيام للصلاة نبيّها في الآتي:

1- عدم الجهر برفع الصوت، أو خفضه عند أداء الصلاة، لذا لزم التوسط وعدم الجهر بالصوت في جميع مراحل الصلاة، سواءً عند القيام، أو عند الركوع، أو عند السجود، وحتى الانتهاء من الصلاة؛ لما يبعث ذلك على السكينة والخشوع والوقار، وعدم إزعاج

من حولك برفع الصوت والجهر به أو عبر مكبرات الصوت، فهذا منهي عنه، بحسب الآية بقوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُتُمْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾، (الإسراء: 110)، واللفظ هنا (لا تجهر بصلاتك ولا تخافت) يستغرق عموم الصلاة كما أوضحنا سابقاً.

2- المداومة على الصَّلَاة بالاستمرار على أدائها بمواقيتها، دون انقطاع، قَالَ تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾، (المعارج: 23).

3- المحافظة على الصَّلَاة، ويقصد الحرص على أدائها بصورة منتظمة قَالَ تعالى: ﴿...وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾، (الأنعام: 92)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾، (المؤمنون: 9)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاة: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾، (المعارج: 34).

4- عدم السهو في الصَّلَاة، والسهو هو عدم المواظبة على أداء الصَّلَاة، في أوقاتها، ويغلب الانقطاع المستمر في الصلاة قَالَ تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ، الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾، (الماعون: 4، 5).

5- الخشوع عند أداء الصَّلَاة، ويقصد بها استحضار العقل والقلب والفؤاد والحواس أثناء أداء الصلاة قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾، (المؤمنون: 2).

6- النهي عن التكاثر في الصَّلَاة والمراعاة بقصد إظهار أنه يصلي أمام الناس، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالِي يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، (النساء: 142)، وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾، (التوبة: 54).

والخلاصة: فإنَّ الإسلام حدّد آداباً للصلاة، ولم يسقط الصَّلَاة عن المريض، أو النائم، أو المرأة الحائض، أو النفاس، وهو ما يظهر من عموم كلام الله، وخصوصه، كما يفهم أيضاً على من فاتته ميقات أي صلاة، فلا يلزم القضاء، وإنما يلزمه المحافظة على الميقات التالي للصَّلَاة والمداومة عليه.

8-14 عدد الركعات والسجود لكل صلاة:

عرفت الصَّلَاة منذ القدم بأنها مثنى، مثنى أي أن كل صلاة تتكون من قيام يتبعه ركوع ثم سجود، وعودة مرة أخرى لقيام يتبعه ركوع، ثم سجود ثم يخرج المصلي من الصَّلَاة بصرف وجهه عن اتجاه القبلة، نحو اتجاه آخر (يميناً أو يسرة) وهكذا تكون الصَّلَاة، غير أن أقل عدد يصلي المؤمن في الميقات المحدد للصَّلَاة هي بتقديري هو قيامان وركعتان وسجدة واحدة حسبما يفهم ضمناً من القرآن الكريم بالآية التالية التي تتحدث عن مشروعية عدد الصَّلَاة المطلوبة في كل ميقات وله أن يزيد ما يشاء من عدد الصلوات سواء كانت الصَّلَاة جماعة، أو فرادى في المواقيت المستغرق على حدة في الحالات العادية بخلاف الصَّلَاة في الظروف الاستثنائية، كظرف الحروب أو ظرف السفر مع وجود الخوف، وهو ما سوف نوضحه في الآتي:

- 1- الصَّلَاةُ في الحالة العادية تكون بقيامين وركوعين وسجدين فقط ثم يخرج المصلي.
- 2- الصَّلَاةُ في حالة السفر تقصر الصَّلَاةُ مع وجود الخوف فتكون بقيام وركوع وسجود واحد.
- 3- الصَّلَاةُ وقت الحرب تكون بقيام وسجود واحد من غير ركوع.

وعند البحث عن مشروعية عدد ركعات الصَّلَاة في القرآن فقد وجدت هذه الآية من سورة سبأ وهي الوحيدة في القرآن الكريم التي تتحدث بصورة ضمنية عن كيفية القيام لله سبحانه وتعالى - فحددت بمثنى وفرادى، أذكرها كدليل من أجل الاستشهاد بها على عدد ركعات الصلاة الواحدة، وهي ما أرجحه وأطمئن إليه، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَىٰ وَفَرَادَىٰ...﴾، (سبأ: 46). ومعلوم أن القيام لله سبحانه يقصد به الصلاة فتكون مثنى في الوقت والظرف العادي، وتكون فرادى في حالة صلاة القصر لسفر مع وجود الخوف أو عند قيام الحرب، أضف إلى ذكر آية آخر أكثر توضيح للآية السابقة لمعنى القيام وهي ما تفقه من خلالها القيام للصلاة بالركوع والسجود وهما من شعيرة الصلاة - قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾، (الحج: 26)، وذكر القيام في سورة المزمل قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿فِمْ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ المزمل (2)، وغير ذلك كثير حسب موقع اللفظ في الآية.

15-8 كيفية الصَّلَاة بحلول وقتها:

- 1- القيام واقفاً على قدميك، ووجهك تجاه القبلة ولكل صلاة قيامان.
- 2- الركوع أو القعود على ركبتيك من قيام نحو الأرض، ووجهك نحو القبلة من غير إنحناء، ولكل صلاة ركوعين.
- 3- السجود للأذقان ويقصد به خفض الرأس نحو الذقن ووجهك وهيئتك نحو القبلة ولكل صلاة سجدين من ركوعين، من غير رفع المؤخرة للخلف ولصق الجبهة على الأرض.
- 4- الدعاء والذكر وقراءة ما تيسر من القرآن الكريم، والتسبيح والاستغفار ومناجاة الله - سبحانه وتعالى، في كل ما يلزم من صيغ الخطاب الحسن، والتأدب في الذكر في كل مراحل الصَّلَاة، من قيام، وركوع، وسجود من دون تحديد نمط محدد، بل ترك لكل مُصَلٍّ أن يقرأ ما شاء من آيات القرآن، وأدعية موجودة في القرآن الكريم، ومما يستحفظ الإنسان من ذكر خاص بالله - سبحانه وتعالى، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾، (طه: 14).
- 5- وأخيراً: الانتهاء من الصَّلَاة بصرف وجهك عن القبلة نحو، اتجاه آخر يمنة أو يسرة على نحو يفهم منه الانتهاء من الصَّلَاة، وقد حث الله تعالى على القيام للصَّلَاة جماعة أو فرادى وعند القيام للصَّلَاة جماعة، لم يحدد الله - سبحانه وتعالى - جنس الإمام فالخطاب بإقامة الصَّلَاة للذكر والأنثى على حدٍ سواء، فيجوز لكليهما إقامة الصَّلَاة دون تمييز، وقد بين الله تعالى ذلك بعدد من آيات الذكر الحكيم على نحو يؤكد الكيفية التي أراد الله تعالى القيام فيها للصَّلَاة، وسوف نستعرض حالات الصَّلَاة.



صورة توضيحية لكيفية القيام للصلاة

- 1- حدد القيام للصلاة كأول خطوة على نحو يكون المصلي مستعداً للقيام واقفاً على قدميه، وموجهاً وجهه نحو القبلة مبتدئاً بإقامة الصلاة، ثم يقوم بخشوع مستحضراً عقله، وقلبه بذكر الله والدعاء والتسبيح، وبقراءة ما تيسر من القرآن الكريم متحلياً بأداب الصلاة ولا يمنع أن يضم المصلي يديه أو يسربل أو يرفعهما نحو الأعلى بهيئة الدعاء؛ لأن الصلاة هي ذكر ودعاء على الجملة كما هو موضح في النموذج رقم... (1).
- 2- وإذا كان المقيم للصلاة أماماً لجماعة ذكراً كان أو أنثى، فعليه أن يتوسط برفع صوته فلا يجهر برفع صوته، ولا يخفت به، بحيث يكون على نحو مسموع لجماعة المصلين فقط دون مبالغة، وعلى الجماعة التردد لما يتلى أثناء الصلاة أو تردد لما يقرأ الإمام إذا كان صوته مسموعاً بخشوع ووقار، دون صخب ومن دون رفع الصوت داخل فناء المسجد أو عبر مكبرات الصوت الداخلية للمسجد، أوفي الحيز المكاني للمسجد، حسب ما أمر الله - سبحانه وتعالى - بالآية سالفة الذكر، أو ينفرد المصلي المؤتم لنفسه بذكر الله، وقراءة ما تيسر له من القرآن الكريم حسبما سبق بيانه، وهو يتابع الإمام مشاركاً له بالقيام والركوع والسجود، وإذا كان المصلي فرداً فعليه أن يصلي كما يشاء بحسب ما جاء بالآية لما سلف.

كيفية الركوع أثناء الصلاة



صورة توضيحية للركوع في الصلاة

الركوع أو القعود، ويقصد بالركوع هو قعود المصلي من قيام على ركبتيه نحو الأرض أو هو جثو المصلي من قيام (جلوسه) على ركبتيه حتى يلامس الأرض ويده مبسوطتان على نحو معين، بحيث لا ينصرف وجهه عن القبلة وفقاً للصورة الموضحة بالنموذج رقم... (2).

وللمصلي عند الركوع أن يدعو الله بما يشاء من الدعاء، والاستغفار والتقديس لعظمة الله تعالى حسبما جاء بالقرآن الكريم أو مما يحفظ، ولكل صلاة ركوعان فقط، والركوع ليس فيه انحناء المصلي برأسه ووجهه إلى الأمام واضعاً راحة يديه على ركبتيه ومؤخرته للخلف، كما يفعل المصلين حالياً إذ إن عملية الانحناء هذه دخيلة على الصلاة بقصد تشويهاها، وإخراج الركوع عن سياقه المعروف، ومخالف لما جاء بالقرآن الكريم في كثير من آيات الذكر الحكيم، كما أن الانحناء بهيئة الركوع الحالية، يصرف وجه المصلي عن استقبال القبلة، وهو ما يعد خروج المصلي عن شرط صحة الصلاة المبينة في القرآن الكريم والتي أوضحناها سابقاً بالقول "وحيثما كنتم" بمعنى على أي هيئة كنتم من قيام وركوع وسجود فيجب أن تكون وجوهكم باتجاه القبلة التي ارتضاها الله تعالى، وهي اتجاه المسجد الحرام أو شطر منه، ونذكر الآية لمزيد من التوضيح والتدبر قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى - ﴿... وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوُتُوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾، (البقرة: 144).

دليل مشروعية الركوع:

وردت آيات كثيرة من القرآن الكريم تبين الركوع، نذكر منها الآتي:

- قَالَ اللَّهُ سبحانه وتعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾، (البقرة: 43).
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى.... وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾، (البقرة: 125).
- وَقَالَ تعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾، (آل عمران: 43).
- وَقَالَ اللَّهُ سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، (الحج: 77).
- وَقَالَ اللَّهُ سبحانه: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا.....﴾، (الفتح: 29).
- وَقَالَ سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾، (المرسلات: 48).



كيفية السجود في الصلاة بخفض الرأس نحو الذقن

جاءت آية من سورة الإسراء لتبين لنا كيفية السجود بشكل واضح لا لبس فيه ولا غموض قَالَ سُبْحَانَهُ ﴿...إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ (107) وآية أخرى من سورة الإسراء قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾، (الإسراء: 109) ومدلول هاتين الآيتين واضحة بذكر وضعية السجود المراد بالآية وهو خفض الرأس نحو الذقن بقوله تعالى (يخرون للأذقان) واللفظان كررا مرتين في الآيتين بقصد زيادة فقه (فهم) فعل السجود وتحديد كيفيته، حسب مفهوم ودلالة الآيتين اللاتي قصد منهما معرفة السجود في الصلّاة، إذ الملاحظ أن حرف (اللام) قصد منه استغراق الفعل، ووصفه بمكان واحد ولا يمتد لمكان آخر غيره، ولو كان طلب السجود لمكان آخر لجاءت الآيتين بصيغة أخرى كقوله (يخرون إلى الأرض سجدا) وقد ورد السجود بهذه الهيئة وتكرر كثيراً بلفظ السجود إلى الأرض في العقائد القديمة (1)، وعلى أثر ذلك تم تحريف وضعية السجود حسب ما هو حاصل اليوم في الصلّاة عنما جاء بكلام الله سبحانه في القرآن حسب الآيات السابقة، حيث اقتبست وضعية السجود وهيئتها من العهد القديم ودس في فكر المذاهب بغرض تشويه الصلاة وصرف وجه المصلي عن استقبال القبلة عند السجود.

فبيّن الحق - سبحانه وتعالى - في الآيتين السابقتين وصف حال السجود بحالين الأولى خفض أو انحناء الرأس للأذقان باتجاه الصدر، والثاني وصف حال الساجد بالبكاء خشوعاً لله سبحانه، ويكون السجود بعد الركوع غالباً في عموم الصلّاة، عدا الصلّاة وقت الحرب، فيكون السجود بدون ركوع حسب ما سبق الإشارة إليه.

ولمزيد من التوضيح فإن الآية السابقة جاءت لتبين كيفية الصلّاة أثناء الحرب، فذكرت السجود من غير ركوع، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ...﴾، (النساء: 102)، وفي هذه الحالة تبين الآية السجود صراحة للمصلي وهو قائم من دون ركوع، وهو ما ينفي صراحةً وضماً السجود إلى الأرض ويتوافق ويتطابق

(1) انظر العهدين القديم - والجديد - توراة العبرانيين - سفر التكوين بحسب النص: (52) وكان عندما سمع عبد إبراهيم كلامهم أنه سجد للرب إلى الأرض). وقد ذكر وصف السجود في أغلب اسفار العهدين القديم والجديد .

صراحةً وضمناً مع بقية الآيات التي تتحدث عن وضعية السجود في آيات الذكر الحكيم، حول كيفية السجود للأذقان وليس إلى الأرض كما هو سائد اليوم للأسف.

ولمزيد من التوضيح والتأكيد حول وضعية السجود وكيفيةها فقد جاءت هذه الآية الموضحة، بدخول الباب سُجَّداً قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾، (البقرة: 58)، وآية أخرى بنفس السياق قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾، (الأعراف: 161)، فكيف يكون دخول الباب، أو القرية وجبهة الداخل أو المصلي الساجد ملصق بالأرض بحسب السجود الحالي الآن؟؟

وللأجابة على هذا السؤال فإن السجود المقصود والمطلوب بالآيتين السابقتين، هو السير على الأقدام خافضي الرؤوس للأذقان من أجل دخول الباب سجداً، ولا يتصور عاقل أن يدخل الإنسان الباب سجداً وجبهته ملتصقة بالأرض كهيئة السجود الحالية فذلك يسمى انبطاحاً أو التصاقاً بالأرض، فإذا أعقبه حركة اعتبر سحاً بوجهه على الأرض، وهو جانب من العذاب حسب ما تصفه آية أخرى من القرآن الحكيم قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى -: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾، (القمر: 48)، إذن فلا يمكن أن يكون دخول الباب سجداً المراد بالآية السابقة بقوله: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً﴾ هو السحب بوجوههم على الأرض فهذا عذاب شديد للعصاة المذنبين، وليس سجود، إذ إن دخول الباب سُجَّداً شعيرة لتعظيم أمر الله - سبحانه وتعالى - والفرق بينهما كبير، وقد ذكر السجود على العموم لكل الخلائق ما في السماوات والأرض بمشهد تصويري بديع، فجاء ترتيب ذكرها من الأبعد ثم الأقرب، فكان مبتدئاً بذكر سجود الشمس والقمر والنجوم والجبال ثم الأقرب كالشجر والدواب والأكثر قرباً، وهم كثيراً الناس، حسبما جاء بالآية: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾، (الحج: 18).

وهل يتصور عاقل أن يكون فعل السجود لهذه الكائنات بوضعية السجود السائد الآن؟ والإجابة حتماً "لا" وهل هناك تقارب بين فعل السجود، حسب مفهوم الآيات السابقة (ويخرون للأذقان سجداً) مع مدلول الآية الأخيرة التي ذكرت سجود الخلائق في السماء والأرض، وكذلك كثير من الناس؟

الإجابة "نعم" هناك توافق كبير بين سجود تلك المخلوقات والتكليف بالسجود المراد في الصلوة بخفض الرأس نحو الذقن، وقد يقول قائل إن طريقة سجود هذه المخلوقات يكون مجازاً وليس حقيقياً، ولن أدخل في نقاش هذا الموضوع غير أنني التزم ما جاء به القرآن حول السجود وأجزم أنه لا يتعارض مع العقل، وأطلق لعقلي العنان في التفكير بكيفية قيام هذه المخلوقات بالسجود لله - سبحانه وتعالى - سواء كان هذا السجود حقيقياً أم مجازاً، مع مقارنة

خطاب التكليف بالسجود في الصَّلَاة على نحو يتقارب من التصديق بسجود كل الكائنات والمخلوقات المذكورة بالآيات، في ملكوت الله - سبحانه وتعالى - في السماوات والأرض، وما بينهما، وما تحت الثرى، فافقه وادَّكر، إن فعل السجود الذي أمر به الله - سبحانه وتعالى - الإنسان ومن في السماوات والأرض وكل الكائنات يتقارب من حيث الكيفية لفعل السجود الوارد بكلام الله في القرآن، بل ويكون على نحو أرقى وأسمى من فعل السجود السائد الذي يظهر حالياً ويكون مخالفاً لما أمر به الله تعالى ما يجعل الصَّلَاة مشوهة، لخروج المصلي عن وضعية الصَّلَاة، ويصرف وجهه عن القبلة التي حددها الله سبحانه بقوله - سبحانه وتعالى - ﴿...وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوُتُوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ...﴾، (البقرة: 144)، ومجمل هذه الآيات تتعاضد معاً لفقه بيان السجود المراد في الصَّلَاة دون صرف وجهك عن شطر المسجد الحرام كشرط لصحة الصلاة.

إذَنْ فالسجود معلوم كما بيناه سابقاً بحسب الآيات وهو خفض الرأس نحو الذقن باتجاه الصدر، فهذا هو السجود المطلوب في كل صلاة، خلافاً لما يفعله غالبية المصلين اليوم من إصاق جبهة ويدي المصلي على الأرض رافعاً مؤخرته للخلف، فهذا يسمى انبطاح أو التصاق كما بينها سابقاً، فالانحناء والانبطاح ولصق الجبهة بالأرض يصرف وجه المصلي عن اتجاه القبلة، وهو ما يعد خروج عن شرط صحة الصَّلَاة، التي حددها الله تعالى بأن لا تصرف وجهك عن المسجد الحرام أو شطر منه، فكيف يستقيم الحال في الصَّلَاة وأنت توارى وجهك عنما أمرك به الله تعالى، بل وتصرف وجهك لغير ما وجهك الله تعالى به، فذلك يعد من باب الخروج عن شرط صحة الصَّلَاة، بل وخروج عن الصَّلَاة نفسها ومخالف لأمر التكليف وتشويه للصَّلَاة، وقد سبق بيانه وللتوضيح أكثر انظر الصورة التوضيحية نموذج رقم... (3).

دليل مشروعية السجود:

ورد ذكر السجود في القرآن الكريم بآيات كثيرة على العموم والخصوص، وفيه من تلاوة آيات الذكر الحكيم، والتسبيح، والأدعية وغيرها حسب ما جاء في الآتي:

- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾، (مريم: 58).
- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَانِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾، (آل عمران: 113).
- وَقَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾، (الأعراف: 206).
- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾، (الفرقان: 64).

- وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾، (السجدة: 15).
- وَقَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا...﴾، (الفتح: 29).
- وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْعُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾، (الرعد: 15).
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾، (النحل: 49).
- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾، (الرحمن: 6).
- وغيرها الكثير من آيات الذكر الحكيم، وقد يكون السجود قبل الركوع، كما في الخطاب للسيدة مريم صلى الله عليه وسلم، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾، (آل عمران: 43).
- وفي حالة سجود الملائكة لآدم قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾، (البقرة: 34).
- وحالات السجود المنفرد بصيغ الفعل المتعدد، والتي وردت كثيراً بآيات الذكر الحكيم نذكر جزءاً منها: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾، (الفرقان: 60).
- وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾، (النجم: 62).
- وَقَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾، (الإنسان: 26).
- وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾، (العلق: 19).
- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾، (آل عمران: 113).
- وحالة سجود يوسف عليه السلام واخوته لأبويه قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا...﴾، (يوسف: 100).
- وحالة سجود سحرة فرعون، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾، (طه: 70).

ولذلك فالصلاة التي حث الله المؤمنين على إقامتها بمواقيت محددة وفقاً لأدائها وشروطها، موضحاً كيفيتها بالقيام والركوع والسجود، والدعاء والتسبيح والاستغفار والذكر وقراءة ما تيسر من آيات الذكر الحكيم دون تخصيص آية أو سورة محددة.

ومعلوم أن السجود عمود الصَّلَاة فقد جاء واضح البيان في كثير من آيات القرآن، وبصيغ متعدّدة، من الصلاة في اليوم واللييلة، وفي كل صلاة وصلاة يوم الجمعة أو أثناء السفر أو الحرب أو الخوف.

الانتهاء من الصَّلَاة:

بعد إتمام الصَّلَاة من قيام وركوع وسجود فإن على المؤمن أن يختتم صلاته بصرف وجهه عن اتجاه القبلة بالالتفات باتجاه آخر عنها، يمناً أو يسرة معلناً خروجه من الصلاة، خلافاً لما يعمل غالبية المسلمين اليوم بالتسليم على مسمى الملكين الشاهدين (رقيب - عتيد)، الموكلين بكتابة الأعمال والعبادات حسب زعمهم، فهذا أمر مضحك على عقول النَّاس، حسب ما دسسته فقهاء المذاهب بأحاديث العنينة، فمن خلال آيات القرآن الكريم، الذي يفضح هذا الدس المقصود لغرض صنع وهم الملكين الموكلين بالمراقبة، وأنهما موكلان بكتاب وإحصاء عمل العباد، ومنها الصَّلَاة وبالعودة للآية التي نتحدث عن (" رقيب - "عتيد") قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق: 18). فكلما رقيب عتيد لا يوجد بينهما حرف العطف (الواو) - حتى نقول فلان وفلان، بل إن (رقيب عتيد) شيء واحد وليس شيئين كما صورته لنا فقهاء المذاهب، إذ يفهم أنه نظام رقابي رباني لكل إنسان متخصص بما يصدر عن الناس من قول ومعلوم أن الصَّلَاة ليست قول فقط بل هي قولاً وفعل من قيام وقعود وسجود وهو ما يكذب تلك الأحاديث، كما أن نظام الرقابة موجود في كل إنسان حسب ما وضحته آية أخرى بمحكم الذكر الحكيم قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا، اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾، (الإسراء: 13، 14). وآية أخرى على نفس السياق قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِي﴾، (الحاقة: 19)، وقال تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِي﴾، (الحاقة: 25). وآيات أخرى أكثر وضوحاً لوصف مشاهد الحساب عن أعمال العباد، قَالَ اللَّهُ سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، (النور: 24). ونرى وصفاً آخر لمشهد مذهل لواقع حال أعداء الله الذين يحشرون إلى النار فيأتون بحججهم جراء أفعالهم الظالمة، وهذه الآيات من سورة فصلت قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، وَقَالُوا لِمَ لُجُودُهُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ، وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾، (فصلت: 20، 21، 22).

وخلاصة القول: فإن قصة الملكين رقيب وعتيد والسلام عليهم عقب الانتهاء من الصَّلَاة ما هي إلا دس قصد به الاستهزاء من الصَّلَاة، وفي تقديره لا مانع من اختتام الصَّلَاة بالدعاء، والإستغفار ولكن ليس بقصد الملكين حسب ما جاء بكتب المذاهب.

ذكر الله - سبحانه وتعالى - المساجد - المحراب في القرآن منذ الأزمنة الأولى، وحث على عمارتها، وإقامة الصلوة فيها والخطاب موجه للذكر والأنثى، والمسجد هو دار من البناء أو مكان من الأرض محاط ببناء، أو علامات محددة يعرف منه أنه مكان مخصص للصلوة والاعتكاف سماه الله سبحانه بالمسجد، أو بالمحراب أو بالبيت، فالمسجد هو المكان المخصص لتأدية شعيرة الصلوة، حسبما حدد من كلام الله، وأول بناء لهذا الغرض تم بناؤه من قبل سيدنا إبراهيم، وهو ما يعرف بالمسجد الحرام، أو الكعبة، وهي عبارة عن بناء مربع الشكل أو مستطيل الشكل، متواضع الهيئة والبناء لا يوجد فيه قباب، أو مآذن.

ومن حيث الامامة في إقامة الصلوة فيجوز ان تكون المرأة امام، كما يجوز للرجل على حد سواء، وهذه المسألة لا محل للخلاف فيها بعموم وخصوص القرآن الكريم الذي لم يميز الرجل عن المرأة في الشعائر، والمناسك مطلقاً قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَغْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾، (التوبة: 18)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾، (الأعراف: 29)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، (البقرة: 114)، كما ذكر الله - سبحانه وتعالى - المساجد بمناسبة الاعتكاف في رمضان وبين آداب الاعتكاف بعدم إتيان النساء للشهوة، وأنتم عاكفون في المساجد فذلك حد من حدود الله سبحانه وتعالى، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَىٰ اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، (البقرة: 187)، وحث الله - سبحانه وتعالى - جميع عباده من بني آدم ذكوراً وإناثاً على التزين والتطيب عند الدخول للمساجد، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾، (الأعراف: 31).

مساجد ضرر:

أن أول بيت بني للعبادة كان من قبل سيدنا إبراهيم عليه السلام، وقد اتخذ شكلاً هندسياً معيناً في بنائه، وكلما تهدم أقيم على نفس قواعده السابقة وبقي هذا البناء متوارثاً جيلاً بعد جيل وصولاً للشكل المعروف به اليوم المربع القريب للمستطيل، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾، (آل عمران: 96)، وهذه الآية التي تشير لتحديد المكان والغرض من بناء البيت للطواف وهي من شعائر الحج والعمرة، والقيام

والركوع والسجود وهما من شعيرة الصلاة قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾، (الحج: 26)، ثم جعلت بيت العبادة هذه مكان يقصده الناس للحج والعمرة والصلاة، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾، (البقرة: 125)، وأطلق على هذا البيت مسجد وجمعه مساجد، فكانت وما زالت مكاناً لجميع الناس من أجل القيام بالحج والعمرة والصلاة، وقبله يستقبلها الناس من عموم أماكن الأرض في صلاتهم، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾، (البقرة: 144).

ثم جاء ببعض الآداب المتعلقة بالدخول إلى المساجد، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾، (الأعراف: 31)، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾، (الأعراف: 29).

وقد أتخذ الناس أشكالاً متعددة من المباني والأشكال الهندسية في محاكاة أفكارهم وعقائدهم الدينية، فقام الكثير منهم ببناء أشكال هندسية تجسد عقائدهم الدينية فنجد مثلاً السمة البارزة في شكل البناء الخارجي المتمثلة بالقباب التي تعلو أسطح تلك المباني والتي تحاكي آلهة الخصوبة والعطاء وهي المرأة (الأنثى)، ثم تطور البناء الحال إلى أن جاء الرجل (الذكر) ليضع له نصباً منافس في الشكل الهندسي لذلك البناء متمثل بالمنارة أو المآذن، وانتشر هذا النمط من البناء في معظم المعابد والكنائس في أغلب الديانات القديمة بقصد أو بدون قصد وانتقل هذا النمط من البناء للمساجد في معظم الدولة العربية والإسلامية وقد شرعن لهذا العمل بأحاديث العنينة بحجة رفع الأذان للصلاة، ومعلوم أن الأذان شرع للحج والعمرة وليس للصلاة التي أمر القيام بها لدخول ميقاتها مباشرة ولا تحتاج للأذان، لذلك تم بناء المساجد على ذلك النمط المشوة، وخلافاً للشكل الذي أتخذه سيدنا إبراهيم عليه السلام عند بناءه أول بيت (مسجد) ببكة، وبالقدر الذي لا يهم الشكل فإن مقصد الإسلام من إقامة البيت أو المسجد أو المحراب يفترض به تأدية وظيفة محددة وهي من أجل إقامة الشعائر والمناسك من الصلاة، والاعتكاف لله سبحانه وتعالى حسب حزمة من الشروط والآداب والتي سبق وأن ذكرناها في عناوين مستقلة حول الصلاة وهو بيت القصيد.

وبيّن الله - سبحانه وتعالى - الغرض من إقامة المساجد من أنها للتقوي والتطهر من الآثام، والذنوب وليس للإضرار والتكفير، والتفريق بين المؤمنين وإشاعة البغضاء والفرقة والترصد للمؤمنين، وتقسيم المؤمنين لطوائف ومذاهب وجماعات وفرق من خلال تخصيص مسجد لكل مذهب أو جماعة سياسية أو فرد ذو نفوذ طائفي أو نفوذ سياسي حسبما جاء بمجمل هذه الآية بقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضُرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ

لَكَادِبُونَ، لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ)، (التوبة: 107، 108).

وهذه الآية لا يحاكي مسجداً بعينه في المكان والزمان فقد ورد اللفظ واضحاً بقوله (مَسْجِدًا) وهو اسم علم غير محدد، وكذلك لفظ (ضِرَارًا) وهو وصف لفعل الضرر الذي يتخذ من توظيف (دار العبادة) المسجد في كل مكان وزمان، وليس كما فعل مذاهب العننة فحرفوا الآية والصقوها بمسجد محدد عند بعثة الرسول محمد عليه السلام في المكان والزمان، والآية تتحدث عن كل مسجد أو بيت للعبادة يتخذ لنشر الفرقة بين الناس أو لتكفير الناس والترصد بهم في كل صغيرة وكبيرة والتحريض على الكراهية وبث الأحقاد والأصولية والتطرف والقتال والإرهاب، فهذا هو مسجد ضرر، أو تلك البيوت والمساجد التي تخصص لجماعة من الناس دون غيرهم، اتخذوا لهم بيتاً أو مسجداً خاصاً بهم لنشر أفكارهم، فذلك مسجد ضرر، ونذكر منهم على سبيل المثال في الآتي:

- الكنيسة أو الدير / اللوثرية / البروستنانت / الكاثوليك / الإنجليكية وغيرها.
- الهيكل المقدس أو المعبد / حائط المبكاء / حائط البراق وغيره
- مسجد أهل السنة والجماعة.
- مسجد السلفية.
- مسجد الشيعة الجعفرية والشيعة الإمامية.
- مسجد أهل البيت أو مسجد آل البيت.
- مسجد جماعة التبليغ والدعوى.
- مسجد الإسماعلية.
- مسجد الدروز أو مسجد العلويين.
- مسجد الصوفية.
- مسجد جماعة السلف.
- مسجد جماعة الإخوان.
- الحسينية.
- الرباط.
- مسجد (س) أو (ص) بقصد التبرك والتقرب والتفريق،

فكل هذه المسميات تعبر عن مسجد ضرر المقصود بالآية إذ قصد من قيامه تخصّيصه لجماعة معينة من الناس دون غيرهم تسعى للتفريق بينهم، كما بيّن الله - سبحانه وتعالى.

وعن المساجد التي تبنّا لله سبحانه خالصة ينفرد المؤمنون بها لإقامة الصلّة، وعبادة الله وحده لا شريك ولا ند له، فقد ذكر الله سبحانه مواصفاتها قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾، (الجن: 18)، وذكر أول مسجد نبياً قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ آل عمران (96)، ثم أكد على مبدء الاعتصام في الدين وعدم الفرقة: قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى

شَفَا حُفْرَةَ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾، (آل عمران: 103).

الفصل التاسع

الزكاة (الضرائب) - والصدقات - والأنفال والفيء

9-1 التعريف بالزكاة ومشروعيتها:

بعيداً عن تعريفات فقهاء العنونة للزكاة فإن لفظ الزكاة عُرف بالقرآن الكريم بحسب موقع اللفظ في الآية ننسخ بعض التعريفات من القرآن على سبيل المثال:

- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿...فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ النجم (32).
- قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿... فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ الكهف (19).
- قَالَ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿... قَالَ أَقْتَلْتُ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْرًا﴾ الكهف (74).
- قَالَ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿وَحَنَاناً مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾ مريم (13).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿... فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ النجم (32).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾ النازعات (18).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِّي﴾ عبس (7).
- قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ الشمس (9).

ومن خلال ذلك يعرف القرآن الكريم الزكاة من كونها شعيرة تتعلق بشيء مادي ومعنوي يخص الإنسان والنفس البشرية من حيث تهذيبها وكذلك تزكية العمل أو الشيء بقصد الزيادة والبركة والطيب والخير فيه.

والتعريف بالزكاة في المال حسب ما يفقه من الآيات هو النماء أو الزيادة (الفائدة) في رأس المال من خلال دورة تشغيل في أي من الأعمال المشروعة خلال فترة زمنية محددة، فبذلك تستحق أخذ الزكاة من فائدة رأس المال العامل والمتداول والتي قصد منها استقطاع مالي على الأرباح التي يجنيها الشخص عن نشاط متعدد الأغراض في أي عمل تجاري مشروع يقوم به الفرد كما قلنا سابقاً، بموجب تشريع من العرف أو القانون أو غيره في الزمان والمكان، وقد تكون الزكاة استحقاق نقدي، أو عيني يدفع عن ذلك النشاط الذي يقوم به الإنسان بهدف الربح في جميع أنشطة الحياة المشروعة، ومنها على سبيل المثال مجال العمل في المشاريع التجارية في الرعي والزراعة، والتجارة والصناعة، أو النشاط الذهني لأي عمل إبداعي، أو جهد يقوم به الإنسان بهدف تحقيق الربح المشروع، ومعلوم أن الزكاة شعيرة قديمة يقدم الصلاة ومرتبطة بها من حيث الأهمية والمشروعية.

2-9 مشروعية الزكاة:

جاءت آيات كثيرة من القرآن الكريم تزيد عن ثلاثين آية، تحت على إيتاء الزكاة، وكثيراً ما قرنت الزكاة بالصلاة كما سيأتي ذكرها وأغلب تلك الآيات التي وردت على تأكيد جباية الزكاة وتحصيلها بألفاظ مجملة (قواعد) دون تحديد المدة أو مقدار الحصة المستقطعة، وترك تنظيم وتشريع ذلك للناس بحسب العرف والظروف الاقتصادية والمعيشية للأمم والشعوب حسب المتغيرات الاقتصادية في الزمان والمكان منذ التاريخ القديم وحتى يومنا هذا، وهو ما سيأتي بيانها من آية الذكر الحكيم، التي تؤكد على مشروعية الزكاة، وهي كثيرة، ونقتبس بعضاً منها بالآتي:

- قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى - ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ.....﴾، (البقرة: 110).
- وَقَالَ اللَّهُ تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، (البقرة: 277).
- وَقَالَ تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾، (النساء: 77).
- وَقَالَ تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، (المائدة: 55).
- وَقَالَ تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ...﴾، (الحج: 41).
- وَقَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾، (المؤمنون: 4).
- وَقَالَ - سبحانه وتعالى - ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، (النور: 56).
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾، (النمل: 3).
- وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا آتَيْنُكُمْ مِنْ رَبٍّ لِيَرْبُو فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْنُكُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْغَفُونَ﴾ (الروم: 39).
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ (فصلت: 7).
- وَقَالَ اللَّهُ تعالى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾، (لقمان: 4).
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾، (الليل: 18).

مشروعية الزكاة على الأمم السابقة:

بيّن القرآن الكريم أن الزكاة فرضت على الأمم السابقة مثلها مثل غيرها من الشعائر، والمناسك والعبادات مثل الصلّاة والصيام والحج وغيرها، ونذكر هنا الآيات القرآنية التي تبين مراحل فرض الزكاة، وحثّ النَّاس على أدائها على لسان الأنبياء والرُّسل وفقاً لمبدأ الرِّسالة السماوية، الواحد مع تعدد الأنبياء والرُّسل.

عهد رسول الله ونبيه إسماعيل:

- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى لِسَان رَسُولِ اللَّهِ وَنَبِيِّهِ إِسْمَاعِيلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾، (مريم: 55).

عهد بني إسرائيل:

- قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى - ﴿... حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾، (البقرة: 83).
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿...﴾ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ...﴾، (المائدة: 12).

عهد نبي الله ورسول عيسى:

- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ وَنَبِيِّهِ عِيسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾، (مريم: 31).

3-9 مقدار الزكاة ووقت أدائها ومصارفها:

لم يحدد الله - سبحانه وتعالى - مقدار الزكاة عن الأنشطة المشروعة التي يزاولها الإنسان بل ترك تحديدها حسب ظروف الزمان والمكان، وجعل تحديد النسبة أو مقدار الزكاة من الأرباح، عن سير نشاط المكلف بالزكاة وفقاً لما تقرره غالبية أولي الأمر من عامة النَّاس المكلفين بأداء الزكاة، وتخصّم الزكاة من صافي الأرباح عن هذا النشاط خلال السنة أو جزء منها أو وفقاً لما يتعارف عليه النَّاس من العرف والأعراف وما تقرره غالبية النَّاس أو ما يتقرر من سلطة مختصة في الدولة وتصدر بقانون.

مصارف الزكاة:

تعتبر الزكاة إحدى أهم المصادر الإيرادية التي ترفد بها الخزينة العامة للدولة، وتصرف على النشاط العام وعلى الحفاظ على الحقوق والحريات الأساسية، واحترام سيادة القانون والإنفاق على المشاريع الاستثمارية في كل المشروعات الاقتصادية والخدمات العامة والدفاع والأمن ونشر العلوم بمختلف جوانب الحياة، كما تصرف الزكاة للمشروعات الاستراتيجية

والبحثية وغيرها من الإنفاق العمومي حسب خطط وموازنات تُعد لذلك عبر سلطات الدولة المعنية.

واقع الزكاة اليوم:

في غفلة من الزمن جرى تحريف الزكاة من قبل فقهاء المذاهب فشرعوا لها أنصبة ذات صبغ دينية عبر أحاديث العنينة حدوها بنسب وأرقام وفرضوا عدداً من الشروط والأحكام فقيدوا آيات الزكاة التي جاءت مطلقة دون تحديد، وقد تم إثارة هذا العمل بالرد على كتابي الكافي في المذهب الشيعي، وصحيح البخاري في المذهب السنة والجماعة.

كما أن الحاصل في كتب فقه المذاهب الإسلامية حول فرض الزكاة وتحديد الأنصبة ما يثير السخرية من تلك المقادير المقتبسة من العقائد القديمة وصفاً ومعنى، مطلقين عليها أسم (المكوس) والعشور والجزية للذميين وغير ذلك، فقد دسوا أحاديث العنينة التي عطلت الهدف الموضوعي من الزكاة، وحددت الأنصبة والنسب على الأنشطة، التي يقوم بها المكلف من المسلمين، وبالمقابل فرضت الجزية على غير المسلمين، والجزية عقوبة حربية مورست من قبل الإنسان في الحضارات القديمة وذكرها القرآن بموضع نشوب الحرب ولسبب الحرب كعقوبة حربية لا تمتد لغيرها، وقد أفردنا لها عنواناً للتعريف بها في هذا الكتاب، ولا يوجد ارتباط بينها وبين الزكاة، وقد حشروا في الفكر الإسلامي عدداً من أحاديث العنينة جعلوا من هذه الأحاديث قواعد دينية في تحديد أنصبة ثابتة للزكاة لا تتغير، ولا تراعي ظروف الناس والمتغيرات الاقتصادية للمجتمع من وقت لآخر ومن مكان لآخر وخطوا بين الزكاة والجزية والصدقات، كما خطوا بين أشخاص المكلفين بأدائها وقصرت دفع الزكاة على المسلمين فقط، غير أن الزكاة فرضت على جميع الناس المكلفين دون تمييز لدين المكلف أو جنسه أو غير ذلك، كما سبق إيضاحه.

الخط بين مصارف الزكاة ومصارف الصدقات:

عمدَ مذاهب الفكر الإسلامي إلى تحريف الزكاة وأهداف رسالة الزكاة بمضامينها بقصد تشييتها، حيث جعلوا من مصارف الزكاة تذهب لمصارف الصدقات، ثم خطوا بالتعريف الموضوعي بين الزكاة والصدقات، بحسب ما دسوا من أحاديث بمختلف المذهبين الشيعي والسني في تحريف واضح للعيان، فلا يمكن أن تعرف الزكاة على أنها صدقات أو من الصدقات، ولذا نجد اليوم حال هذا التحريف يتجسد في المؤسسات القائمة اليوم بمختلف دول العالم العربي والإسلامي، حيث أنشأوا هيئات متخصصة للزكاة تستند على مشروعية من قوانين خاصة تسمى قانون الزكاة يسمح بموجبه جباية أموال الناس وصرفها لمستحقي الصدقات من المسلمين حصراً وقصرراً، في غفلة من الاستخفاف بالآيات القرآنية والعقل، على الرغم من وضوح الآيات كلاً على حدا حول الزكاة – والصدقات.

الضرائب:

الضرائب: أو الجباية وهي العائد المالي الناتج عن نشاط يقوم به الفرد في ضل سلطة تقوم بفرضها بموجب أمر أو تشريع من العرف أو القانون، وقد عرفت الجباية في العهود القديمة لدى المصريين، والرومان، واليهود الذين أطلقوا عليها عددا من التسميات (تقدمات – عشور) في العهد القديم – وبعدد من أسفار التوراة وغيرها (1)، وكذلك جاء نص الجباية في عددا من النصوص الدينية في العهد الجديد بشأن الجباية والضرائب (2)، وقد تطور العمل بمصطلح الضرائب في العصر الروماني بصورة كبيرة وواسعة على الممتلكات، والنشاط الزراعي بمختلف أنواع المحاصيل الزراعية والفواكهة وغيرها، وكذلك على النشاط المالي والتجاري إلى جانب الضرائب التي تجنى من الأفراد وغير ذلك من الأنشطة وقد جاءت المصطلحات والمفاهيم الضريبية حديثاً بعدد من أنواع الضرائب الرئيسية كضريبة الأرباح وضريبة الفوائد الودائع البنكية – وضريبة المبيعات – وضريبة المرتبات – وضريبة الصادرات – وضريبة الواردات – وغيرها، والتي تصب كلها في عددٍ من الأوعية الإيرادية للخرينة العامة- الدولة، ومن مختلف الأنشطة التي يقوم بها الإنسان أو الكيانات الاعتبارية، وتفرض وتعفى بمرسوم أو قانون أو تشريع، يصدر عن سلطة مخولة بذلك، ويحدد القانون مقدار الاستحقاق، المستقطع ونوعه وفترة الاستحقاق والمخولين بتحصيله على أن يراعي الحالة المعيشية والاقتصادية للناس، من عام لآخر وتتخذ (الضرائب) من نوعية النشاط التجاري للناس المشمولين بالقانون الذي يجب أن يطبق على السواء، دون فرق في الدين والجنس وغيره، ووفقاً لقاعدة - لا ضرر ولا ضرار والحديث في هذا الموضوع طويل .

الزكاة والضرائب:

من خلال تتبع المسيرة التاريخية لفرض العشور والتقدمات الدينية أو الجباية أو الضرائب أو الجزية قديماً، والظلم الحاصل عند فرضها وجبايتها على مختلف نشاطات حياة الإنسان، حتى وصل فرضها على مجمل النشاط الخاصة الذي يقوم به الإنسان خاصة ذلك النشاط المتعلق ببقاء الإنسان حي، أو ما يتعلق بحرفته أو شخصه، وتحصيل قوته اليومي، وقد جرى الخلط بين الجباية والجزية، ولذلك أطلق القرآن الكريم على جباية الأموال بلفظ الزكاة وجاء هذا اللفظ في أكثر من ثلاثين آية مقرون بالصلاة لأهميتها حيث جاء بلفظ العموم دون تفاصيل

(1) انظر العهد القديم – تورا العبرانيين – سفر العدد .النص التالي: (24 إن عشور بني إسرائيل التي يرفعونها للرب رفيعة قد أعطيتها لللاويين نصيباً. لذلك قلت لهم: في وسط بني إسرائيل لا ينالون نصيباً).

والنص التالي حول التقدمات من سفر اللاويين: (11. كل التقدمات التي تقربونها للرب لا تصطنع خميراً، لأن كل خمير، وكل عسل لا توقدوا منهما وقوداً للرب).

(2) انظر العهد الجديد إنجيل متى: النص التالي . (25 قال: «بلى». فلما دخل البيت سبقه يسوع قائلاً: «ماذا تظن يا سمعان؟ ممن يأخذ ملوك الأرض الجباية أو الجزية، أمن بنينهم أم من الأجانب؟») . والنص الثاني من إنجيل متى: (17 فقل لنا: ماذا تظن؟ أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا؟» 18 فعلم يسوع خبثهم وقال: «لماذا تجربونني يا مراؤون؟ 19 أروني معاملة الجزية». فقدموا له ديناراً. 20 فقال لهم: «لمن هذه الصورة والكتابة؟» 21 قالوا له: «لقيصر». فقال لهم: «أعطوا إذا ما لقيصر لقيصر وما لله لله». 22 فلما سمعوا تعجبوا وتركوه ومضوا) .

رحمة من الله سبحانه وتعالى بالناس، وترك مسألة فرض الزكاة للناس على مختلف النشاط وتحديد الأنصبة والمقادير والفترة الزمنية في الزمان والمكان بحسب الظروف الاقتصادية الحاصل وقت الجباية وبحسب ما تعارف الناس عليه من تشريع صادر عن سلطتهم المختصة في المكان والزمان.

أذاً فالزكاة هي الجباية أو هي الضرائب من حيث الشكل وتختلف في الموضوع قليلاً من كون الزكاة تؤخذ من ما تركى من المال نتيجة نشاط مشروع، ويقصد بذلك أنها تستقطع من الأرباح دون المساس براس المال بحسب قرار من سلطة مختصة، ومعنى ذلك أنها تفرض على نوعية من الناس وهم أولئك الذين يمارسون النشاط التجاري بهدف الربح، ولا تنطبق على الذين لا يمارسون العمل التجاري ولديهم مدخولات خاصة لا تهدف للربح، والحاصل اليوم أنه يتم الجباية للزكاة والضرائب بنفس الوقت وهذا يعد ازدواج في الجباية بالجمع بين الضريبة والزكاة وهما شيء واحد، ما يعد ظلم فادح في أكل أموال الناس بالباطل.

أضافةً إلى أنه جرى الخلط بين الزكاة والصدقات وعدم التفريق بينهما كما سبق الإشارة إليه، حيث يتم جباية الزكاة بحسب الأنصبة على ضوء مشروعية من أحاديث العنينة بمذاهب السنة والشيعية، وصرفها لمصارف الصدقات، وهذا خطأ كبير وجسيم ينبغي تداركه وأصلحه، وهو ما نعول عليه في المستقبل بمشية الله سبحانه، بالتقيد بما جاء بالآيات من القرن الكريم دون زيادة أو نقص أو تفسير أو غير ذلك.

4-9 الصدقات التعريف: والمشروعية:

الصدقات مفردها صدقة، وقد ذكرها الله - سبحانه وتعالى - بأنها فريضة من الله، تؤخذ على هيئة تبرعات مالية أو عينية عن نشاط مشروع للمكلف بغض النظر عن دين المكلف وجنسه ولونه ودون أن يحدد لها ميقات معين لجبايتها، وتصرف بصورة طارئة وعاجلة وهي ما تعرف بالتبرعات والمساعدات أثناء الكوارث الطبيعية والأزمات الإنسانية التي تعصف بالناس من وقت لآخر، فتجمع من الأغنياء والمؤسرين، عن طريق فتح باب التبرعات والهبات بصورة منظمة حسب تشريع من العرف أو القانون وتحت إشراف ورقابة السلطة المختصة، وتصرف على مصارفها المحددة، وقد جاءت عدد من آيات الذكر الحكيم تبين أهمية الصدقات بين الناس في كل زمان ومكان، وقد تكون الصدقة عطاءً خالصاً عن تبرع، وقد تكون كفارة لمن أخطأ بشعيرة تعبدية، ومن الملاحظ أن جماعة التحريف حرفت الزكاة وجعلت من مصارف الصدقات مصارف للزكاة حسب مشروعية من أحاديث العنينة والقلقلة فوقعوا في شر أعمالهم مع العلم أن هناك فارقاً كبيراً بين الزكاة والصدقات حسب مشروعية كليهما، نذكر مشروعية الصدقة من كتاب الله على النحو التالي:

مشروعية الصدقات ومصارفها:

أما عن مشروعية الصدقات فقد أورد القرآن الكريم عدداً من الآيات التي تبين فضلها ومصارفها بصورة حصريه ننسخها في الآتي:

- قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى - ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، (البقرة: 271)،
- وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرَّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾، (البقرة: 276)،
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ﴾، (التوبة: 58)،
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ...﴾، (التوبة: 79)،
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿... وَيَأْخُذْ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ النَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾، (التوبة: 104)،
- وَقَالَ - سبحانه وتعالى - ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾، (البقرة: 263)،
- وَقَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿... لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ...﴾، (النساء: 114)،
- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، (التوبة: 103)،
- كما أن الصدقة جاءت كفارة عن بعض الأخطاء كما أسلفنا والتي قد يقتربها المؤمن، كما بين الله - سبحانه وتعالى - في الآية قَالَ تَعَالَى: ﴿... فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ﴾، (البقرة: 196).

مصارف الصدقات:

بيّن القرآن الحكيم مصارف الصدقات حصرياً بالمستحقين لها من الفئات دون تمييز في الدين أو العرق أو الجنس وقد ذكر المستحقين لها بالوصف والحال وليس كما هو حاصل اليوم بسبب دس وتحريف الزكاة وجعل مصارفها للصدقات بالآية التي بدأ بالقول إنما الصدقات ولم يقل إنما الزكاة: قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَةَ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، (التوبة: 60)، والآية واضحة ولا يجوز الخلط بين الزكاة والصدقات بأي حال

كما فعل عمداً وعن قصد فقهاء العننة والقلقلة بقصد تضليل الناس، ولمزيد من البيان في تحديد مستحقي الصدقات، إذ ورد ترتيبهم بالآية غير أننا بحاجة للتعرف على بعض المفردات اللغوية للمسميات وللصفات المستحقة للصدقة بالآتي:

1- الفقراء أو الفقير هو الشخص المعدم البائس الذي لا يملك قوت يومه، وهو من يفترش الأرض ويلتحف السماء ولا يستطيع الكسب، وقد حدد، في القرآن الكريم بعدد من الحالات والأوصاف والمناسبات، ومنها هذه الآية التعريفية بالفقير قَالَ جَلَّ فِي غَلَاة: ﴿الْفُقَرَاءُ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾، (البقرة: 273)، وآية أخرى قَالَ جَلَّ فِي غَلَاة: ﴿الْفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾، (الحشر: 8)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿... وَأَطِيعُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾، (الحج: 28).

2- المساكين وهم أعلى درجة من الفقير، ويندرج ضمن هذا التصنيف الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة والمعاقين الذين أقعدوا عن الكسب، وصنفت آخر يسعى للكسب بمقدار محدود لا يفي بمتطلبات حياته، وقد ذكرهم القرآن ووصفهم في أكثر من آية، ننسخ لكم بعضاً منها في الآتي:

- المسكين ذا المتربة، وهو صنف الناس يصل أو يتساوى مع الفقراء المعدمين، قَالَ اللَّهُ سبحانه وتعالى: ﴿أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ﴾، (البلد: 16).
- المساكين الذين يمتلكون أدوات حرفتهم فقط، قَالَ اللَّهُ سبحانه وتعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً﴾، (الكهف: 79). وَقَالَ تعالى: ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ﴾، (الحاقة: 34)، إذ لا يقصد بالسفينة بالمفهوم الحديث للتعريف بسفن الصيد، وإنما قصد بتلك السفينة العادية (قارب الصيد).

3- العاملين عليها وهم الأشخاص من العمال، والموظفين الذين يقومون بجمع الصدقات من أماكن متفرقة ويبدلون جهوداً مضيئة في سبيل ذلك، فلا مانع من إعطائهم أجر عملهم وتخصيص نصيب لهم من تلك الصدقات، وليس لسبب آخر غيره، وبمقدار محدد لا يتجاوز غرض التكسب غير المبرر وغير المشروع.

4- المؤلفة قلوبهم وهم جماعة من الناس كانوا على خصومة فيما بينهم لسبب ما، وقد يكونون من ذوي القرابة، أو يعيشون جوار بعضهم البعض، فكان من الواجب إنفاق المال لجبر الضرر فيما بينهم، لما قد يحصل من شغب أو مشكلات أو خصومات فيما بينهم، ومن أجل إعادة المودة والرحمة بينهم، قَالَ - سبحانه وتعالى - ﴿وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، (الأنفال: 63)، غير أنه جاء في كتب فقهاء المذاهب تعريف المؤلفة قلوبهم بأنهم الأشخاص حديثي العهد بالدخول في الإسلام بمعنى الإنفاق

لشراء ذمم الناس، أو لغرض تشجيعهم على الدخول في دين الإسلام عن طريق المال، وهذا قول خاطئ وفيه من الخبث، ويظهر هذا الخبث في كتب المذاهب بالطريقة المنسوبة كذباً للرسول حول توزيعه للغنائم، وما خصّ أبا سفيان وابنه معاوية من الغنائم بمعنى شراء ذممهم وولائهم بأكثر حصة من الغنائم، غير أن الإسلام أسمى وأرفع من أن يكون الانتساب إليه بهذه الانتهازية والارتزاق.

5- وفي الرقاب وهم العبيد وضرورة الإنفاق لأجل تحريرهم من العبودية، لأنّ الإسلام نهى عن الرق والعبودية، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَكَ رَقَبَةً﴾، (البلد: 13)، وقد وردت آيات كثيرة في الحثّ على هذا العمل نذكر بعضاً منها: قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿... وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾، (البقرة: 177)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَفْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فِدْيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ...﴾، (النساء: 92).

6- وفي سبيل الله، وقد وردت هذه العبارة في القرآن الكريم أكثر من ستين مرة وهي تعنى الإنفاق في سبيل الله، ويقصد به كل عمل يحقق الخير والرفاهية للناس جميعاً وللمؤمنين خاصة في مختلف العلوم والمعرفة، والأبحاث العلمية المفيدة ونشر الفضيلة في كل قيمها والإنفاق على المضطهدين ودعم الشعوب في إيجاد تنمية حقيقية لحياة الإنسان، من دون تمييز في اللون، والمعتقد، ونشر قيم السلام بين الشعوب والأمم، ونبذ العنف، والإرهاب والتطرف والاضطهاد الديني والعنصري، ودعم حركة التحرر الوطني من الاستعمار، وحق تقرير مصير الشعوب، ونبذ الاحتلال والاستعمار والاستغلال، حسب مفهوم الجهاد المقاوم للظلم، ومن تلكم الآيات الكثيرة نفتبس لكم بعضاً منها في الآتي: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، (البقرة: 195)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾، (البقرة: 246).

7- وابن السبيل: هو ذلك الشخص الذي خرج من وطنه عابراً الحدود باحثاً عن وطن يأوي إليه من الاضطهاد، والظلم على سبيل المثال حالات عابري الحدود بين الدول بحثاً عن حياة كريمة، ووطن آمن مستقر، يصون فيه الإنسان إنسانيته وكرامته، وحرية حسبما هو معروف اليوم بطالبي اللجوء الإنساني والسياسي وأيضاً حسبما كان عليه حال رسول الله موسى صلى الله عليه وسلم وهروبه من ظلم فرعون، قَالَ

اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾،
(القصص: 22).

8- والغارمين جمع غارم، وهو المدين المعسر، الذي أفلس أو هو الشخص الذي استنفد ماله فصار مديناً بدين يستغرق كل أمواله.

5-9 الأنفال والفيء و(الخمس):

ورد في الفكر الديني القديم (التوراة)، نصوص لتنظيم غنائم الحروب أطلق عليه السبي أو السلب والنهب لمدن الأعداء، ودس من هذا الفكر القديم بفكر المذاهب الإسلامي بشقيه السني / الشيعي نصوص وأحاديث تم تأليفها ودسها كدليل على مشروعية الحق الإلهي للفي والأنفال بالنسب الديني بغرض الاستحواذ على غنائم الحروب، ليس ذلك بل توسعوا للاستحواذ على الأموال العامة وما يستخرج من الأرض من المعادن، والثروات الطبيعية لمصلحة جماعة معينة من الناس، فشرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله - سبحانه وتعالى - مخالفين كلام الله جملة وتفصيلاً حول عنوان الموضوع سالف الذكر، ومن خلال التعريف بالأنفال والفيء بمقدار الخمس بالآية من القرآن الكريم، سنتبين حقيقة ذلك في الآتي:

الأنفال التعريف والمشروعية:

تعرّف الأنفال بأنها من غنائم الحروب وهي من الأشياء التي يتم الاستيلاء عليها من قبل المنتصر بالحرب نتيجة المعارك الحربية فتكون دائماً للطرف المنتصر، وسواء كانت هذه الأشياء من الأموال النقدية أو أسلحة أو عتاداً حريباً أو منقولات أو تجهيزات عسكرية أو منشآت تابعة للجيش فهي من الأنفال التي تم الاستيلاء عليها بعد حرب معادية، كما أسلفنا فتسمى غنيمة حرب بالآية قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى - بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، (الأنفال: 1).

الفيء: التعريف والمشروعية:

أما الفيء فهو من غنائم الفتوحات من الأموال والأراضي المستولى عليها بدون معارك حربية، وتشمل الأرض وما تحتويه من مياه الأنهار والبحيرات، والبحار والمناطق المباحة المشاعة من مناطق الرعي والزراعة وغيرها دون المساس بحقوق الغير.

وقد أكدت الآيات على مبدأ التقسيم والتوزيع للفئات المحددة، من القرابات واليتامى والمساكين من أهل القرى، ويقصد بهم القرى والناس القاطنين في تلك المناطق المفتوحة، ولا مانع أن يكون للفاتحين منها نصيب بحيث لا يطغى على حقوق السكان الأصليين لتلك المناطق المفتوحة وبشرط أن تكون من الأراضي المشاعة المراد استصلاحها لفائدة الناس، ولا تكون ملكية خاصة وعلى الناس تشريع قوانين تقنن توزيع الأموال لكي لا تحتكر الأقلية من الناس

على تلك الأموال، فتكون دولة بين الأغنياء منكم وتتحقق العدالة الاجتماعية، بين الأغنياء والفقراء وهو المقصد الرئيسي من مدلول القرآن الكريم قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ، لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾، (الحشر: 6، 7، 8).

الخمس التعريف والمشروعية:

وهو مقدار الحصة المأخوذة من هذه الأموال التي يتوجب على ولي الأمر تخصيصها، وصرفها بصورة عاجلة للمحتاجين الأكثر تضرراً من كوارث الحروب، وهم المذكورون بالآية تخفيفاً لهم من هول ومآسي الحروب، والدمار التي تخلفه المعارك الحربية، والتي تطال الإنسان والأرض والشجر والحيوان، كما أن تأثير الحرب على هذه الفئات يكون أكثر فداحة عن غيرهم من الفئات، حسبما أشار إليه الحق سبحانه فيكون الإنفاق للمال ضرورة لإصلاح ذات البين وجبر الضرر حسب البيان الواضح من الآية، وليس كما جاء به فقهاء الحديث، والتفسير بإسقاط تفسير الآيات على حوادث محددة أيام الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فذلك خطأ كبير، فكما هو معلوم أن القرآن الكريم كتاب جامع لسيرة الإنسان عبر التاريخ منذ الخليقة الأولى وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وعبر هذه المسيرة، فقد مر الإنسان بأحداث وحروب كثيرة ومتعددة فكانت غنائم الحروب تمثل رافداً مهماً لاقتصاديات المنتصرين، وهزيمة وانكسار وفقر وفاقة لدى المهزومين، وغالباً ما كان يستحوذ على صفوة هذه الغنائم الملوك والقادة، والقليل منها يذهب للأفراد، الأمر الذي جعل من شن الحروب وسيلة للتكسب لصالح فئة معينة من الناس، فجاء القرآن الكريم موضعاً هذه القضية، ووضع حداً لشن الحروب من أجل الاستحواذ على أموال الناس أو من أجل الارتزاق عليها بين الناس، ولوقف المتاجرة بالحروب لغرض الاستئثار بغنائمها لصالح فئة معينة كما أسلفنا، وكذا قرر القرآن الكريم تخصيص جزء من هذه الغنائم بمقدار الخمس لذوي قرابات المحاربين، واليتامى والمساكين وابن السبيل المتضررين من الحروب من الجانبين من دون تحديد للجنس، واللون والدين، ولتوضيح هذه المسألة تعالوا نستعرض لكم الآيات من القرآن حول الأنفال التي وردت في القرآن الكريم، حول هذه الحقوق بالآتي: قَالَ اللَّهُ سبحانه وتعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، (الأنفال: 41).

وبالعودة إلى سورة الأنفال فقد عرّف القرآن الكريم الأنفال بصيغة السؤال لشيء موجود وثابت ومستقر كغيره من الأشياء المعتادة في حياة الشعوب والأمم بقوله: (يسألونك عن الأهلة

– يسألونك عن اليتامى – يسألونك عن المحيض)، وهذه التساؤلات لأشياء موجودة ومعتادة بين الناس، منذ الخليقة الأولى للبشر، وهذا السؤال كغيره من الأسئلة فهو يتحدث عن الظواهر الطبيعية ك (الأهله)، والحالة الاجتماعية (اليتامى)، والحالة البيولوجية للمرأة (المحيض) وليست أشياء جديدة حدثت في حياة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، حسبما دسسته جماعة التحريف، فإن تلك الأشياء قد لا يكون للرسول علم بها، وقد يكون التساؤل عنها من باب الإثارة كما أوضحنا، وهي من الأمور التي تثار لارتباطها بحياة الناس، في كل زمان ومكان ومنها الأنفال والفيء، فكان صيغة المخاطبة في آيات الذكر الحكيم لكل الرسل والأنبياء، وليس رسولاً معيناً بذاته.

ويفهم من تلك التساؤلات إظهار جوانب التنظيم والتقنين للأنفال والفيء على نحو يفهم منه إزالة اللبس والغموض وتوضيحها للرسول، والناس جميعاً، فجاءت الإجابة بأن الأنفال لله - سبحانه وتعالى - بالمفهوم الواسع للعدل والرحمة وللرسول كلاً في زمانه ومكانه، بصفته الاعتبارية والوظيفية من كون الرسل أو الرسول مكلف برسالة الله - سبحانه وتعالى - للناس ومسؤولاً عن إرشاد الناس في توزيع وتقسيم غنائم الحروب، بمقدار الخمس بين فئات المتضررين من ذوي القربى، من المتحاربين، واليتامى والمساكين وابن السبيل، فلا يقصد بهذه الفئات أن تكون من قرابة الرسول حسب ما يظن البعض، ولا دخل للقرابة في هذه المسألة، إذ إنها محددة بالتقاء الجموع المتحاربة في كل زمان ومكان، فيلتزم الحاكم أو رئيس الدولة في العمل بما أرشد إليه علم الرسول، في التوزيع أو من توكل إليه الولاية العامة للناس أو وفق العرف أو القانون في طريقة توزيع الأنفال والفيء، وتوزع تلك الغنائم بسبب قيام الحرب، من أجل جبر الضرر وإصلاح ذات البين بين المتحاربين، إذ يجب العمل بها لما بعد حياة الرسول، فمن الأولى اتباع عمل ووصايا الرسول المتصل بما أوحى الله إليه في هذا الموضوع.

فلم يكن المخاطب شخصاً معيناً من الرسل، بل موجه لكل الرسل من عهد آدم وحتى عهد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وأصحاب الولاية العامة للناس في كل زمان ومكان على الأرض كما أشرنا سابقاً، ولزيادة التوضيح أكثر، فإن الأمر محصور، ومقصود على وظيفة الرسول من كونه رسولاً مكلفاً برسالة الله تعالى ولا يمتد لشخصه ولا لقرابته على عمود النسب أو صلة من قرابة الرسول على أي وجه كان مهما كانت درجة القرابة، وما يزيد الأمر وضوحاً بتقديري هو حول مستحقي الخمس من غنائم الأنفال والفيء بحسب ما بيّناه سابقاً.

وإذا ما أخذنا بافتراض التأويل الحاصل لدى الفكر الإسلامي الشيعي من كون الأنفال والفيء مخصص للنسب الديني أو حق ديني لآل البيت أو أهل البيت حسب زعمهم بالتفسير والتأويل الزني من أحاديث القلفة والعننة، أو عليه فإن الآية رقم (41) من سورة الأنفال تجعل من الأنفال والفيء فريضة دهرية لموسى وهارون عليهما السلام بصورة واضحة إذا افترضنا صحة التأويل الحاصل لدى الفكر الشيعي، بل وتجعله من خاصيتهم لخصوصية الاستدلال به قال تعالى: (وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ) فأشارت الآية

ل(الفرقان) و(يوم التقى الجمعان) وأهم ما يميز هذه الإشارة كلمة الفرقان وبما أن القرآن الكريم يبين بعضه بعضاً، فتعال معي لتتعرف على الفرقان، وعلى من أنزل حتى يستحقوا الخمس حسب تأويلاتهم الخاطئة في بعض آيات القرآن الكريم: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾، (البقرة: 53)، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾، (الأنبياء: 48). إذن فمدلول الآيتين تتمحور حول ارتباط الفرقان بموسى، وهارون، وقدر حصة الخمس وردت متصلة بنفس الآية بالآية، وعليه فقد ذهبت تأويلات الفكر الديني لليهودي في أحقية موسى وبعض بني إسرائيل من اللاويين ومن نسل هارون دون غيرهم من اليهود بأحقية تلك الغنائم، إذ إنهم الأشخاص المعنيين من مدلول الآية، غير أن هذه الفرضية خاطئة، وإن كان اليهود قد عملوا بها وطبقوها، ونصوا على ذلك بتوراة العبرانيين⁽¹⁾ من سفر العدد.

فهل يصح القول أن المستحق للخمس من الأنفال والفِيء هم نسل سيدنا موسى وهارون وبعض بني إسرائيل لارتباط خمس الغنائم حسب الآية بـ"يوم التقى الجمعان" من يوم الفرقان المنزل على هارون وموسى وفقاً لتأويلات وتفسير اليهود؟ طبعاً لا، وهو فعلاً ما ذهبت إليه جماعة التحريف في الدين اليهودي في صياغة أحكام جعلت من الكاهن من نسل هارون يستأثر بأكبر نصيب من غنائم الحرب، بحسب ما بيّناه سابقاً ونعيده للفائدة والتذكير، فتلك اليد التي دست النص كدليل تشريعي على الاستحقاق، والجباية في الفكر الديني اليهودي، وفي أصل من أصول عقيدتهم (توراة العبرانيين) هي نفس اليد التي سنت التشريعات في فقه المذاهب الإسلامية، وخصّصت هذا الحق لفئة من الناس في المذهب الشيعي بالذات، حسبما يطلق عليهم بـ (أهل البيت) تحت مبرر أحقيتهم بالخمس من الأنفال والفِيء، مستدلين بأحاديث وتأويل آيات القرآن الكريم على نحو مغلوط من أجل الاستحواذ على أموال الناس بالباطل.

وإذا ما قارنّا بين ما جاء بالفكر الإسلامي على وجه الخصوص المذهب الشيعي، بكتب آل البيت أو أهل البيت كما يطلقون عليهم، وما ورد في العهد القديم (التوراة) سفر اللاويين، وسفر العدد، والقسم الخامس من متن التلمود المشنأ- المقدسات (قداشيم)، سنجد التشابه كبيراً جداً بينهما حول غنائم الحروب، مع فارق أن اليهود توسعوا بصورة كبيرة في جباية أموال الحروب بالباطل لصالح جماعة معينة منهم، مثل: الكهنة من نسل هارون، واللاويين، وقربان الهيكل، وقربان المذبح المقدس، وبقية عترتهم المقدسة، حسب زعمهم الكاذب دون غيرهم من اليهود، وهو ما يتشابه مع فقه المذاهب الإسلامية، ومنه الفكر الشيعي الذي توسع في أحقيتهم بالاستحواذ على هذه الأصناف من الأموال، سواء كانت غنائم الحروب أو مما في باطن الأرض من ثروات طبيعية، تحت مبرر الأنفال والفِيء بمقدار الخمس، بحكم صلة قرابتهم

(1) انظر العهد القديم – توراة العبرانيين – سفر العدد: ننسخ النص التالي: (25 وكلم الرب موسى قائلاً: 26 «أحصن النهب المسبي من الناس والبهائم، أنت وألعازار الكاهن، ورؤوس آباء الجماعة. 27 ونصف النهب بين الذين باشرُوا القتال الخارجين إلى الحرب، وبين كل الجماعة. 28 وارفع زكاة للرب. من رجال الحرب الخارجين إلى القتال واحدة. نفساً من كل خمس مئة، من الناس والبقر والحمير والغنم. 29 من نصفهم تأخذونها وتعطونها لألعازار الكاهن رقيقة للرب. 30، ومن نصف بني إسرائيل تأخذ واحدة مأخوذة من كل خمسين من الناس والبقر، والحمير والغنم من جميع البهائم، وتعطيها لللاويين الحافظين شعائر مسكن الرب». 31 ففعل موسى وألعازار الكاهن، كما أمر الرب موسى. 32)

بالرَّسول، وهو مبرر مغلوط ومندس عبر رواية من أحاديث العننة ليس فقط في الفكر الشيعي، بل استطاعت جماعة التحريف دس هذه العناوين في أكثر من مسند بالفكر السني كالبخاري ومالك ومسلم، والترمذي والشافعي ومسند زيد وغيرهم.

وخلاصة لما ذكر آنفاً وبتقديري: فإن أي تشريع أو نص ديني في هذا الأمر سواء كان في الفكر اليهودي، أو لدى المسيحيين والنصارى، أو بما جاء بفقه المذاهب الإسلامية الشيعي/ السني، يخول لجماعة معينة بذاتها الحق في جباية الأموال، تحت مبرر ديني، عن طريق تفسير أو تأويل نصوص دينية، أو عن طريق أحاديث العننة والقلقلة، فإن ذلك يعد مخالفاً لكلام الله في القرآن الكريم، ومعارضاً لمقتضى إرادة الله تعالى ووفقاً لما بيَّناه سابقاً، بل يعتبر تعدياً واستحواذاً على أموال النَّاسِ بالباطل، ذلك أن النَّاسَ في كل مكان وزمان متساوون في الحقوق الطبيعية، والحقوق المدنية، ولا يحق لأي إنسان تمييز نفسه عن غيره في هذه الحقوق وغيرها بحجة الجنس، واللون، والدين فالنَّاسَ جميعاً أمام الله سواسية قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾، (الحجرات: 13).

الفصل العاشر

الصيام - شهر رمضان - الاعتكاف

1-10 التعريف والمشروعية:

يُعَرَّف الصيام بأنه الإمساك أو الامتناع عن تناول الطعام والشراب والجماع من وقت بزوغ الفجر وحتى تمام الليل، والصيام شعيرة تعبدية كتبت على الأمم السابقة كما كتبت على الأمم اللاحقة، لما فيها من الخير والفائدة الصحية والنفسية للصائم لقوله تعالى: (وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ)، والصيام أنواع منه: صيام شهر رمضان - شهر الرمض (الدفى) في وقت محدد وثابت من السنة، وصيام الكفارات والنذور، وقد بيَّن الله - سبحانه وتعالى - مشروعية الصيام بشكل عام من حيث الوقت والآداب والاستثناءات الواردة من الصيام نوضحها في الآتي:

2-10 مشروعية الصيام بوجه عام:

بيَّن الله - سبحانه وتعالى - مشروعية الصيام بصورة عامة في القرآن الكريم في سورة البقرة: يَقُولَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (183) أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، (البقرة: 184).

3-10 ميقات الصيام من حدود الله:

بيَّن الله - سبحانه وتعالى - وقت الصيام بدقة متناهية بقوله تعالى (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ...﴾، (البقرة: 187)، وهذا التوقيت محكوم بدوران الأرض حول نفسها، وما ينتج عنه من تعاقب الليل والنهار، لذلك فميقات صيام اليوم يبدأ بخروج الليل، ودخول الفجر (بزوغ الفجر) ضمن الطرف الأول من النهار فيكون الإمساك فيه (الامتناع) عن الطعام والشراب والجماع، ويستمر وقت صيام اليوم إلى وقت دخول الليل وتمامه، وهو الوقت الذي يخيم الليل فيه على المكان وتبدأ النجوم بالظهور، وهو ما يفهم من الآية، ثم أتموا الصيام إلى الليل، وقد بيَّننا الله تعالى بصورة بديعة ومختصرة كما في الآية السابقة، وهكذا فالأمر واضح، فالليل كما هو معلوم يبدأ بدخول الظلام وظهور النجوم، كما أسلفنا، وليس بدلوك الشمس نحو المغيب، فذلك وقت الأصيل رغب فيه التسبيح يتبعه الطرف الثاني من النهار، وهو وقت مستغرق بشعيرة الصلوة من نهار كل يوم حسب آيات الذكر الحكيم، وليس وقت الافطار كما هو حاصل اليوم

حسبما دسسته جماعه التحريف من أحاديث العنعة حول مشروعية الافطار بغروب الشمس، وهو ما يخالف القرآن وأتموا الصيام إلى الليل ويعتبر تجاوزاً لحدود الله.

10-4 الاستثناءات من الصيام:

حدد الله - سبحانه وتعالى - عدداً من الاستثناءات من الصيام، بالآية أعلاه نوره في الآتي:

- 1- رخص الله - سبحانه وتعالى - الإفطار للمريض، والمسافر على أن يقضي في يوم آخر مماثل في المناخ.
- 2- رخص الله - سبحانه وتعالى - الإفطار للذي يطيق الصيام، لكنه يرغب بتقديم فدية إطعام مسكين عن كل يوم، وإن تطوع بالزيادة فذلك خير.
- 3- حبيب الله الصيام فذلك خير، وأفضل للصائم لما له من فوائد صحية ونفسية واقتصادية، حسب ما ورد في الآية.
- 4- لم يذكر موانع الصيام لدى المرأة بسبب الحيض والنفاس وغيره.

10-5 آداب وشروط الصيام:

بيّنت الآية السابقة عدداً من الآداب والشروط نوضحها في الآتي:

- 1- لا يجوز للصائم الجماع في نهار يوم الصيام.
- 2- لا يجوز للصائم الجماع، وهو معتكف في المسجد.
- 3- ويحل للصائم بليلة الصيام ما يحل للمتزوجين من الوطء والجماع.

10-6 شهر رمضان التعريف والمشروعية ومواقفته:

التعريف: شهر رمضان شهر شعائري تعبدى، أمر الله - سبحانه وتعالى - بصيامه، لما فيه من الفائدة للناس، ولا علاقة لرمضان بالتقويم الهجري القمري، أو التقويم الشمسي، أو حسابات الأشهر والسنين، فهو شهر يأتي بمناسبة دخول الدِّفء (الرمض)، ويكون غالباً بنهاية فصل الربيع، ودخول فصل الصيف بالنسبة لشمال الأرض وكذلك الحال لجنوب الأرض، ورمضان اسم مشتق من الرمنض، والرمنض صفة لوصف حالة الجو والمناخ عند بداية التغيير المناخي، بين فصلي الربيع وفصل الصيف من السنة بفعل دوران الأرض حول الشمس، والرمنض اسم مشتق من ارتفاع درجة حرارة الجو، كما يطلق الرمنض على الحجرة الساخنة بفعل ارتفاع درجة حرارة الشمس، وقد وصف لسان العرب هذه الحالة في البيت الشعري الذي يقول في شطر منه: (كالمستجير من الرمضاء بالنار)، إذ يشتق اسم رمضان من حال وصفة الجو بسبب تغيير المناخ حسب الدورة المناخية السنوية الثابتة في شمال الأرض وجنوبها، ومن رحمة الله بالعباد ذكر لفظ أو كلمة (شهد) بمعنى حضر موسم الدفء وبمجرد شعور الإنسان بالتغيير المناخي ودخول الدفء يتحقق سبب التكليف بصيام شهر رمضان،

الذي جاءت تسميته بصفته، وحالته وحدده الله - سبحانه وتعالى - بشهر وعدد أيامه ثلاثين يوم، وهو الشهر الوحيد الذي ذكر في القرآن الكريم، وبين وجوب صيامه، إذا شهدته أي كنت حاضراً في كل عام ولمزيد من الفهم فإن كلمة (شهد) بمعنى حضر، خلافاً لكلمة (شاهد) بمعنى (رأى) من روية العين للشيء وبينهما فارق كبير، فالأولى تتحدث عن حضور الدفء بمعنى (الرمض) من السنة الشمسية، في كل دورة مناخية على الأرض وتحديداً شمال خط الاستواء أو جنوب خط الاستواء، فإذا حضر في أحدهما الدفء فقد وجب صيام شهر واحد، وهذا الشهر لا علاقة له بالتقاويم في حساب عدد الأشهر، والسنين كما سبق الإشارة إليه وإنما هو شهر شعائري تعبدي فرضه الله - سبحانه وتعالى، وهكذا فشهر رمضان يرتبط بالدورة المناخية في السنة الشمسية بالدرجة الأولى، ويأتي بفعل الدوران نصف المخروطي للأرض حول الشمس مرة واحدة كل سنة شمسية وينتج عنه توليد فصول مناخية ثابتة على شمال الأرض - شمال خط الاستواء، وفصول مناخية أخرى ثابتة على جنوب الأرض جنوب خط الاستواء، ويترتب عليه فرض صيام شهر رمضان بشمال الأرض، وكذلك الحال في فرض صيام شهر رمضان، بجنوب الأرض بأوقات مختلفة من دورة الأرض حول الشمس، وزيادة في التوضيح والتأكيد فإن شهر رمضان ليس من أشهر السنة القمرية، حسبما دسسته جماعة التحريف وجعلته الشهر التاسع في التقويم الهجري القمري الإسلامي، إذ لا يتوافق صيام شهر رمضان المرتبط بدوران القمر حول الأرض مع خطاب التكليف نهائياً، كما بيناه بمبحث مستقل عن حساب الزمن، في هذا الكتاب، والخلاصة ووفقاً لدورتي المناخ للفصول الأربعة الثابتة على شمال خط الاستواء (الجزء الشمالي من الأرض)، وكذلك الدورة المناخية الأخرى للفصول الأربعة الثابتة على جنوب خط الاستواء، (الجزء الجنوبي من الأرض) وهاتين الدورتين ثابتتين لا تتغيران، حسب الموازين الكونية، فقد فرض الله - سبحانه وتعالى - الصيام بدخول الدفء في جزء من الأرض، وهذا يعني أن شهر رمضان (يشهد) مرة واحدة في شمال الأرض، حسب الدورة المناخية، ومرة أخرى في جنوب الأرض حسب الدورة المناخية، وبفعل دوران الأرض حول الشمس كما أسلفنا، وهو ما يتطابق تماماً مع خطاب التكليف الإلهي بفرض صيام الشهر بمجرد حضوره حسب الآية، (فمن شهد)، وقد يسأل سائل بقوله إن هذه الفهم (الفقه) يتعارض من كون شهر رمضان أنزل فيه القرآن، فهل يصح القول بأن القرآن أنزل مرتين مرة بشمال الأرض ومرة أخرى بجنوب الأرض؟ والإجابة على هذا السؤال بتقديري يرجع للإجابة عليه بالبحث حول المعنى والمدلول من كلمة (الانزال - والتنزيل)، من حيث الكيفية في المكان والزمان، في هذا الكون من السماء اللامتناهية في الكبر والضخامة والتوسع، وهو موضوع مستقل، وقد يحتاج لبحث مطول، ومستفيض ولا أجد تعارض، غير أن بحثنا هنا يتعلق بصيام شهر رمضان، بدليل مشروعيته وتحديد ميقات الصيام فيه.

10-6-1 دليل مشروعية صيام شهر رمضان:

بَيَّنَ الله - سبحانه وتعالى - مشروعية صيام شهر رمضان كشعيرة قائمة على التيسير مع وجود الاستثناءات (الرخص)، وقضاء (صيام) أيام الرخص من الأيام المماثلة في المناخ لتأكيد صيام الشهر بثلاثين يوماً قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَذَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ، (البقرة: 185)، ومن دليل مشروعية صيام شهر رمضان كأمر للجواب لا تراخي فيه، حسبما جاء في هذه الآية، كما سبق الحديث عن الصيام بصفة عامة في الآية (184) من سورة البقرة، وبيان الرخص المستثناة فيه، ثم بيان دخول الوقت بفعل التغيير المناخي بين فصلي الربيع والصيف، وفيه وجب الصيام في هذا التوقيت لما فيه من الخيرية التي تتكلل بمناسبة الصيام، والفائدة المرجوة على جسم الإنسان، وهو ما يعرف بالتطبيب العلاجي بفعل الامتناع عن تناول الطعام والشراب لفترة محددة، بالإضافة لجوانب اقتصادية تتعلق بترشيد الإنفاق، بالإضافة لكونه شعيرة تعبدية، وهو المقصود من وجوب فرض صيام شهر رمضان على وجه الخصوص، ومن رخص الإفطار بشهر رمضان الآتي: الرخصة بالإفطار للمريض والمسافر مع القضاء من أيام أخر.

10-6-2 شهر رمضان بشمال الأرض:

من المعلوم أن مناخ الأرض يتنوع في اليوم الواحد بين شمال الأرض، وجنوبها فما يكون صيفاً في شمال الأرض يكون شتاء في جنوب الأرض بنفس اليوم من السنة، والمعلوم أن فصل الصيف من أكثر الفصول ارتفاعاً في درجة الحرارة، وارتفاعاً في نسبة الرطوبة خلال العام، ونهاره أكبر من ليله في معظم الأماكن على الأرض، حيث أنه يأتي بين الربيع والخريف، وهو الفصل الذي تنمو فيه النباتات والشجيرات بكثرة في المناطق الغنية بالأمطار الصيفية، وفصل الصيف بشمال الأرض يأتي حسب تقديرات علماء الأرصاد، والمناخ في 21 حزيران/ ويمتد إلى 22/ أيلول من كل عام، ويتكون من ثلاثة أشهر وبحسب الدورة المناخية السنوية على شمال الأرض، وفيه يتداخل فصل الربيع مع فصل الصيف، وخلال هذا التداخل يشهد الإنسان بداية دخول الدفء (الرمض) ويتحقق ذلك تحديداً بشهر نيسان من كل عام لسكان النصف الشمالي من الكرة الأرضية، وهو ما يتوافق مع خطاب التكليف بوجوب صيام شهر رمضان حال حضوره، ففي هذا التوقيت الدقيق تكون درجة الحرارة معتدلة، ويتقارب الليل مع النهار في أغلب الأماكن على شمال خط الاستواء من شمال الأرض.

10-6-3 شهر رمضان بجنوب الأرض:

يأتي شهر رمضان على سكان النصف الجنوبي للأرض حسب توقيت الدورة المناخية لجنوب خط الاستواء، ومن المعلوم أن شهر رمضان يأتي بتداخل فصل الربيع مع فصل الصيف في كل دورة مناخية من كل عام، إذ إن فصل الصيف يبدأ من (21) كانون الأول /

ويستمر لثلاثة أشهر حتى (21) من شهر آذار من كل عام، ولتحديد شهر الرمح فهو بتقديرى الشهر الذى يشهد حضور الدفء ولا يكون ذلك إلا بنهاية فصل الربيع، ودخول فصل الصيف ومن المرجح أن يأتي شهر رمضان بشهر تشرين الثانى من كل عام حسب دورة المناخ المعتادة لجنوب الأرض، وهو بداية حضور الدفء (الرمض) وفقاً لكلام الله - بالآية السابقة من الآية (185) من سورة البقرة، إذ تكون درجة الحرارة فيه معتدلة، ويتقارب نهاره مع ليله فى أغلب الأماكن على جنوب خط الاستواء من جنوب الأرض.

ومن هنا فعلم المناخ قد فضح جماعة التحريف بتقريرهم الخاطئ لصيام شهر رمضان على عموم الأرض بوقت واحد شمال خط الاستواء، وجنوب خط الاستواء وهو ما يعد تناقضاً واضحاً لخطاب التكليف، لعدم علمهم بعلم المناخ، وبما أن مناخ اليوم الواحد على الأرض ليس ثابتاً فى شمال الأرض ولا فى جنوب الأرض، حسبما بيناه سلفاً وهو ما يقودنا إلى معرفة خطاب التكليف بصيام شهر رمضان المرتبط بالتغير المناخى، وهو أمر واضح وبصورة جلية لمن كان له قلب وعقل سليم، فرمضان شهر وجب صيامه لحلول ميقاته بدخول الدفء وتغير المناخ، ووقته محدد حسب ما سبق القول إذ غالباً ما يبدأ ببداية الدفء - الرمح بوقت خروج فصل الربيع، ودخول فصل الصيف أينما حل هذا المناخ شمال خط الاستواء أو جنوب خط الاستواء، كما لا يمكن فى الوقت نفسه أن يفرض الله - سبحانه وتعالى - صيام شهر رمضان، حسب تقويم السنة القمرية، على ضوء ما هو حاصل اليوم، والذى تسبب بتحريف صيام شهر رمضان فى كل فصول السنة بما فيها فصل الشتاء، قارس البرودة، وهو التناقض الفاضح والواضح بعينه والذى وقعت به جماعة التحريف حسب مشروعية من أحاديث العنعة والقلقلة، إذ إن ذلك محال على الله - سبحانه وتعالى - أن يكون تكليفه لنا بصيام شهر رمضان بهذه الكيفية المشوهة، إذن فصيام رمضان شعيرة تعبدية حددها الله - سبحانه وتعالى - بشهر واحد وعدد أيامه ثلاثين يوماً، ولا شأن لرمضان بتقاويم حساب السنين، أما عن كيفية صيام رمضان بشمال الأرض وجنوبها، فالإنسان مكلف بصيام شهر واحد فى السنة من أشهر الرمحاء بمكان إقامته الدائمة، وقد يقول قائل إن حركة الناس بين شمال الأرض وجنوبه أصبحت اليوم تسير بسرعة، وسهولة وقد يشهد الإنسان رمضان أكثر من مرة فى السنة الشمسية الواحدة؟ فى هذه الحالة تكون العبرة بفهم الآية الميسر من القرآن الكريم وإزالة هذا اللبس فالعبرة بمن شهد الدفء (الرمض) وحضره لمرة واحدة، وشهد رمضان فصامه فى أى مكان من الأرض وفقاً للقول (فمن "شهد")، ومعنى ذلك أن يكون الإنسان المكلف بالصيام حاضراً فى أى مكان من الأرض، بمكان إقامته الدائمة فى أى جهة من الأرض شمال خط الاستواء أو جنوب خط الاستواء من كل عام شمسي.

والخلاصة: وكما أشرنا سابقاً، أنه جرى على حين غفلة من الزمن، وعن قصد دس صيام شهر رمضان بسبب (رؤية) الهلال (القمر) ثم ربط شهر رمضان بتقويم السنة القمرية وهذا التقويم كان سائداً لدى اليهود ودس هذا التقويم كتقويم لهجرة الرسول ما أدى إلى هذا الخلل فى تحديد التوقيت الزمني لصيام شعيرة شهر رمضان فى الزمان والمكان الواحد، وقد أوضحنا هذا ببحث مستقل، ثم إن توقيت صيام شهر رمضان بهذه الحالة القائمة اليوم، فمرة

يأتي بفصل الشتاء قارس البرودة، ومرة يأتي بالربيع، ومرة يأتي بالخريف، ذلك ما يعد تناقضاً واضحاً لخطاب التكليف، ويتعارض مع المناخ بنفس الوقت في المكان المقابل لها من الأرض، بفعل اختلاف دورة المناخ بين شمال الأرض وجنوبها، فذلك أمر يخالف القرآن الكريم الكتاب المحكم والمفصل والمبين والميسر، ويخرج شعيرة صيام شهر رمضان عن وضعه الطبيعي الذي أراد الله سبحانه لعباده كشهري من أشهر الرّمض، بفترة التداخل بين نهاية فصل الربيع، ودخول فصل الصيف في كل من: شمال الأرض وجنوبها كلاً على حدة حسب ما بيّناه سابقاً، أضف إلى أنهم دسوا شهر رمضان ضمن التقويم الهجري القمري، وهذا خطأ كبير أيضاً، فشهر رمضان شعيرة دينية لا شأن لها بالتقويم أياً كان هذا التقويم.

10-7 صيام الكفارات:

جعل الله الصيام كفارة عن بعض الأخطاء التي يقتربها بعض المؤمنين أثناء قيامهم ببعض الشعائر، والعبادات وهي كالتالي:

10-7-1 صيام شهرين متتابعين كفارة القتل الخطأ:

صيام شهرين متتابعين لمن قتل خطأ إنساناً مؤمناً معصوم الدم، ولا يعفى من المطالبات الأخرى مثل الدية أو التعويض أو غيره وإذا لم يجد من ذلك فعليه بالصيام لشهرين متتابعين سواء كان القاتل ذكراً أم أنثى وشرط التتابع يدحض أحاديث فقهاء العنينة حول منع المرأة من الصيام بسبب الحيض حسب ما هو سائد اليوم وهو خطأ متعمد بتعطيل شعيرة الصيام والصلاة عن المرأة وقت حيضها بالمخالفة لهذه الآية وغيرها: قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾، (النساء: 92).

10-7-2 صيام شهرين متتابعين كفارة الظهار:

حدد الله - سبحانه وتعالى - كفارة الظهار صيام شهرين متتابعين للذين يظاهرون نساءهم ثم يعودون إلى ما قالوا، ويعدلون عن قولهم، وذلك بتحريم أزواجهم كتحريم أمهاتهم، كما ورد في الآية التالية: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَ تُوعِظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، (المجادلة: 3، 4).

10-7-3 صيام ثلاثة أيام كفارة حلف اليمين:

صيام ثلاثة أيام كفارة لمن عقد على حلف اليمين، ثم عدل عنها لما هو خير منها قَالَ - سبحانه وتعالى - ﴿لَا يُوَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، (المائدة: 89).

4-7-10 صيام كفارة الحج:

أ- الصيام ليوم أو يومين للحاج المريض، أو الذي به أذى من رأسه ولم يحلق.

ب- صيام الحاج ثلاثة أيام في الحج وسبعة أيام إذا رجع إلى أهله في موطنه كفارة لمن لم يستطع تقديم الهدي وهو المتمتع بالعمرة والحج، تلك عشرة أيام، لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، (البقرة: 196).

5-7-10 صيام كفارة قتل الصيد للحاج المحرم:

بَيَّنَّ اللَّهُ - سبحانه وتعالى - تحريم صيد البر للحاج المحرم على وجه العموم، وأحل صيد البحر، كما في الآية التالية من سورة المائدة قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلْغِيَارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾، (المائدة: 96). ثم بين عقوبة من يتجاوز هذا التحريم متعمداً بعدد من العقوبات بحسب حالة مقترفها، فكانت كفارة الصيام لمن لم يقدر أو لم يجد، مثل ما قتل من النعم بالمماثلة، أو لم يجد مؤنة إطعام عدد من المساكين. لذلك فلم يحدد الله عدد أيام كفارة الصيام، فيجوز أن تكون يوماً أو أكثر بحيث لا تزيد عن ثلاثة أيام قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَ مِنْكُمْ مَتَعْدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾، (المائدة: 95).

8-10 الاعتكاف في رمضان:

التعريف: عُرف الاعتكاف بأنه عمل تطوعي يقوم الإنسان بحبس نفسه في أيام معدودة في المسجد للعبادة وذكر الله، ويفضل أن يكون بمناسبة القيام بشعيرة الصيام، وقد بين الله سبحانه آداب الاعتكاف، حسب الآية بعدم مباشرة الرجل لأمراته أثناء قيامه بالاعتكاف

بالمسجد تلك حدود الله - سبحانه وتعالى - فلا تتجاوزنه قَالَ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ
الصِّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ
فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ
لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ
عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾،
(البقرة: 187).

9-10 ليلة القدر ليست في رمضان:

بَيَّنَ الْحَقَّ - سبحانه وتعالى - ذكر ليلة القدر بسورة كاملة سميت " القدر " قَالَ اللَّهُ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ، لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ
شَهْرٍ، تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ، سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾،
(القدر: 1، 2، 3، 4، 5).

تتحدث السورة عن ليلة القدر بوضوح من غير غموض، وقد عرفها الله سبحانه ببقية
الآيات من نفس السورة، وحصرت الأحداث التي جرت فيها ونلخصها في الآتي:

- ليلة القدر الواحدة تتكافأ أو تتساوى بألف شهر، وهي قرابة ثلاثين ألف ليلة، ومقياس
المقابلة والمقارنة هنا بالليل وليس بالنهار.
- تنزل الملائكة والروح بإذن الرب (الله سبحانه) من كل أمر ويقصد بالأمر كل أوامر
الكونية والصورورة بخلق الشيء وسبب خلقه وقدره وتقديره وحياته وموته وتدبيره
حسب ما خلق وقدر له وتصريف الأمور، حسب سنة الله التي اقتضاها في الخلق
والتكوين للشيء.
- لا يوجد ما يشير لإنزال القرآن في هذه السورة لا من قريب ولا من بعيد.
- لا يوجد ما يشير لارتباط هذه الليلة بليلي شهر رمضان البتة.
- الثناء على هذه الليلة بالسَّلام حتى مطلع الفجر منها.

ومن هذا التعريف والأوصاف والمميزات التي أطلقت على هذه الليلة بسورة القدر نفهم
ونفقه أنها ليلة كونية، ومقدار الزمن الكوني لم يحدد ولم يكتشف حتى الآن.

كما أن ما جاء في أول سورة الدخان من كلام الله ما يعاضد ويتوافق مع الآيات السابقة
من حيث المضمون من كلام الله سبحانه، وكلامه حجة قاطعة للتعريف بليلة القدر، حسب ما
جاء بآيات الذكر الحكيم بقوله تعالى: ﴿حَمْدٌ، وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ، إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا
مُنْذِرِينَ، فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ، أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ، رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، (الدخان: 1، 2، 3، 4، 5، 6).

فهل جاء ذكر إنزال القرآن في هذه الليلة من الآية أعلاه؟ والإجابة طبعاً (لا) فالآيات
ومدلولاتها صريح وواضح فالآية تتحدث عن إنزال أمر من عند الله والقرآن وصف بعدد من

الأوصاف منها كتاب، ذكر، نور،... الخ وليس أمر، ولا شأن لهذه الليلة بمقياس الزمن على الأرض ولا علاقة لهذه الليلة بشهر رمضان، علماً أنه لا توجد ليلة واحدة على جميع أجزاء الأرض بوقت واحد، فما يكون ليلاً بمكان يكون نهاراً بالجزء الآخر من المكان على الأرض وبنفس الوقت، والقول في أحاديث العنعة حول التنزيل والإنزال لذات الله، وجلاله ومعه الملائكة في العشر الأواخر من رمضان وتحديدًا بالأيام الفردية منه تقولاً فجاً على جلال الله سبحانه ويبعث على السخرية من قائله.

وفي المناسبة دعونا نخرج قريبيين من هذا الموضوع لأخذ نبذة تعريفية عن قياسات الزمن الكوني، وبما يساوي من حسابات الأرض حسب ما صرحت به الآية عن ذكر اليوم عند الله كآلف سنة مما يعدون في الأرض من السنين، بقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾، (الحج: 47)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾، (السجدة: 5).

وآية أخرى لزمن قياسي باليوم الأرضي أو اليوم الكوني في حالة المعراج، فذكر أن اليوم كخمسين ألف سنة، وهو حساب زمني فلكي يفوق الخيال بل ويفوق مقدرة العقل في إدراك حجم الكون الضخم جداً قَالَ سبحانه وتعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا، إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا، وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾، (المعارج: 4، 5، 6، 7)، ولذلك فلا يمكن أن تكون ليلة القدر، ليلة من ليالي الأرض.

الفصل الحادي عشر

الحج والعمرة

1-11 الحج والعمرة: التعريف والمشروعية:

الحج والعمرة: بعيداً عن التعريفات اللغوية والأصطلاحية لفقهاء العنونة والقلقلة حول الحج، فالحج هو تجمع عالمي يتوافد إليه الناس من كل مكان على الأرض، ليؤدوا مجموعة من الشعائر والمناسك المخصوصة والمحددة حصراً وقصراً بالآية، ويذكروا اسم الله في أيام معدودات في الزمن المحدد بأشهر معلومة ومنضبطة وثابتة من السنة، في المكان وهو الكعبة البيت الحرام أو المسجد الحرام وفي المدينة المعروفة حالياً مكة، وقديماً (بكة)، ثم ليشهدوا منافع لهم من خلال هذا التجمع العالمي، وإذاً فالحج والعمرة له شقين الشق الأول تأدية المناسك، والشق الثاني ليشهدوا المنافع المرجوة من الحج والعمرة، للشخص الوافد وذلك على مستوى عيشه، ومسكنه وتعليمه ووطنه وعموم الأرض، وكذلك ارتباطه بالحيوان والمناخ والبيئة والسماء والكون، وغيرها وكل ما يهم حياة البشر، وهو ما سنوضحه بالآتي:

ذكر الله سبحانه وتعالى في القرآن، أن إبراهيم خليل الله مع ابنه إسماعيل أول من قاما بأمر من الله سبحانه ببناء الكعبة البيت الحرام- المسجد الحرام، وكانا أول من حج واعتمر إليها، وقام بتلك الشعائر والمناسك، وتوجه بالحج والعمرة وجعلها قبلة للصلاة بحسب ما بينته الآيات من القرآن الكريم، كما سيأتي ذكرها من حيث المشروعية وارتباطها بفعل إبراهيم وابنه ببناء البيت الكعبة وقيامه بالحج والعمرة والتوجه بالصلاة إليها قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ الحج (26). وقول الله سبحانه: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾، (البقرة: 127، 128). وَقَالَ جَلَّ فِي غُلَاه: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ، فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمناً وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾، (آل عمران: 96، 97) وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿...وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ آل عمران (97).

والحج والعمرة يؤديها الإنسان من استطاع إليه سبيلاً، وقد قرُن أداء الحج بالعمرة بمناسك وشعائر واحد ووقت واحد ومكان واحدة، إذ يبين الحق سبحانه أن التكليف للحج والعمرة على كل إنسان يستطيع إليه سبيلاً، يستوثق من خلاله عرى الإيمان حسب ما خطه سيدنا إبراهيم حنيفاً مسلماً بوحى من الله سبحانه، وإن أولى الناس إيماناً بإبراهيم هم المؤمنون وهذا النبي قصد به محمد عليه السلام وكل الناس المتبعين، قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى - ﴿إِنَّ

أُولَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ)، (آل عمران: 68). لذلك فالحج والعمرة شعيرة استثنائية قائمة على القدرة والاستطاعة في تأدية المناسك، والقدرة والاستطاعة على امتلاك الحج العلمية في منافع الناس بما يتواءم مع هذا التجمع العالمي لسكان الأرض من الناس، وليس حسب ما جاء بأحاديث العنينة والقلقلة حول الاستطاعة لمن كان قادراً على تحمل أعباء السفر من جهد، ومال وراحلة وكانت الطريق آمنة، بل أن الاستطاعة تشمل الاثنين معاً الجهد البدني والجهد العقلي، ويقصد به امتلاك الحجة والبرهان والدليل من البحوث العلمية في المنافع المرجوة من التجمع العالمي في الحج، وهو المقصد المرجو من تبادل منافع الحج حسب ما يفقه من هذه الآيات التي أرجح أن تكون تقصد المعنى الجوهري للحج من غير تفسير أو تأويل قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ...﴾ البقرة (150). وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ لِيَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ الأنعام (83). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الأنعام (149).

2-11-11 الناس جميعاً مكلفون ومعنيون بالحج والعمرة:

جاء التكليف بالحج إلى الناس جميعاً في مستهل الذكر الحكيم قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿...وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾، (آل عمران: 97). وبتقديري فإن الخطاب عام أريد به عموم الناس في عهد سيدنا إبراهيم وفي غير عهد سيدنا إبراهيم وحتى يومنا هذا، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خطاب قصد منه دعوة الناس جميعاً وقت انطلاق الدعوى للحج بعهد خليل الله إبراهيم، ومن الذين أسلموا لله رب العالمين من اليهود والنصارى والمسيحيين والصابئة وغيرهم من الناس المتقدمين من الشعوب والأمم، ومن الذين أسلموا معهم ومن غيرهم من الناس، فكانت تلك الدعوى الموجهة إلى الناس جميعاً تحمل دلالة على تأكيد عالمية الإسلام كدين ارتضاه الله سبحانه للناس جميعاً، ولذلك كانت دعوة سيدنا إبراهيم وهو يرفع القواعد لبناء الكعبة – البيت الحرام حسب ما جاء بالآية السابق رقم (127-128) من سورة البقرة، فكان الناس جميعاً في ذلك الوقت يقومون بمناسك وشعائر الحج ومن بعد عهد سيدنا إبراهيم، غير أن جماعة التحريف حرفت المعاني السامية للحج والعمرة خلال مراحل من التاريخ الإنساني بعد فترات من زمن فرضه، حتى حصرت الحج والعمرة وغيره من المناسك والشعائر والعبادات على جماعة من الناس بهدف حصر وقصر دين الإسلام على جماعة أو قومية أو نبي أو رسول محدد وكما قلنا سابقاً ونكرره بان الإسلام دين كل الأنبياء والرسل والناس أجمعين، وهناك استثناء ورد بنفس الآية لمن يكفر بالحج ولا يرغب بأداء شعائر ومناسك الحج فكان هذا الاستثناء من طرف واحد هو الإنسان بحسب الآية بقوله تعالى (وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) وهو ما يفهم (يفقه) من دلالة الآية اضم إلى وجود آية أخرى في نفس السياق يتحدث عن استثناء اشخاص محددين من الدخول إلى المسجد الحرام في أي وقت كان بمكة

وهم المشركين الذين يعبدون الأصنام من دون الله سبحانه وقد وصفهم الله سبحانه بالنجس فلا يقربوا المسجد الحرام وهو أمر نهى على التأبيد، حسب ما يفقه من كلام الله قَالَ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، (التوبة: 28).

ويقصد بالمشركين وهم عباد الأصنام من دون الله سبحانه حصرا وقصرا من دون بقية الناس، فذهبت جماعة التحريف بتعميم هذا اللفظ (نجس) وجعل المسجد الحرام – الكعبة البيت الحرام مكانا محرم وادخلوا لفظ التحريم والتقديس على المكان وحصره وقصروه على جماعة من الناس (المسلمين من أتباع النبي محمد عليه السلام) والله سبحانه أراد المسجد الحرام والكعبة – البيت الحرام مثابة ومقصد لجميع الناس، واستثناء نفر من الناس وهم المشركين عابدي الأصنام، بموجب دلالة الآية واللفظ السابق.

11-3 موافيت الحج والعمرة:

لا شك أن الشمس والقمر من الأهلة وبواسطتهما يستطيع الإنسان تحديد موافيت كثير من الشعائر، والمناسك والعبادات ومنها الحج قَالَ - سبحانه وتعالى - ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾، (البقرة: 189)، وفي سياق متصل بشأن تحديد مواعيد الحج فقد حدد الله مواسم الحج بأشهر حسب كلام الله سُبْحَانَهُ: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفْتٌ وَلَا فُسُوقٌ وَلَا جِدَالٌ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنْ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾، (البقرة: 197). لذلك فقد حدد الله سبحانه وتعالى الحج والعمرة تحديداً دقيقاً، منذ عهد سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وهي كما قلنا أشهر وليست كما هو حاصل اليوم إذ حدد بشهر ذي الحجة فقط حسب التقويم الهجري القمري وهو خطأ جسيم ومقصود حسب ما دسسته جماعة التحريف بأحاديث العنينة والقلقلة الكثيرة في مختلف المذاهب السنة والشيعة، ومن المؤكد أن أشهر الحج المعلومة تتوافق مع تحريم صيد الحيوانات في البرية بوقت معلوم من السنة خاصة وقت تزاجها حسب الآية، ويكون هذا التوقيت معلوم بالأشهر وهي أشهر الربيع من كل عام شمسي حسب دورة المناخ الدائمة على شمال خط الاستواء، وبما أن مكة – المسجد الحرام يقع في الجزء الشمالي لخط الاستواء، فإن أشهر الربيع هي فترة تخصيب وتزواج الحيوانات في البر في أشهر معلومة من السنة، وهي المقصود من كلمة معلومة ويقصد من كونها ثابتة ومرتبطة بتزواج المملكة الحيوانية في هذه الأشهر من السنة الشمسية وهي معلومة بالفطرة والطبيعة، ففي فصل الربيع تزداد خصوبة الحيوانات ورغبتها في التزاوج، ويبقى موسم الربيع هو الموسم المثالي والمعلوم للتزاوج على الإطلاق لمعظم مملكة الحيوان ولعددا من الأسباب منها، زيادة معدل الخصوبة، اعتدال الطقس، ثم إن كافة الاستعدادات التي تقوم بها الحيوانات تحدث بشكل فطري لا شعوري في هذا الموسم من السنة بشمال الأرض، وذلك لضمان بقاء النوع واستمراره، وهناك استثناء من هذه القاعدة فبعض الحيوانات تتزاوج في أيام أخرى من السنة بغير فصل الربيع، لكن تبقى أشهر الربيع هي أشهر التزاوج المعلومة لهذا السبب، ومن كون شعيرة الحج والعمرة شعيرة

تتطلب السعي والترحل والانتقال من عموم الأرض بوقت معلوم من السنة ومن مكان لآخر من أجل الوصول لأداء مناسك وشعائر الحج، وحضور المؤتمرات والاجتماعات وورش العمل على الأرض ليشهدوا منافع لهم، وبأعداد كبيرة، في أشهر الحج التي تتوافق مع تزواج المملكة الحيوانية، لقول الله سبحانه في وصف هذا الحال قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾، (الحج: 27)، ولذلك جاء كلام الله سبحانه في القرآن الكريم بتحريم صيد البر ليؤكد على هذه السنة الثابتة (قانون الطبيعة) من أجل الحفاظ على بقاء الحيوانات البرية وحفاظا على تنوع الحياة البرية ومن أجل الحفاظ على البيئة والتوازن الطبيعي للحياة، ومنع صيد الحيوانات في هذا التوقيت والمعلوم من السنة، كما يقصد آية التحريم المكان على وجه العموم من الأرض للشخص الوافد إلى الحج والعمرة، ولم يكتف بذلك بل حدد عقوبة كقاعدة للمماثلة لمن يخالف هذا الآية من الأشخاص المحصورين بأداء مناسك الحج والعمرة، في الوقت نفسه أحل صيد البحر، ولنتعرض ذلك من كلام الله سبحانه حول هذه الجزئية وما فيها من ابداع رباني يعمل على توازن نمو الحياة بشكل بديع ورائع، فجاء قول الحق سبحانه ليفتح لنا من أول سورة المائدة، ببيان تعريفه عن حلة بهيمة الأنعام والاستثناء من حلة الصيد اثنا الإحرام للحج والعمرة، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾، (المائدة: 1).

ثم جاءت الآية الثانية لتفصل في أمر النهي القطعي وتحدد العقوبة وبدائل العقوبة كقاعدة للبناء عليها تشريع قانوني أو ما شابه لتنظيم شعيرة الحج والعمرة، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهُ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾، (المائدة: 95)، ثم جاءت آية التحريم لصيد البر بصورة واضحة، مؤكدا على حالة وصفة الشخص المعني بالتحريم، وهو الإنسان المحرم بحج وعمرة، وفي المقابل جاء تحليل صيد البحر بصورة عامة حسب الآية قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلْغِيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾، (المائدة: 96). فكان ذلك قولا فصل في معرفة أشهر الحج والعمرة المعلومة صراحة وضمنا من حكمة حرمة صيد البر، لذلك وصلت درجة النهي للتحريم من قبل الله سبحانه وهو أعلى أمر بسلم الأوامر المتلقى عن الله سبحانه لهذه العلة ولعلة أخرى من أجل الحفاظ على تنوع الحياة البرية، فكانت أشهر الحج معلومة لهذا السبب لقوله تَعَالَى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ...﴾، (البقرة: 197)، وهي الأرجح لدي لارتباطها بأشهر تزواج أغلب المملكة الحيوانية، ولكون الحج والعمرة جلب على الاستطاعة فمن غير الجائز عقلاً أن يكون موسم الحج والعمرة في أيام محددة من شهر واحد (ذي الحجة)، أو في يوم واحد (عرفة) حسب التقويم الهجري القمري المندس والمتغير والغير ثابت والذي يأتي على جميع فصول السنة الشمسية، ولا يتوافق مع حكمة حرمة صيد البر المحدد لعدة وسبب خاص (حرمة صيد البر)

في أشهر معلومة من الدورة المناخية من السنة الشمسية بشمال خط الاستواء حسبما أوضحنا سابقاً، كما أن حضور الناس للحج والعمرة في يوم واحد فيه من المشقة، والعناء، حسب ما هو حاصل اليوم إذ يتجمع جمهرة من الناس يوفدون من مختلف أماكن الأرض قد يصلون لملايين في المكان والزمان المحدد، وما قد يتسبب هذا التجمع من كوارث وأحداث دامية بسبب الازدحام أو بسبب انتشار الأمراض الفيروسية وغيرها بالإضافة للمخاوف، التي تخرج المكلفين بأداء شعائر الحج والعمرة عن شرط الاستطاعة لما في ذلك من الضرر والمشقة والخوف على الحياة، وما الأحداث الدامية التي حدثت في السنوات الماضية بسقوط آلاف القتلى بسبب التدافع والازدحام وانتشار الأمراض الفيروسية ومنها انتشار كوفيد (19) وغيره لخبر دليل وشاهد على ذلك.

والخلاصة: فإن مواقيت الحج والعمرة تتحدد بالميعات الموسع والذي حدد بأشهر ثابتة من السنة الشمسية خلال موسم تزواج مملكة الحيوان ما بين نهاية كانون الثاني ودخول نيسان من كل عام ولأهمية عناية الله سبحانه في اختيار هذا التوقيت الثابت والدقيق لوقوعه بتوقيت مناخي مناسب يمتاز بالدفي والأعتدال لدرجة الحرارة والرطوبة، خلال هذه الفترة الزمنية وفيها يصح القيام بأداء مناسك الحج والعمرة والمحددة لأيام معدودات من أشهر الحج والعمرة ثم يقوم بأداء ما يتوجب عليه من تقديم المنافع للناس إن كان لديه، لذا كانت فترة الحج والعمرة بوقت موسع من كون هذه الشعيرة جلبت على الاستطاعة فكان وقتها طويلاً وفقاً لقاعدة الاستطاعة تمتد لأكثر من شهرين، ألا أن جماعة التحريف حصرتها بيوم واحد من شهر واحد خلال السنة القمرية وهو توقيت خطأ جسيم وضع بقصد تحريف مواقيت الحج والعمرة كما هو حاصل اليوم وهو خلل كبير ينبغي تداركه حتى يستطيع الناس أداء الحج والعمرة في أشهر الحج المعلومة وليشهدوا منافع لهم وقد عطلت جماعة التحريف هذا الجانب تماماً، خاصة وكثير من الناس مسجلين على قائمة الانتظار ببعض البلدان لأكثر من عشرين سنة.

4-11 الحج الأكبر:

ذكر الله تعالى الحج الأكبر وأنه يقع في أحد الأشهر المحددة للحج الذي اعتاد الناس عليه، وحصر في شهر معين دون غيره من أشهر الحج المعلومة، قَالَ اللَّهُ سبحانه وتعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، (التوبة: 3).

ولتحديد ميعاد الحج الأكبر، فإنني أرجح وقوعه في الأيام الأخيرة من موسم الحج إذ يكون خاتمة أشهر الحج والعمرة.

5-11 آداب الحج والعمرة:

1- الأذان للحج وهو رفع الصوت بصيغة يفهم منها إعلان العامة بقيام الفرد أو جماعة من الناس بالخروج لأداء مناسك وشعائر الحج والعمرة إلى بيت الله بمكة قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾، (الحج: 27).

2- عدم الرفث في الحج والعمرة، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾، (البقرة: 197)، والرفث هو مضاجعة الزوجات المرافقات مع الوافد بحج وعمرة ومداعبتهن احتراماً لمنسك الحج والعمرة، كما وضَّح - سبحانه وتعالى - في موضع آخر من القرآن الكريم، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾، (البقرة: 187).

3- عدم الفسوق في الحج والعمرة، والفسوق هو ارتكاب المعاصي وفعل المحرمات والكذب والافتراء على الناس ظلماً لقوله تعالى: ﴿.. وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾، (البقرة: 197)، وقد بين الله - سبحانه وتعالى - الفسق في آيات كثيرة نذكر منها: في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ... ذَلِكُمْ فَسُقٌ﴾، (المائدة: 3)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾، (الأنعام: 121)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقٌ...﴾، (الأنعام: 145)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ... وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، (النور: 4)، وَقَالَ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، (الحشر: 19).

4- عدم الجدال في الحج والعمرة لقوله تعالى: ﴿... وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾، (البقرة: 197)، والجدال هو المخاصمة بالبطل، ما يؤدي إلى كثر الهرج واللفظ بين الناس مع بعضهم البعض ويفسد الحج والعمرة ويفسد منافع الحج والعمرة.

5- عدم قتل صيد البر أثناء الإحرام، ومن قتله وهو متعمد، فقد تعددت كفارة عمله حسب بيانه في الآتي:

أ. الهدى كفارة لمن يقتل صيد البر، وهو محرم متعمداً جزاؤه مثل ما قتل من النعم يحكم به شخصٌ معروف بالعدل بتقدير المماثلة بين الجنسين من النعم يهدى به إلى الكعبة كفارة لإطعام المساكين.

ب. الصيام كفارة بديلة عن الهدى، ولم يحدد عدد أيام الصيام فيجوز، يوم أو يومين في الحج ليزوق وبال أمره قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾، (المائدة: 1)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ

وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهُ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ، (المائدة: 95).

6- أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة على الدوام حتى وأنتم محرّمين قال الله تعالى: ﴿أَحَلَّ لَكُم صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحَرَّمَ عَلَيْكُم صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾، (المائدة: 96).

6-11 مناسك وشعائر الحج والعمرة وعدد الأيام:

بيّن الله - سبحانه وتعالى - مناسك وشعائر الحج والعمرة بياناً دقيقاً مرتّباً في أكثر من آية قرآنية، وسوف أسرد لكم مناسك وشعائر الحج والعمرة، مع تعريف مختصر بها على النحو التالي:

1- الوفاء بالنذر إن وجد والنذر متعدد مادي أو معنوي بحسب ترتيب الآية قال الله جلّ في علاه: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ...﴾، (الحج: 29).

2- الطواف حول البيت العتيق (الكعبة)، وهو أن تأتي الكعبة وتطوف حولها من جميع الجهات، ولم يحدد بعدد، بل ترك للقدرة والاستطاعة على اعتبار أن الحج كله جلب على الاستطاعة فيجوز بطواف واحد أو طوافين أو أكثر قال الله جلّ في علاه: ﴿.. وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾، (الحج: 29).

3- الطواف حول الصفاء وكذلك الطواف حول المروة ويقصد الطواف حول الصفاء من جميع الجهات، وكذا الطواف حول المروة من جميع الجهات، وهو مكانان معلومان ويعدان من شعائر الله في الحج، ولم يحدد الله عدد مرات الطواف حولهما، بل تركه لقدرة الحاج واستطاعته، فيجوز بطواف واحد أو اثنين لكل منهما، ومن تطوع بزيادة فهو خير له بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾، (البقرة: 158).

4- الهدى، وهو ما يستطيع الحاج تقديمه أثناء الحج، ولم يحدد الله - سبحانه وتعالى - نوع الهدى، ولا حجمه، وأما ذكر الهدى بصفة العموم كلاً بقدر استطاعته فيجوز أن تقدم من الطيور والأنعام، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام إذا لم يكن أهله معه في الحج، وسبعة، إذا رجع لمحل إقامته الدائمة والمفهوم الآخر في معرفة حكم الصيام إذا كان أهله حاضري المسجد الحرام فعليه أن يصوم عشرة أيام كاملة في الحج لقوله تعالى ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، (البقرة: 196)، مع تحلي الحاج بذكر الله على ما رزقهم الله من بهائم الأنعام لياكلوا منها، ويطعموا البائس الفقير قال سبحانه

وتعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾، (الحج: 28)، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾، (الحج: 30)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾، (الحج: 34).

5- حلق شعر الرأس أو تقصيره، فقد بيّن القرآن الكريم بعدم حلق شعر الرأس أو منه حتى يبلغ الهدى محله قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ...﴾، (البقرة: 196)، وعندما يبلغ الهدى محله وأردتم دخول المسجد الحرام فعليكم ان تحلقوا من رؤوسكم أو تقصروا منها، وهي آيات واضحة قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾، (الفتح: 27).

6- الإفاضة من عرفات بصورة جماعية من الحجاج مصحوب بذكر الله سبحانه بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفْضُتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ﴾، (البقرة: 198)، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، (البقرة: 199)، ويقصد بالإفاضة الزيادة العددية للناس أثناء تجمعهم في عرفات وهو مكان محدد، ثم يفيضون منه إلى مكان آخر خالٍ وهكذا وبما أن القرآن الكريم يوضح بعضه بعضاً فقد أورد الحق - سبحانه وتعالى - معنى كلمة الإفاضة بأكثر من موضع في القرآن، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ...﴾، (الأعراف: 50)، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ...﴾، (المائدة: 83)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿.... هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، (الأحقاف: 8)، إذن فالإفاضة بعرفات ليست وقوف كما دسسته جماعة التحريف، وأصبح شائعاً واستقر عليه غالبية المسلمين اليوم فقصروا شعيرة الحج على الوقوف بعرفات مكاناً وزماناً، ثم أضافوا عليها شعائر أخرى كصلاة الظهر والعصر جمعاً وقصراً وخطبة عرفات بأحاديث العنعنة، فذلك دس مفضوح من قبل جماعة التحريف مماثلة بما تفعله طائفة اليهود السامريين اثنا حجهم لجبل جرزيم بفلسطين حتى يومنا هذا، وقد فضح القرآن الكريم هذا الدس وبيّن معنى الإفاضة، حسب ما بيّناه من كلام الله سابقاً.

7- عدد أيام الحج: حدد الله أيام الحج بأيام معدودات ضمن أشهر الحج والعمرة وهو الوقت الموسع، فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر يوم آخرى فلا إثم عليه لمن اتقى، واحترم والتزم بأداب التنظيم والترتيب التي تضعها الجهة المشرفة على تنظيم شؤون

الحج بما يتناسب مع الاستطاعة للحاج المكلف، وقد ذكرنا هذا العنوان مفصلاً ضمن مواقيت الحج والعمرة: قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾، (البقرة: 203).

8- البدن من شعائر الله سبحانه ولم يقل من شعائر الحج والعمرة وكأنما هي صدقة تقدم بمناسبة الحج والعمرة لمن يقدر عليها وليست شرطاً لصحة الحج والعمرة، وقد اشترط الله إذا وجبت جنوبها فذبحت منكم أو من غيركم، فكلوا منها وتصدقوا لمن حولكم من الناس، وحدد منهم القانع والمعتز، ويقصد بالقانع الفقير الذي لا يسأل الناس ويقبل ما يعطى إليه من العطايا والمعتز، وهو الفقير الذي يسأل الناس العطايا وهم المتسولون، والآية التالية توضح إذ لم يكلف الله - سبحانه وتعالى - الحاج بالبدن والبدن، هي من الأبقار أو من الإبل أو من الأغنام أو نوع من الانعام - قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ، لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾، (الحج: 36، 37).

والخلاصة فإن الله - سبحانه وتعالى - بين الحج والعمرة بياناً دقيقاً وواضحاً وصريحاً بمناسك وشعائر وآداب والتي استعرضناه لكم أعلاه بصورة مفصلة ومرتبعة، وبحسب آيات من القرآن الحكيم.

7-11 منافع الحج والعمرة:

منافع الحج عنوان صغير لتفاصيل كبيرة وكثيرة في حياة الشعوب والأمم، ومن حكمة الله سبحانه وتعالى أن ربط الحج والعمرة بالمنافع والمناسك والشعائر حرصاً منه على بترابط الإيمان بالعلم والعمل الصالح والمنافع المرجوة من الحج والعمرة عموماً وخصوصاً ويلاحظ أن وقت القيام بالمنافع المتصلة بالحج والعمرة غير محدد بخلاف مناسك وشعائر الحج والعمرة والتي حددت بيومين أو ثلاث، لأهمية المنافع المتحققة للناس عبر عقد المؤتمرات العلمية والاقتصادية والسياسية والعسكرية والثقافية والفنية، وغيرها، وكذلك ورش العمل، وتبادل الآراء والخبرات العلمية والعملية في كافة مناحي الحياة، بحسب ما جاء من كلام الله سبحانه في القرآن المبين، والمفصل والموضح سابقاً، غير أن جماعة التحريف حشرت عدد ضخم من أحاديث العنعة والقلقلة، أخرجت الحج والعمرة من هدفه السامي، وأخرجته من مقاصده بالقول وليشهدوا منافع لهم من خلال ذلك التجمع السنوي الكبير، فحشرت فيه مناسك وثنية عملت على تعطيل ذكر الله وتعطيل المنافع المرجوة من الحج والعمرة.

8-11 الاعتكاف في الحج والعمرة:

التعريف: عُرِّفَ الاعتكاف بأنه عمل تطوعي يقوم به الإنسان بحبس نفسه في بضع أيام في البيت الحرام - المسجد الحرام للعبادة، وذكر الله بسبب قيام الحج والعمرة ولم يحدد مدة له، فقد يكون يوماً واحداً أو ثلاثاً أو أكثر، وقد بيّن الله سبحانه آداب الاعتكاف بعدم مباشرة الرجل لأمراته أثناء قيامه بالاعتكاف بالمسجد، فتلك حدود الله - سبحانه وتعالى، فلا تتعدوها، قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾، (البقرة: 125)، قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِن عَذَابِ أَلِيمٍ﴾، (الحج: 25).

9-11 تعظيم الشعائر والمناسك في الحج والعمرة:

أن تعظيم شعائر الله في الحج من تقوى القلوب وكما ذكر الله سبحانه، وقد حذر صراحة من الرجس والأوثان ومن قول الزور ومن الشرك عند أداء مناسك الحج لخصوصية هذه الشعيرة التي حثَّ على إتيانها بشرط الاستطاعة المادية والفكرية، محذراً من مغبة الانزلاق بشعائر غير مطلوبة ومن كون الحج شعائر عملية بدنية وأخرى فكرية عقلية قائمة على المحبة والحجة القاطعة فقد أطلق على أعمال الحج (منسك) وجمعها (مناسك)، فإنه يتوجب الحذر الشديد من التماذي في الأفعال فيدخل المكلف في دائرة الرجس من الأوثان، حسب ما يفقه من سورة الحج الآيات: قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ، حُنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ، ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾، (الحج: 30، 31، 32).

وذكر المناسك قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿فَإِذَا قُضِيَتْ مَنَاسِكُكُمْ...﴾، (البقرة: 200)، وتخلل دعاء سيدنا إبراهيم في قضاء مناسك الحج قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾، (البقرة: 128)، وذكر المنسك كمكان قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا لِّيُذَكِّرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ...﴾، (الحج: 34)، وآية أخرى قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ...﴾، (الحج: 67).

الفصل الثاني عشر

فقه المواريث – الوصية والفروض.

1-12 التعريف: بالإرث أو الميراث:

جاء القرآن للتعريف بالإرث بعدد من الألفاظ المتعددة، كالقول (ميراث) و(الوارثين) و(الوارث) و(يرث) و(يرثني)، ولكل لفظ معناه حسب موقعه في الجملة، وقد ذكر الإرث بصيغ متعددة بالحالات الآتية:

الحالة الأولى: لله سبحانه ميراث السماوات والأرض:

قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿... وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، (آل عمران: 180)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾، (الحديد: 10)، وَقَالَ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾، (الحجر: 23)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ يَسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾، (القصص: 58).

الحالة الثانية: الإنسان وارث:

قَالَ اللَّهُ سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا..﴾، (الأعراف: 100)، وَقَالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾، (الأنبياء: 105)، وَقَالَ سبحانه وتعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾، (القصص: 5).

إرث خاص بنبي الله زكريا عليه السلام: قَالَ اللَّهُ تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾، (مريم: 2)، وقال سبحانه وتعالى: (...يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا)، (مريم: 6).

الحالة الثالثة: إرث المؤمنين في درجات الجنة:

قَالَ اللَّهُ تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ، الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، (المؤمنون: 10، 11).

2-12 الإرث من تركة المتوفي – التعريف والمشروعية:

التعريف: التركة أو الإرث هو ما خلفه الإنسان بعد مماته من الأموال النقدية والعينية سواءً كان من الأصول أو المنقولات أو من الحقوق الفكرية والمعنوية، كحق التأليف، والاختراع وغيرها، مما يجوز استحقاقه وتملكه، وتنتقل من المورث لورثته أو للغير بعد مماته بعقد وصية أو يكون نصيباً مفروضاً ومحددًا حسب ما جاء به القرآن الكريم خالية من

الالتزامات مثل الديون، أو هو نظام انتقال التركة من المورث الخلف إلى الوارث السلف بعدد من الطرق ومنها عبر الوصية، أو حسب الأنصبة المفروضة بالقرآن خلافاً لتعريفات فقهاء العننة لمذاهب الفكر الإسلامي، الذين أدخلوا على الإرث والمواريث ألفاظ وأحكام من العقائد والتشريعات القديمة، فزادوا الأمر تعقيداً وتشعباً، وأفردوا لهذا العنوان علماً مستقلاً بذاته، وقد أفردنا تعريف الإرث والمواريث حسب ما يفهم من خلال سرد حالات الإرث والمواريث، وبحسب آيات الذكر الحكيم، وهو تنظيم مرن يسهل تطبيقه وتنفيذه للشعوب والأمم في كل زمان ومكان على الأرض، بخلاف ما ذهب إليه الدكتور محمد شحرور يرحمه الله⁽¹⁾، وهو ما سيأتي بيانه وتفصيله بالآتي:

12-3 المشروعية من القرآن الكريم:

أورد الحق - سبحانه وتعالى - عدداً من آية الذكر الحكيم حول أحكام الوصية والأنصبة والفرائض المتعلقة بحقوق الورثة من مخلف تركة مؤثرهم المتوفى أو للغير، بحسب آيات مفصلة من سورة النساء، وهو ما يعرف بمبدأ مشروعية التقسيم والتوزيع وانتقال الحقوق لما بعد وفاة المورث قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا، وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا، وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا، يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ الْإُنثَىٰ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ لِأَبَائِكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا، ﴿٥﴾ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورِثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ، تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ، (النساء: 7، 8، 9، 10، 11، 12، 13، 14).

أضف إلى أن هناك آية أخرى ملحقة في سورة النساء تتعلق باستحقاق الكلاله قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا

(1) انظر نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي / د. محمد شحرور. الفصل الثالث. الطبعة الأولى 2000م

إِخْوَةَ رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ،
(النساء: 176).

12-4 حقوق اليتامى والمساكين والضعفاء في إرث المتوفي:

أوجب الله سبحانه إخراج جزء من التركة قبل إجراء القسمة بقدر محدد أو بنسبة محددة، تخصّص لمن يحضر القسمة من أولي قرابة الميت إن وجدوا، وهم بالتحديد وعلى الترتيب - اليتامى - والمساكين - بحسب كلام الله سبحانه الملزم بصيغة (فَارْزُقُوهُمْ)، الوارد بكلام الله سبحانه - القرآن الكريم، وعلى المشرعين تحديد نسبة محددة أو جزء محدد يخصص لهذه الفئات من قرابة المتوفي إن وجدوا وفقاً لقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾، (النساء: 8).

وقد وردت آية أخرى عامة ومنظم لنقل التركة بالوصية أو عند توزيع الأنصبة أو غيره، وفيه عدد من الارشادات عن ذرية المتوفي، حسب مدلول هذه الآية قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾، (النساء: 9) وهذا الآية تعتبر من القواعد الارشادية للمشرعين القانونيين بضرورة صياغة مواد في قانون المواريث تنص على استحقاق أقرباء المتوفي من الضعفاء ويقصد بالذرية الضعفاء الذين لا يقدر على الكسب إلا بمشقة، ويقصد بهم الذرية من اصحاب الاحتياجات الخاصة (المعاقين عقلياً وبدنياً) وضرورة تخصيص نصيب معين من التركة لهم.

12-5 عقد الوصية - من حدود الله:

جاء القرآن الكريم بتنظيم الوصية بصورة خاصة مولياً إياها اهتماماً كبيراً من حيث الشكل والمضمون فهي عقد من طرف واحد يقتضي بموجبه انتقال حقوق المورث لمن شاء من ورثته أو للغير، وعقد الوصية يعد من التصرفات الفردية أحادية الجانب للشخص الطبيعي أثناء حياته، مثله مثل غيره من الحقوق كحقه في عقد البيع والهبة، وغيره، والقرآن المبين حدد شكل عقد الوصية ومضمونه لأهميته فيجوز أن يكون عقد مكتوباً أو بلفظ مشهوداً عليه ويجوز ببعض أملاك الموصي أو بكل املاكه مع إخضاعه لنصوص من التشريع يعمل على تنظيمه بما يكفل ضمان حرية الموصي في التصرف بحقوقه لما بعد الموت كحق من حقوقه مماثلة بالتصرفات الأخرى أثناء حياته، ولزيادة الفقه في التعريف، فإن الوصية: عمل قصد منه التصرف المضاف إلى ما بعد الموت من الإنسان الموصي حال حياته للموصي له بعد مماته وعقد الوصية واحد من الأسباب الرئيسة المودي لانتقال التركة أو الإرث من قبل الموصي إلى ورثته أو للغير بعد موته وقد تستغرق الوصية التركة كاملاً، إذا تحقق فيه كل الشروط والضوابط والإرشادات، وقد تكرر ذكر الوصية في القرآن لأهميتها، وعقد الوصية المخالفة لا يبطل الوصية بل يجعلها معيبة، ويلزم تصحيحها حسبما يفقه من سورة النساء، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ صَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِنُوهَا مِنْ بَعْدِ

الصَّلَاةَ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْأَثِمِينَ)، (المائدة: 106)، كما يراعى فيه حرية الموصي وعدم تجاوزه بالضرر على ذريته الضعفاء، فقد وضعت ضوابط وقواعد لمراعاة مقتضى العدل والرحمة في الوصية، بحيث لا يكون فيها ضرر ولا ضرار عبر تدخل المشرع في تقنين أحكام قانونية منضمة لعقد الوصية تسمح بانتقال التركة بصورة واضحة وسلسة وتعطي الحق للموصي أن يوصي بأمواله وحقوقه المادية والمعنوية بحرية تامة لورثته أو للغير على حد سواء يراعى فيه الآتي:

- 1- الوصية حق اختياري وطبيعي للموصي المورث كغيره من العقود.
- 2- الوصية من طرف واحد وبشكل معين وتكون مشهودة عليها أو بحسب ما ينظمه القانون.
- 3- يجوز للموصي المورث ان يوصي بالزيادة أو النقص أو بالتساوي لورثته أو لأحدهم أو للغير حسب إرادته الحرة في التصرف بماله بعد موته.
- 4- الوصية من الأسباب الرئيسية لنقل الممتلكات من الأوال المادية والحقوق العينية للوارث أو للغير.
- 5- يقدم تسديد الدين على تقسيم التركة.
- 6- يخرج حصة اليتامى والفقراء من أقارب المتوفي بنسبة محددة من رأس التركة وفقاً لقانون أو مرسوم صادر من سلطة مختصة أو ما تعارف عليه الناس بما لا يخالف القرآن.
- 7- الأنصبة المفروضة تستغرق ما تبقي من التركة.
- 8- أصل تقسيم الإرث (الأنصبة المفروضة) وانتقالها للورثة قائم على صلة النسب بالولادة والمصاهرة.
- 9- لا عبرة باختلاف الدين والجنس، واللون في انتقال التركة بين المورث والغير سواء كان بعقد الوصية أو بالأنصبة المفروضة.

6-12 فقه الألفاظ والمصطلحات حول تقسيم الأنصبة والفروض:

يجب التركيز هنا على الألفاظ الواردة في آيات المواريث من حيث معرفة معانيها، ودلالاتها من أجل سهولة التقسيم للأشخاص المعنيين بالآيات مع بيان أن تقسيم فروض التركة للزوجة مثلاً: حددتها الآية كحق مفرد، ولزوجة واحدة فقط، ولم يحدد نصيب زوجتين أو أكثر بالآتي:

- يوصيكم – لكم – فلهن – ألفاظ تدل على التضخيم، وليس على الجمع وبحسب موقع اللفظ من الجملة.
- جُعل حظ الذكر عند تقسيم الأنصبة يتماثل مع حظ الأنثى ولا يتساوى بها، إذ إن حظ الأنثى هو الأعلى دائماً، حسب نسبة وتناسب ولفظ المماثلة (مثل حظ) يقصد به أن

درجة المماثلة لا تصل لدرجة المساواة بالشيء المماثل به، وإنما قريب منه بنسبة وتناسب.

• ذكر لفظ الذكر لوصف الجنس (النوع) فقط، ولم يذكره للعدد فالذكر يقصد به النوع وأن تعدد بمعنى واحد أو أكثر من الذكور، وكذلك حسب عموم آيات القرآن العظيم الأخرى، ولتوضيح هذه الجزئية أكثر في ذكر الذكر كنوع ما جاء بقوله تعالى: ﴿الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى﴾، (النجم: 21)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾، (النجم: 45)، وَقَالَ اللَّهُ سبحانه وتعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾، (القيامة: 39).

• ذكرت الأنثى لوصف الجنس (النوع) والعدد معاً (الانثيين) (فوق اثنتين) (واحدة).
• لفظ (الأب) وإن علا وهو أب الأب (الجد).
• لفظ (الأم) وإن علت وهي أم الأم (الجدة).
• (الولد - ذكر أو أنثى) وإن علا وهما الابن أو ابن الابن، ويقصد به المولود منكم من غير التبني.

• الأخوة الاشقاء، والأخوة لأم، والأخوة لأب.
• الأنصبة المقدرة للفروض بصريح الآية مثل: (الثلث - الثلثان - الربع - النصف - السدس - الثمن - وغيره).

• الأنصبة المقدرة للفروض ضمناً والتي سُكت عن التصريح بها بقوله تعالى (فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ) ويفهم (يفقه)، من خلال هذه الآية أن نصيب الأب (الثلثان) المتبقي من التركة وكذلك قوله تعالى: ﴿.. وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ..﴾ النساء (11)، ويفهم (يفقه) منه ان النصف المتبقي يكون من نصيب الذكر وأن تعدد وهكذا.

• الورثة من الذكور فقط من دون الإناث يقسم الإرث بينهم بالتساوي وفقاً للمفهوم الضمني من آيات الموارد.

• يورث كلاله وهو رجل أو امرأة متزوجين توفيا من دون فرع وارث وليس لهم ولد.
• أمرو هلك (كلالة) ويقصد به الرجل أو المرأة توفى من دون زوج أو زوجة، ومن دون فرع وارث وهذا ينطبق كثيراً على الأعراب البدو والرحل في المجتمعات الإنسانية في الزمان والمكان من العالم.

وعلى ضوء ذلك سوف نحاول فقه (فهم) الألفاظ الواردة في الآيات على قاعدة تيسير الذكر بالإيثار لفهم الآية من دون تعقيدات لغوية، ودون إدخال فرضيات أو مسائل حسابية، أو إدخال التعصيب أو العول أو الحجب أو الرد أو غير ذلك مما دس في فكر المذاهب نقلاً من العقائد القديمة وفقه القانون الروماني، كما سنحاول فهم المقصود من الموارد على قاعدة واحدة من الفقه قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى - ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ

بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا، وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانُكُمْ فَآتَوْهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا، (النساء: 32، 33).

12-7 الأنصبة والفروض المحددة من التركة:

فبعد إخراج نصيب ذوي القربى، واليتامى، والضعفاء، والوصية، والدين، يتم تقسيم المتبقي من التركة كأنصبة بين الورثة، ففي حالة الفروض والأنصبة، يجب مراعاة الترتيب الدقيق في الآيات ومن ضمنها ذكر الكلاله، وأعتقد أن إرث الكلاله ينطبق على بعض الناس في المجتمع خاصة منهم الأعراب (البدو الرحل) أو الغجر وغيرهم من المجتمعات الغير مستقرة، وذلك لعدم ارتباطهم بالأسرة وبالاستقرار الاجتماعي الأسري، كغيرهم في المجتمعات المستقرة الدائمة، وسواء كان تجمعات الأعراب قديماً أو حديثاً أو في المجتمعات الجديدة المتحضرة في عصرنا الحاضر عالم اليوم، إذ تتولد هذه الجماعات وتتشكل تحت مسميات متعدّدة في العالم الجديد (أمريكا - كندا - استراليا - ونيوزلندا، وغيرها)، وطبيعة عيشها واحد، وهي السمة المشتركة بينها وبين مثيلاتها في المجتمعات القديمة من حيث الترحل عابري الحدود الوطنية وطبيعة حياتهم تقوم على عدم الاستقرار.

ومن المعلوم أن نص عقد الوصية وتقسيم الموارث بالأنصبة تعتبر قواعد تنظيمية قديمة بقدّم حياة الإنسان واستقراره على الأرض، وهي كغيرها من قواعد تنظيم حياة الإنسان فقد ترك النص مساحة لتشريع الإنسان ضمن قواعد سكنت ضمناً عن استحقاق بعض الفروض والأنصبة، وهو ما يصح القول عنها تشريع الله سبحانه - وتشريع الناس في الزمان والمكان، فقد ظهر تنظيم الإرث في أغلب العقائد والأديان (اليهودية - الهندوس - القانون الروماني) وغيره وجرى التحريف عليها حتى يومنا هذا، ولم يكن تنظيماً خاصاً ببعثة النبي محمد عليه السلام حسب ما صورته جماعة التحريف وهو ما سنبينه بالآية السابقة وعلى النحو التالي:

يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين وفيه الآتي:

- في حالة وفاة الأبوين (الأب - الأم) معاً وبوقت واحد عن ذكر واحد أو أكثر، وأنثيين وأنثيتين فتقسم التركة بين الأنثيين (الأثنتين) والذكر وإن تعدد بنسبة وتناسب بحيث لا يساوي حظ الذكر، وإن تعدد حظ الأنثيين الاثنتين كجنس وعدد.
- في حالة وفاة أحد الأبوين عن ذكر وأنثيين فتقسم التركة بعد إخراج نصيب أحد الأبوين (الربع) أو (الثلث) والمتبقي يقسم بين الأنثيين والذكر وإن تعدد بنسبة وتناسب بحيث لا يساوي حظ الذكر وإن تعدد حظ الأنثيين الاثنتين كجنس وعدد.
- مثال للتوضيح: إذا كان عدد الذكور سبعة (7) مع أنثيين (2)، ففي هذه الحالة يكون نصيب الأنثيين (60%) ويقسم بينهما بالتساوي، ونصيب (7) الذكور (40%) يقسم بينهم بالتساوي وهكذا.

فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وفيه الآتي:

إذا كن نساء فوق اثنتين من بنات المتوفى الأب أو الأم فلهن الثلثان يقسم بينهما بالتساوي بعد إخراج نصيب أحد الأبوين (الرابع) أو (الثلث) والثلث الباقي للذكر وإن تعدد، وإذا لم يوجد ذكر وارث للمتوفى يوزع الثلث المتبقي، حسب عرف البلد، أو ما ينص عليه التشريع (القانون).

وإن كانت واحدة فلها النصف، وفيه الآتي:

إذا كانت واحدة من بنات المتوفى الأب أو الأم فلها النصف بعد إخراج نصيب أحد الأبوين (الرابع) أو (الثلث) والنصف المتبقي للذكر وإن تعدد، وإذا لم يوجد فرع وارث للمتوفى من الذكور يوزع النصف المتبقي حسب عرف البلد، أو ما ينص عليه التشريع (القانون).

ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد وفيه الآتي:

السدس لكل من الأم والأب إن كان للمورث ولد ذكر أو أنثى والمتبقي من التركة يخرج منه نصيب الزوجة (الثلث) أو الزوج (الرابع) والمتبقي يقسم، بحسب القواعد السابقة وعلى النحو التالي:

- للذكر وإن تعدد، مثل حظ الأنثيين الاثنتين.
- إن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك – والثلث المتبقي للذكر وإن تعدد.
- إن كانت واحدة فلها النصف – والنصف المتبقي للذكر وإن تعدد.
- إن كان الورثة ذكوراً فقط فيقسم بينهم بالتساوي حسب ما يفقه ضمناً من الآية أو بحسب نص من التشريع.

فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له أخوة فلأمه السدس وفيه حالتان:

- الحالة الأولى: الثلث للأم إن لم يكن للمتوفى ولد ذكر أو أنثى والمتبقي يوزع ضمناً حسب القواعد السابقة على النحو التالي:
- يخرج نصيب الزوجة (الرابع) إن وجدت.
- المتبقي للأب وإذا لم يوجد أب يوزع المتبقي حسب عرف البلد أو ما ينص عليه التشريع (قانون).
- الحالة الثانية: السدس للأم إن كان للمورث أخوة والمتبقي يوزع ضمناً حسب القواعد السابقة بالتالي:
- الربع للزوجة إن وجدت ويخرج أولاً.
- الإخوة ذكوراً وإناثاً للذكر مثل حظ الأنثيين.
- فإن كن فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك والثلث للذكر وإن تعدد.
- إن كانت واحدة فلها النصف والنصف الآخر للذكر وإن تعدد.

• إن كانوا أخوة ذكوراً دون إناث فيقسم بينهم بالتساوي.

ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد وفيه الآتي:

- النصف للزوج من الزوجة المتوفاة إن لم يكن للزوجة ولد ذكر أو أنثى والمتبقي من التركة يقسم ضمناً حسب القواعد السابقة على النحو التالي:
- للأبوين أو أحدهما وإن علا - الأم - الثلث - والأب - الثلثين.
- وإذا لم يوجد الأبوين يقسم المتبقي للأخوة كلاله.
- وإذا لم يوجد أخوة يقسم حسب عرف البلد أو ما ينص عليه التشريع (القانون).

فإن كان لهن ولد فلكن الربع مما تركن وفيه الآتي:

- الربع للزوج من الزوجة المتوفاة إن كان لها ولد ذكر أو أنثى والمتبقي من التركة يقسم ضمناً بين الأولاد، حسب القواعد السابقة على النحو التالي:
- للذكر وإن تعدد، مثل حظ الأنثيين.
- إن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك - والثلث المتبقي للذكر وإن تعدد.
- إن كانت واحدة فلها النصف - والنصف المتبقي للذكر وإن تعدد.
- إذا كان الورثة ذكوراً فقط يقسم بينهم بالتساوي.

ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد وفيه الآتي:

- الربع للزوجة من الزوج المتوفي إن لم يكن له ولد ذكر أو أنثى والمتبقي من التركة يقسم ضمناً، بالتالي:
- إذا وجد للمتوفى أبوين فلأم الثلث - ولأب الثلثين.
- إذا لم يوجد للمتوفى أبوين يقسم كلاله للأخوة.
- وإذا لم يوجد أخوة فيقسم المتبقي حسب عرف البلد أو ما ينص عليه التشريع (القانون).

فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم وفيه الآتي:

- الثمن للزوجة الواحدة من الزوج المتوفي إن كان له ولد ذكر أو أنثى والمتبقي يقسم بين الأولاد، بالتالي:
- للذكر وإن تعدد مثل حظ الأنثيين.
- إن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك - والثلث المتبقي للذكر وإن تعدد.
- إن كانت واحدة فلها النصف - والنصف المتبقي للذكر وإن تعدد.

8-12 حالة الإرث كلاله، بنص الآية (12) من سورة النساء:

التعريف والمشروعية: يقصد به الرجل أو المرأة يتوفيان كلاله بدون اصل أو فرع وارث وله أخ أو اخت بقوله تعالى: ﴿... وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ

أُخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ، (النساء: 12)، وفيه الآتي:

- السدس من تركة المتوفي كلاله سواء كان رجلاً أو امرأة، للأخ الذكر الواحد أو للأخت الواحدة.
- ثلث تركة المتوفي كلاله سواء كان رجل أو امرأة إذا كان له أكثر من أخوة ذكور وإناث يقسم بينهم بالتساوي من كونهم شركاء في الثلث. ك
- والمتبقي من التركة يوزع حسب عرف البلد أو ما ينص عليه التشريع (قانون).

9-12 حالة الإرث كلاله بنص الآية (176) من سورة النساء.

التعريف والمشروعية: يقصد بالإرث كلاله هنا الإنسان ذكراً أو أنثى لم يتزوجا وليس لهما أصل أو فرع وارث وتتطابق هذه الحالة غالباً على الأشخاص الذين يعيشون في المجتمعات الغير مستقرة مثل الاعراب من البدو والرحل والعجر عابري الحدود وهم غير مستقرين حسب ما سبق ايضاحه وغيرهم، بقول الله سُبحَانَهُ: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتُ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلَثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، (النساء: 176)، وتقسم التركة على النحو التالي:

- النصف للأخت الواحدة مما ترك أخوها المتوفي كلاله والنصف المتبقي يقسم حسب عرف البلد أو ما ينص عليه التشريع (قانون).
- الأخ يرث تركة أخته المتوفية كلاله كاملاً إذا لم يكن لها ولد.
- الثلثان للأختين الاثنتين من تركة المتوفي لأمرؤ (رجل أو امرأة) هلك ليس له ولد، والثلث الباقي للأخ الذكر وإن تعدد، وإذا لم يوجد فيوزع حسب عرف البلد أو ما ينص عليه التشريع (قانون).
- إذا كان امرؤ هلك ذكر أو انثى ليس له ولد وله إخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين حسب القاعدة السابقة.

وفي حالة ما يكون المتوفي كلاله عن إخوة ذكور فقط فتقسم التركة بينهم بالتساوي، حسب ما تضمنه النص أو بحسب العرف في المكان والزمان أو بوجب تشريع خاص بذلك (قانون).

وأخيراً، فهذا أنصبة وفروض المواريث حددها الله - سبحانه وتعالى - بالقرآن الكريم تحديداً مفصلاً، غير أن جماعة التحريف أدخلت في المواريث وعبر أحاديث العنينة والقلقلة كثير من الأحكام والأنصبة نقلاً عن العقائد القديمة والتشريعات الإنسانية، ومنها عملوا بالآتي:

- 1- عطلوا الوصية لذوي القربى وقصروها لغير الوارث بالثلث بالمخالفة للقرآن الكريم الذي جوزها لذوي القربى من الوالدين والأقربين بالمعروف، وهو ما يعد تعطيلاً لحكم الله - سبحانه وتعالى -، قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾، (البقرة: 180).
- 2- جعلوا من اختلاف الدين سبباً في منع الميراث بالمخالفة للقرآن الكريم الذي شرع الميراث بذوي القربى بالولادة من النسب أو بالمصاهرة بين الاصل وفروعه، والعكس حسب ما جاء بالآيات حتى وان كانت هذه القرابة مخالفة للدين.
- 3- أدخلوا تشريعات ما لم يأذن بها الله - سبحانه وتعالى -، واقتبسوها من شريعة التلمود اليهودي، ومن فقه القانون الروماني - منها على سبيل المثال العصبية والتعصيب - والحجب - والعول - والرد - حسب ما بيّناه في استعراض التلمود ومدونة جوستنيان في القانون الروماني.
- 4- عطلوا حقوق أولو قرابة المتوفي من اليتامى - والمساكين والضعفاء من التركة حسب ما ذكرنا سابقاً بالآية.

الفصل الثالث عشر

فقه المرأة - الأنثى أصل النفس والتكاثر

مدخل:

أورد الحق - سبحانه وتعالى - جملة من القواعد الأساسية في القرآن الكريم للتعريف بالمرأة اعترافاً بأهمية هذا المخلوق، وجعل منها أساس التكاثر وسبب خلق الأنفس، وأكمل فيها صفات الخلق كجنس ونوع كامل التكوين، وخصّها بضوابط جعلها حدوداً لله - سبحانه وتعالى -، لا يجوز تجاوزها وحقوق ثابتة ألزم بأدائها بالمعروف وزاد إليها بالإحسان، فكانت وما زالت الأنثى (المرأة) مخلوقاً مميزاً عن الذكر ولها من الحقوق ما يفوق حقوق الذكر (الرجل) حسب كلام الله القرآن الكريم.

1-13 خلق آدم الأنثى - وزوجه:

بيّن الله - سبحانه وتعالى - خلق آدم وزوجه عليهما الصّلاة والسّلام كحالة فريدة عن جميع المخلوقات فذكر في القرآن الكريم بقوله الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ (28) ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾، (الحجر: 29)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾، (الرحمن: 14)، وَأَسْكَنَ آدَمَ وَزَوْجَهُ الْجَنَّةَ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، (البقرة: 35).

فالخطاب المراد في هذه الآيات جاء للتعريف بكيفية خلق آدم وزوجه ونفخ الروح فيهما والتعريف بهما كحالة واحدة في الخلق دون انفصال، كما أوضح مراحل خلقهما حسب ما جاء في آيات الذكر الحكيم، إذ خلقا من الماء متعدد التكوين، ثم من تراب، ثم من طين، ثم من صلصال من حماء مسنون ونفخ فيه من روحه... إلخ وقد سبق بيان هذا الموضوع بعنوان مستقل في بداية الجزء الثاني وتكرر، فجاء هذا الكلام على عكس ما تقولوا به في كتب الأديان القديمة، من أن الأنثى خلقت من ضلع آدم الذكر وأن الأنثى (المرأة) أخذت من أمر الرجل وأطلق عليها اسم حواء لكونها أم لكل حي، وهي من أغوت الذكر بالخطيئة فكانت سبباً في إخراجها من الجنة، فهذا الكلام وغيره يجانب الصواب وغير دقيق وفيه من الخطأ الكبير، بل هو من أقاويل الأساطير والأكاذيب التي وردت بالفكر والتراث البابلي القديم ونقل للفكر الديني اليهودي في تورااة العبرانيين والتلمود والمدارش وكتاب آدم وحواء، ودس بعض منه بفكر الصابئة المندائية عبر سلسلة من التحريفات، وصولاً لفكر المذاهب الإسلامية وهنا نكتفي بذكر بعض التحريف الحاصل في تورااة العبرانيين بالآتي:

- (21)- فأوقع الرب الإله سباتاً على آدم فنام، فأخذ واحدة من أضلاعه وملاً مكانها لحماً.
- 22 وبني الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة، وأحضرها إلى آدم. 23 فقال آدم:

«هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي. هذه تدعى امرأة، لأنها من امرئ أخذت».
(سفر التكوين).

• (4) فقالت الحية للمرأة: «لن تموتا! 5، بل الله عالم أنه يوم، تأكلان منه تنفتح أعينكما، وتكونان كالله عارفين الخير والشر». (سفر التكوين).

• (12) فقال آدم: «المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت». 13 فقال الرب الإله للمرأة: «ما هذا الذي فعلت؟» فقالت المرأة: «الحية غرتني فأكلت». (سفر التكوين).

• (16) وقال للمرأة: «تكثريراً أكثر أتعاب حبلك، بالوجع تلدين أولاداً. وإلى رجلك يكون اشتياقك، وهو يسود عليك». (سفر التكوين).

• (لنتعلم المرأة بسكوت في كل خضوع. 12 ولكن لست آذن للمرأة أن تعلم ولا تتسلط على الرجل، بل تكون في سكوت، 13 لأن آدم جبل أولاً ثم حواء، 14 وآدم لم يغو، لكن المرأة أغويت فحصلت في التعدي. (تيموثاوس الأولى).

وعن فعل السببية في المعصية والغواية كان بفعل إبليس بالآية: قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَازَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾، (البقرة: 36)، وآية أخرى عن فعل المعصية قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾، (طه: 121)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَدَلَاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾، (الأعراف: 22)، فالآيات السابقة تتحدث عن فعل المثني لشخصين بالقول "فأزلهما" "فدلاهما" "فأخرجهما" "ذاقا" "سواتهما" "وناداهما" فأكلا " فهذه الكلمات تدل على أن لفظ الغواية قصد به شخصين هما آدم وزوجه، واختتمت الآية الأخيرة باللفظ التالي (وعصى آدم ربه فغوى) فبيّن أن فعل المعصية كان بفعل السببية من إبليس لآدم وهو اسم علم للزوجين الذكر والأنثى، غير أن الاسم المشاع للأنثى (حواء) جاء من كتب الفكر الديني اليهودي والصابي وبإسم وظيفي يختص بالأمومة فقط وهو خطأ كبير في جعل أم الإنسان أم لكل الأحياء في الأرض من بشر، وحيوانات، ونبات، وحشرات وغيره، حسب ما جاء بسفرة التكوين النص التالي (20 - ودعا آدم اسم امرأته «حواء» لأنها أم كل حي)، فهل يصح القول إن حواء أم لكل هؤلاء؟

13-2 الأنثى أصل تكاثر النفس الإنساني:

وعن التعريف الأقرب لنوع وجنس الخلق الأول الذي ورد بلفظ (آدم وزوجك)، في كلام الله - سبحانه - القرآن الكريم فيفقه من أن آدم الأنثى كانت هي سبب نشأة خلق الإنسان وتكاثره، حسب ما ورد في أول سورة النساء الذي يخاطب الناس جميعاً للتعريف بأساس خلقهم بقوله (وخلق) على قاعدة واحدة من التساوي بين الذكر والأنثى، ثم جاءت آية أخرى

من سورة الأعراف الآية (189) ليعرفنا بذكورية زوج آدم الأنثى بلفظ واضح وصريح بقوله (وجعل) وكلا اللفظين لهما وظيفة حسب موقعهما من الجملة نوضحها بالاتي:

أولاً: وظيفة الفعل (وخلق) حسب الآية قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً...﴾، (النساء: 1)، ففي هذه الآية يتكرر فعل الخلق مرتين، المرة الأولى حول خلق الناس جميعاً بقصد التعريف بمآلة خلقهم من نفس واحدة وهو طور جديد بجانب نفخ الروح، والخلق الثاني حول فعل خلق النفس ابتداءً، وخلق منها زوجها، وقد أضيف حرف (و) للفعل (خلق) فجاء فعل الخلق الثاني مضاف لفعل الخلق الأول، فكان الخلق بأمر الكينونة (كن) الذي أنفرد به الله سبحانه وتعالى، إذ كان فعل الخلق حادثاً وجديداً، وأن أمر الكينونة من أوامر الله سبحانه وتعالى المنفردة به والمتصلة بذاته، وقد سبق بحث هذا الموضوع ببحث مستقل في الجزء الثاني من هذا المؤلف ونعيد نسخ بعض الآيات المتصلة بهذا الموضوع للأهمية قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، (يس: 82)، وآية أخرى بنفس السياق قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، (النحل: 40).

إذاً فإن لفظ أو فعل (وخلق) أتصل أو ارتبط بأمر الكينونة، وهو فعل منفرد ومعلوم بذات الله سبحانه والإيمان به مطلوب، ويتوقف عنده البحث عن الكيفية التي يحاكيها العقل، فيصدقها العلم بأبحاثه فتدرك نشأة الخلق الأول، كحقائق دعاء لتأملها القرآن في أكثر من متني آية متفرقة في سور القرآن الكريم.

ومن هذا الكم الهائل من آيات الخلق، التي لم يكن ذكرها لمجرد خاطرة للتعجب، بل كان ذكرها مرتبط بدرجة رئيسة بالتعقل والتفكير والبحث العلمي والإدراك ببصر وبصيرة، ليس ذلك بل ظهر أسلوب التحدي في الخلق مع البيان حول فعل الإنسان المستقبلي في بلوغ العلم والمعرفة بحقيقة النشأة الأولى في الخلق، وهو ما يجري حالياً في مراكز البحوث العلمية حول العالم بشأن الاستنساخ والتعديل الوراثي وتخليق الأجنة وتحديد أنواعها، وقد بدأ عملياً بعض من تلك التجارب والأبحاث على الأنعام والنبات، وليس بمستغرب أن تنتقل هذه البحوث إلى العلم بخلق الإنسان من أجل إشباع نهم المعرفة لديه، وهكذا فإن مضمون الآية الأولى من سورة النساء وورود فعل (الخلق) فيها بالآية قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً...﴾، (النساء: 1). فأنما يفقه من الآية أن النفس الواحدة المخلوقة كانت هي أساس الخلق الأول ومنها كان خلق زوجها على قاعدة واحدة من التساوي في خلق النفس، ومعلوم بديهي أن الأنثى هي التي تقوم بوظيفة التناسل (الخلق) عبر مراحل متعددة من التكوين في رحم الأم ابتداءً من الحمل (نطفة – مضغة – علقة – عظام – لحم – خلق) ثم مرحلة الولادة والرضاعة، فكان خلق الناس جميعاً يمر عبر هذه المراحل وعبر قناة واحدة ألا ما استثنى ك (خلق آدم وعيسى)، حيث يستحيل القول أن الذكر يقوم بهذه الوظائف من الحمل والولادة والرضاعة بمفهومها العملي والعلمي، واما القول أن المسالة تكاملية بين الأنثى والذكر، فهذا القول صحيح في مسالة التكاثر والتناسل

وبما يتوافق مع فعل السببية، غير أن المعرفة بأساس النشأة الأولى في خلق الإنسان يرجع بتقديري لأمر الكينونة وفعل السببية معا فكان خلق النفس الأولى هو آدم الأنثى وخلق منها زوجها آدم الذكر على نفس قاعدة الخلق وبالتساوي بينهما، ألا أنه اعطى ميزة أعلى للأنثى وظيفياً لكونها السبب الرئيسي في الخلق.

ثانياً: وظيفة الفعل أو اللفظ (وجعل) حسب ما جاء بالآية (189) من سورة الأعراف، إذ إن الفعل أو اللفظ (وجعل) ورد لبيان نوع الخلق المتصل بالنفس الأولى بقصد التمييز والتعريف بجنسه من كونه الذكر ثم أوضح بنفس الآية عن وظيفة الذكر في تلقيح الخلق الأول آدم الأنثى قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَالِحًا لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّكْرِينَ﴾، (الأعراف: 189)، وعلينا التأمل كثيراً حول دلالة المعنى من هذه الآية التي جاءت بالترتيب المحكم والمبين لكيفية الخلق الأول وتكاثره بفعل السببية ابتداء بجعل الأنثى أساس للخلق الأول، من خلال فهم (فقه) لفظ الآية صراحة وضمناً بالقول وهو الذي خلقكم من نفس واحدة ويقصد بالنفس الواحدة (الأنثى) كما سبق إيضاحه لميزة التناسل وليس لميزة التفاضل فكانت الأنثى أساس الخلق والتناسل، ثم أردف بالقول (وجعل) منها زوجها ويقصد الذكر من خلال فقه اللفظ بصورة تلقائية (الذكر) ومن الملاحظ أن لفظ – (وجعل) غير اللفظ – (وخلق) فالخلق فعل حادث وجديد وصادر عن الله سبحانه بفعل الكينونة كن فكان حسب ما سبق الإشارة إليه، بينما لفظ أو فعل (وجعل) جاء لتحديد جنس ونوع المخلوق الثاني المميز كجنس آخر وهو الذكر ولا يمكن أن يكون غير الذكر، وهو ما يفهم صراحة وضمناً، من أجل التمييز فكان سبب خلقه يرتكز على عامل الكينونة والمشية، ويفقه من مدلول اللفظ وجعل منها زوجها الذكر حسب هذه الآية، وهو ما يذكر من لفظ الآيات الميسرة من كلام الله سبحانه وتعالى.

وفي نفس السياق لم تتوقف الآية عند ذلك بل ذهب لبيان كيفية عملية التكاثر والتناسل التي تقوم بها الأنثى بفعل السببية عندما يسكن إليها الذكر فيتغشاها بالزواج فتتلحق وتحمل في بطنها حملاً خفيفاً، فلما أثقلت بالحمل لتلد دعوا الله ربهما والدعاء هنا كان من قبل شخصين اثنين هما الأنثى والذكر وهو ما يفهم (يفقه) من خلال القراءة العادية بتأني من دون تأويل أو تفسير، فمن هذه الآيات التي صيغت بترتيب محكم في بيان الخلق، نفهم (نفقه) منها، كيفية تتابع خلق الإنسان المبتدأ من نفس واحد وكانت هذه النفس أساساً أو قاعدة لخلق زوجها بفعل أمر الكينونة والمشية ثم جعل منها زوجها، فتناسلت النفس بتكاثر الأنفس الأخرى بالزواج (تغشاها) بفعل السببية، ومعلوم أن التناسل وظيفة خاصة بالأنثى، وذكر خلق الناس كل الناس ومآلهم إلى نفس واحدة ثم أورد بالقول وخلق منها زوجها، وميزها بالقول وجعل منها زوجها، والزواج هنا هو الذكر والهاء ضمير يعود على الأنثى، وهي أصل تكاثر النفس الإنساني التي يأتي الذكر منها أو بسببها، وللتوضيح أكثر حول لفظ زوجها على أنه دال على الذكر، سوف أسرد لكم من كلام الله في بداية سورة المجادلة، بقوله سُبْحَانَهُ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا....﴾، (المجادلة: 1)، وهو كلام واضح وصريح لتمييز اللفظ المقصود بزواجها من

حيث الجنس (النوع) حسب ما سبق، وهذا ما يؤكد على أن الذكر كان مخلوق عن الأنثى أو بسببها بأمر الكينونة الصادر عن الخالق، ومن كون الأنثى هي أساس تناسل ذاتها وتناسل غيرها، وأصبحت مسألة التكاثر في النفس البشرية من سنن الله الثابتة في الحياة، وعلى أثر ذلك نستنتج قاعدة أساسية في الخلق الأول وهي: (الذكر مثل الأنثى ولا يتساوى بها) وتكاد تتطابق هذه القاعدة مع قاعدة توزيع أنصبة الموارث بالآية: (للذكر مثل حظ الانثيين)، ولذلك فقد خصَّ الله الأنثى ببعض التعاليم والأحكام، والخصائص التي تنظم حياتها بصورة مستقلة عن الذكر الذي لم يحظ بمثلها من النصوص المنظمة، وهو ما يسمى في هذا الكتاب بحقوق المرأة، أو فقه المرأة (الانثى) في الحياة، لأهمية هذا المخلوق في بقاء الجنس والنوع البشري على كوكب الأرض.

ولمزيد من التوضيح والتأكيد لبيان حقيقة نوع الخلق الأول فإن ما يفهم من مدلول هاتين الآيتين أن ذكر النفس دون تمييز في الجنس وكأصل واحد للأنثى والذكر، وعند ذكر الجنس ذكر الذكر صراحة بقوله (زوجها) في كلا الآيتين السابقتين، وقد يقول قائل بذكورية آدم من خلال آيات أخرى كما في الآية قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿... وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾، (طه: 121)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾، (البقرة: 37)، أو الآية قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَسِيٍّ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾، (طه: 115)، واللفظين في الآيات السابقة (وعصى - عليه - وله) لا يقصد منه التمييز لجنس عن آخر بل يقصد منه الإشارة لاسم علم للمذكر والمؤنث معاً، وهو ما أرجحه.

أضف للحقائق العلمية حول وظائف أعضاء جسم الإنسان، وتبين أن خلق الأنثى الجسدي أكمل وظيفياً من جسد الذكر، ليس ذلك بل وتنفرد بوظائف وصفات وميزات خاصة تتفوق فيها عن الذكر في الإخصاب والتناسل للنفس الإنساني، فالأنثى تولد جنسها وتولد الذكر، وجاء علم الوراثة الأنثروبولوجي وأكد على أن الأنثى تحمل صفات وراثية (X X) بينما الذكر يحمل صفات وراثية (XY)، (1) وكما قلنا أن الأنثى أكمل جسدياً من الذكر وهو ما يفقه عملياً من خلال مؤشرات آيات القرآن العظيم الذي خلق الأنثى كأصل لتكاثر الجنس الإنساني وتحدث عنها بعدد من الصفات والميزات، ومن كون الأنثى هي الأكمل في الخلق، وهي مصدر الخصوبة المعبر عنها بالمحيض وهي رمز العطاء المعبر عنها بالرضاعة، وهي أصل التكاثر والتناسل في توليد نفسها وتوليد غيرها الذكر إذ تتم مراحل الخلق في بطنها ابتداء بمراحل التكوين والتتابع من خلق إلى خلق (المضغة - ثم علقه - ثم أجنة) وهكذا، ثم يتم بث الحياة (النفس) في إحدى مراحل الخلق والتكوين في رحمها، ثم مرحلة الحمل التي تستمر تسعة أشهر أو أقل أو أكثر ويتغذى الجنين من جسم الأم خلال فترة الحمل عبر تقنية فائقة الدقة، حتى يصير خلقاً آخر، وكل هذه المراحل من التخلق والتكوين والخلق تتم في بطن الأم، ثم الولادة وهي مرحلة جديدة من الحياة ثم تبدأ مرحلة الرضاعة والأمومة والتعليم الأولى وهكذا، وكل هذه المراحل تنفرد بها الأنثى عن الذكر وهي من حقوقها الطبيعية، ومن خصائصها المتصلة بها دون غيرها، ولا يقدر الذكر على القيام بها، فالذكر لا يعرف دورة الإنجاب ولا

(1) انظر الجينات والشعوب واللغات / لويجي لوقا كافللي - ترجمة د. أحمد مستجير 2004م

يتصف بالخصوبة والحمل والولادة والأمومة والرضاعة، فهو يتميز بإفراز السائل المنوي الذكري لتلقيح بويضة الأنثى، بالإضافة للعضلات المقتولة والقوة والقدرة لتحمل المشاق وهذه الميزات هي الغالب على الذكر لكنها ليست حكرًا عليه، وقد تتميز ببعضها الأنثى أيضاً من حيث قيامها بالأعمال وتحمل المشاق في الحياة والقوامة، ثم تأتي لبيان الآية من كلام الله سبحانه - ترجمة لكيفية الخلق الذي يبدأ من نطفة من مني ذكوري بفعل السببية، ثم بيان كيف بدا الخلق بالتشكل في رحم الأنثى من العلقة ثم من مضغة حسب ما تبينه هذه الآية وغيرها قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبُعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرَّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُّتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُّرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً...﴾، (الحج: 5)، وآيات أخرى بنفس السياق قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً وَمِنْكُمْ مَّنْ يُّتَوَفَّىٰ مِنْ قَبْلٍ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، (غافر: 67)، وَقَالَ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾، (القيامة: 38).

وقد وردت آيات متعددة تتحدث عن خلق الإنسان من نطفة كدليل على أهمية الذكورة في التلقيح ومعلوم أن النطفة تأتي ناتج عن اتصال جنسي فيتشكل الخلق من مراحل متعددة حسب الآية سالفة الذكر، أو حسب ما هو حاصل اليوم عبر التلقيح الاصطناعي عبر ما يسمى (أطفال الأنابيب) وتبدأ مرحلة التشكل الأول وتعرف بمراحل الخلق ابتداءً، ثم الحمل بمراحله المتعددة، ثم الولادة، ثم يكون رضيع ثم طفلاً حتى يفطم، ثم يصبح غلاماً، وكل هذه الخطوات جاء بوصفها من كلام الله سبحانه وذكر ترتيب الخلق، فكانت تلك من الخصائص المتصلة بالأمومة وهي من الحقوق الأساسية للأنثى، إذ كانت موضع اهتمام من الخالق في الكثير من قواعد التشريعات المنظمة لحياتها، وكانت هذه التشريعات بمثابة قواعد أمر لتتبع حقوق قانونية خاصة بالأنثى حسب حدود لا يسمح بتجاوزها، وهو ما جعلها تتميز بحقوق عن الذكر، من كونها المصدر الأول للخلق والتناسل، ولا تحتاج معها للجدل الزائد، ومن كونها حقائق طبيعية وثابتة في الحياة وراسخة من الناحية العملية والعلمية وهناك من الآيات الكثيرة حول تفاصيل الخلق الأول والنشأة الأولى في خلقية الإنسان المبتدأ بالأنثى كمصدر أساسي في الخلق والتناسل ومنها هذه الآية التي تكرر فيها فعل الخلق مرات عدة زيادة للتأكيد، ومعلوم أن فعل الخلق كان أمراً حادثاً وجديداً بفعل أمر الكينونة وفعل السببية وهو ما يفقه من مدلول قول الله تَعَالَى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾، (المؤمنون: 14). فكانت هذه المراحل من الخلق والنشأة الأولى متصلة بالأنثى، وهناك آيات أخرى متصلة بالأمومة نذكر منها ما تيسر، قَالَ تَعَالَى: ﴿... يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَىٰ نُصْرَفُونَ﴾، (الزمر: 6)، آية أخرى قَالَ تَعَالَى: ﴿... هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُرْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾، (النجم: 32)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ

شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، (النحل: 78)، وأخيراً نجد أن خلق الإنسان النسل المتعدد من ذكرٍ وأنثى وبث منهم رجالاً كثيراً ونساء، كان بدء خلقه من علة متصلة بالأنثى قَالَ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾، (العلق: 2).

وقد توصل علماء بني الإنسان في الوقت الراهن إلى التمييز في الخلق بجعل المخلوق ذكراً أو أنثى قد نجح في تحديد جنس الطفل المراد ولادته ويكون ذلك بالولادة الطبيعية من الأم الأصلية أو من الأم المستأجرة أو عبر حاضنات اصطناعية وقد أنشأوا بنوكاً خاصة للبويضات والسائل المنوي بكميات هائلة وهو ما يسهل عملية ولادة الإنسان بصورة جماعية وتدخلوا في تعديله وراثياً عبر التدخل في الخريطة الجينية للسلالة البشرية المطلوبة، وبذلك سوف يولد بشراً من الناس من دون أمومة ومن دون ولادة طبيعية، فهذا العمل وعلى الرغم من ضخامته كحدث علمي كبير ألا أنهم لا يستطيعون صناعة قاعدة الخلق الأساسية للبويضة أو الحيوان المنوي ومع كل هذا وذاك فإن هذا العمل أو الحدث العلمي أن صحَّ يعتبر عملاً غير أخلاقي بل ويعد تدخلاً سافراً في خلق الله سبحانه وخلل في منظومة الخلق الطبيعي للبشر وسيكون له عواقب وخيمة على الحياة على الرغم من ضخامة هذا الحدث العلمي وقد أشار إليه القرآن الكريم سبق التطرق إليها.

13-3 عناية واهتمام:

وزيادة في الاهتمام بالأنثى فقد خصها الله سبحانه وتعالى بالكثير من آيات القرآن الكريم في تنظيم شؤون حياتها من حيث تنظيم ثيابها وظهورها على العامة، ويدها العليا في ميثاق الزواج، وقدرها الكبير في مسألة القوامة، وكذا تشريع أحكام وآيات جلعت منها قواعد وحدود لا يجوز تجاوزها وتتعلق بتنظيم شؤون حياتها، وعلاقتها مع الذكر في الزواج والطلاق، وحظها المميز في أنصبة الموارث، كل هذه وغيره عناوين تم بحثها وتوضيحها بصورة مستقلة في هذا الجزء الثاني من المؤلف يمكن الرجوع إليها خشية الإطالة هذه الميزات الكثيرة حقاً طبيعياً للأنثى تميّزها وتنفرد بها عن الذكر لأهمية هذا المخلوق (الأنثى) من نواحي عدة متصلة بوظيفة الخلق والتناسل والحفاظ على النوع البشري واستمراره في الحياة، فكانت الأنثى رمز الخصوبة والوفرة وتتشكل مادة خلق الإنسان في رحمها بمراحلها المتعددة وتبث حياة النفس في رحم الأم، وهي الأنثى الحامل وهي الأنثى الوالدة، وهي الأم المرضعة، وهي الأم الحاضنة، وهي الأم المربية، وهي الأم المعلمة الأمرة وهي الأم الحاكمة، وعلى أثر ذلك فقد استمرت الأنثى متصدرة مشهد الحياة لقرون عديدة منذ بداية الزمن الأول وأصبحت الأنثى رمزا لآلهة الخصوبة والوفرة والتناسل، ورمزا لآلهة الحب والجمال لدى العصور القديمة الأولى، وظهرت الأنثى كآلهة لدى حضارة بلاد ما وراء النهرين (بابل) عشتار، وحضارة مصر، وحضارة اليونان، وجزيرة كريت، وحضارة الهند، وسكان استراليا الأصليين، وسكان أفريقيا وأغلب الحضارات الإنسانية القديمة حسب شواهد من التاريخ وعلم الآثار التي تتحدث عن الأنثى كآلهة للخصوبة والنماء وقد سردت عنها الحكايات والقصص والأساطير في

النقوش الأثرية وكتب عنها في كتب التراث الإنساني القديم، وبعد فترة من الزمن القديم تحولت إلى آلهة تعبد رمزاً لعطائها ووفرتها.

وعن ذكر الأنثى في علم الآثار والتاريخ القديم فقد وجد أن الأنثى كانت آلهة تعبد وقد ظهر تجسيدها كآلهة في الأساطير القديمة والنقوش الأثرية، حيث كانت تعبد من قبل الكثير من الشعوب القديمة، فتم بناء دور عبادة خاصاً صممت أشكالها الهندسية برموز تحاكي الأنثى من حيث العطاء والوفرة فكانت شكل القباب المبنية على أسطح دور العبادة توحى لرمزية عطاء الأنثى، فانتشرت دور العبادة على هذا النمط في كل المعتقدات والأديان وما زال الكثير منها حتى يومنا هذا، وهي الأم الآلهة التي ترمز للوفرة، وهي من تلد الحياة، وهي من تمثل الخير والعطاء والنماء وهي آلهة الخصب وهي من تمثل النور والضياء.

4-13 إهدار كيان:

وفي غفلة من الزمن سيطر الذكر على مجمل الحياة خاصة بفترة تطويع الإنسان للنحاس والحديد واستخدامه في الصيد، والزراعة فظهرت معه الملكية والتملك، ثم بدأ الرجل يتوسع في الملكية والاستحواذ، ثم قام بشن الحروب على بعضهم البعض من أجل الغزو والسيطرة، فتراجعت مكانة الانثى وأصبحت تابعاً للرجل، بل وكانت تسبى في الحروب وتغتصب وتباع في الأسواق، وأصبح الرجل هو المسيطر على الدوام وحتى يومنا هذا، ودست نصوص الذكورة وشيطنة المرأة في كتب الفكر الديني والإنساني وفي الأساطير القديمة- البابلية – والمصرية – واليونانية وغيرها، وكذلك في كتب العهد القديم – توراة العبرانيين التي حطت من قيمة المرأة وجعلتها مصدر الخطية والرذيلة، بل ومصدر الشر وألصق بها كل عورة وإعوجاج ونجاسة، وجعل منها وعاءاً للشهوة بتعدد الزواج منها، وحرمها من الميراث إلا النزر اليسير وجعلها من الأشياء التي تسبى في الحروب، فظهر ذلك في نصوص الفكر الديني القديم اليهودية فقد طبقوا عليها أبشع العقوبات، وجاء من بعدهم كتب الأديان والعقائد الأخرى فكانت واضحة في تسفيه المرأة وجعلها ملحق بالذكر بل وضمن مقتنياته الخاصة بل وتدفن حية، كما في بعض عادات وطقوس الهندوس، ثم دون في كتب فقه المذاهب الإسلامية نفس فكر الأديان القديمة، فساووا بين المرأة والدابة وجعلها محل تطير وشوم واستنقص حقوقها في الميراث، وشرعوا التعدد في زواجها، وغيره من العسف والتعسف، حتى وصل ببعض المذاهب إلى منع المرأة من أبسط حقوقها المدنية، مع أن القرآن الكريم أعطى للمرأة حقوقها وميزها عن الرجل، كما أن التجارب الإنسانية تشهد أن الأنثى عندما تهىء لها الفرصة وتتولى القيادة فأنها ترسم أروع المآثر في البناء والعطاء، ومن الأمثلة الواردة عليهن كثير إلا أننا نستذكر ممن خلدن القرآن فضربن أروع الأمثلة في الكثير من الاحداث، ومنها قصة امرأة عمران وابنتها أم السيدة مريم أم السيد المسيح عليهم السلام، وأمرأة فرعون، كما أن هناك ملكات وحاكمات كانت لهن بصمة في التاريخ الإنساني القديم والحديث والمعاصر، أمثال لبث عشتار البابلية، وكيلوبترا المصرية، وانجيلا ميركل الالمانية واليزابيت ملكة بريطانيا، والحقيقة المسلّم بها والتي ثبت في التاريخ أن الحكم والحاكمة السياسية في أي بلد تتولها

المرأة تكون على الغالب أنموذج في الانضباط والسلم والأمن الاجتماعي، وقد ضرب الله سبحانه لتأكيد صحة هذا الاستنتاج، بجعل حاكمة سبأ أنموذج للحكم السياسي الأكمل والمثالي على الأرض، وهو دليل إرشادي للإنسان بجعل وظيفة الحكم والحاكمة من حق المرأة قصراً لأفضليتها عن الرجل، من كونها الأم التي تحمل كل معاني الحب والحنان والوفاء والحكمة وعدم التسرع في القرار وغير ذلك من قواعد وأسس بناء الاوطان وتعميرها، بعكس الرجل الذي دائماً ما يستخدم القوة والغلبة والبطش والحكم بيد من حديد.

وهناك من يقول أن الأنبياء والرسل كانوا من الذكور وتلك ميزة لم تحظ بها المرأة وهو قولٌ يجانب الصواب فلم تكن هذه ميزة ذكورية بقدر من كونها علامة على الكفر والجحود المتصل بالذكورة، إذ كان تعدد الأنبياء والرسل من أجل هداية الناس كل الناس وبالذات الذكر الذين كانوا أكثر عصياناً وجحوداً وكفراً وخروجاً عن قواعد التعليم الأولى المتلقي من آدم الأنثى، إذ يعزى للذكر أول فعل مجرم في التاريخ، تمثل بقتل (الذكر) لأخيه الإنسان (الذكر)، حسب ما تصوره هذه القصة من آيات القرآن الكريم قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَتَلْنَا نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُقْبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ، لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ، فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، (المائدة: 27، 28، 29، 30).

ولذلك فإن أغلب الرسل والأنبياء أرسلوا لأقوام وأشخاص كان الذكور أغلب من خرجوا عن جادة الصواب وعن الصراط المستقيم منهم الذين ذكروا في قصة قوم نوح وعاد وثمود والأحقاف وقوم تبع وأصحاب الرس، أو كالذي أتاه الله الملك في عهد سيدنا إبراهيم، وفرعون، واقوام آخرين كان الذكر هو المتصدر لمشهد الكفر والعصيان من الآيات التي أوضحت ذلك بصورة جلية، أما عن فعل المعصية الأولى في الجنة من قبل آدم والأنثى وآدم الذكر فلم تكن من أحدهما بل كانت من كليهما ذكر وأنثى بسبب فعل الغواية من إبليس لحكمة اقتضاها الله سبحانه وتعالى لكيهما وفقاً لخطاب المثني الواضح من خلال الآية بالاتي قَالَ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾، (طه: 121)، واختتم هذا العنوان بآية من القرآن عن المفاضلة في نوع الخلق لامرأة عمران عليها السلام قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَئِنْ الذَّكَرُ كَانَلَأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾، (آل عمران: 35، 36)، فشرف الله سبحانه بذكر مريم صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم لأكثر من ثلاثين مرة في آيات متفرقة وزاد الإنسانية كرماً أن أنجب منها السيد المسيح عيسى صلى الله عليه وسلم وكفى بالله وكيلاً.

13-5 المساواة في خطاب التكاليف-التعريف والمشروعية:

بَيَّنَ الله - سبحانه وتعالى - المساواة في الخطاب الإلهي للأنثى والذكر على حد سواء، وهي حقيقة واضحة من صيغة الخطاب الواحد دون تمييز في الجنس بقوله يا أيها الناس - كما ورد بصيغ أخرى يا أيها الذين آمنوا- وقد وردت في القرآن الكريم أكثر من مئتي مرة في مختلف الأوامر والتكاليف والشعائر والمناسك والعبادات، والوعظ والإرشاد والتوجيه والأعمال والأفعال والأقوال، ما يجعل حياة الفرد ذكراً كان أو أنثى حياة كريمة تسمو فيها قيم المساواة، ومتطلعة إلى رضا الله العزيز الحكيم حسب ما ورد في آيات الذكر الحكيم نذكر بعضاً منها على سبيل المثال بدءاً بالخطاب الموجه للناس بقوله تعالى في الآتي:

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، (البقرة: 21).
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالاً طَيِّباً...﴾، (البقرة: 168).
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ...﴾، (النساء: 170).
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً...﴾، (النساء: 174).
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ...﴾، (يونس: 57).
- ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي...﴾، (يونس: 104).
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ...﴾، (الحج: 1).
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ...﴾، (الحج: 5).
- ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ...﴾، (الحج: 49).
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ...﴾، (فاطر: 3).
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ...﴾، (فاطر: 15).
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى...﴾، (الحجرات: 13).

كما خاطب الله - سبحانه وتعالى - المؤمنين بحالتهم الإيمانية الاعتقادية دون تمييز في الجنس بين ذكر وانثى من خلال جملة من القرآن الكريم ولأكثر من مرة، نذكر بعضاً منها على سبيل المثال بقوله تعالى بالآتي:

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، (البقرة: 153).
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ...﴾، (البقرة: 183).
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، (آل عمران: 102).
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً...﴾، (آل عمران: 130).
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾، (النساء: 29).
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ...﴾، (المائدة: 35).
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ...﴾، (المائدة: 87).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾، (الأنفال: 20).
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، (الأنفال: 27).
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ﴾، (التوبة: 34).
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، (التوبة: 119).
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾، (الأحزاب: 41).
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾، (محمد: 33).
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾، (الصف: 2).

ومن بديع القرآن الكريم وحكمة الله - سبحانه - ورحمة الله سبحانه أنه خاطب الكافرين بصيغة الجمع، وبآية واحدة فقط في القرآن الكريم كله قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، (التحریم: 7).

تلك بعض من آيات الذكر الحكيم نستدل بها على وحدانية الخطاب المكلف به للناس وللمؤمنين جميعاً والموجه للأنثى والذكر على حد سواء، والذي أورد عدداً من الأوامر والنواهي والتكاليف موجه لهما دون تمييز إذن فالرجل والمرأة متساويان على حد سواء في التلقي ومتساويين في الأعمال، والأفعال والتكاليف متساويين في الولاية لبعضهم البعض، دون تفرقة بينهما نهائياً ومن ذلك يتبين لنا ان جميع الحقوق المدنية واحدة، ويجب أن تنظم على نسق واحد، وقاعدة واحدة، كما بين الله - سبحانه وتعالى - أن ألفاظ الخطاب في القرآن الكريم جاءت بصيغ متعددة منها، صيغة عموم الناس دون تمييز في الجنس، وصيغة أخرى لجماعة المؤمنين بحمل التكاليف وتلقي الوعظ، والإرشاد والتوجيه على السواء، ثم تدرج هذا الخطاب إلى أن وصل إلى تبني خطاب خاص بالأنثى والمرأة والنساء والأم والأخت والزوجة والبنات، وفيه من الخصوصية المتعلقة بحياتها، من كونها مخلوق مميز عن الذكر في بعض الوظائف، فخطبها ضمن جماعة المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، ثم خاطبها ضمن جماعة خاصة على نطاق أضيق بها، وبصيغ متعددة بلفظ يا نساء، ولفظ امرأه ولفظ زوجة، ولفظ أم، ولفظ اخت، وهكذا ما يدل على تمييزها وظيفياً على الذكر لأهمية هذا المخلوق، وهو ما سبق الإشارة إليه وبحسب ما سنبينه في الآيات التالية، نذكر منها على سبيل المثال بالآتي:

- لفظ المؤمنات والمسلمات: قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَمْرِونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، (التوبة: 71).
- وآية أخرى: قَالَ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ

وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً، (الأحزاب: 35).

- ولفظ نساء ورد أكثر من أربعين مرة تقريباً قالَ اللَّهُ تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾، (آل عمران: 42).
- وَ قَالَ سبحانه وتعالى ﴿اللرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً﴾، (النساء: 7).
- ولفظ امرأة أربع مرات: قَالَ اللَّهُ تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾، (النمل: 23).

وغيرها من الآيات على أن القرآن الكريم أولى اهتماماً خاصاً بالمرأة حسب ما سبق بيانه، بل وميزها عن الرجل في بعض الآيات وأعطاه رعاية خاصة واهتماماً خاصاً، وحقوق متفردة بها تفوق حقوق الرجل لأسباب موضوعية وطبيعية مرتبطة بخلقيتها منذ نشأة الخلق الأول، فأوجد لها قواعد أساسية بها كحقها في الأمومة والحضانة ومن كونها المعلم الأول، وقواعد عملية في بيان ثيابها ومظهرها العام، وقواعد في علاقاتها الاجتماعية من حيث طريقة خطبتها، والزواج منها، وقواعد في خدمتها وقوامتها، وقواعد بحقوقها المالية كالصداق والنفقة، وقواعد تميزها بحقوق تفوق الرجل في أنصبة الموارث.

وخلاصة القول: فأن أهم ما يميز المرأة الأم أدم الأنثى أنها أول معلم يعلم النشأة الأولى من علوم الحياة، وهي المتفردة بحقوق مميزة عن الرجل، فكان الأجدر بالمرأة القيام في كل التكاليف العامة وخاصة على سبيل المثال، مناصب السلطة الإدارية العليا، رئاسة الدولة، سواء كانت ملكية أو جمهورية، ورئاسة الحكومة أو الوزراء أو البرلمان أو القضاء، والمناصب العليا من كونها الأفضل من الرجل لوجود خصائص كثيرة تتوافر فيها مثل الحنان والحب والعاطفة الزائدة وهي من الخصائص التي ينبغي توافرها عند تولي مثل هذه المناصب من الحكم المدني للشعوب والأمم، ولكون الحزم والشدة والضرب بيد من حديد في قيادة الشعوب والأمم من قبل الذكر قد ثبت فشله على مر القرون والعصور الماضية، ولك أن تعدد الكم الهائل من الحروب التي شنها الذكر خلال تلك القرون خلفه مئات الملايين من القتلاء كان آخرها الحرب العالمية الأولى والثانية، والثالث على مشارف أبواب العالم ونسأل الله أن يطفئها.

13-6 الأسرة والحقوق الزوجية:

الأسرة نواة تشكل المجتمعات، والقبائل، والشعوب، والأمم، على مر التاريخ الإنساني والأسرة قوامها أفرادها وهم الأم (آدم الأنثى) والأب (آدم الذكر)، والأبناء ذكوراً وإناثاً، وما يتفرع عن ذلك، وقد تشكلت النواة الأولى للأسرة من ذرية آدم في كوكب جنة عدن في السماء ثم أهبطوا إلى الأرض وقد سبق بيانه ونعيده للتذكير من القرآن العظيم، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا:

﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ البقرة (38) فكان آدم والأنثى - الأم هي المتصدرة مشهد قيادة الأسرة، والأمومة والأبوة حق طبيعي لا يتجزأ أبداً وتنشأ العلاقة الزوجية بين رجل واحد وامرأة واحدة، حسب كلام الله سبحانه في القرآن المبين وبموجب رابطة من الميثاق يتعهد من خلاله الرجل وبما تملي عليه المرأة من أمور تتعلق بالمحافظة على العلاقة الزوجية مدى الحياة، ولتوضيح ذلك دعونا نبحث عن تنظيم العلاقة بين الرجل والمرأة من نواحٍ عدة، ابتداءً بمرحلة الخطبة ثم مرحلة الزواج ووضع آخر من العلاقة الاستثنائية يطلق عليها بالنكاح، ثم نخرج لقضايا أخرى.

13-7 خطبة النساء التعريف والمشروعية:

بين الله - سبحانه وتعالى - إباحة خطبة النساء على وجه العموم من قبل الرجل، والخطبة كما عرفها القرآن بأنها عرض، والعرض يكون من جانب الرجل، إذ يقوم الرجل بالتعريض بنفسه، وبحالته التي عليها من البنية الجسمانية والنفسية وأحواله المادية والمعنوية وتفاصيل أمور حياته بصدق دون أن يخفي عيب، ويكون العرض على المرأة بقصد خطبتها، والخطبة هي المرحلة التمهيدية التي تسبق الزواج، وعادتا ما تكون محددة بفترة قصيرة، من أجل أن تتأكد المخطوبة من صحة ودقة الغرض المقدم لها من قبل الرجل أو كليهما معاً، وقد تخطب المرأة الرجل وهو استثناء من القاعدة، ويعقب الخطبة مرحلة ثانية وهي طلب المرأة للزواج أو النكاح وإذا اختل أيٌّ من هذا العرض، فالخيار للمرأة في القبول أو الرفض، قَالَ جَلَّ فِي عِلَاهُ: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنْكُمْ سَنَدُكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُؤَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا...﴾، (البقرة: 235).

13-8 الزواج - التعريف والمشروعية:

التعريف والمشروعية: يعرف الزواج - أنه ثنائي التكوين بين شيئين مختلفين وهما، (الذكر - والأنثى) ويطلق عليهما (زوجين اثنين)، والزوجية لا تكون إلا بين شيئين مختلفين في الجنس أو النوع، ولفظ الزوجية حال وصفة ثابتة ومستقرة تطلق على جميع الكائنات الحية من الإنسان، والحيوان والنبات وغيره، وهو لفظ ومعنى متعارف عليه منذ القدم، فلا يصح القول مثلاً أن الزواج أو الزوجين، يكون بين ذكرين أو أنثيين فذلك شذوذ وخارج عن قاعد الزواج، أو بين ذكر واحد وعدد من الاناث، أو انثى واحدة وعدد من الذكور، فذلك أيضاً شذوذ وخارج عن قاعدة الزواج الإنساني وينطبق نوعاً ما على بعض أنواع مملكة الحيوان، ولا يمكن وصف هذه الحالات بالزوجية أو بالزواج بين الناس، وقد خلق الله سبحانه من كل شيء زوجين اثنين (ذكر) و(أنثى) حسب ما جاء، بقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، (الذاريات: 49).

إذن فتعريف الزواج لدى البشر هو العلاقة القائمة بين اثنين من جنسين مختلفين أنثى وذكر، نظمها كلام الله تعالى، فكان زواج (آدم الأنثى - بآدم الذكر) أول زواج بشري، إذ يعتبر

هذا الزواج قاعدة اساسية في علاقة الارتباط والتناسل بين الأنثى والذكر من بني الإنسان مدى الحياة، ويمثل حالة من الكمال، والنضج في العلاقة الإنسانية، وأعتبر نموذجاً للزواج منذ اللقاء الأول الذكر والأنثى، ويحتذي به كنموذج بين ذريتهم من بعدهم في مسيرة حياتهم الإنسانية، وإلى قيام الساعة، وقد أحاط الله - سبحانه هذا الزواج بعددٍ من الخصائص والصفات منها السكينة، والمودة، والرحمة، فكانت تلك من القواعد والحدود المنظمة للزواج، كما بين الله سبحانه، حال ووصف الزواج على العموم والخصوص، في الكثير من الآيات التي وردت في سور القرآن الكريم، فلنتعرف على بعض من تلك الآيات التي تبين قيام علاقة الرجل بالمرأة عن طريق الزواج، ابتداءً:

- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، (البقرة: 35)
- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، (الأعراف: 19).

- وعند التعريف بخلق النفس وتناسلها وتكاثرها، جعل من الزواج قاعدة لذلك ومن السكينة والمودة والرحمة قواعد متينة لهذه العلاقة قَالَ - سبحانه ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾، (الأعراف: 189).

- واقتضت سنة الله - سبحانه - في قيام قواعد الزواج على السكينة، والمودة والرحمة فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْتَزُّونَ﴾، (الروم: 21).

- وقال عز وجل: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبَنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾، (النحل: 72).

هذه هي القواعد الأساسية لقوام الزوجية في الحياة، ولا تتحقق إلا بين زوجين اثنين فقط، ولا يمكن أن تتحقق مع التعدد، وقد يقول قائل إن هذه القواعد قد لا تتحقق أيضاً مع حالة الزواج بين شخصين رجل وامرأة، وهذا القول قد يكون صحيح لكنه استثناء ولا يصل إلى حجم الضرر بتعدد الزواج، إذ إن التعدد يصيب العلاقة بالغيرة، والحقد والضغينة والكرهية، كما أن تعدد الزواج لا مشروعية له ولا يوجد من القرآن الكريم آية تبيح تعدد الزواج على الإطلاق، وفي الزواج وردت آية تبيح الاستبدال (زوج مكان زوج) وجعله من حق الرجل كما جعله أيضاً من حق المرأة، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾، (النساء: 20).

والآية واضح في إباحة استبدال زوج مكان زوج، إذا وصلت القناعة بينهما للانفصال (الطلاق)، فالخطاب للاستبدال موجه للذكر مثلما هو موجهه للأنثى على السواء، وهو ما يؤكد ضمناً وصراحة على عدم التعدد في الزواج، فإن القرآن المبين يجعل من الزواج يقوم على قواعد محددة سبق ذكرها، بالإضافة للقيام بالنفقة والقدرة على العلم والعمل والقوامة، خاصة وأن هذه القواعد يتعهد بها الرجل للمرأة، على هيئة ميثاق وصفه الله - سبحانه - بالغليظ للتعظيم، وعلى أساسه قبلت المرأة الرجل كزوج لها، وتعدد الزواج تنتفي القواعد الأساسية في الزواج والمشار إليها سابقاً.

إذَنْ فالزَّوْجُ كَمَا بَيَّنَّهُ اللهُ - سبحانه وتعالى - في الآيات المذكورة أعلاه يقتصر على لقاء رجل وامرأة فقط، ذلك هو الزَّوْج الذي تتوافر فيه تلك القواعد وكما هو في الدنيا كذلك يكون في الآخرة وهو الزَّوْج الدائم والمستقر، وهي السنة التي سار على هداها الأنبياء، والرُّسل فأظهر القرآن الكريم أن الأنبياء والرُّسل كانوا على زواج بامرأة واحدة كيف لا وهم أولى الناس بالاتباع قَالَ تَعَالَى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾، (الأعراف: 3)، وآية أخرى قَالَ - سبحانه وتعالى - ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾، (الزمر: 55)، ونذكر بعضاً منهم على سبيل المثال في الآتي:

- زوج (امرأة) سيدنا إبراهيم وهي زوجة واحدة، قَالَ اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَانِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾، (هود: 71)، وقصة سارة وهاجر من نسج تورااة العبرانيين.

- زوج (امرأة) واحدة لكل من سيدنا نوح ولوط عليهما السلام قَالَ اللهُ تعالى: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطَ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاهِلِينَ﴾، (التحریم: 10).

- زوج سيدنا زكريا عليه السلام قَالَ اللهُ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾، (الأنبياء: 90).

- نكاح موسى بامرأة واحدة وأعتقد أن لفظ النكاح هنا انفرد به موسى، ولم يكن زواجاً لسببين في تقديري: السبب الأول أن موسى كان لاجئاً غير مستقر، والسبب الثاني أن موسى كان لا يزال بفترة التبني من فرعون: قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكَحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حَجَاجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْكَ سِتْرًا إِن شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، (القصص: 27).

- وحتى فرعون الملك الطاغية كان معه امرأة واحدة: قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، (التحریم: 11).

• ومن قصص توراة العبرانيين والتي تظهر التقول الكاذب على سيدنا داوود وسليمان وغيرهم بأعداد كبيرة من النساء، ويعتبر ذلك من الكذب والافتراء على الأنبياء والرسل.

كما أن نصيب الزوجة في أنصبة المواريث يكون لزوجة واحدة، فقط وليس لعدد أكثر، ويتم التعامل مع هذه الحالة عند توزيع أنصبة المواريث بفقه المذاهب بتقسيم نصيب الزوجة الواحدة من تركة المتوفى بين عدد الزوجات بالتساوي، وليس لكل زوجة نصيب مستقل عن الأخرى وهذا دليل على أن النصيب المحددة يخصّ زوجة واحدة فقط، وما يتم حالياً يعتبر تحايل واضح سواء كان هذا النصيب الربع أو الثمن، قَالَ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دَيْنٌ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٌ...﴾، (النساء: 12).

وعليه نستنتج من آية الذكر الحكيم القواعد والحدود الآتية:

- زواج آدم الأنثى بآدم الذكر كان وما يزال القاعدة الأساسية في الزواج لكل الناس وحتى قيام الساعة.
- الزّواج يكون بين انثى واحدة وذكر واحد فقط.
- تعدد الزّواج يعتبر تجاوز لحدود الله ومخالف للقران الكريم.
- يحق للأنثى استبدال زوج مكان زوج وكذلك يحق للذكر استبدال زوج مكان زوج آخر.
- سار الأنبياء والرسل على قاعدة الزّواج بواحدة فقط.
- من قواعد قيام الزوجية، المودة، والسكينة، والرحمة، والنفقة، والقوامة وبالتعدد تنتفي هذا القواعد أو بعضها.

ومن هذه القواعد فإنه يتوجب على المشرعين القانونيين في السلطات المخولة العمل على تنظيم قواعد الزواج وبما يحقق الغاية الأسمى في العلاقة بين الذكر والأنثى المتمثلة بالسكينة والمودة والرحمة، وفقاً لكلام الله سبحانه الخالد في القرآن المبين والمفصل.

9-13 المحصنات من النساء - التعريف والمشروعية:

يقصد بالمحصنات هن النساء الحرائر، البالغات، الراشدات، المؤمنات، العفيفات، الغافلات عن الزّواج، ولفظ المحصنات من الحصن المنيع، أو هن اللاتي أحصن أنفسهن ومنعهن، من أن يتزوجن احد إلا بإذنها، إذا فالمحصنات من النساء هن اللاتي يمتلكن حق تقرير مستقبلها الاجتماعي وعلاقتهن بالذكر، فكانت محصنة من حصنها المنيع الذي اختارته لنفسها، حسب ما وصفه به السيدة مريم صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمُ ابْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا...﴾، (التحریم: 12)، وآية أخرى بنفس السياق، قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا...﴾، (الأنبياء: 91).

وقد ورد ذكر لفظ المحصنات في مواضع متعددة لمعنى واحد في عددٍ من آية القرآن الحكيم فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ...﴾، (النساء: 24)، وَقَالَ سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ.....﴾، (النساء: 25)، وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿...﴾

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ.....»، (المائدة: 5)، وَقَالَ تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ...﴾، (النور: 4)، وَقَالَ اللَّهُ تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ﴾، (النور: 23)، ومن خلال هذه الآيات الواردة بمحكم القرآن الحكيم يتبين لنا بعض الحقائق التالية:

الحقيقة الأولى: إن لفظ المحصنة لا يمكن أن يطلق على المرأة المتزوجة، كما عرفتھا جماعة التحريف بفقھ المذاهب، وإذا كانت كذلك فهل يطلب الله أن تنكح المرأة المتزوجة (المحصنة)؟ كما في الآية من سورة النساء بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكَحِ الْمُحْصَنَاتِ...﴾، (النساء: 25)، وما بعدها من آيات الذكر الحكيم، فذاك محال من الله جل جلاله إذن فلفظ المحصنة قصد منه بدرجة أساسية وصف المرأة الغير متزوجة، فقد تكون الشابة وقد تكون المطلقة من النساء.

الحقيقة الثانية: إن المرأة المحصنة تملك قرار نكاحها بالزواج من رجل دون إذن من أحد، فلها الحق في القبول والاختيار، ولها الحق في الرفض والاعتراض بصورة مستقلة فهي تزوج نفسها دون حاجة لموافقة الغير أو لشهادة الغير وهذا الأمر في حدوده الدنيا، غير أن الاعراف في مختلف المجتمعات يجب أن تحترم ولذلك على المجتمعات الإنسانية أن تصيغ قوانينها بما يتلاءم مع مدلول الآية وبما يجعل الزواج يقوم حسب اجراءات تعمل من خلالها المحافظة على الحقوق الزوجية وتوثيق العلاقة في إطار قانوني معروف ولا ينتقص من حقوق المرأة المحصنة ولا يتجاوز العرف ولا يطغى العرف على كلام الله في القرآن الحكيم.

الحقيقة الثالثة: إن عقوبة رمي المحصنات بالفاحشة لا تتحقق بحق المرأة المتزوجة التي أنفك عنها حصنها بعقد الزوجية خاصة وأن الله قد عرف المحصنات، بالغافلات عن أمور النكاح اللاتي لا تستهوين شهوة النكاح؛ لأن حياتهن مقرونة بالعفة والغفلة عن الزواج أو النكاح، وأصبحن معروفات بأوساط مجتمعاتهن بهذه الصفات، لذلك قرر الحق - سبحانه وتعالى - لمن يرميهن بتهمة تخذش سمعتهم بعقوبات شديدة من لدنه، منها الأولى:

- عقوبة معنوية - اللعن في الدنيا من قبل الناس لفعلهم المشوم الخادش للحياة، والعفة.
- عقوبة مادية - الجلد ثمانين جلدة.
- لا تقبل لهم شهادة أبداً لعظيم فعلهم الموصوف بالفسق.

الحقيقة الرابعة: تؤكد إن هناك آية خاصة بحكم اللعان للمرأة المتزوجة، الذين يرمون أزواجهم، بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ، وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾، (النور: 6، 7).

الحقيقة الخامسة: إن القول الواضح بالتفريق بين المرأة المحصنة، والمرأة المتزوجة بما سبق بيانه، مع إيضاح القرآن حول ذلك، وأن هناك صفات مشتركة في لفظ المحصنة، بجعله وصف نكاح المرأة بالمحصن، فذلك ليس للمماثلة، بل للمقاربة بصفته وحاله من كونه نكاحاً محصناً غير مسافح بزنا، أو اتخاذها خلية أو صديقة أو ما يسمى بالنكاح العابر، مع

إعطائهن أجورهن فريضة واجبة لإتمام النكاح، وهو ما يفهم من ألفاظ الآية التالية بقوله تعالى قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾، (النساء: 24).

10-13 ميثاق الزواج التعريف والمشروعية:

ذكر الميثاق في القرآن الكريم في أكثر من حالة، والميثاق له أهمية في تنظيم العهود، والميثاق جمعه موثيق، وأوجب الوفاء به بشكل عام، والميثاق دائماً يؤخذ من الأدنى إلى الأعلى، أو يكون بين طرفين أو أطراف متساوية، والميثاق أنواع منه الميثاق العادي أو الميثاق المغلظ.

والميثاق غير العقد، إذ إن العقد حسب شراح القانون المدني، هو عقد بالتزامات متقابلة بين طرفين أو أكثر وفق صيغة وشكل محدد ينشأ بالإيجاب والقبول، وهو لا يتطابق مع الآية التي تنظم العلاقة الناشئة بين الرجل والمرأة بحالة الزواج أو النكاح والتي ورد تنظيمها بآية خاص أطلق عليها القرآن المبين اسم (الميثاق)، وبين طريقة إنشائه من جانب واحد وهي جانب الأنثى (المرأة) وحدد نوعه بالمغلظ ووصفه ب (العظيم)، فطالما وهو بهذا الوصف، والصفة، فإنه يُملَى من الأعلى (المرأة) على الأدنى (الرجل) أو يؤخذ من الأدنى (الرجل) إلى الأعلى (الأنثى)، وبمجرد موافقة المرأة على ما تم عرضه من قبل الرجل في الخطبة، يبدأ التمهيد لإتمام الزواج، أو النكاح إذ يتم عمل الميثاق للزواج، أو للنكاح وهو ما يتعهد به الرجل بلفظ مشهود أو نصا مكتوب، ومن جانب واحد، بحسب المشروعية من القرآن الكريم قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾، (النساء: 21)، واللفظ اخذ منكم دليل على علو مكانة المرأة في إملاء بنود هذا الميثاق على الرجل، إذ يعتبر من القواعد الأساسية في إتمام الزواج، ومما سلف نذكر بعض القواعد كأساس لتشريع تنظيم هذه العلاقة على الدوام ومنها الآتي:

- زواج آدم هو أصل القاعدة الأولى للزواج بين الناس جميعاً، وهذه القاعدة كانت بين أنثى واحدة وذكر واحد، ومن هذه القاعدة هي الأصل ينتفي معها التعدد الزواج.
- الأنثى هي صاحبة اليد العليا في الزواج، وهي من تملي بنود الميثاق المغلظ على الذكر الذي سبق أن عرض بنفسه عليها في الخطبة.
- من القواعد الأساسية المشتركة بين الزوجين في ميثاق الزواج اشتماله على السكينة، والمودة والرحمة، وبقية الحقوق، ولا يتحقق ذلك إلا بين أنثى واحدة وذكر واحد، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، (الروم: 21).

● فريضة دفع صداق المرأة كزوجة محصنة (المهر) يكون من قبل الرجل، وهذه الآية تعتبر قاعدة سارية على عموم النساء دون استثناء، سواء كانت العلاقة زواج أو نكاح قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾، (النساء: 4).

● يحرص الرجل على توفير الإمكانات المادية من مسكن، ومأكل، ومشرب للزوجة أو أن يتشاركها معاً أو بما فضل الله سبحانه بعضهم على بعض.

● إنشاء ميثاق الزواج، لا يكون إلا من امرأة عاقلة بالغة، وفي كل الأحوال لا يقل عمرها عن ثمانية عشر عاماً، وكذلك الرجل.

● ما دون السن الوارد بالفقرة السابقة، لا يجوز إتمام الزواج فيه وتجاوز فيه الخطبة فقط.

● مشروعية الفقرتين الأخريتين أعلاه ثابتة مما ورد في حال اليتيم أثناء إدارته لماله، وهذه الحالة تكون في عمر الثمانية عشر سنة على الأرجح، وبعد اختباره بحسب الآية قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَابْتُلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ...﴾، (النساء: 6)، أو إذا بلغ أشده كما في حالة سيدنا يوسف عليه السلام بحسب هذه الآية: قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾، (يوسف: 22)، أو ما يقرره أهل الاختصاص من الأطباء.

تلكم هي بعض القواعد والحقوق الثابتة التي يتوجب أن يتضمنها ميثاق زواج المرأة بالرجل في حدوده الدنيا، وبه رفعت قدر ومكانة المرأة في المجتمع الذي تعيش فيه، وفي المقابل فقد أعطى الله - سبحانه وتعالى الرجل مكانة مماثلة من الحقوق منها، الهجر في المضاجع والضرب بمعنى (العزل)، وحالة الذين يولون نسائهم ويحلفون أن لا يضاجعونهن لأربعة أشهر كحد أقصى قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، (البقرة: 226). وأخيراً الطلاق، أما بالنسبة لتجهيزات الزواج من حفلات وغيرها فتخضع للأعراف والعادات والتقاليد، ولا مانع من سن تشريع قانوني ينظم حدود ميثاق الزواج، وشروط إتمام حفل الزواج، مع الأخذ بعادات وتقاليد وأعراف الشعوب والأمم، في المكان والزمان وبما لا يخالف القرآن الكريم الثابت والخالد أو يطغى عليه.

والخلاصة: فإن الزواج بين بني البشر، هو علاقة إنسانية، تقوم بين رجل واحد وامرأة واحدة، يبدأ الرجل فيه بخطبة المرأة، ثم يقوم بعمل ميثاق زواج منظم وفق تشريع (قانون) أو مرسوم أو غيره، وعلى الزوجين القيام بإتمام مراسيم زواجهما بإرادتهما الحرة والمتطابقة من جميع النواحي المادية والصحية والنفسية وغيرها، الأمر الذي يفرض إلى توافق تام في الارتباط الأبدي بينهما، ولا يكون ذلك إلا بين شخصين بالغين عاقلين في إدارة أنفسهم، وعلى الناس تنظيم تشريعات - قانون يرتكز على هذه الآيات كقواعد في تنظيم ميثاق الزواج ضمن

قانون الأسرة وبصورة تفصيلية، وبما ينسجم مع مقاصد القرآن الذي يهدف لجعل الغاية من حياتهم الزوجية تقوم على السكينة والمودة والرحمة في أي مجتمع إنساني كان.

11-13 النكاح والتعدد: التعريف والمشروعية:

النكاح المتعدد: قصد بتعدد النكاح بين ذكر واحد وعدد من الإناث وهن اللاتي يعشن على هامش المجتمعات الإنسانية المضطربة والغير مستقرة، ويكون بالتدرج إبتداء بالمرأة الواحدة ثم الثانية ثم الثالثة والرابعة بحيث لا تتجاوز أربع نساء، حسب شروط مخصوصة ولفتيات معينة ولهدف محدد في المجتمع، وبمجرد اتمام النكاح بجوانبه الشكلية، يصبح زواجاً أو على قاعدة الزواج المحصن، وقد أرتبط القرآن بتنظيمه قضى بمشروعية تعدده حصراً وقصرأ على هذه الفئة وهم اليتامى فاقدى الوالدين - وملك اليمين (العبيد) - والموالي - والفتيات والفتيان - والنساء المهاجرات (طالبي اللجوء)، دون غيرهم من الناس وهو ما يفهم صراحة وضماً من القرآن الحكيم، والهدف منه معالجة ظاهر اجتماعية تتمثل بالقضاء على الفوارق الطبقيّة في المجتمعات الإنسانية نتيجة ما تخلفه الكوارث الطبيعية والحروب والعلاقات الجنسية الشاذة في بعض المجتمعات والشعوب والأمم، وهذا الموضوع حساس يتطلب بحثاً مفصلاً حسب قواعد الآيات المضمنة في القرآن العظيم، غير أنني اكتفي بذكر حالات وقواعد محددة عن هذه العلاقة الاستثنائية بين الرجل وعدد من النساء خوفاً من الأطلالة، وأؤكد أن آيات القرآن التي تنظم هذه العلاقة بين الرجل وعدد من النساء يعتبر قاعدة عامة يخاطب به كل المجتمعات الإنسانية في الماضي والحاضر والمستقبل، ولمزيد من الإيضاح نفده مختصراً بالآتي:

- اليتامى فاقدى الوالدين أو الذين لا يعرف لهم والدين (اللقيط)، إذ لا يعتبر فاقد أحد الوالدين يتيماً سواء كان من الرجال أو النساء.
- ملك اليمين وهم العبيد أو في الرقاب الذين لم ينالوا حريتهم سواء كانوا من الرجال أو النساء.
- الموالى وهم المتبنين (الأيامى) وهم من الرجال والنساء.
- الفتيات أو الفتيان من المؤمنين المهجرين قسراً بسبب الكوارث الطبيعية وبسبب الحروب، أو بسبب التمييز العنصري (المهمشين) وهم من الرجال والنساء.
- النساء المهاجرات سواء كن بسبب الحروب والعنف والأرهاب، أو التمييز العنصري، أو التهجير القسري، أو غيره.

12-13 مشروعية النكاح وحالاته:

وردت عددا من الآيات التي تحدثت عن لفظ النكاح، وبألفاظ متعددة حسب موضع اللفظ من الجملة أو الآية نذكر بعض منها مختصراً:

- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿...وَلَا تَعْزَمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ البقرة (235).

- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَابْتَئُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ...﴾ النساء (6).
- قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا...﴾ النور (33).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا...﴾ النور (60).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلِّغْنَ أَجْلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ...﴾ البقرة (232).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ...﴾ النساء (25).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ النور (3).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ...﴾ البقرة (221).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ...﴾ البقرة (230).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ النساء (22).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿... وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ...﴾ النساء (127).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿... وَامْرَأَةٌ مُؤْمِنَةٌ إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ...﴾ الأحزاب (50).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿... وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبْدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ الأحزاب (53).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿... وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ...﴾ الممتحنة (10).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى...﴾ النور (32).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ...﴾ القصص (27) بعض هذا الخطاب موجه بلفظ خاص أريد به العامة، وآخر بلفظ عام أريد به عامة الناس جميعاً، ومن تلك الآيات ما أفتتح به أول سورة النساء قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا، وَأَثُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا، وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَتْنً وَثَلَاثَ وَرُبَاعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾، (النساء: 1، 2، 3).

حالات النكاح:

كان وما يزال هذا الخطاب من القرآن الكريم وبتلك الآيات حول مشروعية النكاح يمثل آيات ذات دلالة عامة أو قواعد عامة موجهة للناس جميعاً وللمشرعين خاصة من أجل سن

قوانين منظمة لهذه الحالات من النكاح، فقد حث الله سبحانه الناس على النكاح من الفئات المذكورة أعلاه، بغرض دمجهم في المجتمعات من أجل التخلص من حالات اليتيم والعبودية وكل أشكال التمييز العنصري والطبقي في المجتمعات الإنسانية، وهذا الخطاب قصد توجيهه للعامة من الناس، وخاصة الأحرار من جنس الذكور على وجه الخصوص، وهم أولئك الذين لا يرتبطون بميثاق زواج مع أحد من النساء من نفس فئاتهم، كما أن التعدد في هذا النكاح شرع بشرط عدم العول، والعدل بين النساء وهو ما تهدف إليه الآية في تنظيم هذا النكاح وهو ما يتوجب العمل بالآية كقاعدة للتشريع والتنظيم والتقنين القانوني لعدد من الحالات على الترتيب نذكر بعض منها على التالي.

الحالة الأولى: أكد القرآن الكريم على منع الرق والعبودية بصفة عامة في الكثير من الآيات، على اعتبار أن الله سبحانه خلق الناس جميعاً على قاعدة واحدة من المساواة ومن نفس واحدة، حسب مبدأ الخلقية الأولى وكما أكدت عليه الكثير من آيات القرآن، وبالنسبة لمثل هذه الأوضاع الاجتماعية الاستثنائية التي أكتسبها الإنسان بسبب أفعال جماعة من الناس (نشوب الحروب) أو بسبب الكوارث الطبيعية، وأصبحت معضلة وأمرأ واقعاً في المجتمع، فقد وضع الحق قواعد من آيات القرآن لمعالجة هذه الظواهر الشاذة في المجتمعات الإنسانية بغض النظر عن الجنس واللون والدين حسب ما جاء بقَوْلَ اللَّهِ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿فَأَنَّ رَقَبَةً﴾، (البلد: 13) فكانت هذه الآية القصيرة المختصرة أمرأ صريحاً يعطي الحق لأصحاب الولاية العامة (الحكومة) أو من يملك الأمر في المجتمع بمنع الرق والعبودية عبر اصدار مرسوم أو قانون يعالج هذه الوضع الشاذ في المجتمع الإنساني في كل مكان وزمان، وبنفس الوقت قدم معالجة تدريجية لهذه الأوضاع الاجتماعية الشاذة خاصة في المجتمعات التي لا تقبل المعالجات العاجلة والسريعة وهو ما يعرف بالمعالجات طويلة المدى، فبيّن الله - سبحانه وتعالى من خلال جملة من الآيات تعمل على المعالجات التدريجية عن طريق دمج المجتمعات المهمشة، فكان الخطاب موجهاً لمن لم يستطع من الذكور الأحرار أو المهمشين أن ينكح المرأة المحصنة لأي سبب مادي أو أدبي فعليه أن ينكح من ملك اليمين وهن النساء اللاتي اكتسبن صفة وحال الرق والعبودية رغم عنهن، أو بسبب التشرد، أو بسبب الكوارث الطبيعية والحروب فتقطعت بهن السبل، وغاية عنهم المسؤولية العامة (الدولة) كما أشرنا سابقاً، ونتيجة لذلك أصبحن مشردات في الشوارع والأماكن المختلفة، فلا مانع من أن تنكحنهن محصنين غير مسافحين، غير زناة ولا متخذين أخدان، بقصد إقامة علاقة جنسية عابرة بغرض الاستمتاع بشهوة، وقد سهل الله تعالى الزواج بهن بغرض إدماجهن بالمجتمعات صوناً لعفتهم وكرامتهم الإنسانية، وذلك بأن يصبحن أمهات لأولادكم في المجتمع الذي أجبرن على العيش فيه بهذا الوضع الاجتماعي الشاذ، أو لجأن إليه بعيداً عن أوطانهم، وقد ورد أكثر من آية توضح التعدد في نكاح ملك اليمين، وفي نفس الوقت لا يجوز لذكور اليتامى، والعبيد أو من نفس الدرجة من الفئات المهمشة تعدد هذا النكاح من النساء من نفس الفئة أو من الفئات الأخرى المماثلة به، من كون هذا النكاح هو استثناءً وليس أصلاً، لأن الهدف والغاية من هذه الآيات من كلام الله سبحانه هو دمج وتقليص هذه الفئات المهمشة في المجتمع، وليس توسيع مجتمع المهمشين،

وقد شرع التعدد حسب ما سبق الإشارة إليه، من أجل القضاء على هذه الظاهرة في المجتمعات الإنسانية بصورة مباشرة أو بصورة تدريجية أو نهائية حسب ما يفهم من مدلول الآية اعلاه، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَيْمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، (النساء: 24، 25)، وفي نفس الوقت حرص القرآن على تنظيم هذا النكاح بأقامة العدل بين النساء، في حالة التعدد وعدم العول قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوا كَالْمِغَلَّةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾، (النساء: 129)، كما أنه رغب في نكاح الأيا من الفقراء قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾، (النور: 32)، وآية أخرى تنهى عن نكاح المشركين والمشركات حتى يؤمنوا وهم أولئك النفر الذين يعبدون الأصنام قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾، (البقرة: 221).

الحالة الثانية: من كلام الله في القرآن المبين يتحدث عن وصف الزَّواج الذي يتحول إلى نكاح بسبب سوء العلاقة الزوجية وما قد يحصل من طلاق بين الزوجين، فيتحول الزواج القائم إلى نكاح وهو أقل مرتبة لفقدانه شرط المودة والسكينة وهو ما يفهم من تغيير العلاقة بينهما، قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبُغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضُوا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمْ أَرْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، (البقرة: 232).

الحالة الثالثة: ان كل هذه الآيات تمثل قاعدة تشريعية ملهمة للمشرعين، ولها دلالتها المعبرة عن قضية اجتماعية تضمنت حكماً أو إرشاداً إلى تشريع أو وصية أو وعظاً أو توجيهاً أو غير ذلك من خطابات الحق سبحانه، كما في النهي عن نكاح الزَّناة والمشركين من الرجال والنساء، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحَرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾، (النور: 3)، كما أورد وعظاً وإرشاداً للناس وللمشرعين حول تنظيم حقوق اليتامى ومخالطتهم في الأموال مع النهي عن أكل أموالهم قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَابْتَالُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَاراً أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾، (النساء: 6).

الحالة الرابعة: أورد القرآن آيات وعظ وإرشاد لتنظيم قانون تسهيل النكاح ومنع الدعارة في المجتمعات الإنسانية، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَيْسَتُغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تَكْرَهُوا فَتْيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لَتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْنَهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، (النور: 33).

الحالة الخامسة: ارشدنا القرآن في يتامى النساء (اللقائط - والمهمشات) في تنظيم شؤونهن بالقسط، والعدل، والخيرية لهن، وللمستضعفين من النساء، وهن النساء المشرذات على هامش المجتمعات الإنسانية قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى - ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾، (النساء: 127).

الحالة السادسة: أورد القرآن خطاباً عاماً عن آداب الأنبياء موجه لكل نبي بصيغة التضخيم لمكانة النبي في صيغ الخطاب حول النكاح وأزواج النبي وعلاقته بالنساء، وهو لفظ قصد به كل نبي وليس نبي محدد قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عِمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْكُمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾، (الأحزاب: 50).

الحالة السابعة: أورد القرآن عدداً من التعليمات والقواعد الإرشادية للمشرعين حول النساء المهاجرات قسراً أو اللاجئات من النساء، بضرورة تنظيم شؤونهن وفق تشريع صادر عن جهة يعمل على الحفاظ على حقوقهن، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاِمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفَرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ أَلْوَا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكَمُ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ الممتحنة (10).

الحالة الثامنة: أورد القرآن أمر نهي على التأبيد بنكاح زوجة الابن من قبل الابن كونه من قواعد التحريم وكونه فاحشة وطريقاً سيئاً، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾، (النساء: 22).

الحالة التاسعة: وبذكر حدث آخر ورد من القرآن يتحدث فيه عن تنظيم نوع من النكاح مرتبط بحالة عدم الاستقرار، كما في قصة موسى، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حَجَّ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْكَ سِتْرًا إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، (القصص: 27).

وهكذا فمن خلال الحالات السابقة والآيات سالفة الذكر نستطيع تقديم تعريف آخر للنكاح القائم بين المرأة والرجل على أنه نوع من العلاقة القائمة في ظروف استثنائية، ويمكن تصنيف هذه العلاقة على أنها أقل منزلة من علاقة الزَّواج الكامل لعدد من الأسباب التي قد يشوبها، ومن تلك نذكر بعض منها وهي: عدم الاستقرار، كما في قصة موسى، ولكون سيدنا موسى لا يزال متبنًى من قبل فرعون في ذلك الوقت، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾، (الشعراء: 18)، لذلك كان القول لموسى (قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ) ولم يقل (أزوجه) ومع ذلك فلا يمكن تصنيف النكاح على أنه علاقة عابرة غير مشروعة، أو مخلة بالآداب أو بالأخلاق أو بغرض المتعة، كما صورتها جماعة التحريف في بعض المذاهب الإسلامية، فذلك محال على الله سبحانه أن يحط بقيمة هذه العلاقة التي أولاهها الاهتمام في الكثير من كلام الله سبحانه من الذكر الحكيم، ومما سبق يتبين لنا أن هناك قواعد يجب مراعاتها والعمل بها من قبل المشرعين القانونيين في المجتمعات والشعوب الإنسانية تعمل على تنظيم تعدد النكاح وفرض القيود على النكاح من خلال فقه الآية، ويجب الأخذ بها كقواعد لسن القوانين من أجل تنظيم هذا النكاح بين فئات المجتمع بين الناس في الزمان والأماكن المختلفة في المجتمعات الإنسانية ونلخص أهم تلك القواعد بالتالي:

- القاعدة الأولى: هو ترغيب تعدد النكاح للذكور من عامة الناس من غير هذه الفئات بنساء هذه الفئات من (اليتامى – وملك اليمين – والفتيات – والموالي – والأيامى) بحسب القرآن صراحة.
- القاعدة الثانية: العكس بالنسبة لذكور هذه الفئات فلا يجوز ضمناً تعدد نكاح ذكور هذه الفئات بالنساء من نفس فئتهم الاجتماعية، لكون آيات التعدد جاء لمعالجة قضية اجتماعية وليس من أجل تعميقها في المجتمع.
- القاعدة الثالثة: شرع تعدد النكاح للرجل الحر الغير مرتبط بميثاق زواج من وسطه الاجتماعي بإناء هذه الفئات من اليتامى وملك اليمين والفتيات المؤمنات من الأيامى اللاتي يقبلن تعدد النكاح.
- القاعدة الرابعة: الغاية من تعدد النكاح هو دمج نساء اليتامى، والعبيد، وملك اليمين، والفتيات (المهمشين) في المجتمعات الإنسانية العامة، بهدف القضاء على التمييز والفوارق الطبقيّة.
- القاعدة الخامسة: لا يجوز لذكور اليتامى، والعبيد، تعدد النكاح من نفس فئاتهم الاجتماعية ولا من غير الفئات الأخرى، وما ينطبق على الأحرار في الزواج ينطبق عليهم في النكاح بنسائهم أو بالزواج من المحصنات.
- القاعدة السادسة: حث القرآن الكريم المحصنات وهن النساء الحرائر على النكاح من ذكور اليتامى والفتيان المؤمنين من (العبيد) لنفس الغاية السامية بغرض دمجهم في المجتمع، يفهم ذلك من صراحة ومضمون الآية.
- القاعدة السابعة: اشترط في النكاح المتعدد عدم العول ويقصد به زيادة الذرية من الأولاد لما فيه من المشقة.

- القاعدة الثامنة: اشترط في النكاح المتعدد العدل بين النساء والعدل لفظ عام وواسع يشمل جميع النواحي المادية والمعنوية.
- القاعدة التاسعة: اشترط أخذ الأذن في نكاح الفتيات المؤمنات من قبل أهلهن.
- القاعدة العاشرة: حددت نصف عقوبة المحصنة على الفتيات من الأيامى اللاتي يأتين بفاحشة، رحمة بهن بسبب الوسط الاجتماعي الذي كن يعيشن فيه.
- القاعدة الحادي عشر: حث القرآن بتفضيل الزواج بالفتيات والفتيان من المؤمنين على المشركين والزناة لما فيه من خيرية الإيمان من دون المساس بأدمية الإنسان.
- القاعدة الثاني عشر: الخطبة وميثاق الزواج قاسم مشترك في علاقة الأنثى بالذكر سواء كانوا أحراراً أو يتامى أو غيره.
- القاعدة الثالث عشر: اختبار رشد اليتامى إذا بلغوا النكاح والاشهاد على دفع أموالهم إليهم.
- القاعدة الرابع عشر: النهي عن البغاء للفتيات بصورة عامة وعن الفتيات المؤمنات بصفة خاصة.
- القاعدة الخامس عشر: الرفق والرحمة في يتامى النساء والمستضعفين من الولدان والعناية بهم في المجتمعات.
- القاعدة السادس عشر: ذكر عدداً من آداب النبوة لكل الأنبياء وحول قرابته من النساء ومما افاء الله عليه.
- القاعدة السابع عشر: تنظيم خاص بشأن المؤمنات المهاجرات وواجب حضانتهم ورعايتهن والأنفاق عليهن والنكاح بهن واعطائهن أجورهن.
- القاعدة الثامن عشر: النهي عن نكاح زوجة الأب لكونه فاحشة ومحرم على التأييد.
- القاعدة التاسع عشر: وصف حالة ارتباط موسى عليه السلام بامرأته بالنكاح من كونه كان لاجي بأرض مدين ومتبنى من فرعون وغير مستقر.

وإضافة لما سبق حول مسألة تعدد النكاح فإن هذه الآيات سألقة الذكر وما سبق بيانه، عن تلك الحالات والقواعد الأساسية والتي جعلت أسساً في تنظيم المجتمعات الإنسانية في مسيرة حياة الإنسان، في كل زمان ومكان، فإنه يلزم على الناس والمشرعين خاصة وضع حزمة من القوانين المرنة حسب تطور المجتمعات والشعوب، وبما يراعي الجوانب الاجتماعية في حياة الشعوب والأمم، بهدف التأكيد على عدم التمييز والقضاء على الطبقية والفوارق الاجتماعية في المجتمعات، في إطار القوانين المنظمة لذلك - ك/ قانون الاسرة - قانون الطفل - قانون حقوق المرأة - قانون منع الرق والعبودية وأي قوانين أو اتفاقيات دولية في مضمار حقوق الإنسان وحقوق المرأة، يستوعب هذه الحالات والقواعد وبما يتلاءم تطبيقها مع كلام الله في القرآن الحكيم الذي يدعو لحرية الإنسان، وصوناً لحقوق المرأة والرجل معاً في كل المجتمعات الإنسانية، مع الأخذ بالنظريات الاجتماعية والبحوث والدراسات المكملة في هذا الجانب، في كل زمان ومكان على الأرض.

13-13 ثياب المرأة في الإسلام:

بيّن الله - سبحانه وتعالى - ثياب المرأة بوضوح تام لأهمية المرأة كمخلوق مميز عن الرجل ولا أهميتها كمخلوق متصف بكمال الخلوقة وتناسل النفس الإنساني وأهمية ذلك التناسل في خلق الناس جميعاً لعمارة الأرض، ومن كونها أم ومربية، ومعلمة، وحاكمة، فكان أن أولاه الخالق رعاية خاصة في كثير من المحطات ومنها تنظيم ثيابها المتميز بمواصفات محددة وثابتة، فذكر نوعين من الثياب الخمار، والجلباب، وبهما تظهر المرأة أمام عامة الناس وحدد زينة المرأة بدقة ووضوح، وفي حدودها الدنيا، حسب ما جاءت به الآيات من الذكر الحكيم.

1-13-13 الجلباب والخمار من ثياب المرأة العام:

الجلباب التعريف والمشروعية: يعرف الجلباب من خلال وظيفته التي يؤديها، إذ إنه عبارة عن ثوب أو فستان أو نوع من أنواع جلود الحيوانات المخيطة أو غيره ويكون واسعاً بحيث يغطي جسم المرأة من أسفل رقبتها وحتى ساقها بحيث يسمح لها بحرية الحركة والتحرك، ولا يكون ضيقاً، فيظهر زينتها وزينة المرأة في الجيوب وجيوب المرأة في نهودها، وما يتصل بالنهود من الخصر، والأكتاف، وهو ما يطلق عليه بالجيوب العليا، أما الجيوب السفلى فيحوي على خصرها وأردافها، وما بين رجليها من فتحة الفرج (الشرح) وفتحة الرحم، فلا تبديه إلا ما استثناه بصورة حصراً وقصراً، لا اجتهد فيه، ومجمل هذه الأوامر لا تدخل ضمن دائرة التحريم، كما دسسته جماعة التحريف في هذا الموضوع وتوسعت فيه بأحاديث العننة والقفلة التي ما أنزل الله بها من حكم، إذ جاء بهذه الإرشادات لكي لا تحصل للمرأة الأذية باختلاس النظر، أو التلطف بكلام قبيح وجارح على عفتها، ومغازلتها بالنظرات والتلسن، وخذش حيائها، ويقلل من مكانتها في المجتمع، وتصبح محلاً للتحرش والتنمر، بالإضافة إلى تفشي ظاهرة السفور، والخلاعة الماجنة بحق المرأة وتكون عرضة للمتاجرة والابتزاز الجنسي، ونشر الفاحشة في المجتمع، والجلباب يختلف بمواصفاتها ومسميات من مكان لآخر باختلاف الموروث الشعبي للأزياء في مختلف ثقافات الشعوب والأمم في الزمان والمكان، وهو ما بينه الله تعالى مخاطباً النبي بلفظ خاص قصد به عامة الأنبياء وأهل بيته ونساء المؤمنين، والنبي أولى باتباع هذا الأمر حول ثياب المرأة والمحدد بالجلباب بحسب الآية بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾، (الأحزاب: 59)، وهذه من قواعد الإرشادات الحميدة في الحفاظ على كيان المرأة في المجتمع حسب الأعراف والثقافات المتعددة في مختلف الشعوب والأمم في العالم أجمع وعلى مسيرة التاريخ الإنساني في الماضي والحاضر والمستقبل، فقد جاء هذا الخطاب من القرآن الكريم حول ثياب المرأة على نحو يساعد في تقنين الآداب العامة في المجتمعات الإنسانية ولا يندرج هذا الخطاب بتلك الآيات من القرآن ضمن دائرة التحريم كما قلنا سابقاً، وإنما يندرج ضمن قواعد الآداب في

تنظيم ثياب النساء في المجتمعات بما يتوافق مع أعراف الناس المختلف في كل مجتمع أو شعب أو أمة من الأمم على حدا سواء، وبحدوده الدنيا، وبما لا يتعارض مع كلام الله - سبحانه وتعالى - بحسب قاعدة (لكي لا يؤذين فيطعم الذي في قلبه مرض) أي في نشر السفور والخلاعة الماجنة وهو بيت المقصد الأساسي.

13-13-2 الخمار التعريف والمشروعية:

وهو قطعة من القماش أو من الجلد أو من غيره، لم يحدد له مقاس معين وتستخدمه المرأة في ستر جيوبها وزينتها الجسدية، إضافة للجلباب، ويكون بمواصفات كل بلد في الزمان والمكان، حسب الموروث الشعبي وثقافات وأعراف المجتمعات والشعوب في الأمكنة والأزمنة المختلفة على الأرض، وقد بين الله - سبحانه وتعالى - وظيفة الخمار الذي يغطي زينة المرأة في حدودها الدنيا، وهذه الأوامر تعتبر من قبيل الأوامر والنواهي المتعلقة بالآداب العامة في المجتمع، وبما يحفظ مكانة المرأة وعفتها من السفور الماجن، والخلاعة المنحطة، بحسب ما جاء من القرآن الكريم الذي يتحدث ويبين أماكن ضرب الخمار من ثياب المرأة على جسدها بقوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، (النور: 31)، ومن مدلول هذه الآية ورد التعريف بالأماكن التي يغطيها الخمار، وهي بالترتيب بحسب ما سبق ذكره بالآية أعلاه، أما غير ذلك من أطراف المرأة فلم يرد أمر بالنهاي عن تغطيته ولم يرد أنه من زينة المرأة وهم على النحو الآتي:

- رأس المرأة وما يحوي من الشعر.
- وجه المرأة وما يحوي من العينين والأنف والشفيتين والأذنين.
- الرقبة.
- اليدين من الكتفين.

ما ورد أعلاه لا يدخل ضمن مدلول الخطاب المقصود بزينة المرأة، وليس محل ضرب الخمار عليه ويحق للمرأة ان تظهر بهذه الهيئة أمام العامة، وتودي مناسكها وشعائرها من صلاة وحج وعمرة وكذلك في عملها وعلى هذا النحو، وعن الوجه فهو اسم مشتق من الظهور بمعنى الشيء الظاهر الذي لا يجوز إخفاؤه، فهو معرف من اسمه وصفته المتميزة بالظهور ويتكون الوجه من الرقبة والرأس مع الشعر، وتفاصيله المتبقية من العيون والأنف والفم والأذنين وغيره، وكل هذه لم يدخل بزينة المرأة، ولا يدخل ضمن مقصد الآية في تنظيمه، وعلى المؤمنين كافة صرف أنظارهم، والكف عن حدة التركيز بالبصر على نحو ما لشيء يقصد منه اشتهااء المرأة بشهوة على نحو مخالف لما هو مألوف بين الناس حسب ما يطلق

عليه بالتحرش أو التتمر، من دون النظرة العابرة، وعلى النساء أن يحفظن فروجهن من أي نكاح عابر أو وطء غير مشروع، ولا يبدین زینتهن إلا ما ظهر منها، ومن الأهمية التأكيد على أن عورات النساء ليست من الزينة التي يجوز إظهارها.

لذلك فالأمر متروك للناس بحسب عاداتهم وأعرافهم في كل زمان ومكان، غير أن التشدد في هذه المسألة الفرعية البسيطة، ونحن هنا نذكرها بحدودها الدنيا، مع الأخذ بالاعتبار ما اعتاد وتعارف عليه الناس في مجتمعاتهم، والذي يتوجب مراعاتها بحيث لا تتعارض مع كلام الله سبحانه، والتشدد لدرجة النفور غير مقبول في هذه الجزئية، وزيادة في توضيح هذه المسألة فإن ضرب الخمار على زينة المرأة يكتمل بوجود الجلباب وهو النوع الثاني من الثياب الموصى به بالقرآن لتكتمل صورة المرأة أمام العامة، ومن خلال ما سبق تظهر الصورة التي رسمها القرآن للمرأة أمام العامة بحدودها الدنيا مع احترام الموروث الثقافي لأزياء الشعوب في المكان والزمان، وهي تلك الصورة ظاهرة الوجه، كاشفة شعرها تعطي جسدها جلباب واسع وطويل حتى ساقبها بحيث يسمح لها بحرية الحركة صعوداً ونزولاً يلتف حول جلبابها من أعلى إلى أسفل خمار، تلك هي الصورة التي رسمها القرآن الكريم من غير سفور ماجن وخلاعة فاضحة، إذ يظهر مقصد الدين الحنيف في المحافظة على المرأة لمكانتها كونها إنسان لها خصوصيتها، وتميزها عن الرجل في الحياة، وليس لكون جسدها عورة حسب ما جاء عن جماعة التحريف.

13-13-2 اللباس ليس من الثياب:

التعريف والمشروعية: جاء تعريف اللباس في القرآن الكريم في عدة آيات، ولك أن تستخلص التعريف بحسب سياق الآيات التي تدل عليه اللفظ حسب موقعه، في الجملة والألفاظ هي (لباس – يلبس- تلبس)، وهي لا تتوافق لمعنى الثياب، الذي يغطي به الجسد.

ويقصد باللباس الشيء المعنوي بين المرأة للرجل، أثناء الليل، ولا يقصد به الثياب في مدلول هذه الآية قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ.....﴾، (البقرة: 187).

وكذلك اللباس في هذه الآية التي ذكرته وهو: الريش، ووضحت معنى اللباس المقصود فيه بلباس التقوى والتقوى لها معنى معنوي، بخلاف الريش وهو الشيء المادي الواضح، من معنى مدلول الآية التالية قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ﴾، (الأعراف: 26).

وآية أخرى قَالَ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾، (الفرقان: 47). وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾، (النبا: 10).

وآية أخرى تتحدث عن لبس الثياب في الجنة ويفهم من مدلول الآية أن اللباس المقصود هنا جاء على الدوام كمكافأة لهم: قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ

تَحْتَهُمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعَمَ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا (الكهف: 31).

13-14 ثياب القواعد من النساء:

التعريف والمشروعية: يبين الله تعالى آداب القواعد من النساء، وهن النساء اللاتي بلغن من السن عتياً - كبيرات في السن، لم يعد لهن رغبة في النكاح فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن، ووضع الثياب لا يقصد منه التعري، بل لا يَكُنْ بلباس متبرجة لزينة، وأن يستعففن خيراً لهن ذلك أمر الله - سبحانه وتعالى - للناس جميعاً ولا مانع لكل مجتمع أن ينظم نفسه بحسب أعراف بما لا يتجاوز الحق الواضح من القرآن الكريم، كما لا يجوز فرض أحكام بالقوة أو ما شابه ذلك تدخل ضمن خصوصية بعض الافراد وبعض المجتمعات بل الأمر مباح للناس، في حدود النص المسموح به في الثياب على وجه العموم ولا يعتبر من قبيل التحريم مطلقاً قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، (النور: 60).

13-15 الحجاب ليس من ثياب المرأة:

التعريف: بيّن الله تعالى تعريف الحجاب من خلال مدلول آيات القرآن الكريم بأنه الشيء الفاصل، بين شيئين مختلفين، ذلك ان الحجاب لا علاقة له بثياب المرأة على الإطلاق، بخلاف ما دسسته جماعة التحريف في الفكر الإسلامي حول الحجاب وأوردت له تعاريف لغوية وتعاريف اصطلاحية وغير ذلك من الألفاظ وليبيان ذلك نوضحه في الآتي:

- 1- ذكر الحجاب بين الله - سبحانه وتعالى - وبين الإنسان عند تلقي كلام الله قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيّاً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾، (الشورى: 51).
- 2- ذكر حجاب السيدة مريم صلى الله عليها وسلم قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى - ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيّاً﴾، (مريم: 17).
- 3- ذكر حجاب نساء النبي في بيوتهن ويقصد به كل الأنبياء من آداب النبوة، إذا سألتموهن متاعاً فأسألوهن من وراء حجاب، قَالَ اللَّهُ سبحانه وتعالى: ﴿...فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُتَحَكَّمُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيماً﴾، (الأحزاب: 53).
- 4- ذكر حجاب أصحاب الأعراف وأصحاب الجنة، قَالَ اللَّهُ سبحانه وتعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾، (الأعراف: 46).
- 5- ذكر حجاب مستور بين قراء القرآن الكريم والذين لا يؤمنون بالآخرة، قَالَ اللَّهُ سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُوراً﴾، (الإسراء: 45).

هذه مواضع ذكر الحجاب في القرآن المبين الذي بيّن المقصود من الحجاب، حسب ما عرف به كلام الله - سبحانه وتعالى - وقد جاء بياناً واضحاً وصريحاً نافياً للجهالة، ولا شأن له بثياب المرأة لا من قريب ولا من بعيد، غير أن كتب المذاهب الدينية خاضت في الحجاب قديماً وما زال الجدل قائماً حتى اليوم من أجل صرف الناس عن القضايا الحقيقية لحقوق المرأة.

13-16 الحضانة والرضاعة والأمومة:

التعريف والمشروعية: الحضانة والرضاعة والأمومة من الحقوق الطبيعية والأساسية للمرأة، فالحضانة والرضاعة من قبل الأم لصغيرها شيء معلوم، وظاهر وطبيعي، وهي أحق الناس بذلك، وليس محل نزاع إلا في حالات استثنائية، وهذا الاستثناء لا يكون إلا في مرحلة انفصال الأم عن عش الزوجية بطلاق نهائي بات، ويظل هذا الحق متصلاً بالأم حتى بعد الطلاق، وعلى المطلق الإنفاق والسكن للأم المطلقة ذات الحمل حتى تضع حملها، ثم ينفق عليها كحاضنة لوليدها طيلة فترة الحضانة وإن تعاسرت فسترضع له أخرى، بالآية من الذكر الحكيم والذي يمثل قاعدة ملهمة للمشرعين لسن النصوص القانونية اللازمة لذلك، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَمْرُهُمَا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمَ فَسْتَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى، لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ (الطلاق: 6، 7).

وآية أخرى تنظم حقوق الأمومة والرضاعة لمزيد من الاهتمام والتأكيد، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة: 233).

ومن تلك الآيات نستخلص بعض الأوامر الإرشادية التي يجب على الناس في كل زمان ومكان سن القوانين في تنظيم هذه الجوانب ضمن حياة الناس، بمختلف حياة المجتمعات والشعوب والأمم في الزمان والمكان ومنها نستخلص النقاط التالية على سبيل المثال في الآتي:

1- حضانة المولود حق طبيعي للأم بعد الطلاق حتى وإن تزوجت بآخر وينظم ذلك بتشريع.

2- وجوب السكن من وجدكم مما وسع الله لكم بشكل ملزم.

3- وجوب الإنفاق من المطلق على المرأة من ذوات الحمل حتى تضع حملها.

- 4- وجوب الإنفاق من المطلق على المرأة (الأم) المرضعة حولين كاملين، - قرابة سنتين كاملتين فترة الأرضاع.
- 5- عدم التصييق على المرأة المطلقة بسكنها.
- 6- إذا تعاسرت في دفع أجره الرضاعة فسترضع له أخرى.
- 7- وجوب النفقة من المطلق، وتشمل الكسوة والعلاج والدراسة، وغيرها.
- 8- يمنع الضرر على الأم بسبب ولدها، وكذلك الأب فلا يضار المولد له (الأب) كذلك بولده.
- 9- عدم المبالغة في طلب النفقة كل بقدر سعته ومقدرته.
- 10- الإنفاق على الأقارب شيء رغب الله - سبحانه وتعالى - فيه دون تمييز في الدين أو الجنس أو اللون.

13-17 القوامة التعريف والمشروعية:

التعريف والمشروعية: القوامة قصد منها قدرة الرجل على القيام بخدمة المرأة وتحمل الأعباء، والمشاق بسبب القدرة والقوة العضلية والبنية الجسمانية لجسم الرجل وقدرته على التحمل ومجابهة المخاطر وهي حالة خاصة بالرجال، وبهذه القدرة والبنية الجسمية، جعل للرجل حق القوامة، بمعنى أوضح خدمة وحراسة المرأة، وتوفير متطلباتها، واحتياجاتها وهو ما يقصده اللفظ من معنى القوامة، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ (النساء: 34)، وليس حسب ما دسَّ بفكر المذاهب من تحريف لمعنى القوامة خلافاً لمقصدها الحقيقي بأنها السيطرة والتحكم بخيارات وحقوق المرأة، فذلك لا محل له في معنى القوامة على الإطلاق، ثم أورد الاستثناء المباشر في بعض الحالات والتي قد ينفرد بها الرجل على المرأة بالقول (بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم)، إذن وعلى الرغم من أن هذه الحالة قاعدة ثابتة في الرجل، إلا أن هناك استثناء فقد تكون للنساء أيضاً، فيكون للمرأة اليد العليا بما فضل الله تعالى بعضهن على بعض، وبذلك تكون القوامة للمرأة من حيث كون بنيتها الجسمية قوية فهي التي تقوم بالخدمة والواجبات، والرجل ضعيف أو من ذوي الاحتياجات الخاصة والعكس أو تكون القوامة للمرأة لسبب آخر، وهو امتلاكها للمال، فتكون اليد التي تنفق هي اليد المسؤولة عن الخدمة والقيام بالواجبات، وفي هذه الأمور ذكرت القوامة حصراً بتعدد المنفعة ومصالح العيش المشترك ويجب أن لا يتعدى على الحقوق المدنية والطبيعية للرجال أو للنساء حسب دلالة ومقصد القرآن الحكيم، ولو كان معنى القوامة هي هيمنة وسيطرة الرجل لخاصية الذكورة، حسب ما دسسته جماعة التحريف في الفكر الإسلامي واقتبسته من العقائد القديمة، فإن ردودنا عليه من القرآن الكريم بما سلف بيانه حول خلق آدم الأنثى من نفس واحدة وخلق منها زوجها على قاعدة واحدة من الخلق والتكوين، ثم جعل منها زوجها الذكر، فكانت آدم الأنثى هي الأم وهي

من يتخلق الخلق في رحمها، وهي الأم الحامل والوالدة والمرضعة والمربية والمعلمة وهي الحاكمة الأولى. وهي الأحق في الحакمية السياسي، حسب ما جاء في قصة حاكمة دولة سبأ بعهد نبي الله سليمان، حسب ما يسرده القرآن بقوله سُبْحَانَهُ: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾، (النمل: 23)، فهذه الآية تصف قوة وعظمة امرأة بزمّن نبي الله سليمان عليه الصّلاة والسّلام، إذ كانت تملكهم بمفهوم الحكم أو الزعامة الشعبية، وهو أمر يوصف بالمهابة والعظمة، تنتفي معها خصوصية القوامة بجنس محدد، فهي لا تحكمهم بالغلبة، بل تملكهم بالحكمة، وهذا أمر فيه كناية بليغة عن قوامتها، بما يفوق فلسفة الحكم لقوم وصفهم الله سبحانه بالمهابة من القوة والبأس الشديد قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى: ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾، (النمل: 33). وقد يقول قائل إن قصة هذه المرأة خاصة بها وبقومها، ومن غير الجائز تعميمها على غيرها؟ وبنفس الوقت؛ يبرز الرد الفوري على هذا القول بالتالي: إن شواهد وأحداث التاريخ الإنساني مليئة بأحداث نساء عظيمات خلدن لعظمتهم في الحكم، والملك فكان لعظمتهم باع طويل ومنها هذه المرأة التي ورد سيرتها في القرآن الكريم السيدة مريم أم السيد المسيح صلى الله عليه وسلم وأمرة فرعون رضى الله عنها وغيرهن الكثير، وقصص من التاريخ الإنساني أمثال قصة الملكة المصرية كليوباترا حوالي عام (69 ق، م) قبل الميلاد، والملكة اليمينية أروى بنت أحمد الصليحي (1084-1138م) وملكة انجلترا اليزابيث الأولى (1533-1603م)، المعلوم أن نازية الرجل الالمانى (هتلر) دمر ألمانيا في الحرب العالمية الثانية وعقب انتهاء الحرب إدارت المرأة الالمانية زمام المبادرة في إعادة بناء ما دمره الرجل في ألمانيا في الحرب العالمية الثانية ونتيجة لذلك دفع الشارع الالمانى مؤخراً بالمستشارة الألمانية أنجيلا ميركل التي أستطاعت أن تفقد أقوى ماكينة اقتصادية على مستوى أوروبا منذ قرابة عقدين من الزمن، وبذلك يكون من المحال القول على الله جل شأنه أن يأتي بأوامر تناقض الفطرة التي فطرها في الناس جميعاً، إذ جاءت كل أوامر التكاليف فيه بالتساوي بين الرجل والمرأة على حدٍ سواء وفي كل الحقوق بل واعطى للمرأة ميزات خاصة بها زيادة عن الرجل على اعتبار انها الجنس الأكمل في الخلق وفي الحفاظ على بقى النوع الإنساني.

13-18 المحيض أو (الحيض):

التعريف والمشروعية: الحيض أو المحيض مصطلح يطلق لوصف الدم الذي ينفذه رحم الأنثى البالغة، بشكل دوري، وبصورة طبيعية من دون أن تكون مصابة بمرض أو نتاج نفاس، ودليله قَالَ تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَدْنَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾، (البقرة: 222)، ومن خلال التعريف، نفقه من السؤال الوارد بمقدمة الآية عن المحيض والإجابة عليه بقصد إثارة أمر يخص شأن المرأة من الناحية البيولوجية الطبيعية، حسب الفطرة التي فطرة بها المرأة فيما يتعلق بمعرفة المحيض مع التفريق بين دم المحيض، ودم الاستحاضة من حيث أن دم الاستحاضة لا ينقطع عن المرأة إلا قليلاً وهو دم

مرض، ولونه أحمر ويزيد عن دم المبيض، ويستمر إلى أن تعالج المرأة من المرض، أما دم المبيض فإن لونه أحمر داكن يميل إلى السواد، وقوامه غليظ ورائحته كريهة، ويتجمد ويحدث المبيض بسبب تخلص الرحم من البويضة بشكل دوري، إذ يتجدد أيضاً بشكل دوري في دورة هرمونية، بيولوجية طبيعية، كما أنه دليل على خصوبة المرأة ويتكون أغلب هذا الدم من خلايا الدم السائل مع بعض الخلايا الجدارية، والسوائل المخاطية، وتختلف كميتها من امرأة إلى أخرى بحسب مدة خصوبة المرأة، على الرغم من أن المبيض مرتبط بالدورة الشهرية الهرمونية، فهو مرتبط بالتبويض حيث يحدث المبيض بشكل طبيعي، حتى في الدورات غير التبويضية مثل: أول الدورات الشهرية عند البلوغ أو الدورات الأخيرة قبل انقطاع المبيض، أو بعد انتهاء فترة خصوبة المرأة، ويختلف سن بداية المبيض بشكل واسع ما بين (11) عاماً و(18) عاماً، ويشهد حالياً انخفاضاً في التقديرات العمرية حسب ما طرح من نظريات لتفسير هذه الظاهرة كان السبب الرئيسي لها الاستخدام الواسع للهرمونات في الأطعمة، إذ يعد متوسط بداية الحيض وبداية الدورة الشهرية لدى الفتيات ثلاثة عشر عاماً ونصف، ويرتبط انقطاع الحيض في معظم الأبحاث العلمية بما يسمى "أعراض ما بعد انقطاع الحيض" الذي يقع ما بين الشهور الأخيرة من عمر الخصوبة لدى المرأة، وعادة ما يكون دون تبويض وفترة الحيض تختلف من أنثى إلى أخرى ما بين ثلاثة أيام إلى سبعة أيام من كل شهر، وتعرف علامات الطهر من الحيض، حيث تعرف المرأة أنها طهرت من الحيض، أما بالجفاف حتى ينقطع الدم ويبس محل نزوله، أو بنزول (القصة البيضاء)، والتي تعرف لدى غالبية النساء بماء يشبه الجير، يخرج من الرحم بعد الحيض؛ من كونها أبلغ علامة على استبراء الرحم من الحيض، أو تتأكد من طهرها من الحيض بجفاف الرحم، من الدم النازل وانقطاعه عنها حسب حالة كل أنثى على حده وهو ما يعرف بطهر المرأة من الحيض، أو المبيض، وما يفعلن النساء من الاغتسال بالماء، إلا من باب الزيادة ولا عبرة بالاغتسال بحال الطهر من الحيض، وقد كان المبيض محل سؤال محدد وجواب محدد في القرآن الكريم حسب ما يعرف بفقهاء شؤون المرأة، من قبل المولى - سبحانه وتعالى - الذي بينه بياناً واضحاً ومختصراً، ومن التعريف السابق يتبين لنا بعض النقاط بالآتي:

1. يعتبر المبيض عملية طبيعية داخلية في تكوين جسم المرأة (الأنثى) البيولوجية.
2. يعتبر المبيض أدنى وقد ثبت علمياً أنه كذلك حسب أبحاث علمية.
3. يعتبر المبيض مانعاً للرجل من مس زوجته لجماع ووطء، وهي بفترة المبيض لما يتسبب من الأذى.
4. لا يعتبر المبيض سبباً في نجاسة المرأة.
5. لا يعتبر المبيض سبباً في إسقاط الشعائر، والمناسك من صلاة، وصوم، وحج وعمره، وغيرها من الشعائر، ويجب على المرأة أداء جميع تلك الشعائر والمناسك وغيرها وهي حائض من دون حرج.

الطلاق التعريف والمشروعية: جاء تنظيم العلاقة بين الرجل والمرأة منذ النشأة الأولى للبشر، فلم تكن هذه الآيات وغيرها وليدة بعثة النبي محمد عليه السلام وكما جاء بفكر فقهاء مذاهب العننة والقلقة، إذ يعرف الطلاق بأنه انفصال العلاقة بين زوجين، رجل وامرأة، انتهت بينهما رابطة (ميثاق) الزوجية بصورة مؤقتة أو نهائية، والطلاق يكون من الرجل دائماً، ويكون استثناء من المرأة وفق مدول الآية (استبدال زوج مكان زوج)، والطلاق مرتان، ولكل مرة من الطلاق لها أحكامها ومشروعيتها، ومدة زمنية محددة، وعدد من المحاذير والتحذيرات، بين كل حالة على الأخرى، وهو ما نبينه من القرآن الكريم كأحكام وأوامر ونواهي وإرشادات لا تدخل في مظنة التحريم، بل تمثل قواعد أساسية في تنظيم حياة الأسرة، وهذه القواعد هي الأساس لسن التشريعات أو المراسيم، والقوانين المنظمة للعلاقة بين الرجل والمرأة وتحديداً فيما يتعلق بموضوع الطلاق، وتقع ضمن قانون الأسرة، وقد بيّن الله تعالى الطلاق وخصّه بسورة متكاملة سميت بسورة الطلاق، بالإضافة لآيات كثيرة من سورة البقرة تبين أحكام الطلاق، وتشرح تفاصيله من زوايا ونواحٍ متعدّدة نظراً لأهمية موضوعه، في تنظيم العلاقة بين الرجل والمرأة، اللذين هما عمودا بناء الأسرة والمجتمع وقوامه، وقد اهتم الإسلام بالطلاق كونه محطة فاصلة بين مرحلتين من العلاقة بين الرجل والمرأة، فبرغم من كون محطته الأولى تنهي العلاقة الزوجية التي كانت قائمة على المودة والرحمة والسكينة، إلا أن محطته الثانية تبدأ بعد الطلاق فقد قرر الحق سبحانه طبيعة تلك العلاقة التي تقوم على الإحسان، بالإضافة إلى تنظيم العلاقة الأسرية لما بعد الطلاق إذا نتج عن الزواج وجود ذرية (أطفال) بينهما من أجل المحافظة على حقوقهم، في المجتمع بعد الانفصال، ذلك إن اهتمام الله - سبحانه وتعالى - بتنظيم العلاقة بين الرجل والمرأة بعد الطلاق تفوق العلاقة ذاتها أثناء الزواج وقد أمر بالتسريح بالإحسان حسب ما سبق بيانه، ومعلوم أن الإحسان درجة من درجات الكمال والسمو والرفعة في التعاملات فيما بين الناس، كما بين الله سبحانه - الطلاق بياناً واضحاً من خلال ما ذكر في القرآن الكريم بسورة البقرة وسورة الطلاق، ولأهمية هذا الموضوع فقد أكد على أن التعدي في هذه الحقوق أو التعسف في الطلاق يعد تجاوزاً لحدود الله - سبحانه وتعالى يتوجب وقفه.

مشروعية الطلاق: جاء ذكر الطلاق في القرآن الكريم بآيات مفصلة سهلة الفقه والإدّكار، تجعل من هذه الآيات قواعد ملهمة للمشرعين في تنظيم علاقة الرجل بالمرأة بعد انتهاء رابطة الزواج أو النكاح، ولأهمية هذا العنوان سوف انسخ بعض الآيات مختصراً بالآتي:

- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة (227)
وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ...﴾ البقرة (229).

- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ...﴾ البقرة (228).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا...﴾ البقرة (230).
- قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغُنَّ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سِرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لَتَعْتَدُوا...﴾ البقرة (231).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغُنَّ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ...﴾ البقرة (232).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفَرَّضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرَهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرَهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ البقرة (236).
- قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ...﴾ البقرة (237).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ البقرة (241).
- قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسِرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ الأحزاب (49).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ الطلاق (1).

13-19-1 أنواع الطلاق:

الطلاق للعدة - التعريف والمشروعية: يبين الله تعالى أن الطلاق لا يكون إلا بعد عدة المرأة والعدة هي المحيض، من وقت طهر وبرأة رحم المرأة من دورتها الشهرية وهي في بيت الزوجية، وقد أمر الله تعالى بمنع خروجها من بيتها إلا أن ترتكب فاحشة مبينة واضحة مشهودة وتلك حدود الله ومن يتعدى حدود الله فقد ظلم نفسه، كما أن الخطاب الموجه للنبي بقوله تعالى: (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء) فهو لفظ خاص أريد به العام لكل نبي ولكل الأنبياء والناس أجمعين وعامة النساء، كما جاء القرآن الكريم بكتاب آخر حول هذا الموضوع بسورة كاملة سمية بسورة الطلاق من الآية (1) وحتى الآية (7) بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا، فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ

بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا، وَاللَّائِي يَنْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَاتِ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا، ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا، أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تَضَارُّوهُنَّ لِنُضَيْفٍ عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَتَمُّوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فَمِشْرُوعٌ لَهُ أُخْرَى، لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْلَفِ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا، (الطلاق: 1، 2، 3، 4، 5، 6، 7).

ومن هذه السورة التي أوضحت كيفية الطلاق وآدابه بصورة مفصلة، بأوامر ونواهي تمثل على جانباً كبيراً من الأهمية في التنظيم الراقي، والآداب الرفيعة في العلاقة في حالة الطلاق، وما بعد الطلاق، إذ إن تلك الأوامر أو النواهي المجمل تعريفها بتعاليم الطلاق، كما يحلو لي وصفها فهي أوامر لا تدخل ضمن دائرة التحريم مطلقاً، وهي في الحقيقة تعاليم وقواعد إرشادية للمشرعين لمراعاتها عند سن التشريعات القانونية المتعلقة في تنظيم أحوال العلاقة بين الرجل والمرأة بعد الطلاق والآثار المترتبة عليها، وكون التعدي والتعسف فيه، يعتبر تجاوزاً لحدود الله يتوجب وقفه، وعدم السماح لأحد باستخدامه بشكل سيء حسب الآية، وأهم ما جاء فيه على سبيل المثال بالآتي:

- الطلاق لا يكون إلا بعد عدة المطلقة من المحيض مع إحصاء العدة في بيت الزوجية.
- قصد بالتسريح بإحسان تسوية الجوانب المادية المكتسبة والمشاركة بين الزوجين بقسمتها بينهما حسب نسبة وتناسب ضمن تنظيم تشريعي متغير (قانون) يخضع للزمان والمكان والحالة الاقتصادية والمعيشية وظروف الكسب لكلا الزوجين.
- يمنع إخراجها من بيت الزوجية أثناء الطلاق لعدتها وتلك من حدود الله.
- بقاءها ببيت الزوجية أثناء طلاقها لعدتها قد يحدث بعد ذلك أمر بالتصالح فيما بينهما حسب الآية.
- تخرج من بيت الزوجية إذا فعلت فاحشة مبينة من زنا أو نحوه، وهي بعدة الطلاق.
- الامساك بالمعروف في بيت الزوجية أو المفارقة بالمعروف إذا كان هذا الخيار الأخير بدون عدة.
- الإشهاد على الطلاق والمفارقة بينهما من ذوي عدل منكم، وهما شخصين وأكثر من الأقرباء أو من الغير.
- عدة المرأة اليانس من المحيض ثلاثة أشهر من طلاق.
- عدة المرأة المنقطع الحيض عنها ثلاثة أشهر من طلاق.
- عدة المرأة الحامل أن تضع حملها.

- تسكن المرأة المطلقة اليانس من المحيض، والمنقطع عنها الحيض والحامل ببيت الزوجية وبحسب رغبتها.
- يتحمل الرجل المطلق بحسب دخله المادي أجره رضاعة المولود، وإن تعاسرا فسترضع له أخرى.

13-19-2 الطلاق الرجعي - إرجاع الزوجة بالصلح - التعريف والمشروعية:

وهو أن يطلق الرجل الزوجة أثناء فترة العدة ثم يتم مراجعتها بعد الطلاق، فيحق له مراجعتها بالصلح أن تراضى بينهما، وقد حددت الآية فترة العدة من طلاق بتربص المرأة فترة انتظار قدرها ثلاثة قروء - ثلاث حيضات حتى تستبرأ الرحم من حمل، حسب ما بين الله - سبحانه وتعالى - بالآية (228) من سورة البقرة بقول الله جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنْنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، (البقرة: 228).

ومن تلك الآية نستخلص بعض القواعد والأوامر حول هذا الموضوع بالتربص ثلاثة قروء للمطلقة بعد طلاقها ويقصد بثلاثة قروء ويقصد بثلاثة حيضات، وهي فترة انتظار لاستبراء الرحم من حمل ونحوه، وقد يكون في ثلاثة أشهر (تسعين يوم) أو أكثر أو أقل من ذلك بقليل ومن الأشياء المحببة في الإصلاح بين الزوجين تحديد الالتزامات، من الحقوق والواجبات لضمان استمرار حياتهما الزوجية، وكذلك بالنسبة للرجال، ومثل ذلك ودرجة إضافية من الالتزامات، ويجب أن لا تخرج الآية الأخيرة من الآية عن سياق المعنى الحقيقي بالقول (وللرجال عليهن درجة) إذ يقصد تحميل الرجل درجة إضافية من الالتزام تجاه المرأة إذا أراد المصالحة بردها حفظاً على كرامتها وحتى لا ترجع وهي مكسورة خاطر وفيه نبين الآتي:

- لا يجوز للمطلقة خلال فترة الثلاثة القروء (حيضات) أن تكتم حملها عن مطلقها.
- لبعلها (زوجها) الحق بردها إذا ظهر حملها إن أرادوا إصلاحاً.
- إشارة الآية إلى أن للنساء حقوق وواجبات تؤخذ بالاعتبار عند النظر في الإصلاح بينهما.
- إشارة الآية للرجال من الحقوق والواجبات مع إضافة أن للرجال عليهن درجة إضافية من الالتزامات تجاه المرأة عند النظر في الإصلاح بينهما.

13-9-3 أحكام الطلاق البائن، وهو من حدود الله - التعريف والمشروعية:

التعريف والمشروعية: يبين الله - سبحانه وتعالى - أن الطلاق مرتان بحيث يعد كل طلاق منفصل عن الآخر بوقوعه ووقته وفترة العدة في كل مرة على حده حرصاً من الله - سبحانه وتعالى - على أن لا يكون الطلاق مرة واحدة، وبإجراء أحادي من جانب واحد، لا

رجوع فيه، وهو ما بيناه سابقاً وما نوضحه من خلال قراءتنا لمذلول كلام الله في القرآن المفصل، والمبين وهو ما يفقه بمدى الاهتمام الذي أولاه ربنا الله جلّت قدرته، الخبير العليم الحريص على عباده وعلى بقاء الأسرة ضمن أصغر وحدة في التكوين الإنساني بحالة من الاستقرار، والطمأنينة سواء كان في فترة الزواج أو لما بعد الطلاق، وهو ما فصلا بقوله سبحانه وتعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ، فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يَبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾، (البقرة: 229، 230)، فكما هو قاعدة الزواج المعاشرة بمعروف فكانت السكينة، والمودة، والرحمة ظل لها، فيكون الطلاق على نفس القاعدة من التسريح بالإحسان وهما أساس قيم الفضيلة والأخلاق التي تبنى بهما الأسرة والمجتمعات الإنسانية، وقد بينتها الآية بأحكام ثابتة نوضح منها في الآتي:

- 1- الطلاق الأول: وفيه الإمساك بالمعروف للمطلقة في بيت الزوجية، وفي هذه الحالة من الطلاق فإن الله - سبحانه وتعالى - أمر أن يمسك الزوج زوجته في بيت الزوجية، وأن تكون المعاملة للزوجة بالمعروف، والمعروف هو كل عمل طيب أو قول حسن من دون معاشرته، حتى يعود الحال إلى ما كانت عليه حياتهما، في السابق من السكينة، والمودة، والرحمة من دون إحفاف أو تفريط بحقوق كل واحد على الآخر.
- 2- الطلاق الثاني: وفيه التسريح بالإحسان، ولا يجوز أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً ولا يكون هذا الطلاق إلا إذا خافا أن لا يعيشا معاً على المعاشرة بسكينة، ومودة، ورحمة، وحب، فتجاوز ذلك لخيارات أخرى يعد تجاوزاً لحدود الله التي لا ينبغي تجاوزها بالتعدي عليه، وإن خفتكم التعدي على حدود الله بعدم المعاشرة بالسكينة والمودة، والرحمة وفقدان العشرة الطيبة، بالمعروف فليس عليكم جناح بعد ذلك في الانفصال، وفي هذه الحالة فإن الله - سبحانه وتعالى - أمر أن يكون التسريح بالإحسان.
- 3- والإحسان يفوق المعروف من معاني عديدة، إذ إن الإحسان مدعو للعفو عن الإساءة والمغفرة للمخطئ، أضف إلى أن المحسن يكلل عفوه وغفرانه بمضاعفة الإنفاق، والعطايا، وهذا من فضائل الإحسان، والقصد من الإحسان هو العطاء المادي أيضاً، وذلك بتخصيص جزء من الحقوق المادية المكتسبة بين الزوجين أثنا حياتهما، وقسمتها بينهم على إثر الطلاق النهائي وفق تسوية تقوم بين الطرفين، وهذا الآية الإرشادية تعطي الضوء الأخضر للمشرعين عند سن قانون الأسرة الحق للمرأة المطلقة في المال المكتسب في حياتهم الزوجية، بنسبة وتناسب محددين، كل حسب الحالة وبما يتناسب مع وضع الناس في كل زمان ومكان، وبموجب تشريع صادر عن هيئة مختصة أستاذنا لما سبق إيضاحه ونعيده للتأكيد.
- 4- لا يجوز أن يأخذ الزوج شيئاً مما أعطاه للزوجة على سبيل المعروف والعشرة الحسنة مثل الأموال النقدية، أو المصوغات الذهبية، والهدايا، والتحف أو عقار أو أثاث أو غيره

حفاظاً على العشرة، التي كانت قائمة بينهما، واستمرار للعلاقة الإنسانية على قاعدة الإحسان، على اعتبار أن هذا البند من القواعد التي يجب مراعاتها عند التشريع في سن القوانين التي تحدد جزءاً من الدخل المكتسب أثناء الحياة الزوجية يُعطى للمرأة عند الطلاق على اعتبار أن المرأة لها حق في ذلك وليس عطاء فضل أو منه من الزوج الطليق.

5- التعدي في استخدام حق الطلاق يعد تجاوزاً لحدود الله ومن أشكال هذا التعدي التعسف، والعنف، والاضطهاد، والإكراه، في المعاشرة، واستخدام أشكال متعدّدة من الممارسات اللإنسانية، إذ يجب إيقاف مثل هذا الظلم فذلك تعدي على حدود الله، ومن يتعدى حدود الله فأولئك هم الظالمون، وهذه أيضاً من القواعد التي ينبغي للمشرّع مراعاتها.

6- فإن طلقها بعد ذلك، فلا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره فإن نكحت من زوج غيره وتطلقت فلا جناح عليهما أن يتراجعا ظناً منهما أن يقيما حدود الله بالمعاشرة، بسكينة ومودة ورحمة وحب متبادل بينهما، من أجل إعادة العلاقة الزوجية للمحافظة على الأسرة من التفكك، والانحيار وما ينتج عنه من ضياع الذرية (الأطفال) فيصبح المجتمع عرضة للجريمة.

13-9-4 الاستعمال السيئ للطلاق:

أولاً: التعسف ضراراً في الطلاق: وهو ما يعرف بسوء استخدام حق الطلاق، فقد بيّن الله - سبحانه وتعالى - في الآية (231) من سورة البقرة عدم التعسف في الطلاق بالإمساك بالمطلقة، ضراراً لتعتدوا عليها وإلحاق الضرر بها وجعلها معلقة دون أن يتم تسريحها بالإحسان ليُجعل الله لها سبيلاً، أما بالزواج من آخر أو تنفك عن ولاية طليقها وفقاً لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبُغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأُمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِّتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوّاً وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، (البقرة: 231)، وهذه الآية من قواعد التشريع يجب ترجمتها عملياً على واقع الحياة بسن التشريعات الضابطة لهذه الحالات في حياة المرأة في كل مكان وزمان.

13-9-5 العضل بعد الطلاق:

التعريف والمشروعية: العضل هو المنع من النكاح بعد الطلاق، ويقصد منع المطلقة من أن تنكح زوجها بعد عدتها من طلاقها منه إذا تراضوا بالمعروف، وقد بين الله - سبحانه وتعالى - ذلك بالآية (232) من سورة البقرة قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبُغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمْ زَكَاةٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، (البقرة: 232)، والعضل هو (المنع) وهو حالة أو حكم خاص بالمطلقة التي ترغب بنكاح زوجها، ولا

يكون على عموم النساء، كون الزَّواج من الحقوق المدنية الطبيعية التي لا يجوز عضلها ومنعها، والعضل لا ينطبق على الزواج العادي.

13-9-6 الطلاق، للمرأة التي لم تمس

التعريف والمشروعية: بين الله - سبحانه وتعالى - أن لا عدة على المرأة المطلقة التي لم يمسه زوجها بالمعاشرة الزوجية، لم يدخل بها زوجها المطلق لها، ليس ذلك بل حث الله تعالى الرجل في هذه الحالة على تعويض المرأة المطلقة التي كانت موعودة بالزَّواج ولم يتم الزَّواج لأي سبب من الأسباب، فإن على الزوج أن يتمتعها كجبر خاطر لها ومراعاة شعورها، ليس ذلك، بل حث على تسريحها سراحاً جميلاً وصرفها عن الدخول بها، بما لا يؤدي إلى جرح مشاعرهما وأحاسيسهما، وقد يقوم ذلك بالتعويض المادي من مال أو نحوه وفقاً لما جاء بقول الله - سبحانه وتعالى - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً﴾، (الأحزاب: 49).

وهذا آية آخر تقرر نصف الفريضة من الحقوق التي حددت للمرأة من مهر أو أشياء مادية أخرى كانت قد فرضت أو وعدت بها، كما تتحدث عن عُقْدَةَ النِّكَاح وعُقْدَةَ النِّكَاح غير العقد المدني العادي إذ يكون العقد بين طرفين وأكثر وبالتزامات متقابلة بينما (عُقْدَةُ النِّكَاح) هي مجموعة من الحقوق، أحادي الجانب وتحت يد من يملكه، وله في سبيل ذلك الحق في المطالبة باستحقاقه، أو العفو عنها بحسب الآية قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، (البقرة: 237)، ولمزيد من الإيضاح نأتي إلى آية أخرى من القرآن المفصل للتعريف أكثر بعُقْدَةِ النِّكَاح، من خلال هذه الآية، وهو ما يزيد الأمر وضوحاً إلى جانب الآية السابقة قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿...وَلَا تَعَزَّمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾، (البقرة: 235)، أضف إلى ذكر لفظ عقدة بصورة منفردة، كما في قوله جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾، (طه: 27)، وأعتقد أن العقدة جزء من بنود ميثاق الزواج وهو الأرجح لدي، وهذه الآية ترشد المشرع لصياغة نص من القانون ينظم ذلك ضمن قانون الأسرة.

13-9-7 حقوق المطلقة بعد الطلاق التي لم يدخل بها (يمسها):

بين الله - سبحانه وتعالى - أن ما فرضتم من فريضة أو حق من الحقوق سواء كان مالاً أو عقاراً أو متاعاً للزوجة، أو ما يعرف بالمهر أو غيره من المسميات المتعارف عليها بين الناس، ولم تمسوهن، وطلقتموهن من قبل أن تمسوهن، وقد حددتم لهن فريضة أو حقاً أو متاعاً

فقد ورد فيه حکمان وهما في الآتي:

- 1- الحكم الأول تستحق نصف ذلك الحق أو المتاع أو المهر أياً كان المسمى.
- 2- الحكم الثاني التخييري للمرأة المطلقة التي بيدها عقدة النكاح، بأن تعفو بعدم أخذ تلك الفريضة أو تأخذها.

13-20 التعدي على حقوق الزوجة:

وصف القرآن الكريم هذه الحالة بقاعدة عامة وتشبيهه ببلغ لحالة افتراضية بتقديم الشكوى من الزوجة من ظلم زوجها حسب ما جاء بهذه الآية بقوله الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾، (المجادلة: 1) ومدلول الآية واضحة إذ جاءت بتعبير قوي جداً كون العلاقة الزوجية لا يعلم بها غير الزوجين فكان الله سبحانه سمياً بصيراً بمنعياً شهيداً على صحة ما سينقرر من الشكوى حتى لا تظلم المرأة في حقوقها، وهذه الآية تم تفسيرها من جماعة التحريف على واقعة محددة وشخصنة باسم معين وذلك خطأ، ومن الملاحظ أن الآية التي تليها تحدثت عن الظهار كقضية عامة في حياة المجتمع الإنساني ككل.

13-21 الظهار:

التعريف والمشروعية: يعتبر الظهار للنساء تجاوزاً واضحاً لحدود الله: إذ يبين الله - سبحانه وتعالى - الظهار بصورة جلية لا لبس فيها، وهو نوع من حلف الرجل بتشبيه المرأة (زوجته) كأمه فيمتنع عن معاشرتها، مع ملاحظة أن الله سبحانه وتعالى - لم يخاطب الزوجة في الظهار كزوجة، بل خاطبها كإحدى نساء المظاهر لندرة وقوع مثل هذه الحادثة بين الزوجين، وكأنما جاء التشبيه بعد أن ضعفت الروابط الزوجية بينهما، فصارت الزوجة إحدى نساء المظاهر وليست زوجة، حيث اعتبر فعل الظهار من قبل الزوج تعدياً على حدود الله سبحانه، ولذلك جعل هذا الحكم أحد النصوص التي يجب التعويل عليها في التشريع، خاصة وأنها رتبت عدداً من القواعد والأوامر التخييرية في معالجة هذه الظاهرة في المجتمعات الإنسانية بحسب ما جاء بسورة المجادلة من الآية (1) وحتى الآية (4) - بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُم مِّنْ نِّسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ، وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكَ تَوْعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، (المجادلة: 1، 2، 3، 4).

ومن القرآن الكريم نذكر بعض من القواعد التشريعية التي تستنبط من مدلولات الآيات سالفة الذكر حول عدم التعدي على حقوق المرأة عند قيامها بالشكوى وأن الله سمياً بصيراً

ورتب على الحكم على المظاهر عدداً من العقوبات حسب الترتيب الاختياري التالي وتطبيق واحد من منها حسب الاستطاعة، بالآتي:

- 1- البيان والتأكيد على أن الظهار قول منكر وزور ويعد تجاوز لحدود الله.
- 2- الحكم الأول على المظاهر تحرير رقبة - تحرير إنسان من العبودية، دون تمييز لهذه الرقبة في العقيدة أو الجنس أو اللون من قبل أن يتماسا.
- 3- الحكم الثاني على المظاهر صيام شهرين متتابعين إذا لم يستطع تحرير رقبة من قبل أن يتماسا.
- 4- الحكم الثالث على المظاهر إطعام ستين مسكيناً إذا لم يستطع الصيام من قبل أن يتماسا، بما يعادل الشهرين، إذا فكل شهر ثلاثين يوم حسب ما يفهم من دلالة الآية ضمناً.

22-13 اللعان بين الزوجين:

التعريف والمشروعية: ذكر اللعان في القرآن الكريم كحالة خاصة لمعالجة القضايا الأسرية الخاصة بالعلاقة الزوجية والتي غالباً لا يطلع عليها أحد في إطار ضيق جداً، فيما يتهم به الزوجان بعضهم البعض من تهمة الزنا، إذ يأتي دور الزوج باتهام زوجته ويحلف على صدق اتهامه أربعة شهادات بالله أنه لصادق، والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان كاذباً في اتهامها بذلك، وكذلك يدرأ عنها العذاب بأن تشهد بنفس العدد أن الزوج كاذب، وإتمام شهادتها بالخامسة أن غضب الله عليها إن كان زوجها من الصادقين، واللعان هو حلف يمين من الزوجين اللذين لا شهود لهما إلا أنفسهما فشهادة أحدهما على الآخر بأربعة شهادات، بحسب آية من الذكر الحكيم من سورة النور قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ، وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ، وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ، وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾، (النور: 6، 7، 8، 9).

23-13 الذين يؤلون (يحلفون) على نسائهم التعريف والمشروعية:

يبين الله - سبحانه وتعالى - معنى قوله تعالى (يؤلون) - يحلفون بأن لا يقربوا أزواجهن على الفراش بوطء لمدة معينة، وأحياناً يريد الرجل أن يؤدب الزوجة، فيهجرها في الفراش بلا يمين، وبعض الناس لا يستطيعون أن يمتنعوا عن نسائهم من تلقاء أنفسهم، فيحلفون ألا يقربوهن حتى يكون اليمين نافذاً ومانعاً ومشجعاً لهم على ذلك، وكان هذا الأمر مألوفاً عند الناس قَالَ تَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ، وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، (البقرة: 226، 227)، فكان الرجل الذي يمتنع عن معاشرته زوجته في الفراش لفترة من الزمن، وبعضهم كان يحلف ألا يقرب زوجته زمناً محدداً وقبل أن ينتهي هذا الزمن يحلف يميناً آخر ليزيد فترة أخرى وهكذا حتى أصبحت المسألة تعدي وإهدار لحقها في المعاشرة، وقد أراد الحق - سبحانه وتعالى - أن تنظم هذه

المسألة ليس لحساب طرف على طرف آخر وإنما بعدل الخالق الحكيم الخبير، فقد حدد الله سبحانه- للرجل الحق في أن يمتنع عن زوجته أربعة أشهر، أما أكثر من ذلك، فالمرأة لها الحق بالخيار أما ان يرجع لحسن العشرة أو تطلب الطلاق والإسلام يريد أن يبني الحياة الزوجية على أساس واقعي، لا على أفكار مجنحة، ومجحفة لا تثبت أمام الواقع، فهو يعترف بالميل فيهبه ولا يهدمه، ويعترف بالغرائز فلا يكتمها، بل ينظمها، ويضبطها، والحق - سبحانه وتعالى - وضع نظاماً واضحاً لخلق من الإنسان فأحكم لهم ضوابط تحكم نظام الأسرة على أساس سليم وبناء يقوم على احترام الحقوق والرغبات حتى لا تتوزع المؤثرات في مكونات الأسرة، ويضبط العلاقة الجنسية بين الزوجين ضبطاً سليماً نظيفاً خالياً من العلل، والشواذ، فالله - سبحانه وتعالى - يعلم أن للنفس نوازع ومتغيرات، ومن الجائز جداً أن يحدث خلاف بين الزوجين، فيجعل الله - سبحانه وتعالى - متنفساً ينتفس فيه الزوج للتأديب، الذي ينشده للتهذيب والإبقاء على الحياة الزوجية، فشرع للرجل إن رأى في زوجته إذلاًلاً بجمالها وبحسنها، أو قد يكون رجل له مزاج خاص، ورغبة جامحة في هذه العملية، أو تكون هي على نفس المنوال من الرغبة الجامحة والرغبة في المعاشرة الزوجية، لذلك، فقد رخص الله له حق اعتزال الفراش، وعدم المعاشرة لها وأن يحلف ألا يقرب زوجته فترة من الزمن، ولم يجعل الله تلك الفترة مطلقة، بل قيدها بالحلف حتى يكون الأمر منضبطاً، فالحق يريد العلاج لا القسوة، فلو لم يكن الرجل ملتزماً بيمين، فقد يُغير رأيه بأن يأتي زوجته، ولذلك قال الحق (لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ) - إن لك أيها الزوج أن تحلف ألا تقرب زوجتك أربعة أشهر، لكن إن زادت المدة على أربعة أشهر فلن يكون هذا تأديباً بل إضراراً، والخالق عز وجل لا يريد الضرر فإذا ما تجاوزت المدة يكون الزوج متعدياً ولا حق له (فَإِنْ فَاءُوا) - رجع الرجل، وأراد أن يقترب من زوجته قبل مضي الأربعة أشهر؛ فللرجل أن يكفر عن يمينه وتنتهي المسألة ولكن إذا مرت الشهور الأربعة وتجاوزت المقاطعة مدتها يؤمر الزوج بالرجوع، أو يؤمر بالطلاق، فكان الطلاق من خيارها، ولذلك يقول الحق: (وَإِنْ عَرُمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)، ولذلك نستخلص من ذلك بعض القواعد والأوامر والتي تعتبر مصدر إلهام للمشرعين في صياغة نظم من القانون يضبط هذا المسألة بالآتي.

- 1- حددت أربعة أشهر حداً فاصلاً للذين يحلفون بعدم مس زوجاتهم على فراش الزوجية.
- 2- إذا لم يفئ ويرجع عن حلفه وجب إلزام الزوج بإيقاع الطلاق.

الفصل الرابع عشر

فقه حساب الزمن

مدخل:

يمثل التقويم محطة هامة في حساب الزمن وفي حياة الناس جميعاً، فهو تاريخ الأحداث، والمواسم، والأعمار، والأعياد، والأفراح، والأحزان، وكل المناسبات، وهو كذلك مهم في تحديد مواقيت الكثير من الشعائر والمناسك والعبادات والأحكام وغيرها، وقد أكد القرآن الكريم على أهمية الزمن، فذكر الشمس كساعة كونية لضبط عدد السنين، وذكر الشهر، واليوم والساعة، وأقل منها، بآيات صريحة وأخرى ضمنية وهو ما نحاول تقديمه في هذا الفصل مختصراً في عرض المعلومة بقدر الإمكان، ونفند ذلك في الآتي:

1-14 حساب التقاويم أو التقويم:

يعرف التقويم بصفة عامة بأنه حساب الزمن للأيام والأشهر والسنين، ويرتبط هذا الحساب بحركة الأرض حول نفسها كل أربع وعشرين ساعة، الذي ينتج عنه تعاقب الليل والنهار لمعرفة اليوم وتحديداتها وعدد الأيام، كما يأتي دوران القمر حول الأرض لمعرفة حساب مداخل الشهور وتكون أيام وأشهر السنة القمرية غير منضبطة ولا يعرف للسنة القمرية فصول مناخية محددة لذلك يعرف الشهر القمري بأنه المدة الزمنية التي يتم فيها القمر دورة كاملة حول الأرض من مولده الأول إلى مولده الثاني، فمثلاً اليوم هذه من تقويم السنة القمرية لا تتوافق مع نفس اليوم من السنة القمرية التالية، وحركة الأرض حول الشمس مرة واحدة في السنة، ينتج عنها تعاقب الفصول الأربعة الثابتة وحساب أشهر السنة الشمسية وعدد السنين، ومن المعلوم أن أيام وأشهر السنة الشمسية تأتي منضبطة على الدوام فلا تتغير ولا تختل منذ الخليفة الأولى وإلى ما شاء الله تعالى، ولذلك جاء القرآن الكريم ليؤكد دقة هذا التنظيم البديع، فقدم الشمس على القمر في كل آيات القرآن المبين التي تشير لهما كأهلة ومواقيت للناس في حساب الأيام والأشهر وعدد السنين.

ولمزيد من المعرفة حول السنة القمرية والسنة الشمسية، فإن هناك فارق نقص أحد عشر يوماً تقريباً من السنة القمرية عن السنة الشمسية في كل عام شمسي، الأمر الذي يترتب عليه عدم ثبات الأشهر القمرية على فصول السنة الشمسية، بمعنى آخر إن أشهر السنة القمرية تمر بجميع أشهر وفصول السنة الشمسية الثابتة، ما يجعل تقويم السنة القمرية تقويمياً غير مستقر، وغير منضبط ولا يوجد فيه فصول ثابتة، ولا يصلح أن يكون تقويمياً يؤرخ به للأحداث والوقائع والمواسم الطبيعية، ولأن اليوم القمري في هذه السنة لا يتطابق مع نفس اليوم من السنة القمرية التالية بحسب ما سبق القول، فإن اليوم الشمسي يتطابق مع اليوم الشمسي من السنة التالية، بحسب ما سبق بيانه، وهو ما سيأتي تفصيله في الآتي:

14-2 تعريف السنة القمرية: (1)

تعرف السنة القمرية من قبل الفلكيين بأنها السنة المحددة من اثني عشر شهراً قمرياً، وعدد أيام الشهر القمري متفاوت، ومتوسط عدد أيام الشهر القمري (29 يوم) و(12 ساعة) و(44 دقيقة) و(3 ثانية)، وعدد أيام السنة القمرية تساوي (354 يوماً) و(8 ساعات) و(48 دقيقة) و(36 ثانية)، والسنة القمرية لا يوجد فيها فصول مناخية بحسب ما ذكرنا سابقاً.

14-3 تعريف السنة الشمسية: (2)

تعرف السنة الشمسية من قبل الفلكيين بأنها السنة المحددة من اثني عشر شهراً وعدد أيامها ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً، إذ هي: (365 يوماً) و(5 ساعات) و(48 دقيقة) و(46 ثانية)، حسب ما زعموا أنه تم التوصل إليه من علماء الفلك، باستثناء السنة الكبيسة التي قرر الفلكيون أنها محددة ب(366 يوماً) بزيادة يوم واحد عن السنة العادية، وهذا اليوم المضاف ليوم (28) من شهر فبراير ليصبح (29) يوماً كل أربع سنوات؛ وأن الأرض تستغرق في دورتها حول، (الشمس: 365) يوماً وربع اليوم حسب زعم الفلكيين، فقد تقرر جمع هذه الأرباع وإضافتها في السنة الرابعة، لكي يتناسب التقويم مع الدورة الفلكية، كما حصل بشهر فبراير 2020م، وهو ما يتم معالجته كل أربع سنوات، أو كل ما كان تقويم العدد يقبل القسمة على (4) بدون كسر، وهي كما قيل لمعالجة هذا الخل، وبتقديري فإن هذا الخل في تقويم السنة الشمسية، ينبغي الوقوف عليه، وبحث جوانبه وأسبابه ومع إيماني بأن هذا الموضوع يندرج ضمن علم الفلك، وهو علم تجريبي لا نشك فيه، بل يتطلب مني المزيد من البحوث العلمية لمعرفة سبب هذا الخل الحاصل والمخالف لنص القرآن العظيم الذي أكد على دقة حساب عدد الأيام والأشهر والسنين حسب ميزان محكم، وحول هذا الخل المقصود بالسنة الكبيسة، وهو ما سوف نحاول أن نبينه في العناوين التالية من هذا الفصل، مع تسليط الضوء على مقاصد، ومدلول آيات الذكر الحكيم، التي تبيّن أن خلق السماء والأرض كان حسب ميزان محكم وسنة كونية ثابتة لا تتغير ولا يوجد فيها هذا الخل الذي يدعي الفلكيون وجوده، ووجود السنة الكبيسة التي تطرق إليها نص القرآن الحكيم وطرق المعالجة لهذا الخل الذي يتعارض مع نص القرآن إذ تؤكد الآية نفي وجود هذا الخل ويؤكد أن خلق السماء كان بدقة متناهية وانضباط تام ومحكم حسب ما جاء بالآية التالي: قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾، (الرحمن: 7)، وآية أخرى يتحدث عن عدة الشهور قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا...﴾، (التوبة: 36)، ونص آخر ضمنى يؤكد أن الشهر ثلاثين يوم قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتِمَّ اسَّأَ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، (المجادلة: 4)، فنصف العدد ستين ثلاثين، وبذلك فالسنة الشمسية تساوي (360

(1) انظر التقاويم / محمد محمد فياض. الطبعة الثانية 2003 م .

(2) انظر المصدر السابق =====

يوم) وهو حاصل ضرب عدد الأشهر (12) في عدد أيام الشهر (30 يوم) وهو ما يتطابق مع الآية ويدحض وجود الخل ويدحض وجود السنة الكبيسة المندسة من اليهود، وسنحاول بيانه تفصيلاً بالتالي.

4-14 حساب السنين - التقاويم:

قيل إن المصريين هم أول من عملوا بالتقويم في العالم القديم،⁽¹⁾ وحددوا عدد الأيام والأشهر والسنين معتمدين على السنة الشمسية التي تتوافق بصورة عامة مع الفطرة والسنة الكونية، وتقوم على ثلاثة مبادئ لديهم قديماً وهي:

- 1- حلول الاعتدال الخريفي.
- 2- بلوغ الفيضان أعلى ارتفاع.
- 3- شروق النجم سيروس المعروف (بسهيل اليماني).⁽²⁾

ووفقاً لآثار الحضارة المصرية القديمة التي يرجح أن تكون بداية العمل بالسنة الشمسية في التقويم المصري القديم الذي كان في سنة 4241 ق.م تقريباً، وقد عرف المصريين أسماء الأيام والأشهر، وما يؤكد على ذلك ذكر يوم الزينة بقصة موسى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع فرعون قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾، (طه: 59)، فهذا وغيره دليل واضح على تسمية أحد أيام الدورة اليومية بيوم الزينة، إلى جانب التقويم البابلي الأكدي أو التقويم الآشوري والسومري في بابل من بلاد وادي الرافدين، وقيل ان السنة البابلية موهلة في القدم ويعود تأريخها إلى أكثر من ثمانية آلاف سنة وقد حددت من خلال التنقيبات والمكتشفات الاثرية في منطقة (جرمو) وهي موقع أثري في إقليم كردستان العراق والتي تعد من المستوطنات الزراعية الأولى في العالم، إلى ان جاء التقويم السوراني: ويسمى أحياناً بالتقويم السيلوسيدي والتقويم اليولياني، ثم التقويم الجرجاني والذي تتبعه الآن معظم دول العالم وبشان العرب والتقويم القمري (الهجري) والسنة القمرية فهناك عدد من الروايات المزعومة نذكرها حسب ما ورد بالمؤلف سالف الذكر.

الرواية الأولى: قيل أن العرب لم يحددوا بأي عصر أو تاريخ معين استخدموا السنة القمرية، وكان بها اثنا عشر شهراً قمرياً بغير الأسماء الحالية، وجعلوا منها أربعة أشهر حرم، يقعدون فيها عن القتال، يحجون الكعبة - البيت الحرام - ويقيمون فيها أسواقهم، ومنها: سوق عكاظ، وقد ذكر ذلك البيروني في كتابه (الآثار الباقية عن القرون الخالية) والمسعودي في كتابه (مروج الذهب)، وهما روايتان مختلفتان، ولم يحددا تاريخاً معيناً، لهذا الحدث غير أنهما جاءا بمسميات للأشهر حسب ما أورده المسعودي، مثل (ناتق وأمنح وأحلك وكسع، وبرط، وحرف ونعس)، كما جاء الطبري في شروحاته بالشرح والتوافق مع ما ذهب إليه البيروني

(1) انظر اساس التقاويم (مبحث) / جرجس فيلوثاوس عوض - 1915م
(2) . انظر التقاويم / محمد محمد فياض- الباب الثاني. الطبعة الثانية 2003 م .

والمسعودي حول تقاويم العرب وأسماء الشهور، أما الأسماء التي ذكرها البيروني فيقال إنها تكاد تكون قريبة لأسماء شهور نذكرها بالترتيب التسلسلي، ومعناها المقابل لها بالآتي(1):

- 1- المؤتمر – ومعناه – أمر للتشاور وطلب النصح.
- 2- ناجر – ومعناه شديد الحر.
- 3- خوان – ومعناه خائن.
- 4- صوان – ومعناه وعاء يسان فيه الشيء.
- 5- حنتم أو حنين – ومعناه الجرة الخضراء.
- 6- زباء – ومعناه الداھية.
- 7- الاصم – ومعناه لا تسمع فيه قعقة سلاح.
- 8- عادل – ومعناه منصف.
- 9- نافق – ومعناه ماتت الدابة.
- 10- واغل أو وغل – ومعناه المشارك للقوم في شراهم.
- 11- هواع أو رنة – ومعناه أنثى الحرباء.
- 12- برك – ومعناه – برك البعير للنحر.

وتضيف الرواية إلى أن العرب القدامى كانوا يحجون إلى الكعبة في الشهر الأخير، وقيل أن العرب أدخلوا تعديلين على سنتهم القمرية، أحدهما بالكبس والآخر بتأجيل حرمة أحد الأشهر المحرمة لشهر آخر، وأطلقوا عليه اسم النسيء وغير ذلك من الأقوال والشروح المتعددة هنا وهناك معللين ومشرعين تلك الروايات والأقوال بتأويل آيات القرآن.

الرواية الثانية: قيل أن العرب لم يكن لهم مبدأ ثابت يؤرخون به حوادثهم، ويعزى أن أسماء الشهور العربية الحالية وضعت في عهد كلاب بن مرة،(2) الجد الخامس للرسول محمد صلى الله عليه وسلم في منتصف القرن الرابع الميلادي تقريباً، وقد جاء في مزمع التقويم القمري أن ترتيب وتسمية هذه الشهور كان بسبب وقوع الأشهر في فصول مناخية معينة من السنة القمرية التي تم فيها وضع هذه الأشهر وتسميتها بها بتلك السنة أو ما يطلق عليه بسنة الأساس لبدء التاريخ بالسنة القمرية، أو نسبتها لحوادث معينة في تلك السنة، ومعلوم أن السنة القمرية لا يوجد فيها فصول مناخية كما سبق الإشارة إليه، كما يلاحظ ربط تسمية معظم الشهور بمناسبات الحروب والقتال والأقتتال، وبعض العادات المرتبطة بحياة الإنسان وكذا حياة وسلوك حيوان البعير (الجمال) في البادية والصحراء، حسب ما جاء بشرح معاني تلك المناسبات والمسميات لمزمع شهور التقويم القمري ونبينه بالتالي:

- 1- محرم: سمي بهذا الاسم لأن العرب كانت تحرم القتال والحرب فيه، وجعلوا ترتيبه الشهر الأول.

(1) انظر التقاويم / محمد محمد فياض- الباب العاشر. الطبعة الثانية 2003م

(2) نفس المصدر السابق – الباب الخامس=====

- 2- صفر: سمي بهذا الاسم لأن ديار العرب تخلو من سكانها لخروجهم للحرب والقتال، فتكون مصفرة، وجعلوا ترتيبه الشهر الثاني.
- 3- شهر ربيع أول: سمي بهذا الاسم لوقوعه بفصل الربيع، بسنة الأساس الأولى وجعلوا ترتيبه الثالث.
- 4- شهر ربيع ثان: سمي بهذا الاسم لوقوعه بفصل الربيع، بسنة الأساس الأولى وجعلوا ترتيبه الرابع.
- 5- شهر جماد أول: سمي بهذا الاسم لتجمد الماء فيه، بسبب انخفاض درجة الحرارة بفصل الشتاء بسنة الأساس الأولى وجعلوا ترتيبه الخامس.
- 6- شهر جماد الثاني: سمي بهذا الاسم لتجمد الماء فيه، بسبب انخفاض درجة الحرارة بفصل الشتاء بسنة الأساس الأولى وجعلوا ترتيبه السادس.
- 7- رجب: سمي بهذا الاسم بسبب قيام العرب بترجييب أسنة الرماح، نزعها منه، فيقعدون عن الحرب والقتال مهابة للشهر وتعظيماً له فيحرمون فيه الحرب؟ وجعلوا ترتيبه السابع.
- 8- شعبان: سمي بهذا الاسم لتشعب الناس وتفرقهم بحثاً عن الماء، وقيل للحرب والقتال، وجعلوا ترتيبه الثامن.
- 9- رمضان: سمي بهذا الاسم من القِيْظ والحر؟ وجعلوا ترتيبه التاسع.
- 10- شوال: وسمي بهذا الاسم لشول النوق بأذنانها طلباً للتلقيح، فينقص لبنها بسبب حملها، وجعلوا ترتيبه العاشر.
- 11- ذي القعدة: سمي بهذا الاسم لقعود العرب عن الغزو، والحرب والقتال وجعلوا ترتيبه الحادي عشر.
- 12- ذي الحجة: سمي بهذا الاسم لأن العرب كانت تذهب فيه للحج، وجعلوا ترتيبه الثاني عشر.

الرواية الثالثة: قيل إن أول من اعتمد التقويم الهجري القمري هو الخليفة عمر بن الخطاب، والسبب أنه أرسل رسالة لأبي موسى الأشعري وهو أمير على البصرة⁽¹⁾، وذكر فيه شهر شعبان، فلم يدر في أي سنة فيها الشهر المقصود برسالة الخليفة فكان من أبي موسى أن يطلب من الخليفة تحديد السنة التي جاء ذكر شهر شعبان.

الرد على الرواية الأولى:

من خلال القراءة الفاحصة لهذه الرواية يتضح مدى الغموض الحاصل فيها، ولتفنيد الرد على هذه الرواية نأتي بالرد عليها والتي يغلب عليها الدس الواضح من خلال الأسماء، والألفاظ المستخدمة لتسمية الشهور، والتي لا تمت للعربية أو للسان العربي بصلة، وفقاً لأسماء الأشهر في الرواية الأولى في العصر ما قبل بعثة النبي محمد عليه السلام والتي يشوبها الغموض، من حيث ضبط معناها، كما جاء في رواية المسعودي والبيروني، وهي

(1) انظر التقاويم / محمد محمد فياض - الباب الخامس . الطبعة الثانية 2003 م .

(ناجر - خوان - صوان - الأصم - نافق - واغل أو وغل - هواع) فهذه الأسماء والألفاظ كثيراً ما استخدمتها جماعة التحريف في مصطلحات أحاديث العنقة وفقه السيرة وأصول الفقه، والتي غالباً ما يظهر عليها طابع العشوائية والسخرية وهو ما يكذب رواية البيروني والمسعودي والطبري الذين كانوا لهم الدور الكبير في تحريف الكثير من الأحداث والقصص والسير وخاصة عنوان هذا الموضوع (التقويم القمري الهجري)، إذ المعلوم أنه كان للعرب القدماء قبل بعثة النبي عدداً من التقاويم تبعاً للدول التي كانت قائمة في تلك الحقبة من التاريخ القديم، كدولة سبأ والتقويم السبئي، ودولة قنبان وحضرموت أو اوسان والتقويم القتباني، ودولة معين والتقويم المعيني، ودولة حمير والتقويم الحميري، وهذا التقويم الأخير كان امتداداً للتقاويم القديمة وهو التقويم المشهور وما يزال حتى يومنا هذا لدى العرب، وقد كانوا يحتفلون به، بأول رأس السنة في التقويم الحميري في الشهر الأول من شهر ذو الثابة، الذي يوافق منتصف شهر ابريل - نيسان من كل سنة ولا زالت بعض طقوس هذا الاحتفال قائمة إلى عهد قريب، أما عن التقاويم الأخرى فلا توجد مصادر تاريخية لها لعدم كشف النقاب عن حضارات العرب القديمة حتى يومنا هذا، وعن التقويم العربي القديم - الحميري فقد حفظ لاستخدامه في الزراعة ولا يزال معظم المزارعين من عرب الجنوب (اليمن - عُمان) يستخدمون بعض أسماء تلك الأشهر حتى اليوم (علان - ومبكر - والذري - والقيظ - والصراب - والخرف)، وتجدر الإشارة إلى أن التطابق الكبير في المعنى والمضمون في الدلالات التي تحملها مسميات شهور التقاويم العربية القديمة لتلك الحضارات المتعاقبة والمتعددة في آن واحد، تعود بدرجة رئيسية إلى أصل واحد في الجذور والروابط الثقافية والتاريخ والعرف والعادات والتقاليد لشعوب تلك الحضارات العريقة، والتي لا زال منها قائماً حتى يومنا هذا، وتعد مرآة صادقة وعاكسة لعظمة تلك الحضارات في تلك الحقبة من التاريخ القديم للعرب، فقد تطرق الدكتور جواد علي⁽¹⁾ بلمحة خاطفة لهذا الموضوع بعنوان الجاهلية مصادر التاريخ الجاهلي، وهنا اختلف مع الدكتور المؤلف رحمة الله عليه في عنوان الفصل الذي وصم العرب بالجاهلية ومصادر التاريخ الجاهلي فقد سائر المؤلف (د. جواد علي) الكتاب السابقين من جماعة التحريف في وصم العرب القدماء بالجاهلية ووصم تأريخهم بالتاريخ الجاهلي في الزمان والمكان بل وزاد بشروح متعددة قدمها للقارئ حول لفظ الجاهلية أسوة بما قاله الشافعي وأبن إسحاق وأبن هشام وسيد قطب وغيرهم والذين استخدموا لفظ الجاهلية كثيراً في ذم العرب، غير أن سيد قطب عمم الجاهلية على المسلمين والعالم في الماضي والحاضر، وقد سبق الرد عليه في الجزء الأول من هذا المؤلف، وزيادة للتوضيح حول لفظ الجاهلية فإن هذا اللفظ لا يقصد به قوم محدد على مر الزمان والمكان وإنما يقصد به أعمال محددة مخالفة لسنة وفطرة الله سبحانه في التعامل مع الإنسان والناس ويكون هذا العمل مخالفة لقيم الفضيلة والعلم والعقل والفكر بصورة خاصة في كل زمان ومكان حسب أسباب موضوعية خاصة.

وقد ذكر القرآن الجاهلية كلفظ لوصف عمل الإنسان المخالف لفطرة العلم والمعرفة على العموم حسب نصوص من آيات القرآن الكريم قَالَ تَعَالَى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ

(1) انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام - الفصل الثاني. / د. جواد علي - الجزء الأول - الطبعة الثانية 1993 م .

عَنِ الْجَاهِلِينَ الْأَعْرَافِ (199) وآية أخرى قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ الفرقان (63)، وهذه الأمور لم تكن هي السائدة بين العرب والمسلمين الأحناف على ملة ودين سيدنا إبراهيم الذي جاء بدين الإسلام إلى ديارهم وبنى أول بيت بين ظهرانيهم (الكعبة) البيت الحرام - كأول مسجد للعبادة ببكة، فكان العرب مسلمين أحنافاً واستمروا على ذلك، ومن الأهمية الإشارة إلى أهم ما قدمه الدكتور جواد على - بالفصل المزعوم والموصوف جهلاً بالجاهلية ملخصاً إياه في هذه السطور دون الخوض في التفاصيل: والذي يرجح بدرجة رئيسية إلى أن تاريخ العرب (تقويم التاريخ) يعوزه التحقيق والتدقيق والغربة للصعوبة في عدم الحصول على المعلومة في الصحاري والجبال، لوعورة المنطقة العربية بحسب ما سبق الإشارة إليه، إضافة للتخريب والأعتداء على الآثار وعدم وجود عقوبات تحد من ذلك، ومما ورد حول بناء السد من الملك (شرحبيل يعفر بن أبي كرب أسعد) ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابها في الجبال والسواحل، فقد أمر بنقش تاريخ البناء على الجدار وقد عثر عليه، وإذا به يقول: إن العمل كان في سنة (564 - 565) من السنة الحميرية، وهذا يوافق عامي (449 - 450) ميلادي، وبعد ثماني سنوات من هذا التاريخ، تحديداً في عام (457- 458) من التاريخ الميلادي يوافق (572 - 573 حميري)، وضع عبد كلال نصاً تاريخياً يذكر فيه اسم (الرحمن) ولهذا النص أهمية عظيمة جداً من الناحية الدينية حسبما سبق القول، وتظهر من هذه الإشارة فكرة التوحيد على لسان ملوك العرب وزعمائها، وهناك نصوص كثيرة مرتبطة بهذا الحدث من تاريخ العرب.

ومن خلال الإطلاع على النقوش والكتابات لنصوص عرب الجنوب فإن ما عثر عليه حتى الآن كان في الأمور الشخصية على الغالب مثل إنشاء بيت، أو معبد، أو أسماء ملوك، أو غيره، وترد التواريخ والتقويم في الكتابات والنقوش القتبانية على بعض الآثار والتي ذكرت عدداً من ألفاظ لمسميات التواريخ لأسماء الأيام والشهور مثل (ورخس، ذو سحر..خرف) أو (ورخس ذو تمنع خرف....) أي (ورأخ في شهر سحر من سنة..) و(أرخ في شهر تمنع من سنة..) ويلاحظ أن (ورخ) و(تورخ) مثل (أرخ) و(تورخاً) أي (أرخت الكتاب تاريخاً)، وأما حرف (السين) اللاحق بكلمة (ورخ) فانه أداة التنكير يلي التاريخ اسم الشهر (ذو تمنع) و(ذو سحر) وقد جمعت لدينا أسماء عدد من الشهور في اللهجات العربية القديمة كالقول (خرف) أي (خريف) وهي السنة أو العام أو الحول (الفصل).

وأضاف: لقد اتخذ الحميريون التقويم الحميري منذ (115 ق. ب) تقوياً يؤرخون به، وهي نفس السنة التي قامت فيها الدولة الحميرية، وقد أعتمد هذا التقويم في الأساس على السنة الشمسية التي كانت أحد معالمهم في الزراعة كما كانوا يستعملون التقويم القمري والتقويم النجمي لرصد النجوم، وبالنسبة لشهور السنة الحميرية فقد قسمت السنة إلى اثنا عشر شهر وهي ثابتة وتأتي بأسماء بعض رجالهم من الملوك، والغالب أنها وضعت في وضع يلائم المواسم وأوقات الزراعة كما يظهر أنهم كانوا يستعملونها أحياناً مع التقويم الحكومي والذي كان يستند إلى تعداد السنين المالية، يقصد سنين جمع الضرائب، وتختلف أسماء شهور هذا

التقويم عن أسماء شهور التقاويم التي يؤرخ به لرجال العرب القداماء من الملوك والأقوال، المتطابق في المعلومات والذي يظهر موقع ترتيب وأسماء الشهور العربية القديمة - الحميرية مقارنة مع موقع واسماء الشهور السريانية والشهور الرومانية الميلادية على النحو التالي:

جدول بأسماء الشهور العربية القديمة - الحميرية وما يقابلها

أسم الشهر العربي القديم - الحميري	أسم الشهر السريانية	أسم الشهر الروماني الميلادي
ذو الثابه	نيسان	إبريل
ذو مبكر	أيار	مايو
ذو القياض	حزيران	يونيو
ذو المذراً	تموز	يوليو
ذو الخريف	آب	أغسطس
ذو علان	أيلول	سبتمبر
ذو الصرب	تشرين الأول	أكتوبر
ذو المهلة	تشرين الثاني	نوفمبر
ذو أل - ألال	كانون الأول	ديسمبر
ذو الدثا	كانون الثاني	يناير
ذو الحلة	شباط	فبراير
ذو معون	آذار	مارس

وقد تم تقسيم فصول السنة إلى أربعة فصول وهي على النحو التالي:

- 1- فصل المليم ويقابل فصل الربيع.
- 2- فصل الدثا ويقابل فصل الصيف.
- 3- فصل خريف أو الخرف ويقابل فصل الخريف.
- 4- فصل السعسع ويقابل فصل الشتاء.

ونفند الرد على بقية الروايتين الثانية والثالثة حول التقويم القمري (الهجري) بالآتي:

إن الزعم بإنشاء وتسمية هذه الأشهر بتلك المسميات والأسباب والمناسبات، وربطها بالسنة القمرية البحتة من قبل العرب قبل وبعد بعثة الرسول محمد عليه السلام حسب الزعم الوارد في الروايتين السابقتين حول التقويم القمري (الهجري)، وما أظهر هذا التقويم من خطأ جسيم لعدد من الأسباب وتكرار هذا الخطأ على يد الخليفة عمر حسب الزعم الكاذب، وغيرها من الأسباب، الأمر الذي يترتب عليه جملة من الحقائق نبينها بالآتي:

الحقيقة الأولى:

أن تقويم السنة القمري (الهجري) تقويم دخيل على المنطقة العربية، خاصة وأن المنطقة العربية في ذلك الوقت كانت تتبع التقويم الحميري الزراعي القديم، وكذلك التقويم السيلوسيدي، أو التقويم السورياني لقربها، وما زال عرب الشمال وعرب الجنوب يؤرخون به حتى يومنا هذا كتقويم منضبط لأعمال الزراعة والمناخ إلى جانب التقويم الميلادي.

الحقيقة الثانية:

إن اليهود هم من استخدموا تقويم السنة القمرية البحتة ضمن تقويم السنة العبرية حسب نظام احتفظوا به سراً حتى سنة 358 ميلادي ما اضطر الحبر الأكبر/ هيلل الثاني رئيس المجمع الديني اليهودي في الأرض المقدسة (فلسطين) ⁽¹⁾ أن يذيع نظام التقويم العبري لليهود المشتتين حول العالم لمعرفة السنة العبرية، ومعرفة أعيادهم الدينية التي كان يتعذر عليهم معرفتها في ذلك الوقت حسب التقويم القمري خاصة بعد السبي البابلي، أضف إلى أن اليهود أول من استخدم النسب والكس في السنة العبرية، الأمر الذي تسبب في صعوبة التوفيق في تحديد مناسباتهم وأعيادهم وطقوسهم الدينية، وقد ظهرت لديهم هذه المشاكل، والتضاربات في تحديد أعيادهم الدينية، فمثلاً كان اليهود يجدون صعوبة بالغة في تحديد عيد الفصح الذي يحتفلون به كل عام، تبعاً لأوامر تورا العبرانيين المحدد "يوم البدر الكامل التالي للاعتدال الربيعي"، فهذا التحديد مرتبط بميعادين أحدهما في الشهر القمري (يوم البدر الكامل) والثاني في أحد أشهر السنة الشمسية (الاعتدال الربيعي)، فكان نظام التقويم العبري يقوم على أسس محددة وهو أن السنة شمسية، والشهور قمرية، وأن الشهر نوعان قمري وآخر مدني، والسنة الشمسية لها تقسيم محدد في اليوم والساعة والدقيقة والثانية، وكذلك اجزاء الوقت من الساعة المقسمة إلى (1080- كلك) وحلاقيم، وتقسم اليوم إلى (24 ساعة) وعدد الأيام سبعة أيام من (1-7)، وأطلقوا على الأيام تسمية نسبة للأعداد ما عدا العدد السابع وهو يوم الراحة الذي يطلق عليه اسم السبت حسب نصوص من تورا العبرانيين، ويسمى اليوم (فريا - 1، 2، 3، 4، 5، 6، والسبت)، وأسماء شهورهم المشتقة من السريانية أو الكلدانية أو كليهما معا وعدد أيامهم متفاوت بين السنة البسيطة والسنة الكبيسة التي اصطنعوها والأشهر العبرية هي: (تشري، مرجشوان، كسلو، طبت، شباط، آذار، آذار الثاني، نيسان، أيار، سيوان، تموز، آب، أيلول)، واستمروا هكذا لعقود إلى أن عملوا بدورة (ميتون) وهو عالم إغريقي قام في عام 432 ق.م. بوضع نظام الدورة الحسابية الفلكية، والتي حدد أن كل (19) سنة شمسية تساوي (235 شهراً) قمرياً ولتأصيل المعرفة الإنسانية بهذا الموضوع، فقد توصل ميتون لاكتشاف هذه الدورة الفلكية التي تتوافق مع الآية من كلام الله سبحانه في القرآن الكريم بقصة فتية أهل الكهف، والتي من المرجح أنها كانت قبل وجود ميتون قبل عام 432 ق.م والله أعلم إلا أنني لا أنكر على العالم الأغريقي الجليل ميتون هذا الاكتشاف الرائع الذي يتوافق مع فطرة وهداية الله سبحانه في ضبط جزء من موازين الكون، حسب ما ورد بهذه الآية بقول الله تعالى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾، (الكهف: 25)، ومن خلال هذا الآية والذي يبين صحة المعادلة الحسابية لعدد السنين والفارق بين السنة الشمسية، والسنة القمرية إذ جاء مختصراً بآية واحدة قصيرة من سورة الكهف، تقص علينا فتية أهل الكهف من المسلمين المؤمنين الذين لبثوا في الكهف ثلاثمائة سنة، وازدادوا تسعاً مع الفارق الحاصل بين السنة القمرية والسنة الشمسية بتسع سنين، ومن المتوقع أن العالم الإغريقي (ميتون) اهتدى بفطرته السليمة في التوفيق بين السنة القمرية والسنة الشمسية فصنع معادلته تلك التي تتوافق مع الآية

(1) انظر التقاويم / محمد محمد فياض - الباب الثامن - الطبعة الثانية 2003م

من كلام الله سبحانه، وعلى ضوء ذلك بدأ اليهود يستعملون التوفيق بين السنة القمرية والسنة الشمسية في الحساب الفلكي في تحديد أعيادهم وأيام الصيام ومناسباتهم، وأبقوا هذا العلم سرّاً لدى أحبارهم، ومنهم الحبر الأكبر هيلل الثاني الذي وضع قواعد ونظام تقويم السنة العبرية، ويقال أن اليهود في سنة 358 ميلادية نجحوا في التوفيق بين السنة الشمسية والسنة القمرية حسبما سبق بيانه.

الحقيقة الثالثة:

من المرجح أن اليهود لسبقهم في هذا المجال، فقد عمدوا إلى دس التقويم القمري كتقويم هجري - عربي إسلامي بعلله وعلاته، وما عليه من عشوائية وأخطاء فادحة كما أسلفنا سابقاً على غفلة من الزمن في مطلع المائة الثالثة أو الرابعة من البعثة النبوية تقريباً، في الوقت الذي كانت الدولة العباسية ضعيفة، ومقسمة، فدسوا هذا التقويم القمري (الهجري) وربطوه بمناسبة حزينة ومؤلمة للنبي تمثلت بأخراجه أو طرده من موطنه الأصلي مكة، وعن قصد أرخوا به الكتب الصفراء المنسوبة للفكر الديني والفكر المذهبي خاصة في السيرة (سيرة ابن هشام)، وكتب الحديث الكافي - البخاري - ومسلم - والترمذي - وابن حنبل - الشافعي وغيره كثير، وبذلك صار تقويماً هجرياً عربياً (إسلامياً) وهو في الحقيقة تقويم قمري دخل على العرب والمسلمين، وبهذا التقويم المندس والموجود اليوم في مجتمعاتنا العربية والإسلامية والذي أرخوا به كل الشعائر والمناسك والعبادات، والأعياد وعطلوا وشوّهوا من خلاله بعض شعائر ومناسك وعبادات الإسلام، ومنها على سبيل المثال الصلاة وصيام شهر رمضان، والزكاة والحج والعمرة وغيرها، ويعزى وضع هذا التقويم القمري المندس بما يتوافق مع مناسبة وضع بعض التقاويم في ذلك الوقت، ومنها التقويم الجلالى المنسوب لجلال الدين مالك بن سلطان الخرساني، مع الشاعر الشهير عمر الخيام، في رمضان 471هـ الموافق 15 مارس 1079 يونانية، وهو ما يعرف بالتاريخ الجلالى المعروف حتى يومنا هذا.

وأخيراً لسنا بحاجة إلى كل هذه الحقائق حول فكرة وضع التقويم القمري (الهجري) الذي حمل فناءه بذاته فأصبح هو العدم سواء، غير أنني أحببت إثراء هذا الموضوع من أجل مزيد من التأكيد، مع العلم أن التقويم القمري تقويم يعتد به لمعرفة حساب مداخل الشهور، حسبما جاء بالترتيب الوظيفي للشمس والقمر لتعداد السنين والحساب قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾، (يونس: 5).

الحقيقة الرابعة:

إنني أعتقد بل وأجزم أن الآيات القرآنية في هذا الشأن تؤكد على أن التقويم الشمسي هو الأكثر انضباطاً حسبما يفهم صراحةً وضمناً من مدلول نص الآية وبالذات كلمة (عدة)، والتي يفهم منها العادة المتصفة بالثبات والانضباط والاستمرار قال جلّ في علاه: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ

الَّذِينَ الْقِيمَ فَلَا تَظْلُمُوا فِيهِمْ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)، (التوبة: 36)، ثم جعل الشمس والقمر مصدرين من مصادر علم عدد السنين والحساب في كثير من آيات الذكر الحكيم، حيث يلاحظ تقديم الشمس في الاستدلال على القمر في ذلك، وبوصف صريح في غاية الدقة والإبداع نذكرها بالترتيب حسب هذه الآيات بالآتي:

- 1- قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾، (يونس: 5).
- 2- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾، (إبراهيم: 33).
- 3- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾، (الرحمن: 5).
- 4- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَفْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾، (الأنعام: 96).
- 5- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾، (الرحمن: 5).

وآية من القرآن وحيدة ذكر فيه القمر منفرداً، وتحدث عن منازل محددة وهي ما تعرف بمنازل القمر من يوم ولادته ثم يصير بديراً ثم يكتمل حتى يصير "كالعرجون" والعرجون هو الشيء الذي يحمل ثمرة التمر (البلح)، قَالَ اللَّهُ سبحانه وتعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾، (يس: 39)، وهو تشبيه بليغ للقمر، الذي يكون عرجوناً بعد تساقط الثمرة منه، فيصبح خالياً من التمر، وحدد صلاحيته لما قدر له في معرفة منازل دخول الشهور وحسبتها فقط، ولا يصلح القمر في تعداد حساب عدد الأيام والسنين وهو ما غفلنا عنه حتى يومنا هذا، ولمزيد من تنفيذ سقوط التقويم القمري (الهجري) المندس الحاصل نذكر الأسباب والمبررات التالية بإيجاز لتأكيد الحقائق المذكورة سلفاً على النحو التالي:

- 1- ظهور التناقض الواضح والفاضح في ترتيب شهور السنة القمرية (الهجري) وتحديدًا بجعل جماد أول وجماد ثاني بالشهر (الخامس) و(السادس) إذ زعموا أنه تم تسميتهما بهذا الاسم لوقوعهما بفصل الشتاء بسنة وضع التقويم الهجري القمري، وهو الوقت الذي تتجمد فيه المياه بسبب البرودة الشديدة وانخفاض درجة الحرارة، ثم زعموا أيضاً أن شهري ربيع أول وربيع ثاني تم تسميتهما بهذا الاسم لوقوعهما بفصل الربيع بيومه ووقته من سنة الأساس لوضع تقويم السنة القمرية الهجري وجاء ترتيبهم بالشهر (الثالث) و(الرابع) حسب زعمهم، والمعلوم أن فصل الربيع يأتي بعد فصل الشتاء حسب سنة كونية ثابتة وليس العكس وهذا الترتيب الحالي خطأ كبير ومفوض وقع فيه واضع التقويم القمري (الهجري)، وبه قلب الحقيقة رأساً على عقب، وهذا الخطأ كفيل بالحكم على التقويم القمري (الهجري) الحالي بالسقوط المدوي، وبما يؤكد أن هذا التقويم دَسُّ من جماعة التحريف، وبه أرخوا كتب فكر المذاهب الإسلامية وتاريخ فقه السيرة والفقه والحديث وتاريخ التفاسير، وغيرها من حوادث التاريخ العربي الإسلامي.

ولا شكَّ أنَّ هذا الخطأ الفاضح والواضح من السهل اكتشافه، من خلال ترتيب فصول المناخ المعلومة من السنة الشمسية، ومن كونها ترتيب فصول السنة يندرج ضمن سنة كونية ثابتة على مدى الزمن لا تتغير ولن تتغير، وستبقى كذلك حتى قيام الساعة، وستكون شاهدة على فضح هذا التقويم المسمى بالتقويم القمري (الهجري) الذي به تم تزوير الكثير من الأحداث وحرفوا به شعائرتنا ومناسكنا، وعباداتنا، ومناسباتنا وأعيادنا وأفراحنا مما أثر على سلوكنا في المجتمع العربي والإسلامي، وأحدث تحريف في واقع الفكر والتراث الحضاري للعرب والمسلمين، على مدى القرون الماضية فدمغه بالسواد القاتم من الأحداث، وما زال هذا السواد يخيم على ديارنا حتى اليوم، كما أحداث تزويراً وتشويهاً لسيرة النبي محمد عليه السَّلام والصحابه، والعرب بصفة خاصة والمسلمين بصفة عامة، ليس ذلك وحسب بل للأسباب والمبررات التالية:

2- أن التقويم القمري (الهجري) المزعوم تقويم غير منضبط، ولا يعتمد عليه من عدة نواحٍ منها، ارتباطه بوقائع وأحداث ومناسبات لا تصلح أن يؤرخ بها ك (محرم - صفر - ورجب - شعبان - وشوّال - وذو القعدة - وذو الحجة) لركاكة تعليل الاسم والمناسبة، فمن حيث المناسبة فقد تم وصم العرب بالحرب والاقتتال، وهو وصف يجانب الصواب، قصد به تشويه تاريخ العرب قبل البعثة وهم كما هو معلوم أصحاب حضارة عتيقة في التاريخ كما أنهم حصروا الحديث بالتقويم عن عرب مكة ويثرب وبواديهم مغيبين تقاويم أصل العرب الجامع (سبأ، قتيبان، حضرموت، أوسان، معين، حمير) وزادوا أن أخرجوا لنا حكايات وقصص عن حرب البسوس وداحس والغبراء وغيرها من أحداث التاريخ المزور قبل وبعد بعثة النبي بغرض تشويه تاريخ العرب للأجيال القادمة، وللأسف فقد وقع كثير من المفكرين العرب الحديثيين والمعاصرين ضحية هذا الزيف وخاضوا فيه مع الخائضين.

3- جعلوا من إخراج وطرد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم من بلده مكة مناسبة، وسنة أساس لوضع التقويم القمري (الهجري)، والمعلوم أن القرآن الكريم وصف هذا الحدث بالحزن فكيف تكون مناسبة تأريخه لعمل هذا التقويم، وهو أمر فيه تناقض واضح وفاضح أيضاً، ولندع القرآن الكريم يصف هذه الواقعة قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، (التوبة: 40).

4- الزعم من أن تسمية هذه الشهور في هذا التقويم كانت قبل الإسلام منسوباً لكلا بن مرة جد النبي، وبتقديري فإن لفظ أو اسم (كلاب) دس من جماعة التحريف ولا وجود له، بقصد التحقير والاستهزاء بنسب النبي محمد صلى الله عليه وسلم، حسبما اعتادوا عليه في فقه الحديث والسيرة بذكر أسماء شاذة على اللسان العربي عند رواية الأحداث وأحاديث العنينة والقلقلة.

5- جاء اسم شهر رمضان بالقرآن الكريم المنزل على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بعد البعثة، فكيف يسميه جد الرسول الخامس قبل البعثة بقرون؟

6- تسمية الأشهر بالتقويم القمري (الهجري) نسبة لحوادث الحرب والقتال والاقتتال مدح أريد به ذم العرب كما قصد منه تشويه تاريخ العرب ووصم مجتمعاتهم بعدم الاستقرار.

7- وحول الرواية المنسوبة للخليفة عمر ابن الخطاب ووضعه لهذا التقويم استجابة لأبي موسى الأشعري حاكم مدينة البصرة عند تحديد تاريخ المراسلات والأوامر المتعلقة بشؤون الخلافة، فبالعودة لبعض المراجع في هذه الجزئية التاريخية⁽¹⁾ عن البصرة – أو (الخريبة) الاسم القديم لها، والتي تقع على الضفة الغربية لنهر الفرات، وكانت الخريبة ثكنة لجند الفرس ثم استولى عليها جند العرب المسلمين في عهد الخليفة أبي بكر في سنة (11هـ)، وقيل أنهم أطلقوا عليها فيما بعد اسم البصرة لأنها بنيت على أرض غليظة ذات حجارة رخوة بيضاء إذ تسمى العرب مثل هذه الأرض بالبصرة، والتي سكنها جند العرب مع نسائهم وأولادهم حتى صارت مدينة كبيرة مبنية من القصب ثم اللبن في غضون سنتين من تاريخ تأسيسها على يد القائد/ عتبة بن غزوان في سنة (14هـ) بعهد الخليفة عمر الذي أعطا الأذن ببنائها بمواصفات محددة فكانت مدينة البصرة أول مدينة للعرب خارج مكة ويثرب وفيها من الأسواق والدور الفخمة والشوارع بعرض ستين ذراع (30 متر- تقريباً) وعرض ثلاثين ذراع (15متر- تقريباً) وشوارع فرعية تتوسطها دار الأمانة ومسجد كبير، ثم توالى عليها عدد من الولاة، ثم عُين أبو موسى الأشعري في سنة (16هـ) أميراً عليها من قبل الخليفة عمر ابن الخطاب، وعلى الرغم من توافق الروايات التاريخية حول تأسيس مدينة البصرة وما يكتنف تلك الروايات من الغموض، أليس من حقنا طرح سؤال وهو: هل يعقل أن تبني مدينة في غضون سنتين أو خمس سنوات في مكان مضطرب بالحروب بين جيش دولة كبيرة كالفرس وجيش العرب وبذلك المواصفات وتصبح مأهولة بالسكان ومركزاً للفقهاء والمدارس الفقهية والمذاهب؟؟ أم أن هذه الرواية مدسوسة من أجل تبرير وضع التقويم القمري الهجري المندس أصلاً، ليس ذلك بل جعلوا من مدينة البصرة مسرحاً للكثير من الأحداث المزورة في التاريخ الإسلامي ك (معركة الجمل الكاذبة – ومكان لتأسيس المدارس وبعض المذاهب) كمدرسة الأشاعرة والمعتزلة والمذهب الحنفي على يد الشخصيات المزعومة - النعمان ابن المنذر بن زوطي، والحسن البصري وواصل بن عطاء، وغيرها من الأحداث والشخص المزعومة.

أما عن القول بأن الخليفة عمر أشرف بنفسه في وضع واعتماد هذا التقويم القمري (الهجري)، فإن مزعوم هذا القول يجانب الصواب من كون الخليفة عمر كان رجل دولة من الطراز الرفيع فكان حافظاً وحصيفاً، وقيل إنه لقب بالفاروق لتفريقه بين الحق

(1) انظر مختصر تاريخ البصرة – المؤلف على ظريف الأعظمي

والباطل، فكيف يقبل اعتماد مزعوم ذلك التقويم وفيه عدد من الاخطأ من حيث الأسماء والأسباب والمناسبات والترتيب؟ أقواها ترتيب الأشهر - شهري جماد الأول وجماد الثاني (فصل الشتاء) والذي يأتي بعدهما شهري ربيع أول وربيع ثانٍ (فصل الربيع) وقد تم عكسهما، وهو خطأ فاضح، وواضح يكتشفه الإنسان العادي، فما بالك "بالخليفة عمر" وأنه حسب زعمهم أشرف بنفسه على وضع واعتماد هذا التقويم المنسوب إليه حسبما جاء بعدد من الروايات، والحقيقة تظهر خلاف ذلك، ومن المستحيل أن يكون هذا العمل من أعمال الخليفة عمر رضي الله عنه، الذي أسس بنيان الدولة العربية الإسلامية فوضع الدواوين وعمل على انشاء سلطات الدولة المختلفة، بل أنني اجزم أن هذا العمل من صنع جماعة التحريف والتجريف التي بهذا التقويم المندس حرفت وجرفت الفكر العربي والإسلامي.

8- جاءت أحاديث العنينة والقلقلة عن النبي بفقهاء مذاهب السنة والشيعة حول رؤية الهلال (القمر) وجعلته سبباً لصيام شهر رمضان ولغيره من المناسك والشعائر، في الوقت الذي لم يكن التقويم الهجري القمري قد ظهر أيام النبي محمد عليه السلام، وهذا سبب آخر يفضح واضع هذا التقويم ويحكم عليه بالفناء.

9- حدد الله سبحانه بكلامه في القرآن الكريم أن الشهر عدد أيامه ثلاثين يوماً دون زيادة أو نقص حسب نص واضح وآخر ضمنى سبق ذكره ونعيده للتذكير قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (المجادلة: 4)، ومفهوم الآية أن الرقم (ستين) يساوي الشهرين تماماً من حيث العدد ونصفهما الرقم (ثلاثين) أي أن كل شهر يكون عدد أيامه ثلاثين يوماً، وبذلك حسم الجدل في تحديد أيام الشهر، إذن فإن عدد أيام كل أشهر السنة الأثنى عشر متساويات بثلاثين يوم لكل شهر دون زيادة أو نقصان، وهذا التساوي والانضباط يكون في السنة الشمسية فقط، أما في السنة القمرية فلا يتساوى فيها الأشهر مطلقاً حسبما سبق الإشارة إليه وحسبما هو معلوم وهو من الأسباب المؤدي لسقوط العمل بالتقويم القمري لعدم انضباط أشهره قديماً وحالياً ومستقبلاً.

5-14 فقه اليوم والليل والنهار:

جاء ذكر اليوم أو يوم أو أيام كثيراً في القرآن الكريم وقصد به تحديد وقت محدد من الزمن، وسوف نستعرض تلك الآيات باختصار على النحو التالي:

كلمة اليوم: ذكر اليوم غالباً بمناسبة الإشارة ليوم القيامة أو يوم الآخرة أو لليوم الزمني العددي وقد تكرر ذكر اليوم لأكثر من سبعين مرة في آيات القرآن العظيم نذكر بعضاً منها على سبيل المثال:

• قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ البقرة (8).

• قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ﴾ القلم (24).

كلمة يوم: ذكرت يوم بصورة مفردة أكثر من مئتي مرة في آيات القرآن العظيم فكل يوم لها ذكر خاص بها ونذكر بعضاً منها على سبيل المثال

• قَالَ تَعَالَى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ الفاتحة (4).

• قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ...﴾ الجمعة (9).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ طه (59).

• قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿...﴾ وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ الأنعام (141).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ...﴾ التوبة (3).

• قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ مريم (15).

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ المؤمنون (16).

• قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ ق (34).

كلمة أيام: ذكرت قرابة عشرين مرة في آيات القرآن العظيم بدلالات مختلفة في سياق كل آية وهو ما سنحاول ذكرها في الآتي:

• قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿... فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ...﴾ المائدة (89)، وكذلك الآية

في صيام شهر رمضان بقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ...﴾ البقرة (185)، ومعلوم أن وقت الصيام لليوم يبدأ من بزوغ الفجر يوم الصيام وحتى خروج يوم الصيام ودخول الليل من وقت العشاء من نفس اليوم.

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ هود (65)، وهذه الآية يفقه منها ذكر الأيام بنهارها ولياليها بخلاف الآيات السابقة التي ذكرت اليوم المعلوم لشعيرة معلومة يبدأ ميقاتها بوقت محدد حسبما سلف حول الصيام وغيره.

ومما سبق يتضح أن كلمة (يوم) تأتي في الآية حسب موقعها ووظيفتها فإذا كانت لأداء شعيرة محددة جاءت كلمة (يوم) في الآية محددة ذلك اليوم بنهاره فقط، بخلاف ذكر (يوم) في آية تتحدث عن العدد فإن القصد من ذكر كلمة (يوم) في الآية للعدد تتحدد بالنهار والليل معاً حسبما يفقه من الآيتين أعلاه وغيرهما.

الليل والنهار: ذكر الله جَلَّ وعلا في آيات القرآن العظيم كثيراً الليل والنهار، وكل منهما عكس الآخر وهما زمن لمواقيت محددة للكثير من الشعائر والمناسك والعبادات، كما أنهما معا

يكونان اليوم من حيث العدد وحساب الزمن ويختلف تحديد مقدار ساعات الليل والنهار تبعاً لحركة الأرض حول نفسها في اليوم المعين ما ينتج عنه تعاقب الليل والنهار بين مكانين مختلفين في الزمن الواحد شمال الأرض وجنوبها، كما يختلف تحديد مقدار ساعات الليل والنهار تبعاً لحركة الأرض حول الشمس وتعاقب الفصول الأربعة فتختلف ساعات الليل والنهار وفقاً لما هو معلوم وسائد مكاناً وزماناً على الأرض، ومن الذكر الحكيم نسرد بعض الآيات الدالة على ذكر الليل والنهار في الآتي:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ الحج (61).
- قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ الأنبياء (33).
- قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً﴾ نوح (5).

وقد ذكر الليل مفرداً ببعض الآيات ذات الحكم الخاص أو المعنى الخاص دون النهار كما في الآتي:

- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتَمٍ مِّمَّاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ الأعراف (142).
 - قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ...﴾ البقرة (187).
- وذكر الله النهار مفرداً كما في بعض آيات القرآن الكريم على النحو التالي:

- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ...﴾ هود (114).
- قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ المزمل (7).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ النبأ (11).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾ الشمس (3).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ الليل (2).

وختاماً نأتي لبيان بديع بذكر عدد محدد من الليالي والأيام في هذه الآية قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ...﴾ الحاقة (7)، ويفقه من هذه الآية ذكر العذاب الواقع على قوم عاد بسبع ليالي متتالية بوقت الليل أما في وقت النهار فتتوقف، يعقبها القول "وثمانية أيام" يفقه منها امتداد العذاب في وقت النهار مع لياليها وهو ما يتطابق مع ذكر اليوم المقصود به للعدد، وتتضمن الليل والنهار معاً ويبدأ التوقيت الزمني لها بساعة بزوغ الفجر إلى ساعة بزوغ الفجر من اليوم التالي بمقدار (24) ساعة بخلاف ما ذهب إليه علماء الفلك مؤخراً بتحديد اليوم العددي لشهور السنة والذي قرروا خطأ بدايته اليوم من منتصف الليل.

وعلى ضوء ذلك يفقه مثلاً أن الصيام لشهر رمضان لا يقصد منه صيام أيامه بنهاره وليله وإنما يقصد صيام النهار فقط لكون هذا الشهر ليس شهر تقويمي وإنما شهر شعائري تعبدى، بخلاف القول عن الشهر التقويمي الذي يقصد به حسبته بأيامه ولياليه.

14-6 فقه يوم الجمعة:

ذكرت الجمعة كيوم بنص صريح من القرآن الكريم كدليل لمشروعية هذه اليوم ومناسبة محددة لإقامة الصلّاة النهارية الوحيدة فيها، في أي جزء من زمن اليوم النهاري يعقبها الانتشار للعمل وتكون هذه اليوم ضمن الدورة اليومية، فقد جعل الله سبحانه وقت قيام صلاة الجمعة موسع يبدأ من الساعات الأولى من صباح يوم الجمعة، ويمتد إلى ما قبل دلوك الشمس حسبما يفقه من مدلول الآية وكون وقتها بين وقتين محددين لشعيرة صلاة طرفي النهار، ومن هدي الذكر الحكيم في ذكر هذا اليوم فقد سميت سورة كاملة باسم سورة الجمعة، وذكرت منها آيات مقرونة بإقامة الصلّاة قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة: 9، 10).

14-7 فقه الدورة اليومية وحقيقة السبت:

جاءت فكرة الأسبوع من تعداد الأيام من واحد إلى السبع الأيام وأطلق عليه تسمية الأسبوع نسبة لذلك، أما عن مشروعيته فكان من توراة العبرانيين حسب هذا النص: (وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل وبارك الله اليوم السابع وقده، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً) سفر التكوين، وبما أن المسيحيين والنصارى يؤمنون بتوراة العبرانيين ويعتبرونها أساس مكمل لإيمانهم فإن هذا النص جزء من إيمانهم العقدي الذي أضافوا إليه يوم الأحد كيوم راحة خاص بهم لاعتقادهم أن عيسى صعد إلى السماء، وبذلك انتقلت فكرة الأسبوع من اليهودية إلى المسيحية ومن ثمة نقل للتقويم القمري (الهجري)، بنفس تعداد أيام الأسبوع، فق ما هو سائد اليوم لدينا ولدى غالبية سكان الأرض تقريباً، ومن المؤكد أن للأيام تسميات محددة لدى العرب القدماء وهي ليست محل بحث الآن، غير أن تسمية أيام الأسبوع عند العرب جاء أيضاً حسب الأعداد الرقمية المندسة من اليهود بعد بعثة النبي مبتدأ بالرقم واحد، ثم اثنين، وثلاثة وبنفس التقويم القمري لليهود (فريا 1، 2، 3 - إلى فريا 6)، مع اختلاف بسيط ومع تكرار استخدام الناس لهذه الأرقام استقروا على هذه التسميات في حياتهم اليومية، فكان هذا الترتيب اللفظي والرقمي معاً حسب التالي:

• الأحد نسبة للرقم (1).

• الاثنين نسبة للرقم (2).

- الثلاثاء نسبة للرقم (3).
- الأربعاء نسبة للرقم (4).
- الخميس نسبة للرقم (5).
- وجاءت يوم الجمعة بنص من كلام الله لتحل محل الرقم (6).
- ودس السبت من قبل اليهود كيوم ليحل محل الرقم (7).

وعن تسمية الأيام لدى بعض الشعوب فيرجع لثقافات وعادات تلك الشعوب، فمنهم من يسمي حسب مناسبات معينة أو أسماء الملوك أو أسماء الالهة وغير ذلك.

كما جاء ذكر السبت ومشروعية السبت أو اليوم السابع بأسفار تورااة العبرانيين (سفر التكوين - سفر الخروج - سفر التثنية وغيرها)، ومن سفر التكوين ننسخ هذا النص في مشروعية السبت وفيه من الفجاجة والتقولا الكاذب عن الله سبحانه (وبارك الله اليوم السابع وقده، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقا) سفر التكوين، ونص آخر عن السبت (وأما اليوم السابع ففيه يكون لكم سبت عطلة مقدس للرب. كل من يعمل فيه عملاً يقتل) سفر الخروج ونص آخر (فيحفظ بنو إسرائيل السبت ليصنعوا السبت في أجيالهم عهداً أبدياً) سفر الخروج، وغيره كثير من نصوص العهد القديم عن مشروعية السبت، ثم جاء التلمود بقسم مواعيد الأعياد المبحث الأول وفيه عن السبت أربعة وعشرين فصل بمختلف الآراء الفقية لدى فقهاء التلمود، فقد ذكر لفظ السبت - شبات بمعنى الراحة أو الأسترحة والخلود للنوم وعدم القيام بأي عمل مهما كان وقد وصل حد القتل لمن يتجاوز.

أما عن السبت في القرآن الكريم فقد ذكر السبت كحدث أو حال أو وصف يخص اليهود دون غيرهم من الناس، ولم يذكره ك يوم ضمن الدورة اليومية للناس مطلقاً، حسبما جاء في آيات الذكر الحكيم بالآتي.

1- ذكر السبت كعقوبة لعن أصحاب (السبت) فجعل السبت وصف خاص باليهود ولم يذكره كيوم قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾، (النساء: 47).

2- جعل السبت كحدث أو مناسبة من قبل اليهود فعوقبوا بجزاء المسخ إلى قردة خاسئين، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾، (البقرة: 65).

3- ونص آخر ذكر السبت، ولم يذكره كيوم، بل ذكر كحدث مكاني وذكر فيه جبل الطور بسيناء، والسبت والميثاق الذي أخذ على اليهود قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾، (النساء: 154).

4- وذكر السبت كفعل أو حدث في يوم تم اتخاذه من قبل اليهود مناسبة ليوم سبتهم المتخذ من قبلهم، فنسب السبت لهم لعنادهم وتعنتهم، ومع ذلك لم يحدده كيوم، حسبما جاء بلفظ

بقوله تعالى (يوم سبتهم) (ويوم لا يسبتون)، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾، (الأعراف: 163).

5- وأخيراً جعل السبت كحدث مختلف فيه بين اليهود أنفسهم، ولم يذكره كيوم للناس، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾، (النحل: 124).

إِذَنْ فَقَدْ اتَّضَحَتْ حَقِيقَةُ السَّبْتِ مِنْ كَوْنِهِ حَدَثًا أَوْ فِعْلًا أَوْ حَالًا أَوْ مَنَاسِبَةً مُرْتَبِطَةً بِجَمَاعَةٍ خَاصَّةٍ مِنَ الْيَهُودِ، وَقَدْ عَوَّقِبُوا بِالْمَسْخِ وَالْعَذَابِ الْأَلِيمِ، وَوَصَفُوا بِالْفُسُوقِ، وَكَذَلِكَ جَعَلَ السَّبْتُ مُحَلًّا مُخْتَلَفًا فِيهِ وَبِغَضِ النَّظَرِ عَنِ السَّبْتِ، فَكُلَّ آيَاتِ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ذَكَرَتْ السَّبْتَ فِي مَوْضِعٍ ذَمٍّ وَلَمْ يَذْكُرْ كِيَوْمَ، فَكَيْفَ دَسَّ السَّبْتَ كِيَوْمَ فِي التَّقْوِيمِ الْعَالَمِيِّ؟ فَأَحْدَثَ هَذِهِ الْفَوْضَى فِي حِسَابَةِ تَعْدَادِ الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ وَحِسَابِ السَّنَةِ الشَّمْسِيَّةِ وَأَوْجَدَ هَذَا الْاِخْتِلَالَ وَالْاِعْتِلَالَ مِنْ فُسَادِ التَّقَاوِيمِ حَوْلَ الْعَالَمِ، وَالَّذِي يَتِمُّ مُعَالَجَتُهُ كُلَّ أَرْبَعِ سِنَوَاتٍ عَنْ طَرِيقِ الْكَبْسِ أَمَامَ مَسْمَعٍ وَمَرَأٍ مِنَ الْعَالَمِ، لَا شَكَّ أَنَّهُ دَسَّ خَبِيثٌ لَجَمَاعَةِ التَّحْرِيفِ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ دَسَوْا السَّبْتَ كِيَوْمَ بِنَصِّ دِينِي مِنْ تَوْرَةِ الْعِبْرَانِيِّينَ كَمَا سَبَقَ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ وَحَدَّدُوا عَقُوبَةَ لِمَنْ يَخْرِقُ يَوْمَ السَّبْتِ بِالْقَتْلِ فِي كَثِيرٍ مِنَ النُّصُوصِ وَعَمَمُوهُ عَلَى تَقَاوِيمِ الْعَالَمِ مِنْذُ زَمَنِ بَعِيدٍ.

وبهذا الدس عدل عدد أيام الدورة اليومية إلى سبع أيام فأصبحت الدورة اليومية سبعة أيام بدلاً من ستة أيام التي جاءت بنص القرآن العظيم، وبسبب هذا الدس الخبيث تغير تعداد أيام الأشهر فأصبحت أشهر السنة الشمسية غير منضبطة ما بين (28 يوم) و(29 يوم) و(30 يوم) و(31 يوم) وظهرت السنة الكبيسة التي كان يستخدمها اليهود في معالجة خلل تقويم السنين والحساب لديهم، وهو ما يسمى بالنسي والكبس، وقد روى القرآن المبين هذه الحالة وهو يصف اليهود دون غيرهم من الناس فَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُؤْاطِنُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾، (التوبة: 37). إِذَنْ فَإِنْ ادْخَلَ السَّبْتَ كِيَوْمَ ضَمَّنَ عِدَّةَ الْأَيَّامِ أَمْرٌ خَاطِئٌ وَيَتَصَادَمُ مَعَ حَقَائِقِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالتِّي تُؤَكِّدُ عَلَى صِحَّةِ وَدَقَّةِ وَسَلَامَةِ السَّاعَةِ الْكُونِيَّةِ، حَسَبَ سَنَةِ ثَابِتَةٍ لَا تَتَغَيَّرُ كَوْنِ الشَّمْسِ الْمُحَرِّكَ الرَّئِيسِي لِعُقَارِبِ تِلْكَ السَّاعَةِ الْأَمْرِ الَّذِي يُضْطَرُّ لِمُعَالَجَةِ هَذَا الْخَلَلِ عَنْ طَرِيقِ كَبْسِ يَوْمٍ وَاحِدَةٍ بِالزِّيَادَةِ فِي 28/ فَبَرَايِرِ كُلِّ أَرْبَعَةِ سِنَوَاتٍ، وَهَذَا الْخَلَلُ كَمَا قُلْنَا سَابِقًا لَا يَتَلَاوَمُ مَعَ النِّظَامِ الْكُونِيِّ الثَّابِتِ فِي حَرَكَةِ الشَّمْسِ وَدَقَّةِ انْضِبَاطِ الْكُونِ الَّذِي أَحْكَمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ صَنْعَتَهُ وَوَضَعَ فِيهِ الْمِيزَانَ، وَحَسْبَمَا سَبَقَ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ وَنَعِيدُهُ لِلتَّذْكِيرِ بِمَا نَصَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ الْمُبِينُ فَقَالَ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾، (الرحمن: 7)، فَمِنْ مِنَ الْإِجْرَامِ إِعَادَةُ النَّظَرِ فِي احْتِسَابِ دَوْرَةِ الْأَيَّامِ بِحَذْفِ السَّبْتِ مِنَ الدَّوْرَةِ الْيَوْمِيَّةِ، وَبِذَلِكَ سَوْفَ تَنْضَبِطُ السَّاعَةُ الْكُونِيَّةُ لِعِدَدِ الْأَيَّامِ بِسِتِ أَيَّامٍ وَالشَّهْرِ بِثَلَاثِينَ يَوْمًا وَالسَّنَةِ بِثَلَاثِمِائَةٍ وَسِتِّينَ يَوْمًا مِنْ دُونِ حَاجَةِ لِمُعَالَجَةِ الْخَلَلِ أَوْ كَبْسِ السَّنَةِ الرَّابِعَةِ، حَسْبَمَا نَوْضَحُهُ بِالتَّالِي:

• الأحد نسبة للرقم (1).

- الاثنين نسبة للرقم (2).
- الثلاثاء نسبة للرقم (3).
- الأربعاء نسبة للرقم (4).
- الخميس نسبة للرقم (5).
- ويوم الجمعة لتحل محل الرقم (6).

وبذلك حصص الحق وأصبح عدد أيام الدورة اليومية بستة أيام، وليس سبعة أيام، وما يؤكد صحة ما توصلنا إليه هو انتظام الدورة اليومية وانضباط عدد أيام الشهر وانضباط عدد أيام السنة الشمسية من دون كبس السنة الرابعة لمعالجة الخلل الحاصل اليوم، وهذا الانضباط يتوافق مع محكم الآيات من نصوص الذكر الحكيم، والتي تتحدث عن عدد الدورة اليومية بست أيام، والشهر ب (ثلاثين) يوماً، والسنة ثلاثمئة وستين يوم حسبما سبق بيانه، وقد أكد على ذلك كلام الله الوارد في نصوص الآيات القرآنية التالية والتي كررت ذكر لفظ ست أيام في ستة نصوص من آيات الذكر الحكيم كدليل صريح وضمني، وقوي على صحة هذا الاستنتاج المتناغم والمتوافق مع الآيات السابقة والمتعاضدة مع بعضها البعض، فذكر الله - سبحانه وتعالى - خلق الأرض وتكوينها بستة أيام في ست آيات، وهي تحمل دلالات ضمنية قوية على ذلك وزيادة في اثراء هذا الموضوع نذكرها بالآتي:

- 1- قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، (الأعراف: 54).
- 2- وآية أخرى، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، (يونس: 3).
- 3- وآية أخرى، قَالَ سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾، (هود: 7).
- 4- وآية أخرى، قَالَ سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾، (الفرقان: 59).
- 5- وآية أخرى، قَالَ سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾، (السجدة: 4).
- 6- وآية أخيرة، قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾، (ق: 38).

وقد يقول قائل إن هذه الأيام التي ذكرت بنصوص الذكر الحكيم تختلف عن أيام الأرض حسبما بينته نصوص أخرى من سورة الحج، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ

وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ، (الحج: 47). فإنه ومن خلال قراءة ومقابلة هذه الآية مع الآيات الأخرى المذكورة نفقه ونذكر أن الآية الأخيرة من سورة الحج حددت اليوم عند الله - سبحانه وتعالى - بألف سنة مما نعد على الأرض بينما الآيات المحددة بفعل خلق الأرض وما فيها من سماوات وجبال وغيرها حددها الخالق القدير سبحانه بستة أيام والارادة الإلهية لهذا الخلق (الأرض، وما فيها) يفقه أنها كانت على الأرض كظرف مكان وزمان للمخلوقات، وما بين المكانين عند الله - وعند مكان وزمان المخلوق (الأرض) بونٌ شاسعٌ في الكبر، كما أن مضاعفة العدد لمقدار اليوم عند الله تعالى، ارتبط بالعذاب للذين يستعجلونه كحالة خاصة، والله - سبحانه وتعالى - أعلم بذلك.

وأخيراً: وبالعودة لأصل الموضوع، أجد الحقيقة ثابتة ومستقرة لديّ من أن الدورة اليومية لعدد الأيام التي تبدأ من يوم الأحد (1) وتنتهي بيوم الجمعة والمحددة بستة أيام، وأن عدد دورات الشهر خمس دورات في الشهر، وأن الشهر يساوي ثلاثين يوماً على الدوام والثبات، وهو ما سوف نؤكد به بالحقائق التي تتعاضد بعضها ببعض أيضاً حتى ولو تكرر الحديث عنها ففي بعض التكرار فائدة خاصة في هذه الجزئية وهو ما نرجوه حسب الآتي:

14-8 فقه تقويم الشهر والسنة في حياة الناس:

ذكر الحق - سبحانه وتعالى - عدة الشهور عند الله باثني عشر شهراً يوم خلق السماوات والأرض، حسب هذه الآية قَالَ - سبحانه وتعالى - ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾، (التوبة: 36).

وحدد الله سبحانه ضمناً الشهر بثلاثين يوماً حسب نص هذه الآية، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتِمَّ اسْمًا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِيُتُومِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، (المجادلة: 4)، وقوام الشهرين المتتابعين يتساوى مع العدد ستين مسكيناً ونصف العدد (ستين) هو العدد (ثلاثين) يوماً من الشهرين المتتابعين المطلوب صيامه ككفارة الظهار، وبهذه المقابلة من نص الآية ظهرت حقيقة عدد أيام الشهر بثلاثين يوماً كحقيقة ثابتة لا تتغير حسب ما جاء، وهكذا وبمناسبة ذكر الشهر والأشهر فحريّ بنا العودة لسرد آيات من كلام الله سبحانه والتي ذكرت الشهر والأشهر كسبب وحكم لبيان شعيرة أو منسك أو لتحديد مدة ميقات لحدث معين، أو لغيره من أعمال الحياة، حسبما سنبين بعضاً منه على سبيل المثال بالآتي:

أولاً: شهر رمضان: قَالَ سبحانه وتعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، (البقرة: 185). إذا فرمضان شهر ومقدار أيامه ثلاثين يوماً

دون زيادة أو نقص وهو شهر تعبدي وليس شهراً من أشهر التقويم حسبما توصلنا إليه سابقاً بعنوان مستقل عن الصيام، خاصة وقد أكد على أكمال عدة الشهر بثلاثين يوم.

ثانياً: أشهر الحج المعلومة، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ...﴾، (البقرة: 197). وأشهر الحج وهي ثلاثة أشهر أو أقل ومعلومة بربطها بحرمة صيد البر من الحيوانات والطيور بسبب وقوعها في أيام الخصوبة واللقاح في مملكة الحيوان البرية، وهي معلومة كسنة كونية ثابتة، وجاء ميقات الحج متوافق مع أشهر اللقاح المقدرة بما لا تزيد عن ثلاثة أشهر من فصل الربيع من كل سنة شمسية، وليس كما دس في فقه المذاهب بقصد التحريف والذي حصر الحج بالمكان (عرفه)، وحدده بيوم واحد من الشهر القمري في السنة القمرية المندسة، وهو ما يخالف كلام الله سبحانه في القرآن ويناقض مقصد الحج والعمرة القائم على التيسير والاستطاعة، والذي جعل وقت الحج موسعاً يجوز لأي شخص أن يقوم بفرض مناسكه كشعبيرة خلال تلك الأشهر من السنة، وليشهدوا منافع لهم.

ثالثاً: المدة الأقصى للذين يؤلون من نسائهم، يمتنعون عن المعاشرة الزوجية بين المرأة وزوجها حددت ب(مئة وعشرين) يوماً أربعة أشهر حسب هذا الآية، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ...﴾، (البقرة: 226).

رابعاً: عدة المرأة المتوفى عنها زوجها حددت ب (مئة وثلاثين يوماً) وتساوي أربعة أشهر وعشرة أيام، حسب هذا الآية، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا...﴾، (البقرة: 234).

خامساً: مدة حمل الإنسان في رحم أمه وفصاله حتى يفطم حددت بثلاثين شهراً (تسعمئة) يوماً حسب الآية، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا...﴾، (الأحقاف: 15).

سادساً: عدة المرأة التي انقطع عنها الحيض وكذلك اللاتي لم يحضن حددت بثلاثة أشهر وتساوي (تسعين) يوماً، قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿وَاللَّائِي يَنْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ...﴾، (الطلاق: 4).

والخلاصة:

فقد حدد الله عدد الأيام من سورة فصلت بالعدد (سنة أيام)، بالإضافة لعدد الأيام الست السابقة حسبما سلف بيانه وحدد عدد أيام الشهر ب (ثلاثين يوماً) بحسب مدلول نص الآية رقم (4) من سورة المجادلة فذكرت كفارة الظهار بشهرين متتابعين أو إطعام ستين مسكيناً ونصف الشهرين (ثلاثين يوماً) وهو ما يقابل نصف العدد (ستين) مسكيناً أيضاً كما أن الشهر يأتي من حاصل ضرب أيام الدورة اليومية (ست أيام) في عدد دورات الأيام وهي (خمس دورات) في الشهر الواحد لتكون جملة الشهر ثلاثين يوماً خلافاً لما هو قائم اليوم، من عدد أيام الشهر المتفاوت من شهر لآخر حسبما سبق بيانه، وهذا خلل ينبغي تداركه وإصلاحه بمنضومة التقويم العالمي، لكي يكون عدد أيام الشهر (ثلاثين يوماً)، وبذلك يكون عدد أيام السنة ب

(ثلاثمئة وستين يوماً) من حاصل ضرب عدد أشهر السنة التي حددها نص القرآن الكريم من عدة الشهور عند الله تعالى باثني عشر شهراً ب (12 شهراً) في عدد أيام الشهر الواحد في (ثلاثين يوماً) وفق الحسبة التي ذكرناها سابقاً، وهي تتوافق مع الناتج الرقمي الحقيقي، ولا يقبل معه نقصان أو زيادة حسبما هو حاصل اليوم بسبب دس السبت كيوم في الدورة اليومية فأحدث هذا الخلل في التقويم العالمي، ومن خلال هذه القراءة والمقابلة القرآنية لآيات الذكر الحكيم في هذا الشأن فإن كل الشواهد تؤكد ان مدلول هذه الآيات تهدف بدرجة رئيسة لخلق تقويم منضبط، ابتداءً بحصر عدد أيام الدورة اليومية بالعدد (6) من دون السبت وصولاً لعدد أيام الشهر (30 يوماً)، وصولاً لتحديد السنة ب (360 يوماً للسنة) من دون سنة كبيسة وقد أحكم الله سبحانه هذا الضبط بأشارة من نص آية واضحة وصريحة سبق ذكرها، حول حركة دقيقة للشمس والقمر ودوران الأرض حول نفسها، وحول الشمس فذكرت الشمس في مقدمة الآيات كدلالة رمزية لدقة متناهية في انضباط السنة الشمسية لا زيادة فيها ولا نقصان، ولا وجود لسنة كبيسة وأخرى غير كبيسة وقد أكد الحق سبحانه على ذلك بعدد من آيات الذكر الحكيم وبكلمات ذات دلالات على سبيل الدقة والانضباط منها: (منازل- عدد السنين – أجل مسمى) وقد سبق الإشارة إليه ونعيده لمزيد من الفائدة والتأكيد، حسبما جاء بالآية، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾، (يونس: 5)، ومن بديع الذكر الحكيم أن ترتيب الشمس يليها القمر في مُحكم النص كان له الحكمة والأثر البديع في العلم والمعرفة وكدليل ضمني على توظيف الشمس لتعداد السنين والقمر لحساب مداخل الشهور، وقد أورد عدداً من نصوص الذكر الحكيم فقدم الشمس على القمر دائماً، كما في الآيات نعيدها لمزيد من الفائدة:

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾، (إبراهيم: 33).

• وَقَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿.. وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، (لقمان: 29).

• وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿.. وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾، (فاطر: 13).

وهذا الترتيب البديع لوظيفة الشمس والقمر يجعلنا أمام حقائق كونية وحسابية على الأرض تتوافق مع الحقائق العلمية الفلكية التي تم إغفالها من جماعة التحريف بقصد إدخال السبت كيوم ضمن دورة الأيام حسب ما أوضحناه، متحججين بعلم الفلك وحساباتهم الخاطئة المفضوحة وقد حان الوقت لتصحيح هذا الدس وبيان الحقيقة للناس.

الفصل الخامس عشر

فقه الختان

التعريف والمشروعية:

الختان للذكر والأنثى ويقصد به بتر أو إزالة الجلد الرقيق الذي يغطي رأس قضيب الطفل الذكر بعد ولادته، وكذلك هو بالنسبة للأنثى إذ يتم في الأسابيع الأولى من ولادة الأنثى بتر أو إزالة البظر من رحم الطفلة وتسمى هذه العملية (بالختان) للجنسين اختصاراً، وهذا من الاعمال البشعة بل تعتبر جريمة مكتملة الأركان يتوجب محاكمة من يقوم بها كما تعتبر انتهاك لحقوق الإنسان الطبيعية وضد فطرة الخلق وصنع الله سبحانه الذي أحسن كل شيء خلقه وخلق الإنسان في أحسن تقويم، إلا أن جماعة التحريف من اليهود جعلوا من الختان سنة متجذرة في حياتهم، فدرسوا نصوص في كتبهم أصلوا مشروعية هذا العمل بنصوص كثيرة في تورااة العبرانيين⁽¹⁾.

وكثير من النصوص التي شرعنة لهذه الجريمة في التلمود وغيره، ومنه دست هذه النصوص في فقه مذاهب الفكر الإسلامي عبر أحاديث العنينة من قبل جماعة التحريف فأصبحت هذه الجريمة اليوم سنة مؤكدة لبتر (غرلة) الطفل أو (بضر) الطفلة، لم يخلقه الله سبحانه عبثاً حتى يبتر ويزال عن المولود بعمر سبعة أيام ذكراً كان أم أنثى، فهذا العمل جريمة بشعة وهو أقل ما يمكن وصفه وما قد يسبب من انتكاسات وعواقب وخيمة للطفل والطفلة أثناء عملية الإزالة – البتر فكثيراً من الأطفال يموتون بسبب النزيف الحاد، ليس ذلك بل أن له عواقب أخرى على الحياة الاجتماعية والجنسية للرجل والمرأة عند الزواج على حد سواء وهو ما يحصل للكثيرين من الرجال من معاناة أثناء المعاشرة الجنسية الزوجية، فأن الكثير من الرجال يعانون من سرعة القذف بسبب التحسس الزائد لرأس القضيب بسبب إزالة الجلد الرقيق من رأس القضيب الذكري والذي كان يؤدي دور الحافظة لرأس القضيب ويقلل من التحسس أثناء الاحتكاك عند الممارسة الجنسية، ما يؤدي لعدم الاستمتاع بلذة المعاشرة الزوجية لفترة أطول لدى الرجال، فيضطر بعض الرجال لاستخدام المخدرات (كوكائين - حشيش - مرجوان - قات - وغيرها) أو يدمن شرب الخمر بكميات كبيرة لتثبيط تحسس رأس القضيب أثناء المعاشرة الزوجية، جراء هذه الفرية البشعة، كما أن من العواقب الوخيمة بأزالة هذا الجلد الرقيق من رأس قضيب الذكر يسبب اثاره جنسية للرجل بسبب احتكاك رأس القضيب بالثياب الداخلية أثناء المشي أو العمل فيتسبب بالاستمناء من دون ممارسة جنسية، كذلك المرأة فأنه وبسبب أزالة البظر من المرأة يتسبب في تثبيط همة وعزيمة المرأة الجنسية فتصاب بالبرود الجنسي أثناء المعاشرة الزوجية بسبب البضر المستشعر لحساسية عملية

(1) انظر العهد القديم – التوراة . سفر التكوين بالنص التالي: ((فتختنن في لحم غرلتكم، فيكون علامة عهد بيني وبينكم. 12 ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر في أجيالكم: وليد البيت، والمبتاع بفضة من كل ابن غريب ليس من نسلك) . ونص آخر: (ياأمر بقتل من لم يختن بقطع تلك النفس وأما الذكر الأغلف الذي لا يختن في لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها. إنه قد نكت عهدي)

الممارسة الجنسية بين الزوجين، وهو ما تفقد معه الزوجة بالشعور بممارسة بمتعة الجنس على نحو أفضل ما تضطر معه لممارسة أطول، أو تضطر لاستخدام المنشطات والعقاقير الطبية لتحفيز التحسس من أجل المعاشرة الزوجية والشعور باللذة التي فقدتها بسبب بتر بضر أنوثتها، وقد يؤدي استخدام هذه العقاقير إلى مضاعفات خطيرة على حياة الزوجين في حالة من سوء الجرم له مضاعفات خطيرة على صعيد الحياة، فيجعل حياة الزوجين في حالة من السوء والاضطراب والتعاسة والشعور بالنقص والأحباط ما قد يؤدي للطلاق وتدمير الأسرة وهناك كثير من القضايا منظورة أمام المحاكم، كان هذا الفعل الشنيع أحد أسبابه الرئيسية المباشر أو غير المباشر ما يؤدي لسوء العلاقة بين الزوجين.

والحقيقة أن مشكلة الختان يعاني منه الرجل مثلما تعاني منه المرأة، وقد أصبح اليوم معضلة اجتماعية للجنسين معا، يجب وقف هذه الجريمة واتخاذ قرار بتجريمه على الجنسين، على الرغم من أن القرآن المبين المفصل المحكم لم يرد نصاً يجيز هذا الفعل البشع نهائياً، بل على العكس من ذلك، فقد جاء القرآن الكريم ليصف خلق الإنسان في أحسن تقويم أي أنه مكتمل الخلقة دون خلل بالزيادة أو بالنقص فتبارك هذا الخلق باكتمال صنعته حسبما ورد بعدد من نصوص الذكر الحكيم نذكر بعض منها:

• قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾، (التين: 4)، وَقَالَ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾، (المؤمنون: 14).

• وَقَالَ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾، (السجدة: 7).

• وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿...وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، (غافر: 64).

• وَقَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى - ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾، (التغابن: 3).

ابعد كل هذه الآيات، فهل يتبقى للختان مكان في حياتنا والله - سبحانه وتعالى - خلقنا في أحسن تقويم، وأحسن صورة غير أن جماعة التحريف والأبالسة أرادوا الانتقام من الإنسان بدس تلك النصوص والأحاديث وجعلوه نصاً دينياً واجب التطبيق بالمخالفة لكلام الله سبحانه - القرآن الكريم، فجعلوا الختان فريضة دينية واجبة النفاذ بحق الإنسان ذكراً وأنثى، ثم عمدت جماعة التحريف لدسها في فكر المذاهب الإسلامية، ثم أضافوا إليها حجج واهية منها التطهر والنظافة، وهذا هراء، فالنظافة في هذا الجانب مسألة شخصية تختلف من شخص لآخر ولا شأن لها بأساس تقويم الإنسان وخلقهِ المكتمل، إذ يعد الختان للرجل والمرأة تعدياً على خلق الله - سبحانه وتعالى - وانتقاصاً من هذا الخلق المكتمل، فلا مشروعية من الدين لهذا الجرم البشع على الإطلاق، بل على العكس، وهو ما يتوجب وضع تشريعات لوقف هذا الجرم وتجريم النصوص الدينية وتجريم من يقوم به.

الفصل السادس عشر

فقه الأعياد والمناسبات:

التعريف والمشروعية:

التعريف والمشروعية: الأعياد والمناسبات هي حالة من الشعور العام والخاص، تجاه حدث أو مناسبة، والتعبير عنها بالحزن أو الفرح في الزمان والمكان، ويعبر عنها الإنسان بأي طريقة مناسبة تتناسب مع العادة والعرف الذي اعتاد الناس القيام به، أما من حيث المشروعية فلا مشروعية من القرآن الكريم.

ومن المعلوم أن الأعياد والمناسبات لم يأتي نص من القرآن يشرع قيامها، وإنما جاء تنظيمها، حسب ما تعارف عليه الناس منذ الزمن الأول في تاريخ حياة الإنسان على مر العصور، ومن بين هذه الشعوب والأمم ظهر أول عيد في التاريخ سمي بعيد أكيثو، أو رأس السنة الآشورية البابلية وهو أقدم عيد ديني في تاريخ الإنساني، وما زال يحتفل به حتى يومنا هذا وموعده في مطلع شهر إبريل/ نيسان من كل عام في بلدة القحطانية في محافظة الحسكة، شمال شرقي سوريا، وغيرها من المناطق في بلاد الشام والعراق، كما يحتفل به الايزيديين من الأكراد بملايسهم ورقصاتهم التقليدية، إذ يعود تاريخ هذا العيد إلى ما قبل سبعة آلاف سنة ق. م تقريباً، وأكيثو تعني تقريب الماء من الأرض، فيما يفسرها آخرون بأنها عودة بذرة القمح إلى الحياة من جديد بحلول الربيع وتجدد حياة الطبيعة، وقيل إن عيد أكيثو في الحضارة البابلية، هو عيد تحضير التربة للبذور والسقي، كما قيل أيضاً إن عيد أكيثو هو احتفال بالزواج الإلهي المقدس بين آلهة المدينة مع آلهة الخصوبة الأنثى(1).

ومن الأعياد التي تقام في الحضارات الأخرى، عيد النيروز بفصل الربيع لدى الفرس الساسيين – وعيد شم النسيم، وعيد ظهور نجم الشعر اليماني، وعيد الحج إلى الآلهة لدى المصريين(2)، غير أنه جرى تنظيم الأعياد في العصر الروماني خلال حقبتَي الجمهورية والإمبراطورية قبل الميلاد بمعنى العطلات (الفيرايي - الأيام المقدسة)، وتكون عامة أو خاصة حسب التقويم الروماني، فكانت أعياد مستقلة بمناسبات عامة وخاصة، غير أنها لا تخلو من الطابع الديني، وهناك أعياد أخرى قديمة كالأعياد الدينية الاثنية حسب تقويم أثينا، وأعياد الصين في الربيع ورأس السنة الصينية، وعيد الخريف لدى الهنود المتميزين بتعدد الديانات، إذ إن لكل شعب ودين عيد خاص به، وعن الأعياد لدى حضارة العرب القديمة فإنني أعتقد أنه كان للعرب أعيادهم الخاصة ذات طابع ديني أيضاً، وقد جاء وصف هذا الحدث في القرآن الكريم: **قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ النمل (24).** بالإضافة لوجود معبد خاص بمدينة مأرب الأثرية – سبأ والذي يرجع تاريخ بناؤه إلى القرن العاشر قبل الميلاد

(1) انظر اكيثو اعياد رأس السنة البابلية – د. محمود حسين الأمين – دار آشور بانيبال للكتاب بغداد.

(2) انظر اساس القويم / جرجس فيلوثاوس عوض – مبحث حول أعياد مصر القبطية والقديمة – 1915م.

(معبد أوام)، وقيل أن تاريخ بناؤه يرجع لتاريخ أقدم من ذلك، وتشير المصادر التاريخية والأثرية أن العرب كانت تعبد آلهة (المقه) إله الدولة السبئية القديمة، والذي كان يعرف بآله الشمس والقمر، وكان الناس يحجون إليه من جميع أنحاء الجزيرة العربية في أيام محددة من السنة، وتخصّص فيها أعياد الآلهة وعيد الخصوبة وعيد الشمس⁽¹⁾.

وما يجدر الإشارة إليه هو أن اليهود عملوا على شرعنة الأعياد بأن جعلوا لها نصاً دينياً يحدد مناسكها وطقوسها ومسمياتها وصارت لديهم محافل مقدسة يحتفلون فيها، ومن الملاحظ أن الأعياد الدينية لليهود قد وردت فيها نصوص من تورااة العبرانيين تنظّمها في عددٍ من الأسفار، ثم جاء التلمود وأفرد لها مؤلفاً خاصاً بها أطلق عليه مواعيد (الأعياد) وجعلوا من شبات (السبت) عيداً مقدساً يقتل من يتعداه، ثم جاء ب(عيروفين) وتداخله مع السبت، ثم عيد بساحيم (الفصح)، وعيد شقاليم (الشواقل)، وهي الهبة التي تقدم للهيكل المقدس بعيد الفصح وعيد يوماً اليوم (يوم الغفران)، وعيد سوكة (عيد المظلة)، وعيد بيتساه البيضة (يوم العيد)، وعيد روش هشناه (رأس السنة العبرية)، وعيد تعنيت (الصيام)، وعيد مجلا اللفافة (لفافة استير)، وعيد عوعيد قطان (العيد الصغير لأيام تحليل العيد)، وأخيراً عيد حجيجا زيارة (الهيكل والمذبح المقدس)، وما يقدم من مقدمة وقرابين لهذا العيد، ولكل من هذه الأعياد مناسبات ومواعيد محددة من السنة وطقوس وشعائر خاصة في كل منها على حدة⁽²⁾.

وكل هذه الأعياد تتوافق من حيث طريقة الاحتفال بذبح أنواع من الحيوانات البقر – الماعز – الغنم – وغيرها، ومن الطيور من أجل إراقة الدم ورش الدم على الهيكل والمذبح المقدس والأكل والشراب، ثم يتخللها قراءة نصوص دينية، ثم ينتقلو للاحتفالات بالرقص والطرب وهكذا.

ومن الفكر اليهودي للأعياد والطقوس – وقد انتقلت هذه الأعياد الدينية لعقائد أخرى منها ديانة المسيحيين التي صبغت بأغلب أعياد اليهود، إضافة لعيد ميلاد المسيح، والذي يصادف نهاية كانون الأول بفصل الشتاء من كل عام، وهذا التاريخ بتقديري غير حقيقي ومغلوط، وما يكذبه نص من القرآن الكريم، والذي يوضح أن ميلاد السيد المسيح عيسى كان بداية فصل الخريف حسب المعنى الضمني المفهوم من سياق هذه الآية قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَهَزَي إِلَيْكَ بِجُنْعِ النَّخْلَةِ تَسَاقُطُ عَلَيْكَ رُطْبًا غَنِيًّا﴾، (مريم: 25)، ومعلوم أن ثمرة نخيل مناخ حوض البحر المتوسط تنضج في بداية الخريف من كل عام وليس في فصل الشتاء قارص البرودة.

ومن نافلة القول أن كلمة عيد جاءت في القرآن الكريم مرة واحدة على لسان عيسى عليه السلام بمناسبة نزول مائدة من السماء حسب ما نص القرآن الحكيم قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً...﴾، (المائدة: 114)، ومن الأعياد في الشعوب والأمم الأخرى أعياد الصابئة المندائية إذ يتم تنظيم الأعياد لديهم حسب نسق ديني محدد، فجاء عيد الخليقة العلوي لعالم النور والأرواح الأثرية في الأيام

(1) راجع دراسات في تاريخ اليمن القديم / د. عبدالله حسن الشيبية . الطبعة الأولى .

(2) راجع التلمود – المشنأ – مواعيد – الأعياد – ترجمة وتعليق: د/ مصطفى عبد المعبود سيد منصور - مكتبة النافذة – الطبعة الأولى 2009م.

الخمسة البيض، والعيد الكبير عيد الخليفة المادي المسمى ب(دهواربا) وحدد بثلاثة أيام والعيد الصغير وهو عيد الأزهار وعيد التعميد الذهبي.

أما عن الأعياد لدى العرب والمسلمين بعد بعثة النبي محمد عليه السلام، فقد دس بعدين دينيين هما عيد الأضحى، ويرتبط بموسم الحج والعمرة للبيت الحرام وتقديم الأضحية هدى للكعبة، وعيد الفطر بمناسبة الانتهاء من صيام شهر رمضان، وقد أمطرنا فقه المذاهب الإسلامية بكثير من أحاديث العنينة لهاذين العيدين من كونهما مناسبة دينية ابتداء بطقوس وشعائر محددة تقام في العيدين وتبدأ من طريقة المشي لأداء صلاة العيد في المسجد والعودة من مكان آخر، ثم شرعوا للعيد صلاة خاصة وخطبة خاصة بالعيد، ثم بينوا طقوس كيفية خروج النساء في العيد، ثم حددوا أضحية العيد وفضل الأضحية، ونوع الأضحية (جمل - بقر - غنم - ضأن - ماعز)، وغيرها وحددوا طريقة الذبح، وما يستحب من الأضاحي والاشتراك في الأضحية والتأكيد على أن الأضحية والعقيقة سنة، وقد أوردت كتب الفقه في المذهبين السني/ الشيعي، ما يزيد على عشرات العناوين ومئات الأحاديث، لتنظيم طقوس العيدين من الأذكار والتراويل الدينية وغيرها فضلنا عدم الخوض فيها للحشر الزائد فيها الذي بلغ حد الغناء، ومن كون الأفراح والأحزان والمناسبات حالة من الشعور المتصل بتنظيمها من الأعراف المعتادة بين الناس وليست من الدين البتة ولبيان هذه الجزئية وفضح هذا الزيف الذي دسسته لنا جماعة التحريف من الفكر الديني اليهودي والصابي حول الأعياد فحولته من مناسبة إنسانية صرفة إلى مناسبة دينية بطقوسها ونوضح ذلك في الآتي:

من المسلم به بين المسلمين أن عيد الأضحى ارتبط بموسم الحج وبمناسبة الأضحية التي تقدم في الحج، فيقوم المسلمون بتقديم الأضاحي كسنة مماثلة لما يقدمه القائم بالحج والعمرة، وتعتبر هذه مناسبة يتخذها الناس عيداً لتأدية الطقوس الدينية المفروضة وللاحتفال، ولو كان هذا العيد وما فيه من طقوس دينية من صلاة وخطبة العيد وغيرها صحيح إذن لاحتجنا لعدد من الأعياد المتتالية في كل موسم حج وعمرة، لكون الحج ليس ميقاتاً واحداً في السنة وإنما جاء وقت الحج والعمرة ليمتد لثلاثة أشهر حسب ما نص عليه القرآن الكريم، امثالاً لقول الله: ﴿الْحَجَّ أَشْهَرُ مَعْلُومَاتٍ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفْتٌ وَلَا فُسُوقٌ وَلَا جِدَالٌ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾، (البقرة: 197)، وخلال هذه الفترة يجوز لأي إنسان القيام بالحج والعمرة، فكم إذن نحتاج لأعياد خلال موسم الحج والعمرة المقدر بثلاثة أشهر كأقل فترة؟؟ وهو ما يبطل الدس الذي جاء به جماعة التحريف بجعل العيد بمناسك وشعائر دينية من صلاة وخطبة وغير ذلك.

والحقيقة التي نؤكد عليها بأن الأعياد والمناسبات هي من أعراف الناس وعاداتهم، ومن حقهم إقامة أعياد خاصة وعامة في المناسبات التي يحبونها في الزمان والمكان، ولا يوجد أعياد دينية نهائياً، ولا يوجد نص من كلام الله سبحانه يتحدث عن عيد أو مناسبة، غير ما تقولوا به اليهود وأرباب الأديان الأخرى على الله كذباً، أما في الإسلام والذي خط شرائعه، ومناسكة سيدنا إبراهيم بوحى من الله سبحانه، وسار على نهجه الأنبياء والرسل من إسحاق وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام، فلم ينص على تحديد عيد مفروض على الناس، غير أن

سيدنا عيسى طلب أن يكون له عيد بمناسبة إنزال المائدة من السماء حسب ما سبق الإشارة إليه، فكانت المناسبة وقتية، ولم تعمم من بعده على الناس، ومن حق الناس تحديد أعيادهم الشخصية والخاصة، وكذلك أعيادهم الوطنية والقومية والعالمية، وكذلك من حقهم تحديد مناسبات الحزن ولن ندخل في التفاصيل في ذكر مسميات الأعياد، فكل الأعياد هي من أعراف الناس، فالأعياد تعبر عن هوية الشعوب والأمم تحت مختلف الأسباب منها الوطنية، ومن حق كل شعب أو جماعة تحديد مناسبة لعيد ما، ومن حقهم إقامتها بالزمان والمكان ولا غير ذلك.

مناسبات الأحزان – الجناز:

مثلاً ورد في تنظيم الأعياد لدى الشعوب والأمم في الحضارات القديمة وردت نصوص دينية من كتب الفكر الديني القديم، وكذلك دس في كتب المذاهب الإسلامية حول مناسبات الأحزان عند وفاة الإنسان، وما يجري عليه من طقوس ومراسيم دينية، وتحديد فترة من الأيام للحزن والتأبين وغير ذلك، حيث وردت عناوين متعدّدة عن هذا الموضوع مشرعين تلك الأفعال بأحاديث العنونة من كلام المذاهب السنية والشيعة سبق تناولها، غير أن هذه الأفعال، وما يلحق بها تعتبر من الأعمال المعتادة والمتغيرة التي اعتاد الناس عليها، حسب أعرافهم في كل زمان ومكان وعلى مستوى الشعوب والأمم قديماً وحديثاً ولا يوجد نص من كلام الله سبحانه ينظم هذا المناسبات غير ما ورد في كتب الأديان القديمة ولا يجب أن نعول عليها، وإنما تخضع لأعراف الناس وثقافتهم في المكان والزمان.

الفصل السابع عشر

فقه الجهاد (المقاومة - وصد العدوان) في الإسلام

مدخل:

جاء مفهوم الجهاد وتعريفه في فكر المذاهب الإسلامي الشيعي / السني على غرار فكر توراة العبرانيين، سفر الخروج والتثنية واللاويين وسفر العدد من العهد القديم والجديد، بفعل جماعة التحريف التي حرقت مفاهيم الجهاد من الناحية الشكلية والموضوعية ودسته بفكر المذاهب الإسلامية عبر عدد من أحاديث العننة والقلقلة، وجعلت منه عناوين متعددة للتكفير والإرهاب والتطرف والقتل والسبي والغزو والغزوات من أجل الغنائم والفيء والأنفال والخمس والجزية ونشر الدين بالقوة والحرب وغيرها.

ولم يكتفوا بذلك بل وصموا بهذه الأفعال شخص الرسول محمد عليه السلام والعرب خاصة وعامة المسلمين.

وقد ظهر ذلك في كتب الحديث لتلك المذاهب المتعددة على سبيل المثال: كتاب صحيح البخاري رأس مذاهب أهل السنة والجماعة، وكتاب الكافي رأس مذاهب أهل الشيعة، ولدراسة هذا العنوان، من خلال ذكر عدد من الكتب المعنونة في تلك المصنفات والمجلدات نذكر بعض من عناوين الكتب التي أشتملت عليه: كتاب جهاد الكفار والمنافقين، وكتاب الغزوات، وكتاب المغازي وكتاب السرايا، وكتاب الجزية، وكتاب غنائم الحروب، وكتاب دار الكفر ودار الإيمان، وغيرها من العناوين والتي تحث على قتال الكفار واليهود والنصارى والمشركين ثم الدعوى لقتال الناس كافة من قبل شخص الرسول محمد عليه السلام والعرب والمسلمين، وصولاً للاقتتال المذهبي السني الشيعي بين أبناء الدين الواحد، ومن أجل إظهار الحقيقة حول التعريف بالجهاد ومن باب التوضيح لهذا العنوان الملتبس على الكثير من الناس، فقد حاولت طرحه هنا محاولاً الاختصار قدر المستطاع، مع التنويه للقارئ الكريم أن خطاب القرآن عن الجهاد خطاب أزلي ثابت بقدم الإنسان في العصور الماضية، ولم يكن وليد بعثة الرسول محمد عليه السلام، ومشروعية الجهاد من قبل الله سبحانه للناس جميعاً من أجل مجاهدة النفس وحملها على مقارعة الظلم وصد الاعتداء ومقارعة الغزو والغزاة ومجاهدة الاستعمار وصد العدوان، وهو حق مشروع ومكفول بحسب ما جاء في القرآن الكريم - وبحكم الأعراف الإنسانية بين الشعوب والأمم في مختلف عصور الحضارات المتعاقبة لحياة الإنسان، وقد جاءت القوانين الوطنية والدولية والمعاهدات والداستاتير لضمان وتأكيد هذا الحق المشروع لكل الناس على السواء دون تحديد أقوام أو شعوب معينة.

1-17 الجهاد (المقاومة) التعريف والمشروعية:

من خلال المقدمة أعلاه فإنَّ الجهاد يعرف: بأنه بذل الجهد المادي والمعنوي من قبل الإنسان صاحب الحق والمصلحة من أجل القيام بعمل ما للدفاع عن حقوقه المشروعة ضد كل من يعتدي عليه ظلماً وعدواناً أو ضد الفساد وضد الغزوا والاستعمار وصد العدوان باستخدام كل الوسائل الدفاعية السلمية الممكنة، وذلك عن طريق القول والكتابة والنشر، أو التظاهرات السلمية ومنها المقاومة السلبية بالامتناع عن العمل أو المقاومة بالعصيان المدني أو غيرها من وسائل مقاومة الظلم بكل أشكاله وأنواعه وصوره ومقاومة المحتلين للأوطان ومجاهدة كل أصناف العدوان وصولاً إلى الكفاح المسلح، والذي لا يشرع إلا بعد استنفاد كافة مراحل الجهاد - المقاومة السلمية، وسواء كان هذا العدوان حالاً وقائماً على الأرض، أو كانت مخاطره محتملة ويهدد الأمن الوطني والقومي للبلد، وهو ما يطلق عليه بالجهاد الاستباقي أو الجهاد الوقائي، هذا بالنسبة للجهاد - المقاومة ضد العدوان الخارجي على الأوطان، أما الجهادي - المقاومة الداخلي في ظل وجود سلطة أو حكومة فلا يكون إلا عبر جهاد - المقاومة السلمية بمعنى المعارضة الوطنية عبر الحراك المجتمعي في إطار محدود، وبحسب ضوابط من القانون، في الوقت الذي يسمح للمعارضة السياسية في طرح الآراء وتنظيم الناس نحو قضية معينة أو ضد الحاكم الظالم الذي خرج عن قيم الحكم التي حددها القرآن الكريم والمتمثلة بإقامة العدل والحرية والمساواة أمام القانون وكل قيم الفضيلة والخير في حكم الناس من دون تفرقة في الجنس واللون والدين، وهناك جهاد شخصي للظلم الحاصل على الأفراد من بعضهم البعض، فيكون عبر تقديم الشكاوى أمام الجهات القضائية حسب الدستور والقانون في إطار الدولة من أجل رفع الظلم عنهم حتى يسود السلام بين الشعوب والأمم، وتحقيق السلام الاجتماعي في الوطن الواحد.

ومن هنا فالجهاد المعني به في القرآن الكريم هو المقاومة الشريفة المشروعة التي هدفها الأسمى نيل الحرية والاستقلال الوطني، وهو حق مكفول لكل الشعوب والأمم، حسب ما نص عليه كلام الله سبحانه في الكثير من آيات الذكر الحكيم، وحسب ما تعارف عليه الناس في مختلف حضارات الشعوب والأمم وما خطته أيادي الإنسان من موثيق الأمم القديمة والحديثة والمعاصرة، وكذلك الدساتير والقوانين والتشريعات الوطنية والدولية، ومثلما يكون الجهاد (المقاومة) مشروعاً ضد العدوان الخارجي، والغزاة المستعمرين فإنه يكون مشروعاً كذلك ضد ظلم الحكام المحليين، والحاكمية السياسية الوطنية، ذلك أن الظلم والاستبداد ومصادرة الحريات وإهدار حقوق الإنسان ونشر الفساد الاقتصادي والفساد السياسي والفساد الإداري والفساد السلبي المتمثل في خلق حالة الإحباط بين أبناء الوطن، يعتبر عاملاً مشتركاً بين فعل الغازي المعتدي الخارجي، والحاكم المحلي الذي انتهج النظام السياسي الفردي الديكتاتوري القمعي المستبد الفاسد، فصادر الحريات العامة وعطل المؤسسات واستفرد بالسلطة والثروة، ويسعى في الوطن الخراب والدمار وقمع المعارضين، ففي هذه الحالة وجب جهاده بمعنى المعارضة المدنية بكل وسائل الجهاد المشروعة والممكنة بعيداً عن الخروج المسلح الذي لا

ينبغي السير فيه لما فيه من أضرار جسيمة على الشعوب والأوطان وكيان الدولة، وتقدير الخروج المسلح على الحاكم الوطني الظالم من عدمه لا ينظر إليه من علة التحريم، وإنما يكون أمر الخروج بالسلاح متروكاً لتقديره للقائمين عليه في وقته وزمانه، حتى ولو كان يقوم بأداء جميع شعائر الدين من صلاة وصيام وزكاة وحج وغيرها فالعبرة بمجاهدته من كونه ظالم وفاسد وهذا يكفي، على أن يراعى درء المفسد والضرر وجلب المنافع والخير للناس، وتجنب الناس إراقة الدماء وخراب الأوطان وبث الفرقة المؤدي إلى الاقتتال والحرب الأهلية الداخلية التي تكون أضرارها مدمرة، على المدى البعيد.

وكما قلنا سابقاً فإن للجهاد (المقاومة) له مراتب أو أنواع متعدد، فهناك المقاومة بالكلمة، والمقاومة بمختلف وسائل النشر المعروفة، والمقاومة عبر الاحتجاجات والمظاهرات والأعتصامات، والمقاومة السلبية مثل العصيان بكافة طرقه وأنواعه، والمقاومة بالمال، والمقاومة بالنفس، وهو المرتبة الأخيرة، وهو ما يعرف بالمقاومة المسلحة، إذ إن المقاومة بمعنى الجهاد حق مكفول ومبدأ سَامٍ للشعوب والأمم بمختلف مراحل التاريخ الإنساني، وحتى قيام الساعة، ويجب التفريق بين الجهاد بمعنى المقاومة وبين الغزو والعدوان أو الاعتداء أو السيطرة والاستعمار، فقد عرّف القرآن الكريم الاعتداء وبَيَّنَّه في كثير من نصوص الذكر الحكيم باعتباره من أعمال الظلم الغشوم، المنهي عنه في كل مراحل التاريخ الإنساني – والجهاد – والغزو كل منهما عكس الآخر تماماً ولا يلتقيان البتة.

وليس الجهاد حالة خاصة بفترة بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم حسب ما سبق قوله ولا يقتصر على نبي أو رسول بعينه أو بأمة أو دين معين، بل إن الجهاد يخص كل الأنبياء والرسل فقد أرسلهم الله سبحانه وتعالى للمجاهدة في رفع ظلم الإنسان لأخيه الإنسان، كما يخص كل الشعوب والأمم جميعاً وهم معنيون بتنظيم الجهاد – ومقاومة الظالمين، وهو حق مكفول منذ فجر التاريخ الإنساني، كما ذكرناه سلفاً على غير ما ذهبت إليه جماعة التحريف في تحريف الجهاد كحالة خاصة بمعنى الغزوات والغزوات بالرّسول محمد صلى الله عليه وسلم والعرب والمسلمين، وجعلوا من الغزو جهاداً ومن العدوان جهاداً، ومن الإرهاب والتطرف جهاداً، ومن الحروب الأهلية وتكريس الظلم وقتل المدنيين جهاداً، وقد كرسوا هذا الفهم ونقلوه من فكر العقائد الدينية القديمة، ودسوه في كتب فقه المذاهب الإسلامية وألبسوه دين الإسلام وهو منه بري.

2-17 أدلة مشروعية الجهاد (المقاومة):

حريّ بنا أن نذكر مجمل آيات الجهاد (المقاومة) الواردة في القرآن الكريم، والتي توضح بعضها بعضاً، بل وتزيد تعريف الجهاد بألفاظ متعدّدة، فلم يأتِ تصريح واحد للجهاد بمعنى الاعتداء أو القتل والاقتتال من طرف واحد من خلال آيات القرآن الحكيم، بل إن مجمل الآيات تتحدث عن الجهاد بصفة عامة لدى جميع الشعوب والأمم كحق مكفول، وخاطب به الرّسول أو النّبي بصفته الاعتبارية من دون تحديد رسول أو نبي معين، وسوف نسرد بعض أهم آيات الذكر الحكيم التي تتحدث عن مشروعية الجهاد (المقاومة) نذكر بعضاً منها في الآتي:

- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ...﴾، (التوبة: 20)
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَإِذَا أَنْزَلْتُ سُورَةً أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهَدُوا...﴾، (التوبة: 86).
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ.....﴾، (الفرقان: 52)
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا...﴾، (النحل: 110).
- قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾، (العنكبوت: 69).
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾، (العنكبوت: 6).
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا...﴾، (العنكبوت: 69).

3-17 الجهاد في الفكر العربي الإسلامي:

إنَّ النظرة التأملية في التاريخ العربي الإسلامي، وما دون في مزعوم فقه السيرة النبوية عن مزعوم غزوات وسرايا النَّبي محمد صلى الله عليه وسلم، فقد دست جماعة التحريف بسيرة ابن هشام وغيرها (الواقدي - الطبري - بكتاب المغازي والسير)، كما هائلاً من الأكاذيب، والخرافات المتعمدة، فوصموا النَّبي والعرب والمسلمين الأولين بالغزاة، والمعتدين ووصمهم بالإرهاب، والاصولية الدينية، وقتل واغتتيال الخصوم والمخالفين، واغتيال النساء أيضاً، وإكراه النَّاس على الدخول في دين الإسلام بالقوة، ونشر الإسلام بحد السيف، وسبي النساء واغتصابهن، وفرض الجزية، عبر تزوير أحداث وغزوات نسبت كذباً ضد اليهود، وأنهم تعرضوا لإبادة جماعية بسبب هويتهم الدينية والقومية، وهو تزوير وكذب، وقد دست جماعة التحريف كل هذه التشويهات وغيرها في عددٍ من كتبهم كصحيح البخاري ومسلم والكافي وغيره، وأغلب كتب فقه السيرة، كما وصموا تاريخ المسلمين ونظام حكم الدولة العربية الإسلامية (الخلافة) بشهوة القتل والفتن، حسب ما دسوه من أحداث ومواقف عن القتل والافتتال في التاريخ العربي الإسلامي، مثل حروب الردة وفتنة عثمان ومقتله ومعركة الجمل وصفين وكربلاء والخوارج وغيرها، وما كل ذلك إلا دس خبيث من جماعات التحريف قصد منه الفرقة والضعينة والحق بين المسلمين، وهو ما بدأ يتحقق اليوم من الدعوة للانتقام المذهبي على غرار ذلك التاريخ من الأحداث المزيفة، وجراء هذا الفكر المندس وبه صنعوا ما يسمى بالسنة والشيعية والفرق والجماعات التابعة لهم من أجل الافتتال واستمراره في المجتمعات حسب ما نحن عليه اليوم.

وكما هو معلوم أن المغازي والغزوات أو السرايا هي اعتداء بقوات السلاح على الغير، والاستيلاء على الأرض والمال، وما ينتج عن هذا الغزو من حروب ودمار وخراب الأوطان، وتأثيرها السيئ على الأرض والنَّاس والحياة، ومن خلال هذه العناوين في أحاديث العننة بكتاب سيرة النَّبي لابن هشام برواية ابن إسحاق والواقدي والطبري وكتاب المغازي والسير

وغيره، وكتاب صحيح البخاري والكافي وغيرهما والتي سبق استعراضها، والتعليق عليها حول تشريع حلة الغزو، والغزوات من أجل نشر الدين، ووصم الرسول بالإرهاب والرعب، وجعل فعل الغزو والإغارة والسرايا من الأفعال المشروعة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم وصحابة النبي والعرب والمسلمين، ولصق القتال كفريضة دينية متجذرة ببعثة النبي، وتمتد للأجيال المتعاقبة، حسب تقولاتهم، فإن هذا الفعل دس خبيث، وتحريف للتاريخ، بقصد التبرير لزعة استقرار المجتمعات العربية والمسلمة بل والسعي لتدميرها بحجة الجهاد، كما أن هذه السيرة القتالية الجهادية من الغزوات والمغازي تعمل على تغيير نظرة المطلع العادي لسيرة النبي محمد عليه السلام والعرب والمسلمين والإسلام في التاريخ، فتوصمه بالعنف والإرهاب والأصولية المقيتة، كما جرت توظيفه من قبل المستشرقين لخدمة مشاريع أخرى حسب ما هو حاصل في يومنا هذا، غير أن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وكل الرسل بعثوا رحمة، ولم يبعثوا للغزو والقتال والحرب، حسب ما يدل عليه من صيغة الخطاب الموجه للرسول وكل الرسل والناس أجمعين، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾، (الأنبياء: 107). وكذلك فإن هذا الخطاب الخاص بالرسول محمد عليه السلام قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، (سبأ: 28)، فكان هذا الخطاب الموجّه للرسول محمد صلى الله عليه وسلم كونه بُعِثَ رحمةً وبشيراً ونذيراً للناس يتناقض مع كونه غازياً محارباً حسب ما دسسته جماعة التحريف، ولذلك فإن ما قام به الرسول محمد صلى الله عليه وسلم من أعمال المقاومة والجهاد إن صحة نسبتها إليه، فقد أطلق عليها القرآن بوصف دقيق حسب الآيات التالية: قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ...﴾ التوبة (25) وذكر حدث آخر قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاة: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ...﴾ آل عمران (123). فإن تلك الأعمال كان من موقع المقاومة المشروعة للغزاة الذين جاؤوا إلى موطنه في المدينة (يثرب) لاستئصاله، والقضاء عليه، حينذاك، وقد أطلقت جماعة التحريف على مقاومة الرسول والمسلمين المشروعة بغزوات الرسول خلافاً لمفهوم الغزو المعروف في المفاهيم العسكرية من قيام الغزاة بجيوشهم لغزو مدينة أو دولة أو قوم أو شعب آخر إلى عقر دارهم وهو ما فعله الغزاة بالرسول وليس العكس، وتغلب على أعمال الغزو القتال والأعمال الوحشية من الغازي، وما يصاحب الغزو من أعمال السلب والنهب والسبي، والتدمير للأرض والأوطان والممتلكات، وقتل الأبرياء من النساء والشيوخ والأطفال، الذين دائماً يكونون ضحايا هذه الحروب وعادة ما يعقب الغزو الاستيلاء والسيطرة ثم الاستعمار للأرض، والانتهاك للأعراض والحقوق المدنية للناس، وذلك ما أرادت جماعة التحريف إلصاقه بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم وبالإسلام والمسلمين، حسب ما جاء في كتب السيرة والفكر الإسلامي، إذ دسوا هذا التحريف في غفلة من الزمن وعمدوا من خلاله لتدوين مجلدات من الكتب عن غزوات النبي، فجعلوا منه غازياً وأطلقوا على أعمال المقاومة التي خاضها ضد المعتدين بالغزوات، وهو تقولٌ مكذوب من جماعة التحريف التي دسّت كمّاً كبيراً من الأحاديث والأحداث لتبين أن عمل الرسول كان غزواً حسب ما ذكرو تحريفاً وزوراً، فنسبوا للرسول غزوة بدر - وغزوة أحد - وغزوة الأحزاب - وغزوة الخندق،

وغيرها، وهو تشويه واضح ومفضوح، كما أسلفنا حسب ما جاء بكتاب سيرة النبي لابن هشام عن البكائي وابن إسحاق، وغيرها من الكتب الصفراء التي دست في وقت مبكر من التاريخ العربي الإسلامي، وسار على تقليد سيرهم كثيراً من الكتاب والمؤرخين العرب والمسلمين المتأخرين في العصور المتعاقبة، إلى جانب المستشرقين الأوربيين، وما زالت هذه الكتب بين أظهرنا حتى يومنا هذا، ومن هذه الكتب حيكت القصص والمسلسلات الدرامية والأفلام السينمائية، ليس ذلك بل للأسف الشديد فإن هذا الفكر القتالي الجهادي المشوة والمشووم ما زال يفرض على واقعنا وثقافتنا، بل أصبح برنامج نظري ومنهاج عملي للكثير من الميليشيات والجماعات الجهادية المسلحة، التي تقاتل كطاحونة الهواء بحجج مختلفة حسب مؤروث زائف من فكر مذاهب العننة، ويلقى على مسامعنا صباح مساء، عبر مكبرات الصوت في المساجد ومنابر الخطابة، ويغذا به عقول أطفالنا في المدارس وهو ما يزال حتى يومنا هذا للأسف الشديد.

ليس ذلك فحسب، بل عملت جماعة التحريف على دس غزوات أخرى للرسول ضد اليهود باعتبارها جهاداً لقتالهم وقتل ذراريهم وسبي نسائهم وإحراق بساتينهم، وبيوتهم وغيرها من الأعمال البشعة وإخراجهم من جزيرة العرب كما جاء في الأحاديث المدسوسة، حسب ما جاء في سيرة النبي لابن هشام وغيرها، والحقيقة أن هذه الغزوات محض كذب وافتراء الهدف منها البحث عن مظلمة تاريخية لليهود، لاستغلالها في المستقبل إن تمكنوا فسيجعلونها سبباً للابتزاز السياسي والاقتصادي للعرب خاصة، وقد بدأت بوادرها اليوم.

إن هذه السيرة القتالية المندسة على دين الإسلام والرسول والعرب والمسلمين تخالف منهج الله - سبحانه وتعالى - القائم على الجهاد بمعنى المقاومة المشروعة والمكفولة لكل الشعوب والأمم ضد الغزاة المعتدين دون تمييز في الدين أو الجنس، كما أن قيم الدين الحنيف يقوم بالأساس على الرحمة والحكمة والموعظة الحسنة، وهي أساس دعوة كل الأنبياء والرسل الذين كلفوا بنشر الفضيلة وقيم الخير والعدل والحرية الدينية وفضائل المعروف بين الناس، هذه هي الرسالة التي حملها جميع الأنبياء والرسل والحكماء والأئمة والمصلحين من أبناء الإنسان بمختلف التاريخ الإنساني منذ الخليقة الأولى، وهو ما أرادت جماعة التحريف طمسه وتغييبه عن وعي وإدراك الناس على الجملة بمثل هذا الغناء من المغازي، والغزو والافتتال والعنف والرعب والإرهاب الديني وإصاقه بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم وبالأنبياء والرسل من قبل، وبالإسلام دين الهداية لله رب العالمين، كما أن القرآن الكريم منع الاعتداء والإغارة والغزو وغيره إلا إذا كان لصد عدوان أو قتال ضد قتال مع التأكيد على منع الاعتداء من جانب واحد مهما كان السبب وقد وردت الكثير من الآيات صراحة وضمناً ونذكر من تلك الآيات على سبيل المثال الآتي:

• قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾، (البقرة: 190).

- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾، (البقرة: 191).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، (البقرة: 193).
- قَالَ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، (البقرة: 244).
- قَالَ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلًّا مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ فُخِّدُوهُمْ فَاغْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾، (النساء: 91).
- قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، (النساء: 74).
- وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾، (المائدة: 87).
- قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾، (النساء: 75).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكُفَّ إِلَّا نَفْسُكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنَكُّلًا﴾، (النساء: 84).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدْعُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ اتَّخَشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصَرِّكُمُ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾، (التوبة: 13 14).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾، (التوبة: 123).
- وهناك آيات ينبغي علينا عدم قراتها مجزاء بحيث يستشهد بها على غير مدلولها مثل هذه الآيات المترابطة في سرد المبررات والأسباب التي تتحدث عن قتال ناكثي المواثيق والاتفاقيات وعهود السلام من المشركين: قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُواهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ

اللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ (التوبة: 4، 5، 6، 7، 8).

ومن خلال قراءة بعض آيات القرآن الحكيم التي تحت على القتال في سبيل الله، فإن المقصود في سبيل الله سبحانه وتعالى هو كل الأوامر والنواهي التي من شأنها تحقيق الفضيلة والخير والعدل والمساواة وحرية المعتقد الديني والحرية السياسية في اختيار الحكام من دون تمييز في الجنس واللون والدين، بل والعمل على تطبيق الشرائع في الحلال والحرام والسير على الصراط المستقيم، وهو طريق الحق والصدق ومناصرة المظلوم وصد العدوان والجهاد ضد الاستعمار والفساد والإفساد في الأرض، فهذا هو سبيل الله سبحانه وتعالى وغيره من فضائل الأعمال والأقوال والمعروف والإحسان بين الناس، فكل من يعتدي على هذا، فقد وجب جهاده حسب ما يفقه من مدلول الآيات سالفة الذكر، وفي دلالة منع الاعتداء والعدوان والظلم، وردت عدد من آيات الذكر الحكيم تشير إلى ذلك في الآتي:

- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾، (المائدة: 87).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾، (البقرة: 190).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾، (البقرة: 194).

وهناك حالات من الاعتداء ذكرت لوصف حال اليهود في بعض المواقف كسمة اتصفوا بها دون غيرهم، حسب ما جاء في هذه الآيات من الذكر الحكيم قَالَ تَعَالَى: ﴿.... وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بَأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾، (البقرة: 61).

وآية أخرى تصف اليهود أيضاً قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَفَقَّوْا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بَأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾، (آل عمران: 112).

وهذا الآية أيضاً والتي ذكر فيها لعن جماعة من بني إسرائيل بسبب عصيانهم لله وعدوانيتهم على الناس على لسان داود وعيسى عليهم السلام: قَالَ - سبحانه وتعالى - ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾، (المائدة: 78) وآية أخرى: وَقَالَ - سبحانه وتعالى - ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾، (البقرة: 65).

وأخيراً وعلى ذكر اليهود وفكر اليهود الحربي والقتالي فيه الكثير من سير الحروب والافتتال والغزو والغزوات والعنف والغدر والاعتقال وغيرها، ويكاد يكون العنف والإرهاب خاصة من خاصية كتبهم المقدسة، فوصفت حياتهم تجاه بعضهم البعض وتجاه الآخرين

بصورة مفاجئة، فحياتهم مخيفة تتسم بالإرهاب المفرط، كيف لا والمطلع على التوراة من سفر التثنية والعدد واللاويين يدرك حجم الإرهاب والتحريض على الاعتداء وقتل الآخر، والتأكيد على فعل الإبادات الجماعية، وإحراق المدن والشجر والرجال والنساء والشيوخ، والأطفال وأن لا تبقى نسمة واحدة لكل ما هو من غير اليهود من بني إسرائيل من مدن الأعداء أو المدن التي وهبها الرب لك حسب وصفهم، أو تلك الأرض التي تستعمرها، هكذا صاغ اليهود كتبهم المقدسة، وقد جاء القرآن الكريم ليؤكد حقيقتهم التي تتكشف اليوم أمام العالم، إذ إنهم يحاولون لي عنق الحقيقة ووصم الآخرين بالإرهاب وهم كما وصفهم الله - سبحانه وتعالى - بجزء من هذه الآية وغيرها الكثير من الآيات - قال سبحانه: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾، (المائدة: 64)..

تلك هي السمات التي يتصف بها اليهود وقد حاولوا الصاقها بالآخرين، ومن أجل إظهار الحقيقة من كتبهم فبالإمكان استطلاع بعض نصوص التوراة للتعريف على واقع الإرهاب والأصولية الدينية المتطرفة فقد سبق لنا تناولها في الجزء الأول من هذا المؤلف يمكن الرجوع إليه خشية التكرار والإطالة، أو يمكن للقارئ قراءة أسفار التوراة الخمسة الأولى وستتكشف لك فاجعة الإرهاب الديني فيها.

17-4 الجهاد الاستباقي أو الحرب الوقائية:

يعدّ الجهاد الاستباقي أو الحرب الوقائية من الحروب التي تقوم لإجهاض مخططات العدو عن القيام بالاعتداء المحتمل والوشيك على الدولة، أو ضد مَنْ يعمل على تهديد الأمن القومي والوطني كما يعمل على زعزعة الأمن والاستقرار الإقليمي والدولي وكما هو متعارف عليه اليوم، وغالباً ما تتم مثل هذه الحرب بعمليات عسكرية خائفة إذ يتم مباغته العدو وشل قدراته العسكرية والحربية قبل أن يقوم بالاعتداء، وهو أشبه ما يكون بالدفاع المشروع عن النفس، ولا تكون تلك الحرب إلا في نطاق ضيق ومحدود، من أجل تفادي خطر أكبر قادم ووشيك لا مفر منه، وتكون الغاية الرئيسة منه منع قيام الحرب على نطاق أوسع في ضوء ما كان يعدّ ويستعد له العدو من خطط وترتيبات عسكرية هجومية وعدوانية على بلد مسالم، وهو ما يعرف بمنع حدوث تبدل في موازين القوى العسكرية بين البلدين مما يشكل تهديداً للأمن والسلم الوطني والقومي، ويخلق حالة من عدم الاستقرار بين الدولتين، وهذا النوع من الجهاد مطلوب لأنه في حكم الدفاع عن النفس أو قريب من ذلك، ومن أجل سلامة الأوطان من العدوان المحتمل والوشيك، ولهذا العمل الجهادي كثير من المحاذير رغم ومن عدة نواحي أهمها: أن يكون العمل الجهادي المقاوم في صورة عمليات محدودة، تقوم على تقدير مواقف العمليات العسكرية لمسرح الإعداد والتجهيزات الحربية لجبهات العدو، في ضوء مهام من الرصد والاستخبارات والكشف المبكر والأکید للخطط العسكرية والميدانية لمسرح عمليات

العدو، وبحسب معطياته على أرض الواقع، وما تشكل من تهديد محتمل ووشيك للأمن والسلام المحلي والإقليمي والدولي.

فتلجأ الدولة المقاومة لعمل عسكري محدود وخاطف لضرب وشل قدرات الخصم، من أجل منع حدوث العدوان المحتمل أو لمنع تطوير قدراته العسكرية، التي تمثل تهديداً فعلياً للأمن والسلم الإقليمي والعالمي.

وقد يكون العمل الاستباقي في هذا الموضوع القيام بضربات جوية خاطفة أو هجوم عسكري بري مباغت، لإجبار العدو للتفاوض من أجل العيش بسلام، ومنعه من تطوير قدرات عسكرية ذات دمار شامل، وعلى الرغم من حساسية اللجوء لهذا العمل، فإنه لا يجوز التماهي فيه، واتخاذ سبباً للعدوان، وقد شرعة الأسرة الدولية تنظيم قانون دولي خاص في هذه المجال، وحتى لا تتخذها الدول القوية ذريعة للعدوان، وشن حروب أقل ما يمكن وصفها بالحروب الغير أخلاقية، وكما جرى في الكثير من الحروب ومنها الحرب العالمية الأولى، والذي كان من أسبابها التذرع بالحروب الوقائية، وهي نفس الذرائع التي تكررت مؤخراً في تدمير دول منها العراق والصومال وأفغانستان وغيرها.

ومن ذلك كله فلا مشروعية قانونية لهذه الحروب حتى الآن ضمن علاقة الأسرة الدولية غير ما تصدره المنظمات الدولية من بيانات ومواقف حيال ذلك، ومن هذه المنظمات – هيئة الأمم المتحدة – ومجلس الأمن الدولي في تحديد المشروعية لشن مثل هذه الحروب فتكون هذه المواقف متباينة تخدم بدرجة رئيسة مصالح الدول القوية، غير أن العالم وهو يقف على حافة تقاطع المصالح الاقتصادية وثورة المعلومات وهيمنة اذرع الشركات عابرة الحدود الوطنية وخطر انتشار الأسلحة النووية بات الأمر مهماً وملحاً جداً على المجتمع الدولي والأسرة الدولية العمل على تنظيم تشريع قانوني أو معاهدة دولية تعمل على عدم شن الحروب الوقائية إلا بموافقة الأسرة الدولية ووفقاً للأسباب التي تطرقنا إليها سابقاً ووفقاً لبنود القانون أو المعاهدات الدولية في هذا الشأن.

وعن مشروعية الجهاد الوقائي في كلام الله سبحانه فقد جاء القرآن الكريم بعدد من الآيات والتي يصورها بعض السذج على أنها تصم الإسلام بتشريع الاقتتال والإرهاب دون سبب، غير أن هذه الآيات جاءت كقواعد عملية لحث المشرعيين الدوليين على سن قانون دولي ينظم مثل هذا الجهاد الاستباقي (الحرب الوقائي) وكما في الآيات الآتية:

- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ.....﴾، (البقرة: 193).
- قَالَ تَعَالَى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾، (التوبة: 29).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾، (التوبة: 73).

والحديث في هذا الموضوع يطول وفيه تفاصيل كثيرة غير أنني فضلت الاختصار بما أسلفت خشية الإطالة مع التأكيد أن دين الإسلام جاء به الأنبياء والرسل ليدعوا من خلاله للهداية والرحمة ونشر قيم الحب والسلام بين الشعوب والأمم وترسيخ قيم الفضيلة ومنع الاعتداء والعدوان ويحث على الجهاد المقاوم للظلم والعدوان حسب أسباب موضوعية قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ﴾، (الأنفال: 60)..والحق لا بد له من قوة تحميه، وتمنع عنه العدوان...

جاء التعريف بالشهيد بالفكر الديني القديم والفكر الإنساني عموماً، وفي فكر المذاهب الإسلامي خصوصاً كتعريف عام للشهيد، بأنه الشخص الذي خرج يقاتل في سبيل الله حتى قتل، وقد وردت الكثير من أحاديث العنقة حول هذا الموضوع تحت على الشهادة والاستشهاد، وبذل النفس في سبيل الاستشهاد أو نيل الشهادة وما إلى ذلك، كما عرف الشهيد بأنه الشخص الذي قتل في المعارك الحربية بين طرفين أو بين الأطراف فكل طرف يعتبر قتلاه من الشهداء، وهو تعريف خاطئ ولا يتوافق مع نص القرآن الذي جاء ليعرف الشهيد والشهداء والشاهد، والذين يقتلون في سبيل الله، وبتعريفات مستقلة، وهو ما نوضحه بالآتي:

هو ذلك الشخص أو الجماعة من الناس الذين يسعون للجهاد ضد الفساد والأفساد، والظلم والاضطهاد والطغيان، ومقاومة الغزاة والمعتدين ومن أجل الاستقلال الوطني أو من أجل مناصرة قضايا الحرية الدينية والحرية السياسية لوطنه وتحقيق العدل والمساواة أو ضد العنف والإرهاب والتطرف والتكفير، والخلاصة فإنّ الذين يقتلون في سبيل الله هم أولئك الذين يقامون الفساد بكل صوره والطغاة والاضطهاد والتمييز العنصري على مستوى الدولة الوطنية أو على مستوى العالم، وقد جاء الوصف لحالهم بهذه الآية، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾، (البقرة: 154)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾، (آل عمران: 169)، وممدول سبيل الله كما قلنا سابقاً كبير وكثير وهي باختصار كل من يسير في طريق الصراط المستقيم، وآية أخرى عن الثواب لمن يقتل في سبيل الله قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَلَنِّ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾، (آل عمران: 157)، وآية تحدد المآل بعد الموت بالحرش لمن يقتل في سبيل الله سبحانه: قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَلَنِّ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾، (آل عمران: 158)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، (النساء: 74)، وَقَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ

الْعَظِيمُ»، (التوبة: 111)، تلك الآيات التي تبين حال الذي يقاتل في سبيل الله سبحانه وتصفه بالمقتول وليس بالشهيد كما حرفته جماعة التحريف في فكر المذاهب.

والخلاصة: فأن الذي يقتل في سبيل الله سبحانه هو ذلك الشخص المجاهد للظلم والاضطهاد والمقاوم للغزو والاعتداء ونيل الاستقلال الوطني أو الذي قتل مناصراً لقضايا الحرية الدينية والسياسية لوطنه وتحقيق العدل والمساواة أو ضد العنف والإرهاب والتطرف والتكفير، وأولئك الذين يقامون الظلم والاضطهاد والتمييز العنصري على مستوى الدولة الوطنية أو على مستوى العالم.

الشهيد أو الشهداء التعريف والمشروعية:

هو الراوي لوصف واقع الحال المنظور من قبل الشهيد الذي يسمع الصوت بأذنه ويرى الواقعة بعينه المبصرة فكان الشهيد سميعاً للصوت أو الأصوات الصادرة، والبصير بالرؤية الفاحصة للشيء محل وقوع العين أو الرؤية بالعين المجردة أو كليهما معا، وهو ما يطلق عليه بالشهيد وقد جاء هذا التعريف ترجمة للآيات التالية من القرآن الكريم حول مسألة الشهداء والشهيد في كتابة سند الدين وغيره:

• قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿... وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَلَّحُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَ اللَّهُ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، (البقرة: 282).

• وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾، (آل عمران: 98).

• وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾، (النساء: 41).

• قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾، (الإسراء: 96).

• وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ...﴾، (القصص: 75).

• وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾، (ق: 21).

• وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ العاديات (7).

الشاهد: التعريف والمشروعية:

هو الخبير العليم، وقد جاء هذا التعريف في فهم استقصاء الأدلة والبراهين على قضية أو حدث معين مختلف فيها بجعل تقرير الخبير أو الخبراء أو أصحاب المهن المتخصصة فتصل حجيتهم لدرجة القرينة أو الدليل القطعي في تدعيم الحكم في القضية بالشيء محل الخلاف، وهو ما يعرف اليوم ببيوت الخبرة وقد تطور هذا التخصص وأصبح اليوم جهازاً فنياً في أغلب دول العالم في الكثير من التخصصات العلمية وغيرها لعلمهم وخبرتهم فالشاهد هو الخبير العليم المتمرس في تخصص معين بحيث يكون له من الخبرة والفهم والدراسة الكاملة، وقد ترجم القرآن هذا الواقع في عددٍ من الآيات والنصوص نذكر بعض منها بالآتي:

- قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قَالَ هِيَ رَأَوْنَتِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾، (يوسف: 26).
- ومعروف كيف قدم تقريره كخبير في مثل هذه الحادثة بقدر القميص من قبل أو من دبر، وفي آية أخرى قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيرًا﴾، (الأحزاب: 45)
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيرًا﴾، (الفتح: 8). وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾، (البروج: 3).

الفصل الثامن عشر

فقه الرق والعبيد

مدخل:

لقد جاء ذكر مواد قانونية لتنظيم الرق والعبودية في شريعة حمورابي (1930 ق.م)، ثم جاء في توراة العبرانيين نصوص تشريعية لتنظيم الرق والعبيد - ثم نصوص محددة لتنظيم العبيد في مدونة (موطأ) جوستنيان للقانون الروماني (533م). - ثم جاء ذكر الرق والعبيد بفقه المذاهب الإسلامية مثلما جاء به الأولين، وأخيراً جاء القرآن الكريم بمبادئ سامية باقية بقاء الإنسان على الأرض تدعو لتحرير العبيد ومنع الرق ونزول العبودية في الإسلام، وتجسداً قيماً نبيلة هدفها الأسمى الحرية، فلم يولد الإنسان عبداً أو رقيقاً، وإنما كانت هذه الصفة أو الحالة بفعل مكتسب من عدد من الأسباب منها حالة الإنسان المدين، وبسبب الحروب والنزاعات بين الناس، ونشأة الرق والعبودية في التاريخ القديم، وقد جاء كلام الله سبحانه في القرآن الكريم ليؤكد هذه الحالة ويحث الناس على منع الرق والعبودية في كل صورها وأشكالها، فلم يكن خطاب القرآن الكريم محصوراً ومقصوراً على النبي محمد عليه السلام كما دسته جماعة التحريف وعلى العرب والمسلمين، بل كان هذا الخطاب الناهي للعبودية في كلام الله - القرآن المبين يمتد لأكثر من ذلك بكثير ابتداءً من تاريخ حياة الإنسان على الأرض، وحتى قيام الساعة، إذ جاء بنص حاسم لا هزل فيه يفيد المنع على سبيل الحتم والإلزام ليكون بمثابة قاعدة راسخة ومختصرة قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى - ﴿فَكَ رَقَبَةً﴾، (البلد: 13) وبهذا البيان الفاصل تتجلى الحقيقة واضحة في منع الرق والعبودية منذ فجر التاريخ الإنساني، وأن كلام الله - سبحانه وتعالى - المبين قد حسم هذا الأمر بآيات بينات بفك رقاب العبودية عن الناس كل الناس، إما بإصدار قانون يمنع الرق وفك رقاب العبودية ممن يملك الأمر على سبيل الحتم والإلزام أو بالحث الدؤوب نحو تحرير الإنسان من العبودية والرق الذي اكتسبه بفعل السببية، ولا دخل له فيه، وهو ما سنحاول توضيحه من خلال العناوين التالية:

1-18 التعريف والنشأة التاريخية للرق والعبودية:

مما لا شك فيه أن جميع الناس ولدوا أحرار، على قاعدة واحدة من الخلق والتكوين ابتداءً بخلق آدم من نفس واحدة وخلق منها زوجها، ثم تتابع الخلق بخلق الناس جميعاً حسب ما جاء من كلام الله الواضح والصريح إذ لا فرق بين أبيض وأسود ولا مؤمن وكافر ولا بين رجل وامرأة، فكلهم خلقوا على قاعدة واحدة من المساواة قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾، (النساء: 1)، وَقَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكَونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾،

(الأعراف: 189). ثم أوضح قاعدة المساواة في الخلق بين الناس فقال - سبحانه وتعالى - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾، (الحجرات: 13)، فلا أنساب ولا ألقاب مقدسة في الخلق، فالكل سواسية إن أكرمكم عند الله أتقاكم.

أمّا نشأة الرق والعبودية في الحياة: فيرجع ظهور هذه الآفة لجوانب كثيرة، من خلال مسيرة حياة الإنسان ابتداءً بمراحل التطور الاجتماعي للحياة الإنسانية، بدءاً من عصور متعاقبة من الأحداث من عصور الكمال إلى عصور الانحطاط المتمثل بالعصر الحجري وعصر الرعي وعصر الزراعة، وظهور حق التملك والاستحواذ، ثم جاءت معها حاجة الناس لتبادل المنافع والسلع والخدمات تبعها ظهور مراكز جديدة بين الناس مدين/ ودائن، ثم ظهر طور آخر من أنماط الحياة تمثل بالتوسع والاستحواذ والاعتداء والإغارة ثم الاستعمار، فكان الإنسان أحد الأشياء القابل للسبي أو الأسر والاسترقاق، إضافة لكونه مدين/ معسر في محطة من محطات الزمن، ومن هنا ولدت العبودية في كل تجلياتها، فكانت نقطة سوداء في تاريخ الإنسان.

وقد جاءت النقوش والآثار البابلية والمصرية القديمة وغيرها لتعبر عن حجم هذه المأساة، بالإضافة للمدونات والنصوص المكتوبة التي نظمت هذا الحالة وشرعتها على الرغم من كونها آفة منافية لقيم المساواة بين الناس حسب ما جاء بمسلة حمورابي البابلي،⁽¹⁾ كما ظهرت بعد ذلك بقرون عديدة في مدونة (موطأ) جوستينيان في القانون الروماني⁽²⁾ وغيرها، ومن المفزع أن نجد نصوصاً من الدين - توراة العبرانيين تشرّع لهذه الآفة وتعتبرها حقيقة دينية معترف بها وتجسدها على الواقع الاجتماعي، وتلك هي الفاجعة في حق الإنسان، ليس ذلك فحسب بل إن نص التوراة سعى لتقسيم الناس منعاً للأنساب المقدسة المتصلة كذباً للرب، حتى وصل بهم القول والافتراء على الله كذباً أنهم أبناء الله.

وبالرجوع لأسفار توراة العبرانيين،⁽³⁾ سنجد فيها كثير من هذه الإدعاءات الزائفة والتقسيم الطبقي للناس، ومن هذا الإرث نقل هذا الفكر العنصوي العنصري إلى المسيحية، فقالوا عن السيد المسيح ابن الله، ثم نقلوه للهندوسية فقسموا المجتمع الهندوسي لتقسيمات طبقية حادة، ثم نقلوا هذا الفكر الخبيث وألصقوه بفقهاء المذاهب الإسلامي فقسموا المسلمين لعنصوية مذهبية شرعوا فيها نسباً مقدساً لبعض المسلمين وكما يعرف بالبطنيين من العترة المقدسة، وليس ذلك فحسب بل صوروا الرسول محمد عليه السلام وهو يقوم بسبي النساء والذرياري واتخاذهم أماء وجواري وعبيداً في عداد الغزوات التي نسبوها للنبي كذباً وفي أكثر من كتاب، قد ذكرنا سابقاً بالتفصيل وهي كتاب سيرة النبي لابن هشام وكتاب البخاري ومسلم والترمذي والكافي وغيرها، وتقولوا على النبي عليه الصلاة والسلام بشرعة الرق والعبودية، ثم ابتدعوا نسب أهل البيت وأطلقوا علي منتسبيه لقب (السيد) وقرروا له النسب الديني المقدس، فله

(1). راجع شريعة حمورابي - ترجمة محمود الأمين - دار الوراق - لندن - الطبعة 2007م.

(2). راجع مدونة جوستينيان في الفقه الروماني - ترجمة: عبدالعزيز فهمي 1946م - القاهرة الطبعة الأولى 2005م.

(3). راجع العهد القديم - التوراة - سفر الخروج وسفر العدد وسفر التثنية وسفر اللاويين .

صفوة المال من الفئ والأفانل والخمس؁ وجعلوا هذا النسب الأعلى مكانة في المجتمع؁ مقررين بقاء العبودية بنصوص من أحاديث العنعة والقلقلة في كلا المذهبين الشيوعي / السني؁ وما زال هذا التقسيم قائماً حتى يومنا هذا للأسف.

وقد كان كل هذا من تشريع اليهود؁ وهو أحد أهم الأصول الرئيسة حول مشروعية الرق والعبودية من الناحية الدينية؁ وبعدها دس في فكر المذاهب الإسلامية؁ ليكون ذلك أحد أهم الأسباب في ظهور الحاكمة السياسية الدينية في المجتمع العربي والإسلامي ومنه ظهرت الطبقة الاجتماعية؁ وعند مطالعتك لأسفار توراة العبرانيين وكتب الهندوس؁ وكتب الفقه الإسلامي تتكشف الحقيقة أن اليهود مروا من هنا فكانت تلك بصماتهم في تأصيل وشرعة الرق والعبودية في فكر الأديان القديمة؁ فلما جاء القرآن الكريم فضحهم في أكثر من آية أدعوا فيه النسب الديني المقدس وكذا في ادعائهم الكاذب أنهم شعب الله المختار؁ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾؁ (المائدة: 18)؁ ونص آخر يفضح اليهود والنصارى في ادعائهم الكاذب لأحد أنبيائهم بالنسب لله سبحانه قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِنُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾؁ (التوبة: 30).

18-2 موقف القرآن الكريم من الرق والعبودية:

لقد جاءت نصوص القرآن الكريم لمنع العبودية والرق التي اصطنعها الإنسان بعدد من العوامل والأفعال والأحداث كما أسلفنا؁ فكانت الآيات من القرآن الكريم تمنع الرق وتدعو لتحرير العبيد؁ وتخطب الناس على قاعدة واحدة من المساواة؁ كما أن هناك إشارة واضحة لمشروع القانون بتبني قوانين لمنع وتجريم العبودية والرق حسب ما جاء في الآية سالف الذكر؁ ثم جاء بآيات أخرى من القرآن الحكيم؁ نذكر بعضاً منها في الآتي:

1- نص قرآني واضح يأمر بمنع الرق والعبودية؁ دون قيد أو شرط ودون اعتبار للمعتقد الديني أو الجنس أو القومية حسب ما جاء في سورة البلد وبكلمات قوية ومختصرة قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ؁ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ؁ فَكَّ رَقَبَةٍ﴾؁ (البلد: 11؁ 12؁ 13)؁ وهذا الآية باعتقادي كان الأولى أن يكتب بماء الذهب في ميثاق حقوق الإنسان والقوانين المتعلقة بالحقوق المدنية في مختلف دول العالم؁ والمنظمات الوطنية والدولية المهتمة بحقوق الإنسان ونبذ التمييز العنصري لما يدل على معاني سامية في المنع الفوري للرق والعبودية.

2- آية خاصة في تحرير الرقبة المؤمنة؁ العبيد من خلال تنفيذ أحكام القتل الخطأ دون اعتبار لجنس وقومية الرقبة (الإنسان)؁ حسب ما جاء في نصوص الذكر الحكيم قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ

مُؤْمِنَةً وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فِدْيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ...﴿﴾،
(النساء: 92).

3- وآية أخرى عن كفارة الإيمان بتحرير رقبة دون اعتبار لمعتقد وجنس وقومية الرقبة وللتأكيد خلق تشريع قانوني ينص على تحرير العبيد: قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿لَا يُوَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُوَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ...﴿﴾، (المائدة: 89).

4- وفي نص آخر عن كفارة حكم الظهار بتحرير رقبته دون اعتبار لمعتقد وجنس وقومية الرقبة، وتأكيداً آخر: في قوله جَلَّ عُلَاهُ: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ...﴾، (المجادلة: 3).

وأخيراً فإن الإسلام يمنع الرق والعبودية، بل ويؤكد على ذلك بدلالات واضحة، حسب ما سلف بيانه من آيات القرآن الكريم، كما يؤكد على أن كل ميثاق أو قانون أو تشريع صاغه الإنسان في أي نظام سياسي أو اجتماعي في أي مكان على الأرض يدعو لتحرير العبيد والرق، فهو من قيم الإسلام ويقف إلى جانبه مؤيداً ومناصرّاً لتحرير الإنسان في كل مراحل التاريخ الإنساني وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

3-18 موقف المذاهب الفقهية من الرق والعبودية:

لا تختلف نظرة مذاهب الفقه الإسلامي للعبيد والرق عن نظرة العقائد القديمة الأخرى، فقد دست جماعة التحريف في الفقه والحديث الإسلامي ما جاء عن العبيد والرق من تورا العبرانيين ومدونة القانون الروماني، فجعلوا العبيد جزءاً من المتاع يباع ويشترى ويورث وتنتهك حرمة وكرامته، وليس له حقوق من جميع النواحي وقد سبق الإشارة إليه، ولمزيد من الفائدة أَدْعُو القارئ إلى مطالعة عناوين هذا الموضوع في كتاب الكافي، وكتاب صحيح البخاري كنماذج لفكر المذاهب في الجزء الأول من هذا المؤلف خشية التكرار والإطالة.

1-3-18 موقف الفكر الديني اليهودي من الرق والعبودية:

ظهر تجسيد العبودية في التوراة بشكل واضح وصارخ، فلا تنفك تقرأ سِفْراً أو بعضاً من أسفار التوراة إلا وتجد عبارة تشير إلى العبودية والعبيد، فالعبودية سمة متجذرة في الفكر العبري وجزء أساسي من المجتمع اليهودي، من خلال تكريسهم لهذه الصفة وشعورهم بالعبودية وهم بأرض مصر على الرغم من بقائهم لقرون فيها، إلا أنهم لم يندمجوا في المجتمع المصري للعصبية الدينية وعصبية العرق حسب ما جاء في تورا العبرانيين، فما كان من فرعون ألا أن عبدهم حسب وصف القرآن: قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ الشعراء (22). ومن بعض نصوص تورا العبرانيين نفتيس لكم بعضاً يسيراً من تلك النصوص التي تتحدث عن العبودية وتجعلها من أصول الدين، حسب ما ورد، من كلمات وألفاظ تغني عن التعليق حسب الآتي:

- (ولكن إن قال العبد: أحب سيدي وامراتي وأولادي، لا أخرج حراً، 6 يقدمه سيده إلى الله، ويقربه إلى الباب أو إلى القائمة، ويثقب سيده أذنه بالمتقب، فيخدمه إلى الأبد 7) سفر الخروج
- ("32" إن نطح الثور عبداً أو أمة، يعطي سيده ثلاثين شاقلاً فضة، والثور يجرم) سفر الخروج
- (39) وإذا افتقر أخوك عندك وبيع لك، فلا تستعبده استعباد عبد 40 كأجير، كنزير يكون عندك. إلى سنة اليوبيل يخدم عندك) سفر اللاويين.
- (وأذكر أنك كنت عبداً في أرض مصر، ففداك الرب إلهك، لذلك أنا أوصيك بهذا الأمر اليوم. 16 ولكن إذا قال لك: لا أخرج من عندك لأنه قد أحبك وبيتك، إذ كان له خير عندك، 17 فخذ المخرز واجعله في أذنه، وفي الباب، فيكون لك عبداً مؤبداً وهكذا تفعل لأمتك أيضاً 18). سفر التثنية.
- ("11" فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك) سفر التثنية
- ("15" عبداً أبق إليك من مولاة لا تسلمه إلى مولاة) سفر التثنية
- ("22" وأذكر أنك كنت عبداً في أرض مصر. لذلك أنا أوصيك أن تعمل هذا الأمر) سفر التثنية

18-3-2 ما ورد في الفكر الإنساني حول العبيد والرق.

1- شريعة حمورابي (1793 - 1750 ق.م):

أوردت شرائع بابل (قانون أرنامو - لبت عشار - أشنون - شريعة حمورابي) تنظيماً خاصاً بشؤون العبيد ومن شريعة حمورابي ننسخ خمس مواد قانونية في القسم الثاني عشر من المسلة القانونية، نذكر منها مادتين، في الآتي:

- المادة (278): إذا اشترى سيد رقيقاً أو أمة وأصابه مرض قبل إتمام شهره فعليه أن يعيده إلى بائعه، وعلى أن يسترجع الفضة التي وزنها.
- المادة (282): إذا رقيق قال لسيده أنت لست سيدي واثبت أنه رقيق فعلى سيده أن يقص أذنه.

2- من القانون الروماني - مدونة (موطأ) جوستينيان:

ومن مدونة الملك الإمبراطور فلافيوس جوستينيان ليظهر تنظيم شؤون العبيد ضمن مواد قانونية كثيرة وكما هو مدون في الكتب الأربعة والمحلقين، بالإضافة إلى القانون القديم لمدينتي أثينا وروما وما تضمنته شريعة الألواح الاثني عشر، وغيرها فجعلت من العبيد والرقيق في تلك العصور جزءاً من المتاع يباع ويشترى، بل كان الشخص المدين الحر يحول إلى عبد بدينه، بل وقد يقتله في بعض الأحيان، ومع تطور الحياة السياسية في العصر الروماني وانتقال النظام السياسي من طور الملكية الإقطاعية إلى النظام الديمقراطي ثم العصر الجمهوري برز

تغير ملموس على حياة الرق والعبودية، فتطورت التشريعات القانونية التي حفظت الحقوق، وحل مبدأ التعويض محل التنفيذ على شخص وجسم المدين، إلا أن الرق والعبودية ظلت السمة البارزة في المجتمع اليوناني، وكذلك في مجتمع روما وحواضرها، فالعبد كَسْبُهُ لسيده، وقد يشترك أكثر من شخص في ملكية العبد الواحد، والعبيد يدخلون ضمن حصر التركة، فيتم تقاسم العبيد بين الورثة، وهكذا.

الفصل التاسع عشر

فقه اليتامى (التعريف والمشروعية)

1-19 اليتيم التعريف والمشروعية:

اليتيم هو إنسان عمره ما دون سن الرشد فقد أبويه لأي سبب من الأسباب، ويحتاج للرعاية، وقد يكتسب اليتيم هذه الحالة بسبب الكوارث الطبيعية أو بسبب الحروب، فيصبح بين ليلة وضحاها مشرداً في الشوارع فاقداً لوالديه، أو هو الذي لا يعرف له أبوين (اللقيط) وقد ذكره القرآن الكريم في عدد من المواضع، ومنها على سبيل المثال ما ورد في الإجابة على السؤال بنص القرآن قَالَ جَلَّ فِي غَلَاةٍ: ﴿...وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَتْكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، (البقرة: 220)، ومدلول الآية وفيه من الأبعاد الإنسانية بديعة في حق اليتيم وكما ورد بلفظ (إصلاح لهم خير) و(إخوانكم) وغيرها من الآيات، ومن الحقوق والآداب التي أشارت إليها بعض آيات القرآن الكريم بحق اليتامى والتي تعتبر بمثابة قواعد أساسية لسن تشريعات منظمة لحقوقهم، أما الشخص الذي، فقد أحد أبويه سواء كان "أماً" أو "أباً" فلا يعتبر يتيماً على الأرجح، ونوضح ذلك بالتالي:

- المحافظة على مال اليتيم وإعطائه أمواله إذا بلغ أشده ويقصد القدرة على إدارة ماله بنفسه: قَالَ جَلَّ فِي غَلَاةٍ: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾، (النساء: 2)، وآية أخرى قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، (الأنعام: 152). ونجد في القرآن العظيم آية أخرى بنفس السياق قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى - ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾، (الإسراء: 34).
- اختبار اليتيم لرد ماله إليه إذا بلغ عمراً مُعَيَّناً من سن الرشد وهو بلوغ اليتيم سن النكاح وسن الرشد معاً: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَابْتَئُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾، (النساء: 6).
- ذكر لهم حقوق من تركه المتوفي من ذوي القرابة من عمود النسب إذا كانوا معوزين: قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ النساء (8).
- عاقبة أكل أموال اليتامى: قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾، (النساء: 10).

• التوصية بالإحسان إليهم: قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا فَخُورًا﴾، (النساء: 36).

• التوصية بالخير لليتيم إلى جانب عدد من ذوي الحاجات: قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾، (البقرة: 83).

• الحث على إنفاق المال على عدد من ذوي الحاجات ومنهم اليتيم: قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾، (البقرة: 177)، وفي آية في نفس السياق بتخصيص النفقة من الأقارب لليتيم: قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾، (البقرة: 215).

• وإبراز حصتهم من غنائم الحروب للضرر الواقع عليهم ويقدم اليتامى الذين فقدوا والديهم بسبب الحرب: قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ أَمْنُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ أَجْمَعِينَ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، (الأنفال: 41).

• تخصيص حصتهم من الفية عند الانتهاء من الحرب من بين عدد من ذوي الحاجات ومنهم اليتيم: قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، (الحشر: 7).

• الحث على ديمومة إكرام اليتيم من أجل غرس المحبة في المجتمع: قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ﴾، (الفجر: 17).

• عدم قهر اليتيم بإهدار حقوقه: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾، (الضحى: 9).

• لفظ الإشارة للتأكيد على حقوق اليتيم والاهتمام به في المجتمع: قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ الْمَاعُونَ﴾ (2).

• المحافظة على مال اليتيم والتعدد في النكاح وتشجيع المحصنات من النساء على نكاح اليتيم بقصد دمجهن في المجتمع: قَالَ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا

الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا (2) وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكَحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْلَى ثَلَاثٍ وَرُبَاعٍ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا (النساء: 3).

وهكذا بين الحق - سبحانه وتعالى - حال ووصف اليتيم مؤللاً بما له من اهتمام ورعاية خاصة ومع كون الآيات القرآنية واضحة، ويوضح بعضها بعضاً، خاصة أنني لا أميل إلى اجتزاء نصوص القرآن أو تفسيره أو تأويله، لأن القرآن أنزل على قاعدة ربانية واحدة من التيسير في قراءته وفهمه بالعقل فهل من مذكر، أي يعقل القرآن بعقله وقلبه، كما أن الاجتزاء والتفسير والتأويل يخرج الآية عن معناه ويغير القصد، وهو توظيف سيء، درج فقهاء المذاهب إلى تفسير وتأويل القرآن بهذا الكم من كتب الفقه، فحرفوا وبدلوا وغيروا، في مواضيع عدة، ومنها تعدد النكاح مستشهدين بهذا الآية الذي حصر التعدد في الزواج عن اليتيم بغرض إدماجه في المجتمع، والقرآن الكريم في الآيات سالفة الذكر، تتحدث بوضوح عن مجمل الإرشادات التي تحت على إعطاء اليتيم أمواله، ويشدد على عدم أكل أموال اليتامي وعدم الاعتداء على حقوقهم، ثم يبين في الآية الأخيرة مسالة تعدد النكاح بهم بالقول وإن خفتم أن لا تقسطوا أي تعدلوا في اليتامي فانكحوا، فالفاء سببية لفعل النكاح المتعدد من أجل العدل، ورعاية اليتيم سواء كان ذكراً أو أنثى ومراعاة لمصلحة اليتيم بدرجة رئيسة وحاجتهم للرعاية وإدارة أموالهم حسب الآية التي تليها بإتيان اليتيم أمواله إذا بلغ النكاح، وكان راشداً فادفعوا إليهم أموالهم، ولا مانع من أن تأكلوا بالمعروف من أموالهم إن كنتم فقراء وإن كنتم أغنياء فلتتعفوا عن مال اليتيم بعدم الأخذ منه، ومن الأهمية التركيز على الانتهاء من حالة اليتيم، وذلك من خلال مضمون الآيات التي تذكر مراحل العمر المناسب لليتيم، فإذا بلغ اليتيم الحلم أوبلغ الرشد أو بلغ النكاح ففي هذا العمر ينتهي حال اليتيم ويصبح اليتيم فرداً في المجتمع قادر على القيام في كل التصرفات وهو الرأي الراجح لدي، ومن الملاحظ أن الله - سبحانه وتعالى - ذكر لفظ التعدد بالقول "مثنى" "ثلاث" "رباع" مع القدرة على العدل، فإن خفتم عدم العدل فيكتفى بواحدة فقط لكي لا تعولوا لا تنقلوا كواهلكم بالإنفاق وكثرة العول من الأولاد، ويفهم هذا المعنى بالقراءة المجملة للآيات القرآنية الواضحة من الآية رقم (1) إلى الآية رقم (6) من سورة النساء، ومن تلكم الآيات نستخلص الآتي:

- خطاب التعدد في النكاح موجهاً لليتامي والفئات المحددة بعنوان سابق عن النكاح حصراً وقصراً ولا يمتد لغيره من الناس.
- خطاب التعدد حدد للأشخاص الغير متزوجين.
- من أهم شروط النكاح تحقيق العدل وعدم العول.
- تنتهي حالة اليتيم إذا بلغ اليتيم سن الرشد أو القدرة على إدارة ماله أو يبلغ سن النكاح.

يلاحظ أن تعدد النكاح ورد في الآية صراحة ومرغب فيه، وكما ورد بالآية "مثنى" "ثلاث" "رباع" ولا يدخل الرجل المتزوج المرتبط بميثاق زواج في دائرة هذا الخطاب مطلقاً لكونه أصلاً أصبح متزوجاً، وإنما الآية تخاطب من لم يكن مرتبطاً بميثاق زواج بامرأة

أخرى، فهو المعني بتعدد النكاح، أما الرجل المرتبط بميثاق زواج من امرأة فلا يجوز له النكاح المتعدد من اليتامى ولا من الغير، وليس هو المعني في الآيات، ونكاحه بأخرى يعد تعدياً على حدود الميثاق الغليظ المرتبط مع زوجته، ثم إن الآيات تتحدث كما أسلفنا عن حال اليتيم بكفالاته، والنكاح منه وإدارة ماله ورعايته، وهو أمر واضح وجلي لا يشوبه اللغظ.

ومن هنا فالتعدد محصور ومباح لغير المتزوجين، ولا يمتد لغيرهم من الرجال والنساء المرتبطين بميثاق وعصمة الزوجية، وعلى الناس صياغة تشريعات في قانون الأسرة تنظم هذا النوع من النكاح على نحو يتوافق مع الآية، من أجل المحافظة على اليتامى والحفاظ على أموالهم وتنظيم شؤونهم في المجتمع مع مراعاة تحقيق العدل كضرورة حتمية وملحة في هذا الموضوع.

2-19 العدل في يتامى النساء:

يبين الله - سبحانه وتعالى - مما سبق إن إمكانية العدل بين النساء يفوق استطاعة الرجل في حالة النكاح المتعدد، حسب اللفظ الوارد، ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء، واللفظ يشير للجمع لأكثر من اثنتين من يتامى النساء، والنفي بعدم الاستطاعة لفظ أطلق على العموم قصد به، الحقوق المعنوية من الحب والمودة والحنان والعطف والرحمة وهي الأكثر أهمية، وهو ما يهم المرأة بدرجة رئيسة على غير الحقوق المادية التي من الممكن لذي المال أن يعدل فيها، لذلك حذر الله - سبحانه وتعالى - من أن يهدر حق المرأة في ممارسة حقوقها الطبيعية، كأن يميل كل الميل لزوجة دون أخرى أو تذرهما كالمعلقة، وهنا أدخل حرف (ك) للتشبيه بأن لا تسول لك نفسك بمالك أن تفكر مجرد التفكير أن تجعل من المرأة كالمعلقة، فإن الفراق بمنعى الطلاق هو الخير لكليهما لما فيه من سعة، ورحمة، وحكمة الله جلا وعلا، حسب ما جاء به وأكد عليه القرآن الكريم في هذا الشأن قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوُلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا، وَإِنَّ امْرَأَةً خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا، وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾، (النساء: 127، 128، 129).

ومن هنا فالنشوز يكون من الرجل (البعل)، كما يكون من المرأة على حد سواء، ذلك أن وصف وحال النشوز يطلق على أحد الزوجين الغير قادر على الوفاء بحدود الله في خلق علاقة زوجية قائمة على السكينة، والمودة والرحمة، ولذلك وجب على الإنسان في كل زمان ومكان سن تشريع (قانون) ينظم مضمون هذه الآيات على قواعد التوجيه، والإرشاد والألزام الوارد في القرآن الكريم بحسب حدودها الدنيا، على أن يراعى النقاط المستنبطة من مدلول الآيات أعلاه، حسب ما سيأتي طرحه على سبيل المثال بالآتي:

- 1- الصلح خير، منعاً وإنهاءً لحالة النشوز، سواء كان هذا النشوز من الزوج أو من الزوجة.
- 2- العدل هو المقياس الأساسي في العلاقات القائمة بين الرجل ونسائه في النكاح المتعدد من اليتامى.
- 3- لن يستطيع الرجل تحقيق ذلك العدل ما يدل على التحري في هذا النكاح.
- 4- يمنع التعسف في استخدام حق الطلاق، فلا يذرها كالمعلقة.
- 5- الطلاق، وهو الخيار الأخير (وأن يتفرقا) خير لهما لما فيه من سعة وحكمة الله - سبحانه وتعالى.

والخلاصة: فإنه ينبغي علينا الوقوف عن كل هذه الآيات واعتبارها حزمة واحدة تقوم على تأسيس قواعد تشريعية ملهمة للمشرعين من أجل سن قوانين منظمة في حقوق والتزامات اليتامى وإنشاء مؤسسات الرعاية لشؤونهم ورعاية مصالحهم والعمل على دمجهم في المجتمع بصورة مثلى.

الفصل العشرون

فقه الأسرة والمجتمع

الاسرة اصغر وحدة في تكوين المجتمع الإنساني وقوام الأسرة هما الوالدين (الأنثى – الذكر) والأبناء (أناث – ذكور)، وقد اهتم القرآن الكريم بالأسرة وأولها اهتمام كبير واطلق عليها عدد من الصفات، فقد بدء بذكر الوالدين ثم ذكر الابوين، ثم ذكر الأم منفرد وذكر الاب وذكر الأخوة ثم ذكر من القربات على سبيل المثال العم والعمت، والخال والخالات، ثم ذكر الصديق والصديقة، ثم ذكر الصهير والنسب، وأطلق عليهم القربات والارحام، ثم ذكر التبني ثم ذكر الجار وهكذا، وهو بذلك يريد أن يخلق ترابط مجتمعي قوي ابتداء من الأسرة من هذه المسميات التي تعبر عن اشخاص هم اعضاء الأسرة كونها اللبنة الأولى في بناء المجتمع، ثم العشيرة والقبيلة والشعب والأمة، ومن خلال آيات القرآن الكريم سوف نحاول ذكر الآيات التي نعتبرها قواعد ملهمة في تحديد ضوابط علاقات الأفراد بعضهم ببعض في الزمان والمكان وكذلك قواعد ملهمة للمشرعين في مجال القانون لسن القوانين الملزمة في تنفيذ وتطبيق حقوق الأبناء على آبائهم وكذلك حقوق الآباء على ابنائهم وحقوق اعضاء افراد الاسرة تجاه بعضهم البعض والعمل على ارسى قواعد الاحترام المتبادل بينهم مع اعطاء كل مجتمع خصوصيته في متغيرات الحياة في الزمان والمكان ولكل المجتمعات البشرية على الأرض، وكما أن هذا الموضوع يحتاج لبحث طويل غير انني اوجزه هنا بذكر الآيات التي نتحدث بإيجاز عنه خشية الإطالة وعلى سبيل المثال وعلى النحو التالي:

20-1 ذكر الوالدين - الأبوين (الأم – الاب):

يطلق لفظ الوالدين على العموم للأنثى والذكر وعلى الخصوص يطلق على الأم دون الذكر كونها هي المسؤولة عن الحمل وولادة النفس البشري والرضاعة والأمومة، وقد جاءت آيات كثيرة من القرآن العظيم تذكر هذا اللفظ والحدث المتصل بالولادة، كما جاءت آيات أخرى تتحدث عن الوالدين والأبوين بحسب موقع كل آية على حدة، نذكر بعض منها على سبيل المثال لا الحصر بالآتي:

- ذكر الوالدين الأنثى والذكر بقصد الإحسان إليهما، والإحسان اعلى مراتب العطاء المادي والمعنوي في التعاملات القائمة بين الناس في الحياة الدنيا فكان الإحسان حق من حقوق الوالدين على الابناء شدد الحق سبحانه وتعالى في كثير من آيات القرآن العظيم لأهمية العلاقة بين الأصل وفروعه من الأبناء حتى ولو كان على دين آخر كما ورد بقصة خليل الله إبراهيم، باستثناء محدد سيااتي ذكر لاحقاً، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ الإسراء (23)، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ

وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ ﴿البقرة (83)، وآية أخرى قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...﴾ النساء (36)، وآية أخرى لتأكيد حقوق الوالدين على الأبناء قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿فَلْتَعَالُوا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...﴾ الأنعام (151).

• ذكر الوالدين ومقاربة العبادة لله سبحانه بالإحسان إليهما وهذه الآية وما تحمل من دلالة عظيمة لحقوق الوالدين على الأبناء، ولنتمعن باللفظ (اف) إذ تنطق به الشفتان دون ان يلتقيان كدلالة على تصغير اللفظ المنهي توجيهه للوالدين من قبل الأبناء، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ الإسراء (23).

• ذكر الوالدات (الأنثى) على سبيل القيام بالحمل والولادة والإرضاع كوظيفة خاصة ومتصلة بالأم الأنثى دون الوالد الذكر، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ...﴾ البقرة (233).

• ذكر الوالدين الأنثى والذكر بقصد استحقاق المواريث قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ النساء (7)، وآية أخرى، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ...﴾ النساء (33).

• ذكر الوالدين لتأكيد الأنفاق عليهم بالخير دون من، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ البقرة (215).

• ذكر الوالدين في محض احقيتهم بالدعاء لهم من الأبناء سواء كانوا أحياء أو أموات، قَالَ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ إبراهيم (41)، وآية أخرى تأتي بمثال عن الدعاء للوالدين قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ...﴾ نوح (28)، وهناك آيات أخرى كثيرة.

• ذكر القرآن الوالدين فكان آدم الأنثى وادم الذكر أول نموذج من البشر ذكر بصفة الأبوين في آية من القرآن العظيم قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ...﴾ الأعراف (27).

• ذكر الوالدين بالإحسان مع عدم طاعتها في الكفر بالله سبحانه ومع ذلك يبقى التعامل معهما بالإحسان لعظمة رابطة القرابة بين الوالدين كأصل والابناء حتى وهم كافرين، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ لقمان (15)، وآية أخرى قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ العنكبوت (8)، وآية أخرى على نفس السياق: قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالَّذِي قَالَ

لِوَالِدَيْهِ أَفٍّ لَكُمْمَا اتَّعَدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَنْعِثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ
آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (الأحقاف (17).

20-2 الأم – آدم الأثني:

جاء القرآن الكريم بذكر الأم في مواضع كثيرة من الآيات لأهميتها في استمرار الحياة ومن كونها الأصل في خلق النفس وتناسلها وقد سبق التطرق لهذا الموضوع بعناوين سابقة، ونحن هنا نأتي على ذكر الأم بعدد من آيات القرآن على سبيل المثال بالآتي:

- ذكرت الأم في استحقاق أنصبة وفروض المواريث: قَالَ تَعَالَى: ﴿... فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ.....﴾ النساء (11).
- ذكرت الأم كمثال للسيدة مريم عليه الصلاة والسلام، قَالَ جَلَّ فِي عِلَالِهِ: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤفَكُونَ﴾ المائدة (75).
- ذكر الأم وذكر معها كيفية الولادة المعبر عنها بلفظ الإخراج قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ النحل (78).
- ذكرت الأم بمحض التحدث عن الامومة والحنان بقصة أم موسى عليها السلام: قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ القصص (13).
- ذكر الأم وذكر معها مراحل الحمل والارضاع وانفصاله عن الارضاع وقرن الشكر لله سبحانه بالشكر للوالدين والشكر للأم خاصة، قَالَ جَلَّ فِي عِلَالِهِ: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ لقمان (14).
- ذكرت الأم كناية عن التأدب مع وظيفة النبي المختصة لنفر من الناس اختارهم الله سبحانه للقيام بأعباء الدعوى لهداية الناس، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عِلَالِهِ: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ...﴾ الأحزاب (6).
- ذكرت الأمهات لبيان كيفية الخلق وتفرد الأنثى آدم بخلق الذكر ومثيلاتها في مراحل متعددة وموضع واحد، قَالَ تَعَالَى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذِكْرُكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَىٰ نُصْرَفُونَ﴾ الزمر (6).
- ذكرت الأم وتفرداها بالحمل رغم ثقل الحمل عليها فعبر القرآن عنه بلفظ الكره له: قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ

أَشْكُرْ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿الاحقاف (15)﴾.

- ذكرت الأم وذكر معها تكوين خلق النفس كأجنة في بطن الأم قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿... وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ النجم (32).
- ذكرت الأم في صدر الآية ويفهم منها الترتيب في الذكر والأهمية قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَمَّهُ وَأَبِيهِ﴾ عبس (35).

20-3 الاب – آدم الذكر:

ذكر الاب في بضع آيات وبحسب موضع الآية نجد القرآن يحدثنا عن شيء يخص الاب من زاوية معينة في الحياة، ويقصد بالأب هنا الاب المربي سواء كان الجد (أب الاب)، وليس بالضرورة أن يكون الوالد، ونذكر بعض من الآيات منها على سبيل المثال:

- قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ يوسف (6).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ يوسف (99).

- ذكر الابوين في توزيع انصبه وفرائض الموارث، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿...وَلَأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ.... فَرِيشَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ النساء (11).

- ذكر الاباء في مخاطبة الابناء في الدعوى للحق كما في قصة سيدنا نوح عليه السلام مع ابنه قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ هود (42).

- ذكر الابناء في مناصحة الاباء والدعوى بالحسنى إلى الحق كقصة خليل الله إبراهيم عليه السلام مع أبيه قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزرَ اتَّخِذْ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ الأنعام (74)، وفي آيات أخرى: قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَنْ لَمْ تَنْتَهُ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ مريم (41، 42، 43، 44، 45، 46، 47).

- وذكر قصة مواعدة خليل الله إبراهيم عليه السلام لأبيه بالاستغفار وهو يعلم أنه مشرك فلما صار عدو لله مجاهراً بالعدا فوق شركه تبرأ منه أي من عمله المشرك مع بقى الإحسان إليه، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ التوبة (114).

20-4 ذكر الاولاد والأخوة الأصدقاء وغيرهم:

ذكر القرآن الكريم القرابات والأرحام في الكثير من الآيات قصد من ذلك حث الناس على الترابط واللحمة في العلاقات الأسرية في المجتمع، وقد ذكر الاولاد، وذكر الأخوة والأخوات والعمات والعم والخالات والخال، والصديق والجار واصحاب الاحتياجات الخاصة وغيرهم، وفق ما جاء بآيات الذكر الحكيم، نذكر بعض منها على سبيل المثال بالآتي:

- ذكر الاولاد في محض التكاثر والتفاخر والتحسين من العذاب قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ سبأ (35).

- ذكر الاولاد مع الاموال بقصد التنبيه عن الاعراض عن العمل الصالح الذي هو مقياس قبول الطاعة عند الله سبحانه في الآخر، وليس بكثرة الاولاد واكتناز الاموال، وهناك آيات كثيرة في هذا الموضوع نذكر بعض منها على سبيل المثال، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ آل عمران (10)، وآية أخرى: قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِآتِي تَقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ﴾ سبأ (37). وآية أخرى، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ المجادلة (17). وآية أخرى، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ الممتحنة (3). وآية أخرى، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ آل عمران (116). وآية أخرى، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ الأنفال (28)، وآية أخرى، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ التوبة (55) وآية أخرى، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ التوبة (85).

- ذكر الاولاد في محض التحدث عن تقسيم انصبه وفروض المواريث قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ..... فَرِيشَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ النساء (11).

• ذكر الاولاد بقصد الاهتمام برعايتهم وعدم التعدي عليهم قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ الأنعام (140).

• ذكر الاولاد وعدم قتلهم خشية الفقر فكان الالتزام بالنهي هنا من الصراط المستقيم، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ...﴾ الأنعام (151)، وآية أخرى، قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ الإسراء (31).

• ذكر الاولاد في هذه الآية كعلامة ومثال على التكاثر والتفاخر والزينة في الحياة الدنيا، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ الحديد (20).

• ذكر الاولاد للتأكيد على عدم قتلهم عند ابرام المعاهدات والاتفاقات، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ...﴾ الممتحنة (12).

• ذكر الاولاد بقصد حسن تربيتهم حتى لا يتحولوا إلى خصوم واعداء داخل البيت الواحد، وكذلك الحال بالنسبة للأزواج، والشاهد من هذا النص التحذير من خطورة العلاقات الأسرية واهمية تهذيبها وضبطها عبر سن قوانين تحدد الحقوق وعدم التعدي عليها من قبل الأقارب، بالإضافة لوضع حزمة من التعليمات والضوابط في علاقات الاولاد مع اقربائهم والعكس، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ التغابن (14)، وآية أخرى، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ التغابن (15).

• ذكر الاخوة في تحمل اعباء الرسالة كما في قصة موسى وهارون عليهما السلام قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري﴾ طه (42)، وآية أخرى، قَالَ تَعَالَى: ﴿اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري﴾ طه (42).

• ذكر الأخ في مرتبة التفضيل كما في قصة يوسف ضمن تكوين الأسرة الواحدة قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ يوسف (8).

• ذكر الأخ تأكيد على رابطة الانتساب للأسرة الواحدة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يوسف (69).

• ذكر الأخوة والأخوات عند الحديث عن الآداب في إطار الأسرة والمجتمع، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ...﴾ النور (31).

• ذكر الأخوة عند الحديث عن المنافع والاكل المباح بدون تكلف عند عدد من القرابات إلى جانب الأخوة، فذكر اصحاب الاحتياجات الخاصة كالأعمى والاعرج والمريض بقصد التخفيف عليهم ورفع مضنة الحرج والعمل على استيعابهم في البيوت ثم في الأسرة، وذكر معهم بنفس الآية بيوتكم وبيوت الامهات وبيوت الاخوان والاعمام والعمات، والاخوال والخالات، أو ما ملكتم مفاتحه أو الاصدقاء، ثم تحدث عن الاكل بطريقة التجمع أو اشتاتا أي فرادا، ثم ختم الآية بآداب السلام، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ النور (61).

• ذكرت الأخوة في تماثل الاقوام في عقيدة الإيمان في آيات متعددة: قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ الشعراء (106)، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ الشعراء (124)، وآية أخرى، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ الشعراء (142)، وآية أخرى قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ الشعراء (161).

• ذكرت الأخوة الإنسانية متجاوزاً لحدود الأخوة بالنسب بمعرض التحدث عن الإيمان: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ الحجرات (10).

20-5 ذكر القرابات والارحام وذكر الجار وغيره:

ذكر القرآن العظيم القرابات والارحام في إطار العلاقات الاسرية سواء كانوا من جهة الأم أو من جهة الاب بعضهم ببعض من الرجال والنساء، الأقرب والأقرب حفاظاً على تماسك الاسرة وتعاقد المجتمع، وأوجب أن يكون بينهم المودة والالفة والرحمة والاحسان إليهم ورغب بالأنفاق عليهم سواء كان المحسن أو المنفق امرأة أو رجل من دون تمييز بينهما في الجنس أو الدين، حسب الآيات المشتملة على ذلك والتي تعتبر بمثابة قواعد عامة في العلاقات الاجتماعية الإنسانية، وغيرهما وهو ما نحاول تسليط الضوء عليه من خلال الآيات بالآتي:

- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ...﴾ البقرة (83).
- قَالَ تَعَالَى: ﴿...وَأَتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ...﴾ البقرة (177).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿... خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ...﴾ البقرة (180).
- قَالَ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ...﴾ البقرة (215).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ النساء (7).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ...﴾ النساء (8).
- قَالَ جَلَّ فِي غَلَاه: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ...﴾ النساء (33).
- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ...﴾ النساء (36).
- قَالَ جَلَّ فِي غَلَاه: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ...﴾ الأنفال (41).
- قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ...﴾ التوبة (113).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ...﴾ النحل (90).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا﴾ الإسراء (26).
- قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاءً وَأَقْرَبَ رَحْمًا﴾ الكهف (81).
- قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ...﴾ النور (22).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ الشعراء (214).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ...﴾ الروم (38).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿...قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ...﴾ الشورى (23).
- قَالَ جَلَّ فِي غَلَاه: ﴿مَا أَقَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ...﴾ الحشر (7).
- قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ محمد (22).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاه: ﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ الممتحنة (3).

- قَالَ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ...﴾ الأحزاب (6).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿... وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ الأنفال (75).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿... وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ النساء (36).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ الفرقان (54).
- وذكر المسكين وابن السبيل والسائل وفي الرقاب والاسير وحث على الاحسان اليهم
نذكر بعض آيات الذكر الحكيم:
- قَالَ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿وَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ نَبْذِيرًا﴾ الإسراء (26).
- قَالَ تَعَالَى: ﴿...وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ...﴾ البقرة (177).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿...فَذِيَّةً طَعَامَ مِسْكِينٍ...﴾ البقرة (184).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الروم (38).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿... فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِاطِعًا سِتِينَ مِسْكِينًا...﴾ المجادلة (4).
- قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا يَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ﴾ القلم (24).
- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ الحاقة (34).
- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمِسْكِينِ﴾ المدثر (44).
- قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ الإنسان (8).
- قَالَ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ البلد (16).

20-6 فقه التبني: التعريف والمشروعية:

التبني هو عمل يقصد به قيام الإنسان العاقل المقتدر ذكراً أو أنثى بحضانه ورعاية طفلٍ أو عددٍ من الأطفال دون أدنى اعتبار لجنس ولون ودين المتبنى، من أجل حفظ وصون كرامته الإنسانية مع المحافظة على صلة الانتساب الأسري للطفل المتبنى، إن كان يعلم أن له أسرة ينتمي إليها، وإن لم يكن له أسرة فيدعون بالإخوة، حسب مدلول الآية من سورة الأحزاب التي حددت الخطوط العامة للتبني بصورة واضحة، وبقية التفاصيل تركت للناس عبر سن تشريعات تنظم عمليات وحالات التبني وفقاً للظروف الاقتصادية في كل زمان ومكان، ومن سورة الأحزاب تعالوا نتعرف على الآيات المنظمة للتبني كمبادئ وقواعد عامة للمشرعين في

سن قانون خاص بالتبني، ومن الملاحظ أن القرآن ذكر المتبني بلفظ محدد، وهو (أَدْعِيَاءُكُمْ)، وبين ضرورة المحافظة على انتسابه لأبويه (عائلته)، فإن لم يعرف أبويه فأخوانكم في الدين إن كانوا مسلمين أو مواليكم إذا هم لم يرغبوا في اعتناق الإسلام ولا يقصد بمواليكم (العبيد)، إنما القصد هنا من يكونون تحت حمايتكم ورعايتكم وهم على دينهم، وهو ما يؤكد على الحرية الدينية للمتبني وإبقاؤه على دينه، هذا ما يفهم من خلال الآية التي جاءت لتوضح هذا الموضوع، والتي تضمنت أيضاً عدداً من آداب بيت النبوة، وورود لفظ النبي بصورى خاصة حيث أريد به عامة الأنبياء، ويقصد به بيت كل نبي دون أن يحدد نبياً معيناً وكأنما سورة الأحزاب جاءت لتحديد الأدب النبوي بصفة عامة لكل الأنبياء دون تحديد نبي بشخصه ألا ما استثناه الآيات: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا، وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا، وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا، مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ، ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَأُخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا، النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا، وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾، (الأحزاب: 1، 2، 3، 4، 5، 6، 7).

آداب التبني وقصة زيد المكذوبة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم:

أورد الحق عدداً من الآيات في سورة الأحزاب عن آداب وظيفة الأنبياء بصورة عامة ابتداء من (28) وحتى الآية (36) لتسرد عدداً من الآداب والتعاليم للنبي كوظيفة وليس كشخص، ذلك أن اللفظ موجه لعموم الأنبياء بصيغة الفرد المخاطب (يا أيها النبي)، ثم نأتي إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قُضِيَ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾، (الأحزاب: 37).

فهذه الآية هنا بدأت بتوجيه الخطاب للمقتدرين من الناس ممن يملكون نعمة الرزق، وهو ما يفهم ويفقه من مدلول الجملة "أنعم الله عليه" وهو الشخص المتبني أو الشخص الحاضن، وذكرت الآية جملة أخرى وهي "وأنعمت عليه" قصد بها المتبني (الطفل المحضون)، وهنا يظهر جمال الآيات في تركيب ألفاظ القرآن واستخدام مصطلح الجنس في الآية، ثم ضرب الله سبحانه مثلاً "زيد" كمثال متصل بالمتبني الطفل الذي بلغ النكاح فتزوج، ثم طلق زوجته ليتزوجها حاضنه المتبني له ليقرر ويؤكد حكم حلة الزواج من امرأته، إذا انحل عقد الزوجية بينهما، وهو ما يؤكد على عدم وجود صلة الانتساب بين الذي أنعم الله عليه الحاضن وبين

الذي أنعمت عليه وهو الطفل المحضون أو الشخص المتبنى الذي بلغ النكاح وتزوج ثم أنحلت الزوجية كما سبق ذكره، والذي ضرب الله تعالى به كمثال متصل بواقعة اجتماعية سائدة في المجتمع الإنساني منذ القدم ولله الحق أن يضرب من الأمثال بالأسماء أو بالأفعال وبما يشاء، وكيف ما يشاء فهو في ضرب مثل "زيد" جاء لتوضيح قضية اجتماعية، فقد سبق أن ضرب مثل اشبه بهذا، حسب ما جاء بالآية من القرآن المبين قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾، (مريم: 28) وما بين مريم وهارون قرون كثيرة والقرآن المبين جاء بهذه الأمثلة ليعالج قضية اجتماعية موجودة في المجتمعات الإنسانية مؤغلة في القدم، ومن تلك المجتمعات تعالوا نستذكر قصة النبي يوسف عليه الصلوة والسلام عندما تبناه الذي اشتراه من مصر، وحسب هذه الآية البديعة قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا...﴾، (يوسف: 21).

لذلك فلا غرابة إن قررت جماعة التحريف (فقهاء أحاديث العننة)، من أن المقصود من هذه الآية اسم لشخصية اصطنعوها من مخيلتهم وهو اسم "زيد"، وزينب بنت جحش، واصطنعوا أحاديث كثيرة عنها فشخصنوا نصوص القرآن الكريم، وأولو القصة كذباً وزوراً بقصد ونسبوها للنبي محمد عليه السلام والنبي ليس له ذكر في موضوع التبني، والحقيقة غير ذلك تماماً، إذ إن موضوع التبني موضوع قديم في حياة الإنسان وما زالت هذه الظاهرة موجودة حتى يومنا هذا، فقد أكد الحق سبحانه على التبني ورغب فيه لمواجهة الأطفال فاقدى الأبوين أو (اليتامى) أو غيرهم من الأطفال بسبب الحروب المدمرة، والكوارث الطبيعية الناتجة عن الزلازل، والفيضانات، وغيرها ولو كانت هذه الحادثة مرتبطة بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم لذكره الله سبحانه بالاسم في القرآن الكريم، بل على العكس فقد نفى نفيًّا قاطعاً لحالة من حالات التبني عن النبي محمد عليه السلام ومن نفس السورة، وكأنما أدرك الله سبحانه بعلمه المسبق أن جماعة التحريف سوف تفسر وتؤول هذه الآية خلافاً لمقصده، وتخلق هذه القصة وتلفقها على النبي محمد صلى الله عليه وسلم فجاء الرد حاسماً محدداً شخص النبي بالاسم بقوله سُبْحَانَهُ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾، (الأحزاب: 40)، وبهذه الآية حسم جدل تبني النبي لشخصية (زيد) وأكدت النفي القاطع على التأيد حالة التبني لأي أحد من الرجال من قبل النبي محمد صلى الله عليه وسلم واللفظ (أبا) قصد منه التبني، وهذا الرد كان قوياً ومزلزلاً لمن يذكر القرآن الكريم بعقل وقلب سليم دون حاجة للتوظيف الخاطئ للقرآن الكريم بالتفسير أو التأويل الخاطئ، كما أن هذا الاقتراء من أحاديث العننة، وقصصهم المفبركة حول هذا الموضوع والذي أسأوا فيه لرسول الرحمة والإنسانية محمد صلى الله عليه وسلم أيما إساءة إذ إن الخطاب في آيات التبني يتحدث عن تبني الأطفال وليس الرجال المتزوجين، كما ذهب إليه فقهاء العننة في اصطناعها لشخصية "كزيد" حسب زعمهم الكاذب.

20-7 ظهور التبني في القانون القديم:

قن القانون الروماني الصادر في منتصف الألف الأول من ميلاد السيد المسيح (527م) تقريباً هذه المسألة بمواد قانونية ضمن مدونة الإمبراطور جوستنيان رحمة الله عليه، فقد صاغ مواد تنظيمية لهذا الموضوع، حسب الكتاب الأول - الباب الحادي عشر في التبني من المدونة المذكورة

والخلاصة: فإن الله سبحانه أكد على موضوع التبني كقضية اجتماعية إنسانية خالصة من أجل حفظ وصون كرامة الإنسان، وحقه في الحياة وكفالة الأطفال فاقد آباءهم أو غيرهم لأي سبب، سواء كانوا أيتاماً أو غير ذلك معززاً الترغيب في التبني لمن أنعم الله عليه من الرزق دون اعتبار لجنس ولون، ودين الطفل المتبنى، مع المحافظة على الأنساب والدين المنتمي إليه المتبنى بنفس الوقت، وهو لب المقصد من عموم وخصوص الآيات.

اما تلك القصة التي ألفت أو تم فبركتها عن النبي محمد عليه السلام في موضوع (زيد) الشخصية الوهمية من جماعة التحريف، والتي أوغلوا فيها الإساءة لحضرة النبي الكريم محمد عليه السلام، بل افحشوا في الإساءة لذات الله جل جلاله حسب ما جاء بحديث البخاري حول نكاح زينب بنت جحش الاسم المصطنع في تلك القصة السمجة والفجة في نفس الوقت وقد أوردت نص من أحاديث العنقة في قراءة كتاب صحيح البخاري يمكن الرجوع إليه خشية التكرار والإطالة ضمن هذا المؤلف الجزء الأول.

20-8 ذكر الشعب والشعوب والأمة والأمم:

أكد القرآن الكريم على أن الماء أساس خلق جميع الكائنات الحية في الأرض حسب هذه الآية التي تحمل على العموم والتجريد بقصد التعريف بعموميات الكائنات الحية: قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ النور (45)، ثم حدد عائلة خلق البشر متفرع من الأصل وهو الماء: قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ الفرقان (54)، وتدرج خلق البشر من زوجين اثنين (آدم الأنثى - وآدم الذكر) حتى صار أسرة ثم مجتمع ثم عشيرة ثم قبيلة ثم شعب ثم أمة من الناس وهو ما سنحاول اختصارها بذكر آيات القرآن الحكيم على سبيل المثال بالآتي:

- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ الشعراء (214).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ...﴾ التوبة (24).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ...﴾ المجادلة (22).

- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات (13)).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ...﴾ (الأعراف (27)).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿أَوْ تَسْقُطِ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا مِثْقَاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾ (الإسراء (92)).

- ذكر القوم (الشعب) في كثير من آيات القرآن العظيم لما يزيد عن مئة مرة مبينة فيها من التماثل والتساوي والاختلاف بين القوم والأقوام في الأعمال والاقوال واللغات والإيمان وغير ذلك ولندع بعض آيات القرآن تحدثنا عن ذلك من الآيات من غير التعرض للتفاصيل وعلى سبيل المثال بالتالي: قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لَوْطٍ مِنْكُمْ بَعِيدٌ﴾ (هود (89)).

- قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (إبراهيم (4)).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمِ لُوطٍ﴾ (الحج (43)).
- قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ﴾ ق (12).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ...﴾ (الحجرات (11)).
- قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ (المائدة: 21، 22).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ...﴾ (الأنعام (83)).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ...﴾ (الأعراف (59)).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ...﴾ (الأعراف (61)).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ...﴾ (الأعراف (65)).
- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ...﴾ (الأعراف (85)).
- قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ (الأعراف (109)).

وعن ذكر الأمة والأمم كتكوين بشري أكبر من القوم (الشعب) حسب الآيات من القرآن الكريم، نذكر بعض منها على سبيل المثال دون الخوض في التفاصيل وعلى النحو التالي:

- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ...﴾ (الأنعام (38)).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ...﴾ (الأنعام (42)).

- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا...﴾ الأعراف (38).
- قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ...﴾ الأعراف (168).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ هود (48).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ...﴾ الرعد (30).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ...﴾ النحل (63).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنْ تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ...﴾ العنكبوت (18).

الفصل الحادي والعشرون

فقه النذر

21-1 التعريف والمشروعية:

النذر هو تبرع رضائي أحادي الجانب من الإنسان البالغ العاقل المقتدر، ويكون هذا التبرع فعلاً مادياً أو معنوياً أو فكرياً أو غيره من الأعمال المباحة، ويبتغى فيه التقرب إلى الله - سبحانه وتعالى - والنذر، لا يكون إلا لله وباسم الله - سبحانه وتعالى -، ويتوجب الوفاء بالنذر على القادر عليه، ويكون النذر في مسار الخير والمنفعة، والفضيلة المحضة دون انتظار، لعوائد أو فوائد منه، ويستفيد من النذر الإنسان والحيوان والنبات والبيئة المحيطة بحياتنا أو كليهما معاً في كل مكان أو زمان، من دون اعتبار لدين وجنس ولون الشخص المنذر بقدر ما تكون المنفعة والخيرية هي المقياس الأساسي للنذر.

21-2 الأدلة على مشروعية النذر:

- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وََمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾، (البقرة: 270).
- وَقَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَنَّهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾، (الحج: 29).
- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ الإنسان (7).
- وَقَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، (آل عمران: 35).

هنا جاء كلام الله سبحانه وتعالى لينظم مسألة النذر بجعله في حدود قدرة واستطاعة الإنسان من دون مشقة أو تكلف، وقد نظّمها الله سبحانه وتعالى وكما جاء في آيات القرآن على الأعم من قبل، وكما هو معلوم أن النذر شعيرة قديمة بقدم التاريخ الإنساني، فقد ورد تنظيمها في العقائد القديمة بصورة محرّفة تخالف ما أراد الله سبحانه وتعالى فظهر التحريف لدى اليهود، والصابئة والساسانيين (المجوس)، وفي فكر الحضارات القديمة - والحضارة المصرية - والبابلية وكذا واليونان فحرفوا النذر عن مساره الصحيح وأطلقوا عليه أسم جديد هو (الوقف) أو وقف القربان، إذ كان الوقف والقربان تصل إلى حد التضحية بالإنسان كقربان في العقائد القديمة حسب ما جاء بالتوراة والتلمود، كما أن الوقف تم تخصيصه من الأراضي والأموال وحتى الإنسان قرباناً للآلهة - الأصنام التي كانوا يعبدونها، ظهر ذلك من خلال النصوص القانونية في عهد حضارة بابل (1).

(1) . راجع شريعة حمورابي - ترجمة محمود الأمين - دار الوراق - لندن - الطبعة 2007م.

ونأت من القرآن الكريم على ذكر أنواع النذر وفقاً لكلام الله سبحانه وتعالى الذي أوضحه على سبيل المثال في الآتي:

- نذر عبادة من شعائر إضافية كصلاة – وزكاة وصيام – ومنسك من مناسك الحج.
- نذر عطاء مادي مالي أو عيني – نفقة – صدقات – سواء كانت نقدية أو عينية.
- نذر عطاء فكري إبداعي كتربية الأطفال ومثال ذلك نذر امرأة عمران التي نذرت ما في بطنها لله تعالى وغيره.

وطالما كان النذر أمراً اختيارياً غير ملزم، فإنه يكون من الأشياء المقدور الوفاء بها، وإذا حصل أمر حال دون الوفاء بالنذر فلا يلزم من عدم الوفاء به تطبيق عقوبة، طالما لا يشكل ضرراً على الغير، إلا أن الناذر ياتم لعدم وفائه بالنذر مع قدرته عليه، وعلى الجهات التشريعية سن (قانون) (مرسوم) (قرار) (لائحة) لتنظيم الاستغلال الأمثل للنذر المادي والفكري من خلال المبادئ والأهداف والتوظيف الأمثل للنذر وفقاً للشروط العامة والخاصة، والذي قصد من النذر تقديم المنفعة المحضة، كما أسلفنا دون عائد مادي، ومن المؤسف أن يغيب النذر في حياتنا، وجرى على حين غفلة من الزمن تعطيل النذر، وتشريع الوقف والأوقاف بديلاً عنه وجعلوا النذر جزء من الوقف، والوقف مصطلح لا محل له في كلام الله - سبحانه وتعالى، ولم يأت لذكر الوقف والأوقاف في القرآن الكريم مطلقاً بل جاء هذا المصطلح من التلمود واقتبسته جماعة التحريف، ودسته في فكر المذاهب الإسلامي، وبالعودة إلى التلمود قسم زراعييم سوف تتبين لك حقيقة الوقف عند اليهود، وكذلك نص عليه بتوراة العبرانيين من كون الوقف والأوقاف أمر واجب وملزماً علي اليهود تقديمه دون اعتبار، ابتداءً من بكور أولادهم (الإنسان) وبكور بهائمهم، وبكور ثمارهم، ومحاصيل أراضيهم وحتى عجين خبزهم، وقد خصّصوا هذه التقديمات (الوقف) للمذبح المقدس، والهيكل المقدس، والكاهن الأعظم - والكهان - والحاخامات من العصبية الدينية في العقيدة اليهودية، ومن هذا الفكر الديني القديم دس مصطلح الوقف لفكر المذاهب الإسلامي، فأصبح قاعدة ملزمة في حياة المسلمين، ومن الإنصاف التطرق للجوانب الإيجابية في الوقف، إلا أن له جوانب سلبية ساهمت بشكل كبير في الاستيلاء على أموال الناس بالباطل بحجج كثيرة، حسب مشروعية من أحاديث العنعة، بالمخالفة لكلام الله تعالى في القرآن الكريم، وجعلوا من الوقف سيفاً مصلتاً على رقاب الناس، كما جعلوا منه منافع آنية تقوم على شرط الواقف، بينما النذر يقوم على المنفعة المحضة دون شرط ودون مقابل، بخلاف الأوقاف المتعدد الوظائف، والتي منها وقف الذرية ووقف المساجد، ووقف استثماري ووقف زراعي.. إلخ.

الفصل الثاني والعشرون

فقه الجريمة والعقاب

مدخل:

عَرَّفَ فكر المذاهب الإسلامي السني / الشيعي بعض العقوبات الجنائية بالحدود في أصول الفقه، ثم أعطوها تعريفاً لغوياً وآخر اصطلاحياً فجعلوا من بعض الأفعال حدوداً بمعنى جرائم حدية وحددوا لها جزاءً عقابياً حسب نصوص من أحاديث العنينة، وجعلوا من هذا العقاب حقاً محضاً خالصاً لله تعالى، وليس للعبد فيه خيار بمعنى آخر لا يجوز لأي شخصٍ التنازل عن الحد أو أن يعفي عن الحد أو يشفع بحد من مزعوم تلك الحدود، والحدود سبع: الردة، الحرابة، السرقة، الزنا، القذف، اللواط، شرب الخمر، ثم درجوا لإيجاد أساس تشريعي من تفسير وتأويل القرآن الكريم بصورة خاطئة، ومن أحاديث العنينة كتشريع لها وجعلوا تطبيقها واجباً دينياً ملزماً إذا ما وقعت ورفعت إلى الحاكم فيكون تنفيذ العقاب واجباً دينياً على سبيل الحتم والإلزام، حتى ولو تنازل المجني عليه أو عفا عن المتهم، فلا يسقط الحد (العقوبة)، كما جعلوا من حق كل شخص المطالبة بتطبيق الحدود من كونها حق محض لله حسب زعمهم، حسب ما يعرف بدعوى الحسبة أو دعوى الاحتساب، وصنفوا الحدود - من الجرائم الجسيمة، ولا تسقط بالتقادم، وأدخلوا لفظ الحد كمصطلح قانوني في التشريع الجنائي العربي والإسلامي، وحددوا عقوبات جزائية على تلك الجرائم الحدية ما بين القتل للمرتد حداً، والرجم بالحجارة حتى الموت للزاني حداً، وقطع (بتر) يد السارق حداً، وجلد شارب الخمر حداً، والقتل والصلب للحرابة حداً.

والحقيقة أن كل هذه العقوبات والجزاءات تخالف كلام الله سبحانه في القرآن الكريم بالجملة، وبشأن التعريف الموضوعي للحدود ومفرداتها حد وهو الشيء المستغرق بذاته ولا يتعداه لغيره، ومن أمثلة ذلك تلك الحدود التي ذكرها القرآن في كل ما يتعلق بالحقوق المدنية والشخصية التي لا يجوز التعدي عليها أو تجاوزها، ومن أمثلة تلك الحدود حق المرأة في الحصول على نفقتها أثناء الزواج فتلك من حدود الله، وحقوقها المادية والمعنوية عند الطلاق فتلك من حدود الله، وعدم التعدي بحق الطلاق والظهار على المرأة فتلك من حدود الله، وعدم تجاوز حقوق الورثة في أنصبة المواريث المحددة بنص القرآن فتلك من حدود الله، والالتزام بأداب الاعتكاف في المساجد بعدم مس المرأة من وطئ فتلك من حدود الله سبحانه، وغيره، وليس هناك رابط بين الحدود والجريمة والعقاب لا من قريب ولا من بعيد.

22-1 إطلالة على بعض الجرائم والعقاب في توراة القرآن الكريم:

جاء كلام الله سبحانه بنصوص تشريعية في توراة القرآن الكريم حول بعض القواعد العامة في الجريمة والجزاء - العقوبات فوصف القرآن أن الجريمة والجزاء هي نصٌ مكتوب من قبل الله - سبحانه وتعالى - لموسى صلى الله عليه وسلم حسب الآية المدون بقوله -

سبحانه وتعالى - ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، (المائدة: 45)، فجاءت هذه الآية وغيرها مشتملة على قواعد التشريع الإلهي العام ولتطبيقها على واقع الحياة يحتاج مع حدود تحقيق عدد من الشروط والمتطلبات والمرجعيات العلمية حول العلم بالجريمة والعقاب، حسب ما تعارف الناس عليه بالفطرة والعرف من قبل ومن بعد، وامتداداً لفطرة الله تعالى في الخليقة الأولى للبشر منذ تعاليم الله - سبحانه وتعالى - لآدم وذريته من بعده، وقد كان أول نص يصف الجريمة وفعل التجريم حسب ما جاء بقول الله جلَّ وعلا: ﴿وَإِذْ أَخْبَرْنَا نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ، لَنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ، فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، (المائدة: 27، 28، 29، 30) إلى قوله تعالى: ﴿مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كُتِبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾، (المائدة: 32).

وقد يتساءل الكثير من الناس:

هل نحن معنيون بخطاب الله في القرآن الكريم بني آدم وفعلهما، وبتوراة موسى وإنجيل عيسى وزبور داود وصحف إبراهيم وغيرهم من الأنبياء والرسل؛ لأننا كلنا مشكاة واحدة. الإجابة: نعم، نحن معنيون بكل ذلك، وبكل ما انتجته الفكر الإنساني ودونه من قوانين بما يسهم في سبيل تحقيق قيم الفضيلة والخير ونشر السلام.

كما أننا معنيون بالخطاب الأول الموجه لآدم وزوجه، وبما فرض على سيدنا إبراهيم من الدين حنيفاً مسلماً ملة واحدة ودين واحد ارتضاه الله سبحانه وتعالى للناس أجمعين ونحن جزء من الناس نؤثر ونتأثر بمن حولنا ومن ضمنها قواعد الجزاء والعقاب، فكانت قواعد الجزاء والعقاب في القرآن الكريم ككتاب جامع لكل الكتب السماوية الموحى بها على فترات من الزمن، ملهمة لنا نحن الإنسان ومعنيين بها، وهو ما يؤكد على وحدة كلام الله سبحانه في تنظيم وجودنا في كل ما يشغله الإنسان في الحيز المكاني والزمان على الأرض أو في السماء، والقائم على وحدة الترابط البشري وهو ما يعرف بتراكم الخبرة والتجربة (العرف) بالإضافة للعلم والمعرفة بمختلف جوانب الحياة عبر التاريخ، فكان كلام الله سبحانه المعزز على لسان الرسل وهدى الأنبياء حقيقة واحدة لا تقبل التجزئة، ومنه ينبغي على بني الإنسان صياغة القوانين والتشريعات الوطنية والدولية التي تتناسب مع المجتمع الإنساني في الزمان والمكان على مسيرة حياة الإنسان، مع العلم أن كل نص صيغ قديماً أو حديثاً حقق منفعة مشروعة وجلب الخير للناس في كل مكان وزمان فهو على قاعدة الأمر بالعرف الذي نص عليه القرآن الكريم قَالَ تَعَالَى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾، (الأعراف: 199)، ووفقاً

لما سلف فقد جاء النص السابق من توراة القرآن ليحقق التعريف بقواعد الجريمة والجزاء (العقوبات) حسب الترتيب التالي:

- 1- النفس بالنفس كمبدأ عام، وثابت دون تمييز في الجنس واللون والدين وتقديم العفو أولى من تنفيذ العقاب، أو التعويض.
- 2- العين بالعين مماثلة في العقوبة والعفو أولى من تنفيذ العقاب أو التعويض.
- 3- الأنف بالأنف مماثلة في العقوبة والعفو أولى من تنفيذ العقاب أو التعويض.
- 4- والأذن بالأذن مماثلة في العقوبة والعفو أولى من تنفيذ العقاب أو التعويض.
- 5- السن بالسن مماثلة في التمييز والعفو أولى من تنفيذ العقاب أو التعويض.
- 6- والجروح قصاص بمعنى إرساء مبدأ التعويض المادي وجبر الضرر المعنوي لشخص المجني عليه والعفو أولى من تنفيذ العقاب.

ثم ذكر أن التصديق بالعفو من المجني عليه على الجاني (المتهم) من أجل إشاعة المعروف والإحسان بين الناس هو المحك الأساسي في بناء المجتمع المدني المسالم، مع التأكيد على أن ذلك من مقاصد الدين الحنيف المتمثل في نشر السلام الاجتماعي على أساس من قيم الفضيلة والحب، وحثهم على التخلق بقيم العفو والصفح الجميل لخلق مجتمعات إنسانية متسامحة ومتصالحة مع بعضها البعض مع احترام الحقوق وعدم التعدي عليها، أما بالنسبة لنص المماثلة في تطبيق العقوبة فإن القصد منه هو وضع نصوص أساسية رادعة لمنع تفشي الجريمة وردع المجرمين، والحد من انتشارها في المجتمعات، وعلى الشعوب والأمم وضع التشريعات المناسبة لتنظيم الحياة بين الناس، من دون تمييز في الجنس واللون والدين، فكل الناس سواسية أمام أحكام ووصايا القرآن الحكيم.

2-22 الجزاء - العقاب في القرآن (الحدود):

تعريف العقوبة أو الجزاء: وهي ذلك النص المكتوب أو المتعارف عليه والذي يحدد فعلاً مجرمًا يشكل ضرراً على الغير ويقوم به شخص من الناس بقصد أو بإهمال فيكون فعله جريمة تستوجب العقاب على الفاعل أو التعويض أو حسب ما تعارف عليه المجتمع، ويتم تنفيذها عبر هيئة قضائية أو غيرها من الجهات المخولة بالنص سواء كان هذا النص مستمداً من قاعدة تشريعية في القرآن الكريم، أو من الأعراف المعتادة بين الناس وأصبحت نصاً من القانون النافذ عملاً بمبدأ المشروعية ولا جريمة ولا عقوبة إلا بقانون، ويجب أن يكون النص محدود التطبيق في إطار المكان والزمان عملاً بمبدأ إقليمية النص، ومن تاريخ صدور النص فلا يسري على ما قبله، ويجب أن يكون هناك تناسب بين الجريمة والعقاب، ويجب أن تهدف العقوبة الإصلاح والتأهيل وليس الانتقام أو الثأر وإشعار المذنب بذنبه، وقد تتعدد أنواع الجزاءات أو العقوبة كفعل مادي مؤلم على جسم المتهم أو جزاء الحرمان أو جزاء الحجز للحرية أو المنع من الحقوق المدنية أو بالتعويض أو غيره، وتطبق على شخص الفاعل دون أن يتعدى ذلك إلى غيره، بمعنى شخصية الجريمة وشخصية العقاب، ويجب أن يتساوى الناس في تطبيق القانون دون اعتبار للتمييز في الدين والجنس واللون، كما أن تنفيذ العقوبة على

المخالفين من شأنه أن يشعر المجتمع بالرضا والطمأنينة والاستقرار، وهذا ما يسمى بالردع العام أو الحق العام في المجتمع.

22-3 تعريف الحدود في فكر المذاهب:

ورد تعريف الحدود في فكر المذاهب الإسلامية وتعريفات لغوية واصطلاحية مختلفة سبق التطرق إليها سابقاً في مقدمة الفصل، فقالوا عن التعريف اللغوي للحد بأنه الحاجز أو منتهى الشيء إلى حده ولا يتجاوزه، وفي الاصطلاح: هو الجزاء أو العقوبة الجزائية المحددة بنص شرعي من الكتاب والسنة، على من يقترب معصية من المعاصي، توجب تطبيق الحد عليه وهي واجبة وحق محض خالص لله سبحانه بمجرد قيامها ولا يجوز التنازل عنها أو العفو عنها، وتعددت الحدود بتعدد الأفعال المجرمة والتي منها حد الردة وحد الزنا وحد القذف وحد الحراية وحد السرقة وحد اللواط وحد شرب الخمر، وهذا التعريف أو التقسيم فيه مخالفة لكلام الله سبحانه وتعالى، فقد جاء القرآن المبين المفصل بآيات متعددة تتحدث عن قواعد القصاص (الجزاء والعقاب) في كلام الله سبحانه على لسان بعض الأنبياء والرسل، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا...﴾، (يونس: 27)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةً مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾، (الشورى: 40)، فكانت هذه الآيات وغيرها تمثل قواعد للعقاب بين المعنى الموسع والمعنى المقيد وهو ما يعرف بمواءمة النصوص في الأفعال المجرمة والتعريف بالجريمة وشخص المتهم وحجم الضرر، بمعنى أدق دراسة الجريمة كعلم خاص ومستقل من جميع النواحي، ومن ذلك فقد جاء القرآن المبين والمفصل بآيات تمثل قواعد عامة للعلم بالجريمة من جميع جوانبها بهدف حماية الإنسان والمجتمع وتطبيق القصاص والجزاء أو العقاب الرادع على الشخص المذنب كما سلف بيانه، حسب مبدأ المشروعية من الآية على سبيل المثال قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، (البقرة: 179)، وَقَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرُّ بِالْحَرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى فَمَنْ عَفَى عَنْ شَيْءٍ فَاتَّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، (البقرة: 178)، فدلالة الآية تكمن في أرساء قاعدة من التشريع تتحدث عن مبدأ المماثلة في العقاب أو التعويض، وأريد بهذه الآية أيضاً معالجة الاقتتال الجماعي بين مجموعة من الناس، وليس فيه شبهة التمييز بين فئات الناس كما قد يفهمه البعض، إذ يقصد بذكر أصناف الناس (الحر - العبد - الأنثى) عند القيام بالصلح وجبر الضرر والتعويض عند الاقتتال الجماعي الذي قد يحصل بين الأطراف، فمن مقتضيات العدالة عند جبر الضرر والصلح أن تقوم على مبدأ المساواة والمماثلة في القصاص (الجزاء- العقوبة) أو التعويض وجبر الضرر، حسب الترتيب التالي:

- الحر بالحر ليجبر الضرر بالقصاص، أو التعويض المساوي له في المكانة.
- العبد بالعبد بالقصاص، أو بالتعويض المساوي له في المكانة.
- الأنثى بالأنثى، بالقصاص، أو بالتعويض المساوي لها في الجنس.

وهكذا إنَّ يظهر مبدأ العدالة والمساواة في المماثلة بالقصاص، كما أن هذه الآية تتحدث عن مناسبة محددة حسب مدلولها، وهو ما يفقه منها عن الاقتتال الجماعي أو ما يسمى بفتنة الاقتتال بين جماعتين من الناس متعددي التكوين الاجتماعي، بخلاف العقاب في الحالات العادية، إلا أن الله - سبحانه وتعالى - أكد على مبدأ العفو بين الجاني والمجني عليه، بل وزاد على ذلك بإتباع العفو بالمعروف في جبر ضرر أولياء دم المجني عليهم (التعويض)، ولم يكتف بذلك بل زاد الأداء إليه بالإحسان، وهو أعلى قيم التسامح ذلك تخفيفاً من ربكم ورحمة، وبذلك تتحقق مقاصد الدين الحنيف للحفاظ على النوع البشري من لدن الخصومة، ودوامه الاقتتال والثار، فكانت هذه الآية من القرآن يمثل قواعد أساسية للمشرعين من أجل سن قانون للتعامل مع الجريمة والعقاب في المجتمعات الإنسانية، بخلاف ما جاءت به جماعة التحريف حول العقاب والجزاء (الحدود)، فجاءوا لنا بمصطلحات دخيلة بفقه القانون تتحدث عن الحدود والقسامة والعاقلة وهذه المصطلحات تتنافى مع مفهوم الجريمة ومبدأ شخصية الجريمة والعقاب فأخرجوها عن مسارها الطبيعي، ثم جاؤوا بعقوبات بشعة وصنفوها ب(حدود) مقتبسين إياها من توراة العبرانيين وغيره من كتب العقائد القديمة ودسوها في فكر المذاهب الإسلامي وأصبحت اليوم قانوناً مسلطاً على رقاب الناس والمسلمين خاصة.

22-4 الحد والعقوبة بين الحقيقة والتحريف:

أولا نذكر من تلك (الحدود) المندسة والمحرفة عبر مشروعية من أحاديث العنينة والقلقلة على سبيل المثال بالآتي:

- 1- حَذُّ الرِّدَّةِ عَنِ الدِّينِ: جعلوا عقوبة القتل للمرتد عن الدين حداً وهو ليس من حدود الله كما أن الردة من الحرية العقائدية التي كفلها القرآن للناس جميعاً، وهي ليست جريمة ولا عقوبة فيها.
- 2- حَذُّ شَرْبِ الْخَمْرِ جعلوا عقوبته أربعين جلدة وهو ليس من حدود الله كما أنها ليست جريمة ولا عقوبة فيها وتطبيق العقوبة مخالفة لكلام الله في القرآن الكريم الذي أباح شرب الخمر مع حزمة من القواعد التشريعية المنظمة له.
- 3- حَذُّ قَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وهي ليست من حدود الله، بل جريمة وعقوبتها قابلة للعفو من المجني عليه.
- 4- حَذُّ الزَّنا وجعلوا عقوبتها الرجم بالحجارة حتى الموت، وهي ليست من حدود الله وتطبيق عقوبة الرجم بالحجارة حتى الموت مخالفة لكلام الله في القرآن الكريم وهي جريمة اجتماعية وعقوبتها مئة جلدة سواء كان الفاعل متزوجاً أو غير متزوج بحسب حزمة من الضوابط.
- 5- حَذُّ الْحِرَابَةِ: وعرفوها بالخروج والتقطع للناس في الطريق العام وهي ليست من حدود الله، وهي جريمة وعقوبتها قابلة للعفو وتوصيف الخروج بالحرابة مخالف لكلام الله في القرآن الكريم الذي حدد أن الحرابة جريمة تقتصر على الفساد بمفهومه

الواسع مثل الفساد السياسي والفساد الاقتصادي والفساد العسكري والذي يؤدي إلى دمار المجتمعات والشعوب والأمم، وهي ليست من حدود الله بل عقوبة قابلة للعفو.

6- حُدَّ السرقة: وجعلوا عقوبتها قطع اليد من الرسغ بقصد بترها وفصلها عن بعضها البعض، وهي ليست من حدود الله وهي جريمة وعقوبتها قطع يد السارق بمعنى الحبس وقابلة للعفو من المجني عليه.

7- عقوبة اللواط (المثليين جنسياً) من الرجال: وجعلوا عقوبتها القتل وهي ليست من حدود الله وهي جريمة وعقوبتها ذكرت بالآية: **قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ فَادُّوهُمَا...﴾، (النساء: 16)**. بقصد إصلاح حال المثليين جنسياً من كون فعلهم وصف الفاحشة، وترك للناس وضع العقوبة المناسبة في الزمان والمكان حسب ما تعارف الناس عليه من القانون بهدف معالجة هذا الخلل الجسماني (هرموني) حيث يعالج بالتدخل الجراحي أو بسبب انحراف السلوك الشاذ فيعالج نفسياً.

تلكم هي بعض عقوبات الجرائم، وقد أدرجت في بعض قوانين العقوبات العربية والإسلامية⁽¹⁾ وصنفت بالجرائم الحدية الجسيمة، وهذا التوصيف كما سبق الإشارة إليه يخالف القرآن الكريم.

(1) انظر قانون العقوبات اليمني رقم (12) لسنة 1994م والذي جاء فيه الآتي: تعريف جرائم الحدود وتعدادها مادة (12) الجرائم التي يجب فيها الحد هي ما بين عقوبتها نص شرعي وكانت حقاً لله تعالى خالصاً أو مشوباً و يعبر عنها شرعاً بالحدود وهي سبع: 1- البغي، 2- الردة، 3- الحراية، 4- السرقة، 5- الزنا، 6- القذف، 7- الشرب مادة (46): على القاضي عند نظر دعاوى الحدود استئصال المتهم عن جميع مسقطات الحد ويبطل حكم الإدانة إذا ثبت أن القاضي لم يقم بذلك.

مادة (47): يسقط الحد إذا أسلم مرتكب الجريمة بعد ارتكابها ولو بعد الردة ويستثنى من ذلك حد القذف.

مادة (263): الوطء المعتبر زنا هو الوطء في القبل، ويعاقب الزاني والزانية في غير شبهة أو إكراه بالجلد مائة جلدة حداً إن كان غير محصن ويجوز للمحكمة تعزيره بالحبس مدة لا تتجاوز سنه وإذا كان الزاني أو الزانية محصناً يعاقب بالرجم حتى الموت.

مادة (264): اللواط هو إتيان الإنسان من دبره، ويعاقب اللاتط والملوط ذكراً كان أو أنثى بالجلد مائة جلدة إن كان غير محصن ويجوز تعزيره بالحبس مدة لا تتجاوز سنه ويعاقب بالرجم حتى الموت إن كان محصناً.

مادة (283): يعاقب بالجلد ثمانين جلدة حداً كل مسلم بالغ عاقل شرب خمرأ فإذا شربها في محل عام جاز تعزيره بعد إقامة الحد بالحبس مدة لا تتجاوز سنه.

ويعاقب غير المسلم بالحبس مدة لا تزيد على ستة أشهر إذا شربها علانية ويعاقب الشريك بالحبس مدة لا تزيد على سنه.

مادة (298): كل من سرق نصاب وتوافرت في فعله شروط الحد تقطع يده اليمنى من الرسغ حداً فإذا ارتكب جريمة مماثلة بعد ذلك تقطع رجله اليسرى من الكعب فإذا ارتكب ذات الجريمة بعد ذلك يستبدل بالقطع الحبس مدة لا تتجاوز خمسة عشر سنه وإذا تعدد الفاعلون للسرقة أقيم الحد على كل منهم بصرف النظر عما ساهم به في السرقة.

مادة (306): من تعرض للناس بالقوة أيا كانت في طريق عام أو صحراء أو بنيان أو بحراً أو طائفة فأخافهم وأرعبهم على نفس أو مال أو عرض واحداً أو جماعة أو لأي غرض غير مشروع قهراً أو مجاهرة اعتبر محارباً.

مادة (307): يعاقب المحارب:

أولاً: بالحبس مدة لا تزيد على خمس سنوات إذا اقتصر فعله على إخافة السبيل.

ثانياً: بقطع يده اليمنى من الرسغ ورجله اليسرى من الكعب إذا أخذ مالا منقولاً مملوكاً لغيره ويعاقب شريكه الذي لم يأخذ مالا بالحبس مدة لا تزيد على عشر سنوات.

ثالثاً: إذا أدى فعل أي من المحاربين إلى موت إنسان تكون عقوبته الإعدام حداً ويعاقب من لم يسهم في القتل بالحبس مدة لا تزيد على خمسة عشر عاماً.

رابعاً: بالإعدام والصلب إذا أخذ مالا وقتل شخصاً ويعاقب من لم يسهم في الأخذ أو القتل بالحبس مدة لا تزيد على خمسة عشر عاماً.

ولا تخل العقوبات المتقدمة بحق ولي الدم في الدية والأرش بحسب الأحوال.

22-5 الحدود في القرآن الكريم:

ذكر القرآن الكريم الحد أو الحدود فذكرها أكثر من مرة وهي ما تتعلق بحقوق المرأة وفي آداب الطلاق، وحقوق المواريث وغيرها نفند بعض منها بالآتي:

- الحدود في الطلاق وحقوق المرأة حسب ما بيّنه القرآن الكريم بتكرار ذكر الحدود وفقاً لهذه الآية: قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَاِمْسَاكِ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ، فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾، (البقرة: 229، 230).
- الحدود في حقوق المواريث وعدم تجاوزها عند قسمة تركة المتوفى من الوصية والأنصبة والفروض وغيرها قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿....تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾، (النساء: 13، 14).
- الحدود في آداب الصيام والاعتكاف في المساجد قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، (البقرة: 187).
- الحدود في عدم إيقاع الظهار من قبل الزوج لزوجته، والظهار هو حلف يمين يصدر عن الرجل بتشبيه زوجته بأمه فلا يطأها في فراش الزوجية، وقد بين القرآن الكريم حكم هذه الحالة، واعتبره حداً من حدود الله تعالى قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، (المجادلة: 4).
- الحدود في آداب النبوة حول الطلاق وحقوق المرأة من خلال هذه الآية الموجهة للنبي كلفظ خاص أريد به عامة الأنبياء والمسلمين والناس أجمعين، فلا يقصد به نبياً معيناً بل كل الأنبياء في التاريخ الإنساني مؤكداً أن هذه الآداب والشروط من حدود الله تعالى حسب ما بيّنه القرآن الكريم بهذا الآية: قَالَ جَلَّ فِي غَلَاة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾، (الطلاق: 1).

• الحدود بوصفها حال الإنسان المؤمن بربه، واتصافه بجملة من الصفات منها: الحافظون لحدود الله تعالى في كل حياتهم الدنيوية قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، (التوبة: 112).

• الحدود ووصف الحالة الاجتماعية لفئة معينة من الناس وهم الأعراب ومعلوم أن الأعراب هم البدو الرحل الذين يعيشون متنقلين غير مستقرين في مكان محدد ويعيشون في مجموعات متفرقة لا تحكمهم ضوابط الأسرة والمجتمع ويتصرفون دون مراعاة لحدود ما أنزل الله سبحانه من الأوامر والشعائر والمناسك والعبادات ولا يعبئون بالحرمان ولا بالمحرمات ولا بالعرف والأعراف أو تقاليد وقوانين الأمم، والشعوب، ويتواجدون في كل المجتمعات الإنسانية قديماً وحديثاً قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، (التوبة: 97).

هذا ما جاء في القرآن الكريم عن الحدود، ومن خلال القراءة العادية لتلك الآيات من كلام الله سبحانه يتبين لنا أن لا علاقة متصلة بين اللفظين الحدود والعقوبات أو الجزاءات، لا من قريب ولا من بعيد، حسب ما سبق بيانه ونعيد بعضاً منه زيادة في العلم والمعرفة بالحدود، ولكل لفظ من الحد له معناه الخاص حسب موقعه في الآية.

22-6 قواعد العقوبات الجزائية في القرآن الكريم:

لا شك أن العقوبات الجزائية في القرآن الكريم لها تعريف، ومفهوم وحكم خاص كلاً على حدة، وهو ما نوضحه على سبيل المثال في الآتي:

22-7 الردة عن الدين أو عن المعتقد الديني (حد الردة):

نجدته اعتسافاً لدى من يدعون أئمة المذاهب الإسلامية في توصيف فعل الردة كحد من حدود الله تعالى، وقد اعتبرت الردة عن الدين جريمة حدية، وحددت لها عقوبة الأعدام بقتل الإنسان المسلم المرتد بعد استتابته يقصد (مراجعته) لثلاثة أيام قبل تنفيذ الحكم، وهذه العقوبة وتوصيفها كفعل مجرم ذات طابع جسيم يعد تعدياً صارخاً ومخالفة فاضحة لكلام الله - سبحانه وتعالى - في القرآن الكريم الذي أكد على حرية الإيمان أو الكفر كما بيّن ذلك القرآن الكريم في كثير من آيات الذكر الحكيم نذكر منها قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾، (الكهف: 29)، فمدلول الآية واضح في الحرية الدينية مع بيان من يخالف هذه الحرية بوصمه من الظالمين المحاط بالنار فيشوى به وجهه لجرم ظلم الناس بقهرهم وإكراههم على دين معين، ثم بين الحق سبحانه حال المرتد عن الدين قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿... وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يِزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ

أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، (البقرة: 217)، وآية أخرى واضحة لا تستوجب عقاب من يرتد منكم عن الدين قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ..﴾، (المائدة: 54)، وآيات أخرى كثيرة من القرآن سبق ذكرها، وهذا العقوبة (الحد) دس من جماعة التحريف للفكر والفقه الإسلامي من العقائد القديمة (اليهود⁽¹⁾) وغيرهم)، وللأسف الشديد ما زالت هذه العقوبة البشعة قائمة في بعض القوانين الجنائية العربية والإسلامية حتى يومنا هذا، وهو ما يخالف حرية الاعتقاد الذي جاء به دين الإسلام منذ الأزل، وجاء الأنبياء والرسل بالدعوة لعبادة الله سبحانه وللمناداة بالحرية الدينية في كل المجتمعات قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾، (يونس: 99).

22-8 شرب الخمر في دين الإسلام (حد شرب الخمر):

قد سبق البيان عن الخمر في القرآن الكريم وأنه لا يوجد نص يحرم شرب الخمر على الإطلاق، وإنما وردت آيات من القرآن الكريم تبيح للناس تعاطي الخمر مع حزمة من الضوابط في تنظم طريقة شربه، منها النهي عن السكر من خمر وغيره في الصلاة، وأمر باجتناّب شرب الخمر مقترن بأفعال أخرى كالميسر وغيره وأمر الاجتناب لا يرقى ولا يتساوى مع أمر التحريم نهائياً، وأكد القرآن الكريم على حِلّة شرب الخمر بوضوح تام لا لبس فيه، ولا اختلاف كما بين مقدار تعاطيه، وقد أفردنا لهذا عنواناً مستقلاً في هذا الجزء فلا تحريم ولا جريمة ولا حد في القرآن، بل ترك للناس تنظيمه في كل المجتمعات في الزمان والمكان.

22-9 قذف المحصنات من النساء:

يَعْرِفُ الْقَذْفُ بأنه اتهام امرأة محصنة عفيفة غير متزوجة بجريمة مخلة بالأداب، كالزنا، أو ممارسة الفاحشة (السحاق) ظلماً وعدواناً ومن دون دليل، وقد شرع الله تعالى هذه العقوبة المحددة لمن طلبها في مجلس القضاء قَالَ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، (النور: 4). وتبع هذه الآية آية أخرى حثَّ الله تعالى فيه الفاعل على التوبة فإن تاب وندم عن فعله وأصلح ذات البين مع المجني عليها فإن سبيل المغفرة هي السبيل الأفضل لإسقاط عقوبة الجلد، وعقوبة أخرى بعدم قبول شهادته على التأييد من عدمه، كيف لا والكثير الكثير من آيات الذكر الحكيم تقدم العفو، والمغفرة على العقوبة، حتى في القتل فما بالك في القذف قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، (النور: 5) فدست جماعة التحريف توصيف هذه الجريمة كحد من حدود الله بالمخالف للقرآن الكريم وجعلوها حقاً محضاً خالصاً لله تعالى لا يجوز العفو فيها وهي عقوبة قابلة للعفو والإصلاح بين الناس.

(1) انظر العهد القديم توراة العبرانيين – سفر العدد وسفر التثنية .

22-10 الزنا سواء كان بفعل امرأة أو رجل:

وقد صنفنا هذه الجريمة في الحدود وقد سبق بيان وشرح هذا الفعل المشين، إذ يعد جريمة وعقوبته واضحة إلا أن جماعة التحريف دست من توراة العبرانيين عقوبة الرجم بالحجارة حتى الموت وجعلوه حداً من حدود الله، وهو مخالف للقرآن الكريم بصورة واضحة تماماً بينما عقوبة جريمة الزنا التي جاء بها القرآن بنص عام لكل إنسان عازب أو متزوج احترف الزنا كمهنة للتكسب أو بسبب سلوكه المنحرف في المجتمع، فقد أوجب عليه إقامة العقوبة حسب عدد من الشروط والمعطيات في علم الجريمة، وبحسب ما بيّنه نص الآية التي جعلها الله سبحانه وتعالى - من قواعد التشريع لإلهام المشرعين في سن قوانين تحدد الزنا كجريمة، وتحدد شخصية الفاعل (المتهم)، ودليل التجريم، والضرر الاجتماعي من الجريمة، وبيان أركان الجريمة من جميع جوانبها، وهو عمل الباحثين والمشرعين المتخصصين في المجالس النيابية، أو ما كان يقابلها من أهل التشريع القانوني، وتعارف عليه الناس قديماً وحديثاً في تنفيذ هذه العقوبة على شخص الفعل المتصف بالديمومة والاستمرار بغرض التكسب أو الانحراف بالمجتمع نحو الرذيلة، وهذه الآية لم تكن وليد بعثة النبي محمد عليه السلام بل هو نص ثابت وموجود منذ بدء المجتمعات الإنسانية الأولى، منذ عهد آدم وزوجه وحتى قيام الساعة، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، (النور: 2).

22-11 الحرابة:

صنفنا هذه الجريمة بوصفها حد الحرابة من قبل فقهاء المذاهب الإسلامية بالتفسير والتأويل الخاطئ للآية القرآنية، وجاءوا بالآية من القرآن الكريم قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، (المائدة: 33). وحصروها بفعل الخروج والتقطع بالسلاح والقوة والغلبة على الناس في الطريق العام من أجل السلب والنهب، وعلى إثر ذلك صنف هذا الفعل كجريمة حدية بتعريفها ودليلها، واعتبرت حداً من حدود الله - سبحانه وتعالى - وهو أمر يخالف القرآن الكريم ويخالف مدلول نص الآية تماماً فالآية واضحة بمقصدها الأساسي وهي تتحدث عن الذين يحاربون الله ورسوله بالسعي في الأرض بالفساد بمفهومه الواسع، وما تسبب هذه الآفة (الفساد) من دمار للمجتمعات والشعوب والأمم، وأهم أنواع الفساد وأخطرها على الناس في كل زمان ومكان هو الفساد الاقتصادي، والفساد السياسي، والفساد العسكري الذي يؤدي إلى انهيار سلطات الدولة وانهيار الاقتصاد ومعيشة الناس والانقلابات العسكرية وما تسبب في إزهاق الأنفس والأبرياء واستحواذ قلة من المنتفعين الانتهازيين على الحكم بالقوة العسكرية المسلحة، وعلى أثر ذلك يستولون على مقدرات الشعوب والأمم، ومعه ينهار العدل والحرية وقيم المساواة، وتتعدم المشاركة الشورية - الديمقراطية - وينتشر الفساد المالي والإداري،

وهذا من الفساد، وهو من المحاربة لقيم الفضيلة التي أمر الله - سبحانه وتعالى - الناس، أن تستقيم حياتهم على الأرض فقصروا هذه الآية على فعل التقطع وصنفوها بجريمة حدية (حرابة) مفرغين جريمة الفساد من التجريم وهي المعنى الحقيقي بالآية وهو الجرم الأكبر والأشد خطراً، والأكثر فتكاً على العامة من الناس في المجتمعات الإنسانية.

والمعلوم أن التقطع في الطريق العام فعل مُجَرَّم جنائياً ولا شك في ذلك، لكنها لا تصل إلى مرتبة الفساد المجرم والمقصود بنص الآية السابقة، والتي جاءت الآية فيها واضحاً دلالات إرشادية للمشرعين القانونيين في اختيار العقوبة القانونية المناسبة بحيث تكون كفيلة بردها جريمة فعل الفساد والإفساد في الأرض حسب دراسة معنية بطبيعة الفعل وظروفه وملابساته وأحواله، مع الإحاطة أن فناء الأمم والخلائق في الأرض قبل حياة الإنسان كان بسبب الفساد - هذه الآفة المدمرة للحياة العامة، فكان تحديد العقوبة لهذه الجريمة يقوم بحسب طبيعة الجرم الحاصل، وقد تعددت من أجل التوصيف الدقيق بحسب الفعل المجرم بالآية حسب الآتي:

- عقوبة القتل.
- عقوبة الصلب.
- عقوبة قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف.
- عقوبة النفي من الأرض.
- عقوبة الخزي في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب عظيم، وهذا عقاب الآخرة وهو الأقوى حسب الآية لبشاعتها المدمر على الأمم والشعوب، وهي جريمة وليست من الحدود وقابلة للعفو والإصلاح.

12-22 السرقة (حد):

جاء في فقه المذاهب تعريفات متشعبة حول حد السرقة لغة واصطلاحاً، ومن بين ذلك الكم من التعريفات والمصطلحات صنفت السرقة كجريمة حدية، على اعتبار أنها حدٌ من حدود الله تعالى، وهذا التصنيف مخالف للقرآن الكريم، فالسرقة جريمة بتعريفها البسيط إذ هي أخذ مال الغير بغير رضا وخفية أو بالقوة والغلبة، وتعتبر السرقة أعلى فعل مجرم في سلم إدارة وحفظ الأموال وحيازتها المتعدد في الحياة بمختلف الأعمال التجارية المرتبطة بها، وعندما وصف القرآن الكريم هذا الفعل بدءاً بذكر السارق والسارقة كوصف للفاعل المجرم، وعندما يصف القرآن الكريم شيئاً لفعل أو عمل أو حدث فإن هذا الوصف يكون مستغرقاً للشيء الموصوف به، فيشمله من جميع جوانبه، وأقرب تعريف لجريمة السرقة هو وصف الفعل من شخص ذكر أو كان أو أنثى جعل من السرقة مهنة يحترفها للكسب المادي أو للكسب المعنوي بقصد الإثراء غير المشروع، فأصبح يشكل بأفعاله ضرراً جسيماً على الغير وعلى المجتمع، وأصبح آفة في المجتمع يجب وضع حد لمعالجته وتقويم سلوكه الإجرامي، فكانت هذه العقوبة، حسب نص هذه الآية وهي بتقديري أعلى مرحلة من مراحل العقاب، والتي يتوجب التحري في تطبيقها من حيث توصيف فعل الفاعل، ووصفه بالديمومة والاستمرار والماضي الإجرامي للفاعل (السجل الإجرامي)، وهو مبدأ عام في كل الجرائم، أضف إلى أن العفو والإصلاح هو

أحد السبيل لتقويم هذا السلوك المعوج الذي يكتسب نتيجة الظروف التي قد يمر بها الإنسان بسبب الفاقة والحرمان أو بسبب النزعة الإجرامية في الاستحواذ على ملك الغير، كل هذه مجتمعة إذا ما وجدت برامج ترغب الشخص المذنب في التوبة وإصلاح نفسه فالعفو والمغفرة مقدمة على تطبيق العقوبة، حسب ما ورد بالآية: قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ، فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، (المائدة: 38، 39).

وما ذهبت إليه جماعة التحريف في تصنيف هذه الجريمة بالجريمة الحدية، ونفذت فيها عقوبة القطع بوتر اليد من الرسغ، أو من المرفق، تطبيقاً للفظ (فاقطعوا)، حسب مشروعية من أحاديث العننة والقلقة على فعل السرقة، ووضعوا مقداراً محدداً من المال المتقوم يكون سبباً لإقامة حد السرقة وهو خمسة دنانير، أو على نحو من ذلك، فذلك يعد خطأ جسيماً بل جريمة مستقلة أبشع من الجريمة ذاتها، ومن المؤسف له أن بعض القوانين الجنائية العربية والإسلامية تتضمن وجود هذا العقاب في قوانينها الجنائية، وهي فضيحة في التشريع العقابي ومخالفة لحقوق الإنسان، وما زالت قائمة حتى يومنا هذا، ولذلك كان من الواجب قبل الدخول في شرح وبيان هذه الجريمة طرح عدد من الأسئلة:

هل يقصد بالقطع معنى البتر في عموم وخصوص الآية؟

وهل يستقيم الحال في تطبيق عقوبة البتر مع الحث على العفو؟

وهل من مقاصد الدين أن تعالج الجريمة بجريمة أكبر منها؟

وللإجابة على تلك الأسئلة تعالوا إلى توضيح وتعريف لفظ (فاقطعوا) من بعض آيات الذكر الحكيم وما يقصد بالقطع حسب موقعه من الجملة إذ يعنى بالقطع هنا المنع أو الحبس وليس البتر حسب ما جاء بالآية: قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾، (آل عمران: 127)، ونص آخر قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَقُطِعَ دَايِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، (الأنعام: 45)، ونص آخر قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى - ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا...﴾، (الأعراف: 160)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ...﴾، (الأعراف: 168)، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ...﴾، (الرعد: 25).

ثم جاء القرآن الحكيم ليعرفنا بجريمة السرقة وعقوبتها وبشرح مسهب من جميع جوانب الجريمة المتمثلة بالجريمة والقصد الجنائي والسجل الجنائي للمتهم وحقوق المتهم بالدفاع عن نفسه ووجود نص التجريم ونص لتحديد العقوبة وملاءمة تطبيق النص العقابي على الفعل المجرم وأركان الجريمة ولنترك آيات الذكر الحكيم من سورة يوسف تصف لنا جريمة السرقة بصورة درامية شيقة من خلال هذا المشهد القصصي البديع وبنصوص من القرآن المبين قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئْسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذْنُ مُؤْنِنٌ أَيَّتْهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ، قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ، قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلٌ بَعِيرٍ

وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ، قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ، قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ، قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ، فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبَيِّدْهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَاتًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٨﴾ (يوسف: 69، 70، 71، 72، 73، 74، 75، 76، 77).

ومن هذه الآيات التي توضح لنا الجريمة وصحيفة الاتهام ودليل الاتهام والعقوبة من خلال ما ترجم من سورة يوسف وقصته مع إخوته، ولمزيد من المشاهد القريبة فقد بينت الآيات السابقة توصيف دقيق لجريمة السرقة وتحديد المتهم وقائمة أدلة الإثبات، ثم جاء دور إثبات الجريمة بتقديم دليل مادي أداة الجريمة، وهو صواع، (الملك: السقاية)، ثم بين حق المتهم بالدفاع عن نفسه، ثم جاء آخر مشهد من القصة بإيضاح السوابق الإجرامية لأفعال المتهم، ومع تعاضد الأدلة وصحيفة الاتهام وما ورد فيها من أدلة، ثبتت الأدانة للمتهم فأستحق المتهم العقوبة المناسبة، فكانت أخذه في دين ودولة الملك، وليس بتر يد المتهم وفصل جزء من يده عن الآخر.

ومن هنا فما المقصود من تلك العقوبة التي ورد ذكرها بنص القرآن لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ؟ فكل الاحتمالات من أن تكون العقوبة الحبس أو التحفظ عليه واردة، لا أن نقول أن العقوبة كانت بتر اليد من الرسغ أو من الأصبع فهذا غير وارد في الآية نهائياً، واختتمت القصة بنهاية مشوقة جميلة تترك أثراً طيباً رائعاً لأحوال إخوة يوسف، وذلك بتبرئتهم من التهمة المنسوبة إليهم، وأن تهمة السرقة كانت مكيدة بقصد قطع أو حبس أخيه في دين ودولة الملك، ولو كانت هذه المكيدة المدبرة مسبقاً ستؤدي إلى بتر أو جرح أخ يوسف لما خاطر سيدنا يوسف عليه السلام بأخيه، وهو ما ينفي ضمناً وصراحة عن توصيف هذه العقوبة بالبتر التي دستها جماعة التحريف من الفكر الديني القديم إلى فكر وفقه المذاهب الإسلامية وبهذه البشاعة.

كما جاء تعريف آخر للقطع بمعنى الجرح وليس البتر حسب موقع اللفظ في الجملة حسب هذه الآية قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾، (يوسف: 31). فمن غير المعقول أن تبتر النسوة أيديهن بسبب الدهشة والانبهار لجمال شاب، فالأمر أدنى لا يتعد القطع (الجرح) البسيط المحفز للتنبيه، خلافاً لما دسته جماعة التحريف بتعريف القطع بمعنى بتر اليد من الرسغ أو المفصل أو على نحو من ذلك وبصورة بشعة.

وزيادة في فهم (فقه) وتوضيح المصطلحات القرآنية فقد ذكرت كلمة (قد) أو (قدت) حسب قوله تعالى قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، (يوسف: 25)،

واللفظ (قد) أو(قَدَت) بمعنى شقت القميص أو الثوب ومن خلال المقاربة والمقابلة لألفاظ القرآن التي تؤدي حتماً إلى الفهم الصحيح وهذا من رحمة الله وإعجاز واضح ويسير الفقه والإدكار يحسب لبيان القرآن المبين والمفصل، وبهذا اللفظ وما يحوى من البلاغة التصويرية في تخصيص كل لفظ لوظيفة خاصة به، إلا أن جماعة التحريف خلطت الألفاظ والمصطلحات اللغوية، وأوجدت المترادفات في نصوص القرآن، وذهبوا إلى أخطر من ذلك في تحريف معاني الألفاظ في معاجم اللغة العربية، بقصد تحريف المحتوى وإفراغه من مضمونه، وعملوا على تحريف وظائف الآيات وأخرجوها عن مسارها الحقيقي كما في القطع بمعنى البتر في عقوبة جريمة السرقة وهي ليست كذلك حسب ما أوضحناه، وإصاق هذه العقوبة البشعة على الإسلام، من خلال ما دسوا من أحاديث وتفسير، قصد بها ليّ عنق الحقيقة عن سماحة الإسلام كدين أنزل للناس أجمعين، إنه هذا الدين الذي خط شرائعه وأحكامه ومناسكه سيدنا إبراهيم عليه السلام ومن قبله ومن بعده جميع الأنبياء والرسل، وبوحي من الله سبحانه وتعالى، فكان وما يزال نصاً ثابتاً خالداً على مسيرة حياة الإنسان.

التعريف والمشروعية: لقد كان القتل أول جريمة تقع في الأرض قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْإِنسَانِ إِنَّكَ كَرِيمٌ فَتَقَبَّلْهُ﴾ المائدة (27)، لذلك عرف القتل بأنه إزهاق نفس حي الإنسان معصوم الدم وفصلها عن جسده بأي فعل من الأفعال المادية أو المعنوية، ويفضي بهذه الأفعال إلى الموت، وعقوبة هذه الجريمة القصاص النفس بالنفس إعداماً أو تعزيراً، وجعل لولي الدم سلطاناً ولم يبين من هو ولي الدم وماهي سلطته في حقوق الدماء، إذ إن الأمر ترك كقاعدة عامة للناس وللمشرعين في تحديد الولاية في الدماء وحدود سلطة الوالي، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَاناً فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً﴾، (الإسراء: 33).

- د. قصد بالولاية الخاصة من أقرباء المجني عليه ويحدد بتشريع (قانون).
- هـ. قصد بالولاية العامة - الدولة ممثلة بالنيابة العامة عن المجتمع وتحدد بتشريع (قانون).

وحق الولاية تنقسم بين الحق المدني الخاص ويقصد بهم أولياء الدم، والولاية العامة - الحق العمومي - وتحدد حسب القانون الجنائي، فقد بين المولى - سبحانه وتعالى - حرية المطالبة من ولي الدم بحق القصاص، أو حقه بالعفو وهذا الحق حسب رأي كثير من فقهاء القانون الجنائي موزع بين الحق الخاص لأولياء الدم وحق عام للسلطة العامة في الدولة، وهو حق مماثل للحق الخاص وهو ما يسمى بالحق العام كون الجريمة أحدثت فزعاً في السكينة العامة لحياة الناس، فبقدر الضرر الشخصي يكون الضرر العام، والذي قد يصل إلى عقوبة الإعدام تعزيراً وفقاً للتنظيم القانوني لكل دولة على حدة، حتى وأن عفا ولي الدم بالحق الخاص.

14-22 القتل الخطأ:

حدد القرآن الكريم عقوبة القتل الخطأ تحديداً واضحاً، فإذا ثبت القتل الخطأ فإن هذه الآية برأي هو بمثابة قواعد للمشرعين وهم المعنيون في قراءة وفلسفة مدلول الآية على نحو يفضي لإقامة العدل بين الناس في مثل هذه الجرائم بما يتلاءم بتنفيذ العقوبة مع وقوع الخطأ وانتفاء المسؤولية التقصيرية وظروف الفاعل في الزمان والمكان، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾، (النساء: 9). وقد ذكرت هذه الآيات عدداً من العقوبات نذكر منها في الآتي:

- تحرير رقبة مؤمنة دون تمييز لهذه الرقبة في الجنس واللون.
- دية مسلمة لأهله من الإناث من دون الذكور، ولأن لفظ الأهل في القرآن أطلق على النساء فقط.
- تحرير رقبة مؤمنة في ظروف العداوة.
- دية مسلمة لأهله من الإناث من دون الذكور، ولأن لفظ الأهل في القرآن أطلق على النساء فقط.
- تحرير رقبة مؤمنة مع وجود ميثاق.
- صيام شهرين متتابعين، إذا لم يقدر على دفع الدية، أو لم يقدر على تحرير الرقبة، مع تقديم العفو والتصدق من أولياء الدم، وهو السمة البارزة في كل الحالات السابقة.

22-15 قتل الأولاد (الأصل لفرعه) والعكس:

نهى الله - سبحانه وتعالى - في القرآن الكريم عن قتل الأولاد في كثير من آيات الذكر الحكيم، ولذلك فإن القاعدة الأساسية في القصاص تبقى، كما هي النفس بالنفس حتى مع قتل الآباء لأولادهم أو العكس، وفي هذه الحالة هناك من سيتساءل عن حق الولاية على الدم للفرع القاتل، من أن وليه في المطالبة بدمه هو قاتله وبذلك يسقط حق المطالبة بالدم، وهذا خطأ جسيم وقع فيه فهم الكثيرين ودُست فيه أحاديث العنينة فنص الآية جعلت لولي الدم سلطاناً، ولم تحدد من هو الولي؟ فقد يكون قريباً للمقتول وقد تكون السلطة العامة، في الدولة ولذلك ترك تحديده لسلطة الناس في تحديد ذلك حسب تشريع من قانون، وكما في القاعدة القانونية القضائية (القتل مانع للإرث) بين الفرع والأصل على حد سواء، وبذلك تكون هذه القاعدة أيضاً مانعة من حق الولاية في المطالبة بالدم، وتكون في هذه الحالة قاعدة جديدة مفادها (قتل الأصل للفرع - مانع لسلطان الولاية) ففعل الجرم مانع لحق سلطة الولاية، ونص القرآن يؤكد على هذا المبدأ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا لَقَدْ نَزَّلْنَاهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَ خَطِئًا كَبِيرًا﴾، (الإسراء: 31)، وَقَالَ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾، (الأنعام: 140)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ، بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾، (التكوير: 8)، (9).

22-16 فاحشة النساء (السحاق):

أوضح القرآن الكريم عقوبة فاحشة النساء، ويقصد بها السحاق وهي معاشرة المرأة للمرأة بقصد الشهوة ويقصد بها المثلية الجنسية بين الإناث، كما هي بين الذكور حسب الآية قَالَ اللَّهُ سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاَسْتَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾، (النساء: 15).

فكانت العقوبة الحبس في البيوت من أجل الحفاظ على سمعة ومكانة المرأة في المجتمع، ولما لهذه العقوبة من قوة تأثير نفسي في التربية والمحافظة على استقرار الأسرة في المجتمع ومن كون المرأة عمود قوام المجتمع، وهذه العقوبة غير محددة بل جعلت كقاعدة يستلهم منها المشرعون لإدراجها ضمن تشريعات قانون الأسرة، الهدف من تطبيقها تقويم السلوك المنحرف ومعالجته من جميع النواحي النفسية والبيولوجية وغيرها.

22-17 المثليين جنسياً:

أوضح القرآن الكريم وهو يتحدث عن الذين يأتیانها منكم ويقصد الرجال فحددت العقوبة بالأذية لهما، وهي عقوبة تعزيرية معنوية غير محددة بفعل مادي حسب ما سبق الإشارة إليه، وإنما وضعت كقاعدة لاجتهاد المشرعين من أجل صياغة تشريع / قانون/ يعالج هذا الفعل في

كل مجتمع في الزمان والمكان، بخلاف النهج الذي انتهجته جماعة التحريف في العقائد القديمة والمذاهب بتوقيع عقوبة القتل أو الرمي من شاهق كعقوبة لهذا الفعل وصنفت هذه الجريمة من جرائم الحدود مخالفين كلام الله سبحانه في القرآن الكريم.

قَالَ - سبحانه وتعالى ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ فَأُذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾ إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّاباً رَحِيماً، (النساء: 16)، والآية واضح قصد منه المعالج الموضوعية لهذا الفعل الشاذ عن القاعدة العامة والمنحرف عن سلوك المجتمع السوي خاصة وقد صنف هذا الفعل بالفاحشة قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَوْ طَأَّ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ الأعراف (80).

18-22 العقوبات بين حكم الله وحكم فقهاء المذاهب الإسلامية وتوراة اليهود:

ذكر القرآن الكريم الكثير من الأوامر كما ذكر الكثير من النواهي، ولم يحدد لها عقوبات وترك للناس في كل زمان ومكان حرية التشريع وسن القوانين على قاعدة من العرف والأعراف حسب تطور المعرفة الإنسانية في المجتمعات، وتتويجاً للعرف والأعراف تأسست اليوم السلطة التشريعية عبر المجالس النيابية والبرلمانات ومجالس الشورى والشيوخ والجمعيات الوطنية وغيرها، ولذلك جاءت فطرة الله سبحانه في العرف كامتداد متصل بحضارات الشعوب والأمم على مر التاريخ الإنساني، كحضارة مصر وبابل واثينا وروما وسبأ والساسانيين والاندكاه والهند والصين وغيرهم، فخلد التاريخ عظماء صنعوا للإنسانية شعاعاً من نور الحكمة في تنظيم مسيرة الحياة ابتداءً بما خطته يد الإنسان على نقوش الآثار المصرية من قوانين الحساب والهندسة، ثم ما دون من حرف ونص قانوني بمسلة حمورابي وصولاً لملك روما العظيم / جوستينيان فدون أعظم إنجاز في شكل ومضمون القانون الذي ما يزال إرثاً قائماً خالداً في خدمة جميع الناس حتى يومنا هذا، وسيستمر إلى ما شاء الله سبحانه فاستحقوا أن يخلد القرآن الكريم ذكرى روما تخليداً لهذا الإنجاز الحضاري العظيم وغيره من الإسهامات العلمية في مجالات المعرفة فاستحقوا النصر واستحقوا وصفهم بالمؤمنين من قبل الله سبحانه وتعالى.

ومما لا شك فيه أن جماعة التحريف كانت وما زالت تتربص وتقعّد بطريق الناس المستقيم، فتلبسوا ثوب إبليس ليعضوا الناس بالفضيلة، وهم يصنعون الزيف والضلال، والتحريف، فقد أوغلت هذه الجماعة القول على الله سبحانه، وشرعنت عقوبات بشعة بحق الإنسان فوصما التوراة والإنجيل والقرآن بالإرهاب والأصولية اليمينية المتطرفة بغرض دفع الناس إلى الإلحاد، فوسعت دائرة الحرام وأطلقت سلسلة من العقوبات في الفكر الديني القديم ونقلت ذلك لفقه المذاهب الإسلامية، وعلى سبيل المثال نأتي بالجدول للمقابلة ببعض الجزاءات والعقوبات حسب الآتي:

**جدول للمقارنة بين بعض العقوبات، حسب نص من كلام الله ونص من فقه المذاهب
ونص من فقه توراة العبرانيين:**

م	العمل/ الفعل	حكم الله في القرآن الكريم	حكم فقه المذاهب/ وتوراة اليهود
1	الردة عن دين الإسلام	حرية الاعتقاد - ولا عقوبة	القتل حداً - الإعدام وكذلك نفس الحكم بتوراة العبرانيين
2	قتل الفرع من قبل أصله (الأب - الأم)	يعامل على قاعدة النفس بالنفس	يعفى من العقوبة، وفق حديث وكذلك ورد بتوراة العبرانيين
3	قتل المسلم غير المسلم	يعامل على قاعدة النفس بالنفس	يعفى من العقوبة، وفق حديث وكذلك ورد بتوراة العبرانيين
4	قتل المسلم الحر للعبد	يعامل على قاعدة النفس بالنفس	يعفى من العقوبة، وفق حديث وكذلك ورد بتوراة العبرانيين
55	قتل المنتهك حرمة المسكن	يعامل على قاعدة النفس بالنفس	يعفى من العقوبة، وفق حديث وكذلك ورد بتوراة العبرانيين
6	الزنا من رجل متزوج أو امرأة	يجلد مئة جلدة بحضور جماعة من الناس	الرجم بالحجارة حتى الموت وكذلك نفس الحكم ورد بتوراة العبرانيين
7	الزنا من غير متزوج	يجلد مئة جلدة بحضور جماعة من الناس	يجلد حداً مئة جلدة ويغرب عن بلده
8	وطء الذكر لذكر آخر	ترك تحديد العقوبة للقانون	الإعدام حداً - يلقي من جبل شاهق وكذلك ورد بتوراة العبرانيين
9	سحاق المرأة لأخرى	الحبس في البيوت للتأديب والمعالجة	الجلد حداً وتعزيراً - وكذلك ورد بتوراة العبرانيين
10	الحرابة بمعنى التقطع بالطريق العام	تعني الفساد بالمفهوم الواسع وفيه العفو مقدم	الإعدام والصلب حداً - وكذلك ورد بتوراة العبرانيين
11	السرقه كمهنة واحتراف	القطع بمعنى الحبس أو المنع وفقاً نص من قانون يشرع لذلك يستمد مشروعيته من نص القرآن	القطع بمعنى بتر اليد من الرسغ أو المفصل لمجرد الفعل البسيط وكذلك نفس الحكم بتوراة العبرانيين

الفصل الثالث والعشرون

فقه الحياة في السماء

مدخل:

قبل الولوج إلى هذا العنوان: علينا أن نطرح عدداً من الأسئلة الهامة حول العيش خارج الأرض، هل يستطيع الإنسان العيش في السماء؟ أو العيش في الكواكب والأقمار؟ أو العيش في النجوم والمجرات؟ أو العيش في كواكب ومجرات صالحة للحياة في الفضاء الفسيح وغيرها من الأماكن خارج الأرض؟ وكم من الوقت يستطيع الإنسان العيش في الفضاء؟ وهناك تساؤلات أخرى كثيرة حول هذا الموضوع في المستقبل.

وللإجابة على هذه الأسئلة وغيرها فأنا مدعوون للعودة لعدة خلق الإنسان والتي تستند إلى فعل الكينونة والسببية ومشئنة الخالق الذي جعل الإنسان خليفة لخلق آخر كان سابقاً لوجود الإنسان على الأرض قَالَ جَلَّ فِي غَلَاة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾، (البقرة: 30)، فكان خلقه وتكوينه من مادة الأرض وفيها يعاد أي يتحلل جسم الإنسان ويعود إلى أصله المادي من بعد خروج النفس من الجسد، ومنها يخرج مرة أخرى حسب الإرادة والمشئنة وفعل السببية، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاة: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾، (طه: 55). وبهذه المعادلة أعتبر الإنسان كائناً أرضياً يخضع لعدد من العوامل الطبيعية في تركيب جسمه وظروف عيشه والمناخ المحيط به، ويخضع كذلك لما يعرف بالقوانين الأرضية مثل القوانين الفيزيائية وقانون الجاذبية ويتأثر بحركة الشمس والقمر والكواكب والنجوم وغيرها من العوامل الطبيعية، للقيام بفروض حياته الطبيعية بالإضافة للقيام بحقوقه وواجباته وأداء مناسكه وشعائره المتعددة في اليوم والليلة وهو مناط بأمر التكليف للقيام بتلك التكليف والحقوق والواجبات على اعتبار أن الإنسان مخلوق أرضي بامتياز، حتى مع القول أن الأرض والسماء وما فيها من كواكب وأقمار ونجوم بل ومجرات من أصل مادة واحدة.

وعلى أثر ذلك يجب علينا التوقف كثيراً أمام تعريف الأرض والسماء في آيات القرآن العظيم، فنجد أن القرآن يحدثنا عن السماء المتعددة ليعرفنا بالأرض، فيذكر سما الأرض، وسماء الحياة الدنيا، وسبع سموات طبقا، بمعنى أدق أن لكل سما أرض، وبالمقابل لكل أرض سما، وهكذا، إذاً فكل الكواكب والأقمار والنجوم والمجرات لها أسطح من الأرض الخاص بها، يقابل ذلك أن لكل أسطح أرض من تلك الكواكب والأقمار والنجوم والمجرات سموات خاصة بكل منها على حداً، وهكذا وهو ما يطلق عليه بالغلاف الجوي، ونحن معنيين بالعلم والأدراك بتلك الآيات نحو التطلع بالبحث والمعرفة العلمية بخطاب القرآن، خاصة وهو يحدثنا مثلاً عن الرزق في السماء: قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (الذاريات 22)، ثم يتبع هذه الآية بقسم التوكيد قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاة: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلَ مَا

أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ﴾ الذاريات (23) ، هذه الآيات وغيرها من القرآن العظيم تحدثنا صراحةً وضمناً بصغية الأفعال المستقبلية للإنسان حول علاقته بالسماء ،ومن بديع وإعجاز القرآن أنه يعتبر ذلك الحديث والفعل من الماضي لسبق علمه بالحدث والعلم به ، وهو ما يؤكد صدق التنبأت بالقول بأن الإنسان أصبح يسكن الفضاء لأشهر بل لسنوات والمؤمل عليه في المستقبل أن يغزو الكواكب والنجوم ويجعل منها مستوطنات بشرية ويبني فيها المراصد والمحطات ويقيم فيها المستعمرات الزراعية والصناعية ويستخرج منها المعادن الثمينة وغيرها،ومن المحتمل أن يسافر الإنسان بين المجرات فذلك حدثٌ عظيم خاصةً أن هناك مؤشرات حقيقة في تنبأ آيات القرآن تؤكد على فعل هذا الحدث الذي كان من الماضي وتعتبره مقدمة لعلم المستقبل في نقل المادة بسرعة الضوء : قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ...﴾ النمل (40)، وهذا الحقيقة من حدث نقل المادة بسرعة الضوء تحفز الإنسان نحو التطلع لمزيد من البحث العلمي في تحقيق هذا الحدث في المستقبل وقد أصبحت هذه الفكرة محل بحث أمام شعبة أبحاث الجامعات ،وكذلك لدى وكالات الفضاء بمختلف الدول ووكالات الفضاء الدولي.

23-1 مخاطر العيش في الفضاء على جسم الإنسان:

منذ أن بدأ الإنسان استكشاف الفضاء - السماء مطلع القرن الماضي، استطاع التعمق في دراسة وتسخير مجموعة من الآليات والمعدات لهذا الغرض،

يعتبر مصادر التمويل المالي، أحد الأسباب التي تواجه مسعى الإنسان لاستكشاف الفضاء - السماء، ومن بين الخطوات الأساسية للتغلب على هذا التحدي محاولة فهم آثار وتأثير السفر إلى الفضاء لفترة طويلة على جسم الإنسان، وأن العديد من الظروف البيئية التي يعيشها الإنسان خلال رحلات الفضاء تختلف تماماً عن الظروف التي يعيشها الإنسان على الأرض، والحماية من التأثيرات الخارجية الضارة مثل الإشعاعات والنيازك الدقيقة وغيرها.

ومن أهم العوامل التي تؤثر على سلامة الإنسان المادية في الفضاء هي حالة انعدام الوزن، والتي تعرف بصورة أكثر دقة على أنها بيئة الجاذبية المتناهية الصغر، كما أن الحياة في بيئة مثل هذه تؤثر على الجسم فتعمل على فقدان الحس العميق، والتغيرات في توزيع السوائل، وتدهور الجهاز العضلي الهيكلي، ويبقى الجانب المهم وهو اكتشاف كيف يمكن للناس البقاء على قيد الحياة في الظروف القاسية في الفضاء، ومدى سرعة إعادة تكيفهم مع بيئة الأرض بعد العودة من الفضاء، وكما هو معلوم أن بيئة الفضاء قاتلة من دون حماية مناسبة وإن أكبر تهديد في فراغ الفضاء سببه نقص الأكسجين والضغط، بالإضافة إلى أن انخفاض درجة الحرارة والإشعاع يمثلان مخاطر إضافية، كما أن وظائف الأعضاء البشرية مهيأة للحياة ضمن الغلاف الجوي للأرض، ويلزم وجود كمية معينة من الأكسجين في الهواء الذي نتنفسه، وعند مستوى أقل من ذلك يصبح رائد الفضاء معرضاً لخطر التركيز الجزئي أو الضغط الجزئي بسبب نقص الأكسجين الذي لا يمكن تحمله وهو ما يؤدي إلى فقدان الوعي

والموت في فراغ الفضاء، ومع ذلك، قد تتسبب الإشعاعات الشمسية ، لاسيّما الأشعة فوق البنفسجية في الإصابة بحروق شمسية شديدة.

وحول إشعاع دون حماية من الغلاف الجوي والغلاف المغناطيسي للأرض كما يتعرض رواد الفضاء إلى مستويات عالية من الإشعاع، وتضرر المستويات العالية من الإشعاع بالخلايا للمفاوية، وهي الخلايا التي تشترك بصورة كبيرة في الحفاظ على الجهاز المناعي، ويساهم هذا الضرر في انخفاض المناعة الذي يتعرض له رواد الفضاء، ما يعرضهم للإصابة بمختلف الأمراض التي تؤدي غالباً للوفاة.

تلك هي نبذة مختصرة عن مدى خطورة حياة الإنسان خارج الأرض وما زالت الأبحاث العلمية في تقدم مستمر لتسهيل حياة وعيش الإنسان في الكواكب والأقمار وسياتي اليوم الذي يصل فيه الإنسان للاستقرار وبناء المستعمرات الضخمة في الفضاء والتنقل بين الكواكب والأقمار والمجرات الشاسعة حسب ما ذكرنا سابقاً ، وهذا ما أرجحه فهل نظم القرآن أو أشار لحياة الإنسان على الكواكب والنجوم مثلما هو على الأرض؟

وللإجابة على هذه الأسئلة يتطلب البحث والإلمام بالكثير حول الآيات التي تتحدث عن الفضاء، وفي الوقت نفسه يجب علينا أن لا نغفل عن تأكيد الحقائق التي تنبئ إليها القرآن بصيغة الماضي لمحاكاة المستقبل بما فيها حول واقع اكتشاف السماء وما فيها من نواحي عدة، وهو ما سوف أحاول الإشارة إليه بصورة مقتضبة، تاركاً للأيام القادمة، وما سيقدمه الإنسان من مفاجآت حول مزيد من البحث والاطلاع لإثراء هذا العنوان بصورة مفصلة، وهو ما نتوقعه من إنسان الغد، ومن هذا العنوان نأتي على بعض الآيات التي تحمل تنبأت بدلائل قوية يصح أن تكون عناوين لقواعد علمية بالعلم بالفضاء - السماء واكتشافه والعيش فيه وقد سبق ذكرها في عنوان مستقل في أول هذا الجزء ونعيده هنا للاستدلال ولمزيد من التذكير بالآتي:

2-23 آيات تتحدث عن عظمة خلق السماء وتمدده:

- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿الْخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، (غافر: 57).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾، (البروج: 1).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾، (الشمس: 5).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا، رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا﴾، (النازعات: 27، 28).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالسَّمَاءِ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾، (الرحمن: 7).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾، (الحجر: 16).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾، (الفرقان: 61).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾، (النازعات: 27).

- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالسَّمَاءَ وَالطَّارِقَ﴾، (الطارق: 1).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾، (الذاريات: 7).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾، (فصلت: 11).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنًا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾، (فصلت: 12).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾، (الذاريات: 47).

23-3 تسخير السماء وما فيها لمنفعة الإنسان:

وفيهما إشارة واضحة وصريحة لحث الإنسان للتطلع نحو غزو هذه الكواكب والنجوم والأقمار لكشف أغوارها والتطلع إلى ما فيها من المنافع، حسب ما يفهم من هذه الآيات التي تتكلم عن تسخير هذه المخلوقات الضخمة التي نسردها بعض منها بالآتي:

- هذه الآية تحت على الولوج إلى السماء بسلطان المعرفة والعلم: قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾، (الرحمن: 33).
- وهذه الآية تبين أن للسماء أبواب محددة يكون الولوج منها: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾، (النبا: 19).
- وهذه النصوص من الآيات تتحدث عن تسخير هذه المخلوقات قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، (الأعراف: 54).
- وَقَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، (النحل: 12).
- وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾، (لقمان: 20).
- وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، (الجاثية: 13).

ذلك أنه لا يجوز التوقف عند التعريف على لفظ التسخير كمفهوم عابر، أو فق ما جاء بفكر المذاهب وأحاديث العنونة والقلقلة، بل علينا الذهاب إلى أبعد من ذلك بكثير، وهو الرحلة بالأبحاث العلمية بين الكواكب والنجوم، والمجرات والتعمق في التقدم العلمي والتقني في هذا المجال، ولن يكون ذلك إلا بالاهتمام بسلطان العلم والبحث العلمي عبر إنشاء وتمويل مراكز أبحاث الفضاء، وهو ما تفعله وكالات الفضاء الوطنية والدولية المختلفة في العالم، مع العلم أن

هناك سباقاً محموماً في مجال غزو الفضاء من قبل الدول والشركات في عصرنا الحاضر، وبهذا الحدث الضخم سوف يشهد العالم خلال القرون القادمة اكتشاف قوانين جديدة في حياة الإنسان، كما سيشهد ثورة هائلة في التطلع لغزو الفضاء واستعمارها على نحو مذهل، خاصة وقد بدأ الإنسان بوضع قواعد العلم والعمل لتحقيق هذا المسار، فكان للعالمين الجليلين ألبرت أينشتاين وستيفن هوجن سبق كتابة الأحرف الأولى لعلم الفيزياء الكونية، بالإضافة لكوكبة من العلماء حول العالم في سباق محموم نحو غزوا الفضاء.

23-4 آيات تتحدث عن وجود حياة في السّماء:

يسعى العلماء لإيجاد دليل مادي على وجود حياة في الكواكب والنجوم والمجرات في السماء، بل وفي الكون الشاسع، وهو جهد علمي كبير ومتسارع بفضل البحوث العلمية، وفي هذا الموضوع سوف أحاول أيجاد دليل نظري، أو تنبؤ من القرآن على صحة وجود حياة خارج الأرض، من خلال كلام الله سبحانه وتعالى، مع إيماني أن العمل الذي يسعى إليه الإنسان عبر وكالات الفضاء الدولية، ومراكز بحوث الفضاء في الجامعات وغيرها من وحدات الأبحاث العلمية بمختلف دول العالم يُعد ثمرة جيدة على منهج العلم والمعرفة الحقيقية بالله وآياته سبحانه في السماء، ومن نص الآية التالية نتكشف دلالة واضحة المعنى بحقيقة وجود حياة في موقع ما من السّماء، أو في كوكب يتماثل بكوكب الأرض خارج المجموعة الشمسية أو قريب منها، وفي هذه الكوكب حياة مماثلة بحياة الأرض بل ويفوقها كثيراً نذكر ذلك بفقّه إنزال المائدة من الطعام من السّماء إلى مكان آخر معلوم في الأرض، كما حصل في حوار سيدنا عيسى عليه السلام مع الحواريين، حسب ما جاء بهذه الآية من القرآن العظيم، قَالَ سُبْحَانَهُ: **إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْنَا مِنَ الشَّاهِدِينَ، قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ، قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ،** (المائدة: 112، 113، 114، 115).

والحقيقة التي تنطق بها هذه الآيات أن الله سبحانه أنزل مائدة من السّماء، وفقاً لفعل المشية والسببية، وهو ما يفقه من لب هذا الحوار القرآني البديع، واستخدام لفظ (يُنْزَلُ) و(أَنْزَلَ) و(مُنْزَلُهَا)، بحسب موقع اللفظ في الجملة قصد منه المعرفة بالكيفية، أي فعل السببية حول أنزال الشيء المادي من الأعلى إلى الأسفل، أو من مكان لآخر، وهو لب القصيد من نص الحوار بين سيدنا عيسى عليه السلام وبين الحواريين من ناحية، ثم مطالبة عيسى عليه السلام من الله سبحانه تحقيق ذلك الطلب الذي يدور حوله الحوار، والحقيقة أن إنزال المائدة كان بفعل مادي حقيقي ظهر ذلك من وصف التعامل مع تلك المائدة بالأكل منها من قبل الحواريين، وذكر مناسبة إنزالها من كونها (عيد)، وفي مثل هذه المناسبات لا بد أن تكون المائدة تحوي على أصناف متنوعة من أنواع الطعام، ولتقريب المشهد حول محتوى المائدة

التي نتوقع أن تكون من جميع أنواع اللحوم والخضروات والفواكه، وجميع أنواع المشروبات والمهم هو إنزال هذه المائدة بفعل المشية والسببية، وهو فعل مادي من مكان ما في السماء إلى مكان معلوم في الأرض والأكل منها، وهو ما يفقه من الآية وتدلل على أن الأكل منها وتقبل جسم الإنسان لأصناف هذه المائدة المنزلة من خارج الأرض لدليل قوي وواضح على وجود حياة في كوكب ما في السماء صالح لحياة الإنسان فيه، وهو ما يؤكد على وجود مكان بمواصفات الأرض وجدت فيها حياة وتعيش فيه من الكائنات الحية من الدواب والأنعام والطيور والعشب والأشجار والفواكه والخضروات، والمواد الأولية التي تتكون منها تلك المائدة والتي تم أنزالها بفعل المشية والإرادة الألهية من ذلك المكان في السماء والتي أرجح أن تكون من كوكب جنة عدن والذي سنتطرق لبعض جوانبها في احد الفصول القادمة، وقد تم أنزلت إلى الأرض، وأكل منها إنسان الأرض - الحواريون وعيسى عليه السلام.

وتأكيداً على ذلك فإنَّ صيغة الطلب كانت واضحة تماماً بالقول عن الاستطاعة بقوله تعالى: **(هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ)** وبهذا الطلب تحقق المعنى الحقيقي للتأكيد بحقيقة إنزال مائدة حقيقة من السماء، وقد يقول قائل أن إنزال هذه المائدة كان كالمن والسلوى الذي أنزل في أيام موسى عليه السلام، وهذا غير صحيح، لأن المن والسلوى لم ينزلا من السماء، وإنما أنزل بفعل ارتباطه بالغمام داخل الغلاف الجوي للأرض، ولم يكن من السماء، وهو ما يفهم من النص، أو قد يكون أنزل من السماء فلا ضير في ذلك، وهو ما يزيد الأمر تأكيداً وإضافة حقيقة لحقيقة أخرى، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَوَهَبْنَا عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُ مَائِدَةً وَآتَيْنَاهُمُ الْغَمَامَ وَآتَيْنَاهُمُ الْمَنِّ وَالسَّلْوَىٰ...)**، **(البقرة: 57)**، وَقَالَ تَعَالَى: **(... وَوَهَبْنَا عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُ مَائِدَةً وَآتَيْنَاهُمُ الْمَنِّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)**، **(الأعراف: 160)**.

كما أن هناك آيات ذات دلالة عن رزق سيدتنا مريم عليها السلام، كان من الواجب ذكرها؛ لكونها بنفس سياق المناسبة، لكنها لا ترق لمستوى الحدث الذي نتحدث عنه في موضوعنا هذا، وقد ذكرته بغرض التقريب بقصد التوضيح، والفقه الأكثر للموضوع قَالَ تَعَالَى: **(...كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)**، **(آل عمران: 37)**، فهذا الرزق المستغرب من زكريا جاء بأمر السببية من أي مكان على الأرض وبفعل تقلب المناخ في الأرض ما بين شمال وجنوب خط الاستواء، أما في حال مائدة عيسى عليه السلام والحواريين فتم أنزلها من السماء وهناك فارق واضح بين اللفظين، وهو ما يؤكد على صحة قراءتنا السابقة حول الحقيقة المادية لإنزال المائدة من خارج كوكب الأرض، علماً أن لفظ الأنزال والتنزيل من السماء جاء متعدد ولأشياء كثيرة مثل أنزال الماء، أنزال الكتاب، وأنزال الحديد، وأنزال الرجز، وأنزال الحجارة من السماء، وغيرها من الأشياء المادية وغير المادية، وهو ما يؤكد على حقيقة وجود حياة في السماء تتشابه مع الحياة على الأرض، وهو عنوان بحوث وجهود العلماء اليوم وغداً، وحتماً سيصلون للعلم بهذا الحدث العظيم من الاكتشاف للمكان خلال القرون القادمة وهو ما أرجحه.

ومن نافلة القول أن نخرج للحديث عن إمكانية الحياة في السماء وفي هذا الكون العظيم والضخم، وما يحوى من مجرات وأكوان ومذنبات هائلة وعوالم شاسعة وعن كيفية التنقل بين هذا المخلوقات العملاقة من قبل الإنسان عبر الطيران من الأرض والنقل الجوي، فالمعلوم أن الإنسان نفذ من أقطار سماء الأرض ووصل إلى بعض الكواكب القريبة، وعلى الرغم من أن هذا الفعل كان شبه مستحيل قبل قرون، وعند الفقه بنص هذه الآية ندرك حقيقة اتصال نص القرآن بقواعد العلم: قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾، (النمل: 40)، ومن خلال هذه الآية ندرك حقيقة ومصادقية ما وصل إليه الإنسان اليوم، بل والأكثر من ذلك فإنني أرجح أن يحقق الإنسان قفزات نوعية في مجال الطيران في السماء، فقد تدرج في سرعة الطيران من السرعة العادية إلى السرعة النفائثة ثم إلى سرعة الصوت، ومن المتوقع أن يصل لسرعة الضوء خلال القرنين القادمين وسوف يخترع آلة تطير من الأرض لتسافر إلى الكواكب والأقمار والمجرات وهو ما سيسهل عليه التنقل في السماء ترجمة لكلام الله سبحانه وتعالى الذي ورد بنص الآية (40) من سورة النمل على لسان الذي عنده علم من الكتاب، والشاهد من نص الآية أن الإنسان سوف يسافر إلى الكواكب والنجوم والمجرات بسلطان المعرفة والعلم، والعلم هو مجموعة من التخصصات العلمية في مجالات عدة منها علوم الفيزياء الكونية وعلوم الهندسة وعلوم النقل والطيران، وعلوم الفضاء، وعلوم البيولوجي، وعلوم الكيمياء، وعلوم التقنيات، والبرمجيات، والاتصالات، وعلوم الفلك، والمراسد، وعلوم الرياضيات وحساب المعادلات، وعلوم كثيرة مرتبطة ببعضها البعض، وما يستجد من قوانين جديدة للحضارة الرقمية القادمة، إذ سيكون الفضاء هو العنوان الأبرز في حياة الشعوب والأمم التي تبحث عن الندرة والتفوق، استجابة لقاعدة ربانية ذكرت في هذه الآية قَالَ تَعَالَى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾، (الذاريات: 22).

23-5 آيات في وصف السَّمَاء الدنيا وما هو أبعد من ذلك:

- قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾، (الصفافات: 6).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ...﴾، (الملك: 5).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيْنَّاها لِلنَّاطِرِينَ﴾، (الحجر: 16).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾، (الأنبياء: 32).

كانت تلك إطلالة هامة إلى معرفة الترابط بين نصوص القرآن والإشارة إلى وجود حياة في السماء والكون البعيد وأن الإنسان سوف يعيش خارج الأرض: فهل كان بقاء الإنسان وعيشه في السماء يتعارض مع التكاليف الدينية؟ وللإجابة على هذا السؤال تعالوا نبدأ بالشعائر والمناسك.

23-6 الصلاة في السماء:

المعلوم أن الصلاة شعيرة ذات أهمية كبيرة، أكد الله سبحانه على أدائها بمواقيت محددة في المكان والزمان على الأرض، من دون عذر أو رخصة، ومثلما تؤدي في الأرض من قيام وركوع وسجود ودعاء وذكر وقراءة ما تيسر من القرآن، واستقبال القبلة في مواقيت محددة، فكيف يتم ذلك خارج الأرض؟؟ أن تأدية الصلاة خارج الأرض تتماثل في تأديتها على الأرض أيضاً، مع توضيح بعض الاختلافات بين وضع الإنسان في أداء الصلاة في الأرض، أو عندما يكون في السماء حسب الآتي:

23-6-1 مواقيت الصلاة:

حددت مواقيت الصلاة بنصوص واضحة، حسب توقيت الزمن على الأرض، وبحسب الساعة الكونية، وهي الشمس لمعرفة طرفي النهار، وبحسب حركة الأرض وتعاقب الليل والنهار وقد تكون أيضاً في الفضاء إذ يتم مشاهدة الشروق والغروب بصورة واضحة ومتكررة في اليوم الواحد، وفي حالة السفر إلى أبعاد شاسعة من الكون، حيث الظلام الدامس، فلا شمس، ولا مواقيت في الكون، فيتم تنظيم أوقات الصلاة خارج الأرض بما يتماثل مع مواقيتها على الأرض من خلال حساب الزمن بمواقيت محددة من الليل والنهار في الأرض، وبما يتوافق مع وجود الإنسان في الحيز المكاني في السماء، دون اعتبار للزمن الكوني.

23-6-2 استقبال القبلة من السماء:

سيكون من الصعب تحديد القبلة نحو المسجد الحرام من خارج الأرض، ألا أنني أرجح التوجه بالصلاة من خارج الأرض إلى الأرض مباشرة، على اعتبار أن الكعبة المسجد الحرام (القبلة) فيها، ويكتفى بمشاهدة الأرض، أما إذا لم تكن الأرض مرئية من السماء فالوضع يختلف، عند إذن نأتي للنص الذي يحاكي هذا المشهد أو قريب منه قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾، (البقرة: 115)، ومدلول نص الآية السابقة واضح، فتجوز الصلاة بالتوجه نحو أي اتجاه من السماء وإلى أي مكان، فقد ثمة وجه الله سبحانه بالتوجه إليه في أداء الصلاة، وعلى الذين يعيشون في الفضاء التأقلم مع الحياة خارج الأرض بحساب الزمن على الأرض، بما يقابله في الفضاء، وتؤدي الصلاة إلى أي اتجاه في الكون دون تحديد حسب الآية السابقة فأينما تولوا فثم وجه الله بالتوجه إليه بالصلاة، وبنفس ترتيبها من قيام وركوع وسجود وذكر ودعاء وقراءة ما تيسر من القرآن الكريم وبمواقيتها المحددة على الأرض.

23-6-3 التيمم للصلاة:

المعلوم أن وجود المياه في الفضاء يكون محدود جداً ولن يستخدم الماء للغسل للصلاة حسب ما هو معتاد فيكون التيمم بالصعيد الطيب ويقصد بالصعيد الطيب هو أي جسم مادي

سواء كان من حجارة الفضاء - أو من الأجسام المعدنية داخل المركبة الفضائية أو داخل المحطات والمستعمرات الفضائية، فلا يقصد من التيمم النظافة بقدر ما يقصد التهيئة لإقامة شعيرة الصلّاة، والآية واضحة حول تحديد التيمم بالصعيد الطيب قَالَ جَلَّ فِي غَلَاه: ﴿... فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوَاً غَفُوراً﴾، (النساء: 43)، والصعيد هو أي جسم مادي أو معدني نظيف، وليس تراباً كما دس من جماعة التحريف.

23-8 الزكاة (الضرائب - والصدقات):

ينظم هذا الاستحقاق في السَّماء في ضوء النشاط الذي يقوم به الإنسان في السماء حسب قوانين الأرض (الأم) إلّا ما استثنى بحسب العرف الجديد والقوانين الجديدة لواقع الحياة الجديدة في السَّماء حسب قاعدة لا ضرر ولا ضرار.

23-9 صيام شهر رمضان:

الصيام شعيرة أرضية خالصة، فإذا وجد أناس انتقلوا للعيش في الفضاء واستقروا فيه لسنوات، فيأخذ فيه حكم المسافرين أو الذين يطبقونه، فهم مخيرين بين فدية من طعام مسكين من أهل الأرض عن كل يوم من أيام الأرض في المكان والزمان لموطن الإنسان على الأرض أو القضاء في أيام أخرى من أيام الأرض عند عودتهم إليها، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿...أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، (البقرة: 184).

23-10 الحج والعمرة:

وهي شعيرة ومناسك أرضية خالصة في المكان والزمان المخصّوص وهي مرة في العمر ولمن استطاع، ولا تؤدي إلّا في الأرض.

أما عن باقي التكاليف من الوصايا والأحكام والشعائر والمناسك وغيرها فيعمل بما جاء به من كلام الله من القرآن الكريم في كل زمان ومكان من الحلال والحرام والمباح والأحكام والشعائر والوصايا والإرشاد نحو الفضيلة والعمل بالعرف والقانون، وما نتج عن الحضارة الإنسانية من أجل الخير للجميع ولما يخدم الإنسان الذي سخر الله سبحانه له ما في السَّماء وما في الأرض، ويبقى هذا الفصل وما ورد فيه من عناوين محل إثراء من أجل زيادة المعرفة بعلم السماء في المستقبل، والله الموفق.

الفصل الرابع والعشرون

دين الله - ودولة الإنسان

مدخل:

قلنا فيما سبق وكررنا أن الله سبحانه خلق الإنسان كخليفة لخلق آخر من الكائنات الحية حاملة الدم ذات أجسام عاشت على الأرض رديحاً من الزمن، وقد فنيته هذا الكائنات بسبب فسادها وسفكها للدماء جاء القرآن الكريم في وصفها: قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، (البقرة: 30). فكانت مشية الله - سبحانه وتعالى - قد اقتضى خلق الإنسان خليفة لذلك الخلق من السلف، إذ بدأ حياة الإنسان عبر أطوار وعصور متعددة (عصر الخلق والكمال بكوكب جنة عدن - عصر الهبوط إلى الأرض)، ومن الأرض بدأ البشرية في الانتشار فتكونت الأسرة النواة الأولى لتشكيل المجتمعات والتجمعات السكانية الإنسانية، فكان آدم الأنثى هي الحاكم الأولي لإدارة وتصريف شؤون الأسرة والتجمعات السكانية، بصفتها الولادة والمتخلقة للتناسل البشري والأم والمعلمة الأولى، وصانعة السكينة والمودة والحب والرحمة إذ كان دور آدم الذكر يقتصر على التلقيح الجنسي والتقاط الطعام وحراسة الأسرة، كما يقوم بدور مكمل مع الأم في إدارة الأسرة وخلق جوانب الطمأنينة والسكينة، وضلت الأم هي الحاكمة إلى أن أصبحت آلهة تعبد لقرون متعددة، ثم في مراحل متعاقبة من العصور التالية انتقلت إدارة الأسرة لآدم الذكر (الآب) فأصبح هو المسيطر والمسؤول الأول عن الحكم والتحكم، وحصل النزاع والقتل والحروب وحب التملك والسيطرة ثم ما لبث أن ادعى أنه يحكم بأمر السماء، فهو يمثل الإله على الأرض، ثم ادعى أنه آلهة، وعلى أثر ذلك أقام الإنسان مملكة باسم الآلة أو دولة باسم الرب أو خليفة الله وخليفة الرسول أو النبي وهكذا.

1-24 الدين ليس دولة ولا حكومة:

أطلقت إرادة الإنسان الحرة في الحياة منذ الوهلة الأولى بعصر الخلق والكمال وتميزت حياته بحرية الإرادة في الفكر والتفكير والقول والعمل والمعرفة بعلم الشيء والأشياء من حوله، وأصبح يعي خلقه بمسؤولية كاملة فكان حراً في اختيار إدارة حياته والتحكم بها حسب خياراته المتعددة فكانت سلطة آدم الأنثى (الأم) هي المهيمن الأول حسب ما يفقه من مدلول آيات القرآن الكريم السابقة ، على اعتبار أنه الأم المسؤول الأول عن تناسل الخلق، والمسؤول الأول عن الولادة والرضاعة والمسؤول الأول عن الأمومة والمعلم الأول، وكذلك المسؤول الأول عن إدارة شؤون الأسرة، وتشارك مع آدم الذكر في إدارة الحياة وما يتعلق بالرعاية والتنشئة الاجتماعية وتنظيم أعمال الأسرة في المجتمع، وبعد إهباط الإنسان إلى الأرض من كوكب جنة عدن، بدأ الإنسان بالانتشار والاستقرار في مستعمرات متعددة من الأرض بما فيها

كهوف الجبال وسهول الأودية ثم بدأوا بتكوين الروابط الاجتماعية، فتشكلت الأسرة ثم العشيرة ثم القبيلة وهكذا، ثم بدأ بتنظيم حياته حسب نمط من العلم الذي تلقاه والعرف الذي اعتاد عليه وأصبح شيئاً ملزماً يحكم طريقة عيشه المشترك إلى أن أصبح مجتمعاً سكانياً متعدد التكوين، وما أرجحه في هذا الجانب هو أن تشكل المجتمع البشري كان سابق في كوكب جنة عدن قبل هبوط البشر إلى الأرض، وفور وصولهم إلى الأرض بدأوا بالتشكل عبر التصنيفات المعروفة اليوم عشائر، قبائل، شعوب (قوم - واقوام)، عبر انتقالهم من طور اجتماعي إلى آخر، فمن عصر الكمال بخلق آدم بكوكب جنة عدن، إلى عصر إهباط آدم وذريته إلى الأرض والاستقرار فيها، فكان للأنثى دور الرئاسة والريادة في مسيرة الحياة منذ بداية التكوين الأسري الصغير في كوكب جنة عدن ثم على الأرض حسب ما سبق ذكره، والتي تجسدت سلطة الأم فيه بصورة واضحة بتنظيم شئون الأسرة، ثم وإدارة المجتمع ذي النشأة الأولى في التكوين البشري، من أجل خلق الاستقرار والسكينة بين أفراد الأسرة والمجتمع والبحث عن سبل العيش الآمن والمستقر، إذ كان الذكر يقوم بدور القوامة المتمثل بالتقاط الطعام والصيد وخدمة الأنثى وأولادها، ولا يعفي أحياناً من قيام الأنثى بتلك المهارات التي لم تكن حكراً على الذكر، في الوقت الذي كانت الأنثى تحتكر وظيفة الحمل والولادة والرضاعة والأمومة كحق طبيعي وأساسي وما زالت حتى يومنا هذا.

واستمرت سيطرة الأنثى لعصور متعاقبة لأعتبارات أخرى من كونها مخلوق كامل ومميز عن الذكر، وهو ما يفهم ويدكر من مدلول الآية التي تخاطب الناس وترجع أصل خلقهم جميعاً لنفس واحدة وهي الأنثى كأول مخلوق (آدم الأنثى) ومنها خلق أو جعل زوجها الذكر حسب ما يفقه ويدكر من مدلول نص آيات من الذكر الحكيم، سبق ذكرها وتكرارها، وقد أظهرت بعض النقوش الأثرية التي تشير بعضها جعل الأنثى الأم المعلم الأول رمزا للخصوبة والوفرة والعطاء والنماء واستمرت إلى أن أصبحت آلهة تعبد، فكانت الأنثى هي المهيمنة على عصري الكمال والخلق - وعصر الهبوط من كوكب جنة عدن وعلى مشهد الحياة الأولى بعصر الهبوط على الأرض بشكل أو بآخر، ثم انحسرت هيمنة الأنثى بعد تلك العصور بسبب الحروب التي شنها الذكر ما أدى بالإنسان إلى الانحطاط بالعلم والتفكير، فتسببت تلك النزاعات في نسيان العلم وانحط البشر من عصور الخلق والكمال إلى عصور أقل منها، فبدأ الإنسان دورة جديدة من الحياة المتعاقبة ظهرت فيه مراحل من أستعادة العلم والفكر وهو ما يطلق عليه إستعادة التفكير التصاعدي من الأدنى الذي وصل إليه بفعل النزاع وعدم الاستقرار إلى الأعلى الذي كان يتربع عليه آدم في كوكب جنة عدن، بدءاً من التعلم في العصور المتعاقبة - العصر الحجري، وعصر الصيد - وعصر الرعي وعصر الزراعة، وهكذا، ومعه ظهر تسخير المادة على الأرض نتج عنه تسخير الكثير من المعادن مثل النحاس والحديد فسيطر الذكر على المشهد وتوارت الأنثى للوراء، فتزعم الذكر مشهد الأحداث بالقوة والغلبة على مجمل الحياة وشن الحروب من أجل الملكية والتوسع والسيطرة والاستعمار والتملك للغنائم والموارد وكذلك من أجل الحكم والملك، ومنذ ذلك الحين وهو ما يزال المسيطر على المشهد حتى يومنا هذا.

وعلى أثر ذلك ظهرت عهد المملكة ثم عهد الدولة، فكانت سلطات الدولة مجتمعة في شخص الملك الذي كان يجمع بين سلطة الدين والدنيا حتى وصل به الحال بفرض نفسه آلهة أو ممثل للآله في الأرض، ومن ثم كانت طبيعة الحكم السياسي بين الأفراد تقوم على مبدأ الحق الإلهي أو نظرية التفويض الإلهي، وهذا النظام كان أول نظام سياسي ينشأه الإنسان في العصور المتعاقبة في المجتمعات الإنسانية اللاحقة، وبرز وصف هذا المشهد في حضارات أقوام عدة منها حضارة قوم نوح وأصحاب الرس وعاد وثمود وبابل، وحضارة مصر وسبأ، واليونان والفرس والهند والصين وفي مختلف الحضارات الإنسانية، وما زال بعض منها قائم حتى يومنا هذا، وخلال هذا التاريخ استطاع الإنسان أن يحقق طفرات علمية خارقة وقفزات كبيرة في استعادة العلم والفكر بنشأته الأولى.

ومع ظهور الدولة ظهر معها القانون كمرحلة من مراحل تطور العرف في تنظيم العلاقات في المجتمع الإنساني، وفقاً للتدرج في الأرضية المعرفية للناس بأساليب الحياة وأنظمة الحكم، وصولاً إلى المعرفة الفلسفية بالحكم والحاكمة السياسية كنظام سياسي في قرون ما قبل الميلاد وفي ما أنتجه الفكر الإنساني وليد الحاجة والتجربة فكان أول نظام سياسي من الشورى في حاكمية الدولة في عهد الحضارة السبئية (اليمن والحبة) التي نشأت على نظام الشورى عبر عن هذا النظام ما يمكن أن نسميه بمؤسسات الحكم الشوري مثل - مجلس الأقبال أو مجلس الشيوخ، فغاب عن هذا النظام نظرية الحق الإلهي (الثيوقراط) في الحكم، بمعنى أن نظام الحكم السياسي كان نظام مدنياً بهوية وطنية، يستمد الحاكم مشروعته من الشعب أو من ممثلي الشعب، فكان هذا النظام حسب ما جاء وصفه بآيات القرآن ذو سلطات حكم متعددة، فذكر من قبل الله سبحانه كنموذجاً حكم سياسي مدني شوري مثالي في إدارة حياة الإنسان على الأرض، وكان حالة فريدة من الكمال، تتوق له شعوب الأرض لبلوغه مرحلة من النضج في الحاكمية السياسي المتمثل بالشورى والعدل والمساواة والحرية فهو نظام يحتذى به في إدارة حياة الإنسان لشئون حياته الشعب والشعوب المتعدد وصولاً لكونه حكماً للأمم بنظام دولة الإنسان (الحكم السياسي)، وقد وصفه القرآن الكريم وصفاً مثالياً قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ سبأ (15). فهذا الوصف يتماثل مع حياة مجتمع النبوة للنبي والملك سليمان عليه السلام المؤيد من قبل الله سبحانه وتعالى في المكان والزمان فلم تكن نظام الشورى خاص بسبأ دون غيرهم من الناس، بل العكس إذ أن هذا النظام جاء به القرآن كمثال يحتذى به بين الشعوب والأمم، ولذلك نرى هذا النظام السياسي قد انتقل إلى حضارة أخرى عبر مراحل من التاريخ وإلى أنظمة أكثر حداثة من حيث التفاصيل شكل قفزة نوعية في الأرضية المعرفية للإنسان من كون فكر النظام السياسي لدولة سبأ كان القاعدة الملهم للشعوب والأمم الأخرى، فأصبح هذا النظام علماً ومنهجاً قائماً بذاته وله فلسفة خاصة أنتج منه عدد من النظريات السياسية في الإدارة والحكم السياسي، في العصر اليوناني والروماني فكانت أثينا وروما أنموذجاً رفيعاً في الفكر السياسي الديمقراطي ومعه ظهر شكل الدولة متعددة التكوين وظهرت أنواع الحكومات، كان لنخبة الفكر اليوناني وروما دور بارز في أخراج عدد من

قادات الفكر أسهموا بجهود فكرية في تطوير تلك الحضارة بمختلف جوانب الحياة ، من المفكرين أمثال (طاليس - هرقليس - سقراط - افلاطون - ارسطو، وغيرهم)، وظهرت عدد من الحكومات منها: الحكومة الملكية الأرستقراطية، والحكومة الديمقراطية، والحكومة الاريفارشية، والحكومة الديكتاتورية والحكومة الثيوقراطية، وغيرها فغدا شكل الدولة واضحة المعالم وتكونت السلطات المختلفة السلطة التشريعية - السلطة التنفيذية - السلطة القضائية، فكانت السلطة التشريعية ممثلة في البرلمان أو مجلس الشيوخ أو غيره من المسميات المعبر عن تطور العرف من أجل تشريع القانون، والحكومة كسلطة تنفيذ بمختلف التخصصات، والقضاء المستقل بنظام خاص، وأصبح الفكر السياسي اليوناني والروماني مفخرة الفكر الإنساني الممتد للقرون القادمة من حضارة الإنسان في المكان والزمان، وخذ القرآن الكريم ذكر هذا الفكر الإنساني في كل من سبأ وروما، في تلك النصوص الصريحة لموقف دين الإسلام من تلك الأنظمة السياسية اللادينية، إذ كان الدين وما يزال يقف إلى جانب النظام السياسي المدني الذي يضمن للإنسان حرية التدين وحرية الاعتقاد والراي ويضمن حقه في الحياة بكرامة ومساواة من دون تمييز في الدين والجنس واللون، حتى وأن اختلف شكل النظام السياسي عن آخر فما يهم هو المضمون والهدف والغائه.

لقد كان هذا النهج السياسي النوعي الإنساني وما يزال محط أنظار الناس وهدف تسعى إليه شعوب العالم مع الاحتفاظ بخصوصية كل شعب على الآخر وهو سر تنامي هذا الفكر المدني الشوروي الديمقراطي الحر حتى اليوم، وإذا كان الإنسان حراً في اختيار نمط حياته فمن الأولى أن يكون حراً في اختيار شكل ونظام الحكم السياسي المنشود الذي يرغب العيش في كنفه، وفقاً لتطور أراضيته المعرفية في المجتمع الذي يعيش فيه، وهناك دلالة واضحة في التاريخ الإنساني تشهد بتعدد أنظمة الحكم الفاسدة من الثيوقراط المدعى نسبتهما للأله في عهود متفرقة من حياة الإنسان، فجأت دعاوى الأنبياء والرسل لإخراج الناس من فساد هذه الأنظمة المستبدة للناس والعمل على تغيير هذه الأنظمة التي كانت تتسم بالحكم الديني المطلق حسب نظرية الحق الإلهي فكان موقف الأنبياء والرسل وبوحي من الله سبحانه المعارض لهذه الممالك والحكومات المتسلطة على رقاب الناس في الزمان والمكان، واستبدالها بحكم مدني شوروي - ديمقراطي بمضمون الفضيلة، والعدل، والحرية الدينية، وحرية الفكر والتفكير، ونشر السلام بين الشعوب والأمم ، ومنع الاعتداء، وتقرير الجهاد بمعنى المقاومة المشروعة للفساد والظلم والطغيان، ونبذ العنف والإرهاب واستمر الإنسان يسير في تطوير معارفه وقدراته وعلاقاته وتراكم الخبرات لديه، فتشعبت مصالحه وزادت حاجاته، وأصبح في حاجة ماسة لضوابط من التشريع ملزمة تستند لقواعد من الدين والأعراف السائدة فتولد على إثر ذلك القانون الذي يعتبر أعلى قيمة فكرية ينتجها العقل في الإدارة والحكم حسب ما سبق الإشارة إليه، إلى أن أصبح من حقه اختيار نوع الحكومة التي يريد العيش بكنفها، ومن حقه اختيار الحاكم أيضاً وطالما والحال كذلك فإنه من المسلم به القول أن الحكومة أو النظام السياسي أو الدولة كانت نتائج طبيعية لفكرة التطور المعرفي للإنسان عبر مراحل من الزمن على أرضية معرفية من العلم بالعرف والأعراف والقانون والمعرفة بالخير والشر، فكانت الحاكمة

والحكومة ثمرة من ثمار الفكر الإنساني المتراكمة الخبرة حسبما استلهم الإنسان بعلمه بقيم الفضيلة، وبحسب إرادته الحرة في الحياة، ولذلك كانت المملكة والدولة والحكم والحاكمية بنظماها السياسي فكراً إنسانياً محضاً، ووظيفة عملية مهمة من وظائف الفضيلة، تقوم على تراكم الخبرات وعلى مفهومي الخير أو الشر أو كليهما معاً.

ولم يرد من القرآن الكريم ما يبين تفاصيل النظام السياسي للدولة بل جاء الإسلام بقواعد عامة تضبط السلوك العام المتمثل في إقامة الفضيلة في المجتمع الصغير (الأسرة) وما ينطوي فيها وينبذ الرذيلة وما يحويها فكان من قواعد الفضيلة العدل والحرية والمساواة ونشر المحبة والسلام بين الشعوب والأمم، وإشاعة الخير للناس جميعاً ونبذ الفساد والتطرف والظلم والقهر والطغيان والتمييز العرقي ونبذ الكراهية والإرهاب الديني في كل أشكاله وصوره وغيرها، ولا يجوز مطلقاً أن ننسب أي حكومة أو دولة لله سبحانه وتعالى وفق نظرية الحق الإلهي، أو حسب ما يطلق عليه حكم الله في الأرض (الحاكمية الإلهية) أو خليفة الله أو خليفة النبي أو الرسول في الدين والدنيا، فهذا خطأ كبير، ومن الخطأ أيضاً أن نطلق على الدين أنه دولة وحكومة وإمارة، وشعب وثورة وغيرها، فتلك المسميات تحط من قدر الدين من كونه مصدر الهداية ومصدر لقواعد الفضيلة وجاء بمنظومة متكاملة من الوصايا والإرشاد والقواعد العامة لإقامة الحرية والعدل على قدم المساواة في الحقوق والواجبات، وبما يحمل من القيم والعبادات والمناسك والشعائر والأوامر والحلال والحرام تفصيلاً ولما فيه خدمة الناس جميعاً فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، فجاء ذلك بالوحي عبر الأنبياء والرسل، وهو اسمى من أن يختزل بوظيفة عملية في الإدارة السياسية وأنظمة الحكم، والتي اعتبرها الدين فرعاً أصيلاً من علوم الإنسان المتصلة بعلم الله سبحانه أو من ما علمه الله سبحانه حسب نشأته الأولى، وبذلك فلا يمكن أن يعمم الفرع على الأصل، حسب نظرية الحق الإلهي (الثيوقراطية) في إدارة الحكم السياسي الديني، أو يسخر الدين للحكم السياسي، فقد أرسل الله سبحانه وتعالى الأنبياء والرسل بالرسالات من أجل هذا الهدف، إذ تتجلى وظيفة الرسل والأنبياء بدعوى الناس إلى تصحيح العلاقة بين الناس والحكام من البشر، وأن الحاكمية السياسية في الحياة ما هي إلا وظيفة وليست حق إلهي مقدس، فكان هذا المشهد الذي ظهر به ملك بابل أمام سيدنا إبراهيم عليه السلام، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، (البقرة: 258)، وكذلك فرعون في قمة طغيانه أمام موسى، قَالَ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾، (النازعات: 17) فظهر الطغيان والاستبداد واضح المعالم لدى فرعون، وحالة أخرى من فساد فرعون وطغيانه في إحداث تمييز في البنية الاجتماعية، واختلال العدل، والمساواة بين الناس، وبروز التمييز العنصري على أساس الدين والفرز الفئوي على أساس عرقي، قَالَ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾، (القصص: 4). فصنف جرمه بالفساد على بني إسرائيل وغيرهم وهو جرم محل أخذ وعقاب، إضافة لكونه أدعى الربوبية قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَقَالَ

أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى)، (النازعات: 24) ومع أن الله سبحانه لم يعبى لقوله في الربوبية فقد أخذه بظلمه وفساده على الناس فاستحق ما ورد بنص هذه الآية قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاةٍ: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾، (النازعات: 25).

وهكذا فقد وقف الإسلام كدين إلى جانب حرية الإنسان الفكرية والعقلية وحقه في الحياة دون تمييز في الدين والجنس واللون، وأن الناس جميعاً خلقوا متساوين في الحقوق والواجبات في كل محطات الحياة، فكانت وما زالت مشية الله سبحانه وتعالى في إلهام الإنسان عبر الرسل والأنبياء وعبر الأئمة والحكماء والمفكرين والعلماء بمختلف العلوم الإنسانية، نحو مزيد من العلم والمعرفة المفيدة بحياة الإنسان ورفاهيته وهي جل ما يهدف إليه الدين بوصاياه وقواعده العامة ورسالات الله سبحانه عبر المرسلين والأنبياء الذين جاؤوا عبر مراحل مختلفة من التاريخ الإنساني.

2-24 القرآن كلام الله وليس دستور:

القول عن القرآن العظيم والكريم والمبين والمفصل والمحكم، من أنه (دستور) ذلك قول فيه من الخطأ الكبير وقع به نفر من الناس، بقصد أو بدون قصد، فالمعلوم أن أصل كلمة دستور هي كلمة فارسية مركبة من شقين الأول (دست) بمعنى قاعدة والشق الثاني (ور) بمعنى (صاحب)، فيكون المعنى القريب لها هو "صاحب القاعدة"، وهو قول يتشابه مع قول آخر قديم قيل في القرآن الكريم بأنه (مخلوق)، وأريد بهذه المقولة سفسطة من الجدل العقيم المقتبسة من عقائد قديمة لا طائل لنا بذكرها، إذ لا يجوز أن نحصر القرآن الكريم بهذا اللفظ (دستور)، وهو أعلى شأنًا وأوسع قدرًا وأرفع درجة من أن يسمى بالدستور أو غيره من المسميات والألفاظ التي ما أنزل الله بها من سلطان، فالقرآن الكريم كلام الله سبحانه وتعالى وحسب - بما يحمل من وصايا وإرشادات وأوامر وقواعد وقصص، وعبر، وأحكام ومواعظ وأدعية وعبادات وشعائر ومناسك وأمثال وآيات تتحدث عن خلق الشيء، وخلق مادة الشيء، وخلق حركة مادة الشيء في المكان، والزمان المعلوم وغير المعلوم، وهذا الكلام أنزل بوحى من الله تعالى على مراحل وطرق، ومسميات متعدّدة منها ما نعلمها ك(صحف إبراهيم وموسى - التوراة - الفرقان - والزبور والإنجيل)، وعبر الوحي لرسل وأنبياء (من آدم وزوجه إلى نوح - إبراهيم - موسى - وداد - وعيسى - ثم إلى محمد)، وجمع هذا الكلام جمع في كتاب واحد مصدق لما بين أيديهم من الكتب سمي بالقرآن الكريم، العظيم، المبين، المفصل، عربي غير ذي عوج.

ومن بين تلك الألفاظ ورد لفظ الحكم بعشرات الآيات التي تتحدث عن الحكم لله سبحانه بالمعنى العام المفضي للعدل والرحمة كالحكم بين الفضيلة والرذيلة والحكم بين الحق والباطل والحكم بين الخير والشر والحكم بما أنزل الله سبحانه من الكتاب وما اشتمل على قواعد وأصول في تنظيم السماء والكون والحياة وغير ذلك، والحكم للرسول بصفته الاعتبارية كحامل رسالة عبر الوحي من الله سبحانه بما تحمل تلك الرسالة من عناصر الحكم والتمييز بين الحق والباطل والتمييز بين الخير والشر والهداية والرحمة والفضيلة فهو بذلك لا ينطق

عن هواه، بل هو وحى يوحى من قبل الله سبحانه وتعالى، وبنفس الوقت هو بشراً مثلنا لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً ولا يعلم الغيب، والرسول لا يحل ولا يحرم من تلقاء نفسه بل هو مأمور باتباع ما جاء بالرسالة المكلف بها من الله سبحانه، وهو أول من يتبع ويطبق ما جاء به، وكذلك الحال بالنسبة للأنبياء والحكماء فكلهم يسرون على منهاج واحدة نحو حكم الله سبحانه المفضي لإقامة منهج الحق والعدل والخير للناس جميعاً، تلك هي شرعة الله وفطرته وسنته في الناس جميعاً فلا تبدل لسنة الله ولن تجد لسنة الله تحويلاً وتلك هي مقصد التنزيل الحكيم، إلا أن جماعة التحريف في كل زمان ومكان أخرجت هذه الآيات عن مسارها ومدلولها ومقاصدها إلى معاني أخرى تحت ذريعة التفسير المكاني والزمني والتأويل الخاطئ وغيرها، بقصد تحريف الحقيقة وتحريف مسار كلام الله سبحانه عن وضعه الطبيعي وهو ما سيتضح لنا من خلال قراءة هذه النصوص التي نسرد بعض منها وتحدث عن لفظ الحكم حسب موقعها في الآية بالاتي:

- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾، (النساء: 58، 59).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، (النساء: 83).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾، (النساء: 105).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾، (المائدة: 42).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿... وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، (المائدة: 45).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ...﴾، (المائدة: 47).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿... فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا...﴾، (المائدة: 48).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾، (المائدة: 50).
- قَالَ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ...﴾، (آل عمران: 23).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ آل عمران (79).

• قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ...﴾، (الرعد: 37).

• قَالَ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَوْطاً آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا...﴾، (الأنبياء: 74).

• قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾، (مريم: 12).

• قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا...﴾، (القصص: 14).

• قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾، (الأنبياء: 78).

• قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ...﴾، (ص: 26).

• قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾، (الأنبياء: 112).

• قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾، (الحج: 69).

• قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾، (النور: 48).

• قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ...﴾، (الشورى: 10).

• قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾، (مريم: 12).

• قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿... وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، (المائدة: 44).

• قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ...﴾، (المائدة: 47).

• قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿... حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾، (يونس: 109).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾، (الحج: 69).

ومن خلال استعراض هذه الآيات وغيرها من نصوص القرآن لن تجد آية تتحدث عن تفاصيل الحاكمة السياسية أو نوع الحكومة أو توزيع سلطات الدولة وتعددتها فيها، بل جاءت تلك الآيات بقواعد عامة حول الحكم والحاكمة القائمة مجملها على الحق والعدل والمساواة بين الناس جميعاً دون تمييز، مع العلم أن القرآن الكريم جاء ببعض الأحكام المفصلة المتعلقة بتحديد الشعائر والمناسك وذكر الحرام حصراً وقصراً حتى لا يطغى الإنسان بتوسيع قاعدة التحريم وبعض قواعد العقوبات ونصوص أخرى تنظيمية، وأخرى إرشادية للمشرعين لوضع قوانين من أجل تنظيم الحياة، وجعل للإنسان الحق في تنظيم التشريعات المحلية والوطنية والدولية، بما يتوافق مع تلك النصوص من القواعد ولا يتصادم معها وهذه النصوص لم تكن وليدة بعثة الرسول محمد عليه السَّلام بل كانت أصلاً من أصول شرعة الدين للناس جميعاً من

قبل الله سبحانه، منذ الخليقة الأولى جاء به الرُّسل والأنبياء على مسيرة واحدة، وقاعدة واحدة من وحدة الدين ووحدة الرِّسالة ووحدة خلق الإنسان.

24-3 الدولة الدينية:

وردت ألفاظ ومصطلحات دست في عموم الفكر الديني القديم ونقلت إلى فكر المذاهب الإسلامية ومنها الولاء والبراء، والحاكمية الدينية باسم الله سبحانه، والحكم بما أنزل الله سبحانه، وغير ذلك، فوظفته جماعة التحريف الديني مستخدمة هذه المصطلحات وحصرته في الإنسان الحاكم أو الملك أو الخليفة أو بنظام الحكم السياسي، واستمر هذا التوظيف في صور مختلفة وفي مختلف المعتقدات الدينية عبر التاريخ الإنساني، فنشأت أديان وطوائف ومذاهب مرتبطة بالحاكمية السياسية للحكومة باسم الدين فكانت وما زالت أسوأ أنظمة الحكم السياسي المستبد والأكثر دموية والأكثر فساداً في تاريخ الإنسان، وقد أطلق عليها عدد من الأسماء والأوصاف ابتداءً بتوصيفها بنظرية الحق الإلهي في الحكم (الثيوقراطي) أو الحكم بسلطان الإله في الأرض، أو خليفة الإله أو حاكمية الرب، أو خليفة النَّبي أو خليفة الرَّسول في الدين والدنيا وهو ما يعني اتصال النسب بالدين، كما ذهبوا لإضافة مسميات وألقاب دينية مقدسة على بعض الوظائف الدينية لبعض الناس مثل الكاهن الأعظم أو الحاخام أو البابا أو القسيس أو الراهب أو آية الله أو حجة الله أو المفتي وغيرها، وما زالت هذه المسميات حاضرة في واقعنا حتى اليوم، وقد ساهمت هذه الوظائف بمختلف مسمياتها وشخصها في تشييت الهوية الإيمانية للناس كما ساهمت في تحريف الحقيقة وانحراف الناس عن طريق الله (الصرراط المستقيم)، وأسهمت في صناعة الطواغيت من الحكام الظلمة المستبدين والذين يسعون في الأرض الفساد باسم الإله والدين، فكان من رحمة الله سبحانه على الناس أن أرسل الرسل والأنبياء بكلامه وألهم الحكماء والمفكرين بالدعوة إلى عودة الناس للحق والحقيقة وإلى الطريق المستقيم ومقارعة الحكام الكهنوتيين بالحجة والموعظة الحسنة ونبذ الظلم والفساد والاستبداد بطرق وأساليب متعددة عبر مراحل التاريخ الإنساني، وقد تطورت اليوم عدد من الأساليب والصور في ذلك منها: إنشاء الجماعات المعارضة، الأحزاب ومنظمات المجتمع المدني المختلفة، المظاهرات والمسيرات، العصيان المدني وغيره

ومن الأمثلة التي ذمها وشهد بها القرآن الكريم فكانت محل أخذ وانتقام وبطش من قبل الله - سبحانه وتعالى - تلك الأنظمة الكهنوتية الدينية السياسية في التاريخ القديم، وللتذكير بها نسرد نموذجين ورد ذكرهم في القرآن وهما على سبيل المثال بالآتي:

- حاكمية الإله البابلي في عهد سيدنا إبراهيم عليه السَّلام.
- حاكمية الإله الفرعون في عهد سيدنا موسى عليه السَّلام.

أضف إلى أن هناك نماذج من أنظمة الحكم الديني الكهنوتي في التاريخ كانت وما زالت نقطة سوداء في جبين الإنسانية، خاضت حروباً مقدسة باسم الرب ضد بعضها البعض كحرب الطوائف اليهودية (مملكة يهوذا - ومملكة إسرائيل)، وحروب طوائف المسيحيين الكاثوليك /

البروتستانت وحالياً حروب المذاهب الإسلامية: الشيعة والسنة وغيرها من الحروب الدينية في إطار صراع الحكم والحاكمة الدينية السياسية، ومعلوم أن القرآن الكريم أشار إلى بعض القواعد المتعلقة بالنظم السياسية في نصوص صريحة وأخرى ضمنية وجعل للإنسان الحق في اختيار النظام السياسي الأمثل، بل ذهب إلى الاستشهاد بضرب أمثلة رمزية من أنظمة الحكم في التاريخ، فكان نظام الشورى - (الديمقراطية) كنظام أمثل يكاد يجمع عليه جميع سكان المعمورة، وقد طبقه الإنسان منذ القدم، بخلاف ما ذهب إليه بعض المفكرين الذين تكلموا عن الفكر السياسي من زاوية الدين أو المذهب أو الجغرافيا والتاريخ، فهؤلاء وللأسف ما زالوا حتى يومنا هذا يحاصرون الفكر الإنساني، وبالذات الفكر السياسي في حدود العقيدة والدين والجغرافيا والتاريخ، وهذه عقدة أغلب المفكرين في العالم العربي والإسلامي بل والعالم، ونحن نجاهد للخروج من هذا المأزق الذي وجدنا أنفسنا محاصرين بين جنباته، مع أن القرآن الكريم تخطى هذا الواقع المر بنصوص من آياته التي تتحدث عن أحداث وسير الخلق منذ الخليقة الأولى وحتى قيام الساعة، وجعل من فكر الإنسان فكراً حراً مشاعاً لكل بني الإنسان، وإذ بالإنسان يأتي بعكس ذلك فيضع الفكر، ضمن حدود تصنيف الدين والعقيدة والجغرافيا، والتاريخ، ويجعل منه فكراً خاصاً بجماعة من الناس دون غيرهم، وهذه لعمري فاجعة الفكر الإنساني في زمننا هذا وفي كل زمان، وقد وجدت الأستاذ على عبدالرزاق رحمة الله عليه(1) -والذي قدم قراءة نقدية للفكر السياسي في الإسلام فجاء بعددٍ من التساؤلات حول إغفال النص الديني (القرآن)، والسنة لشكل النظام السياسي الإسلامي فتعرض لهجمة شرسة من أنصار الدين السياسي وأثار جدلاً واسعاً في ذلك التاريخ، ومع منطوقية تساؤلاته بمؤلفه الذي توافقت مع الكثير منها، إلا أنه كان أسيراً لواقع فكري، مثقل بحدود الجغرافية الدينية المصطنعة من فكر المذاهب، وإذا كان من حقه توجيه تلك الأسئلة والذي جاء بقوله: "أنه لمن العجب أن لا تجد في القرآن ما يشير إلى الإمامة أو الخلافة فتري فيه تصرف كل مثل، وتفصيل كل شيء من أمر هذا الدين (ما فرطنا في الكتاب من شيء)..."، وأضاف بالقول: "ليس القرآن وحده هو الذي أهمل تلك الخلافة بل السنة كذلك".

وبالعودة للقرآن الكريم في هذه الجزئية سنجد أن استدلاله بتلك الآية يشوبه بعض القصور، وقد تم اجتزاؤه من الآية بقوله تعالى: (مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ)، (الأنعام: 38)، وهذه الآية تتعلق بحصر أنواع المخلوقات التي كانت تعيش في الأرض قبل خلق الإنسان ولا يصح الاستشهاد به في هذا الموضوع (الحاكمة الساسية)، ومع ذكر نص الآية كاملاً، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غُلَاهُ: (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ)، (الأنعام: 38)، وهذه الآية الدال على الحصر والعدد للأمم المختلفة من الدواب والبشر على الأرض، فكان الاستشهاد بها في غير محله.

وقد جاء القرآن الكريم بأحداث وشواهد من الأعمال من التاريخ الإنساني قصد منها الاقتداء بتلك الأحداث والأعمال والأقوال والسير في الزمان والمكان على الدوام، فغفل الأستاذ

(1) انظر الإسلام وأصول الحكم / علي عبد الرزاق 1925م. دراسة وثائق / د. محمد عمارة 2000م

علي عبد الرزاق عن إخبار القرآن الكريم بالاستشهاد بذكر سبأ والروم في محطات مختلفة من التاريخ، وما تحمل تلك المحطات من دلالة عميقة وعظيمة في بناء الفكر السياسي المثالي لدولة الإنسان على الأرض، فكان نظام تلك الدول هو النظام المثالي لحياة الإنسان المتمثل بنظام الشورى والديمقراطية بمفهومه الموضوعي الواسع وأعتبر كقواعد أساسية للحاكمية السياسية المدنية الشورية الديمقراطية، إلا أن الأستاذ علي عبد الرزاق استسلم لما خطته جماعة التحريف بفكر مذاهب القلقة والعننة والتي حصرت القرآن بالنبي محمد والإسلام بدين محمد عليه السلام وصنعوا عدداً من القوالب أطلقوا عليها الشريعة المتمثلة ب(فقه الحديث- والسيرة - والتفسير - وأصول الفقه وغيره)، كما يروج لها الكثيرون اليوم، وحاصروا الفكر الإنساني بزوايا ضيقة وقوالب محددة.

ومن الأمثال التي جاء بها القرآن على العموم وكما جاء في نصوص من القواعد العامة في الحياة في هذه الآيات:

- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾، (الزمر: 27).
- ونص آخر قَالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾، (الإسراء: 89).
- وضرب مثلاً عن كثرة الجدل قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاة: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾، (الكهف: 54).
- وآية أخرى فيها من العموم أيضاً قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاة: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَنْ جِنَّتْهُمْ بَايَةٌ لِيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾، (الروم: 58).
- وفيه من الأمثلة الخاصة عن حرية الإنسان قَالَ تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ...﴾، (النحل: 75).
- ومثل عن نعمة الأمن والسلام في الأوطان قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾، (النحل: 112).
- ومثلي عن كيفية الخلق (فلسفة الشيء)، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاة: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾، (يس: 78).

وغيرها من الأمثلة، والقرآن الكريم وهو يذكر تلك الأمثال والوصايا والقصص والأقوام والدول والأسماء والأحداث في المكان والزمان، لم يكن ذكرها ذكراً عابراً لمجرد التسلية، بل كانت وما زالت دليلاً عملياً ونظرياً وأحد أهم مصادر الإلهام والإرشاد والتحفيز لاختيار طريق الحق، طريق الصراط المستقيم، ومن هذه الأمثال أيضاً ذكر الإنسان والحدث والمناسبة، فكان ذكر دولة سبأ - الشورية في القرآن الكريم التي تحدث عنها وجعلها مفخرة

عظيمة لأعمال الفكر الإنساني في الحاكمية السياسية لقوم يفقهون كما سبق القول، إذ لم يكتف بذكرها فقط بل ذهب للتعريف بهذه الدولة وتقديم شرح مقتضب عن طبيعة نظامها السياسي كمثال يحتذى به في الإدارة والحاكمية السياسية للأجيال القادمة، ولم يتوقف إنتاج الفكر الإنساني عند هذا الحدث في الزمان والمكان، بل ذهب لذكر الروم – الإنسان والفكر والمكان والزمان والدولة بمفهومها الوظيفي في فلسفة أنظمة الحكم السياسي المتنوع فواكبها القرآن الكريم بما يحقق الخير للناس، فكان وما يزال ينظر لهذه النماذج من التجارب الإنسانية محل إكبار وإلال، ويعدّها مفخرة عابرة لحدود المكان وعابرة للزمن، لارتباطها بمنفعة الناس، كل الناس في كل مكان وزمان، وإلى ما شاء الله تعالى أن يكون، هذا هو الإسلام وهذا هو القرآن الكريم بما يحمل من قواعد ذات أبعاد وذات دلالات في تنظيم حياة الإنسان أينما كان هذا الإنسان في المكان والزمان.

ومن المسلمّ به أن الملك هبة من الله سبحانه وتعالى فلا يقصد به وصف النظام السياسي أو الحاكمية السياسية في الإدارة، بل جاء تعريف الملك بمفهوم أوسع من كونه حدثاً أو سنة كونية بيد الله تعالى يهبها لمن يشاء وينزعها ممن يشاء، من الخلائق، حسب أسباب موضوعية ووفق المشيئة والإرادة الإلهية قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، (آل عمران: 26)، وقد يفهم خطأ لدى البعض من النَّاس من أن الملك المقصود في الآية هو الحكم أو النظام السياسي، غير أن الملك لفظ عام وواسع قصد منه العلم بأمور محددة من الكون والأرض وما فيها على الجملة، كالملك للتفريق بين الحق والباطل، إذ نجد هبة الملك تعطى لبعض النَّاس في الحياة كالملك داود وسليمان ويوسف، وغيرهم من الأنبياء، وقد وردت أمثلة في القرآن لذكر هذا الحكم بمفهوم العلم الواسع من الفضيلة والعدل والخير والحرية للناس والذي كان له إرث وأثر جميل في حياة ورفاهية الشعوب فخلّد القرآن الكريم ذكراها، وما تزال محل تفاخر بين الشعوب والأمم ، ونذكر بعض التي اتسمت بذلك الوصف:

- 1- مملكة مصر في عهد النَّبي يوسف وحملت من قيم الخير.
- 2- الملك في عهد الملك داود بما يحمل من قيم العدل.
- 3- الملك سليمان، وما يحمل من قيم الملك والقوة والتسخير والسيطرة.
- 4- دولة سبأ وما تحمل من قيم الشورى في بناء النظام السياسي للدولة.
- 5- دولة روما وما تحمل من قيم الديمقراطية وتعدد السلطات

وعن مملكة مصر في عهد النَّبي يوسف فأثنا نجد القرآن قد ذكر ملك مصر وتطرق لجوانب من نظام المملكة المصرية في عهد النبي يوسف عليه السلام ، وما يهمنها هو طبيعة نظام الحكم السياسي، ولن أذهب للروايات المتضاربة حول هذا الموضوع في كتاب العهد القديم بأسفاره المتعددة التي حاولت جعل النَّبي يوسف في زاوية تصنيف ديني عصبوي، إذ إن ما يهمنها هو طبيعة العمل الموكل للنَّبي يوسف في دولة الملك، وقبل الخوض تعالوا في عجالة للتعريف بشخصية يوسف في مراحل محددة حسب ما جاء به القرآن في سورة يوسف: ففي

المرحلة الأولى كان ابناً للنبي يعقوب (إسرائيل) عليه السلام ثم صار عبداً مملوكاً مشترى، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾، (يوسف: 20)، ثم انتقل لمرحلة متقدمة باتخاذ ولدًا بالتبني، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا...﴾، (يوسف: 21)، ثم مرحلة من النضج والرشد، قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾، (يوسف: 22). والحكم هنا يقصد به التفريق بين الحق والباطل وليس الحكم السياسي وهو ما يفهم بداهة من آيات القرآن، ثم مكن من الأرض فكان له سطوة نفاذ الأمر، وَعُلِّمَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ سبحانه في تفسير وتأويل الأحلام وهذا علم لم يكن معروفًا في مملكة مصر، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، (يوسف: 21)، فبرز بالعلم في تعبير الرؤيا ومنها رؤيا الملك، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾، (يوسف: 43). فعبّر يوسف وفسر الرؤيا، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ، ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ، ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِصُونَ﴾، (يوسف: 47، 48، 49)، ونال ثقة الملك، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ انْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾، (يوسف: 54) وهنا تظهر رغبة الملك في اتخاذ يوسف كشخص مقرب منه لقوله (استخلصه لنفسه)، ولم يقل لحكمي أو لمملكتي لعلمه المسبق بعزوف يوسف عن شئون الحكم من كونه نبياً وهذه وظيفة تتصل بالله سبحانه ولا تتصل بشئون الحكم السياسي من كونها أعم واشمل، وهو ما يفهم أيضاً من تصريح يوسف بقوله (اجعلني على خزائن الأرض)، وهو بذلك قد حدد طبيعة المهام الذي يريد القيام به من كونه حفيظ عليم، فكان ذلك سبباً في التمكين المقصود بنص الآية سالف الذكر، من أجل إنقاذ الناس من المجاعة المحققة التي أولها بتفسيره للرؤيا، فكان اختيار يوسف للقيام بذلك العمل حصراً وقصراً دون أن يمتد لغيره من أعمال المملكة، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ، وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾، (يوسف: 55، 56)، وهذا ما يهمننا في هذا الموضوع من أن يوسف لم يكن ضمن السلطة السياسية لمملكة مصر، وعندما استخلصه لنفسه كانت تلك رغبة الملك بصورة منفردة، وفي قصة نبي الله يوسف الكثير من الأمثال والدروس والمحطات والمواعظ وغيرها، ومن ضمنها ما أثرناه في هذه الجزئية حول طبيعة علاقة الدين بنظام الحكم السياسي الذي أرجحه أنا أن عمل يوسف كان أرفع مكانة، مما قد يتصور البعض من كونه كان أحد أعمدة الحكم السياسي في مملكة مصر في تلك الحقبة من التاريخ، وإنما كان عمله من جانب إنساني بحث كما ذكرت، وهو مواجهة خطر المجاعة المحقق بالناس في ذلك الزمان، فلم يجمع بين النبوة والحكم السياسي وهو ما أرجحه.

أما عن ملك داود وسليمان فكانا متصلان من حيث المكان والزمان فجمعا النبوة والملك معاً، إذ كان طبيعة ملكهم بعيدة عن حاكمية النظام السياسي حسب ما توضح لنا بعض من نصوص الذكر الحكيم، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مِنْتُمْ أَنْ طَبِيعَ الْطَيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾، (النمل: 16). فهذا الآية توضح توريث الملك والنبوة من الملك داود إلى النبي والملك سليمان، وفق إرادة الله سبحانه فكانت طبيعة الملك لدى سليمان من نوع خاص وفريد وهو مزيج من العلم والتحكم والسيطرة (بعلم منطق الطير - وعلم المناخ- وعلم التحكم بالجن- وعلم نقل المادة بسرعة الضوء أو أسرع من ذلك)، وغيرها من العلوم، وقد وردت فيها نصوص من الزبور في القرآن الكريم تتحدث منها عن العلم والحكم وتسخير الجبال وتسبيح الطيور، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾، (الأنبياء: 79)، وآية أخرى عن السيطرة المحكمة على الجن والشياطين، وتسخير الرياح والطير وعلم الكتاب، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غَدُوَهَا شَهْرًا وَرَوَاحَهَا شَهْرًا وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزْغُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ، يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾، (سبأ: 12، 13). وآية أخرى تتكلم عن حكم داود بمعنى القضاء بين الناس، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾، (ص: 26). إذ لم يكن حكم داود وسليمان حسب نظام الحكم في الإدارة السياسة للمملكة أو الدولة، بل كان ملكاً من نوع خاص، ودون الخوض في التفاصيل فهو على الأرجح أعلى ميزة ومكانة ويرتبط بالإنسان والحيوان والجن والجماد أيضاً.

وأخيراً فإنه إذا ما نظرنا في سيرة الحكام والملوك الذين حكموا باسم الله فأنتنا سنجد هذه الممالك والحكام خلفوا لنا إراثاً وتاريخاً ملطخاً بالدماء فقد جعلوا من أنظمة حكمهم قنابل تنفجر في مجتمعاتهم، وسخروا الدين لمصلحة الحاكم بمعنى توظيف الدين لمصلحة السياسة معاكساً للحقيقة من كون السياسة علماً فرعياً من علوم الإنسان سخر لخدمة الإنسان والدين والحياة والكون المحيط بنا، ومن خلال إطلاقتنا من شرفة التاريخ سنجد أن العصبية الدينية في الحكم عبر التاريخ خلّفت كوارث من الحروب، والاقتتال المدمر لحضارات الشعوب والأمم، إذ إن ما تخلفه الحروب الدينية يكون أكثر فداحة من غيره ويخلق حالة من العداء والحدق العقائدي الديني عبر الأجيال ويستمر لقرون عديدة، بخلاف الأسباب الأخرى للحروب، لذلك فإن الدولة باسم الإله أو الدولة الدينية أو الحكومة الدينية أو الحزب الديني، أو الجماعة الدينية تشكل خطراً كارثياً على الإنسان وعلى حضارة الإنسان، بل هي الأشد خطراً على مستقبله، وكثيراً ما أشار كلام الله - سبحانه وتعالى - في القرآن الكريم إلى هؤلاء الحكام الذين كانت لهم بصمة سيئة في التاريخ الإنساني، ومن شواهد القرآن الكريم الصريحة والضمنية في ذكر أنظمة الحكم الديني الفاسدة:

- الحكم الديني في مملكة بابل في عهد خليل الله إبراهيم عليه السلام.
- الحكم الديني في مملكة مصر في عهد فرعون الطاغية ونبي الله موسى عليه السلام.
- الحكم الديني في بلاد فارس.
- الحكم الديني في أثينا وروما.

كما أن هناك شواهد كثيرة للصراع الديني بين كثير من الحكام ذوي الصبغة الدينية المقدسة والاقبتال الطائفي العقائدي مثلاً أسوأ مراحل الصراع الإنساني في الحياة حتى وقت قريب، وما الصراع الطائفي العقائدي بين مذهبي البروتستانت والكاثوليك إلا النموذج السيئ في التاريخ القريب، ومن المحزن أن يتكرر هذا الاقتتال في عالمنا العربي والإسلامي اليوم ولنفس الأسباب، بين المذاهب السنية والشيعية بما تحمل تلك الجماعات، والفرق والأحزاب المنضوية تحتها من تكفير وحقد عقائدي، كل منهم على الآخر، فقد زرع هذا الحقد من جماعة التحريف، فجعلوا من الفكر الديني، أداة مدمرة للإنسان ومستقبله.

24-4 دولة سبأ - والشورى:

يقتضي العدل والأنصاف أن نطلق على دولة سبأ دولة الإنسان الشورية النموذج الأول والأكمل على الأرض في حقبة من التاريخ الإنساني، باعتبار أن فكرة قيام هذه الدولة كان تجسيدا لرقى فكر الإنسان وحضارته في برهة من الزمن، وكونها مثالا لأعلى قيمة فكرية أبدعها الإنسان، فكانت من أروع ما أنتجه الفكر الإنساني في قواعد النظام السياسي للدولة، والممتد أثره إلى الحضارات الإنسانية المتعاقبة حتى يومنا هذا، فمثلما علم البابليين العالم نظم الحرف، فقد علم السبئيون العالم نظام الحكم السياسي (الشورى) لإدارة الدولة، وقد تصدر هذا الحدث في الزمان والمكان حاكمة أتصفت بصفات قيادية من نوع فريد ونادر في التاريخ الإنساني يعرف اليوم بالقيادة الشعبية أو الزعامات الشعبية التاريخية، الممزوجة بفطرة النشأة الأولى في الخلق من كون الأنثى الأم كانت هي الحاكمة الأولى بعصر الهبوط والاستقرار على الأرض، فكان النظام الحاكم المولود عنها هو النظام المثالي في الحياة لكل زمان ومكان، وبذلك شهد القرآن لحاكمة دولة الإنسان سبأ بأنها أوتيت من كل شيء من الحكمة والزعامة والوطنية وقيادة العمل السياسي والدبلوماسي وبناء مؤسسات الحكم المدني، بقيادة امرأة قامت بإدارة دولة متعددة الأعراق واللغات من الشعوب بحكمة سياسية، وعمل خارج إقليم الدولة حسب ما يعرف اليوم بحل الخلافات عبر المفاوضات في العلاقات الدولية، بفضل مهارتها السياسية وفي مناورة تفاوضية لا مثيل لها في تاريخ الأنظمة السياسية لمواجهة خطر وشيك يهدد كيان دولتها وشعبها وجيشها، بالإضافة لتنظيم سلطات الدولة المتمثل بمبدأ تعدد السلطات وهي ما تعرف اليوم بمؤسسات الحكم الديمقراطي، وما سبق عرضه كان من حضارة سبأ في ظل قيادة امرأة حكيمة لحكم دخلت التاريخ من أوسع أبوابه، فخلدها القرآن بأنصع حلة من البهاء والعظمة، دون اعتبار لجنسها ودينها، وظلمها التاريخ وعلم الآثار فلم يعطها حقها من البحث والتنقيب عن آثار وتراث تلك الحضارة العريقة، وعن هذه المرأة يحدثنا القرآن بآياته صراحة وضمناً : إنها المرأة الحاكمة التي استطاعة أن تقود دولة المؤسسات

الوطنية لسبأ وتقود أقوى الجيوش وبنفس الوقت قادت أقوى الحوارات الوطنية مع ممثلي الشعب (الملاء)، عبر مجلس الشورى (الأقيال) المكون من أبناء الدولة من مختلف المخاليف - (الولايات)، في دولة مترامية الأطراف من الحبشة جنوباً وحتى شمال شبه جزيرة العرب لشعب وجيش أولو قوة وأولو بأس شديد، واتخذت القرارات الحاسمة، في مواجهة الخطر القادم عليها من النبي الذي سخر له من كل شيء من الملك وفق مشيئة مطلقة متصلة بالله سبحانه وتعالى من سلطان العلم والملك ومن عناصر الطبيعة كالريح والسحاب ومن الطير ومن الجن والشياطين، أنه النبي الملك سليمان عليه السلام إذ لا يقصد من الملك هنا الحكم السياسي بل ملك من نوع آخر أنه ملك العلم بالشيء وبماهية الشيء وتسخير قواعد العلم للفقه به وفهم تفاصيله ووظائفه، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ، فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ، وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بِنَاءٍ وَغَوَاصٍ، وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ، هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، (ص: 35، 36، 37، 38، 39)، وآية أخرى تخبرنا عن عظمة الملك الذي وهب لسليمان من العلم وأوتي من كل شيء، قَالَ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾، (النمل: 15، 16).

فكان ذلك مظهر الملك لدى سليمان ابن داود النبي والملك، في المقابل تظهر دولة سبأ بمكوناتها الأساسية، من الإقليم والشعب، وسلطات الدولة - وتظهر معها مكونات الدولة بمختلف السلطات من السلطة التنفيذية ممثلة بالحاكمة السياسية وزعيمة الدولة (امراة)، والسلطة التشريعية ممثل بمجلس الشورى (مجلس الأقيال) - وسلطة القضاء والجيش القوي، ومع كل ذلك من مظاهر العظمة تظهر الأنثى آدم الأم زعيمة وحاكمة لدولة سبأ التي أوتيت من كل شيء، فكان العدل منهجها والحرية والمساواة قواعد أساسية في بناء دولتها وجعلت من الحب والحنان والوفاء والسلام روابط نظامها السياسي مع شعوب دولتها بغض النظر عن الدين والجنس كما سبق القول، فكان من نتاج هذا النظام، ظهور حاكمة على قدر كبير من المسؤولية في خدمة الإنسان والحفاظ على حقوقه، فاستحقت أن تؤتى من كل شيء وهو وصف صريح يتساوى بملك سليمان النبي عليه السلام وفق المشيئة، فكانت النموذج الأكمل في القيادة والزعامة وفي الحوار والمناورة وعلى قدر عالٍ من المسؤولية الوطنية وبحكمة سياسية لا مثيل لها في تاريخ العمل السياسي، وقد صور القرآن جانباً من ذلك الحدث المعبر عن جانب العلاقات الخارجية للدولة، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾، (النمل: 35). وبعد سلسلة من المشاورات والحوارات صرحت بعلمها الخاص حول طبيعة الملوك في الحكم، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾، (النمل: 34)، ولم تكن تعلم بعد بطبيعة ملك النبي سليمان الذي كان رده خلاف توقعها بعدم قبول الهدية، قَالَ تَعَالَى: ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾، (النمل: 37)، فكانت تلك محطات فارقة ومفصلية في مصير دولتها وجيشها القوي وشعبها الذي وقف معها في تحدي

مصري بديع، فقد استطاعت هذه الحاكمة أن تنأى بنفسها وبشعبها وجيشها عن خضم المواجهة والدمار الذي قد تخلفه الحروب، واتخذت قراراً بقيادة التفاوض بنفسها مع الملك النبي سليمان، وليس مع الملك الحاكم السياسي، وتحملت مشقة السفر إلى مقره مخاطرة بحياتها من أجل شعبها، ومن أجل الوصول لأنجح السبل للخروج من هذه الأزمة، كيف لا وقد أدركت خطورة الموقف من خلال حمل رسالة وصفتها بالكريمة وصلت إليها عبر أحد الطيور وهو الهدد، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ، إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ﴾، (النمل: 29، 30، 31).

فاستشعرت عظمة وخطورة المرسل، من تسخير الطير لحمل الرسالة من مكان تعلم مسبقاً ببعده عن موطنها، مدركة بفتنة وحكمة القائد الزعيم أبعاد ومعاني ودلالة تلك الرسالة ومن ورائها والقوة التي يمتلكها، إنها فتنة القيادة وسلامة الذهن وحكمة العقل ورجاحة الفكر قد اجتمعت مع تلك الأم المرأة الزعيمة القائدة لجيشها وشعبها، فترجلت راحلة مقدمة نفسها في سبيل وطنها فكان شعبها وجيشها خلفها يؤازرها، فترجح عقلها وفتنة وحكمة الحاكم السياسي الباحث عن الحق بفطرتها الأولى، فاختارت طريق الحق، وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين، وبذلك أدركت الحقيقة، فعزها الله سبحانه وتعالى بسلامتها أولاً وبسلامة وطنها وشعبها وجيشها وبقاء ملكها وخلد القرآن الكريم ذكرها كنموذج مثالي في الحكم والحاكمة السياسية لفكر الإنسان العابر للزمان والمكان، فكان ذكرها في القرآن ليس من باب القصص والتسلية، وإنما جاء ذكرها من باب العبرة بالعلم بالشيء والعمل به، فكانت سيرتها أشبه بأمر صريح صادر عن الله سبحانه للناس كل الناس بأن يتخذوا الشورى طريقاً في بناء دولهم، وجعل من الشورى قاعدة يبنى عليها صرح كل الأنظمة السياسية في حياة الإنسان في الزمان والمكان، وبجعل نظام الحكم السياسي وظيفة ينتجها الإنسان بعلمه بالعرف وتراكم الخبرة وفطرته الغرائزية وبما يحمل من قيم الدين الذي يأمر بالفضيلة بكل صورها، ومن كون آدم الأنثى الأم هي المعلم الأول بما تحمل من قيم الفضيلة تصبح متصدرة مشهد الحكم السياسي على دوام حياة الإنسان من كونها النموذج الأفضل للقيادة من آدم الذكر، ونص آخر يتحدث عن كيفية إدارة الحكم السياسي الشورى الذي اعتمد الحوار والرأي والشورى في نظام الحكم والدبلوماسية في العلاقات الخارجية، وبه جسدت أول اللبانات في تأسيس أنظمة الحكم السياسي واتخاذ القرار السياسي أو المواقف السياسية بالإجماع، حسب ما شهد لها من كلام الله قَالَ تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمراً حَتَّى تَشْهَدُون﴾، (النمل: 32).

وبهذه الآية يفهم أن هذه الدولة كانت أول نموذج لنظام سياسي شوري لدولة الإنسان على الأرض وكانت المرأة على راس هذا النظام كما سبق القول، وفي إشارة قوية من القرآن بأحقية وصلاحيات وأفضلية المرأة للحكم السياسي من الرجل وهو ما أتوافق معه، حسب ما سبق بيانه، والتي انتهجت الشورى في العمل السياسي فرضي الله عنها في الكثير من المحطات الشاهدة عليها في القرآن الكريم باعتبارها المثل الأروع من الأنظمة التي يتوجب على الإنسان تطبيقه في إدارة نظام الحكم السياسي في المكان والزمان على الأرض.

ومن مدلول النصوص والوصف البديع غير المتكلف من القرآن الكريم لدولة سبأ تلك الدولة العظيمة بعظمة حاكميتها والتي خلدها القرآن في أكثر من نص ليس ذلك بل سميت سورة كاملة بسورة سبأ وفيها وصف بديع لحال تلك البلد الطيب أرضاً قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾، (سبأ: 15). إذ لم توصف بلد على الأرض بهذا الوصف، الذي زاده الإنسان ثراء وطيباً.

وبتقديري فقد كان نظام حكم الدولة السبئية القديم أشبه بنظام الحكم الرئاسي الجمهوري اليوم، فالحاكم (الرئيس) يملك من الصلاحيات والتفويضات التنفيذية ما يمكنه من اتخاذ القرارات المصيرية الحاسمة دون العودة إلى مجلس الشورى، خاصة في الأوقات الاستثنائية حسب ما يعرف اليوم بالصلاحيات الدستورية - أو الأوامر التنفيذية، يظهر ذلك من مدلول الآية قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾، (النمل: 33). وكذلك وصف نظام الحكم النوعي والفريد الذي حظيت به تلك المرأة بالقول (اني وجدت أمراه تملكهم) ولم يقل تحكمهم إذ إن الحكم عادة ما يكون بالغلبة أو بالأغلبية العددية، إلا إن نظام اختيار هذه المرأة كان بما هو أوسع من ذلك وهو على الأرجح حسب ما يطلق عليه اليوم - بالإجماع الشعبي العام وهو ما يفهم من مدلول النص، وهذه الطريقة لا تكون إلا نادرة ولشخصيات تمتلك من صفات القيادة والزعامة ما يؤهلها للقيادة الشعبية على أوسع نطاق، فاستحقت بجدارة أن تكون زعيمة لشعبها من طراز رفيع لم يبلغه أحد من قبل ومن بعد، وكما يفهم من سياق الآية التي توضح طبيعة نظام الحكم النوعي فجعل منها القائد والزعيم السياسي فملك قلوب الناس، كيف لا وهي التي عبرت عن ضمائرهم وآمالهم وطموحاتهم وتطلعاتهم وبذلك استحققت أن تملكهم، وهم بتلك الصفات من أولي قوة وأولي بأس شديد، أنها حكمة وحنكة القائد السياسي الذي يتخذ قراراته في مصلحة أبناء وطنه، ومصالح الناس جميعاً، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾، (النمل: 23)، فكانت هذه الآية واضحة للتعريف بطبيعة الحكم وكيف استطاعت أن تتساوى مع الملك سليمان بامتلاكها من كل شيء فكانت هذه المساواة نتيجة واقعية لما قدمت من فكر وعلم وعمل بالعرف في صياغة النظام السياسي الإنساني الأمثل في بناء تلك الدولة، وإلى موضع آخر من الوصف النوعي لدولة سبأ، وكما جاء في التعبير البليغ الذي يفهم من سياق الآية على أنها أوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم، ولما لهذه الكلمات من دلالات قوية في القرآن الكريم في التعبير الصادق عن عظمة هذا النظام بقيادة هذه المرأة بما تمتلك من عناصر ومقومات الحكم ما يجعلها قريبة المساواة بعظمة ملك سليمان في الوقت الذي لم تكن قد أسلمت معه من قبل، بل كانت تسجد للشمس من دون الله سبحانه، وعلى الرغم من أن عظمة ملك سليمان كان من نوع خاص وبتأييد إلهي تمثل بامتلاكه مقدرات علمية بالأشياء حوله وبتسخير الله سبحانه عدداً من الآيات والمعجزات قَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾، (النمل: 16). فكان العلم وتلك الآيات الأعجازية في وصف طبيعة وحجم ملك

النبي سليمان يتساوى مع حاكمة دولة سبأ من حيث امتلاكهما لكل شيء والتي كانت تسجد للشمس من دون الله وذلك أمر يدعو لإكبار فضيلة الشورى في الحكم والخير في النفس الإنسانية لتلك المرأة التي كان سعيها نحو العلم والعمل بالفضيلة والفضيلة عنوان عريض لكل القيم وأحترام حقوق الإنسان والعمل بالعرف والخبرة المفصي لقيام النظام السياسي الشورى الأمثل في الحكم من أجل إرساء قواعد العدل والخير والحرية للناس كل الناس دون تمييز في الدين والجنس واللون وهو ما جسده في حكمها، فاستحقت أن تتساوى في المكانة مع الملك سليمان النبي المؤيد من قبل الله سبحانه، وذلك ما تضمنته آيات ذات دلالة فارقة في الفهم والفقه لمجمل كلام الله سبحانه وتعالى في إِدْكَار وفهم النص، وكثيراً من النَّاس يعتقدون أن شكل نظام حكم دولة سبأ ملكي والمرأة التي كانت تملكهم توصف بالملكة، وهذا الاعتقاد بتقديري خاطئ فمن خلال البيان الذي أورده مضمون الآية التي تسلط الضوء على ذم حاكمية الملك السياسي المطلق، قَالَ اللَّهُ سبحانه وتعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةً أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾، (النمل: 34)، فهي بهذه الآية تدم أفعال الملوك وتصفهم بالفساد والإذلال للناس، وهي صفات تنفيها ضمناً عن نفسها وعن حكمها المتمسم بالشورى، دون أن تدرك طبيعة ملك النبي سليمان الذي لا يستغرق بهذا الوصف وإنما أطلقت وصف الملوك بتلك الأوصاف لعلمها المحدود بواقع حال الملوك في ذلك الوقت في الزمان والمكان كما سبق الإشارة إليه.

ومن هنا فقد كان النظام السياسي لدولة سبأ، هو ذلك النظام السياسي الرئاسي (الجمهوري) الشورى (البرلماني) لحاكمية دولة سبأ وبه ولجت صرح الملك والنبي سليمان، إذ حسبته لجة (ماء) فكشفت عن ساقبها، فقيل لها أنه صرح ممرد من قوارير (زجاج)، قَالَ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ...﴾، (النمل: 44)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عِرْسُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾، (النمل: 42). وهذه الآية تؤكد على حقيقة ارتباط الناس في ذلك الزمان والمكان بدين الإسلام دين سيدنا إبراهيم، إلا أنها صدت عنه نحو عبادة الشمس، حسب مدلول هذه الآية بقَوْلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾، (النمل: 43). إلا إن غريزة الارتباط بالإسلام كان هو الدافع الأقوى نحو السير على الصراط المستقيم فأسلمت مع سليمان لله رب العالمين، قَالَ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿.....قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، (النمل: 44)، فكان إسلامها تتويجاً لإبداع صنعتها الفكرية الملهمة بوعي وإِدْكَار نحو حقيقة العقل ذلك هو صنع الله سبحانه وتعالى الذي أحسن كل شيء.

والقرآن الكريم، إذ ذكر هذا الحدث القصصي ليحتذى به النَّاس في ترسيخ قواعد الحكم والإدارة السياسية بمفهومه العام من الشورى والحرية، فقد أكدت النصوص التالية من القرآن والتي تخاطب الإنسان أولاً على مر الزمان والمكان في سورة أطلق عليها اسم له دلالة قوية في الفقه السياسي بالشورى كمصطلح سياسي محض، قَالَ اللَّهُ تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾، (الشورى: 38)، ونص آخر

قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾، (آل عمران: 159)، فكانت الشورى مصطلحاً سياسياً ملازماً لنظام الحكم والإدارة السياسية لأي شعب في المكان والزمان على الأرض، مهما اختلفت عادات وعقائد وأديان الإنسان فستبقى الشورى كمفهوم ومصطلح للنظام السياسي الأمثل، وهي القاسم المشترك في الحاكمية السياسية بين جميع الشعوب والأمم بمختلف الحضارات الإنسانية المتعاقبة، وبما يحافظ على خصوصية الشعوب والأمم في كل زمان ومكان.

ولندع القرآن الكريم يصف تلك المشاهد بصورة كاملة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ، لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ، فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ، إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ، وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ، أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ، اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾، ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ، اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ، قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ كِتَابٌ كَرِيمٌ، إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ، قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ، قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ، قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا أَذَلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ، وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ، فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتُمَدُّونَ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ، ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذَلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾، (النمل: 20، 21، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 33، 34، 35، 36، 37).

ولمعرفة حقيقة ارتباط السياسة بالدين أو فصل الدين عن السياسية، وكما جاء به الفكر الحدائثي التنويري اليوم من الذين نادوا بفصل الدين عن الدولة فتصحرت مجتمعاتهم وآخر جعل من الدين دولة ومن القرآن (كلام الله)، دستور ومن أحاديث القلقلة والعنونة نصاً تشريعياً لنشر التطرف والإرهاب والافتتال باسم الله والرسول والله سبحانه وتعالى ورسوله منه بريء، فتحولت قراهم ومدنهم وأوطانهم إلى أطلال خربة وتهجروا في بقاع الأرض بحثاً عن وطن آمن، أنها مأساة متلازمة في كلا الحالتين، وكليهما لا محل لهما في وصايا دين الإسلام وتعاليم القرآن الذي دعا إلى الوسطية كقاعدة في التفكير والعمل بل وفي السلوك والحياة كاملة، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا...﴾، (البقرة: 143). فلا تفريط في فصل الدين عن الدولة فيتعطل العمل بأحكام الله وتتعطل معها الشعائر والمناسك والعبادات ويتعطل العمل بالحلال والحرام وتتعطل أيضاً العمل بقواعد العقوبات ولا إفراط في جعل الدين دولة والقرآن دستور والدين والقرآن أرفع من أن يوظف في العمل السياسي، وهكذا تعاقبت أجيال الإنسان على

فطرة وسنة الله في الخلق ومن بعد دولة سبأ جاءت جمهورية أثينا وروما بفكرها الديمقراطي كحلقة متصلة في حضارة الإنسان وفكره على أرضية الشورى السبئية، وهو ما غفل عنه الكثير من المفكرين ومنهم الأستاذ على عبد الرزاق رحمة الله عليه والذي كان أسير فكر الجغرافيا الدينية، حيث جاء بالقول في هذا الشأن: ومن الملاحظ البين في تاريخ الحركة العلمية عند المسلمين يتبين أن حظ العلوم السياسية فيهم كان... أسوأ حظ وإن وجودها بينهم كان أضعف وجود، وأردف بالقول من أنهم كانوا مولعين بما عند اليونان من فلسفة وعلم وعلى الرغم من ترجمتها فلم يسعوا للاهتمام بها لديهم وتطبيقها في واقعهم وحياتهم في هذا الجانب... ويقصد به تطبيق الديمقراطية في نظام الخلافة الإسلامي الذي كانت تعتمد بقيامها على السيف والعنف والإرهاب والإكراه حسب نظام البيعة من أهل الحل والعقد،... وعلى ما يبدو لي أن الأستاذ علي عبد الرزاق بنى رأيه هذا وغيره من الآراء على ضوء ما دسته جماعة التحريف بفكر المذاهب في السيرة، والحديث حول الحكم، والولاء، والخلافة، والولاء والبراء، ووصف النبي بالحاكم وغيره، وبه شوها الرسول والصحابة وفترة الخلافة، والتشكيك بوجود قصور في تعاليم الإسلام حول نظام الحكم، الأمر الذي جعله يتناسى من أن فكر الشورى في دولة سبأ، كان هو المحطة الأولى لأنطلاق أنظمة الحكم السياسي الديمقراطي لحضارة الإنسان في المجتمعات والشعوب اللاحقة، وبفعل ذلك أمتد هذا الفكر إلي أثينا وروما وحواضرهما، وهو فكرنا نحن بني الإنسان بعيداً عن حدود الجغرافية والتاريخ، وللعلم أن مجتمع الإسلام في عهد الخلافة (الحكومة) كانوا معنيين بتطبيق هذا النموذج الذي أشار إليه القرآن الكريم بل كانوا الأكمل مثلاً في التطبيق، إذ كان حكماً مدنياً خالصاً، بخلاف ما جاءت به جماعة التحريف فصورت نظام الحكم في عهد الرسول وعهد الخلافة في الدين والدنيا حسب ما جاء بفقه السيرة لجماعة التحريف الذين افتروا الكذب على الرسول وصحابته ووصفهم بأقذع الأوصاف التي تحمل في طياتها الإرهاب والغدر والتخوين والتكفير وحمل الناس على حكم السيف والغلبة، كما نقله المرحوم علي عبدالرزاق عن فكر تلك الجماعة، والرسول والنبي محمد صلى الله عليه وسلم منها براء، فلا يعقل أن يكون مجتمع النبي محمد بتلك الصورة والقرآن الكريم يصفه هو وجماعته بهذه الوصف الذي يفوق خيال افلاطون بمدرسة روما في بناء المجتمع المثالي الذي كان يحلم به، بل كان مجتمعاً مثالياً جاء مماثلته بصفات وهدى الأنبياء السابقين بعهود متفرقة من نور الهداية الملهمة بالتوراة بعهد رسول الله موسى والأنجيل بعهد رسول الله عيسى والقرآن (الجامع) بعهد رسول الله محمد حسب نص هذه الآية، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجِدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾، (الفتح: 29). وهذه الآية تؤكد على حقيقة قيام المجتمع الفاضل بفترة بعثة النبي والرسول محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه، بل كان الأكمل والأمثل، فكان وما يزال قبسا من نور، تسعى جماعة التحريف لإطفائه في كل الطرق، إلا أن الله يأبى إلا أن يتم نوره

ويظهر الحق ولو كره الكافرون، وبهذا المجتمع قامت أول حكومة ،أطلق عليها الخلافة العربية الإسلامية.

تمتد حضارة اليونان - روما على رقعة جغرافية تتوسع أحياناً وتضيق أحياناً أخرى وتضم عدداً من الشعوب الأخرى، وقد نشأت بمنتصف القرن الأول قبل الميلاد، ودارت أحداث هذه الحضارة على رقعة من الأرض امتدت من وسط أوروبا من جهة الشمال وصولاً إلى حوض المتوسط وسواحل شمال أفريقيا، وقد أثرى علماء الآثار والتاريخ والفكر هذه الحضارة بكم غزير من الأبحاث العلمية والتأريخية والتنقيب ساعدهم في ذلك وجود الآثار التي احتفظوا بجزء كبير منها حتى اليوم إضافة لوجود المادة التاريخية من المؤلفات والمخطوطات عن تلك الحضارة العريقة فكانت تلك محطة هامة في كشف النقاب عن فكر الإنسان ، بما يحمل من العلوم الغزيرة في مختلف المجالات ومنها موضوعنا هذا المتعلق حول أنظمة الحكم السياسي لخدمة الإنسان في إدارة الدولة الأرض والإنسان في الزمان والمكان، وما زال هذا النظام قائماً حتى اليوم وبه تستقيم إدارة الحكم السياسي للإنسان على الأرض من حيث قيام النظام الديمقراطي وقيام مؤسسات الحكم بسلطاتها المختلفة، وتتعدد السلطات من سلطة تنفيذية ممثلة بالحكومة والحاكم أو الرئيس أو الملك وسلطة تشريعية متمثلة بمجالس الشورى أو الشيوخ أو البرلمان أو الجمعية الوطنية أو مجلس الشعب، وسلطة قضائية ممثلة بمجلس قضاء الدولة أو مجلس القضاء الأعلى أو المحكمة العليا، وهكذا، فكان هذا النظام السياسي وما يزال شمساً مشرقة في سماء العالم تضيء كل يوم في حياة مختلف الشعوب والأمم ويزداد توهجها إلى ما يشاء الله سبحانه، حيث جاء الفكر السياسي لحضارة أثينا وروما وحواضوها على ذكر عددٍ من أنظمة الحكم منها: النظام الجمهوري والنظام البرلماني ونظام الحكم الإمبراطوري (1)، والذي طبق في حواضر اليونان ومنها مدينة أثينا ومقدونيا ومدينة روما وأخيراً مدينة القسطنطينية وغيرها، تلك المدن التي تمثل تطبيق تجارب الأنظمة السياسية فيها بعصارة فكر الإنسان لحضارتي اليونان، وروما والتي هيمنت على رقعة واسعة من الجغرافيا في العالم في ذلك المكان والزمان من التاريخ، وما يهمننا من هذه الإطلالة هو ذكر عهد الازدهار الحضاري الذي خلده كلام الله سبحانه في القرآن الكريم عن روما وهو ما يمثل جانباً مشرقاً من العمل بالعرف والقانون في حياة الإنسان وتطوره المعرفي بالعلوم بعيداً عن حدود المكان والزمان (الجغرافيا - والتاريخ)، على اعتبار أن هذه الحضارة فكر إنساني محض ومتصل بالحضارات القديمة أمثال حضارة بابل وحضارة وادي النيل وحضارة سبأ وحضارة الفرس وحضارة الهند وأخص منها حضارة دولة سبأ في هذه الجزئية حول النظام السياسي في الحكم على قاعدة الشورى، وأنا هنا لست مؤرخاً أو باحثاً تاريخياً، فما يهمننا في هذا المجال هو التركيز على عامل الاتصال بين مختلف تلك الحضارات وارتباط هذا الاتصال بفكرة النظام السياسي لإدارة الدولة على اعتبار أن الفكر الإنساني واحد وإن اختلفت الجغرافيا والتاريخ، فقد جاء ذكر الروم في القرآن الكريم كما سبق القول تتويجاً لتاريخ عريق في قيم الحضارة الإنسانية التي اكتنفت في طياتها مدن عريقة كان لأثينا وروما سبق الصدارة في الظهور، فخلد

(1). راجع الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب / أسد رستم 2017م

القرآن ذكر روما في افتتاح سورة الروم - الإنسان والمكان حيث بقي ذكرها يتجدد على مر الزمان اعترافاً من القرآن بأهمية الإنسان الذي يعتبره الله سبحانه محور الحياة في هذا الكون البديع، إذ إنني أجزم أن حضارة أثينا وروما في تطوير أنظمتها السياسية كان الفضل فيه لفلاسفتها أولاً وثانياً للامتداد التاريخي في الفكر السياسي لدولة سبأ الشورية في تنظيم وإثراء النظام السياسي في الحكم وإدارة الدولة، فنشأة الجمهوريات - والديمقراطية - والقانون، فجاء كلام الله بذكر مجد روما ووصف شعوب روما بالإيمان تتويجاً لهذا الأثر البديع: **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ أَلَمْ تَكُنِ الْأَرْضُ وَهْمٌ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ، فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ، بَنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ، وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**، (الروم: 1، 2، 3، 4، 5، 6).

ذلك أن ذكر الروم في نصوص القرآن الكريم لم يكن عابراً لذكر حدث الانتصار الذي حققته شعوب الروم بين فنية وأخرى على أعدائهم، بل ذهبت الآية إلى ابعاد من ذلك في وصف أهل روما بالمؤمنين وهنا بيت القصيد فجاء ذكر إيمان شعب روما لتأكيد حلقة اتصال الإيمان بفكر الإنسان وهو يسير متخبطاً التاريخ والجغرافيا ومحور هدفها الإنسان أينما كان هذا الإنسان، وقد يقول قائل وهل أهل روما في ذلك الوقت كانوا مسلمين أو مؤمنين؟ والإجابة نعم كل الناس مؤمنين ومسلمين منذ عهد سيدنا إبراهيم عليه السلام ، وكما هو معلوم أن إبراهيم عليه السلام كان أول من أطلق اسم الإسلام كدين على عقيدة إيمان الناس، حسب ما جاء في وحي الله سبحانه، كما كان إبراهيم عليه السلام أول إنسان (فتى) أسس منهجاً إيمانياً يقوم على الجدل المعرفي وصولاً إلى المعرفة بالحق المطلق، فكان وما يزال ملهم الجدل الفكري في فلسفة بابل وملهم الفلسفة في أثينا وروما وإلى ما شاء الله، ومن موضع اهتمامنا في هذه الجزئية التي تعود لمناسبة ذكر روما في القرآن الكريم، إذ يرجع الأمر بتقديري لعدة عوامل منها الوضع الذي حظي به الإنسان هناك وحصوله على حقوقه المدنية والسياسية والعمل بالعرف وتطويره منظومة القانون الروماني المكتوب، فكان القانون الروماني وما يزال مفخرة الفكر الإنساني المتصل بأسلافنا السابقين أمثال قانون أور- نمو ولبنت عشتار وقانون حمورابي وغيره من القوانين القديمة من أجل تنظيم حياة الناس على الأرض، وبسببه قامت الحضارة وعلا شأن الإنسان وازدهرت الثقافات والفنون والآداب والمسرح، وظهرت مناهج العلوم المختلفة، كما ظهر معها مختلف مذاهب ومنهاج الفلسفة والعلوم المادية والإنسانية ومنها النظريات العلمية المختلفة في الحكم والأدارة السياسية، والتعريف بفكر أثينا وروما يحتاج لمجلدات غير أنني مجبر على الاختصار مستذكراً جانب واحد من جوانب العلم والمعرفة بفكر روما من خلال عناوين رئيسية، فما زال تراثها العلمي والفلسفي يمثل أرضية متينة لمختلف أنواع العلوم ومن ضمنها العلوم السياسية، إذ لم يكن ذكر الروم خاطرة عابرة من ذاكرة النشوة والفرح بالانتصار في معركة حربية حسب ما صور في أحاديث مذاهب الفكر الإسلامي وغيرها، وسواء اختلفنا أم اتفقنا مع فكر الإنسان في أثينا وروما فإن هذه المدن كان لها فكر متصل بفكر أسلافنا من بني الإنسان وعبر عهود الحضارات المتعاقبة من

عهد إبراهيم وحضارة بابل إلى عهد موسى وحضارة المصريين إلى عهد الملك والنبي سليمان وحضارة سبأ إلى عهد عيسى وحضارة روما وصولاً إلى عهد محمد وحضارة العرب ومن العرب - مكة ويثرب رحل موكب النور مرة أخرى إلى دمشق وبغداد، ثم إلى الشرق من أرض خراسان وطشقند ونيسبور وإلى الهند وحدود الصين، وفي اتجاه آخر نحو الغرب والشمال وتحديداً إلى فسطاط مصر ثم إلى القسطنطينية وطرابلس وقرطاج وقرطبة وغرناطة وأشبيلية ثم إلى باريس ولندن ونيورك والعالم الحر المؤمن بقيم الديمقراطية، وما زال الركب يسير، إنه الفكر الإنساني المتصل والمتعاقب والخالد في القرآن كلام الله سبحانه، وكل شيء يبدأ وينتهي بالإنسان، وكلنا جميعاً ملائنا لله سبحانه وتعالى.

24-6 الملك طالوت في بني إسرائيل:

أستجاب الله سبحانه لدعاء الملائ من بني إسرائيل، وكلمة الملائ تعني رجال الصف الأول من عليّة القوم الذين طلبوا أن يجعل الله سبحانه لهم ملكاً لكي يقاتلوا للدفاع عن أنفسهم وفي سبيل الله، ويتحدث القرآن الكريم عن الملك طالوت العالم بفنون الحرب والقتال، ذلك أن دائرة علمه وعمله محصورة في الأمر الذي من أجله كان طلباً من بعض من ملائ بني إسرائيل، فطالوت كان ملكاً ولم يكن نبياً، وبذلك أراد الله سبحانه القول لنا أن محدودية ملك طالوت تقتصر على إدارة المعارك وقيادة الجيوش حسب لطلب الملائ من بني إسرائيل من نبي لهم ولم يكن لطالوت شأن في الحكم أو النبوة حسب ما يفهم من النص، إذ يلاحظ من الآية أنه بعث لهم من أجل هذا المهمة حصراً وقصراً وزود بأدوات هذه المهمة لضمان نجاحها وهي (بسطة في علوم الحرب والقتال - وبسطة في الجسم)، حسب ما جاء بهذه الآيات، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ اأَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نَقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ، وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ، قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ، وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أَقْدَامُنَا وَانْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ، فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ، تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ، (البقرة: 246، 247، 248، 249، 250، 251، 252).

24-7 دولة الرسول وخلافته في الدين والدنيا

جاء في كتب فقه السيرة النبوية وفكر المذاهب الإسلامي وأحاديث العنينة والقفلة عن دولة الرسول والنبي محمد عليه السلام، إذ زعموا أنه قام بتأسيسها عقب هجرته من مكة إلى "يثرب"، وفور وصوله شرع في كتابة وثيقة تبين أسس العيش المشترك بين المؤمنين من اليهود والمسلمين، وقيل عن هذه الوثيقة أنها معاهدة، والبعض الآخر أطلق عليها دستوراً لدولة الدين الإسلامي في يثرب، ومن كتب فقه السيرة المختلفة جاءت روايات متعددة حول دولة الرسول، وفي ضوء ذلك فأننا أمام سؤال يفرض نفسه حول هذه الدولة: هل الرُّسل والأنبياء ومنهم النبي والرسول محمد عليه السلام مكلف هو وغيره من الرُّسل والأنبياء بإقامة دولة أو حكومة؟

ولتوضيح السؤال أكثر... هل من مناط التكليف بالرسالة إقامة دولة أو حكومة للناس من قبل الرسول أو النبي؟

والإجابة المباشرة على هذا السؤال "بلا" هي عين الصواب، ولمزيد من الفهم حول هذا الموضوع الحساس في حياة الناس.

وذلك لأن الأنبياء والرسل مكلفون بالتبليغ والتبشير والأذار ودعوة الناس برسالة الله سبحانه وتعالى، حسب ما يوحى إليه من قبل الله تعالى من أجل هداية الناس لإقامة حكم الله القائم على العدل ونشر قيم الفضيلة والحرية الدينية وحرية الاعتقاد والقيام بالشعائر والمناسك ونشر السلام ونبذ الحرب والاعتداء وتطبيق قواعد الأحكام والوفاء بالعهود والعقود والمواثيق، ومن ضمن مهام الرُّسل والأنبياء إرشاد الناس إلى العمل بقواعد العرف المفوض لإقامة القانون في المجتمع وصولاً لإقامة الحكومة والدولة والنظام السياسي من قبلهم من كونها وظيفة لتنظيم سبل العيش المشترك بين الناس، ومن أجل نشر قيم الحرية والتعايش السلمي بين الشعوب والأمم بمختلف توجهاتهم وأديانهم وأجناسهم، وهو ما جاء في القرآن الكريم على لسان كل الأنبياء والرُّسل من سيدنا نوح إلى هود وصالح وصولاً إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام ومروراً بالأنبياء والرُّسل من بعده إسحاق ويعقوب ويوسف وموسى وهارون وداود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى ومحمد عليهم جميعاً الصَّلَاة والسلام فهم وغيرهم من الأنبياء والرسل جاؤوا على خط واحد ورسالة واحدة من الدعوى إلى دين واحد هو دين الإسلام الذي ارتضاه الله للناس جميعاً وبحسب عدد من نصوص الذكر الحكيم التي جاءت لتخاطبهم وتحثهم على العمل، وهذه النصوص التالية من كلام الله الموجهة للرسل جميعاً ومنهم الرسول محمد عليه السلام سبق ذكرها ونعيد بعضاً منها للتذكير حددت بدرجة رئيسية مهمة ووظيف الأنبياء والرسل بالآتي:

- قَالَ جَلِّي فِي عِلَاه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾، (المائدة: 67).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾، (هود: 25).

• قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْنَزْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، (الأعراف: 188).

• قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾، (هود: 2).

• قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾، (الحجر: 89).

• قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾، (الإسراء: 105).

• قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُم نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، (الحج: 49).

• قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾، (الفرقان: 56).

• قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾، (الأحزاب: 45).

• قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، (سبأ: 28).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾، (فاطر: 23).

• قَالَ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعَ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، (الأحقاف: 9).

فلم يكن التكليف المناط بالرسول والأنبياء إقامة دولة أو حكومة أو نظام سياسي ديني، بل كان هدفهم أشمل، وأرفع قدراً، وأهم مكانة، وهو هداية الناس إلى إصلاح وتربية النفس التي بها تقام الدول والحكومات والنظم السياسية وغيره على أسس من قواعد حكم الله، المتمثل بالعدل والمساواة بين الناس دون فرق في الدين والجنس واللون والحرية الدينية والحرية السياسية، وحث المؤمنين على إقامة الشعائر والمناسك بصورة اختيارية لا أكره في الدين، وتطبيق قواعد العقاب والوفاء بالعهود والمواثيق والعمل بالعرف والأعراف وصولاً لصياغة نصوص من التشريع القانوني يستند لتلك المبادئ والتي هي عين الفطرة التي فطر الله عليها جميع البشر كما أن مهمة الأنبياء والرسل، تقوم على محاربة الحكم الديني الكهنوتي القائم على نظرية الحق الإلهي في الحكم السياسي من قبل الملوك والحكام المستبدين على مر التاريخ، والذين جعلوا من الناس عبيداً للحكام باسم الرب.

وهناك الكثير من الناس قد يجد صعوبة في زحزحة التركة الثقيلة من أفكاره المذهبية والدينية التي حُشرت بها عقولهم عن طريق التلقين والنقل المكتسب للأفكار طيلة العقود الماضية من الزمن، فأصبح لا يرى الحقيقة ألا من خلال زاوية مذهب أو طائفته أو دين جماعته أو فرقته الدينية، وهؤلاء لعمرى يوجد منهم الكثير بل هم السواد الأعظم من الناس في أيامنا هذه، ويعود سبب ذلك للفكر المذهبي المندس في مناهج التعليم الذي يلقي لأطفالنا منذ الصغر وأصبح تركة ثقيلة يصعب زحزحتها، أضف للتعليم الديني المذهبي الطائفي الذي يدرس بتخصص نوعي عالي في المعاهد والكلديات فتلك الطامة الكبرى.

ومن أجل إزاحة هذه التركة عنى وعن عقول أجيالنا القادمة يجب على مسؤولي التعليم العمل وبصورة عاجلة على وقف وإبعاد فكر المذاهب الدينية عن التعليم الأساسي والتعليم العالي لكونه يقدم الدين - الإسلام - مشوه ويقدم شخصية الرسول بل وكل الرسل والصحابة ومجتمع الرسول بصورة متناقضة كلا من زاوية مذهبه وجماعته، ويوصم الإسلام والمسلمين ومجتمع الرسول وصحابته بالعنف والإرهاب ويصفهم بالأصولية والكراهية للآخرين ويظهر الخرافة وغيرها، وهو ما سبق لنا استعراضه من الفصول السابقة من الجزء الأول من هذا المؤلف، ومن ذلك الفكر المذهبي تعالوا لنشاهد ما نسب للنبي والرسول محمد عليه السلام، ولمجتمعه، وللدولة التي أرادوا صنعها للنبي محمد عليه السلام من خلال ما ورد في كتب فقه المذاهب (السنة - الشيعة)، والمسمى بكتب الحديث وفقه السيرة وفقه التفسير وغيرها، مستذكرين أهم الأعمال التي زعموا أن النبي محمد عليه السلام قام بها بصفته رسولاً ونبياً وحاكماً سياسياً وتحت ذريعة أن الإسلام دين ودولة وحكومة ورئاسة وأن القرآن دستور هذه الدولة، وأن الرسول محمد عليه السلام عمل على إقامة سلطات هذه الدولة ومنها السلطة القضائية، فعمل من خلالها على حسب زعمهم الكاذب على إقامة الحدود إذ أمر بقطع يد السارق، وجلد ورجم الزاني حتى الموت، وجلد شارب الخمر، ومارس وظيفة السلطة السياسية في الحكم والإدارة، تمثل ذلك بزعمهم القيام في مراسلة الملوك، وقيادة الجيوش في غزواته الحربية وتعيين الولاء وغيرها، وهذه الأعمال تتعارض مع صيغة التكليف المضمنة بكلام الله سبحانه للنبي والرسول محمد عليه السلام والتي نسبة له هذه الأعمال وغيرها من جماعة التحريف، بالمخالفة لتكليف الله سبحانه المحدد بمهام أيضاً محددة (البلاغ - الأنداز - التبشير - الدعوى - التبيان للحق - وغيره)، كما سبق لجماعة التحريف القيام بنفس تلك الأعمال السابقة وأكثر بحق الأنبياء والرسل من قبل عهد النبي محمد عليه السلام، حسب ما جاء بكتب العهد القديم، فقد شوهوا أغلب الرسل والأنبياء، وتكلموا عنهم بكلام مدعين كذباً أن هذا الكلام قال به الله سبحانه عنهم أو على لسانهم، والله سبحانه بريء من هذا الافتراء ومن تلك التقوليات والتي سبق ذكرها بالفصل من الجزء الأول من المؤلف نسرد منها القليل باختصار بالآتي⁽¹⁾:

- تشويه خلق آدم.
- واحتقار خلق المرأة من ضلع آدم وأنها أم لكل حي.
- وشوهوا خليل الله إبراهيم وأهل بيته.
- اتهم النبي لوط بالزنا بأبنتيه.
- شوهوا حياة الأنبياء إسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف بكثير من الكذب والافتراء.
- نسبوا لسيدنا موسى وهارون كل الافتراء، ووصموهم بالإرهاب والتطرف والأصولية، وكل صنوف الكراهية والحقد ضد الآخر، واحتلال أراضي الغير بالغزو والسبي وقتل الأطفال والنساء، وإحراق المدن بالنار.

(1). راجع العهد القديم والجديد وتحديدًا تورا العبرانيين وأسفارها الخمس . سفر التكوين والخروج واللاويين والعدد والنتنية والأنجيل الأربعة .

- ونسبوا لهم صفوة الخلق والنسب الديني المقدس.
- نسبوا لهم تطبيق عقوبات بصورة بشعة من الرجم حتى الموت، والحرق بالنار، والوضع على الخازوق، وغيرها الكثير من الأكاذيب والخرافات.
- ثم تقولوا على سيدنا داود وسليمان بالزنا والزواج من أعداد كثيرة من النساء، وكذلك نفس الشيء على سليمان بشأن خرافة بناء الهيكل وأنه سجد لغير الله ونسبوا إليه كل الخرافات.
- ثم تقولوا على يحيى بن زكريا ومريم ابنة عمران.
- ثم تقولوا كذباً وزوراً على الله سبحانه بولادة عيسى وهو قولاً منكراً وزوراً.
- وقسموا دينهم إلى أديان، ومجتمعاتهم، لطوائف، وفرق، وجماعات، مختلفة تتقاتل فيما بينها وغيره من الكذب والتحريف.

وأخيراً جاؤوا لسيرة وحياة الرسول النبي محمد عليه السلام فعملوا جاهدين بالولوج إلى داخل الإسلام بعباءة المذاهب والفرق والجماعات والطوائف فتسللوا خلسة بكتبهم الصفراء (فقه السيرة – فقه الحديث – أصول الفقه – فقه العبادات وفقه المعاملات) وغيرها فخلقوا نصوصاً متعددة ظاهرها الرحمة وباطن من قبلهم الزيف والخداع، لهدم الإسلام من الداخل فحرفوا التاريخ والسيرة النبوية وخلقوا نصوص من أحاديث العنينة والقلقلة ضد نص القرآن وأوجدوا قواعد لتحريف أحكام الحلال وتوسيع قواعد التحريم وحرفوا المناسك والشعائر الدينية وغيرها، وصنعوا المذاهب والفرق والجماعات الدينية المختلفة والمتقاتلة، ومثلما شوهوا الأنبياء والرسل من قبل عمدوا لتشويه النبي والرسول محمد عليه السلام فنسبوا له كل أصناف الخير المبطن بالشر ومن تلك الأكاذيب التي رووها عنه ونسبوها للنبي والرسول محمد عليه السلام ولصحابته ومجتمعه الكثير والكثير من التحريف عبر أحاديث العنينة والقلقلة والروايات والتفسيرات الكثيرة، تحت عددا من الحجج نذكر القليل منها بالآتي:

- روى عنه كذباً أنه أقام حد الردة فامر بقتل المرتدين مخالفاً القرآن الكريم.
- روى عنه كذباً أنه ينشر الإسلام بالسيف والذبح بالمخالفة للقرآن.
- روى عنه كذباً أنه حصر الإسلام بالشهادة والصلاة والزكاة والصيام والحج وأطلقوا عليها أركان الإسلام وأركان الإيمان.
- روى عنه كذباً أنه كان غازياً ومحارباً ومن غزواته غزوة بدر – غزوة أحد – غزوة الخندق – غزوة الأحزاب وغيرها.
- روى عنه كذباً بنفي الحرية الدينية على العموم والخصوص (لا يجتمع دينان في جزيرة العرب).
- روى عنه كذباً أنه امر بقطع وبتر اليد من الرسغ أو من المفصل بسرقة درهمين أو ثلاثة.
- روى عنه كذباً أنه امر برجم الزاني المحصن بالحجارة حتى الموت.
- روى عنه كذباً في حديث الأفك باتهام أهل بيته.

- روى عنه كذباً أنه غزا اليهود أكثر من غزوة وقتلهم ودفنهم بمقابر جماعية.
- روى عنه كذباً أنه امر بقتل أسارى الحروب وسبي الذراري وبيعهم.
- روى عنه كذباً أنه تزوج بأكثر من عشر نساء في وقت واحد، وأنه كان يأتيهن بغسلة واحدة.
- روى عنه كذباً أنه يضاجع الأسيرات أو يتزوجهن دون عدة من أزواجهن القدماء كصفية.
- روى عنه كذباً أنه يعلم الغيب وأحداث الزمن القادم ويتنبأ بالفتن لمستقبل الإسلام والمسلمين.
- روى عنه كذباً أنه يعلم الغيب وأن المسلمين سينقسمون لأكثر من بضع وسبعين فرقة.
- روى عنه كذباً أنه عرج إلى السماء لفرض مشروعية الصلاة.
- روى عنه كذباً أنه ورث الدين والدنيا وجعله بعصبته من النسب المقدس من ذرية ابنته فاطمة.
- روى عنه كذباً أنه ورث استحقاقات مالية من الفي والأنفال والخمس وجعله بعصبته النسب المقدس من ذرية ابنته فاطمة.
- روى عنه كذباً أنه بلغ الإسلام إلى الملوك عبر رسائل تحمل من الوعد والوعيد ولغة التهديد (إسلم تسلم).
- روى عنه كذباً أنه اغتال المعارضين له سواءً كانوا من الرجال أو النساء وهناك حوادث متعددة ذكرت في هذا الشأن.
- روى عنه كذباً أنه أخذ الجزية من اليهود وغيرهم.
- روى عنه كذباً أنه كان فاجراً في الخصومة مع اليهود.
- روى عنه كذباً أنه عطل الوصية في المواريث.
- روى عنه كذباً أنه احتقر المرأة وساوها بالشؤم والدابة.
- روى عنه كذباً أنه أقام الشعائر والمناسك في الصلاة والحج والصيام بما يخالف القرآن.
- روى عنه كذباً أنه أقامة شعيرة الصلاة بالمخالفة للقرآن.
- روى عنه كذباً أنه فرض مناسك وشعائر وثنية في الحج والعمرة كالحجر الأسود وماء زمزم ورمي جمار العقبة.... الخ بالمخالفة للقرآن.
- روى عنه كذباً أنه شرع صيام أشهر وأيام خلاف لشهر رمضان بحجة السنة بالمخالفة للقرآن.
- روى عنه كذباً أنه أمر بصرف مداخل الزكاة لمستحقي الصدقات بالمخالفة للقرآن.
- روى عنه كذباً أنه كان يعمل بأعمال من الخرافات مثل البصاق والغسل بماء وضوءه وغيرها.
- روى عنه كذباً أنه شرع نصوصاً من الأحاديث للتحريم والتحليل خلافاً لنص القرآن.
- روى عنه كذباً أنه قال بأحاديث العننة والقلقلة بفقہ الحديث لدى السنة والشيعة وغيرهم.

- ونسبوا إليه كذباً شريعة السنة القولية والتقريرية والعملية نقلاً من كتاب الكنز راباً للصابئة المندائية، ومماثلة بالتلمود الشريعة المفصلة لليهود.
- نسبوا إليه كذباً فقه المعاملات، وهو مقتبس من قواعد العرف والقوانين القديمة - القانون البابلي - والقانون الروماني القديم.

أضف إلى أن جماعة التحريف أسقطت القرآن على المكان والزمان فجعلت من القرآن مكياً ومدنياً، وجعلوا منه نص يخاطب الأحداث والوقائع التي حدثت في مكة، ويثرب (المدينة)، وهو قولٌ مكذوب ويردده البعض دون وعي وإدراك بحقيقة مقصده، وهو نفس القول القديم بخلق القرآن لدى ما يسمى بالحنابلة وغيرهم من جماعة اليهود الغنوصيين عن التوراة، مع العلم أن القرآن كلام الله الثابت الذي لا يتقيد بزمان ولا بمكان، ألا ما كان بنص محدد والقرآن كما قلنا لا يفسر ولا يؤول، ومن ضمن الروايات التي لفقت على مجتمع الرسول الكثير، ومنها نذكر النزر اليسير بالآتي:

- روي عن مجتمعه كذباً انتشار الزنا لحديث الأفك واتهامهم لأهل بيت النبي.
- روي عن مجتمعه كذباً وجود المنافقين.
- روي عن تصنيف مجتمعه بدار إسلام وغيره بدار حرب والولاء والبراء نقلاً من كتب العهد القديم.
- روي عن مجتمعه كذباً أنهم ارتدوا عن الإسلام ولفقوا حرب الردة المزعومة بعهد أبي بكر ودسوا مختلف القصص حول الردة وحرب الردة مثل قصة مسيلمة وقصة الأسود العنسي.
- روي عن مجتمعه كذباً أنهم اختلفوا على الحكم والخلافة بسقيفة بني ساعدة، وهو لم يوار الثرى.
- روي عن مجتمعه كذباً عن مقتل الخليفة عمر من أحد الخوارج.
- روي عن مجتمعه كذباً أنهم افتننوا واقتتلوا بعهد عثمان ومقتل عثمان.
- روي عن مجتمعه كذباً الخلاف والأقتتال في عهد الخليفة علي ابن أبي طالب وقتله.
- روي عن مجتمعه كذباً أنهم تقسموا فرق متحاربة في معركة صفين والجمال وظهر تصنيف الخوارج وغيرها من الجماعات المتقاتلة.
- وغيرها من الروايات بلغت حد الغثاء، ليس فقط فيما ذكرنا من أمثلة سابقة، بل حرفوا كل الشعائر والمناسك والعبادات،،، فهل كانت هذه الدولة المنشودة التي أراد الله من نبيه محمد أن تقام؟

وهل هذه الأعمال والأفعال والأقوال من دين الإسلام الذي ارتضاه الله للناس جميعاً؟ أفلا تعقلون.

إذاً كيف كانت الدولة في عهد الرسول محمد عليه السلام؟

اعتقد جازماً أن الرسول والنبي محمد عليه السلام كان مثله مثل كل الأنبياء والرسل السابقين لم يكن يمارس الحكم السياسي حسب ما صورته جماعة التحريف في كتب السيرة

والحديث في فترة الرسالة والنبوة، بل كان عمله محصور حول القرآن الذي أكد على بيان وظيفة النبي والرسول بصورة واضحة من البلاغ والأنداز والتبشير والبيان والدعوى للناس بمقتضى الرسالة المكلف بها ، وقد سبق بيان ذلك ، وهو ما يقودنا لبيان حقيقة ذلك المجتمع الذي سيتشكل على ضوء منهج النبوة والرسالة ولندع القرآن يصف لنا ذلك قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾، (الفتح: 29).

هذه الآية الكريمة تصف سلوك وسيرة مجتمع النبي والرسول محمد عليه السلام فهي خير شهادة على واقع حال ذلك المجتمع المثالي في السلوك والقيم السامية، إذ أن تلك الآية أشبه بميثاق عهد للنبي وصحابته على بناء المجتمع الفاضل الذي يعجز وصف الأدوات التي تتحكم في أدارته بغير ما جاء بوصف فعل المماثلة في حياة الأنبياء والرسل السابقين (موسى وعيسى)، وهذه الآية ذات مؤشر على ديمومية مستمرة لهذا السلوك الاجتماعي لحال وحياة صحابة النبي على هذا النهج ما عاشوا ونقل هذه القيم من السلوك لأسلافهم دون الخروج عليها، والحقيقة فلن أتكلف بالبحث في سير المؤرخين ولا في كتب التاريخ عن وصف حال الرسول والنبي محمد عليه السلام وكذا وصف حال مجتمعه الصغير الذي تلقى الحروف الأولى من الرسالة والهدي النبوي في ذلك المجتمع العربي المليء بقيم الإيمان الحنفي المسلم وبقواعد من الأخلاق المتعارف عليها منذ القدم والمتمثلة بعددٍ من الصفات منها صفة الشجاعة والكرم وحسن الضيافة ورجاحة العقل، ذلك هو مجتمع الرسول قبل البعثة، وعقب مجيء الرسول ازداد ذلك المجتمع بهاء، فكان النبي محمد عليه السلام النور الذي ازداد به المكان ضياءً وهدى، فقد وصف القرآن الرسول ومجتمع الرسول بتلك الكلمات ، وهي على الأرجح تغني عن البحث في كتب سير المؤرخين فكيف تستقيم كل تلك الروايات الشاذة التي دست في فكر المذاهب عن مجتمع الرسول فشوهته، وهذا كلام الله سبحانه وتعالى يصف مجتمع النبي على هيئة المجتمع الكامل الفاضل الذي يعجز معه التعبير أو التعليق وهو وصفاً متصل ومرتبط صراحة وحصراً بمجتمع النبي محمد رسول الله، فكانت هذه الآية قد جاءت ببلاغة التشبيه ودقة الوصف لكمال ونضج مجتمع النبي والرسول محمد عليه السلام ومماثلته بأنبياء ورسل سبق القول عليهم بفجاجة من جماعة التحريف، وهو ما يكذب تلك الروايات والتقوليات، التي تنعدم معها وجود المخالفة،، فما بالك بقيام الجريمة في ذلك المجتمع الصغير الذي بدأ يتشكل كدولة على الأرجح بعد وفاة الرسول.

فهل يصح القول بتلك الروايات عن الرسول موسى وعيسى ومحمد وكل الأنبياء والرسل ونسب إليهم ولمجتمعهم تلك الروايات الشاذة المخالفة لكلام الله سبحانه وتعالى؟

24-8 دولة الخلافة العربية الإسلامية:

عودة إلى مقدمة الموضوع الرئيس وما جاء على ذكر لفظ الخليفة وتعريف الخليفة وهل الإنسان خليفة لله سبحانه وتعالى؟ وهل الإنسان خليفة للرسول والنبي؟ والإجابة "بلا" هي عين الحق والحقيقة.

وقبل الخوض في هذا الموضوع تعالوا معنا للتعريف بالخليفة من القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾، (البقرة: 30). نفقه من الآية ومما سبق بيانه وتكراره حول التعريف العملي إلى لفظ الخليفة: وهو الشيء الخلف لشيء سلف، فكان هذا قصار القول للتعريف بالخليفة حسب القرآن الكريم، والذي قصد به خلق الإنسان خليفة لخلق سلف، ونص آخر يوضح معنى الخليفة أو خلائف في الأرض بمعنى تتابع تاريخ الأجيال، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، (الأنعام: 165).

وبذلك لا يجوز القول أن الإنسان أو الإنسان خليفة لله على الأرض ولا يجوز أن يخلف المخلوق الخالق، ومن باب أولى، فلا يجوز القول إن فلاناً من الناس خليفة للرسول (س) أو النبي (ص) فذلك قول منكر وهراء لا طائل منه لسبق التعريف الوظيفي بالرسول والنبي من قبل الله سبحانه في موضع آخر من هذا المؤلف فالرسالة والنبوة وظيفية ومهمة خاصة يضعها الله حيث يشاء من عباده وهي محصورة ومقصورة على الشخص المختار من قبل الله سبحانه ولا تستخلف ولا تورث من حيث النسب أو المصاهرة مطلقاً ولا يجوز القول أن فلاناً خليفة للرسول أو النبي في الدين والدنيا كما هو حاصل اليوم لدى الشيعة ممن يزعمون أنهم من أهل البيت وغيرهم بفكر مذاهب العنينة، وإذا كان هناك تتابع في استخلاف النبوة أو الرسالة لبعض الناس فذلك كان محصوراً ومقصوراً على دلالة الآيات ولا يمتد بالقياس على غيره من الأجيال في التاريخ الإنساني، كما أن التحجج بمصطلحات وردت بفقه المذاهب مثل (أهل الحل والعقد- أهل البيت - الأئمة - الولاية - الأوصياء - أو نظام البيعة - أو الإجماع- الدهماء - والرعا من الناس- وغيرها)، فهذه المصطلحات وما فيها من التقسيمات الفئوية المقيّنة لا قيمة لها أما خطاب الله سبحانه في إقامة صرح الشوري والديمقراطية في العهود الغابرة من التاريخ، وها هي اليوم تستعيد أمجادها من جديد بين مختلف الشعوب والأمم تلك الشعوب التي نراها تخرج للشوارع بين حين وآخر للمطالبة بحقوقها الديمقراطية وهي فطرة جبلت عليها النفس الإنسانية وكحق طبيعي غرائزي منذ الولادة حيث يخلق الإنسان حراً يسعى دائماً للنضال والتحرر لنيل حقوقه المدنية الشورية - الديمقراطية، وبعد غياب طويل دام عصور وقرون من الزمن ها هي الشورى- الديمقراطية تعود كنظام سياسي للواجهة لتؤكد من خلاله على حقيقة بناء سلطات ومؤسسات الدولة وأن صندوق الانتخابات هو المحك الأساسي في اختيار الحاكم السياسي للدولة والحكومة من أجل إدارة شؤون الناس في الزمان والمكان، وقد عفا على تلك المسميات والمصطلحات الزمن والالتفات إليها يعد من قبيل السفسطة التي لا طائل منها أمام مصطلحات الأنظمة الديمقراطية الحديثة البديعة والرائعة،

والتي تستند للدستور والقانون، وتستند لعدد من المفاهيم والمعايير والأنظمة الانتخابية التي تستخدم أثناء الترشح والانتخابات بطرق شفافة ومرنة وفق برامج من النزاهة، وعبر أجهزة تقنية وأنظمة آلية من أجهزة الكمبيوتر وغيرها، وبحسب ما استحدثتها التجارب الديمقراطية والشورى بمختلف دول العالم اليوم، إذ إنه يمثل أفضل الطرق التي توصل إليها الإنسان وفق إلهام الله سبحانه في العهود الغابرة (سبأ- روما) في تطبيق قيم الشورى - الديمقراطية والتداول السلمي للحكم، وعبر المشاركة الشعبية لكل الناس دون تمييز وفقاً للقانون، والقول بأن الديمقراطية نظام غربي والعمل بها تقليداً للغرب، فتلك المقولة فيها من الجهالة والفسطحة المقيتة ومناقضة لسنة الله سبحانه في خلق الناس، وفي تأكيد الخطاب القرآني على ضرورة قيام دولة الإنسان، وحكومة الإنسان، على قيم سامية من الشورى والديمقراطية، وضرب مثلاً على ذلك بدولة سبأ ودولة روما كنموذجين مثاليين يجب الاحتذاء بهما في إدارة حياة الناس في الزمان والمكان في الماضي والحاضر ومستقبل أجيال الإنسان، ذلك أن الغرب والشرق هم من الناس خلقوا على قاعدة واحدة من الخلق ومعلوم أن الفكر الإنساني فكر مشاع بين الناس، فالوجب علينا أن لا نقيم حواجز من الفرقة مع الناس بل على العكس من ذلك، وعلى الإنسان أن يتتبع العلم والفضيلة والحكمة والعدل وحب الخير أينما وجد فهي ضالة المؤمن أينما وجدها فقد أفلح، وعلينا أن نؤمن بحرية العقيدة الدينية، والحرية الساسية، وعلى العرب والمسلمين أينما كانوا أن يكونوا أكثر انفتاحاً على الناس بمختلف مشاربهم الفكرية والعقائدية وأنماط عيشتهم المختلفة وعليهم أن يزدادوا انفتاحاً على الغير طالما كان هذا الانفتاح فيه من الخير والنفع العام للناس جميعاً.

وهكذا فالخليفة أو الخلافة أو غيره من أنظمة الحكم السياسي حكم دنيوي يكون الدين ملهماً للحاكم والمحكوم، حسب ما جاء من الأوامر والإرشادات والوصايا والشعائر والعبادات والمحرمات والعقوبات على قاعدة من الفقه بكلام الله على مقتضيات من العدل وحرية الاعتقاد والمساواة في الحقوق والواجبات وحرية الرأي ونشر قيم الأمن والسلام والوفاء بالعهود والمواثيق وحقوق الإنسان، والعمل في كل ما يؤدي إلى سعادة الإنسان ورفاهيته في عيشة ومسكنه ومجتمعه، والمحافظة على البيئة والمناخ من حوله، وقيام هذا النظام والحكم على أساس من الشورى والديمقراطية والمشاركة الشعبية في توزيع الثروة والسلطة ونبذ الحرب والتدخل في شؤون الآخرين ونبذ الكراهية والعنصرية ونبذ الإرهاب والتطرف كل هذه المفاهيم وغيرها وحدة واحدة لا تتجزأ.

ومن أفضل أنظمة الحكم السياسي التي حبب إليها الله سبحانه ورضي به دين الإسلام في إشارة صريحة وأخرى ضمنية ذلك النموذج من الحكم الشوري - الديمقراطي فكانت دولة سبأ الرئاسية - وجمهورية روما الديمقراطية لهما النموذجان اللذين لا يزالان صداهما يتردد في هتافات المنادين بالحرية والتغيير لدى أمم وشعوب العالم في مختلف مدن ودول العالم اليوم وغدا وإن اختلفت ألسنتهم وطرائقهم في العيش والحياة فذلك هو السبيل الوحيد لقيام أنظمة حكم دستورية، أقل ما توصف أنها خالية من الديكتاتورية والاستبداد والفساد وتخضع للقانون، وتلك هي غاية ومقصد الله سبحانه، حسب ما جاء بنص القرآن الكريم صراحة وضمناً، وبذلك

نستخلص العبر من مدلول مقصد نصوص القرآن لوصف مجتمع الرسول محمد عليه السَّلام لكي تتضح لنا رؤية ذلك المجتمع من خلال الآية رقم (29) من سورة الفتح السابق ذكرها، والتي وصفت مجتمع النَّبي محمد عليه السَّلام، وما فيه من الأوصاف البليغة والبديعة فبلغ هذا المجتمع حسب هذه الآية أعلى مكامن الفضيلة المعبر عنه بقيم الخير والرحمة والحب ليأتي التشبيه بهم كزرع مستوى على سوقه، ومماثلتهم بالمؤمنين في توراة رسولنا موسى وعهده وإنجيل رسولنا عيسى وهم ثلة من الأولين وقليل من الآخرين، وما بين هذا وذلك كانت لهم المغفرة والأجر العظيم...

- فهل يصح القول على هذا المجتمع الفاضل انهم اختلفوا على الحكم السياسي بسقيفة بني ساعدة وكادوا يقتتلوا عليه؟
- وهل يجوز القول عليهم أنهم ارتدوا وكفروا بدين الإسلام والرسول بينهم لا يزال حياً؟
- وهل يجوز القول على هذا المجتمع أن أبا بكر قاتل المسلمين على عقال بغير من الصدقة أو الزكاة؟
- وهل يجوز القول على هذا المجتمع أن عمر ابن الخطاب قتل فيه؟ وكذلك قتل عثمان ابن عفان؟
- وهل يجوز القول على هذا المجتمع أن علي ابن أبي طالب قتل فيه؟
- وهل يجوز القول على قتل ابنه الحسن والحسين؟
- وهل يصح القول على مجتمع الرسول وصحابته أنهم أصطفوا يتقاتلوا على الحكم السياسي في معارك شرسة وطاحنة مثل موقعة الجمل وموقعة صفين راح ضحيتها عشرات الآلف من الصحابة؟
- وهل وهل وهل؟؟؟
- واخيراً: هل يجوز القتل على الحكم السياسي لمجتمع وصفه الله سبحانه وتعالى بهذا الوصف؟ قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ الفتح (29).

وهناك الكثير والكثير من الأسئلة تدور حول هذا الموضوع نترك بقيتها للقارئ لكي نخرج بسؤال أخير وهو: من المستفيد من هذا التحريف والتزوير والكذب؟

وقبل الأخير فإن ما خطه الإنسان من العمل بحركة التفكير والفكر الإنساني، ومن تجارب الإنسان وأعرافه في الحياة، كان لها الدور الكبير في إسعاد الإنسان في ظل حكم أنظمة كان لها بصمة في حياة شعوبها سلباً أو إيجاباً، ومنها تلك الحضارات العريقة وهي بحسب تقديري بالآتي:

- حضارة وشعوب الصين.

• حضارة شعوب الهند.

• وحضارة شعوب الأنكى في أمريكا اللاتينية.

ولا شك أن السياسة والعمل السياسي وظيفه ابتكرها الإنسان من العرف والقانون أثناء ممارسته للحياة، وأصبحت اليوم علم وفن رفيع في إدارة أنظمة الحكم على نحو يستخدم فيه السياسي كل الخيارات المتاحة، والممكنة في الإدارة والحكم/ والتحكم في القرار على نحو يخدم به مصالح الناس أو الشعب بمختلف التوجهات، أو يخدم جماعة لها من المكانة والنفوذ والسيطرة، أو يخدم شخصاً الحاكم وهكذا، فتتعدد السياسيات بتعدد منهاج الإدارة والاقتصاد، وكذا بتعدد طرق حياة الناس بمختلف المجتمعات، والحكومات ويكون لهذه الحكومات أو الحاكم قوة بقوة القرار الذي يصدره، وبمعنى أكثر وضوحاً فإن قوة وشخصية الحكومة يعبر عنها بما ينفذ عنها من قرارات على أرض الواقع وتتعدد عناصر القوة، فيكون اتخاذ القرار أو الموقف السياسي تبعاً لقدرة وقوة الدولة في عددٍ من النواحي خاصة من الدول والحكومات ذات المؤسسات العريقة في الحكم، فكان لهذا الفن (السياسة) صولة وجولة ثم أن هناك ملوكاً وحكاماً لشعوب وأمم أتقنوا العمل السياسي، فكان لهم السبق الحضاري في الحياة، فبلغت شعوبهم مراكز مرموقة في رفاهية العيش والتطور العلمي والتكنولوجي في الحقوق والحريات وتشريع القوانين التي تكفل للإنسان حقه في الحياة بين الشعوب والأمم، وعلى اثر ذلك فلا يمكن أن نغفل عن الدور الذي لعبه الإنسان الأوروبي في عصر النهضة وتحرره من سيطرة الدولة الدينية الكهنوتية، أو إن صح القول تحرره من هيمنة وتعاليم الكنيسة، وسلطتها البابوية، فقاد ثورة في جميع المجالات، وفصل بذلك الدين عن الدولة فصلاً تاماً حسب مبدأ جديد أطلق عليه نظام العلمانية في الحكم والإدارة مع الحرية في الاعتقاد، فكانت وما زالت تلك الثورة بمبادئها مصدر إلهام للعقل البشري في التطبيق المنهجي للحقوق والحريات الديمقراطية الشورية، حسب المشيئة الكونية لسنة الله سبحانه في الخلق مع بعض التحفظات، على مبدأ الفصل التام بين الدين والدولة، فذاك ما نختلف معه قليلاً، وقد يكون فصل الدين عن الدولة الحل الناجح للواقع الأوروبي لكنه ليس الحل الأمثل في واقعنا العربي والإسلامي، فالإسلامي لا يتموضع في المسجد، ولا في شخص الفقهاء أو الإمام أو الشيخ، كما إرادته جماعة التحريف في الدين الموجود، والتي سبق وأن صنعت ألقاب الكهنة والحاخام والبابوات والرهبان وجاؤوا للإسلام فصنعوا العلامة وآية الله وغيرها من الألقاب، مع إن الإسلام دين يأمر بالحرية الدينية والحرية العقائدية ويؤمن بالحقوق والحريات ويؤمن بالعلم كركيزة أساسية في بناء الدولة والحكومة ويؤمن بحقوق المرأة من كونها المخلوق الأكمل ولها حقوق مميزة عن الرجل بخلاف الواقع الحالي، ويؤمن بالسلام والجهاد المقاوم للظلم وللغزاة المستعمرين..... والخ، ليس كما هو سائد اليوم من دين المذاهب والفرق والجماعات الإسلامية في واقعنا الحالي فلربما كان واقع الأوروبيين في ذلك العصر أشبه بواقعنا اليوم للأسف، وهو ما نحاول الخروج منه، فدين المذاهب والفرق والجماعات والطوائف صنعت هذا الواقع المظلم إذ لا يزال يخيم على عالمنا العربي والعالم الإسلامي ويرمي بظلاله على الأجيال القادمة وعلى المسلمين في العالم حتى اللحظة، ولا يكون الخروج من هذا الواقع المظلم إلا بالبدء بفقهاء الفكر

الديني وقراءته قراءة حقيقية وواقعية وعقلية ومقابلته بكلام الله سبحانه ، وهو ما حاولنا تقديمه في هذا المؤلف، من أجل جعل الدين قاعدة علمية وعملية وفقه أحكامه وقواعده والعمل بمناسكه وشعائره و تشريع القانون المستمد من العرف وصولاً للقانون والذي به تستقيم حياة كل الناس.

ومعلوم أن الأوروبيين خرجوا من عهد الظلام بعد سلسلة من الحروب، بين رجال الفكر والكنيسة، ثم حرب المذاهب المسيحية التي استمرت أكثر من قرن تقريباً، ذهب ضحيتها عشرات الملايين من الناس الأبرياء، ثم موجة أخرى من الحروب الاستعمارية، كان آخرها الحربين العالميتين الأولى والثانية خلال النصف الأول من القرن العشرين الماضي، وعلى الرغم من تلك المآسي ألا أن قطار النهضة العلمية والتطور العلمي انطلق، بالإضافة للتقدم في مجال الحقوق والحريات المدنية وحقوق الإنسان، والتي سبقها قيام ثورات متعدّدة في كافة المجالات الاقتصادية والثقافية والعلمية والتكنولوجية والتصنيع العسكري وفي النقل الجوي والبحري وغيرها في منظومة الدول الرأسمالية – والدول الاشتراكية – والدول الجامعة بين النظامين، وظهر عددٌ من المفاهيم السياسية والاقتصادية، وعلى الرغم من تقليد بعض العرب والمسلمين بفكر هذه الثورة والنهضة العلمية في عدد محدود من مجالات الحياة المادية كتخطيط المدن والبنية التحتية وبناء القصور وناطحات السحاب وأقتناء الأشياء وغيرها، ألا أنهم لم يتأثروا بالبنية الفكرية والعقلية لثورة النهضة العلمية التي أندلعت على مستوى العالم شرقاً وغرب وما زالت حتى اليوم، والعالم العربي والإسلامي لا زال يروح تحت مؤروث من الجهل على الرغم من الثراء والبهرجة المالية الفارحة خاصة في بعض الدول العربية التي تعيش حالة من التخمة ولا تمتلك مقومات الأقالع الحضاري.

فهل آن الأوان أن تخرج الشعوب العربية والإسلامية من عصر الظلام الذي لا زال يخيم عليها، وتلحق بركب الحضارة من غير مزيد من إراقة الدماء؟

والخلاصة: إذن فالدين الإسلامي لا يماثل نظام حكم الإنسان أياً كان هذا الحكم لأن الدين أعم وأشمل من جميع أنظمة الحكم السياسي قديماً وحديثاً، والدين الإسلامي لا شك مصدر كل فضيلة، ومصدر الحرية ومصدر كل خير لكل الناس، فأينما حل السلام والأمن واحترام حقوق الإنسان في مجتمع تسود فيه الفضيلة كان للإسلام والإيمان فيهما مكان وحسابهم على الله سبحانه، إذ إن مقياس الرضا والقبول عند الله هو العمل الصالح، نسرد بعض من تلك الآيات ذات دلالات في أهمية العمل عند الله سبحانه:

• قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾، (فصلت: 46).

• قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾، (الملك: 2).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾، (الزلزلة: 7، 8).

- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾، (النساء: 124).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾، (الإسراء: 84).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾، (طه: 112).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، (القصاص: 84).

وكثيراً من هذه النصوص تتحدث عن العمل، وقد أفردت له عنواناً مستقلاً في بداية الكتاب وبشان اختيار النَّاس للدولة فهم من يختارون دولتهم وحكومتهم ونظام حكمهم بعيداً عن نظرية التفويض الإلهي، فالدولة هي دولة الإنسان والحكومة هي حكومة الإنسان والدستور هو وثيق يكتبها الإنسان وبهذا الصدد فليس من المسلم به فصل الدين عن الدولة، وفي الوقت نفسه لا يصح أن تنشأ دولة أو حكومة دينية باسم الله على الأرض، فالمسألة إذن فيها نسبة وتناسب ولكل من الدين وظيفة عامة وخاصة، وغالباً ما تكون وظيفة الدولة خاصة بجماعة أو قوم (شعب) أو أمم من النَّاس حسب عادات وأعراف تلك الجماعة.

الفصل الخامس والعشرون

الموت وآخر الزمان وأحوال القيامة

مدخل:

يتضمن هذا الفصل التعريف بالموت والقيامة وعلاماتها بعدد من آيات الذكر الحكيم، والتعريف بالساعة وعلاماتها والحساب وغيره من الأحداث في آخر الزمان، إذ ظهرت نصوص دينية في كتب الفكر الديني القديمة، ومثلها في كتب المذاهب الإسلامية عبر عدد من النصوص وأحاديث العنقة والقلقلة تتحدث عن خرافة عيسى المخلص - وخرافة المهدي المنتظر وعلاماته وأفعاله ومناسبة مجيئه وعدد من التقولات بشأن ظهوره قبل يوم القيامة، فاتخذت كل عقيدة دينية مخلصاً خاصاً بها، وآخرين جعلوا من مخلصهم مخلصاً للعالم: فما حقيقة المخلص والمهدي في فكر المذاهب الإسلامية؟ والإجابة على هذا السؤال بتقديري يتلخص في الدور الذي لعبته جماعة التحريف العابرة للأديان والعقائد في تحريف النص الديني فخلقت نصاً متناقضاً مليئاً بالخرافة ومتصادماً مع العقل والعلم، كما في اليهودية والصابئة المندائية والمسيحيين والنصارى وغيرهم، ثم جاءوا لمواجهة القرآن الكريم فلم يستطيعوا مواجهته فولجوا إلى تحريف نصوص نسبوها للنبي محمد عليه السلام والأئمة عملوا من خلالها على تفسير آيات القرآن (القرآن المفصل والمبين) بنص يساويه أو يعلو عليه، وبذلك بدلوا وحرفوا وعدلوا بالمخالفة للنص الأساسي حسب ما هو حاصل الآن في الفكر الإسلامي فتسبب هذا العمل وغيره في أزمة فكرية في العقل والمعرفة بحقيقة الخالق والمخلوق وحقيقة الموت والبعث وخلقوا حالة من التيه والشتات لدى أتباع هذه العقائد وأتباع فكر المذاهب الإسلامي.

25-1 خرافة مخلص آخر الزمان:

وحول حقيقة المخلص في آخر الزمان فقد ورد تقولات كثيرة في فكر الأديان والطوائف والمذاهب حول هذا الأمر بقصد البحث عن مخرج من الشتات الإيماني الذي يعانيه منتسبو هذه الأديان والطوائف والمذاهب والفرق والجماعات الدينية، ومن كتبهم ننسخ بعض من تلك التقولات حول المخلص والمهدي المنتظر بالآتي:

25-2 خرافة إيليا مخلص لليهود:

- هأنذا أرسل إليكم إيليا النبي قبل مجيء يوم الرب، اليوم العظيم والمخوف، 6 فيرد قلب الآباء على الأبناء، وقلب الأبناء على آبائهم. لئلا آتي وأضرب الأرض بلعن⁽¹⁾.

(1). انظر العهد القديم - التوراة - سفر ملاخي .

25-3 خرافة يسوع مخلص المسيحيين والعالم:

ورد عدد من نصوص الأناجيل وفي أعمال الرسل حول المخلص ننسخ بعض منها بالآتي: (1)

- 11. إنه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو: المسيح الرب. (إنجيل لوقا).
- 42. وقالوا للمرأة: «أنا لسنا بعد بسبب كلامك نؤمن، لأننا نحن قد سمعنا ونعلم أن هذا هو في الحقيقة المسيح مخلص العالم». (إنجيل يوحنا).
- 23. من نسل هذا، حسب الوعد، أقام الله لإسرائيل مخلصاً، يسوع. (من أعمال الرسل).
- 23. لأن الرجل هو رأس المرأة، كما أن المسيح أيضاً رأس الكنيسة، وهو مخلص الجسد. (أفسس).
- 20. فإن سيرتنا نحن هي في السماوات التي منها أيضاً ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح. (فيلبي).
- وكذلك من أتباع المسيح اتخذوا لهم مخلصاً وهو بولس رسول المسيح: 1 بولس، رسول يسوع المسيح، بحسب أمر الله مخلصنا، وربنا يسوع المسيح، رجاؤنا. (تيموثاوس الأول).
- 11. لأنه هكذا يقدم لكم بسعة دخول إلى ملكوت ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الأبدي. (بطرس الثاني).
- 18. ولكن انعموا في النعمة، وفي معرفة ربنا، ومخلصنا يسوع المسيح. له المجد الآن وإلى يوم الدهر. آمين. بطرس الثاني.
- 14. ونحن قد نظرنا ونشهد أن الأب قد أرسل الابن مخلصاً للعالم. يوحنا الأول.

25-4 خرافة (هيل زيو) مخلص الصابئة المندائية: (2)

- المخلص (هيل زيو) وهبوطه إلى العالم السفلي عالم الظلام. من كتاب الكنز أربا المقدس

25-5 خرافة (مازدايسنا) مخلص الزرادشتيين (المجوس): (3)

- عودة (مازدايسنا) المخلص: سال زرادشت الإله: اورمازد عن عودة دين مازدايسنا، الخير وهلاك الآبالية؟ من كتاب أفسنا المقدس.

(1) انظر العهد الجديد وأعمال الرسل لمزيد من القراءة في إثراء هذه النصوص المقتبسة اعلاه

(2) انظر الكتاب المقدس - الكنز أربا المقدس / ترجمة . د يوسف متى قوزي / صبيح مدلول السهيري 2000 م .

(3) انظر اكتاب المقدس للديانة الزرادشتية د/ خليل عبد الرحمن -

25-6 خرافة المهدي المنتظر للشيعية والسنة:

يتوافق أتباع المذهبين الرئيسيين ومعهم الفرق والجماعات التابعة لهما على ظهور المهدي مُخْلِصاً العالم والمسلمين من الشر ويملاً الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً وظلماً، مع توافق ظهور المسيح الدجال - في نهاية الزمان - حسب أحاديث العننة والقلقلة الكثيرة من كلا المذهبين، فلا طائل لذكرها هنا لكثرتها، وما فيها من الاستخفاف والاستهزاء بالعقل والإنسان والمسلمين، حسب عدد من روايات تلك الأحاديث التي أقل ما توصف بانها مناقضة لكلام الله - سبحانه وتعالى - وتدعو للفتنة وسلب نعمة العقل بمزيد من الانحطاط الفكري، وقد تكلمنا عن قصص وخرافة وخزعבלات المهدي التي هي من تأليف جماعة التحريف في كل العقائد والمذاهب، ومن ضمنها مذاهب الفكر الإسلامي وقد ذكرناها ضمن الرد على كتابي الكافي والبخاري في الجزء الأول من هذا المؤلف يمكن الرجوع إليه مخافة التكرار.

25-7 حقيقة الموت:

التعريف والمشروعية: أقرب تعريف علمي مختصر للموت هو: "توقف الحركة عن المادة فيصبح الجسم جسداً هامداً لا حراك فيه"، ويقصد بتوقف الحركة هو توقف الأعضاء الرئيسية في جسم الإنسان كالقلب والدماغ، ومع توقفهما الاثنين معاً تتوقف حركة الجسم فيتحقق وقوع الموت، وقد يتوقف أحدهما مع بقاء التنفس فيكون الموت سريرياً أو موت جزئياً مؤقتاً ينتهي بالموت الكامل للجسم، فيصير جثة هامدة، ثم ما ليبت أن يكون سوءة يبدأ بالتحلل والتعفن، لذا يجب وضعه في حفرة في الأرض أو حفظه بطريقة علمية عن طريق التحنيط أو التجميد أو غيره.

وتعريف آخر للموت إذ هو: "خروج النفس الساكنة في جسم الإنسان"، وبخروج النفس يفقد جسم الإنسان الحركة والشعور والإحساس فيصير الجسم جثة لا حراك فيها، والموت هو الحقيقة التي لا مفر منها، وهو نهائية الحياة لكل كائن حي على الأرض، وقد ورد ذكر الموت في القرآن الكريم كثيراً وفي آيات متعددة ننسخ لكم بعضاً منها لمزيد من التعريف بالموت وبحقيقة الموت للإنسان، ولكل ما يدب فيه الحياة على وجه الأرض بالآتي:

- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾، (الملك: 2).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾، (الأنبياء: 35).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾، (العنكبوت: 57).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾، (ق: 19).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ...﴾، (النساء: 78).

- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾، (المؤمنون: 99).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾، (السجدة: 11).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾، (الدخان: 56).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ...﴾، (الجمعة: 8).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عِلَّاهُ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّوجَلًّا...﴾، (آل عمران: 145).
- وهناك ألفاظ للدلالة على فعل الحياة والموت، ثم الحياة مرة أخرى وهي مدعاة للتأمل فيها والتفكير والتدبر من نواحي علمية ومعرفية جاء بها القرآن نذكر بعضاً منها بالآتي:
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، (البقرة: 28).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، (يونس: 56).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾، (الحج: 66).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِي﴾، (الشعراء: 81).
- قَالَ جَلَّ فِي عِلَّاهُ: ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، (الجن: 26).
- قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذَا اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ...﴾، (البقرة: 259).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾، (النجم: 44).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾، (عبس: 21).

8-25 عذاب القبر بين الحقيقة والخرافة:

ورد في كتب فكر المذاهب الإسلامي الكثير والكثير من أحاديث العنينة والقلقلة تتحدث عن عذاب القبر وحضور الملائكة، ووصف حال المؤمن والكافر في القبر، وتعريف القبر إذ هو حفرة في الأرض توضع فيها جثة الميت فتنتحلل إلى طبيعتها الأولى وقد تحدثت حول هذا الموضوع بعنوان مستقل في هذا الكتاب الجزء الأول أعيد بعض منه للفائدة: فقد كان الغراب المعلم الأول في تعليم الإنسان دفن جثته، فقد بين الله - سبحانه وتعالى - بآية واحدة كيفية دفن الموتى في القرآن الكريم من خلال فعل طائر الغراب الذي قام بدفن جثة غراب آخر من جنسه وما زالت تلك العملية قائمة حتى اليوم في فصيلة الغربان، فكان الغراب معلم الإنسان الأول منذ الخليقة الأولى لأبني آدم في هذه الجزئية البسيطة في حدودها الدنيا، وقد ذكر هذا المشهد في القرآن الكريم قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي

سَوَاءَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ، (المائدة: 31) وهذه الآية توضح مراسيم دفن جثة الإنسان الميت للتخلص منه كونه أصبح سوءة بمعنى جثة يجب التخلص منها فوراً ولك أن تقارن هذه الآية مع ذلك الكم من تشريعات فقهاء العنعة والقلقلة عن الحرام والحلال، وما يجوز، وما لا يجوز في مراسيم الدفن، وما اشتمل عليه في الفكر الشيعي / السني من أحاديث متفرقة حول دفن جثة الإنسان الميت، والذي اختصرها طائر الغراب بحفر الأرض بمنقاره ورجليه ليريه كيف يواري سوءة أخيه من غير هذا الكم الهائل والمبالغة الفجة والمخالف لمقتضى منهج الله تعالى في التيسير على الناس، ومن فعل طائر الغراب الذي بعثه الله - سبحانه وتعالى - ليعلمنا طريقة الدفن التي اقتضت على فعلين رئيسيين هما الحفر والدفن للجثة فقط.

إلا أن الإنسان عبر مسيرة حياته أضاف طرق وعادات جعل من دفن الميت عمل يقوم على مراسيم مختلفة بين الناس من مكان لآخر، ومن زمان لآخر حسب ثقافة الشعوب والبلدان فمنهم من يحرق الجثة ومنهم من يرمي بالجثة للطيور لتأكلها ومنهم من يحنطها لتبقي جثة ومنهم من يتبرع بجثته للتشريح الطبي والعلمي ومنهم من يدفنها بمراسيم شعبية وأخرى رسمية وبنفقات مالية باهظة جداً وغيرها من العادات المختلفة وكل هذه الطرق والعادات ليست من أحكام الدين وإنما من عادات الناس التي ألفوها، وهي متعددة بتعدد ثقافات الشعوب والأمم إلا أن جماعة التحريف حولت هذه العادات لنصوص دينية فأصبحت من العقيدة الإيمانية للشعوب والأمم، كما هو حاصل اليوم،

كما أن القرآن الكريم ذكر القبر في سورة عبس قَالَ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾، (عبس: 21) ولا يوجد ما يشير للقبر بأنه مكان للعذاب على الإطلاق، بل مكان لتحلل الجسم ليعود لخلقه الأول قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى - ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾، (طه: 55). ونص آخر قَالَ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾، (الأعراف: 25)، ومن المفيد الإشارة إلى أن مراسيم الجثة ودفنها وصلت إلى الفكر الإسلامي من فكر العقائد القديمة.

أما عن عذاب القبر فهل يجوز القول بأن السوءة أو الجثة المتعفنة تقوم في القبر لتتكلم مع الملائكة ثم تجازى وتحاسب عن الأعمال خيراً أو شراً حسب ما جاء بأحاديث العننة والقلقلة بفكر المذاهب والتي تبعث عن السخرية والاستهزاء الفاضح بالعقل وتخالف كلام الله سبحانه في القرآن الكريم في الكثير من الآيات عن الحساب والساعة وهو ما فصله في العناوين القادمة.

25-9 يوم القيامة - من علاماتها بين الحقيقة والخيال:

التعريف والمشروعية: اختلف أرباب العقائد والملل والنحل في حقيقة يوم القيامة، ودار جدل كبير في صحتها من عدمها، بين منكر لها ومؤيد، ثم انتقل هذا الجدل إلى فكر المذاهب الإسلامي فحاضوا في حقيقة يوم القيامة، مثل ما خاض الآخرون وبالعودة إلى كلام الله -

سبحانه وتعالى - حول حقيقة هذا الموضوع، تعالوا معي إلى نصوص الذكر الحكيم حول التعريف بيوم القيامة، كحقيقة ثابتة ذكرت في أكثر من سبعين آية وكل آية لها مدلولها ومقصدها الخاص بالشيء محل الذكر والاستدلال، وجاء الذكر الحكيم بتعريف يوم القيامة من خلال سورة كاملة سميت بالقيامة، لأهميتها كحدث عظيم ذكرت فيه تفاصيل مذهلة تغني عن الحديث كثيراً، وتجيب عن ألف سؤال، وتتكلم عن يوم خصَّها الله بعلم البعث والحساب ورداً على المتقولين بأن قيامة الإنسان تكون بموته، أو أن روحه تصعد للروح العليا أو في حواصل الطيور، أو في العالم السفلي أو عالم الأنوار وغير ذلك من الأقاويل وإن القيامة لا تقوم إلا على شرار الخلق وأنه يأتي المخلص قبل يوم القيامة، وهذا كله من التخاريف التي تتصادم مع القرآن والعقل ولنا أن نستذكر أن القيامة ذكرت كحدث قائم على الإنسان بالمكان والزمان المعلوم من قبل الله سبحانه على الأرض كل الأرض، وعلى المجموعة الشمسية من الكواكب التي سوف يغزوها الإنسان عما قريب، وحدث القيامة مرتبط بالإنسان بخلاف سلفه من الخلائق التي جراء عليها سنة الفناء في الأرض فقط، ولنستذكر من هذه السورة بعض آياتها حول التعريف بيوم القيامة، بالإضافة لبعض الآيات التي تتحدث عن يوم القيامة بصورة خيالية قريبة للمشاهد بالعين، حسب ما قربه لنا التقدم العلمي في مجال علم الفضاء والخيال العلمي التصويري المحاكي للمشاهد يوم القيامة وفيه من التصوير الخيالي الرهيب لدمار الكون - المجموعة الشمسية درب التبانة، وبحسب هذه الآية من سورة القيامة، وغيرها من الآيات والنصوص على سبيل المثال بالآتي:

- بسم الله الرحمن الرحيم ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ، أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ، بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ، بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ، يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، فَإِذَا بَرَقَ الْبَصَرُ، وَخَسَفَ الْقَمَرُ، وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ، كَلَّا لَا وَزَرَ، إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ، يُنَبِّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾، (القيامة: 1، 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9، 10، 11، 12، 13).
- ومن سورة القيامة وما فيها من مشاهد رهيبة ومختصرة البيان إلى سورة الانفطار وإلى مشهد آخر قريب ومماثل عن وصف حال يوم القيامة: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ، وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ، وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ، وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾، (الانفطار: 1، 2، 3، 4).

10-25 مشاهد متفرقة من يوم القيامة:

- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾، (المؤمنون: 16).
- وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾، (الزمر: 31).
- وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ...﴾، (الزمر: 60).
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿... يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، (آل عمران: 161).

- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...﴾، (آل عمران: 185).
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿... وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾، (آل عمران: 194).
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ...﴾، (النساء: 87).
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿... وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾، (النساء: 159).
- وَقَالَ - سبحانه وتعالى - ﴿... يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾، (الإسراء: 13).
- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿... يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾، (الإسراء: 62).
- وَقَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿... فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾، (الكهف: 105).
- وَقَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى - ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾، (مريم: 95).
- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾، (طه: 100).
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿..... وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾، (طه: 124).
- وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾، (الحج: 69).
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾، (السجدة: 25).
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾، (الزمر: 24).
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾، (الزمر: 31).
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُسْوَدَّةٌ...﴾، (الزمر: 60).
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الدَّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ﴾، (الشورى: 45).
- وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ...﴾، (الجن: 26).
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿لَنْ نَنْفَعَكُمْ أَرْحَامَكُمْ وَلَا أُولَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...﴾، (الممتحنة: 3).

25-11 علامات وأحوال الساعة:

التعريف والمشروعية: ثم نأتي إلى ذكر الساعة وهي التوقيت الدقيق لقيامه القيامة من اليوم المحدد بعلم الله - سبحانه وتعالى - والتي ذكرت في أكثر من ثلاثين آية ذكر فيها أنها ترتبط بعلم الله سبحانه، وأن من علاماتها انشقاق القمر - وأنها تأتي بغتة (فجأة) أقرب من لمح البصر - وأنها تأتي بزلزال عظيم - وأنها تبعث من في القبور - وغيرها، وفي تدبر هذه الآيات نستخلص منها العبر، وما يغنيننا عن كل التعريفات والشروح نذكر منها الآتي:

- قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ...﴾، (لقمان: 34).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾، (القمر: 1).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَآمَرُ﴾، (القمر: 46).
- قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾، (النازعات: 42).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾، (الأحزاب: 63).
- قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ...﴾، (سبا: 3).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾، (محمد: 18).
- قَالَ تَعَالَى: ﴿... وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْغِ الصَّغْحَ الْجَمِيلَ﴾، (الحجر: 85).
- قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿... وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ...﴾، (النحل: 77).
- قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾، (طه: 15).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾، (الأنبياء: 49).
- قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾، (الحج: 1).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾، (الحج: 7).
- قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَقِيقِينَ﴾، (الجاتية: 32).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾، (الفرقان: 11).
- قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾، (الروم: 12).
- قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُؤْمِنُ يَنْفِرُونَ﴾، (الروم: 14).
- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ...﴾، (الروم: 55).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿... وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُؤْمِنُ يَخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ﴾، (الجاتية: 27).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، (الزخرف: 66).
- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِلْسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرَنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾، (الزخرف: 61).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿... أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾، (الشورى: 18).

- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿... وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾، (الشورى: 17).
- قَالَ اللَّهُ سبحانه وتعالى: ﴿إِنِّي إِلَيْهِ يَرُدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ...﴾، (فصلت: 47).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاة: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، (غافر: 59).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَكُمْ...﴾، (سبا: 3).

25-12 من علامات الساعة ونهاية الكون والإنسان:

التعريف والمشروعية: بيّن الله - سبحانه وتعالى - أن كل شيء يفنى ويبقى، الله سبحانه خالق الوجود والروح والنفس والعقل والفؤاد ومادة الوجود، وهو خالق الحياة وخالق الموت (العدم)، وهو على كل شيء قدير ولا نجد ابلاغ من وصف هذه الدرر من نص الذكر الحكيم لوصف هذا المشهد: قَالَ اللَّهُ سُبحَانَهُ: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، (القصص: 88)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاة: ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾، (غافر: 16)، وفي هذا السياق ذكر الله علامات بداية الساعة ونهاية الكون، ومن خلال القراءة المتأنية لنصوص الذكر الحكيم التي نفهم ونفقه أن القيامة ستكون على المجموعة الشمسية فقط والتي تفرد الإنسان بمعرفة الكثير من تفاصيلها، بل وعاش في بعض كواكبها، وحسب ما أشارت إليه بعض من هذه الآيات التي نذكر بعضاً منها بالآتي: ورد في سورة التكويد كوصف واضح لأحوال القيامة، وتحدث فيها عن خلخلة نظام الكون والحياة، في مجموعتنا الشمسية ابتداء بتغيير الشمس عن أداء وظيفتها، هذا النجم العملاق والمخلوق العظيم وما فيه من أداة فاعلة لضبط حركة الحياة على الأرض وباختلال وظيفة الشمس تختل الحياة على الأرض حسب ما تحدث عنه هذه الآيات وتصويرها بصورة تبرز بين الواقع والعلم والخيال المجسم للحدث: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ، وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ، وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ، وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ، وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ، وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ، وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ، بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ، وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ، وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ، وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ، عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أُخْضِرَتْ، فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ، الْجَوَارِ الْكُنُوسِ﴾، (التكويد: 1، 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9، 10، 11، 12، 13، 14، 15، 16).

كذلك وردت سورة النازعات تتحدث عن أهوال وعلامات قيامة القيامة: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا، وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا، وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا، فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا، فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا، يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ، أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ، يَقُولُونَ أَنَا لَمْرَدُونَ فِي الْحَافِرَةِ، إِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً، قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ، فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ، فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾، (النازعات: 1، 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9، 10، 11، 12، 13، 14).

وكذلك من سورة المرسلات، والتي توضح حالة القيامة في الآتي: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا، فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا، وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا، فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا، فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا، عُذْرًا أَوْ نَذْرًا، إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَوَاقِعٍ، فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ، وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ، وَإِذَا الرُّسُلُ أَقِيتْ، لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ، لِيَوْمِ الْفَصْلِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ، وَيَوْمَ يَوْمِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾، (المرسلات: 1، 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9، 10، 11، 12، 13، 14، 16).....الخ

ومن سورة الانفطار الآتي: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ، وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ، وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ، وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ، عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾، (الانفطار: 1، 2، 3، 4، 5).

ومن سورة الانشقاق الآتي: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ، وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ، وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ، وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾، (الانشقاق: 1، 2، 3، 4).

ومن آيات أخرى من القرآن المبين نستعرض أهم ما جاء فيها بالآتي:

- قَالَ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَغْشى النَّاسُ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الدخان: 10، 11).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾، (الدخان: 16).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾، (الكهف: 98).
- قَالَ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾، (الفجر: 21، 22).

• قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمِذٍ زُرْقًا، يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا، نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا، وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا، فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا، لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا، يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾، (طه: 102، 103، 104، 105، 106، 107، 108).

- كما أن سورة الزلزلة تعتبر بيان واضح عن أحوال يوم القيامة نذكرها للأهمية بالآتي:
- بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا، وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا، وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا، يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا، بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا، يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ، فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾، (الزلزلة: 1، 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8).

25-13 النفخ في الصور من أحوال يوم القيامة:

- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا نَفَخْتُ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾، (الكهف: 99).

- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾، (طه: 102).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾، (المؤمنون: 101).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾، (النمل: 87).
- قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾، (يس: 51).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾، (الزمر: 68).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾، (ق: 20).
- قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾، (الحاقة: 13).
- قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾، (النبأ: 18).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾، (الأنبياء: 97).

14-25 يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ من علامات القيامة:

ذكر يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ لقوم في القرآن وذكروا من علامات أحداث القيامة وحسب عدد من الآيات نذكرها بالآتي:

- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾، (الكهف: 94).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾، (الأنبياء: 96).

15-25 يوم البعث:

التعريف والمشروعية: جاء ذكر لفظ البعث في القرآن حسب موقعه في الآية أو في الجملة، فمثلاً جاء قولُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلَكًا...﴾، (البقرة، 247)، ونص آخر قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا...﴾، (المائدة، 31)، وغيره وما يهمننا في هذا العنوان التطرق لمعرفة البعث من بعد الموت، حسب ما جاءت به نصوص آيات الذكر الحكيم، إذَنْ فالمعلوم أن البعث يأتي بعد الموت، وهو الوقت المحدد بعد يوم القيامة ويوم البعث من أحوال ما بعد القيامة، وقد ذكرها الله سبحانه في الكثير من آيات القرآن الحكيم، حسب ما سيأتي ذكره وبهذه الآيات ما تغني عن الشرح لوضوح بيانها ودقة وصفها للبعث وأحوال البعث وبالآتي:

- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، (البقرة: 56).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿...﴾ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾، (الأنعام: 36).
- قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ﴾، (ص: 79).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَفْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، (النحل: 38).
- قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾، (مريم: 15).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾، (مريم: 33).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾، (الحج: 7).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾، (المؤمنون: 16).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا...﴾، (يس: 52).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثَنَّ...﴾، (التغابن: 7).

16-25 يوم الحشر:

التعريف والمشروعية: ذكر القرآن الكريم الحشر في أكثر من آية، وما يفقه ويذكر من التعريف القريب للحشر بمعنى الحصر والعد دون زيادة أو نقصان، وهو ما يؤكد على دقة البيان في تعداد الناس والخلائق التي كانت تعيش على الأرض فراد أو جماعة، أو وصف لحالة الحشر، أو كوصف عام لعموم الناس، أو غير ذلك، وإلى تلك الآيات ولمزيد من الفهم والإدراك نأتي بالآتي:

- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾، (الكهف: 47).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾، (النمل: 83).
- قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾، (الأنعام: 38).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿احْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾، (الصافات: 22).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾، (ق: 44).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾، (آل عمران: 12).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾، (الحجر: 25).
- قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾، (التكوير: 5).

25-17 يوم الحساب:

التعريف والمشروعية: جاء ذكر الحساب بعد البعث، وهو ما ينفي عذاب القبر وكل الخرافات ويؤكد على ترتيب وتنظيم حالة الجزاء للناس على أفعالهم في الدنيا ومن سورة الزمر تتضح لنا بجلاء الصورة الواضحة لعظمة الحدث بعد القيامة وقد أشرقت الأرض بنور الله سبحانه حيث لا شمس ولا زهرة يرا بعكس ما تقول به فقهاء مذاهب العنينة والقلقلة للوصف يوم الحساب باليوم المريع الذي وصفوا به حال الخلائق والشمس تدنو قريباً من الرؤوس والعرق يتصبب منهم انتظاراً للحساب محسنهم ومسيهم وهو قول مخالف للوصف المدهش وحسب هذه الآيات من سورة الزمر: **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الزمر: 68، 69، 70، 71، 72، 73، 74، 75)، ونصوص أخرى من سورة الحاقة حول تفاصيل الحساب يظهر بصورة مفصلة من خلال آيات الذكر الحكيم من سورة الحاقة والتي تذكر مشاهد حقيقة وواقعية لما سيكون في المستقبل بقصد التحذير والوعظ والإرشاد لمن كان له عقل يفقه وقلب سليم يذكر ولندع الآيات هي التي تحدثنا عن تلك المشاهد لحال الحساب: **قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَٰؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيهِ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيهِ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهِ يَا لَيْتَنِي كَانَتِ الْقَاضِيَةُ مَا أَعْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ فَلَئْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ (الحاقة: 18، 19، 20، 21، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 33، 34، 35، 36، 37)، ومن سورة النبأ جاء الحق بالنبأ اليقين حول الحساب ولنترك آيات الحق نتحدث عن ذلك اليوم قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ******

أَبْوَاباً وَسَيَّرَتِ الْجِبَالَ فَكَانَتْ سَرَاباً إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً لِلطَّاغِينَ مَاباً لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً لَا يَذُفُونَ فِيهَا بَرْداً وَلَا شَرَاباً إِلَّا حَمِيماً وَغَسَاقاً جَزَاءً وَفَاقاً إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَاباً وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَاباً وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَاباً فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَاباً إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً وَكَأَسَاءَ دِهَاقاً لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا كِذَاباً جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَاباً رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَاباً إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَاباً قَرِيباً يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً، (النبا: 17، 18، 19، 20، 21، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 33، 34، 35، 36، 37، 38، 39، 40). وهناك آيات كثيرة تتحدث عن يوم الحساب سوف نحاول ذكر بعضها خشية الإطالة وعلى النحو التالي:

- قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ الكهف (49).
- قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْذُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ البقرة (284).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾، (الرعد: 21).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوْفَيْنَكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ الرعد (40).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ البقرة (202).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾، (إبراهيم: 41).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾، (إبراهيم: 51).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾، (الأنبياء: 1).
- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ المؤمنون (117).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ النور (38).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ الشعراء (113).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْ لَنَا قِطْنًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ ص (16).
- قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿هَذَا مَا تُوَعَّدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ ص (53).

- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ غافر (17).
- قَالَ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ غافر (27).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾، (النبا: 27).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾، (النبا: 36).
- قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾، (الانشقاق: 8).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾، (الغاشية: 26).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، (البقرة: 281).
- قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ الإسراء (71).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَآئِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الجاثية (28).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا وَيَصْلَى سَعِيرًا إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ (الانشقاق: 10، 11، 12، 13).

18-25 يوم الرجوع:

يُبين القرآن الكريم ذكر هذا اليوم في عدد من الآيات، تصف الرجوع بعد الحساب وهو رجوع حقيقي من مكان مؤقت وهي الأرض، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَ عَلَا: ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ الأعراف (24). وهو ما سنحاول ذكر الآية والحدث والمناسبة، والتأكيد على أن حياة الإنسان على كوكب الأرض حياة مؤقتة ومحددة إلى حين أي زمن معين.

كما أن التأكيد على مسألة رجوع الإنسان من كوكب الأرض بعد مراحل من يوم الصعق والنفخ في الصور، والساعة، ويوم القيامة، ويوم البعث، ويوم الحشر، ويوم الحساب، ثم نأتي ليوم الرجوع إلى الجنة أو إلى النار، ومثلما كان إهباط الإنسان من كوكب جنة عدن (آدم وذريته)، فإن عودتهم حتما ستكون بنفس الآلية من السبب والمشينة والقدرة الإلهية، وما يؤكد على ذلك كثير من الآيات ننسخ بعض من آيات القرآن الكريم والتي تصف هذا الحدث بعدد من الالفاظ منها على سبيل المثال : (تعود، مرجعكم، ترجعون، إلى الله، ترد ويرد وغيرها)، خاصةً وقد بدأ الإنسان اليوم يحاكي هذا الواقع باكتشاف خارطة السماء، ثم إرسال المركبات الفضائية للسماء ولمختلف الكواكب، وغداً من المؤكد أنه سيبدأ بأرسال عدد من المركبات بسرعة الضوء للسفر بين المجرات بحثاً عن وطنه الأول مماثلة بدورة حياة سمك السلمون، وهذه المحاولات من الإنسان لمحاكاة العودة لموطن خلقه الأول، حسب بعض

نصوص الآيات وهي تصف هذا الحدث من عدة زوايا ولا تحتاج معها لشرح، ويكفي منى التدبر والأدكار لفهم الآيات وفقها حسب الألفاظ الواضحة وعلى النحو التالي:

- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿... يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَعَيْتُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يونس (23).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ يونس (4).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ هود (4).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ البقرة (28).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَ عَلَا: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ البقرة (281).
- قَالَ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَفْرِضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ البقرة (245).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ البقرة (281).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يونس (56).
- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ هود (34).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ الأنبياء (35).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ المؤمنون (115).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ القصص (70).
- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ القصص (88).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ العنكبوت (57).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ السجدة (11).
- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يس (22).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يس (83).
- قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ الجاثية (15).

- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿... ثُمَّ تَرْدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ التوبة (94).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكَرًا﴾
الكهف (87).

الفصل السادس والعشرون

حقيقة الجنة والنار:

مدخل:

دُونَ في العهد القديم والجديد بضع كلمات عن الفردوس باعتبارها المكان الذي كان مخصصاً للحياة قبل سقوط الإنسان للأرض حسب نص من تورااة العبرانيين - سفر التكوين: (وغرس الرب الإله جنة في عدن شرقاً، ووضع هناك آدم الذي جبله. 9 وأنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل، وشجرة الحياة في وسط الجنة، وشجرة معرفة الخير والشر. 10 وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة)، والملفت أن تورااة العبرانيين لم تشر من قريب أو بعيد إلى أن الجنة المكان الذي يثاب فيه الصالحين من الناس يوم القيامة، وفي الأنجيل نجد بعض النصوص التي تصف الجنة بالحياة الأبدية وبالملكوت وفيه بعض النصوص الصريحة لحياة حقيقة مادية تتمثل بثواب الصالحين من الناس يوم القيامة، ومن مظاهر ذلك الثواب أكل الطعام والشراب والزواج حسب ما ورد بعدد من الأنجيل منها إنجيل يوحنا حسب النص التالي: (أبأؤنا أكلوا المن في البرية، كما هو مكتوب: أنه أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا 32 فقال لهم يسوع: الحق الحق أقول لكم: ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء، بل أبي يعطيكم الخبز الحقيقي من السماء.

ومن إنجيل لوقا (وأنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتا، 30 لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي، وتجلسوا على كراسي تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر).

ومن إنجيل متى (وأقول لكم: إني من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي)

وفي الزواج ورد في إنجيل متى هذا النص: (فقال لهم يسوع: الحق أقول لكم: إنكم أنتم الذين تبعتموني في التجديد، متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده، تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسيّاً تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر. 29 وكل من ترك بيتاً أو إخوة أو أخوات أو أباً أو أمّاً أو امرأة أو أولاداً أو حقولاً من أجل اسمي، يأخذ مئة ضعف ويرث الحياة الأبدية...)، ويأتي في إنجيل متى بكلام مناقض عن الزواج (لأنهم في القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون، بل يكونون كملائكة الله في السماء).

ثم نأتي لفكر مذاهب السنة والشيعية عند الحديث عن الجنة، والذي ورد لفظ الجنة بمعظم أبواب أحاديث العنونة والقلقلة بصورة مثيرة للسخرية والتسطيح والتحقير والأستهزاء ومن نواحي عدة، وإذا حصرنا تلك الأحاديث سنجدتها كثيرة لا مجال لتعدادها، غير أنني سوف أحاول ذكر أهم المضامين التي تطرقة إليه تلك الأحاديث والتي صورت الرسول والنبى وهو يصفها بقصة المعراج الكاذبة، من أن بيوتها وقصورها مبنية من لبن ذهب وفضة وأشجارها

التي يمشي الراكب في ظلها سبعين عام وقيل مئة عام، وأن أغلب ساكني الجنة من المساكين والضعفاء والفقراء وأصحاب الجد المحبوسين، واستتريد بذكر بعض عناوين تلك الأحاديث الخرافية حول الجنة لمزيد من الفائدة في الإلمام بغزارة التحريف وتسطيح معاني السمو للجنة التي ذكرها القرآن الكريم، ومن أمثلة ما ورد في تلك الأحاديث والتقوليات الكاذبة عن شخص من أهل البادية أستاذن ربه بالزرع في الجنة، ووجود نهر الكوثر فيها، وأن نهر النيل ودجلة والفرات من أنهار الجنة، وأن هناك أناس يخرجون من جهنم ويدخلون الجنة ويسمون بالجهنميين، وأنه يأتي بالموت كهنية كبش يذبح في الجنة، وأن موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها، وأن مرضى الصرع والغرق والحريق شهداء يدخلون الجنة، وأن فيها خيمة من لؤلؤة مجوفة وفيها حور العين لو بصقت من لعبها على البحر لتغير طعمه، ولو أطلت بوجهها على ليل الأرض لأضاءته ولملأت ما بينهما ريحاً طيباً، وأن هناك أناس يدخلون الجنة بالسلاسل، وأن الجنة تحت ظلال السيوف، وغيرها من القصص والحكاوي السمجة، متقولين بها على الرسول والنبي ومعلوم أن الرسول أو النبي وكل الأنبياء والرسل لا يعلمون غيب المستقبل ولا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ينص القرآن الكريم قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبُ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ الأعراف (188)، ومع هذه الآية وغيره يصبح الأخبار عن الجنة على لسان أي نبي أو رسول هرطقة أو سفسطة من الجدل والخرافة لا يستحق الالتفات إليها.

الجنة بين الحلم والحقيقة:

التعريف والمشروعية: الجنة أو جنة عدن: ورد ذكرها في كلام الله سبحانه لما يزيد عن سبعين آية من آيات الذكر الحكيم، وبألفاظ كثيرة وطالما ذكرها الله سبحانه وتعالى، فتلك إذن حقيقة لا مناص منها، ومن حقنا التساؤل عن الجنة، ومكانها في السماء، وهل هي ضمن كوننا في المجموعة الشمسية؟ أم في زاوية من زوايا الكون؟ وهل نستطيع معرفة تفاصيل أكثر عنها؟ أسئلة كثيرة لا بد من الإجابة عليها، فكان القرآن المبين خير ما ينطق بالجواب على هذه الأسئلة، سواء كانت الإجابة صريحة أو ضمنية حسب مشروعية الجنة بالآيات الآتية:

- قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ...﴾ البقرة (35).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: 82).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ...﴾ البقرة (111).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ...﴾ (البقرة: 214).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿... وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (البقرة 221).

- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ آل عمران (142).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ آل عمران (185).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ النساء (124).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ الأعراف (44).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ..﴾ التوبة (111).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ يونس (26).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَبِالْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْذُودٍ﴾ هود (108).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ النحل (32).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿بَلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ مريم (63).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءٌ وَمَصِيرًا﴾ الفرقان (15).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ الفرقان (24).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ الشعراء (85).
- قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَزَلِفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الشعراء (90).
- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمٌ أَجْرٌ لِلْعَامِلِينَ﴾ العنكبوت (58).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ يس (26).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ﴾ يس (55).
- قَالَ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا...﴾ الزمر (73).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ الزمر (74).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فصلت (30).
- قَالَ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ الزخرف (70).

• قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الأحقاف (14).

• قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ﴾ محمد (6).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ ق (31).

• قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ الحشر (20).

• قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿أَيُطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةً نَعِيمٍ﴾ المعارج (38).

• قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ الإنسان (12).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ النازعات (41).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ الغاشية (10).

ثم نستهل الإجابة على تلك الأسئلة وغيرها بذكر وصف الجنة من كلام الله سبحانه في القرآن الكريم، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾، (آل عمران: 133)، وآية أخرى في وصف الجنة، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾، (الحديد: 21).

ومن الملاحظ أن الله سبحانه ذكر مساحة الجنة من حيث العرض من غير الطول، ولكي يعطي تصوراً خيالياً لحجم المساحة الهائلة، ما يصعب على المرء تخيلها لسعة كبرها وضخامتها، ومن خلال آيات الذكر الحكيم تتضح لنا حقيقة مكان وموقع الجنة في جزء من السماء خارج المجموعة الشمسية - درب التبانة - في كوكب أو مجرة أو في أحد زوايا الكون، لا تصل لها شمس ولا زمهرير، والمعلوم من كلام الله سبحانه أن القيامة سوف تكون على المجموعة الشمسية، حسب ما جاء بنصوص آيات الذكر الحكيم، إذَنْ فمن غير المعقول أن يكون مكان الجنة في جزء من مجموعتنا الشمسية بدرب التبانة فذلك تناقض في النص، وهو محال على كلام الله سبحانه أن يأتي بكلام متناقض، إذَنْ فحقيقة مكان وجود الجنة حسب تنبأت آيات القرآن الكريم والتي تؤكد أنها في مكان ما من السماء الكبيرة والشاسعة، والآية ينفي وجود الشمس فيها، وقد يتساءل أحدها عن الشمس من كونها سبباً لحياة الكثير من الكائنات الحية، والجواب أن الجنة والحياة فيها قلنا مراراً أنها قد تتماثل بالحياة على الأرض لمجمل الدواب والكائنات ولكنها لا تتساوى بها، لكمالية وسمواً ورفعة ورفاهية إعداد الجنة للحياة الأبدية الخالدة، وهناك نص آخر صريح يحدد موقع نوع من الجنة ذات الدرجة الرفيعة حسب النص: قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ (النجم: 14، 15)، فيكون ذلك النبأ أو التنبأ من القرآن مؤشراً على حقيقة علمية وواقعية بوجود الجنة في السماء والكون الكبير جداً في الزمكان، فهل غزو الفضاء من قبل الإنسان يستطيع الوصول إليها؟ أو تحديد مكانها عبر التلسكوبات الدقيقة والعلاقة والإجابة بتقديري نعم، خاصة وأن تلسكوب جيمس ويب قد بدأ برسم جغرافية السماء في الشهر الماضي من العام الحالي 2022م وهو

مؤشر على بداية معرفة السماء، ومع ذلك نترك الإجابة العملية للأجيال الرقمية القادمة من بني الإنسان!!

مراتب الجنة وأنواعها.

ذكر القرآن الكريم مراتب الجنة، وأنواعها بآيات ونصوص مختصرة نذكر منها بالآتي:

- قَالَ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ (النجم: 14، 15).
- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾، (الحاقة: 22).
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَيُطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾، (المعارج: 38).
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾، (الغاشية: 10).
- وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ...﴾، (الفرقان: 15).

الحياة في الجنة وأوصافها:

ذكر القرآن الكريم حياة الإنسان في الجنة ببداية الأوصاف والصفات، وبنفس الوقت ذكر أوجه التشابه بينها وبين جنات الأرض التي قد تتماثل معها، ولكنها لا تتساوى بها، حسب كلام الله سبحانه، ومن المعلوم أن الجنة كانت المكان الذي تم فيه الخلق الأول لأدم وزوجه وخلق لهما من كل شيء فيه رعداء، وفيها من كمال العيش والحياة، حسب ما جاء ذكرها ووصفها في آيات الذكر الحكيم في ضوء ما سيأتي ذكرها، ثم جاء نص المقاربة والمماثلة لرؤية الجنة من الداخل ووصفها بمكوناتها الأساسية، ومحاولة الإنسان محاكاة موطنه الأولي (الجنة) من خلال عمله على الأرض عبر تخطيط المدن الحضرية المنظمة والمنظبطة في الأمن والضمان الصحي والاجتماعي، والقصور الفارهة، والحدائق الغناء، والبساتين المثمرة، وغير ذلك من مقتنيات الحياة الدنيا في المآكل والمشرب وسبل الراحة والترفيه والرفاهية كما في الآية التالية: بَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿مِثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾، (الرعد: 35)، ونص آخر يتحدث عن بعض تفاصيل الجنة، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مِثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾، (محمد: 15)، ونص آخر يوضح تقسيم الجنة من الغرف، قَالَ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمٌ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾، (العنكبوت: 58)، وإلى وصف وتعريف بديع بالجنة بقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا، مُتَكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا، وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا، وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِأَنْيَاءٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا، قَوَارِيرٍ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا، وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا، عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا، وَيُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا

مَنْثُورًا، وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا، عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَخُلُوا
أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا، إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا،
(الإنسان: 12، 13، 14، 15، 16، 17، 18، 19، 20، 21، 22).

ومن سورة الرحمن جاء الحق سبحانه للتعريف بالجنة، وأوصافها ما يعجز اللسان عن
أن يأتي بحرفٍ واحدٍ زيادة عن تلك الحقيقة التي يؤكدتها كلام الله بأية مستقلة عن كل آية
وصفية تصف الجنة أو تزيدنا بالجنة معرفة، إذ أنها تفودك للخيال العميق في جزاء الله
سبحانه وتعالى للناس عن أعمالهم الطيبة في الدنيا، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ
جَنَّتَانِ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، ذَوَاتَا أَفْنَانِ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ،
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، مُتَكِنِينَ عَلَى
فُرْشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانِ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ
الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، كَانَتْهُنَّ الْيَاقُوتَ وَالْمَرْجَانَ،
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، (الرحمن: 46، 47، 48، 49، 50، 51، 52، 53، 54، 55، 56، 57، 58، 59، 60، 61).

ثم يضيف التعريف بالجننتين وذكر تفاصيلهما من دون ذلك، ومن نفس سورة الرحمن،
بقوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَنْ دُونَهُمَا جَنَّتَانِ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، مُدْهَمَّتَانِ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ، فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَاجَتَانِ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ، فَبِأَيِّ
آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، فِيهِنَّ خَيْرَاتُ حَسَنٍ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ،
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، مُتَكِنِينَ
عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ
وَالْإِكْرَامِ﴾، (الرحمن: 62، 63، 64، 65، 66، 67، 68، 69، 70، 71، 72، 73، 74، 75، 76، 77، 78).

ونص آخر في التعريف بالجنة ووصفها من سورة الواقعة، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿عَلَى
سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ، مُتَكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ، بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ
وَكُاسٍ مِنْ مَعِينٍ، لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ، وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ، وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا
يَشْتَهُونَ، وَحُورٍ عِينٍ، كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا
وَلَا تَأْتِيَمًا، إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا، وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ، فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ،
وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ، وَظِلٍّ مَمْدُودٍ، وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ، وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ، لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ، وَفُرْشٍ
مَرْفُوعَةٍ، إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً، فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا، عُرْبًا أَثَرَابًا، لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ، ثَلَاثَةٌ مِنَ
الْأَوَّلِينَ، وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾، (الواقعة: 15، 16، 17، 18، 19، 20، 21، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 33، 34، 35، 36، 37، 38، 39، 40).

جنات عدن:

جاء ذكر جنات عدن بكلام الله سبحانه، في الكثير من مواضع القرآن من الآيات والنصوص ما يسترعي تخصيص عنوان مستقل لها، ومن تلك الآيات والنصوص عرفة جنة عدن بالألفاظ وكلمات ما يعجز المرء معها أن يزيد شيء، ونترك القارئ للتأمل في تلك الآيات والنصوص بالآتي:

• قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، (التوبة: 72).

• قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾، (الرعد: 23).

• قَالَ تَعَالَى: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾، (النحل: 31).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً﴾، (الكهف: 31).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيّاً﴾، (مريم: 61).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَرَكَّى﴾، (طه: 76).

• قَالَ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾، (فاطر: 33).

• قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَفْتُحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾، (ص: 50).

• قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، (غافر: 8).

• قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، (الصف: 12).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾، (البينة: 8).

آدم أول من سكن الجنة بعصر الخلق والكمال:

الآيات التي نتحدث عن الجنة وتصفها وتحدد مراتبها ودرجاتها، كان أول من سكنها هو آدم الأنثى وزوجه آدم الذكر، في عصر الخلق والكمال، إذ أنني أطلقت على حياة آدم وزوجه بعصر من كون خلقهما وحياتهما لم تكن لحظة من الزمن كأمثالها على الأرض، ذلك أن الزمن الكوني عند الله سبحانه يقاس حسب هذه المعادلة التي ذكرها القرآن قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ:

﴿... وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾، (الحج: 47)، لذلك يحق لنا القول بوصف الفترة الزمنية بالعصر، وقد كان هذا العصر في المكان والزمان في جنة عدن في مكان محدد في السماء غير معلوم حتى يومنا هذا، وفيه عاش آدم وزوجه وذريتهم، فكانت النواة الأولى لتشكل المجتمع البشري الأولي المتمثل بالأسرة وقوامها الأنثى آدم (الأم) والذكر (آدم)، حسب ما جاء بهذه الآية، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، (البقرة: 35)، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، (الأعراف: 19)، ثم ظهر في هذه الآية وجود إبليس في الجنة ليس لأنه مستحق العيش فيها، وإنما لحكمة اقتضاها الله سبحانه في اختبار آدم بعدم الأكل من الشجرة ليخرج من الجنة، ولفظ الخروج هنا يؤكد أن الجنة في مكان ما خارج الأرض، وهو ما يتوافق مع لفظ الإهباط إلى الأرض بنص آخر وليست الجنة مكاناً في الأرض كما يتصورها البعض، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾، (طه: 117)، فلم ينجح آدم في تجاوز الاختبار التحذيري وأكل من الشجرة بفعل وسوسة الشيطان، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى، فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفَحَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾، (طه: 120، 121). وعلى إثر ذلك كان إبليس الشيطان الرجيم، أول من يخرج من الجنة مطروداً بأمر الله سبحانه وزاده لعنة، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ، وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ (الحجر: 34، 35)، وزاد القرآن الكريم التوضيح حول إخراج إبليس من الجنة مطروداً وإهباطه منفرداً هذه الآية من آية القرآن الكريم قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ فَأَهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ الأعراف (13) ثم جاء وبعد مراحل من الزمن الدور في إهباط آدم وذريته جميعاً إلى الأرض، ولفظ جميعاً يقصد به العدد فوق الثلاثة، ولا يدخل مع هذا العدد الجمعي إبليس لسبق طرده وإخراجه وإهباطه منفرداً وكما سبق بيانه، إذا فالعدد الجمعي الذي أهبط إلى الأرض كان آدم والأنثى وزوجه (الذكر) وذريته التي بدأت تتناسل في الجنة فكان توجيه الأمر لهم جميعاً بالهبوط، ولفظ الهبوط اخف وارحم من الخروج، فكانت الأرض لهم مستقراً ومتاعاً إلى حين حسب ما يفقه من هذا النص، قَالَ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾، (البقرة: 36)، وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَقَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾، (الأعراف: 24).

الجنة دار الخلد والاستقرار للمؤمنين:

أورد الحق سبحانه وتعالى الكثير من نصوص الآيات من كلامه في القرآن تبين من خلالها أن الجنة مكان يستقر فيه الإنسان من رحلته في الأرض، ومن تجاوزه للاختبار الذي وضعه الله سبحانه للإنسان والمتمثل في أتباع كلامه عبر الرسل والأنبياء الأمر فيه بالإيمان

بحقيقة وحدانية الله سبحانه وتعالى، وهو الله الخالق للشيء ومادة الشيء، وخالق حركة الشيء، وهو خالق المادة، والنفس والروح، وله من الأسماء الحسنی والصفات العلا والامر بالفضيلة وحب الخير لجميع الناس، والعمل الصالح والعلم النافع، وكل أوامر الله سبحانه في القرآن، من إقامة الشعائر والمناسك، ونبذ الشرك والظلم، وكل أنواع الشر من الإرهاب والتكفير والتطرف والفساد في الأرض، حسب كلام الله سبحانه الثابت الأزلي الخالد الميسر للذكر والعقل والفكر والقلب، فمثلما كانت الجنة أول دار يعيش فيها الإنسان آدم وزوجه، فهي كذلك دار ذرية آدم الصالحين من الناس الذين اتبعوا الهدى والصراط المستقيم والعمل الصالح تلك الدار الآخرة جعلها الله سبحانه للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً، وقد جاء القرآن بذكر الجنة بصورة واضحة وبألفاظ سهلة مفهومة وسلسلة تحدد جزاء الأعمال، فلا يحق لكائن من كان أن يعطي صكوك دخول الجنة أو يضمن دخولها لأحد، حسب ما جاء في القرآن الذي ذكرها في بعض الآيات السابقة وحتى لا تتكرر نأتي بذكر بعض منها بالآتي:

• قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، (البقرة: 82).

• قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾، (النساء: 124).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾، (المائدة: 72).

• قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكَ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكَ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، (الأعراف: 27).

• قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾، (الأعراف: 40).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَنْ تُلْكُمُ الْجَنَّةَ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، (الأعراف: 42، 43).

• قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾، (الأعراف: 49).

• قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، (هود: 23).

- قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾، (هود: 108).
- قَالَ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (الزمر: 73).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾، (مريم: 60).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْشَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، (غافر: 40).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾، (مريم: 63).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾، (الشعراء: 85).
- قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾، (يس: 26).
- قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ﴾، (يس: 55).
- قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، (الزخرف: 72).
- قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، (التحریم: 11).

كما أورد الحق سبحانه لفظ جنات للجمع والمثنى جنتان في آيات الذكر الحكيم ما يدل على كبر الجنة التي وصفها الله سبحانه ووصفها كعرض السماوات والأرض، وسوف أختار بعض الآيات التي تعرف بذلك وتصف تلك الجنات في الآتي:

- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾، (آل عمران: 136).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، (النساء: 13).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾، (النساء: 57).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَادْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾، (المائدة: 65).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، (المائدة: 119).
- قَالَ تَعَالَى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾، (التوبة: 21).

• قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، (التوبة: 72).

• قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾، (يونس: 9).

• قَالَ تَعَالَى: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾، (الرعد: 23).

• قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾، (الكهف: 107).

• قَالَ تَعَالَى: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾، (مريم: 61).

• قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾، (الحج: 14).

• قَالَ تَعَالَى: ﴿الْمَلِكُ يُومِنُ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾، (الحج: 56).

• قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا﴾، (الفرقان: 10).

• قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، (السجدة: 19).

• قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ (54) ﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ﴾، (القمر: 55).

• قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾، (القلم: 34).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...﴾، (البينة: 8).

الجنة دار القرار ودار السلام ودار الآخرة:

جاء القرآن العظيم بعدد من أوصاف الجنة حسب آيات من كلام الله سبحانه نذكر بعض منها بالآتي:

• قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ الأنعام (32).

• قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الأنعام (127).

• قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يونس (25).

- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ القصص (83).
- قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ غافر (39).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ فصلت (28).

الزواج من حور العين في الجنة:

التعريف والمشروعية: جاء ذكر حور العين في كلام الله سبحانه وتعالى كاسم علم للمذكر ولل مؤنث وبحسب موقع اللفظ بالجملة وهو ما يفهم من نص الآيات التي نذكر بعض منها، وهنا حصص الحق سبحانه بتحديد نوعية العلاقة بين الأنثى والمذكر في الحياة الأبدية كما كانت في بدايتها الأولى بزواج آدم والأنثى بآدم المذكر بجنة عدن، وهنا لا يوجد تعدد للنكاح لانعدام سبب التعدد مثل اليتامى والفتيات والنساء المهاجرات وغيرها حسب ما كان سائد في الأرض، ذلك أن الزواج يكون ثنائي التكوين أنثى وذكر فقط من حور العين أو غيره، والقرآن الكريم ذكر الزواج في الجنة بعدد من الحالات نذكرها جميعاً بالآتي:

- قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مُتَكِّينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾، (الطور: 20).
- قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾، (الدخان: 54).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿مُتَكِّينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾، (الطور: 20).

لغة أهل الجنة والنار:

جاء القرآن الكريم ليخبرنا صراحة وضمناً من خلال نص الخطاب عن قول الله سبحانه بالتحدث بلغة عربية مخاطباً آدم وزوجه في آيات متعددة في الزمن الماضي منها: قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ البقرة (35)، ونص آخر قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿... وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ الأعراف (22). قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ طه (117)، كما جاء القرآن الكريم بصيغ وألفاظ تخاطبيه بين أهل الجنة وأهل النار كأنباء لأحداث المستقبل الذي يعتبر في علم الله سبحانه من الماضي يتبين ذلك من صيغ الكلام بنص آيات القرآن العظيم وهو ما يدل على أن لغة القرآن المبين هذه ستكون هي اللغة السائدة لأهل الجنة والنار وقد سبق في جزء سابق التحدث عن كيفية إرادة الله سبحانه بمشيئته وسببه جعل كل كلامه الموحى للأنبياء والرسل المتعدد الألسن بلسان واحد فكان القرآن الكريم الجامع لكل

الألسن وكذلك هي لغة أهل الجنة والنار ونصوص أخرى تتحدث عن الماضي والمستقبل المؤكد في علم الله سبحانه بصيغ حوارية وألفاظ متعددة حسب ما سيأتي سرده ببعض النصوص والتي اخترناها لكم على سبيل المثال بالآتي:

• قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَإِذْ نُودِيَ بَيْنَهُمْ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ الأعراف (44).

• قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ الأعراف (46).

• قَالَ اللَّهُ سُبحَانَهُ: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ الأعراف (50).

• قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ يس (26).

• قَالَ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ الزمر (71).

• قَالَ اللَّهُ سُبحَانَهُ: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ الزمر (73).

• قَالَ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ الزمر (74).

• قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ الملك (8).

• قَالَ اللَّهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبُّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف: 38، 39).

• قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿وَإِذِ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَدُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ قَالُوا أَوْلَمْ تَأْتِكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ (غافر: 47، 48، 49، 50).

• قَالَ اللَّهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ قَالَ اخْسَرُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ (المؤمنون: 106، 107، 108).

- قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِينَ قَالَ إِنَّ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (المؤمنون: 112، 113، 114).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ فصلت (21).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الأنعام (27).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ الأنعام (30).
- ونص يوضح عدم وجود اللغو وأعوجاج اللسان في النطق لدى أهل الجنة قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾ (الغاشية: 10، 11).

تلك هي بعض آيات القرآن العظيم والتي تصف بعض مظاهر الحياة في الجنة والنار بلسان عربي مبين، بمعنى أن لغة التخاطب بين جميع الناس في الجنة والنار ستكون اللغة العربية وهو على الأرجح من خلال تلك النصوص، ومن المعلوم أن العالم اليوم يشهد بداية نهضة علمية في علوم السماء ومن خلاله عملت وكالات الأبحاث الفضائية العالمية ومنها وكالة الفضاء الأمريكية والأوروبية والروسية والصينية على إرسال واستقبال الشفرات والذبذبات الصوتية من وإلى المجرات في السماء الواسع من أجل الحصول على معلومة حول وجود كائنات حية في بعض الكواكب والمجرات الضخمة، والمؤمل عليه في المستقبل التوصل لبعض الاصوات من كوكب جنة عدن بالفاظ عربية أو غيرها حسب تنبؤات القرآن العظيم والذي نعتقد ونجزم على صدق تنبؤات القرآن في هذا الشأن وأن غداً لناظره لقريب، وأن بؤادر هذه التنبؤات قد بدأت تلوح في الأفق من خلال ما افصحته عنه وكالة الفضاء الأمريكية ناسا ووكالة الفضاء الصينية، خاصة وقد حصل العالم اليوم على خريطة للسماء تتضمن رؤية الإنسان للسماء بمجراته عبر عدداً من التلسكوبات كان آخرها تلسكوب هابل وتلسكوب جيمس ويب من وكالة الفضاء الأمريكية ناسا.

النار والجحيم وجهنم السعير - وأوصافها

ذكرت النار والحريق في العهد القديم كثيراً كأداة وظيفية للعقوبة في الدنيا كما ذكرت النار كرمزية مقدسة في عدد من طقوس شعائر اليهود، ولم تذكر النار كجزء لعقاب المفسدين الظالمين والمجرمين القتلة في الآخرة بعد الحساب من يوم القيامة، ومن الملفت أن الجحيم أو جهنم أو سقر لم يرد ذكرها في العهد القديم نهائياً ولذلك كان من الأهمية الإشارة لبعض النصوص التي جاء ذكر النار والحريق في تورااة العبرانيين- من سفر الخروج بالآتي: (ولا تبقوا منه إلى الصباح. والباقي منه إلى الصباح، تحرقونه بالنار) ونص آخر (وكان الرب يسير أمامهم نهائياً في عمود سحاب ليهديهم في الطريق، وليلاً في عمود نار ليضيء لهم. لكي يمشوا نهائياً وليلاً) ونص آخر (وكان جبل سينا كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار، وصعد دخانه كدخان الأتون، وارتجف كل الجبل جداً).

ومن سفر اللاويين ورد ذكر النار والحرق بالنار كثيراً نذكر منها الآتي: (فخرجت نار من عند الرب وأكلتهما، فماتا أمام الرب) ونص آخر (وإذا اتخذ رجل امرأة وأمها فذلك رذيلة. بالنار يحرقونه وإياهما، لكي لا يكون رذيلة بينكم. 15) ونص آخر (9) وإذا تدنست ابنة كاهن بالزنى فقد دنست أباهما. بالنار تحرق) ونص آخر (والنار على المذبح تتقد عليه لا تطفأ ويشعل عليها الكاهن حطباً كل صباح، ويرتب عليها المحرقة، ويوقد عليها شحم ذبائح السلامة 13 نار دائمة تتقد على المذبح لا تطفأ) ونص آخر (4) وخرجت نار من عند الرب وأحرقت على المذبح المحرقة والشحم. فرأى جميع الشعب وهتفوا وسقطوا على وجوههم).

وجاء بسفر العدد بعض النصوص حول النار والحريق بالآتي: (وخرجت نار من عند الرب وأكلت الميتتين والخمسين رجلاً الذين قربوا البخور) ونص آخر (هذا يكون لك من قدس الأقداس من النار) ونص آخر (وأحرقوا جميع مدنها بمساكنهم، وجميع حصونهم بالنار).

وجاء بسفر التثنية النصوص التالية: (فضرباً تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف، وتحرمها في كل ما فيها مع بهائمها بحد السيف. 16 تجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحتها، وتحرق بالنار المدينة وكل أمتعتها كاملة للرب إلهك، فتكون تلاً إلى الأبد لا تبنى بعد) ونص آخر (إنه قد اشتعلت نار بغضبي فتتقد إلى الهاوية السفلى، وتأكُل الأرض وغلثها، وتحرق أسس الجبال) ونص آخر يصف الرب بنار (لأن الرب إلهك هو نار آكلة، إله غيور)، وغيرها من أسفار العهد القديم.

أما عن العهد الجديد فقد ذكر النار وجهنم كوظيفة ومكان لعقاب الظالمين نسرد بعض النصوص بالآتي: -

- جاء من أنجيل متى: (ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار: اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته) ونص آخر (ومن قال لأخيه: رقا، يكون مستوجب المجمع، ومن قال: يا أحمق، يكون مستوجب نار جهنم) ونص آخر يخاطب به الفريسيون جماعة من بني إسرائيل (أيها الحيات أولاد الأفاعي! كيف تهربون من دينونة جهنم؟) ونص آخر ذكر فيه الجحيم مرة واحدة: (وأنا أقول لك أيضاً: أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة أبني كنيسة، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها).
- وجاء بأنجيل مرقس: (وإن أعثرتك عينك فاقطعها. خير لك أن تدخل ملكوت الله أعور من أن تكون لك عينان وتطرح في جهنم النار).
- وجاء بأنجيل لوقا: (جئت لألقي نارا على الأرض، فماذا أريد لو اضطرمت؟) ونص آخر (بل أريكم ممن تخافون: خافوا من الذي بعدما يقتل، له سلطان أن يلقي في جهنم نعم، أقول لكم: من هذا خافوا!) ونص آخر ذكر فيه الجحيم مرة واحدة (فرفع عينيه في الجحيم وهو في العذاب، ورأى إبراهيم من بعيد ولعازر في حضنه).
- وجاء بأنجيل يوحنا: (إن كان أحد لا يثبت في يطرح خارجاً كالغصن، فيجف ويجمعونه ويطرحونه في النار، فيحترق).

تلك المقتطفات وغيرها من فكر العهد القديم والجديد والتي تتحدث عن النار والجحيم وجهنم بطرق مختلفة، والتي كانت مادة خصبة لدسها بأحاديث العنينة والقلقلة بمذاهب الفكر الإسلامي، فقد ساروا بنفس المسار بالتعريف بالنار في أغلب أبواب كتب المؤرث بمذاهب الفكر الإسلامي من كونها وظيفة أضف إلى انهم ذكروا جهنم في أحاديث تبعث على السخرية والاستهزاء والتسطيح وحتى لا أطيل سوف اذكر بعضاً يسيراً لمضامين تلك الأحاديث بفكر مذاهب العنينة والقلقلة ومنها: القول أن شدة حر الدنيا من فيح جهنم، وأن الله يضع قدمه في جهنم وهي تقول قط قط، وأن في جهنم تلابيب كشوك السعدان، وأن جهنم يحطم بعضها بعضاً، وأن هناك أناس يسمون الجهنميون نسبة لجهنم، وأن الصراط المستقيم خيط رفيع ادق من الشعرة واحد من السيف على نار جهنم، وأن النار تحشر الناس يوم القيامة، وغيرها كثير من الأقوال والخرافات عن النار وجهنم والجحيم كمكان للعقاب وعلى أتفه الأسباب مثل الذي يلبس الذهب والفضة والحرير وغيرها.

النار ونار جهنم:

النار: التعريف والمشروعية: ورد ذكر النار في القرآن مبيناً أنواع النار ومراتبها كجزاء للظالمين والمفسدين في الأرض والمشركون والمجرمين الذين أكثروا في الأرض الفساد، ومن هذا العنوان سوف نحاول ذكر بعض الآيات التي تتحدث عن ذلك وبصورة موجزة لبعض الأوصاف التي تصف العقاب العادل الأخروي للمجرمين والمفسدين في الأرض، وجاء ذكر النار في القرآن الكريم في أكثر من مئة آية من نصوص القرآن الكريم وكل نص يتحدث عن جزاء وعقاب محدد، وقد اخترت لكم نماذج من تلك الآيات حسب التالي:

- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾، (الكهف: 53).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾، (آل عمران: 10).
- قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾، (آل عمران: 131).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾، (آل عمران: 192).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾، (النساء: 14).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾، (النساء: 145).
- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، (يونس: 27).

- قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَفَعُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾، (هود: 106).
 - قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُنْمَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾، (القصص: 41).
 - قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَوْمَ ثَقُلَتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾، (الأحزاب: 66).
 - قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾، (الزمر: 16).
 - قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾، (الزمر: 19).
 - قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ادْعُوا إِلَيْنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾، (غافر: 41).
 - قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾، (فصلت: 19).
 - قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُنْقِلِي فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، (فصلت: 40).
 - قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمُ مِنْ نَاصِرِينَ﴾، (الجاثية: 34).
 - قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾، (الذاريات: 13)،
 - قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَوْمَ يَدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾، (الطور: 13، 14).
 - قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾، (القمر: 48).
 - قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾، (التحريم: 6).
- وعلى ذكر نار جهنم إذ كانت جزاء لبعض الأعمال المجرمة مثل الذين يكتنزون الذهب والفضة والأموال ولا ينفقونها في سبيل الله سبحانه ويقصد بذلك عدم توظيف الأموال في أعمال التنمية والاقتصاد من أجل القضاء على الفقر، وكذا منع الزكاة (الضرائب) والصدقات، والذين يحادد الله ورسوله بقيامه في كل عمل وقولاً مخالفاً لما جاء من عند الله عبر الوحي للأنبياء والرسل وهم الملحدون المعاندون، والمنافقون والمنافقات وهم الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر أو يدعون الفضيلة من أجل الرذيلة والشر، والذين كفروا في كل الحقائق الإيمانية والعلمية بالآيات المنزلة في القرآن الكريم، وكذلك العصاة، والذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين من عبدة الأوثان، وقد ذكرت بالآيات في الآتي:
- قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ لَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾، (التوبة: 35).

- قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾، (التوبة: 63).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنُهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾، (التوبة: 68).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفَ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾، (فاطر: 36).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾، (الجن: 23).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾، (البينة: 6).

وذكرت أنواع من النار، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾، (الليل: 14)، وآخر قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾، (القارعة: 11)، وأخيراً جاء بسورة المسد فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾، (المسد: 3)، وعملت جماعة التحريف على شخصنة هذه السورة على شخصية قريبة من الرسول محمد عليه السلام وجعلوا منه وزوجته شخصية محورية للشر بقصد خبيث، كما فعلوا بالمثل الذي ضرب بزيد وحديث الأفك وآيات المنافقين إذ قاموا بأسقاط هذه النصوص وغيرها على المكان والزمان والحدث المصطنع الكذب والحقيقة خلاف ذلك تماماً فنصوص القرآن كلام الله الذي يخاطب المجتمع البشري بصورة عامة في كل زمان ومكان ويخاطب الناس جميعاً، وجاء بقواعد عامة منظمة للحياة.

وهناك تساؤلات حول عقوبة الحرق بالنار من قبل الله سبحانه وهل هذه العقوبة من صميم العدالة الإلهية؟

والإجابة على هذا السؤال: يأتي عدل الله سبحانه في هذه الجزئية واضح برأي من خلال قراءة آيات القرآن وما ورد فيها من وعظ وإرشاد ووعد ووعيد وتبيان لطريق الحق وطريق الضلال، فقد جاء القرآن بعدد من الآيات للإجابة على هذه التساؤلات وهناك من التقولات والتخرصات حول تكذيب عذاب النار وآخر يعترض أن يكون الله سبحانه يعذب بالنار، والرد على ذلك في الآتي:

- أليس من العدل تطبيق قانون الجزاء والعقاب على من يخالفه في الدولة؟
 - أليس من العدل تطبيق العقاب لمن يضر بالسكينة العامة وبالناس؟
 - ثم أليس من الحق وصم الدولة التي تعطل تطبيق القانون بصفة عامة وتعطيل قانون الجزاء أو العقوبات بالدولة الفاشلة المستبدة الظالمة؟
- وكذلك هو الجزاء أو العقاب في الآخرة فهو صمام العدل بين الناس يوم القيامة ومن آيات القرآن حول أسس إقامة العدل بين الناس يوم القيامة – يوم الحساب نسرد عدداً من الآيات تمثل مبادي أساسية لأقامة العدل بين الناس:

- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ البقرة (281)،
- وَ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ البقرة (281)،
- وَ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النساء (40)
- وَقَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ يونس (44)
- وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بِاللَّهِ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ النساء (49)
- وَقَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيمينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ الإسراء (71).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النساء (40).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿... وَمَا يَعْرُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ يونس (61).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ الأنبياء (47).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ لقمان (16).
- قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ الزلزلة (7).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ الزلزلة (8).

الجحيم:

- ورد ذكر الجحيم لأكثر من عشرين آية من نصوص الذكر الحكيم يفقه من مجملها أن الجحيم مكان لجزاء الكاذب المكذب بآيات الله سبحانه والفاجر المغالي في الكفر، الفاسد المفسد في الأرض، وسوف أنسخ بعض الآيات والتي تزيد التعريف بالجحيم حسب الآتي:
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ (البقرة: 119).
 - قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾، (المائدة: 10).
 - قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾، (الحج: 51).

• قَالَ تَعَالَى: ﴿وَبُرَزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾، (الشعراء: 91).

• قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾، (الانفطار: 14).

الحريق وسقر:

ورد ذكر الحريق كعذاب للأعمال حسب ما جاء بآيات الذكر الحكيم، نذكر بعض منها، ومن خلالها سوف نتعرف على تلك الأعمال الخبيثة التي تستحق هذا العقاب في الآخرة.

• قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ

مَا قَالُوا وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوفُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾، (آل عمران: 181).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوفُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾، (الأنفال: 50).

• قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ثَانِي عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾، (الحج: 9).

• قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿هَٰذَا خِصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ (الحج 19) ... إلى الآية التالية بقوله تعالى ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوفُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾، (الحج: 22).

• قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾، (البروج: 10).

وعن ذكر سقر فقد وردت بعض الآيات التي تتحدث عنها في الآتي: قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِِهِمْ ذُوفُوا مَسَّ سَقَرَ﴾، (القمر: 48)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿سَأَصْلِيهِ سَقَرَ﴾، (المدثر: 26).

وعن التعريف بجزاء سقر حسب ما جاء بسورة المدثر: قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ، قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ، وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمِسْكِينَ، وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ، وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ، حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ، فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ، فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ﴾، (المدثر: 42، 43، 44، 45، 46، 47، 48، 49).

مكان النار - جهنم - الجحيم:

من المرجح أن يكون موقع النار أو جهنم أو الجحيم بالقرب من الجنة وفقاً للآية التي تشير لذلك قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذْنُ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾

(الأعراف: 44، 45، 46، 47)، ونص آخر قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ الأعراف (50).

ونختتم هذا المؤلف بآية من القرآن الحكيم والمفصل المبين قال جلّ في علاه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ البقرة (159) صدق الله العظيم....

والله على ما نقول شهيد،،،

والحمد لله رب العالمين،،،

قائمة بأهم المصادر والمراجع

- القرآن الكريم – برنامج آية.
- القرآن الكريم – برنامج أند رويد.
- كتاب الحياة – الكتاب المقدس – ترجمة تفسيرية – للعهد القديم والجديد – تم جمعه في جي – سي – سنتر – مصر الجديدة – القاهرة.
- الكتاب المقدس كامل – العهد القديم – والعهد الجديد – برنامج آلي.
- الأناجيل – كتاب – إنجيل متى – إنجيل مرقس – إنجيل لوقا – إنجيل يوحنا.
- الأناجيل – برنامج الكتاب المقدس على النت – إنجيل متى – إنجيل مرقس – إنجيل لوقا – إنجيل يوحنا.
- انجيل برنابا – تحقيق: د/ أحمد السقا – دار كنوز للنشر والتوزيع.
- التلمود – المشنأ – زراعيم – الزروع – ترجمة وتعليق: د/ مصطفى عبد المعبود سيد منصور / مكتبة النافذة – الطبعة الأولى 2008م.
- التلمود – المشنأ – مواعيد – الأعياد – ترجمة وتعليق: د/ مصطفى عبد المعبود سيد منصور - مكتبة النافذة – الطبعة الأولى 2009م.
- التلمود – المشنأ – ناشيم - النساء – ترجمة وتعليق: د/ مصطفى عبد المعبود سيد منصور - مكتبة النافذة – الطبعة الأولى 2008م.
- التلمود – المشنأ – نزيقين – الأضرار – ترجمة وتعليق: د/ مصطفى عبد المعبود سيد منصور / مكتبة النافذة – الطبعة الأولى 2007م.
- التلمود – المشنأ - طهاروت – الطهارات – ترجمة وتعليق: د/ مصطفى عبد المعبود سيد منصور / مكتبة النافذة – الطبعة الأولى 2007م.
- التلمود – المشنأ – قداشيم – المقدسات – ترجمة وتعليق: د/ مصطفى عبد المعبود سيد منصور / مكتبة النافذة – الطبعة الأولى 2007م.
- سيرة النبي لابن هشام – محمد محي الدين عبد الحميد – دار الفكر 1981م.

- صحيح البخاري الصادر عن دار السَّلام للنشر- الطبعة الثانية 1999م – مكتبة دار السَّلام- الرياض – السعودية.
- مختصر صحيح البخاري – برنامج ورد – تحقيق: د مصطفى ديب البغا – الصادر عن دار ابن كثير – اليمامة – بيروت لبنان – الطبعة الثالثة 1987م.
- الكافي الجزء 1 – لأبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي – تحقيق: علي أكبر الغفاري الطبعة: الخامسة - سنة الطبع: ١٣٦٣ ش الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران - ايران ردمك.
- الكافي الجزء 2 – لأبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي – تحقيق: علي أكبر الغفاري الطبعة: الرابعة - سنة الطبع: 1365 ش الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران - ايران ردمك.
- الكافي الجزء 3 – لأبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي – تحقيق: علي أكبر الغفاري الطبعة: الثالثة - سنة الطبع: 1367 ش الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران - ايران ردمك.
- الكافي الجزء 4 – أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي – تحقيق: علي أكبر الغفاري الطبعة: الثالثة - سنة الطبع: 1367 ش الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران - ايران ردمك.
- الكافي الجزء 5 – أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي – تحقيق: علي أكبر الغفاري الطبعة: الثالثة - سنة الطبع: 1367 ش الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران - ايران ردمك.
- الكافي الجزء 6 – لأبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي – تحقيق: علي أكبر الغفاري الطبعة: الثالثة - سنة الطبع: 1367 ش الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران - ايران ردمك.
- الكافي الجزء 7 – لأبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي – تحقيق: علي أكبر الغفاري الطبعة: الثالثة - سنة الطبع: 1367 ش الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران - ايران ردمك.
- الكافي الجزء 8 – لأبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي – تحقيق: علي أكبر الغفاري الطبعة: الرابعة - سنة الطبع: 1362 ش الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران - ايران ردمك.
- افستا – الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية – الطبعة الثانية – د/ خليل عبد الرحمن – دار روافد – دمشق.
- عبدة الشيطان في العراق / السيد عبد الرزاق الحسني. الطبعة الثانية. 1931م
- اليزيدية قديما وحديثا / إسماعيل بكر جول. 1934م
- كنزا ربا – الكنز العظيم – الكتاب المقدس للصابئة المندائيين – ترجمة: د/ يوسف مي فوزي – ود/ صبيح مدلول السهيري 2000م.

- الداما بادا - كتاب بوذا المقدس - ترجمة: سعد يوسف - دار التكوين - الطبعة الأولى 2010م.
- البوذية - كلود ب - لفنون - ترجمة: د/ محمد علي مقلد - دار الكتاب الجديد المتحد - الطبعة الأولى 2008م بيروت - لبنان.
- مدونة جوستينيان في الفقه الروماني - ترجمة: عبدالعزيز فهمي 1946م عن دار الكتاب المصري - المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة الطبعة الأولى 2005م.
- شريعة حمورابي - ترجمة محمود الأمين - دار الوراق - لندن - الطبعة 2007م.
- تاريخ القانون تأليف: الدكتور منذر الفضل ثاراس للطباعة والنشر - الطبعة الثانية 2005م
- التوراة السامرية - ترجمة الكاهن السامري/ أبو الحسن السوري - دار الأنصار - الطبعة الأولى 1978- القاهرة.
- أبو نصر الفارابي - كتاب السياسة المدنية - مبادئ الموجودات - المطبعة الكاثوليكية - بيروت لبنان - تحقيق فوزي متري النجار - 1964م.
- أفلاطون - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - غاستون مير - ترجمة د. بشارة صادجي - بيروت لبنان - الطبعة الأولى - 1980م.
- سقراط - د. فاروق عبد المعطي - دار الكتب - بيروت لبنان.
- أصل الأنواع - تشارلز داروين - ترجمة: إسماعيل مظهر - الناشر هنداوي سي أي سي 2017م
- داروين والتطور - جوفاثان ميلر - بودين فان لون - ترجمة: ممدوح عبد المنعم محمد - المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة - الطبعة الأولى 2005م.
- سلسلة مقدمات موجزة / مكتبة 589- المعرفة - جينيفر ناغا - ترجمة: مروة هاشم.
- دعائم الإسلام - لابي حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي - تحقيق: آصف علي فيضي - دار الأضواء - الطبعة الأولى 1991م المجلد الثاني.
- فصول في أديان الهند - د. محمد ضياء الرحمن الاعظمي - دار النجار للنشر - الطبعة الأولى - 1997م.
- كتاب شجرة اليقين/ أبي الحسن الأشعري. تحقيق وترجمة كونشي كاستيلو. مدريد 1987م
- الإبانة عن أصول الديانة / أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري / تحقيق. صالح مقبل عبدالله العصيمي - الطبعة الأولى 1432هـ.
- الفرق والمذاهب في الرسائل الثلاث / محمد غالب بركات الطبعة الأولى 2011م
- دعائم الإسلام - لابي حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي - تحقيق: آصف علي فيضي - دار المعارف 1963م.
- كتاب اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع / للامام أبي الحسن الأشعري / قدمه. حمودة غرابه 1955م.

- الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات / عبد المجيد همو. الطبعة الأولى 2003م
- اختلاف أصول المذاهب للقاضي النعمان بن محمد التميمي – تحقيق د/ مصطفى غالب – دار الأندلس – الطبعة الثالثة 1983م.
- الجتهاد في الشريعة الإسلامية / يوسف القرضاوي الطبعة الأولى 1996م
- مذهب الدروز والتوحيد – عبدالله النجار – دار المعارف – مصر 1965م.
- تاريخ المذاهب الإسلامية – الإمام محمد أبو زهرة – دار الفكر العربي – القاهرة
- مسند الإمام زيد – تحقيق عبدالعزيز إسحاق البغدادي - دار الكتب العلمية – بيروت.
- الجامع الصحيح لسنن الترمذي – لابي عيسى محمد بن عيسى بن سورة – الطبعة الأولى – دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان.
- كتاب الرسالة – محمد بن إدريس الشافعي – تحقيق أحمد محمد شاكر – دار العقيدة الطبعة الأولى 2009م
- الموطأ – مالك بن أنس – تحقيق صبري عبدالرزاق وحسام صبري – دار الأندلس للطباعة – الطبعة الأولى 2009م.
- تاريخ الفلسفة في الإسلام – الأستاذ ت. ج. دي بور – جامعة امستردام / ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريده – كلية الآداب – جامعة الملك فواد الأول – الطبعة الثانية – مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة 1948م.
- المعتقدات الدينية لدى الشعوب – جفري بارندر – ترجمة: إمام عبدالفتاح إمام – عالم المعرفة
- لغز عشتار – الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة – فراس السواح – دار التكوين للطباعة والنشر - 2016
- تاريخ الفلسفة اليونانية – ولتر ستيس – ترجمة: مجاهد عبدالمنعم مجاهد – دار الثقافة والنشر – القاهرة 1984م.
- أصول الفلسفة العربية – يوحنا قمر – دار المشرق – بيروت لبنان الطبعة السادسة.
- تهافت الفلاسفة – الغزالي – تحقيق: د. سليمان دنيا – دار المعارف – مصر القاهرة – الطبعة الرابعة.
- دراسات في تاريخ اليمن القديم / د. عبدالله حسن الشيبه – الطبعة الأولى – مكتبة الوعي الثوري تعز.
- الحقيقة الغائبة الدكتور / فرج فودة – دار الفكر – الطبعة الثالثة.
- قبل السقوط الدكتور / فرج فودة – مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الدين والسلطة د/ محمد شحرور – دار السقا – الطبعة الأولى 2014م.
- الإسلام والإيمان منظومة القيم د / محمد شحرور – دار الأهالي – الطبعة الأولى 1996م
- الدولة والمجتمع د/ محمد شحرور – دار الأهالي – دمشق.
- الكتاب والقرآن د/ محمد شحرور – دار الأهالي – دمشق.

- نحو أصول جديدة للفقهاء الإسلامي فقهاء المرأة - محمد شحرور - دار الأهالي - الطبعة الأولى 2000م - دمشق
- أحكام المواريث في الشريعة الإسلامية د/ حسن صبحي أحمد عبداللطيف - جامعة الكويت - 1976م.
- الملل والنحل - لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني - الطبعة الأولى - مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت.
- الدين في شبه الجزيرة العربية - أ بكر السقاف - مؤسسة الانتشار العربي - بيروت الطبعة الأولى 2004م.
- مصطلح الحديث - د / حسن مقبول الأهدل - الجيل الجديد - صنعاء - اليمن - 2012م.
- أدب الطلب ومنتهى الأرب - محمد بن علي الشوكاني - تحقيق: عبدالله السريحي - مكتبة الإرشاد - دار ابن حزم - الطبعة الثانية 2010م صنعاء - اليمن.
- التقاويم - محمد محمد فياض - نهضة مصر - الطبعة الثانية 2003م - القاهرة.
- اكيثو اعياد رأس السنة البابلية - د. محمود حسين الأمين - دار آشور بانيال للكتاب بغداد.
- الإسلام بين العلم والمدنية - الإمام - محمد عبده - دار الشرق - الطبعة الثالثة - 2014م
- إنجيل بابل - د. خزعل الماجدي - دار الأهلية عمان الأردن - الطبعة الأولى 1998م.
- أنبياء سومريون - د. خزعل الماجدي - المركز الثقافي للكتاب - الطبعة الأولى 2018م.
- تاريخ الخليقة - د. خزعل الماجدي - دار الرافدين
- لغة الجينات - ستيف جونز - ترجمة: أحمد رمو - دار طلاس دمشق الطبعة الأولى 2000م.
- الجينات والشعوب واللغات - لويجي لوقا كافلي - ترجمة: د. أحمد مستجير مكتبة الأسرة 2004م.
- عالم الحيوان وغرائب - الموسوعة العلمية المبسطة - دار العودة - بيروت 1989م
- الحدود بين الشريعة والقانون - مكتبة النور - طرابلس - ليبيا - 1973م
- قصص الأنبياء - محمد متولي الشعراوي - دار القدس - 2006م.
- فقهاء المرأة المسلمة - محمد متولي الشعراوي - المكتبة التوفيقية - القاهرة.
- نهاية العالم - محمد متولي الشعراوي - مكتبة الشعراوي الإسلامية.
- الله والنفس البشرية - محمد متولي الشعراوي - دار الحرية للنشر والتوزيع.
- نحو فقهاء جديد - جمال البناء - دار الفكر الإسلامي - القاهرة.
- البرنامج الإسلامي - جمال البناء - دار الفكر الإسلامي - القاهرة.

- التعددية في مجتمع إسلامي - جمال البناء - دار الفكر الإسلامي - القاهرة.
- الإسلام عقيدة وشريعة - محمد شلتوت - دار الشرق - القاهرة.
- الحكومة الإسلامية - الإمام الخامني - ملزمة.
- الإسلام برسائله الأولى - محمود محمد طه - 1969م
- رسالة الصلاة - محمود محمد طه - 1970م - ملزمة.
- الحزب الجمهوري يدعو إلى طريق محمد - محمود محمد طه - 1969م
- صحيح البخاري نهاية أسطورة - رشيد أيلال - دار الوطن - الطبعة الأولى 2017م - المغرب.
- ((. الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب / أسد رستم. 2017م
- حياة الصحابة - محمد يوسف الكاندهلوي - المطبعة المليية - الهند 2013م.
- جناية الشافعي - زكريا أوزون - دار الريس للطباعة والنشر - الطبعة الأولى - 2005م
- جناية البخاري - زكريا أوزون - دار الريس للطباعة والنشر - الطبعة الأولى - 2004م
- تاريخ التصوف الإسلامي - عبد الرحمن بدوي - وكالة المطبوعات الكويت - الطبعة الأولى 1975م
- تاريخ المصريين - موسوعة تاريخ مصر عبر العصور - تاريخ مصر القديمة - الهيئة المصرية العامة للكتاب - مجموعة كتاب -
- الحلاج وحقائق التفسير - مكتبة مدبولي - محمود الهندي - الطبعة الأولى 2006م
- اكيثو- أعياد البابليين - د. محمود حسين الأمين.
- قذائف الحق / محمد الغزالي - دار القلم - دمشق الطبعة الثانية 1997م
- الإسلام عقيدة وشريعة - محمد شلتوت دار الشرق الطبعة (18) القاهرة - مصر
- الإسلام وأصول الحكم - على عبد الرزاق - دراسة ووثائق مقدم من د. محمد عمارة - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت الطبعة 2000م.
- مسؤولية فشل الدولة الإسلامية - جمال البناء - دار الفكر الإسلامي القاهرة.
- البرنامج الإسلامي - جمال البناء - دار الفكر القاهرة - 2001م.
- التعددية في مجتمع إسلامي - جمال البناء - دار الفكر الإسلامي - القاهرة.
- ولاية الفقيه في العصر الحديث - عباس نور الدين - مركز باء الطبعة الأولى - بيروت 2009م
- الحكومة الإسلامية - المرجع الديني الأعلى الخميني - 1989م.
- الإسلام لا يصلح لإنسان القرن العشرين - محمود محمد طه - 1969م.
- رسالة الصلاة - محمود محمد طه - الطبعة الخامسة أم درمان السودان - 1970م.
- الحزب الجمهوري يدعو إلى طريق محمد - محمود محمد طه - الطبعة الثالثة 1969م

- فضائل مكة والسكن فيها - الحسن البصري - تحقيق د. سامي العاني - مكتبة الفلاح الكويت الطبعة الأولى 1980م
- اساس التقاويم (مبحث) / جرجس فيلوثاوس عوض - 1915م
- تاريخ مدينة البصرة - عبدالله عيسى إسماعيل النجدي - تحقيق فاخر جبر - الدار العربية للموسوعات - الطبعة الأولى 2010م.
- جمهورية أفلاطون - فواد زكريا - دار الوفاء - الإسكندرية مصر 2004م
- الإمام الهادي يحيى الرسي / مؤسسة البنا د/ عبد الحميد أحمد مرشد حمود - الطبعة الأولى 2010م
- حياة المسيح / عباس العقاد - نهضة مصر - الطبعة الثانية 1998م
- الخلافة الإسلامية محمد سعيد العشماوي - دار سينا - الطبعة الثانية 1992م
- سر المعبد / ثروة الخرباوي - نهضة مصر - الطبعة التاسعة 2012م
- موسوعة حياة محمد الرسول د/ عبدالمنعم الحنفي - مكتبة مدبولي - 2009م
- موسوعة شرح الأزهار - مكتبة التراث الإسلامي الطبعة الأولى 2003م.
- القرآن والسلطان - فهمي هويدي - دار الشرق - الطبعة السادسة 2009م.
- دين ضد الدين - د/ علي شريعتي - ترجمة حيدر مجيد - الطبعة الأولى - دار الفكر الجديد - العراق - النجف.
- ابن رشد - دومينيد اورفوا - ترجمة محمد البحري - مركز دراسات الوحدة العربية.
- ألمانيا والإسلام في القرنين التاسع عشر والعشرين- عبد الرؤوف سنو - الصادر عن دار الفرات - الطبعة الأولى 2007م
- ت. أ. لورنس - أعمدة الحكمة السبعة - منشورات المكتب التجاري - بيروت - الطبعة الأولى 1963م
- لورنس والعرب - شاكرك خليل نصار - المطبعة الأمريكية - بيروت - الطبعة الأولى 1930م.
- ملوك العرب - أمين الريحاني - دار الجيل بيروت - الطبعة الثامنة 1987م.
- الفكر الإسلامي المعاصر د/ رضوان الشيباني - الطبعة الأولى - دار النيل - تعز اليمن.
- الحلال والحرام في الإسلام د/ يوسف القرضاوي - مكتبة وهبة - عابدين الطبعة الأولى - مصر
- مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البناء - مؤسسة اقرأ - الطبعة الأولى - 2011م
- معالم في الطريق - دار الشروق - الطبعة السادسة 1979م
- مختصر تاريخ البصرة - علي ظريف الأعظمي - مكتبة الثقافة الدينية - بور سعيد - الظاهر.
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام - د/ جواد علي - الجزء الأول - جامعة بغداد - الطبعة الثانية - 1993م.

- أبحاث في تاريخ العرب قبل الإسلام – د/ جواد علي – الجزء الثاني – المركز الأكاديمي للأبحاث.
- شرح قانون العقوبات اليمني د/ مجدي عقلان – د/ حسني الجندي – دار الحكمة اليمنية – الطبعة الثانية 1995م
- قانون العقوبات اليمني
- قانون الجنايات المصري
- قانون الجنايات – العقوبات العراقي
- قانون الجنايات – العقوبات المغربي
- قانون الأحوال الشخصية اليمني – الزواج – الطلاق - الرضاغة – الهبة والنذر والوصية والمواريث.
- قانون الوقف الشرعي اليمني.



المؤلف في سطور:

- الاسم: جميل عبده شرف القدسي.
- المهنة: محامي.
- من مواليد: 1970م.

الدِّين بين العَقْل والنَّفَل

هذا الكتاب:

ينذر بحوار عقلائي هادئ نسعى من خلاله إلى بعث حركة إصلاح في الفكر الديني، وخاصة الفكر الديني الإسلامي من أجل الوصول إلى حقيقة الدين الموجود ودحضه (دين المذاهب والفرق والجماعات والأحزاب الدينية السياسية) واستعادة الدين المفقود الذي جاء به جميع الأنبياء والرسل إلى واقع حياتنا.

المؤلف